

الجزء الثاني

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني  
التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم  
الائمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء  
الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي  
الصوفي المعروف بالخازن  
تعمده الله برحمته  
آمين

وقد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق  
التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود  
النسفي عليه سحائب الرحمة والرضوان

( طبع بمطبعة )

دار الكتب العلمية

على نفقة

( اصحابها مصطفى الباني الحلبي وأخويه بكرى وعيسى )

( بمصر )

BP  
130  
4  
45  
1910  
V. 2

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ﴿تفسير سورة الانعام﴾

﴿فصل في ذكر نزولها﴾ روى مجاهد عن ابن عباس أن سورة الانعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا بمكة وحوطها سبعون ألف ملك وروى أبو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جملة واحدة نزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غير ست آيات منها فانها مدنيات وهي قوله تعالى قل تعالوا أتت ما حرم بكم عليكم الى آخر الثلاث آيات وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الآية وقوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شيء الى آخر الآيتين وذكروا ما نزل نحو هذا وزاد آيتين وهما قوله تعالى والذين آتينا هم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق الآية وقوله تعالى الذين آتينا هم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الآية وروى عن ابن عباس أيضا وقتادة أنهما قالاهي مكية الايتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات الآية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا قال البغوي وروى عنه مرفوعا من قرأ سورة الانعام صلى عليه أو لثك السبعون ألف ملك ليله ونهاره وذكروه بغير سند والله سبحانه وتعالى أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (الجد لله الذي خلق السموات والارض) قال كعب الاحبار هذه الآية اول آية في التوراة وآخر آية في التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وفي رواية عنه ان آخر آية في التوراة آخر سورة هود قال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وخلقته بالحمد فقال تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفي قوله الحمد لله تعلم لعباده كيف يحمدونه أي قولوا الحمد لله وقال أهل المعاني لفظه خبر ومعناه الامر أي اجدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه أبلغ في البيان من حيث انه جمع الامرين ولو قيل اجدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله أبلغ وقد تقدم معنى الحمد في تفسير سورة فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السموات والارض أي اجدوا الله الذي خلق السموات والارض وانما خصهما بالذكر لانهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد لان السماء بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها أيضا العبر والمنافع (وجعل الظلمات والنور) جعل هنا بمعنى الخلق أي وخلق الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمات الليل والنور نور النهار وقال الحسن يعني بالظلمات الكفر والنور الإيمان وقيل يعني بالظلمات الجهل والنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق الله السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار وروى عن عبد الله بن عمر وابن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم أتى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى

﴿سورة الانعام مكية﴾  
وهي مائة وخمس وستون  
آية كوفي أربع وستون  
بصري  
(بسم الله الرحمن الرحيم)  
(الجد لله) تعليم اللفظ والمعنى  
مع تعريض الاستغناء أي  
الجد له وان لم تحمدوه  
(الذي خلق السموات  
والارض) جمع السموات  
لأنها طباق بعضها فوق  
بعض والارض وان كانت  
سبعة عند الجمهور فليس  
بعضها فوق بعض بل بعضها  
موال لبعض جعل يتعدى  
الى مفعول واحد اذا كان  
بمعنى أحدث وأنشأ كقوله  
(وجعل الظلمات والنور)  
والى مفعولين ان كان بمعنى  
صير كقوله وجعلوا  
الملائكة الذين هم عباد  
الرحمن اناثا وفيه رد قول  
الثوية بقدم النور والظلمة  
وأفرد النور لارادة الجنس  
ولان ظلمة كل شيء تختلف  
باختلاف ذلك الشيء نظيره  
ظلمة الليل وظلمة البحر  
وظلمة الموضع المظلم يخالف  
كل واحد منها صاحبه والنور  
ضرب واحد لا يختلف كما  
تختلف الظلمات وقدم  
الظلمات لقوله عليه السلام  
خلق الله خلقه في ظلمة

ثم رش عليهم من نوره فغن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطاه ضل (ثم الذين كفروا) بعد هذا البيان (بربهم يعدلون) يساوون به  
الاولان تقول عدات هذا بذات أي ساو يته به والباء في ربهم صلة للعدل لا للكفر أو ثم الذين (٣) كفروا بربهم يعدلون عنه أي

يعرضون عنه فتكون الباء  
صلة للكفر وصلة يعدلون  
أي عنه محذوفة وعطف ثم  
الذين كفروا على الحمد لله  
على معنى أن الله حقيق  
بالحمد على ما خلق لأنه ما  
خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا  
به يعدلون فيكفرون  
نعمة أو على خلق السموات  
على معنى انه خلق ما خلق  
بما لا يقدر عليه أحد سواه  
ثم هم يعدلون به بما لا يقدر على  
شيء منه ومعنى ثم استبعاد أن  
يعدلوا به بعد وضوح آيات  
قدرته (هو الذي خلقكم  
من طين) من لا ابتداء  
الغاية أي ابتداء خلق  
أصلكم يعني آدم منه (ثم  
قضى أجلا) أي حكم أجل  
الموت (وأجل مسمى  
عنده) أجل القيامة  
أو الاول ما بين أن يخلق الى  
أن يموت والثاني ما بين  
الموت والبعث وهو البرزخ  
أو الاول النوم والثاني  
الموت أو الثاني هو الاول  
وتقديره وهو أجل مسمى  
أي معلوم وأجل مسمى  
مبتدأ والخبر عنده وقدم  
المبتدأ وان كان نكرة  
والخبر ظرفا وحقه التأخير  
لانه تخصص بالصفة فقارب  
المعرفة (ثم أتمتمون)

ومن أخطاه ضل ذكره البغوي بغير سند (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) يعني والذين كفروا بعد هذا  
البيان بربهم بشر كون وأصل العدل مساواة الشيء بالشيء والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عدلا  
من خلقه فيعبدون الحجارة مع اقرارهم بان الله خلق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله  
بربهم بمعنى عن أي عن ربهم يعدلون وينحرفون من العدل عن الشيء وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين  
كفروا بربهم يعدلون دليل على معنى لطيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار العدل به وعلى  
تعجب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك أن تقول لرجل أكرمك وأحسنت اليك وأنت تنكرني وتجدد  
احساني اليك فتقول ذلك منكر اعليه و متعجبا من فعله ﴿ قوله تعالى (هو الذي خلقكم من طين) يعني انه  
تعالى خلق آدم من طين وانما خاطب ذريته بذلك لانه اصلهم وهم من نسله وذلك لما أنكر المشركون البعث  
وقالوا من يحيى العظام وهي رميم أعلمهم بهذه الآية انه خلقهم من طين وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم  
بعد الموت قال السدي لما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم بعث جبريل الى الارض ليأنيه بقبضة منها فقالت  
الارض اني أعوذ بالله منك أن تقبض مني فرجع ولم يأخذ منها شيئا فقال يارب عاذت بك فبعث الله  
ميكائيل فاستعادت فرجع فبعث الله ملك الموت فعادت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره وأخذ من  
وجه الارض نخل الجراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت أنوان بني آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر  
فلذلك اختلفت أخلقهم ثم قال الله الملك الموت رحيم جبريل وميكائيل الارض ولم تر جهالا جرم أجعل  
أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك عن أبي موسى الأشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر  
والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخيث والطيب أخرجه أبو داود والترمذي ﴿ وأما قوله  
تعالى (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) فاختلاف العلماء في معنى ذلك فقال الحسن وقتادة والضحاك  
لأجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والأجل الثاني من وقت الموت الى البعث وهو البرزخ و يروى  
نحو ذلك عن ابن عباس قال لكل أحد أجل الى الموت وأجل من الموت الى البعث فان كان الرجل  
بر اتقيا وصولا للرحم زيدله من أجل البعث الى أجل العمر وان كان فاحرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر  
وزيد في أجل البعث وذلك قوله وما يعمر من عمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وقال مجاهد وسعيد بن  
جبير الاجل الاول أجل الدنيا والاجل الثاني أجل الآخرة وقيل الاجل هو الوقت المقدر فأجل كل انسان مقدر  
معلوم عند الله لا يزيد ولا ينقص والاجل الثاني هو أجل القيامة وهو أيضا معلوم مقدر عند الله لا يعلمه الا الله  
تعالى وقال ابن عباس في رواية عطاء عنه ثم قضى أجلا يعني النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه وأجل  
مسمى عنده هو أجل الموت وقيل هما واحد ومعناه ثم قضى أجلا يعني قدر مدة لا عمارة كما تنتهون اليها وهو  
أجل مسمى عنده يعني ان ذلك الاجل عنده لا يعلمه الا هو والمراد بقوله عنده يعني في اللوح المحفوظ الذي  
لا يطلع عليه غيره (ثم أتمتمون) يعني ثم أتمتم تشكون في البعث ﴿ قوله عز وجل (وهو الله في السموات  
وفي الارض) يعني وهو الله السموات والارض وقيل معناه وهو المعبود في السموات وفي الارض وقال  
محمد بن جرير الطبري معناه وهو الله في السموات (يعلم سركم وجهركم) في الارض وقال الزجاج فيه تقديم  
وتأخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير في  
السموات وفي الارض لا شريك له فيهما والمراد بالسر ما يخفيه الانسان في ضميره فهو من أعمال القلوب

تشكون من المرية أو تجادلون من المراء ومعنى ثم استبعاد أن يتموا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم (وهو الله) مبتدأ وخبر (في السموات  
وفي الارض) متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيهما كقوله وهو الذي في السماء والارض وهو المعروف بالالهية فيهما  
أو هو الذي يقال له الله فيهما والاول تفريع على انه مشتق وغيره على انه غير مشتق (يعلم سركم وجهركم) خبر بعد خبر أو كلام مبتدأ أي وهو

يعلم سرهم وجهرهم (ويعلم ما تكسبون) من الخير والشر وينيب عليه ويعاقب ومن في (وما تأتيتهم من آية) للاسراف وفي (من آيات ربهم) للتبعض أي وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاعتبار (الا كانوا معرضين) تاركين للنظر لا يلتفتون اليه لقلّة خوفهم وتدبرهم في العواقب (٤) (فقد كذبوا) مردود على كلام محمد بن زيد فإنه قيل إن كانوا معرضين عن الآيات فقد

وبالجهر ما يظهره الانسان فهو عن أعمال الجوارح والمعنى ان الله لا يخفي عليه خافية في السموات ولا في الارض (ويعلم ما تكسبون) يعني من خيرا وشر بقى في الآية سؤال وهو ان الكسب اما ان يكون من أعمال القلوب وهو المسمى بالسرا أو من أعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر فالأفعال لا تخرج عن هذين النوعين يعني السر والجهر فقوله ويعلم ما تكسبون يقتضي عطف الشيء على نفسه وذلك غير جائز فاعني ذلك وأجيب عنه بأنه يجب حمل قوله ويعلم ما تكسبون على ما يستحقه الانسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل فيه انه محمول على المكتسب فهو كما يقال هذا المال كسب فلان أي مكتسبه ولا يجوز حمله على نفس الكسب والالزم عطف الشيء على نفسه ذكره الامام نضر الدين (وما تأتيتهم) يعني لاهل مكة (من آية من آيات ربهم) يعني من المعجزات الباهرات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك وقيل المراد بالآيات آيات القرآن (الا كانوا معرضين) يعني الا كانوا هاتار كين وبها مكذبين (فقد كذبوا بالحق) يعني بآيات القرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أتى به من المعجزات (لما جاءهم) يعني لما جاءهم الحق من عندهم كذبوا به (فسوف يأتيهم انباء ما كانوا يستهزؤن) يعني فسوف يأتيهم اخبار استهزأهم اذا عبدوا في الآخرة ﴿ قوله تعالى (الم يروا) الخطاب لكفار مكة يعني لم يروا هؤلاء المكذبون بآياتي (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) يعني مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون الخالية والقرن الامّة من الناس وأهل كل زمان قرن سمو بذلك لاقتراهم في الوجود في ذلك الزمان وقيل سمي قرنا لانه زمان زمان وأمة بامة واختلفوا في مقدار القرن فقيل ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل أربعون سنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة سنة وهو الاصح لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بشر المازني انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فعلى هذا القول المراد بالقرن أهله الذين وجدوا فيه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعني أصحابي وتابعيهم وتابعي التابعين (مكناهم في الارض ما لم تكن لكم) يعني أعطيناهم ما لم نعطيكم يا أهل مكة وقيل أمددناهم في العمر والبسطة في الاجسام والسعة في الارزاق مثل اعطاء قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) مفعال من الدر يعني وأرسلنا المطر متتابعا في أوقات الحاجة اليه والمراد بالسماء المطر سمي بذلك لنزوله منها (وجعلنا الانهار تجري من تحتهم) يعني وجعلناهم العيون تجري من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين (فاهلكناهم بذنوبهم) يعني بسبب ذنوبهم وكفرهم (وأنا أنامن بعدهم قرنا آخرين) يعني وخلقنا من بعدهم أولئك أهل قرن آخرين وفي هذه الآية ما يوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الامم السالفة والقرون الخالية فانهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الاتباع أهلكناهم لما كفروا وطفوا وظلموا فكيف حال من هو أضعف منهم وأقل عددا وعلوا وهدا يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ﴿ قوله عز وجل (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس) الآية قال الكافي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن تؤمن حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعها أربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسول الله فانزل الله تعالى هذه الآية ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس يعني من عندي يعني مكتوبا في قرطاس وهو الكاغد والصحيفة التي يكتب فيها (فلمسوه بأيديهم) يعني فعانوه ومسوه بأيديهم وانما ذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لانه أبلغ في ايقاع العلم

كذبوا (بالحق لما جاءهم) أي بما هو أعظم آية وأكبرها هو القرآن الذي تحدى به فجزوا عنه (فسوف يأتيهم انباء ما كانوا يستهزؤن) أي انباء الشيء الذي كانوا يستهزؤن وهو القرآن أي أخباره وأحواله يعني سيعلمون بآية شيء استهزؤا وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وعلاو كلمته لم يروا يعني المكذبين (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) هو مدة انقضاء أهل كل عصر وهو ثمانون سنة أو سبعون (مكناهم) في موضع جر صفة لقرن وجمع على المعنى (في الارض ما لم تكن لكم) التمكين في البلاد اعطاء المكنة والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا (وأرسلنا السماء المطر عليهم مدرارا) كثيرا وهو حال من السماء (وجعلنا الانهار تجري من

تحتهم) من تحت أشجارهم والمعنى عاشوا في الخصب بين الانهار والثمار وسقيا الغيث المدرار (فاهلكناهم بذنوبهم) ولم يغن ذلك عنهم شيئا (وأنا أنامن بعدهم قرنا آخرين) بدلائلهم (ولو نزلنا عليك كتابا) مكتوبا (في قرطاس) في ورق (فلمسوه بأيديهم) هوللتا كيدللايقولوا سكرت أنصارتنا ومن المحتج عليهم العمى بالشئ

(لقال الذين كفروا ان هذا الاسحرمبين) نعمتوا وعناد للحق بعد ظهوره (وقالوا لولا هلا (أنزل عليه) على النبي صلى الله عليه وسلم (ملك) يكلمنا انه نبي فقال الله (ولو أنزلنا ملكا لقتلناهم كقتلناهم) لقتلناهم كقتلناهم (ثم لا ينظرون) لا يمهلون بعد نزوله طرفه عين لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامر من قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة (ولو جعلناه ملكا) ولو جعلناه ملكا (5) جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون تارة لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لآنزل ملائكة (لجعلناه رجلا) لارسلناه في صورة رجل كما كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم (وللبسنا عليهم ما يلبسون) وللبسنا عليهم ما يلبسون) وخلقنا واشكنا عليهم من أمره اذا كان سبيله كسبيلك يا محمد فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك يقال لبست الامر على القوم وألبسته اذا أشبهته وأشكته عليهم ثم سلب نبيه على ما أصابه من استهزاء قومه بقوله (ولقد استهزئ برسل من قبلك خاق بالذين كانوا يهزون) بالذين كانوا يهزون) والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب عليهم من النعمة والعذاب جزاء استهزائهم وفي هذه الآية تحذير للمشركين أن يفعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم بانبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم (قل سيروا في الارض) أي قل يا محمد هؤلاء المستهزئين سيروا في الارض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الاقدام (ثم انظروا) فعلى القول الاول يكون النظر فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا باعينكم الى آثار الامم الخالية والقرون الماضية السالفة وهو قوله تعالى (كيف كان عاقبة المكذبين) يعني كيف كان جزاء المكذبين وكيف أو رثم الكفر والتكذيب اهلك خذر كفار مكة عذاب الامم الخالية قوله عز وجل (قل لمن مافي السموات والارض قل لله) هذا سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد هؤلاء المكذبين العادلين برهم لمن ملك مافي السموات والارض فان أجابوك والافا خبرهم

بالشيء من الرؤية لان المرئيات قديد خلها التخيلات كالسحر ونحوه بخلاف المسموس (لقال الذين كفروا ان هذا الاسحرمبين) يعني لو أنزلنا عليهم كتابا كما سألو لما آمنوا به واثقوا هذا اسحرمبين كما قالوا في انشاق القمر وانه لا ينفع معهم شيء لما سبق فيهم من علمي بهم (وقالوا) يعني مشركي مكة (لولا) يعني هلا (أنزل عليه) يعني على محمد (ملك) يعني نراه عيانا (ولو أنزلنا ملكا لقتلناهم) يعني لفرغ الامر ولوجب العذاب وهذه سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية ثم لم يؤمنوا استوجبوا العذاب واستؤصلوا به (ثم لا ينظرون) يعني انهم لا يمهلون ولا يؤخرون طرفه عين بل يجعل لهم العذاب (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) يعني ولو أرسلنا اليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك ان البشر لا يستطيعون أن ينظروا الى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظر الى الملك ناظر لصعق عند رؤيته ولذلك كانت الملائكة تأتي الانبياء في صورة الانس كما جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبى وكما جاء الملك الى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك أتى الملائكة الى ابراهيم ولوط عليهما السلام ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلق عليها صعق لذلك وغشى عليه قوله تعالى (وللبسنا عليهم ما يلبسون) يقال لبست الامر على القوم اذا أشبهته عليهم وجعلته مشكلا ولبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى الآية وخلقنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدروا أملاك هو آدمى وقيل في معنى الآية اننا جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشر افتغود المسئلة بحاطها اننا لارضى برسالة البشر ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل الله مثل فعلهم في التلبس وانما كان تلبس لانهم يظنون أنه ملك وليس بملك أو يظنون انه بشر وليس هو بشر وانما كان فعلهم تلبس لانهم لبسوا على ضعفهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انما هو بشر مثلكم ولورأوا الملك رجلا للحقهم من اللبس مثل ما خلق بضعفائهم فيكون اللبس نعمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط في السؤال واللبس على الضعفاء قوله عز وجل (ولقد استهزئ برسل من قبلك) يعني كما استهزؤا بك يا محمد وفي هذه الآية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسليته عما كان من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به اذ جعل له أسوة في ذلك بالانبياء الذين كانوا قبله (خاق) أي فنزل وقيل أحاط وقيل حل (بالذين سخروا منهم ما كانوا يستهزؤن) والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب عليهم من النعمة والعذاب جزاء استهزائهم وفي هذه الآية تحذير للمشركين أن يفعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم بانبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم (قل سيروا في الارض) أي قل يا محمد هؤلاء المستهزئين سيروا في الارض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الاقدام (ثم انظروا) فعلى القول الاول يكون النظر فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا باعينكم الى آثار الامم الخالية والقرون الماضية السالفة وهو قوله تعالى (كيف كان عاقبة المكذبين) يعني كيف كان جزاء المكذبين وكيف أو رثم الكفر والتكذيب اهلك خذر كفار مكة عذاب الامم الخالية قوله عز وجل (قل لمن مافي السموات والارض قل لله) هذا سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد هؤلاء المكذبين العادلين برهم لمن ملك مافي السموات والارض فان أجابوك والافا خبرهم

منهم والضمير للرسول والادال مكسورة عند أبي عمر ووعاصم لالتقاء الساكنين وضمها غيرهما اتباعا لضم التاء (قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) والفرق بين فانظروا وبين ثم انظروا ان النظر جعل مسببا عن السير في فانظر وافكانه قيل سير والاحل النظر ولا سير واسير الغافلين ومعنى سيروا في الارض ثم انظروا والباحة السير في الارض للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك ثم لتباعد ما بين الواجب والمباح (قل لمن مافي السموات والارض) من استفهام وما به معنى الذي في موضع الرفع على الابتداء ولمن خبره (قل لله)

تقرير لهم أي هو الله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدر وبن ان تضيفوا منه شيئاً إلى غيره ( كتب على نفسه الرحمة ) أصل كتب  
أوجب ولكن لا يجوز الاجراء (٦) على ظاهره اذ لا يجب على الله شيء للعبد فالمراد به انه وعد ذلك وعدا

ان ذلك لله الذي قهر كل شيء ومملك كل شيء واستعبد كل شيء لا للاصنام التي تعبدونها انتم فانها اموات لا تملك  
شيئاً ولا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً وانما امره بالجواب عقب السؤال ليكون أبلغ في التأكيد وكذا في الحجة  
ولما بين الله تعالى كمال قدرته وتصرفه في سائر مخلوقاته أردفه بكمال رحته واحسانه اليهم فقال تعالى ( كتب  
على نفسه الرحمة ) يعني انه تعالى أوجب وقضى على نفسه الرحمة وهذا الاستعطف منه للمتولين عنه الى الاقبال  
عليه واخبار بان رحيم بعباده وانه لا يعجل بالعقوبة بل يقبل التوبة والانابة ممن تاب وأتاب (ق) عن أبي  
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي  
تغلب غضبي وفي البخاري ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده  
فوق العرش وفي رواية لهما ان الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على  
نفسه فهو موضوع عنده زاد البخاري على العرش ثم اتفق ان رحمتي تغلب غضبي (ق) عن أبي هريرة قال  
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في  
الارض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه زاد  
البخاري في رواية له ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة ليمأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي  
عند الله من العذاب لم يأمن من العذاب ولمسلم ان لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس  
والبهائم والطيور فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعاً وتسعين  
رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة (م) عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق  
يوم خلق السموات والارض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والارض فجعل منها في الارض رحمة فيها  
تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة (ق)  
عن عمر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امرأة من السبي تبنتني اذا وجدت صبياً في السبي  
أخذته قال قلت بيظنها وأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها في  
النار قلنا لا والله وهي تقدر أن لا تطرحه فقال صلى الله عليه وسلم لله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها وقوله  
تعالى ( ليجمعنكم ) الادم في قوله ليجمعنكم لام القسم تقديره والله ليجمعنكم ( الى يوم القيامة ) يعني في يوم  
القيامة وقيل معناه في قبوركم الى يوم القيامة ( لا ريب فيه ) أي لا شك في انه آت ( الذين خسروا أنفسهم )  
يعني بالشرك بالله أو غبنوا أنفسهم باتخاذهم الاصنام فعرضوا أنفسهم لسخط الله وأليم عقابه فكانوا كمن  
خسر شيئاً وأصل الخسار الغبن يقال خسرت الرجل اذا غبت في بيعه ( فهم لا يؤمنون ) يعني لما سبق عليهم القضاء  
بالخسران فهو الذي حلهم على الامتناع من الايمان ﴿ قوله تعالى ( وله ما سكن في الليل والنهار ) يعني وله  
ما استقر وقيل ما سكن وما تحرك فاكتفى بذلك كذا أحدهما عن الآخر وقيل انما خص السكون بالذكور لان  
النعمة فيه أكثر وقال ابن جرير كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار فيكون المراد  
منه جميع ما حصل في الارض من الدواب والحيوانات والطيور وغير ذلك ما في البر والبحر وهذا يفيد الحصر  
والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره ( وهو السميع العليم ) لا قوا لهم وأصواتهم ( العليم ) بسر أئهم  
وأحوالهم ﴿ قوله عز وجل ( قل أغير الله اتخذوليا ) قال مقاتل لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
الى دين آياته أنزل الله هذه الآية فقال قل لهم يا محمد أغير الله اتخذوليا يعني رباً ومعبوداً وناصراً ومعيناً  
وهو استفهام ومعناه الانكار أي لا اتخذ غير الله ولياً ( فاطر السموات والارض ) أي خالق السموات

مؤكداً وهو منجزه لا محالة  
وذكر النفس للاختصاص  
ووقع الوسائط أوعدهم  
على اغفالهم النظر  
واشراكم بهم من لا يقدر على  
خلق شيء بقوله ( ليجمعنكم  
الى يوم القيامة فيجازيكم  
على اشراكم ) ( لا ريب )  
فيه في اليوم أو في الجمع  
( الذين خسروا أنفسهم )  
نصب على الذم أي أريد  
الذين خسروا أنفسهم  
باختيارهم الكفر ( فهم  
لا يؤمنون ) وقال الاخفش  
الذين بدل منكم في  
ليجمعنكم أي ليجمعنكم  
هؤلاء المشركين الذين  
خسروا أنفسهم والوجه  
هو الاول لان سببويه قال  
لا يجوز صررت بي المسكين  
ولا بك المسكين فتجعل  
المسكين بدلا من الياء أو  
الكاف لانها في غاية  
الوضوح فلا يحتاجان الى  
البدل والتفسير ( وله )  
عطف على الله ( ما سكن في  
الليل والنهار ) من السكنى  
حتى يتناول الساكن  
والمتحرك أو من السكون  
ومعناه ما سكن وتحرك فيهما  
فاكتفى باحد الضدين عن  
الآخر كقوله تقيكم الحر  
أي الحر والبرد وذكر  
السكون لانه أكثر من الحركة

وهو احتجاج على المشركين لانه لم ينكر وان خالق الكل ومدبره ( وهو السميع العليم ) يسمع كل مسموع ويعلم والارض  
كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان ( قل أغير الله اتخذوليا ) ناصر أو معبود أو مفعول ثان لاتخذ والاول غير وانما أدخل  
همزة الاستفهام على مفعول اتخذ لانه لا يملك الا في انكاره في اتخاذ غير الله ولياً لان في اتخاذ الولي فكان أحق بالتقديم ( فاطر السموات والارض )

والارض ومبدعهما ومبتدئهما (وهو يطعم ولا يطعم) يعنى وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه بالغنى عن الخلق و باحتياج الخلق اليه لان من كان من صفته أن يطعم الخلق لاحتياجهم اليه وهو لا يطعم لاستغناؤه سبحانه وتعالى عن الاطعام فهو غنى عن الخلق ومن كان كذلك وجب أن يتخذ ربا وناصرا ووليا ومعبودا (قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم) يعنى من هذه الامة والاسلام بمعنى الاستسلام يعنى أمرت أن أسلم لامر الله وأتقاد الى طاعته (ولا تكونن من المشركين) يعنى وقيل لى يا محمد لا تكونن من المشركين (قل انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) يعنى قل يا محمد لولا المشركين الذين دعوك الى عبادة غيرى ان ربي أمرنى أن أكون أول من أسلم ونهانى عن عبادة شئ سواه وانى أخاف ان عصيت ربي فعبدت شئ سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيامة (من يصرف عنه) يعنى العذاب (يومئذ) يعنى يوم القيامة (فقد رجه) يعنى بان أنجاه من العذاب ومن أنجاه من العذاب فقد رجه وأناله الثواب لا محالة واما ذكر الرحمة مع صرف العذاب لئلا يتوهم انه صرف العذاب فقط بل تحصل الرحمة مع صرف العذاب عنه (وذلك الفوز المبين) يعنى أن صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين ﴿ قوله تعالى (وان يمسك الله بضر) يعنى بشدة وبلياة والضر اسم جامع لما ينال الانسان من ألم ومكروه وغـ ير ذلك مما هو فى معناه (فلا كاشف له الا هو) يعنى فلا يدفع ذلك الضر الا الله عز وجل (وان يمسك بخير) يعنى بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك (فهو على كل شئ قدير) يعنى من دفع الضر وجلب الخير وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذ وليا سوى الله لانه هو القادر على أن يمسك بضر وهو القادر على دفعه عنك وهو القادر على اىصال الخير اليك وانه لا يقدر على ذلك الا هو فاتخذه وليا وناصرا ومعينا وهذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام لكل أحد والمعنى وان يمسك الله بضر أيها الانسان فلا كاشف لذلك الضر الا هو وان يمسك بخير أيها الانسان فهو على كل شئ قدير من دفع الضر و اىصال الخير عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ما فقال لى يا غلام انى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعت على أن يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف أخرجه الترمذى زاد فيه رزين تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة وفيه وان استطعت ان تعمل لله بالرضا فى اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان الصبر على ما نكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين قال ابن الاثير وقد جاء نحو هذا أو مثله بطوله فى مسند أحمد بن حنبل ﴿ قوله عز وجل (وهو القاهر فوق عباده) يعنى وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم مقهورون تحت قدرته والقاهر والقهار معناه الذى يدبر خلقه بما يريد فيقع فى ذلك ما يشق عليهم ويشمل ويغم ويحزن ويفقر ويميت ويدل خلقه فلا يستطيع أحد من خلقه رده ويره والخروج من تحت قهره وتقديره وهذا معنى القاهر فى صفة الله تعالى لانه القادر والقاهر الذى لا يعجزه شئ أرادته ومعنى فوق عباده هنا أن قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم به من الاقتدار والقهر الذى لا يقدر أحد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شئ فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة وقال ابن جرير الطبرى معنى القاهر المتعبد خلقه العالى عليهم وانما قال فوق عباده لانه تعالى وصف نفسه بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شئ ان يكون مستعليا عليه فعنى الكلام اذا والله الغالب لعباده المذلل لهم العالى عليهم بتذليله اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذى تفرد به الله

أحدهما أنافطرتها أى ابتدأتها (وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق أى المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع) (قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم) لان النبي سابق أمتة فى الاسلام كقوله وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (ولا تكونن من المشركين) وقيل لى لا تكونن من المشركين ولو عطف على ما قبله لفظا لقليل وأن لا يكون والمعنى أمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك (قل انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) أى انى أخاف عذاب يوم عظيم وهو القيامة ان عصيت ربي فالشرط معترض بين الفاعل والمفعول به محذوف الجواب (من يصرف عنه) العذاب (يومئذ فقد رجه) الله الرحمة العظمى وهى النجاة من يصرف حزة وعلى وأبو بكر أى من يصرف الله عنه العذاب (وذلك الفوز المبين) النجاة الظاهرة (وان يمسك الله بضر) من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلايا (فلا كاشف له الا هو) فلا قادر على كشفه الا هو

(وان يمسك بخير) من غنى أو صحة (فهو على كل شئ قدير) فهو قادر على ادامته وازالته (وهو القاهر) مبدأ أو خبر أى الغالب المقدر (فوق عباده) خير بعد خبر أى عال عليهم بالقدرة والقهر بلوغ المراد بمنع غيره عن بلوغه

تميز وأى كلمة يراد بها بعض ما تضاف اليه فاذا كانت استفهاما كان جوابها مسمى باسم ما أضيفت اليه وقوله (قل الله) جواب أى الله أ كبر شهادة فالتة مبتدأ والخبر محذوف فيكون دليلا على انه يجوز اطلاق اسم الشئ على الله تعالى وهذا لان الشئ اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم والله تعالى موجود فيكون شيا ولذا تقول الله تعالى شئ لا كالأشياء ثم ابتداء (شهيد بينى وبينكم) أى هو شهيد بينى وبينكم ويجوز أن يكون الجواب الله شهيد بينى وبينكم لانه اذا كان الله شهيدا بينه وبينهم فا كبر شئ شهادة شهيد له (وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) أى ومن بلغه القرآن الى قيام الساعة فى الحديث من بلغه القرآن فكأنما رأى محمد صلى الله عليه وسلم ومن فى محل النصب بالعطف على كم والمراد به أهل مكة والعائد اليه محذوف أى ومن بلغه وفاعل بلغ ضمير القرآن (أنتم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) استفهام انكار وتبكيث (قل لا أشهد) بما تشهدون وكرر (قل) توكيدا (انما هو اله واحد) ما كافة لان عن العمل وهو مبتدأ واله خبره وواحد صفة أو بمعنى الذى فى محل النصب بان وهو مبتدأ آتيناها

عز وجل (وهو الحكيم) يعنى فى أمره وتدبيره عباده (الخير) يعنى باعمالهم وما يصلحهم قوله عز وجل (قل أى شئ أ كبر شهادة) قال السكبي أتى أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أرنا من يشهد أنك رسول الله فانا لا نرى أحدا يصدقك ولقد سألتنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر فانزل الله عز وجل قل يعنى يا محمد طوء لاء المشركين الذين يكذبونك ويحجدون نبوتك من قومك أى شئ أ كبر شهادة يعنى أعظم شهادة فان هم أجابوك والا (قل) أنت يا محمد (الله شهيد بينى وبينكم) قال مجاهد أمر محمد صلى الله عليه وسلم ان يسأل قريشا أى شئ أ كبر شهادة ثم أمر ان يخبرهم فيقول الله شهيد بينى وبينكم يعنى يشهدلى بالحق وعليكم بالباطل الذى تقولونه والحاصل انهم طلبوا شاهدا مقبول القول يشهد له بالنبوة فبين الله تعالى بهذه الآية ان أ كبر الاشياء شهادة هو الله تعالى ثم بين انه يشهد له بالنبوة وهو المراد بقوله (وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به) يعنى ان الله عز وجل يشهدلى بالنبوة لانه أوحى الى هذا القرآن وهو معجزة لانكم أتم الفصحاء البلغاء وأصحاب اللسان وقد معجزتم عن معارضته فكان معجزا واذا كان معجزا كان نزوله على شهادة من الله بانى رسوله وهو المراد بقوله لانذركم به يعنى أوحى الى هذا القرآن لا خوفكم به واحذركم مخالفة أمر الله عز وجل (ومن بلغ) يعنى وأنذر من بلغه القرآن ممن ياتى بعدى الى يوم القيامة من العرب والعجم وغيرهم من سائر الأمم فكل من بلغ اليه القرآن وسمعه فالنبي صلى الله عليه وسلم نذير له قال محمد ابن كعب القرظى من بلغه القرآن فذأ ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم وكله وقال انس بن مالك لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم الى الله عز وجل (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عنى ولو آية واحدة عن بنى اسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار \* شرح ما يتعلق بهذا الحديث فيه الامر بالبلاغ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم الى من بعده من قرآن وسنة وقوله وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج الحرج الضيق والأثم ومعنى الحديث انه مهما قلتم عن بنى اسرائيل فانهم كانوا فى حال أ كثر مما قلتم وأوسع وليس هذا فيه اباحة الكذب والاخبار عن بنى اسرائيل لكن معناه الرخصة فى الحديث عنهم على بعض البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل لانه أمر قد تعذر لبعده المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نصر الله امرأ سمع مناشيا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع أخرجه الترمذى وله عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نصر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس قال تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم أخرجه أبو داود وموقوفا وقوله تعالى (أنتم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) يعنى قل يا محمد طوء لاء المشركين الذين يحجدون نبوتك واتخذوا آلهة غيرى انكم أيها المشركون تشهدون أن مع الله آلهة أخرى يعنى الاصنام التى كانوا يعبدونها وانما قال أخرى لان الجمع يلحقه التأنيث كما قال تعالى والله الاسماء الحسنى فبال القرون الاولى ولم يقل الاول والاولين (قل لا أشهد) يعنى قل يا محمد طوء لاء المشركين لا أشهد بما تشهدون به أن مع الله آلهة أخرى بل أجد ذلك وأنكره (قل انما هو اله واحد) يعنى قل لهم انما الله اله واحد ومعبود واحد لا شريك له وبذلك أشهد (وانى برى مما تشركون) يعنى وأنابرى من كل شئ تعبدونه سوى الله وفى هذه الآية دليل على اثبات التوحيد لله عز وجل وابطال كل معبود سواه لان كلمة انما تفيد الحصر واللفظة الواحد صريح فى التوحيد ونفى الشريك فثبت بذلك ايجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبرؤ من كل معبود سوى الله تعالى قال العلماء يستحب لكل من أسلم أن يأتى بالشهادتين ويرأ من كل دين خالف الاسلام لتو له تعالى وانى برى مما تشركون قوله عز وجل (الذين



(الذين آتيناهم الكتاب) يعني اليهود والنصارى والكتاب التوراة والانجيل (يعرفونه) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته  
الثابت في الكتابين (كما يعرفون أبناءهم) بحلاهم ونعوتهم وهذا استشهدا لاهل مكة بمعرفة أهل الكتاب وبصحة نبوته ثم قال (الذين  
خسروا أنفسهم) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين (فهم لا يؤمنون) (٩) به (ومن أظلم) استفهام يتضمن

معنى النفي أي لأحد أظلم  
لنفسه والظلم وضع الشيء في  
غير موضعه وأشنع اتخاذ  
المخلوق معبودا (من افترى)  
اختلق (على الله كذبا)  
فيصفه بما لا يليق به  
(أو كذب بآياته) بالقرآن  
والمعجزات (أنه) ان الامر  
والشأن لا يفلح الظالمون  
جمعوا بين أمرين باطلين  
فكذبوا على الله مالا حجة  
عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة  
حيث قالوا الملائكة بنات  
الله وسموا القرآن  
والمعجزات سحرا (ويوم  
نحشرهم) هو مفعول به  
والتقدير واذكر يوم  
نحشرهم (جميعا) حال من  
ضمير المفعول (ثم نقول  
للذين أشركوا) مع الله غيره  
توبيخا وبالياء فيها يعقوب  
(أين شركاؤكم) آلهتكم  
التي جعلتموها شركاء الله  
(الذين كنتم تزعمون) أي  
تزعموهم شركاء خذف  
المفعولان (ثم لم تكن)  
وبالياء جزء وعلى (فتنتهم)  
كفرهم (الأن قالوا والله  
ربنا ما كنا مشركين) يعني  
ثم لم تكن عاقبة كفرهم  
الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا

آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) المراد بالذين أتوا الكتاب علماء اليهود والنصارى الذين  
كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اناسا لناعنك  
اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر وأنكروا معرفته بين الله عز وجل ان شهادته له كافية  
على صحة نبوته وبين في هذه الآية انهم يعرفونه وأهم كذبوا في قلوبهم انهم لا يعرفونه وروى ان النبي صلى  
الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب ان الله عز وجل أنزل على نبيه محمد  
صلى الله عليه وسلم بمكة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد  
الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رأيت كما عرف ابنى ولأن أشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم منى بابنى  
فقال عمر وكيف ذلك قال أشهد أنه رسول الله حق ولا أدري ما يصنع النساء ﷺ وقوله تعالى (الذين خسروا  
أنفسهم) يعني أهل كوا أنفسهم وغبنوها أو بقوها في نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي  
الذين خسروا أنفسهم قولان أحدهما انه صفة للذين الاول ويكون المقصود من ذلك وعيد المعاندين الذين  
يعرفون محمد صلى الله عليه وسلم ويحسدون نبوته وهم كفار أهل الكتابين (فهم لا يؤمنون) يعني به  
والقول الثاني أنه كلام مبتدأ ولا تعلق له بالاول وهم كفار مكة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم  
وذكر وافي معنى الخسار وجهين أحدهما انه اهلاك الدائم الذي حصل لهم بسبب كفرهم وانكارهم نبوة  
محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني انه جعل لكل واحد من بنى آدم منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا كان  
يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار فذلك  
هو الخسران ﷻ قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يعني ومن أشد عنادا أو خطأ فعلا وأعظم  
كفرا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان له شر يكامن خلقه والها يعبد من دونه كما قال المشركون من عبدة  
الاصنام أو ادعى ان له صاحبة وولدا كما قالت النصارى (أو كذب بآياته) يعني كذب بحجته واعلام أدلته  
التي أعطاهم الله كما كذبت اليهود بمعجزات الانبياء وقيل معناه أو كذب بآيات القرآن الذي أنزله على محمد  
صلى الله عليه وسلم (انه لا يفلح الظالمون) يعني انه لا ينجح القائلون على الله الكذب والمفترون على الله  
الباطل (ويوم نحشرهم جميعا) أي اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين  
أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) يعني انها تشفع لكم عند ربكم ﷻ قوله عز وجل (ثم لم تكن  
فتنتهم) يعني قلوبهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤا لهم تجربة  
لاظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك ان الرجل يفتن  
بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته الا بذلك المحبوب فكذلك الكفار فتنوا  
بمحببة الاصنام ثم لما رأوا العذاب تبرؤا منها يقول الله تبارك وتعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحببتهم للاصنام الا  
أن تبرؤا منها ﷻ وهو قوله تعالى (الأن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وذلك اذا شاهدوا يوم القيامة مغفرة  
الله تعالى لاهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا انكم الشرك اعلمنا ننجو مع أهل التوحيد فيقولون والله  
ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر ﷻ قال الله تعالى (انظر  
كيف كذبوا على أنفسهم) يعني انظر يا محمد بعين البصيرة والتأمل الى حال هؤلاء المشركين كيف كذبوا

(٢ - (خازن) - ثاني) عليه الاجود والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به أو ثم لم يكن جوابهم الا أن  
قالوا فسمى فتنة لانه كذب و برفع الفتنة مكي وشامى وحفص فن قرأتكن بالتاء و رفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم تكن وأن قالوا الخبر  
أي لم تكن فتنتهم الا قلوبهم ومن قرأ بالياء و نصب الفتنة جعل أن قالوا اسم يكن أي لم يكن فتنتهم الا قلوبهم ومن قرأ بالتاء و نصب الفتنة  
جعل على المقابلة بنا جزء وعلى على النداء أي يار بنا وغيرهما بالجر على النعت بن اسم الله (انظر) يا محمد (كيف كذبوا على أنفسهم)

بقولهم ما كنا مشركين قال مجاهد اذا جمع الله الخلائق وراى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعنا نتجوع اهل التوحيد فاذا قال لهم الله ان شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا والله بنا ما كنا مشركين فيختم الله على افواههم (١٠) فتشهد عليهم جوارحهم (وضل عنهم) وغاب عنهم (ما كانوا يفترون)

الهيئة وشفاعته (ومنهم من يستمع اليك) حين تتلو القرآن روى انه اجتمع ابوسفيان والوليد والنضر واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما أدري ما يقول محمد الا انه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابوسفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فترت (وجعلنا على قلوبهم أكنة) جمع كان وهو الغطاء مثل عنان وأعنة (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) ثقلا يمنع من السمع ووحده الوقر لانه مصدر وهو عطف على أكنة وهو حجة انما في الاصطلاح على المعتزلة (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا) حتى هي التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع

على أنفسهم يعني اعتذارهم بالباطل وتبرؤهم من الاصنام والشرك الذي كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وهو قوله (وضل عنهم) يعني زال عنهم وذهب (ما كانوا يفترون) يعني ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله في ذلك اليوم قوله تعالى (ومنهم من يستمع اليك) الآية قال السكبي اجتمع ابوسفيان صخر بن حرب وابو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأممية وأبي ابن خلف والحرث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا باقتيبة ما يقول محمد قال ما أدري ما يقول الا اني اراه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثيرا الحديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال ابوسفيان اني لأرى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا لا تقر بشئ من هذا في رواية للموت أهون علينا من هذا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع اليك يعني الى كلامك وقراءتك يا محمد (وجعلنا على قلوبهم أكنة) يعني أغطية جمع كندن (أن يفقهوه) يعني اثلا يفقهوه أو كراهية أن يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) يعني وجعلنا في آذانهم صمما وثقلا وفي هذا دليل على ان الله تعالى يقاب القلوب فيشرح بعضها للهدى والايان فتقبله ويجعل بعضها في أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن به (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) يعني كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لا يؤمنوا بها يعني لا يصدقوا بها ولا يقرروا أنها دالة على صدقك (حتى اذا جاؤك يجادلونك) يعني انهم اذا رأوا الآيات واستمعوا القرآن نماجاؤا يجادلوك ويخاصموك لا يؤمنوا بها (يقول الذين كفروا ان هذا) أي ما هذا القرآن (الا أساطير الاولين) يعني أحاديث الاولين من الامم الماضية وأخبارهم وأقاصيصهم وما سطر وايعنى وما كتبوا والاساطير جمع اسطورة واسطورة وقيل واحدها سطر وأسطار جمع وأسطير جمع فعلى هذا الوقال قائل لم عابوا القرآن وجعلوه أساطير الاولين وقد سطر الاولون في كتبهم الحكم والعلوم النافعة وما لا يعاب قائله أجيب عنه بانهم انما نسبوا القرآن الى أساطير الاولين بمعنى أنه ليس بوحى من الله تعالى وانما هو أخبار مجردة كما تروى أخبار الاولين وقيل في معنى أساطير الاولين انها الترهات وهي عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشككة يقول قائلهم أخذنا في الترهات بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكل الذي لا يعرف فجعلت الترهات مثلا لا يعرف ولا يتضح من الامور المشككة الغامضة التي لا أصل لها قوله عز وجل (وهم ينهون عنه) يعني ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وينأون عنه) يعني ويتباعون عنه بانفسهم نزات في كفار مكة كانوا يمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهونهم عن استماع القرآن وكانواهم كذلك وقال ابن عباس نزات في أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعه منهم وينأى هو بنفسه عن الايمان به بمعنى يبعد حتى روى أنه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا له خذ شابا من أصبحنا وجهها ودفع اليها محمد فقال ما أنصفه فوني أدفع اليكم ابني محمد التقتلوه وأر بي لكم انكم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا بأطال الى الايمان فقال لولا تعبرني قريش لا قررت بها عينك ولكن أذب عنك ما حبيت وقال في ذلك آياتنا

الحال ويجوز أن تكون جارة ويكون اذا جاؤك في موضع الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال ويقول الذين والله كفروا وتفسيره والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات الى أنهم يجادلونك وينأون عنك ويفسر مجادلتهم بانهم يقولون (ان هذا) ما القرآن (الا أساطير الاولين) فيجمعون كلام الله كاذب رواحد الاساطير اسطورة (وهم) أي المشركون (ينهون عنه) ينهون الناس عن القرآن او عن الرسول واتباعه والايان به (وينأون عنه) وبعيدون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون

(وان يهلكون) بذلك (الآنفسهم ومايشعرون) أي لا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضررون رسول الله وقيل عنى به أبو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به والاول أشبهه (ولوترى) حذف جوابه أي ولوترى لشاهدت أمرا عظيما (اذوققوا على النار) أروها حتى يعاينوها وأوجبسـ واعلى الصراط فوق النار (فقالوا ياليتنا نرد) الى الدنيا تمنوا الردى الى الدنيا ليؤمنوا وتم تمنهم ثم ابتدوا بقوله (ولا

(١١)

المؤمنين) واعدىن الايمان كأنهم قالوا ونحن لانكذب ونؤمن ولا نكذب ونكون حرة وعلى وحفص على جواب التمنى بالواو وباضمار أن ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وافقهما في ونكون شامى (بل) للاضراب عن الوفاء بما تمنوا (بداهم) ظهر لهم (ما كانوا يخفون) من الناس (من قبل) فى الدنيا من قبائحهم وفضائحهم فى صحفهم وقيل هو فى المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذى كانوا يسرونه أو أهمل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولوردوا) الى الدنيا بعد وقوفهم على النار (لعادوا لما) و (عنه) من الكفر (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا من أنفسهم لا يوفون به (وقالوا) عطف على لعادوا أى ولوردوا لكفروا ولقالوا (ان هى الاحياتنا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم \* حتى أوسد فى التراب دفينا فاصدع بامر ك ما عليك غضاضة \* وابشر بذلك وقرمته عيوننا ودعوتنى وعرفت انك ناصحى \* ولقد صدقت وكنت ثم أمينا وعرضت دينا قد علمت بانه \* من خير أديان البرية دينا لولا الملامة أو حذار مسبة \* لوجدتني سمحا بذلك ميينا

وقوله تعالى (وان يهلكون الآنفسهم) يعنى لا يرجع وبال كفرهم وفعالهم الاعليهم (ومايشعرون) يعنى بذلك قوله تعالى (ولوترى اذوققوا على النار) يعنى فى النار فوضع على موضع فى كقوله على ملك سليمان أى فى ملك سليمان وقيل معناه اذ عرضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولوترى الكفار الذين ينهون عنك وينأون عنك يا محمد فى تلك الحالة لرأيت أمرا عجيبا وموقفا فظيما (فقالوا) يعنى الكفار (ياليتنا نرد) يعنى الى الدنيا (ولانكذب باياتر بنا ونكون من المؤمنين) تمنوا أن يردوا الى الدنيا مرة أخرى حتى يؤمنوا ولا يكذبوا باياتر بهم فرد الله عليهم ذلك فقال تعالى (بل بداهم ما كانوا يخفون من قبل) يعنى ليس الامر كما قالوا لوردوا الى الدنيا لآمنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون فى الدنيا من الكفر والمعاصى وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله بنا ما كما مشركين أخفوا شركهم وكنتموه فآظهم الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كنتموا وسرروا من شركهم وقيل ظهر لهم ما أخفوا من الكفر فعلى هذا تكون الآية فى المنافقين (ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) يعنى فى قولهم لوردنا الى الدنيا لم نكذب باياتر بنا ونكون من المؤمنين (وقالوا ان هى الاحياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) وهذا خبر عن حال منكري البعث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر الكفار عن أحوال القيامة وأهوالها وما أعد الله فى الآخرة من الثواب للمؤمنين المطيعين وما أعد الله من العقاب للكفار والعاصين قالوا يعنى الكفار ان هى أى ما هى الاحياتنا الدنيا أى ليس لنا غير هذه الدنيا التى نحن فيها وما نحن بمبعوثين يعنى بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا خبر من الله عن هؤلاء الكفار الذين وقفوا على النار انهم لوردوا الى الدنيا قالوا ان هى الاحياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (وقوله عز وجل) (ولوترى اذوققوا على ربههم) يعنى على حكم ربههم وقضائه ومسئلته وقال مقاتل عرضوا على ربههم (قال أليس هذا بالحق) أى يقول الله يوم القيامة أليس هذا البعث والنشر بعد الموت الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا وتكذبون به وتقولون لا بعث ولا نشور حقا (قالوا بلى ورننا) يعنى انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فاجابوا وقالوا بلى والله انه لحق وقيل تقول لهم خزنة النار بامر الله أليس هذا بالحق يعنى البعث حقا فاجابوا بقولهم بلى ورننا قال ابن عباس للقيامة مواقف موقف ينكرون ويقولون والله بنا ما كما مشركين وفى موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه فى الدنيا (قال فذوقوا العذاب) أى يقول الله لهم ذلك أو الخزنة تقول لهم ذلك بامر الله تعالى وانما خص لفظ الذوق لانهم فى كل حال يجدون ألم العذاب وجدان الذائق فى شدة الاحساس (بما

الدنيا) كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة او على قوله وانهم لكاذبون أى وانهم لقوم كاذبون فى كل شئ وهم الذين قالوا ان هى الاحياتنا الدنيا وهى كناية عن الحياة أو هو ضمير القصة (وما نحن بمبعوثين ولوترى اذوققوا على ربههم) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدي سيده ليعاتبه أو وقفوا على جزاء ربههم (قال) جواب لسؤال مقدر كانه قيل ماذا قال لهم ربههم اذوققوا عليه فقيل قال (أليس هذا) أى البعث (بالحق) بالكأن الموجود وهذا تعبير لهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ما هو بحق (قالوا بلى ورننا) أقروا وأكدوا الاقرار باليمين (قال) الله تعالى (فذوقوا العذاب بما

كنتم تكفرون) بكفركم (قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله) ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وهو مجرى على ظاهره لان منكر البعث منكر للرؤية (حتى) غاية لكذبوا (١٢) لا خسروا لان خسروا لان غاية له (اذا جاءتهم الساعة) أى القيامة لان مدة تأخرها مع

تأبد ما بعدها كساعة واحدة (بغثة) فجأة واتصباها على الحال يعنى باغتة وعلى المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغثة وهى ورود الشئ على صاحبه من غير علمه بوقته (قالوا يا حسرتنا) نداء تفجع معناه يا حسرة احضرى فهذا أو انك (على ما فرطنا) قصرنا (فيها) فى الحياة الدنيا أو فى الساعة أى قصرنا فى شأنها وفى الإيمان بها (وهم يحملون أوزارهم) (على ظهورهم) خص الظهر لان المعهود حمل الاثقال على الظهر كما عهد الكسب باليدى وهو مجاز عن الزوم على وجه لا يفارقهم وقيل ان الكافر اذا خرج من قبره استقبله أقبح شئ صورة وأخشهر يحافيقول أنا عمالك السبي فطالمار كبتنى فى الدنيا وأنا أركبك اليوم (الأساء ما يزرون) بشئ شياً يحملونه وأقادوا تعظم ما يذ كر بعده (وما الحياة الدنيا الا لعب وهوى) جواب لقولهم ان هى الاحياتنا الدنيا واللعب ترك ما ينفع بما لا ينفع واللغو الميل عن الجد الى الهزل قيل ما أهل الحياة الدنيا الا أهل لعب وهوى وقيل ما أعمال الحياة الدنيا الا لعب وهوى لانها لا تعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة

كنتم تكفرون) يعنى هذا العذاب بسبب كفركم ووجودكم البعث بعد الموت قوله تعالى (قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله) يعنى خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير الى الله تعالى و بالبعث بعد الموت وهذا الحسرة ان هوفوت الثواب العظيم فى دار النعيم المقيم وحصول العذاب الاليم فى دركات الجحيم (حتى اذا جاءتهم الساعة بغثة) يعنى جاءتهم القيامة فجأة وسميت القيامة ساعة لانها تفجأ الناس بغثة فى ساعة لا يعلمها أحد الا الله تبارك وتعالى وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب فيها لان حساب الخلائق يوم القيامة يكون فى ساعة أو أقل من ذلك (قالوا) يعنى منكرو البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم فى الكفر والاعتقاد (يا حسرتنا) يعنى ينادمتنا والحسرة التلهف على الشئ الفاتت وذكرت على وجه النداء للمبالغة والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة (على ما فرطنا) يعنى قصرنا (فيها) يعنى فى الدنيا لانها موضع التفرغ فى الاعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التى فرطنا فيها فى دار الدنيا وقال محمد بن جرير الطبرى اطباء والالف فى قوله فيها تعود الى الصفة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله عليهما من ذلك كما اذا كان معلوماً ان الحسرة ان لا يكون الا فى صفقة بيع قد جرى ومعنى الآية قد وكس الذين كذبوا بقاء الله ببيعهم الايمان الذى يستوجبون به رضوان الله وجنته بالكفر الذى يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة بغثة ورأوا ما لحقهم من الحسرة ان فى بيعهم قالوا حينئذ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وروى الطبرى بسنده عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله يا حسرتنا قال يرى أهل النار منازلهم فى الجنة فيقولون يا حسرتنا وقوله تعالى (وهم يحملون أوزارهم) يعنى أثقالهم (على ظهورهم) والاوزار الخطايا والذنوب وأصل الوزر الثقل والجل يقال وزرته اذا حمله وانما قيل للذنوب أوزار لانها تثقل ظهر من يحملها قال قتادة والسدى ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله أحسن شئ صورة وأطيبه ريحاً فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عمالك الصالح فار كبتنى فقد طالمار كبتك فى الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا يعنى ربكنا وأمال الكافر فيستقبله أقبح شئ صورة وأنتهري يحافيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عمالك الخبيث طالمار كبتنى فى الدنيا فانا اليوم أركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال عمر بن هانى يحشر مع كل كافر عماله فى صورة رجل قبيح كلما رأى هول صورته وقبحه زاده خوفاً فيقول له بشس الجليس أنت فيقول أنا عمالك طالمار كبتنى فلا ركبك اليوم حتى أخزبك على رؤس الخلائق فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه تعالى فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج الثقل كما يذ كر فى الوزن فقد يذ كر فى الحال والصفة يقال ثقل على كلام فلان بمعنى كرهته فالمعنى انهم يقاسون من ألم عقاب ذنوبهم مقاساة تثقل ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم مجازاً عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل فى معنى الآية ان أوزارهم لانزابلهم كما تقول شخصه نصب عيني أى ذكروه ملازمى (الأساء ما يزرون) يعنى بشئ شياً يحملونه وقال ابن عباس بشس الرجل جلاؤه قوله عز وجل (وما الحياة الدنيا الا لعب وهوى) أى باطل وغرور لا بقاء لها وهذا فيه رد على منكرو البعث فى قولهم ان هى الاحياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فقال الله رداعليهم ومكذبا لهم وما الحياة الدنيا الا لعب وهوى وهل المراد بهذه الحياة حياة المؤمن أو الكافر قولان أحدهما ان المراد بها حياة الكافر لان المؤمن لا يزداد بحياته فى الدنيا الا خيراً لانه يحصل فى ايام حياته من الاعمال الصالحة والطاعة ما يكون سبباً لحصول السعادة فى الآخرة وأمال الكافر فان كل حياته فى الدنيا وبال عامية قال

(والدار) مبتدأ (الآخرة) صفتها ودار الآخرة بالاضافة شامى أى ودار الساعة الآخرة لان الشيء لا يضاف الى صفته وخبر المبتدأ على القراءتين  
(خير للذين يتقون) وفيه دليل على ان ماسوى أعمال المتقين لعب وهو (أفلا) (١٣) يعقلون) بالتاء مدنى وحفص ولما قال

أبوجهل ما تكذبك يا محمد  
وانك عندنا لمصدق وانما  
تكذب ما جئت به نزل (قد  
نعلم انه) الهاء ضمير الشأن  
(ليحزنك الذى يقولون  
فانهم لا يكذبونك)  
لا ينسبونك الى الكذب  
و بالتخفيف نافع وعلى من  
أكذبه اذا وجد كاذبا  
(ولكن الظالمين بايات الله  
يجحدون) من اقامة  
الظاهر مقام المضمروفه  
دلالة على انهم ظلموا فى  
جحدهم والباء يتعلق  
بجحدون أو بالظالمين  
كقوله فظلموا بها والمعنى  
ان تكذيبك أمر راجع  
لى الله لانك رسوله المصدق  
بالمجرات فهم لا يكذبونك  
فى الحقيقة وانما يكذبون  
الله لان تكذيب الرسل  
تكذيب المرسل (واقدم  
كذبت رسل من قبلك)  
تساية لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم وهو دليل على  
ان قوله فانهم لا يكذبونك  
ليس بنفى لتكذيبه وانما  
هو من قولك لغلامك اذا  
أهان بعض الناس انهم لم  
يهينوك وانما أهانونى  
(فصبروا) الصبر حبس  
النفس على المكروه (على  
ما كذبوا وأوذوا) على

ابن عباس يريد حياة أهل الشرك والتناق والقول الثانى ان هذا عام فى حياة المؤمن والكافر لان الانسان  
يلتذ بالعب واللغو ثم عند انقضائه تحصل له الحسرة والندامة لان الذى كان فيه من اللعب واللغو وسرع الزوال  
لا بقاء له فبان بهذا التقدير ان المراد بهذه الحياة حياة المؤمن والكافر وانه عام فيهما وانما شبه الحياة الدنيا  
بالعب واللغو لسرعة زوالها وقصر عمرها كالشيء الذى يلعب به وقيل معناه ان أمر الدنيا والعمل لها لعب  
وهو فاما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة وان كان وقوعه فى الدنيا وقيل معناه وما أهل الحياة  
الدنيا الا أهل لعب وهو لانه لا يجدى شيئا ولا يشتغلهم عملاً أمر وابه نسجوا الى اللعب واللغو وقوله تعالى  
(والدار الآخرة) يعنى الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله لدار الآخرة (خير) يعنى من الدنيا وأفضل  
لان الدنيا سريرة الزوال والانقطاع (للذين يتقون) يعنى الشرك وقيل يتقون اللعب واللغو (أفلا  
يعقلون) ان الآخرة خير من الدنيا فيعملون لها ﴿قوله تعالى﴾ (قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون) يعنى قد  
نعلم يا محمد انه ليحزنك الذى يقوله المشركون لك قال السدى التقي الاخنس بن شريق وأبوجهل بن هشام  
فقال الاخنس لابي جهل يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس هنا أحد يسمع كلامك  
غيرى فقال أبو جهل والله ان محمد الصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنوقصى باللواء والسقاية  
والحجبة والندوة والنبوة فاذا يكون لسائر قريش فانزل الله هذه الآية وقال ناجية بن كعب قال أبوجهل  
للنبي صلى الله عليه وسلم ما تهتمك ولا تكذبك ولا كان كذب الذى جئت به فانزل الله هذه الآية عن على بن  
أبي طالب أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم اننا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله فيهم  
فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون أخرجه الترمذى من طريقين وقال فى أحدهما  
وهذا أصح فى هذه الآية تساية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية عما يواجهه به قومه لانهم كانوا يعتقدون  
صدقه وانه ليس بكذاب وانما جاهلهم على تكذيبه فى الظاهر الحسد والظلم (فانهم لا يكذبونك) يعنى أنهم  
لا يكذبونك فى السر لانهم قد عرفوا أنك صادق (ولكن الظالمين) يعنى الكافرين (بايات الله  
يجحدون) يعنى فى العلانية وذلك أنهم سجدوا القرآن بعدمعرفة صدق الذى أنزل عليه لعنادهم وكفرهم  
كما قال تعالى فى حق غيرهم وسجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقيل ظاهر الآية يدل على أنهم لم  
يكذبوا محمد صلى الله عليه وسلم وانما سجدوا بايات الله وهى القرآن الدال على صدقه فعلى هذا يكون المعنى  
فانهم لا يكذبونك لانهم قد عرفوا صدقك وانما سجدوا وصحة نبوتك ورسالتك ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد  
كذبت رسل من قبلك) يعنى ولقد كذبت الامم الخالية رسالهم كما كذب قومك (فصبروا على ما كذبوا  
وأوذوا) يعنى أن الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب قومهم اياهم وصبروا على أذاهم فاصبر أنت يا محمد  
على تكذيب قومك وأذاهم لك كما صبر من كان قبلك من الرسل وهذا فيه تساية للنبي صلى الله عليه وسلم  
وازالة حزنه على تكذيب قومه له وأذاهم اياه (حتى أتاهم نصرنا) يعنى باهلاك من كذبهم (ولامبدل  
لكلمات الله) يعنى ولا ناقض لما حكم الله به من اهلاك المكذبين ونصر المرسلين كما قال ولقد سبقتمنا  
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقال الله تعالى كتب الله لاغابن أناورسلى ولا  
خلف فيما وعد الله به وقوله تعالى (ولقد جاءك من نبي المرسلين) يعنى ولقد أنزلت عليك فى القرآن من أخبار  
المرسلين ما فيه تساية لك وتسكين لقلبك وقال الاخفش من هنا صلة كما نقول أصابنا من مطر وقال غيره  
بل هى للتبويض لان الوصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الانبياء وأخبارهم كما قال تعالى

تكذبهم وايدأهم (حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده من قوله ولقد سبقتمنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون انا  
لنصر رسلنا (ولقد جاءك من نبي المرسلين) بعض أنبيائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين وأجاز الاخفش أن تكون من زائدة  
لفاعا نأ المرسلين وسديه به لا يحجز زائدتها فى الواح كان تكبر على الله صلى الله عليه وسلم ككفر قومه واعراضهم ويحجب عى الآيات

ليسلموا فنزل (وان كان كبر عليك) عظم وشق (اعراضهم) عن الاسلام (فان استطعت أن تبغى نفقا) منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها (في الارض) صفة لنفقا (أو سلما في السماء فتأتيهم) منها (بآية) فافعل وهو جواب فان استطعت وان استطعت وجوابها جواب وان كان (١٤) كبر والمعنى انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع أن

منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقص عليك ﴿ قوله تعالى (وان كان كبر عليك اعراضهم) ذكر ابن الجوزي في سبب نزول هذه الآية ان الحرث بن عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقال اتنا بآية كما كانت الانبياء تأتي قومها بالآيات فان فعلت آمنابك فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس ومعنى الآية وان كان عظم عليك يا محمد اعراض هؤلاء المشركين عنك وعن تصديقك والايان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض على ايمان قومه أشد الحرص وكان اذا سأله آية أحب ان يرهم الله ذلك طمعاً في ايمانهم فقال الله عز وجل (فان استطعت أن تبغى) يعني تطلب وتتخذ (نفقا في الارض) يعني سر باني الارض والنفق سرب في الارض تخلص منه الى مكان آخر (أو سلما في السماء) يعني أو تتخذ مصعدا الى السماء والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة (فتأتيهم بآية) يعني بالآية التي سألوها عنها ومعنى الآية وان كان كبر وعظم عليك اعراض قومك عن الايمان بك فان قدرت ان تذهب في الارض أو تصعد الى السماء فتأتيهم بآية تدلهم على صدقك فافعل وانما حسن حذف جواب الشرط لانه معلوم عند السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن ايمانهم ولا يتأذى بسبب اعراضهم عنه وعن الايمان به ويدل عليه قوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم انما تركوا الايمان وأعرضوا عنه وأقبلوا على الكفر بمشيئة الله تعالى ونافذ قضائه فيهم وانه لو شاء لجمعهم على الهدى (فلا تكونن من الجاهلين) يعني بان لو شاء الله لجمعهم على الهدى وأنه يؤمن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه لا يشتد تحسرك على تكذيبهم اياك ولا تجزع من اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وانما نهاه عن هذه الحال وغلظ له الخطاب تبعيدا له عن هذه الحالة ﴿ قوله عز وجل (انما يستجيب الذين يسمعون) يعني المؤمنين الذين فتح الله أسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله (والموتى) يعني الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون (ببعثهم الله) يعني يوم القيامة (ثم اليه يرجعون) فيعجزهم باعمالهم (وقالوا) يعني رؤساء كفار قريش (لولا) يعني هلا (نزل عليه آية من ربه) يعني الملك لشهد محمد بالنبوة وقيل الآية المعجزة الباهرة كمثل معجزات الانبياء (قل) يعني قل لهم يا محمد (ان الله قادر على أن ينزل آية) يعني أنه تعالى قادر على ايجاد ما طلبوه وانزال ما اقترحوه من الآيات والمعجزات الباهرات (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني ماذا عليهم في انزالها من العذاب ان لم يؤمنوا بها وقيل معناه انهم لا يعلمون أن الله قادر على انزل الآيات وقيل انهم لا يعلمون وجه المصلحة في انزالها ﴿ قوله تعالى (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) قال العلماء جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين اما أن يدب على الارض أو يطير في الهواء حتى ألقوا حيوان الماء بالطير لان الحيتان تسبح في الماء كما أن الطير يسبح في الهواء وانما خص ما في الارض بالذكر دون ما في السماء وان كان ما في السماء مخلوقا له لان الاحتجاج بالمشاهد أظهر وأولى مما لا يشاهد وانما ذكر الجناح في قوله بجناحيه للتوكيد كقولك كتبت بيدي ونظرت بعيني الأمم أمثالكم قال مجاهد أي أصناف مصنفة تعرف باسمائهم يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب أمة والسباع أمة تعرف باسمائهم مثل بني آدم يعرفون باسمائهم كما يقال الانس والناس ويدل على ان كل جنس من الدواب أمة ما روى عن عبد الله بن

يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لاني بهار جاء ايمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) لجهلهم بحيث يختارون الهدى ولكن لما علم انهم يختارون الكفر لم يشأن يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ أبو منصور رحمه الله (فلا تكونن من الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ثم أخبر ان حرصه على هدايتهم لا ينفع لعدم سمعهم كما وقي بقوله (انما يستجيب الذين يسمعون) أي انما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم (والموتى) مبتدأ أي الكفار (ببعثهم الله ثم اليه يرجعون) حينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا (وقالوا) لولا انزل عليه هلا أنزل عليه آية من ربه) كما اقترح من جعل الصفا ذهباً وتوسيع أرض مكة وتفجير الانهار خلاها (قل ان الله قادر على أن ينزل آية) كما اقترحوا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان الله قادر على أن ينزل تلك الآية أو لا يعلمون ما عليهم في

الآية من البلاء لو أنزل (وما من دابة) هي اسم لما يدب وتقع على المذكر والمؤنث (في الارض) في موضع جر صفة لدابة (ولا طائر يطير بجناحيه) قيد الطيران بالجناحين انفي المجاز لان غير الطائر قد يقال فيه طارا اذا أسرع (الأمم أمثالكم) في الخلق والموت والبعث والاحتياج الى مدبر يدبر أمرها

(ما فرطنا) ما تركنا (في الكتاب) في اللوح المحفوظ (من شيء) من ذلك لم نكتبه ولم تثبت ما وجب أن يثبت أو الكتاب القرآن وقوله من شيء أي من شيء يحتاجون إليه فهو مشتمل على ما تعبدنا به عبارة وإشارة ودلالة واقتضاء (ثم إلى ربهم يحشرون) يعني الامم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضها من بعض كما روى أنه يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا وإنما قال الامم مع افراد الدابة والطيور لمعنى الاستغراق فيها وماذا كرم من خلانقه وآثار قدرته ما يشهدل بوبهته وينادي

(١٥)

على عظمتها قال (والذين كذبوا بآياتنا صم)

لا يسمعون كلام المنبه (وبكم) لا ينطقون بالحق خابطون (في الظلمات) أي طامة الجهل والخيرة والكفر غافلون عن تأمل ذلك والتفكير فيه صم وبكم خبر الذين ودخول الواو لا يمنع من ذلك وفي الظلمات خبر آخر ثم قال ايذانا بأنه فعال لما يريد (من يشأ الله يضلله) أي من يشأ الله ضلاله يضلله (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وفيه دلالة خلق الافعال واردة المعاصي ونفي الاصلح (قل أرأيتم) وبتلين الهمزة مدني وتركه على ومعناه هل علمتم ان الامر كما يقال لكم فاخبروني بما عندكم الضمير الثاني لا محل له من الاعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتم (ان أنا كم عذاب الله أو أتكم الساعة) من تدعون ثم بكتهم بقوله (أغير الله تدعون) أي أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو

مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ان الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها فافتلوا منها كل أسود بهم أخرج أبو داود والترمذي والنسائي فان قلت ثبت بالآية والحديث ان الدواب والطيور أمة أمثالنا وهذه المماثلة لم تحصل من كل الوجوه فيما يظهر لنا فما وجه هذه المماثلة قلت اختلف العلماء في وجه هذه المماثلة فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلي له كما أنكم تعرفون الله وتوحده وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله كما أنكم مخلوقون لله عز وجل وقيل انها يفهم بعضها عن بعض ويألف بعضها بعضا كما ان جنس الانس يألف بعضهم بعضا ويفهم بعضهم عن بعض وقيل أمثالكم في طلب الرزق وتوقى المهالك ومعرفة الذكر والانثى وقيل أمثالكم في الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجماء من القرناء وهو قوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) يعني في اللوح المحفوظ لانه يشمل جميع أحوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القرآن يعني ان القرآن مشتمل على جميع الاحوال (ثم إلى ربهم يحشرون) يعني الدواب والطيور قال ابن عباس حشرها موتها وقال أبو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطيور وكل شيء فيأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلاء من الشاة القرناء ﴿ قوله عز وجل ﴾ (والذين كذبوا بآياتنا) يعني بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وأدلته على توحيده (صم) يعني عن سماع الحق (وبكم) يعني عن النطق به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم ولهذا شبه الكفار بالموتى لان الميت لا يسمع ولا يتكلم (في الظلمات) يعني في ظلمات الكفر حائر بن متردد فيهما لا يهتدون سبيلا (من يشأ الله يضلله) يعني عن الايمان (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) يعني ومن يشأ يجعله الله على دين الاسلام وفي هذا دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى فمن أحب هدايته وفقه بفضلها واحسانه للايمان به ومن أحب ضلالته تركه على كفره وهذا عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لا يستل عما يفعل وهم يستلون ﴿ قوله تعالى ﴾ (قل أرأيتم) يعني قل يا محمد هؤلاء الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدووا غيره من الاصنام أخبروني تقول العرب أرأيتمك بمعنى أخبرنا بحالك وأصله أرأيتم والكاف فيه للتأكيد (ان أنا كم عذاب الله) يعني قبل الموت مثل ما نزل بالامم الماضية الكافرة من الغرق والخسف والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب (أو أتكم الساعة) يعني القيامة (أغير الله تدعون) يعني في كشف العذاب عنكم (ان كنتم صادقين) يعني في دعواكم ومعنى الآية ان الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا إلى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الاصنام فقيل لهم أترجعون إلى الله في حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه ولا تطيعونه في حال اليسر والرخاء (بل اياه تدعون) يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف ما نزل بكم (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) يعني فيكشف الضر الذي من أجله دعوتهم وانما قيد الاجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة وان كانت الامور كلها بمشيئة الله تعالى (وتنسون ما تشركون) يعني وتتركون دعاء الاصنام التي تعبدونها فلا تدعونها علمكم انها لا تضر ولا تنفع وقيل معناه انكم في ترككم دعاء الاصنام بمنزلة من قد نسبها وهذا معنى

عادتكم اذا اصابكم ضرر أم تدعون الله دونها (ان كنتم صادقين) في ان الاصنام آلهة فادعوا هالتخلصكم (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فيكشف ما تدعون اليه) أي ما تدعونونه الى كشفه (ان شاء) ان أراد ان يتفضل عليكم (وتنسون ما تشركون) وتتركون آلهتكم اولادكم في ذلك الوقت لان أذهانكم مغمورة بذكركم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون كانه قيل أرأيتمك أغير الله تدعون ان أنا كم عذاب الله

(ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) رسلاً فالعقول محذوف فكذبوهم (فاخذناهم بالأساء والضراء) بالبوؤس والضر والاول القحط والجوع والثاني المرض ونقصان (١٦) الانفس والاموال (اعلهم بتضرعون) يتذللون ويتخشعون لهم

ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس تتخشع عند نزول الشدائد (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) أي هلا تضرعوا بالتوبة ومعناه نفي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا اذا جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الاعناداً (ولكن قست قلوبهم) فلم يتزجروا بما ابتلوا به وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) وصاروا معجبين بعمالهم التي زينها الشيطان لهم (فلم اتسوا ما ذكروا به) من البأساء والضراء أي تركوا الاتعاظ به ولم يزجروهم (فتحننا عليهم أبواب كل شيء) من الصحة والسعة وصنوف النعمة فتحننا شامئاً (حتى اذا فرحوا بما آتوا) من الخير والنعمة (أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) أيسون متحسرون وأصله لاطراق حزناً لما أصابه أو ندماً على ما فاتته واذا للمفاجأة (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي اهلكوا عن آخرهم ولم يترك منهم أحد (والحمد لله رب العالمين) ايدان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه

قول الحسن لانه قال وتعرضون عنها اعراض النامى لها ﴿ قوله تعالى (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) في الآية محذوف والتقدير ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك يا محمد رسلاً فخالفوهم وكفروا وحسن هذا الحذف لكونه معلوماً عند السامع (فاخذناهم بالأساء) يعني بالفقر الشديد وأصله من البؤس وهو الشدة والمكروه وقيل البأساء شدة الجوع (والضراء) يعني الامراض والوجاع والزمانة (اعلهم بتضرعون) يعني يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل والانتقيا وترك التمرد وأصله من الضراعة وهي الذلة ومقصود الآية ان الله تعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد أرسل من قبله رسلاً إلى أقوام بلغوا في القسوة إلى ان أخذوا بالبأساء والضراء وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا فقيه تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم (فلولا) يعني فهلا (اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نفي التضرع فلم يتضرعوا (ولكن قست قلوبهم) يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تضرعوا ولم تخشعوا بل أقاموا على كفرهم وتكذيبهم رسلاًهم (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) يعني من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان اغواؤه بما في المعصية من اللذة قال ابن عباس يريد زين الشيطان الضلالة التي كانوا عليها فاصروا على معاصي الله عز وجل ﴿ قوله عز وجل (فلم اتسوا ما ذكروا به) أي تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما أمرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشيء معرض عنه كأنه قد صبره بمنزلة ما قد نسي (فتحننا عليهم أبواب كل شيء) يعني بدلتنا مكان البأساء الرخاء والسعة في الرزق والعيش ومكان الضراء الصحة والسلامة في الابدان والاجسام وذلك استدراج منه لهم وقيل فتحننا عليهم أبواب كل شيء من الخير كان مغلقاً عنهم (حتى اذا فرحوا بما آتوا) يعني فرحوا بما آتوا من السعة والرخاء والصحة في الابدان والمعيشة وظنوا ان ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاماً من الله تعالى فانهم لما فتح الله عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطر كإفراح قارون بما أتى من الدنيا (أخذناهم بغتة) يعني جاءهم عذابنا فجأة من حيث لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال اهل المعاني انما أخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون أشد نصبرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضرور اللذة فاخذناهم في آمن ما كانوا أو أعجب ما كانت الدنيا اليهم (فاذا هم مبلسون) أي آيسون من كل خير وقال الفراء المبلس اليأس المنقطع رجاءه ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجة ولا يكون له جواب قد أبلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحزن والحسرة وقال أبو عبيدة المبلس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فأنما ذلك استدراج ثم تلا فلما اتسوا ما ذكروا به الآية ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري ﴿ وقوله تعالى (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي آخرهم الذي يدبرهم يقال دبر فلان القوم اذا كان آخرهم والمعنى انهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية (والحمد لله رب العالمين) قال الزجاج حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم واستأصل شافتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة نعم الله بها على الرسل الذين أرسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد لتعليم الرسل ولما آمن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهم اذا هلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسوله وأهل طاعته باظهار حججهم على من خالفهم واهلاك اعدائهم واستئصالهم بالعذاب ﴿ قوله تعالى (قل أرأيتم) أي قل يا محمد طولاً للمشركين (ان اخذ الله سمعكم) يعني الذي تسمعون به فاصمكم حتى لا تسمعوا شيئاً (وأبصاركم) يعني وأخذنا أبصاركم التي تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصروا

من أجل النعم وأجزل القسم وأحدوا الله على اهلاك من لم يحمد الله ثم دل على قدرته وتوحيده بقوله (قل أرأيتم ان اخذ الله سمعكم وأبصاركم) بان أصمكم وأعماكم شيئاً



(وختم على قلوبكم) فسلب العقول والتمييز (من غير الله ياتيك به) بما أخذ وختم عليه من رفع بالابتداء والخبير وغيره وغيره لاله وكذا ياتيك والجملة في موضع مفعولى رأيتم وجواب الشرط محذوف (انظر كيف نصرف) لهم (الآيات) نكررها (ثم هم يصدفون) يعرضون عن الآيات بعد ظهورها والصدف الاعراض عن الشيء (قل) (١٧) رأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغته)

بان لم تظهر أماراته (أو جهره) بان ظهرت أماراته وعن الحسن ليلاً أو نهاراً (هل يهلك الا القوم الظالمون) ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم برهم (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) بالجنان والنيران للمؤمنين والكفار وان نرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة والادلة الساطعة (فن آمن وأصلح) أى دوام على إيمانه (فلاخوف عليهم ولا هم يحزنون) فلاخوف يعقوب (والذين كذبوا باياتنا ياتنا بعذاب العذاب) جعل العذاب ماساً كأنه يحى يفعل بهم ما يريد من الآلام (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم وخر وجهم عن طاعة الله تعالى بالكفر (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) أى قسمه بين الخلق وأرزاقه ومحل (ولا أعلم الغيب) النصب عطفاً على محل عندى خزائن الله لانه من

شيأ أصلاً (وختم على قلوبكم) معنى حتى لا تفقهوا شيئاً أصلاً ولا تعرفوا شيئاً مما تعرفون من أمور الدنيا وإنما ذكر هذه الاعضاء الثلاثة لانها أشرف أعضاء الانساء فاذا تعطلت هذه الاعضاء اختل نظام الانسان وفسد أمره وبطلت مصالحه في الدين والدنيا ومتمصود هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره ان الفادر على ايجاد هذه الاعضاء وأخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التى تعبدونها وهو قوله تعالى (من غير الله ياتيك به) معنى ياتيك بما أخذ الله منكم لان الضمير فى به يعود على معنى النعل ويجوز ان يعود على السمع الذى ذكره اولاً ويندرج تحته غيره (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره أى انظر يا محمد (كيف نصرف الآيات) معنى كيف نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة (ثم هم يصدفون) معنى يعرضون عنها مكذبين لها (قل رأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغته) معنى فجأة (أو جهره) معنى مما ينة ترونه عند نزوله وقال ابن عباس ليلاً أو نهاراً (هل يهلك الا القوم الظالمون) معنى المشركين لانهم ظلموا أنفسهم بالشرك ﴿ قوله عز وجل (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) معنى لمن آمن بالثواب (ومنذرين) معنى لمن أقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس فى ارسالهم ان ياتوا الناس بما يقترحون عليهم من الآيات انما أرسلوا بالبشارة والندارة (فن آمن وأصلح) معنى آمن بهم وأصلح العمل لله (فلاخوف عليهم) معنى حين يخاف أهل النار (ولا هم يحزنون) أى اذا خزن غيرهم (والذين كذبوا باياتنا ياتنا بعذاب العذاب) معنى يصيبهم العذاب (بما كانوا يفسقون) معنى بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة ﴿ قوله تعالى (قل لا أقول لكم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم معنى قل يا محمد هؤلاء المشركين لا أقول لكم (عندى خزائن الله) نزلت حين اقترحوا عليه الآيات فامر الله تعالى ان يقول لهم انما بعثت بشيرا ونديرا ولا أقول لكم عندى خزائن الله جمع خزانه وهى اسم للمكان الذى يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدى والمعنى ليس عندى خزائن رزق الله فاعطيتكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه ان يوسع علينا عيشنا ويعنى فقرنا فاخبر ان ذلك بيدى الله لا بيدى (ولا أعلم الغيب) معنى فاخبركم بما مضى وما سيقع فى المستقبل وذلك انهم قالوا له اخبرنا بمصالحنا ومضارنا فى المستقبل حتى نستعداته بحصول المصالح ودفع المضار فاجابهم بقوله ولا أعلم الغيب فاخبركم بما تريدون (ولا أقول لكم انى ملك) وذلك انهم قالوا ما لهذا الرسول يا كل الطعام ويمشى فى الاسواق ويتزوج النساء فاجابهم بقوله ولا أقول لكم انى ملك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدون فلست أقول شيئاً من ذلك ولا أدعيه فتتكرون قولى وتجددون أمرى وانما نفى عن نفسه الشريفة هذه الاشياء تواضعاً لله تعالى واعترافاً له بالعبودية وان لا يقترحوا عليه الآيات العظام (ان اتبع الامايوحى الى) معنى ما أخبركم ابو حى من الله انزله على ومعنى الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم أعلمهم انه لا يملك خزائن الله التى منها يرزق ويعطى وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وما سيكون وانه ليس بملك حتى يطاع على ما لا يطلع عليه البشر انما يتبع ما يوحى اليه من ربه عز وجل فما أخبر عنه من غيب يوحى الله اليه وظاهر الآية يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يجتهد فى شئ من الاحكام بل جميع أوامره ونواهيها انما كانت يوحى من الله اليه (قل هل يستوى الاعمى والبصير) معنى المؤمن والكافر

(٣ - خازن - ثانى) جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول (ولا أقول لكم انى ملك) أى لا ادعى ما يستبعد فى العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيب ودعوى الملكية وانما ادعى ما كان لكثير من البشر وهو النبوة (ان اتبع الامايوحى الى) أى ما أخبركم الا بما أنزل الله على (قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل للضال واليهتدى أو ان اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع أملاً . . . المستقم . . . النعمه . . . المحال . . . الالهة

والضال والمهتدي والعالم والجاهل (أفلاتفكرون) يعني أنهم لا يستويان ﴿ قوله عز وجل (وأنذره) ﴾ يعني وخوف بالقرآن والانداز اعلام مع تخويف (الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم) قال ابن عباس يريد المؤمنين لانهم يخافون يوم القيامة وما فيه من شدة الالهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتاني وانما خص الذين يخافون الحشر بالذ كر دون غيرهم وان كان انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلائق لان الحجة عليهم أو كدم من غيرهم لا اعترافهم بصحة المعاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لانهم لا يعتقدون صحته ولذلك قال يخافون أن يحشروا الى ربهم وقيل المراد بالانداز جميع الخلائق فيدخل فيه كل مؤمن معترف بالحشر وكل كافر منكر له لانه ليس أحد الا وهو يخاف الحشر سواء اعتقد وقوعه أو كان يشك فيه ولان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وانذاره لجميع الخلق (ليس لهم من دونه) يعني من دون الله (ولى) أى قريب ينفعهم (ولاشفيع) يعني يشفع لهم ثم ان فسرنا الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم أن المراد بهم الكفار فلا اشكال فيه لقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وان فسرنا الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم أن المراد بهم المؤمنين ففيه اشكال لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعتة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للمذنبين من أمته وكذلك تشفع الملائكة والانبياء والمؤمنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا الاشكال أن الشفاعتة لا تكون الا باذن الله لقوله عز وجل من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه واذا كانت الشفاعتة باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع يعني حتى ياذن الله لهم فى الشفاعتة فاذا أذن فيها كان للمؤمنين ولى وشفيع (لعلهم يتقون) يعني ما نهيتهم عنه ﴿ قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) ﴾ قال سلمان وخباب بن الارت فينازلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب و بلال وعمار وخباب بن نفير من ضعفاء المؤمنين فاماروا وهم حوله حقر وهم فاتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست فى صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب صوف هارئة ليس عليهم غير هالجالسناك وأخذنا عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أتا بطارد المؤمنين قالوا فاناحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحى أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد فاذا نحن جئناك فاقهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم ان شئت قال نعم قالوا فا كتب لنا عليك بذلك كتابا قال فاتى بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود فى ناحية اذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الى قوله أليس الله باعلم بالشاكرين فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيفة من يده ثم دعا فأتيناها وهو يقول سلام عليكم كتب بكم على نفسه الرحمة فسكننا نعد معه فاذا أراد أن يقوم قام وتركننا فانزل الله تبارك وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندنومه حتى كانت ركبتنا خمس ركبتة فاذا بلغ الساعة التى يريد أن يقوم فيها قننا وتركننا حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع قوم من أمتى معكم المحيا ومعكم الممات وروى عن سعد بن أبى وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل و بلال ورجلان لست أسميهما فوقع فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله أن يقع حدث نفسه فانزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه أخرجه مسلم وقال الكلبى قالوا له معنى أشرف قر يش اجعل لنا يوما لهم يوما قال لأفعل قالوا فاجعلوا المجلس واحدا وأقبل علينا وول ظهر ك اليهم فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد قالت قر يش لولا بلال وابن أم عبد يعنى

أن اتباع ما يوحى الى مما لا بدلى منه (وأنذره) بما يوحى (الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم) هم المسلمون المقرون بالبعث الا أنهم مفرطون فى العمل فينذرهم بما أوحى اليه أو أهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث (ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) فى موضع الحال من يحشروا أى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم (لعلهم يتقون) يدخلون فى زمرة أهل التقوى ولما أمر النبي عليه السلام بانذار غير المتقين ليتقوا أمر بعد ذلك بتقريب المتقين ونهى عن طردهم بقوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) وأثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم أى عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام أو معناه يصلون صلاة الصبح والعصر أو الصلوات الخمس بالغداة شامى وورسمهم بالاخلاص فى عبادتهم بقوله (يريدون وجهه) فالوجه يعبر به عن ذات الشئ وحقيقته نزلت فى الفقراء بلال وصهيب وعمار وأضرابهم حين قال رؤساء المشركين

لو طردت هؤلاء السقاط الجالسناك فقال عليه السلام ما أتا بطارد المؤمنين فقالوا اجعل لنا يوما لهم يوما وطلبوا بذلك كتبنا فدعا عليا رض الله عنه لكتب فقام الفقراء وحلوه انا حة فنزلت فمعه الصلاة والسلام بحقيقة ما أتا الفقراء فماتهم

ابن مسعود لباعناك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود مر ملا من قر يش بالني صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمارو بلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء بدلا من قومك أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا نحن نكون تبعاهؤلاء اطردهم فاعلك ان طردتهم ان تتبعك فزات هذه الآية وقال عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل في أشرف بن عبد مناف من أهل الكفر الى أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمدا يطرد عنه مواليه وحلفاءنا فانهم عبيدنا وعسافنا كنا أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا اياه وتصديقه فأتى أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي قاموا به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون والى ماذا يصيرون فانزل الله عز وجل هذه الآية وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم الى قوله أليس الله باعلم بالشاكرين فجاء عمر فاعتذر من مقالته قلت بين هذه الروايات والرواية الاولى التي عن سلمان وخباب بن الارت فرق كثير وبعد عظيم وهو ان اسلام سلمان كان بالمدينة وكان اسلام المؤلف قلوبهم بعد الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ما روى عن ابن مسعود والكلبي وعكرمة في ذلك وبعضه حديث سعد بن أبي وقاص المخرج في صحيح مسلم من أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء يعني ضعفاء المسلمين والله أعلم وأما معنى الآية فقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ولا تطرد هؤلاء الضعفاء عنك ولا تبعدهم عن مجلسك لاجل ضعفهم وفقيرهم ثم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعني يعبدون ربهم بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة العصر وروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر هذين الوقتين تنبيها على شرفهما ولا ينهم مواظبون عليهم ماع بقية الصلوات ولان الصلاة تشمل على القراءة والدعاء والذكر فعبير بالدعاء عن الصلاة لهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلم اسلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد بن المسيب ما أسرع الناس الى هذا المجلس فقال مجاهد يتاولون قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي قال أوفى هذا انما هو في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن وقال ابن عباس ان ناسا من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من أشرف الناس تؤمن لك واذا صلينا فأخروا هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا وقيل المراد منه حقيقة الدعاء والذكر والمعنى أنهم كانوا يذكرون ربهم ويدعون طر في النهار ير يدون وجهه يعني يطلبون بعبادتهم وطاعتهم وجه الله مخلصين في عبادتهم له وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى (ماعليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) يعني لا تكاف أمرهم ولا يكافون أمرك وقيل ماعليك حساب رزقهم فتملهم وتطردهم عنك ولا رزقك عليهم انما الرزق لجميع الخلق هو الله تعالى فلا تطردهم عنك (فتطردهم فتكون من الظالمين) يعني بطردهم عنك وعن مجلسك فقوله فتطردهم جواب النفي وهو قوله ماعليك من حسابهم من شيء وقوله فتكون من الظالمين جواب النهي وهو قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه لاجل الأشرف عاتبه الله على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك يقدر في العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن هذا الاحتجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم بطردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستسكان من فقرهم وانما كان هذا لهم لمصلحة وهو التلطف بهؤلاء الأشرف في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب أولى وهو اجتهاد منه فاعلمه الله تعالى أن ادعاء هؤلاء الفقراء أولى من اهلهم بطردهم فقرهم منه وأدناهم وأما قوله فتطردهم فتكون من الظالمين فان الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه فيكون المعنى ان أولئك الفقراء الضعفاء يستحقون التعظيم والتقريب فلا تهم بطردهم

(ماعليك من حسابهم من شيء) كقوله ان حسابهم الاعلى ربي (وما من حسابك عليهم من شيء) وذلك أنهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم (فتطردهم) جواب النفي وهو ماعليك من حسابهم (فتكون من الظالمين) جواب النهي وهو ولا تطرد ويجوز أن يكون عطف على فتطردهم على وجه التسبب لان كونه ظلما مسبب عن طردهم

(وكذلك فتننا بعضهم ببعض) ومثل ذلك الفتن العظيم ابتلينا الاغنياء بالفقراء (ليقولوا) أي الاغنياء (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) أي أنهم الله عليهم بالايمن ونحن المقدمون (٢٠) والرؤساء وهم الفقراء انكار الان يكون أمثالهم على الحق وعموننا

عنك فتضع الشيء في غير موضعه فهو من باب ترك الافضل والاولى لا من باب ترك الواجبات والله أعلم ﴿قوله عز وجل (وكذلك فتننا بعضهم ببعض) يعني وكذلك ابتلينا الغني بالفقير والفقير بالغني والشريف بالوضيع والوضيع بالشريف فكل أحد مبتلى بضده فكان ابتلاء الاغنياء الشرفاء حسدهم لفقراء الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك فكان ذلك فتنه وابتلاء لهم وأما فتنه الفقراء بالاغنياء فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنه لهم (ليقولوا) يعني الاغنياء والشرفاء والرؤساء (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) يعني من على الفقراء والضعفاء بالاسلام ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فاجابهم بقوله (أليس الله باعلم بالشاكرين) يعني انه تعالى أعلم بخلقهم و باحوالهم وأعلم بالشاكرين من الكافرين ﴿قوله تعالى (واذا جاءك الله اليهم واما ان يكون أمر ابان يبدأهم بالسلام اكراماً لهم وتطييباً لقلوبهم وكذا قوله) كتب ربكم على نفسه الرحمة) من جملة ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعناه وعدكم بالرحمة وعدم مؤكداً (انه الضمير للشأن) من عمل منكم سواً) ذنباً (بجهالة) في موضع الحال أي عمله وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة أو جعل جاهلاً لا يثاره المعصية على الطاعة (ثم تاب من بعده) من بعد سوء أو العمل (وأصلح) وأخلص توبته (فانه غفور رحيم) أنه فانه شامئ وعاصم الاول بدل الرحمة والثاني خبر مبتدأ محذوف أي فشأنه أنه غفور رحيم أنه فانه مدني الاول بدل الرحمة والثاني مبتدأ انه فانه غيرهم

عناك فتضع الشيء في غير موضعه فهو من باب ترك الافضل والاولى لا من باب ترك الواجبات والله أعلم ﴿قوله عز وجل (وكذلك فتننا بعضهم ببعض) يعني وكذلك ابتلينا الغني بالفقير والفقير بالغني والشريف بالوضيع والوضيع بالشريف فكل أحد مبتلى بضده فكان ابتلاء الاغنياء الشرفاء حسدهم لفقراء الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك فكان ذلك فتنه وابتلاء لهم وأما فتنه الفقراء بالاغنياء فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنه لهم (ليقولوا) يعني الاغنياء والشرفاء والرؤساء (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) يعني من على الفقراء والضعفاء بالاسلام ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فاجابهم بقوله (أليس الله باعلم بالشاكرين) يعني انه تعالى أعلم بخلقهم و باحوالهم وأعلم بالشاكرين من الكافرين ﴿قوله تعالى (واذا جاءك الله اليهم واما ان يكون أمر ابان يبدأهم بالسلام اكراماً لهم وتطييباً لقلوبهم وكذا قوله) كتب ربكم على نفسه الرحمة) من جملة ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعناه وعدكم بالرحمة وعدم مؤكداً (انه الضمير للشأن) من عمل منكم سواً) ذنباً (بجهالة) في موضع الحال أي عمله وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة أو جعل جاهلاً لا يثاره المعصية على الطاعة (ثم تاب من بعده) من بعد سوء أو العمل (وأصلح) وأخلص توبته (فانه غفور رحيم) أنه فانه شامئ وعاصم الاول بدل الرحمة والثاني خبر مبتدأ محذوف أي فشأنه أنه غفور رحيم أنه فانه مدني الاول بدل الرحمة والثاني مبتدأ انه فانه غيرهم

على الاستئناف كان الرحمة استعسرت ففعل انه من عمل منكم (وكذلك تفصل الآيات ومعناه ولتستبين) وبالياء جزوة وعلى وأبو بكر (سبيل المحرمين) بالنصب مدني غيره بالرفع فرفع السبيل مع التاء والياء لانها تذكروا وتوثق ونصب

السبيل مع التاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم يقال استبان الامر وتبين واستبينته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين تفصل آيات القرآن وتلخصها في صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجي اسلامه واتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أي صرفت (٢١) وزجرت بأدلة العقل والسمع

عن عبادة ما تعبدون من ومعناه وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيامة اذا صاروا الى النار ﴿ قوله تعالى (قل) أي قل يا محمد هؤلاء المشركين (اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) يعني نهيت أن أعبد الاصنام التي تعبدونها أتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدائدكم من دون الله لان الجمادات أخس من أن تعبد أو تدعى وانما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو قوله تعالى (قل لا أتبع أهواءكم) يعني في عبادة الاصنام وطردهم الفقراء (قد ضللت اذا) يعني اذ عبدتها (وما أنا من المهتدين) يعني قل يا محمد هؤلاء المشركين (اني على بينة من ربي) قال ابن عباس يعني على يقين من ربي وقيل البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والمعنى اني على بيان وبصيرة في عبادة ربي (وكذبتم به) يعني وكذبتم بالبيان الذي جئت به من عند ربي وهو القرآن والمجربات الباهرات والبراهين الواضحات التي تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك (ما عندي ما تستجلبون به) يعني العذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستجلبون به استهزاء وكانوا يقولون يا محمد اتنا بما تعدنا يعني من نزول العذاب فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ما عندي ما تستجلبون به لان انزال العذاب لا يقدر عليه الا الله تعالى ولا يقدر أحد على تقديمه ولا ناخيه وقيل كانوا يستجلبون بالآيات التي طلبوها واقتروها فاعلم الله ان ذلك عنده ليس عند أحد من خلقه وقيل كانوا يستجلبون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى يستجلب بها الذين لا يؤمنون بها (ان الحكم الا لله) يعني الحكم الذي يفصل به بين الحق والباطل والثواب للطائع والعقاب للعاصي أي ما الحكم المطلق الا لله ليس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضي بانزال العذاب اذا شاء (يقص الحق) قرئ بالاصاد المهملة ومعناه يقول الحق لان كل ما أخبر به فهو حق وقرئ يقض بالضاد المعجمة من القضاء يعني انه تعالى يقضي القضاء الحق (وهو خير الفاصلين) يعني وهو خير من بين وفصل وميز بين الحق والمبطل لانه لا يقع في حكمه وقضاه جور ولا حيف على أحد من خلقه (قل لو أن عندي ما تستجلبون به) يعني من انزال العذاب والاستجبال المطالبة بالشيء قبل وقته فلذلك كانت الجملة مذمومة والاسراع تقديم الشيء في وقته فلذلك كانت السرعة محمودة والمعنى قل يا محمد هؤلاء المشركين المستجلبين لنزول العذاب لو أن عندي ما تستجلبون به لم أمهلكم ساعة ولكن الله حلیم ذو أناة لا يجمل بالعقوبة وقوله تعالى (لقضى الامر بيني وبينكم) يعني لا انفصل ما بيني وبينكم ولأنكم ما تستجلبون به من العذاب (والله أعلم بالظالمين) يعني انه أعلم بما يستحقون من العذاب والوقت الذي يستحقونه فيه وقيل علم أنه سيؤمن بعض من كان يستجلب بالعذاب فلذلك أخره عنهم وقال والله أعلم بالظالمين ويا حواهم ﴿ قوله عز وجل (وعنده مفاتيح الغيب) المفاتيح التي يفتح بها المغلاق جمع مفاتيح ويقال فيه مفتاح بكسر الميم وجمع مفاتيح والمفتاح يفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الاشياء فهي مفتاح وجمع مفاتيح فقوله وعنده مفاتيح الغيب يحتمل أن يكون المراد منه المفاتيح التي يفتح بها ويحتمل أن يكون المراد منه الخزانة التي فعلى التفسير الاول فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لان المفاتيح هي التي يتوصل بها الى ما في الخزانة المستوتق منها بالاغلاق فمن علم كيف يفتح بها يتوصل الى ما فيها فهو عالم وكذلك ههنا لان الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات ما غاب منها وما لم يغيب عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثاني يكون المعنى وعنده

عذابكم (يقص الحق) حجازي وعاصم أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره الباقيون يقض الحق في كل ما يقضى من التأخير والتجمل فالحق أي القضاء الحق صفة لمصدر يقضي وقوله (وهو خير الفاصلين) أي القاضين بالقضاء الحق اذا الفصل هو القضاء وسقوط الياء من الخط لا اتباع اللفظ لالتقاء الساكنين (قل لو أن عندي) أي في قدرتي وامكاني (ما تستجلبون به) من العذاب (لقضى الامر بيني وبينكم) لاهلككم عاجلا غضبا لربي (والله أعلم بالظالمين) فهو ينزل عليكم العذاب في وقت يعلم أنه أودع (وعنده مفاتيح الغيب

عذابكم (يقص الحق) حجازي وعاصم أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره الباقيون يقض الحق في كل ما يقضى من التأخير والتجمل فالحق أي القضاء الحق صفة لمصدر يقضي وقوله (وهو خير الفاصلين) أي القاضين بالقضاء الحق اذا الفصل هو القضاء وسقوط الياء من الخط لا اتباع اللفظ لالتقاء الساكنين (قل لو أن عندي) أي في قدرتي وامكاني (ما تستجلبون به) من العذاب (لقضى الامر بيني وبينكم) لاهلككم عاجلا غضبا لربي (والله أعلم بالظالمين) فهو ينزل عليكم العذاب في وقت يعلم أنه أودع (وعنده مفاتيح الغيب

لا يعلمها الا هو) المفاتيح جمع مفتاح وهو المفتاح وهي خزائن العذاب والرزق او ما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والاحوال جعل  
للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة (٢٢) لان المفاتيح يتوصل بها الى ما في الخزائن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتيحها

وكيفية فتحها توصل اليها  
فاراد أنه هو المتوصل الى  
المغيبات وحده لا يتوصل  
اليها غيره مكن عنده مفاتيح  
أقفال المخازن ويعلم فتحها  
فهو المتوصل الى ما في  
المخازن قيل عنده مفاتيح  
الغيب وعندك مفاتيح  
الغيب فن آمن بغيبه  
أسبل الله الستر على عيبه  
(ويعلم ما في البر) من  
النبات والثواب (والبحر)  
من الحيوان والجواهر  
وغيرهما (وماتسقط من  
ورقة الا يعلمها) ما للنبي  
ومن للاستعراق أي يعلم  
عددتها وأحوالها قبل  
السقوط وبعده (ولاحبة  
في ظلمات الارض ولا  
رطب ولا يابس) عطف  
على ورقة وداخل في  
حكمها وقوله (الافى كتاب  
مبين) كالتكرير لقوله الا  
يعلمها لان معنى الا يعلمها  
ومعنى الافي كتاب مبين  
واحد وهو علم الله أو اللوح  
ثم خاطب الكفرة بقوله  
(وهو الذي يتوفاكم بالليل)  
أي يقبض أنفسكم عن  
التصرف بالتمام في المنام  
(ويعلم ما جر حتم بالنهار)  
كسبتم فيه من الآثام (ثم  
يعثكم فيه) ثم يوقظكم في  
النهار أو التقدير ثم يعثكم  
في النهار ويعلم ما جر حتم فيه

خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات ثم اختلفت أقوال المفسرين في قوله وعندده مفاتيح  
الغيب (لا يعلمها الا هو) فقيل مفاتيح الغيب خمس وهي ما روى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله تعالى لا يعلم أحد ما يكون في غد الا الله ولا يعلم أحد ما يكون  
في الارحام الا الله ولا تعلم نفس ما ذات كسب غدا ولا تدري نفس بأى أرض تموت ولا يدري أحد متى يحيى  
المطر وفي رواية أخرى لا يعلم أحد ما تغيض الارحام الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد الا  
الله ولا تدري نفس بأى أرض تموت الا الله ولا يعلم متى الساعة الا الله أخرجه البخاري وقال الضحاك ومقاتل  
مفاتيح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو  
انقضاء الآجال وعلم أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم وقيل هو علم ما لم يكن بعد أن  
يكون اذ يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود أتى نبيكم صلى الله عليه  
وسلم كل شيء الا مفاتيح الغيب وقال ابن عباس انها خزائن غيب السموات والارض من الاقدار والارزاق  
(ويعلم ما في البر والبحر) قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيها شيء الا وهو  
يعلمه وقال جمهور المفسرين هو البر والبحر المعروفان لان جميع الارض اما بر واما بحر وفي كل واحد منهما  
من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه (وماتسقط من ورقة الا يعلمها)  
يريد ساقطة وثابتة والمعنى انه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما بقي على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهر  
البطن الى أن تسقط على الارض (ولاحبة في ظلمات الارض) قيل هو الحب المعروف يكون في بطن الارض  
قبل أن ينبت وقيل هي الحبة التي في الصخرة التي في أسفل الارضين (ولارطب ولا يابس) قال ابن عباس  
الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحى واليابس الميت  
وقيل هو عبارة عن كل شيء لان جميع الاشياء امارطبة واما يابسة فان قلت ان جميع هذه الاشياء داخل تحت  
قوله وعندده مفاتيح الغيب فلم أفرد هذه الاشياء بالذكر وما فائدة ذلك قلت لما قال الله تعالى وعندده مفاتيح  
الغيب على سبيل الاجمال ذكر من بعد ذلك الاجمال ما يدل على التفصيل فذكر هذه الاشياء المحسوسة  
ليدل بها على غيرها فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من العجائب والغرائب من المدن والقرى والمفاوز  
والجبال وكثرة ما فيها من المعادن والحيوان وأصناف المخلوقات مما يجز الوصف عن ادراكها ثم ذكر بعد  
ذلك ما هو أقل من ذلك وهو مشاهد لكل أحد لان الورقة الساقطة والثابتة يراها كل أحد لكن لا يعلم  
عددتها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو أصغر من الورقة وهي الحبة ثم ذكر بعد ذلك مثالا  
يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الاشياء وانه لا يخرج شيء منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت  
هذه الامثال منبهة على عظمة عظيمة وقدرة عالية وعلم واسع فسبحان العليم الخبير ﴿قوله تعالى﴾ (الافى كتاب  
مبين) فيه قولان أحدهما أن الكتاب المبين هو علم الله الذي لا يغير ولا يبدل والثاني أن المراد بالكتاب  
المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والارض وفائدة  
احصاء الاشياء كلها في هذا الكتاب لتقف الملائكة على انفاذ علمه ونبه بذلك على تعظيم الحساب وأعلم  
عباده أنه لا يفوته شيء مما يصنعون لانه من أثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فهو الى اثبات ما فيه ثواب  
وعقاب أسرع ﴿قوله تعالى﴾ (وهو الذي يتوفاكم بالليل) يعني يقبض أرواحكم اذا نتم بالليل (ويعلم ما جر حتم)  
ما كسبتم (بالنهار ثم يعثكم فيه) أي يوقظكم فيه أي في النهار (ليقبضى أجل مسمى) يعني أجل الحياة  
الى الممات يريد استيفاء العمر على التمام (ثم اليه مرجعكم) في الآخرة (ثم ينبئكم) أي يخبركم (بما كنتم

فقدم الكسب لانه أهم وليس فيه أنه لا يعلم ما جر حتم بالليل ولانه لا يتوفاكم بالنهار فدل أن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل  
على نفي ما عداه (ليقبضى أجل مسمى) لوفى الآجال على الاستكمال (ثم اليه مرجعكم) رجوعكم بالبعث بعد الموت (ثم ينبئكم بما كنتم

بعمالون) في ليلكم ونهاركم قال بعض أهل الكلام ان لكل حاسة من هذه الحواس روحا تقبض عند النوم ثم ترد اليها اذا ذهب النوم فاما الروح التي تحيا بها النفس فانها لا تقبض الا عند انقضاء الاجل والمراد (٢٣) بالارواح المعاني والقوى التي تقوم بالحواس ويكون بها

تعملون) قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) يعني وهو العالی عليهم بقدرته لان كل من قهر شيئا وغلبه فهو مستعل عليه بالقهر والقدرة فهو كما يقال أمر فلان فوق أمر فلان يعني أقدر منه وأغلب هذا مذهب أهل التأويل في معنى لفظه فوق في قوله وهو القاهر فوق عباده وأما مذهب السلف فيها فامرأها كما جاءت من غير تكييف ولا تأويل ولا اطلاق على جهة والقاهر هو الغالب لغيره المذلل له والله تعالى هو القاهر خلقه وقهر كل شيء بضده فقهر الحياة بالموت والايجاد بالاعدام والغنى بالفقر والنور بالظلمة وقوله تعالى (ويرسل عليكم حفظة) يعني أن من جملة قهره لعباده ارسال الحفظة عليهم والمراد بالحفظة الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم من الخير والشر والطاعة والمعصية وغير ذلك من الاقوال والافعال قيل ان مع كل انسان ملكين ملكا عن يمينه وملكا عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين اصبر عليه لعله يتوب منها فان لم يقب منها كتبها عليه صاحب الشمال وفائدة جعل الملائكة موكلين بالانسان انه اذا علم ان له حافظا من الملائكة موكلًا به يحفظ عليه اقواله وافعاله في صحائف تنشر له وتقرأ عليه يوم القيامة على رؤس الاشهاد كان ذلك زاجر له عن فعل القبيح وترك المعاصي وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملائكة الذين يحفظون بني آدم ويحفظون اجسادهم قال قتادة حفظة يحفظون على ابن آدم رزقه وأجله وعمله (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) يعني أعوان ملك الموت الموكلين بقبض ارواح البشر فان قلت قال الله تعالى في آية الله يتوفى الانفس حين موتها وقال في آية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت وجه الجمع بين هذه الآيات ان المتوفى في الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روحه وملك الموت أعوان من الملائكة يأمرونهم بنزع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الخلقوم تولى قبضها ملك الموت نفسه فصل الجمع بين الآيات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له وقال مجاهد جعلت الارض ملك الموت مثل الطشت يتناول من حيث شاء وجعلت له أعوان ينزعون الانفس ثم يقبضها منهم وقال أيضا من أهل بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقيل ان الارواح اذا كثرت عليه يدعوها فتستجيب له وقوله (وهم لا يفرطون) يعني الرسل لا يقصرون فيما أمروا به ولا يضيعونه قوله عز وجل (ثم ردوا الى الله مولاهم الحق) يعني ثم رد العباد بالموت الى الله في الآخرة وانما قال مولاهم الحق لانهم كانوا في الدنيا تحت أيدي موال بالباطل والله مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق (ألا له الحكم) يعني لا حكم الا له (وهو أسرع الحاسبين) يعني أنه تعالى أسرع من حساب لانه لا يحتاج الى فكر وروية وعقد يد في حساب خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض وقوله تعالى (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) يعني يا محمد قل هؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام من دون الله من ذا الذي ينجيكم من ظلمات البر اذا ضلتم فيه وتبحرتم وأظلمت عليكم الطرق ومن ذا الذي ينجيكم من ظلمات البحر اذا ركبت فيه فأخطأتم الطريق وأظلمت عليكم السبل فلم تهتدوا وقيل ظلمات البر والبحر مجاز عما فيهما من الشدائد والاهوال وقيل الجبل على الحقيقة أو لى فظلمات البر هي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الاهتداء الى الطريق الصواب وظلمات البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والامواج الهائلة فيحصل من ذلك أيضا الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك فالمقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الانسان فيها الا الى الله سبحانه وتعالى لانه هو القادر على كشف الكروب وازالة

بالحواس ويكون بها السمع والبصر والاخذ والمشى والشم ومعنى ثم يبعثكم فيه أي يوقفكم ويرد اليكم ارواح الحواس فيستبدل به على منكري البعث لانه بالنوم يذهب ارواح هذه الحواس ثم يردها اليها فكذا يحيى النفس بعد موتها (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك أجزا للعباد عن ارتكاب الفساد اذا تفكروا أن محاسنهم تقرأ على رؤس الاشهاد (حتى اذا جاء أحدكم الموت) حتى لغاية حفظ الاعمال أي وذلك دأب الملائكة مع المكافاة حياة الى أن يأتيه الممات (توفته رسلنا) أي استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه توفيه واستوفيه بالاماله جزرة رسلنا أبو عمرو (وهم لا يفرطون) لا يتوانون ولا يؤخرون (ثم ردوا الى الله) الى حكمه وجزائه أي رد المتوفون برد الملائكة (مولاهم) مالكمهم الذي يلي عليهم أمورهم (الحق) العدل

الذي لا يحكم الا بالحق وهم صفتان لله (ألا له الحكم) يومئذ لا حكم فيه غيره (وهو أسرع الحاسبين) لا يشغله حساب عن حساب محاسب جميع الخلق في مقدار حلبة شاة وقيل الرد الى من رباك خير من البقاء مع من آذاك (قل من ينجيكم) ينجيكم عباس (من ظلمات البر والبحر)

ضير المفعول في ينجيكم  
(نضرا) معلنين الضراعة  
وهو مصدر في موضع الحال  
وكذا (وخفية) أي مسرين  
في أنفسهم خفية حيث كان  
أبو بكر وهما الفتان (لئن  
أعجبتنا) عاصم وبالإمالة  
حزة وعلى الباقر انجبتنا  
والعنى يقولون لئن خاصنا  
(من هذه) الظلمات  
(لنكونن من الشاكرين)  
لله تعالى (قل الله ينجيكم)  
بالتشديد كوفي (منها)  
من الظلمات (ومن كل  
كرب) (وغم وخرن) (ثم أتم  
تشركون) ولا تشكرون  
(قل هو القادر) هو الذي  
عرفتموه قادرا أو هو  
الكامل القدرة فاللام  
بجمل العهد والجنس (على  
أن يبعث عليكم عذابا  
من فوقكم) كما أطر على  
قوم لوط وعلى أصحاب  
القبيل الحجر (أومن تحت  
أرجلكم) كما غرق  
فرعون وخسف بقارون  
أومن قبل سلاطينكم  
وسفلكم وهو حبس  
المطر والنبات أو يلبسكم  
شيعا أو يخلطكم فرقا  
مختلفين على أهواء شتى  
كل فرقة منهم مشايعة  
لامام ومعنى خلطهم أن  
ينشب القتال بينهم  
فيختلطوا ويشتبكوا في

الشدائد وهو المراد من قوله (ندعونه نضرا وخفية) يعني فإذا اشتد بكم الأمر تخاضون له الدعاء نضرا  
منكم إليه واستكانه جهر وخفية يعني سرا حلالا وحالا (لئن أنجيتنا من هذه) يعني قاتلين في حال الدعاء  
والنضرا لئن أنجيتنا من هذه الظلمات وخلصتنا من الهلاك (لنكونن من الشاكرين) يعني لك على هذه  
النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقوقها المن أنعم بها (قل الله ينجيكم منها) يعني من الظلمات  
والشدائد التي أتم فيها (ومن كل كرب) يعني وهو الذي ينجيكم من كل كرب أيضا والكرب هو الغم  
الشديد الذي يأخذ بالنفس (ثم أتم تشركون) يريد أنهم يقرون بان الذي أنجاهم من هذه الشدائد  
هو الله تعالى ثم انهم بعد ذلك الاقرار يشركون معه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ﴿ قوله عز وجل (قل هو  
القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) أي قل يا محمد لتقومك ان الله هو القادر على أن يبعث عليكم  
عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط (أومن تحت  
أرجلكم) يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم يعني  
أمة السوء والباطل من الظلمة أو من تحت أرجلكم يعني عبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم يعني من قبل  
كباركم أو من تحت أرجلكم يعني السفلة (أو يلبسكم شيعا) الشيع جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم  
شيعة وأشباع وأصله من التشيع وبعني الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم  
الانسان قال الزجاج في قوله أو يلبسكم شيعا يعني يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق فيجعلكم فرقا  
مختلفين يقاتل بعضهم بعضا وهو معنى قوله (ويذيق بعضهم بأس بعض) قال ابن عباس قوله أو يلبسكم شيعا  
يعني الأهواء المختلفة ويذيق بعضهم بأس بعض يعني أنه يقتل بعضهم بيد بعض وقال مجاهد يعني أهواء متفرقة  
وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد هو الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف والأهواء  
وسفك بعضهم دماء بعض ثم اختلف المفسرون فبعض عنى بهذه الآية فقال قوم عنى بها المسلمون من أمة محمد  
صلى الله عليه وسلم وفيهم نزات هذه الآية قال أبو العالية في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من  
فوقكم الآية قال هن أربع وكاهن عذاب فجاءت اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين  
سنة فالبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان وهما لا بد واقعتان يعني الخسف والمسح وعن أبي  
ابن كعب نحوه هن أربع خلال وكاهن واقع قبل يوم القيامة مضت ثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بخمس وعشرين سنة البسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض وثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم وقال  
مجاهد في قوله من فوقكم أو من تحت أرجلكم لامة محمد فاعفاهم منه أو يلبسكم شيعا ما كان بينهم من الفتن  
والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضهم بأس بعض يعني ما كان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله  
عليه وسلم (خ) عن جابر قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق  
بعضكم بأس بعض قال هذا أهون أو هذا أسير (م) عن سعد بن أبي وقاص أنه أقبل مع النبي صلى الله عليه  
وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا به طويلا  
ثم انصرف الينا فقال سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة  
فأعطانيها وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألت ربي أن لا يجعل بأسهم بينهم فنحنها عن خباب  
ابن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطها فقالوا يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصلها  
قال أجل انها صلاة رغبة ورهبة أتى سألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي  
بسنة فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض



جبريل أن فناء أمني بالسيف (انظر كيف نصرف الآيات) بالوعد والوعيد (اعلمهم بفقهون وكذب به) بالقرآن أو بالعذاب (قومك) فريش (وهو الحق) أي الصدق أو لابدأن ينزل بهم (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل (٢٥) إلى أمركم انما أنا منذر (لكل

نبأ) لكل شئ ينأ به  
يعنى انباءهم بانهم  
يعذبون وابعادهم به  
(مستقر) وقت استقرار  
وحصول لابدمنه (وسوف  
تعلمون) تهديد (واذا  
رأيت الذين يخوضون في  
آياتنا) أي القرآن يعنى  
يخوضون في الاستهزاء بها  
والطعن فيها وكانت فريش  
في أنديةهم يفعلون ذلك  
(فاعرض عنهم) ولا  
تجالسهم وقم عنهم (حتى  
يخوضوا في حديث غيره)  
غير القرآن مما يحل حينئذ  
يجوز أن تجالسهم (واما  
ينسب إليك الشيطان) ما  
نهيت عنه يدسبك شامى  
نسى وأسى واحد (فلا  
تقع بعد الذكرى) بعد  
أن تذكر (مع القوم  
الظالمين وما على الذين  
يتقون من حسابهم) من  
حساب هؤلاء الذين  
يخوضون في القرآن  
تكديبا واستهزاء (من  
شئ) أي وما يلزم المتقين  
الذين يجالسونهم شئ مما  
يحاسبون عليه من ذنوبهم  
(واكن) عليهم أن  
يذكروهم (ذكرى) اذا  
سمعوهم يخوضون بالقيام  
عنهم واطهار الكراهة لهم

فمنعها أخرجه الترمذي وقوله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات) أي انظر يا محمد كيف نبين دلائلنا وحجتنا  
لهؤلاء المكذبين (اعلمهم بفقهون) يعنى يفهمون ويعتبرون فينجزوا ويرجعوا عما هم عليه من الكفر  
والتكذيب وقوله تعالى (وكذب به قومك) يعنى بالقرآن (وهو الحق) يعنى في كونه كتابا منزلا من عند  
الله وقيل الضمير في به يرجع الى العذاب وهو الحق يعنى انه نازل بهم ان أقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل  
الضمير يرجع الى نصريف الآيات وهو الحق لانهم كذبوا كونها من عند الله (قل لست عليكم بوكيل) أي  
قل يا محمد هؤلاء المكذبين لست عليكم بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الحق بل انما  
أنامذروا الله هو المجازى لكم على أعمالكم وقيل معناه اني انما أدعوكم الى الله والى الايمان به ولم أؤمر  
بمركب فاعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية السيف وقيل في معنى الآية قل لست عليكم بوكيل يعنى  
حفيظ انما أطلبكم بالظاهر من الاقرار والعمل لا بما تحويه الضمائر والاسرار فعلى هذا تكون الآية محكمة  
(لكل نبأ مستقر) أي لكل خبر من أخبار القرآن حقيقة ومنتهى بدتهى اليه ما في الدنيا وما في الآخرة  
وقيل لكل خبر يخبر الله به وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير فكان ما وعدهم به من العذاب في  
الدنيا وقع يوم بدر (وسوف تعلمون) يعنى صحة هذا الخبر ما في الدنيا وما في الآخرة وقوله تعالى (واذا  
رأيت الذين يخوضون في آياتنا) الخطاب في واذا رأيت للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى واذا رأيت يا محمد هؤلاء  
المشركين الذين يخوضون في آياتنا يعنى القرآن لذي انزلناه اليك والخوض في اللغة هو الشروع في الماء  
والعبور فيه ويستعار للاخذ في الحديث والشروع فيه يقال تخوضوا في الحديث وتفاوضوا فيه لكن أكثر  
ما يستعمل الخوض في الحديث على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين  
وقيل الخطاب في واذا رأيت لكل فرد من الناس والمعنى واذا رأيت أيها الانسان الذين يخوضون في آياتنا  
وذلك أن المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا في الاستهزاء بالقرآن وبن أنزله وبن أنزل عليه  
فنهاهم الله أن يتعدوا معهم في وقت الاستهزاء بقوله (فاعرض عنهم) يعنى فاتركهم ولا تجالسهم (حتى  
يخوضوا في حديث غيره) يعنى حتى يكون خوضهم في غير القرآن والاستهزاء به (واما ينسب إليك الشيطان)  
يعنى فقعدت معهم (فلا تقع بعد الذكرى) يعنى اذا ذكرت فقم عنهم ولا تقع (مع القوم الظالمين) يعنى  
المشركين ﴿ قوله تعالى (وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ) قال ابن عباس لما نزلت هذه  
الآية واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون كيف تقع في المسجد الحرام ونطوف  
بالبيت وهم يخوضون أبدا في رواية قال المسلمون اننا نحاف الأثم حين نتركهم ولا ننهاهم فانزل الله هذه الآية  
وما على الذين يتقون يعنى يتقون الشرك والاستهزاء من حسابهم من حساب المشركين من شئ  
يعنى ليس عليهم شئ من حسابهم ولا آثامهم (ولكن ذكرى) يعنى ولكن ذكرى وهم ذكرى وقيل معناه  
ولكن عليكم أن تذكروهم (اعلمهم يتقون) يعنى لعل تلك الذكرى تمنعهم من الخوض والاستهزاء  
﴿فصل﴾ قال سعيد بن المسيب وابن جريج ومقاتل هذه الآية منسوخة بالآية التي في سورة النساء وهى  
قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها وذهب الجمهور الى أنها  
محكمة لا نسخ فيها لا ما خبروا الخبر لا يدخله النسخ لانها انما ادات على ان كل انسان انما يختص بحساب  
نفسه لا بحساب غيره وقيل انما أباح لهم القعود معهم بشرط التذكير والموعظة فلا تكون منسوخة ﴿ قوله  
عز وجل (وذرا الذين اتخذوا دينهم اعباءا ولها) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى وذرا يا محمد هؤلاء

(٤ - خازن - ثاني) وموعظتهم ومحمل ذكرى نصب أى ولكن يدكروهم ذكرى أى تذكروهم أو رفع  
والتقدير ولكن عليهم ذكرى فذكرى مبتدأ والخبر محذوف (اعلمهم يتقون) اعلمهم بجهتة من الخوض حياءً وكراهة لساءتهم (وذرا الذين  
اتخذوا دينهم) الذى كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام (لعباءوا) سخر وا به واستهزأ ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم

واستهزأهم واللهم ما يشغل الانسان من هوى أو طرب (وغرتهم الحياة الدنيا وذ كرهه) وعظ القرآن (أن تبسل نفس بما كسبت) مخافة أن تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الالبسال المنع (ليس لها من دون الله ولي) ينصرها بالقوة (ولاشفيع) يدفع عنها بالمسئلة ولا وقف على كسبت في الصحيح لان قوله ليس لها صفة لنفس والمعنى وذ كرهه بالقرآن كراهة أن تبسل نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها (وان تعدل كل عدل) (٢٦) نصب على المصدر وان نفذ كل فداء والعدل الفدية لان الفادي

يعدل المفدى بمثله وفاعل ٧  
(لا يؤخذ منها) لاضمير  
العدل لان العدل هنا مصدر  
فلا يستند اليه الاخذ وأما  
في قوله ولا يؤخذ منها عدل  
فبمعنى المفدى به فصح  
اسناده اليه (أوائك)  
اشارة الى المتخذين دينهم  
لعبا وهو هو مبتدأ  
والخبر (الذين أسلوا بما  
كسبوا) وقوله (لهم شراب  
من حميم) أى ماء سخين  
حار خبر ثان لاوائك  
والتقدير أوائك الميسلون  
ثابت لهم شراب من حميم  
أومسأف (وعذاب أليم  
بما كانوا يكفرون)  
بكفرهم (قل) لابي بكر يقل  
لابنه عبد الرحمن وكان  
يدعو أباه الى عبادة  
الاولئان (أندعوا) أنعبد  
(من دون الله) الضار النافع  
(مالا ينفعنا) مالا يقدر  
على نفعنا ان دعوانه  
(ولا يضرنا) ان تركناه  
(وزرد) وأزد (على  
أعقابنا) راجعين الى  
الشرك (بعد اذ هدانا  
الله) للإسلام وأنقذنا من

المشركين الذين اتخذوا دينهم الذي أمروا به ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا وهو ذلك حيث سخروا به واستهزأوا به وقيل انهم اتخذوا عبادة الاصنام لعبا وهو اذ قيل ان الكفار كانوا اذا سمعوا القرآن لعبوا وهو عند سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم عيدا فاتخذ كل قوم دينهم يعنى عيدهم لعبا وهو يلعبون ويلهون فيه الا المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبير او فعل الخير فيه مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم الجمعة (وغرتهم الحياة الدنيا) يعنى انهم اتخذوا دينهم لعبا وهو الاجل انهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب حبهما على قلوبهم فاعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم لعبا وهو معنى الآية وذرا يا محمد الذين اتخذوا دينهم لعبا وهو اتركهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزأهم وهذا يقتضى الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض بآية السيف وهو قول قتادة والسدى وقيل انه خرج مخرج التهديد فهو كقوله ذرنى ومن خلقت وحيدا وهذا قول مجاهد فعلى هذا تكون الآية محكمة وقيل المراد بالاعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم لا ترك الانذار والتخويف ويبدل عليه قوله (وذ كرهه) يعنى وذ كره بالقرآن وعظ به هؤلاء المشركين (أن تبسل نفس بما كسبت) أى امثلا تبسل نفس وأصل البسل فى اللغة التحريم وضم الشئ ومنعه وهذا عليك بسل أى حرام ممنوع فعنى تبسل نفس بما كسبت وترتهن وتحبس فى جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الآثام وقال ابن عباس تبسل تهلك وقال قتادة تحبس يعنى فى جهنم وقال الضحاك تحرق بالنار وقال ابن زيد تؤخذ يعنى بما كسبت وقيل تفضح والمعنى وذ كرههم بالقرآن ومواعظه وعرفهم الشرائع لكى لا تهلك نفس وترتهن فى جهنم بسبب الجنبايات التى ا كسبت فى الدنيا وتحرم الثواب فى الآخرة (ليس لها) يعنى لتلك النفس التى هلكت (من دون الله ولي) أى لتقريب يلى أمرها (ولاشفيع) يعنى يشفع لها فى الآخرة (وان تعدل كل عدل) يعنى وان تفتد بكل فداء والعدل الفداء (لا يؤخذ منها) يعنى ذلك العدل وتلك الفدية (أوائك الذين) اشارة الى الذين اتخذوا دينهم لعبا وهو اغرتهم الحياة الدنيا (أسلوا بما كسبوا) يعنى أسلموا الى الهلاك بسبب ما كسبوا (لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) ذلك لهم بسبب كفرهم ﴿قوله تعالى﴾ (قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا) يعنى قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين دعواك الى دين آباءك أندعوا يعنى أنعبد من دون الله يعنى الاصنام التى لا تنفع من عبدها ولا تضر من ترك عبادتها (وزرد على أعقابنا) يعنى ونرد الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) يعنى الى دين الاسلام والتوحيد (كالذى استهوته الشياطين فى الارض) يعنى كالذى ذهبت به الشياطين فالقتته فى هوية من الارض وأصله من الهوى وهو النزول من أعلى الى أسفل (حيران) يقال حار فلان فى الامر اذا تردد فيه فلم يهتد الى الصواب ولا المخرج منه (له أصحاب يدعونه الى الهدى) يعنى لهذا المتحير الذى استهوته الشياطين أصحاب على الطريق المستقيم (انقنا) يعنى يقولون له انقنا وهذا مثل ضرب به الله لمن يدعو الى عبادة الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ولن يدعو الى عبادة الله عز وجل الذى يضر وينفع يقول مثلها ما كمثل رجل فى رفقة ضل به الغول والشيطان عن الطريق المستقيم فجعل أصحابه ورفقته يدعونه اليهم يقولون هلم الى الطريق المستقيم

عبادة الاصنام (كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهبت به الغيلان ومردة الجن والكاف  
فى محل النصب على الحل من الضمير فى نرد على أعقابنا أى أنكس مشبهين من استهوته الشياطين وهو استفعال من هوى فى الارض  
اذا ذهب فيها كان معناه طابت هويته (فى الارض) فى المهمة (حيران) حال من مفعول استهوته أى تأمها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع  
(له) لهذا المستوى (أصحاب) رفقة (يدعونه الى الهدى) الى أن يهدوه الطريق سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له  
(انقنا) وقد اعتسف المهمة ناعا للجن لا يجيبهم ولا يأتهم وهذا مبنى على ما يقال ان الجن تستهوى الانسان والغيلان تستولى عليه فشبه به

الله) وهو الاسلام (هو الهدى) وحده وما وراءه ضلال (وأمرنا) محله النصب بالعطف على محل ان هدى الله هو الهدى على أنهم مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل أمرنا (لنسلم لرب العالمين وان أقيموا الصلاة) والتقدير وأمرنا لان نسلم ولان أقيموا أى للاسلام ولاقامة الصلاة (وانتقوه وهو الذى اليه تحشرون) وهو الذى يوم القيامة (وهو الذى خالق السموات والارض بالحق) بالحكمة أو محققا (ويوم يقول كن فيكون) على الخبر دون الجواب (قوله الحق) مبتدأ ويوم يقول خبره مقدم عليه كما تقول يوم الجمعة قولك الصدق أى قولك الصدق كائن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين والمعنى له خالق السموات والارض بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة أى لا يكون شيئ من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب (وله الملك) مبتدأ وخبر (يوم ينفخ) ظرف لقوله وله الملك (في الصور) هو القرن بالغة اليمن أو جمع صورة (عالم الغيب)

وجعل الغيلان يدعون اليهم فمضى حيران لا يدري أين يذهب فان أجب الغيلان ضل وهلك وان أجب أصحابه اهتدى وسلم (قل ان هدى الله هو الهدى) يعنى ان طريق الله الذى أوصحه لعباده ودينه الذى شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لآعبادة الاصنام ففيه زجر عن عبادتها كأنه يقول لا تفعل ذلك فان هدى الله هو الهدى لاهدى غيره (وأمرنا لنسلم) أى وأمرنا أن نسلم ونخاص العبادة (لرب العالمين) لانه هو الذى يستحق العبادة لا غيره (وان أقيموا الصلاة وانتقوه) يعنى وأمرنا باقامة الصلاة والتقوى لان فيهما ما يقرب اليه (وهو الذى اليه تحشرون) يعنى فى يوم القيامة فيجزىكم بأعمالكم ﴿قوله عز وجل﴾ (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) يعنى اظهار الحق فى هذه ان يكون الباء بمعنى اللام لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وقيل خلقها بكمال قدرته وشمول علمه واتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقها بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه دليل على أن كلام الله تعالى ليس بمخلوق لانه لا يخاف مخلوق بمخلوق (ويوم يقول كن فيكون) وقيل انه راجع الى خلق السموات والارض والمعنى اذ كر يوم قال للسموات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى القيامة ويدل عليه سرعة البعث والحساب كأنه قال ويوم يقول لا تخلق موتوا فيموتون وقوموا للحساب فيقومون أحياء (قوله الحق) يعنى أن قول الله تبارك وتعالى للشيء اذا أراده كن فيكون حق وصدق وهو كائن لا محالة (وله الملك يوم ينفخ في الصور) انما أخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا فى كل وقت فى الدنيا والآخرة لانه لا منازع له يومئذ يدعى الملك وانه المنفرد بالملك يومئذ وان من كان يدعى الملك بالباطل من الجبابرة والفرعنة وسائر الملوك الذين كانوا فى الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بان الملك لله الواحد القهار وانه لا منازع له فيه وعلموا أن الذى كانوا يدعون منه من الملك فى الدنيا باطل وغرور واختلاف العلماء فى الصور المذكور فى الآية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة أهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهية البوق ويدل على صحة هذا القول ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور فقال قرن ينفخ فيه أخرجه أبو داود والترمذى عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أتمم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فكان ذلك ثقل على أصحابه فقالوا كيف نفعل يا رسول الله وكيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلناور بما قال توكلنا على الله أخرجه الترمذى وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة والنفخ فيها أحيائها وها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول أصح لما تقدم فى الحديث وقوله تعالى فى آية أخرى تم نفخ فيه أخرى ولا جمع أهل السنة أن المراد بالصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل نفختين نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب وقوله تعالى (عالم الغيب والشهادة) يعنى انه تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شيء (وهو الحكيم) يعنى فى جميع أفعاله وتدبير خلقه (الخبير) يعنى بكل ما يفعلونه من خيرا وشر ﴿قوله تعالى﴾ (واذ قال ابراهيم لآبيه آزر) اختلف العلماء فى لفظ آزر فقال محمد بن سحوق والكلبى والضحاك آزر اسم أبى ابراهيم وهو تارح ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا يكون لآبى ابراهيم اسمان آزر وتارح مثل يعقوب واسرائيل اسمان لرجل واحد فيحتمل أن يكون اسمه الاصلى آزر وتارح لقب له وبالعكس والله سماه آزر وان كان عند النسابين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك وكان آزر أبى ابراهيم من كوئى وهى قرية من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي آزر سبوعيب ومعناه فى كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز أن فى القرآن الفاظا قليلة فارسية وقيل هو المخطئ فكان ابراهيم عليه وذمه بسبب كفره وزيفه عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والدا ابراهيم يعبدونه وانما سماه بهذا الاسم لان من عبد شيئا أو أحبه جعل اسم ذلك المعبود

(والشهادة) أى السر والعلانية (وهو الحكيم) فى الافناء والاحياء (الخبير) بالحساب والجزاء (واذ قال ابراهيم لآبيه آزر) هو اسم آبيه أو لقبه لانه

أو المحبوب اسماله فهو كقوله يوم ندعو كل أناس بأمامهم وقيل معناه واذ قال إبراهيم لا يعبأ بآزركم  
المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه والصحيح هو الاول ان آزر اسم لابي ابراهيم لان الله تعالى سماه به وما نقل  
عن النسائين والمؤرخين ان اسمه تاريخ ففيه نظر لانهم انما نقلوه عن أصحاب الاخبار وأهل السير من  
أهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم وقد أخرج البخاري في افراده من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة الحديث فسماه النبي  
صلى الله عليه وسلم آزر أيضا ولم يقل أباه تاريخ فثبت بهذا ان اسمه الاصل آزر لا تاريخ والله أعلم **﴿** وقوله  
تعالى (أتخذ أصناما آلهة) معناه اذ كر لقومك يا محمد قول ابراهيم لا يعبأ بآزر أتخذ أصناما آلهة تعبدها  
من دون الله الذي خلقك ورزقك والاصنام جمع صنم وهو التمثال الذي يتخذ من خشب أو حجارة أو حديد  
أو ذهب أو فضة على صورة الانسان وهو الوثن أيضا (انى أراك وقومك في ضلال مبين) يعنى يقول ابراهيم  
لا يعبأ بزرائى أراك وقومك الذين يعبدون الاصنام معك ويتخذونها آلهة في ضلال يعنى عن طريق الحق  
مبين يعنى بين ان أبصر ذلك فانه لا يشك ان هذه الاصنام لا تنفع ولا تضر وهذه الآية احتجاج على مشركى  
العرب باحوال ابراهيم ومحاجته لا يعبأ وقومه لانهم كانوا يعظمون ابراهيم صلى الله عليه وسلم ويعترفون  
بفضله فلا جرم ذكر الله قصة ابراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه في معرض الاحتجاج على المشركين  
**﴿** قوله عز وجل (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) معناه وكما أرى ابراهيم البصيرة  
في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الاصنام نرى ملكوت السموات والارض  
فلهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك نرى ابراهيم لانه تعالى كان أراه بعين  
البصيرة ان أباه وقومه على غير الحق فخالفهم فجزاه الله بان أراه بعد ذلك ملكوت السموات والارض  
فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهبوت والرغبوت والرجوت  
من الرهبة والرغبة والرجة وقال ابن عباس يعنى خلق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبیر  
يعنى آيات السموات والارض وذلك انه أقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسى  
وما فى السموات من العجائب وحتى رأى مكانه فى الجنة فذلك قوله وآتىناه أجره فى الدنيا يعنى أرى بناء مكانه  
فى الجنة وكشف له عن الارض حتى نظر الى أسفل الارضين ورأى ما فىهن من العجائب قال البغوى  
وروى عن سلمان ورفعه بعضهم عن على قال لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض أبصر رجلا  
على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال له تبارك  
وتعالى يا ابراهيم أنت رجل محاب الدعوة فلا تدعون على عبادى فانما أنا من عبادى على ثلاث خلال  
أما أن يتوب الى فاتوب عليه وأما أن أخرج منه نسمة تعبدنى وأما أن يبعث الى فان شئت عفوت وان  
شئت عاقبت وفى رواية وان تولى فان جهنم من ورائه قال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر  
والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار واختلف فى هذه الرؤية هل كانت بعين البصر أو  
بعين البصيرة على قولين أحدهما انها كانت بعين البصر الظاهر فشق لابراهيم السموات حتى رأى العرش  
وشق له الارض حتى رأى ما فى بطنها والقول الثانى ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لان ملكوت  
السموات والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل فبان بهذا ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة  
الا أن يقال المراد بملكوت السموات والارض نفس السموات والارض وقوله تعالى (وليكون من الموقنين)  
عطف على المعنى ومعناه وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض يستدل به وليكون من  
الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة لان الانسان فى أول الحال لا ينفك  
عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطمأنينة فى القلب وزالت

خلاف بين النسائين ان  
اسم أبيه تاريخ وهو عطف  
بيان لا يعبأ وزنه فاعل (أتخذ  
أصناما آلهة) استفهام  
نوبىخ أى أتخذها آلهة  
وهى لا تستحق الالهية (انى  
أراك وقومك فى ضلال  
مبين وكذلك) أى وكما  
أرى بناء قبح الشرك (نرى  
ابراهيم ملكوت السموات  
والارض) أى نرى بصيرته  
لطائف خلق السموات  
والارض ونرى حكاية حال  
ماضية والملكوت أبغ من  
الملك لان الواو والتاء  
تزدان للمبالغة قال مجاهد  
فرجت له السموات السبع  
فنظر الى ما فىهن حتى انتهى  
نظره الى العرش وفرجت  
له الارضون السبع حتى  
نظر الى ما فىهن (وليكون  
من الموقنين) فعلنا ذلك  
أول يستدل وليكون من  
الموقنين عيانا كما يقن بيانا

(فما جن عليه الليل) أي  
 أظلم وهو عطف على قال  
 ابراهيم لآبيه وقوله وكذلك  
 نرى ابراهيم جلة اعتراضية  
 بين المعطوف والمعطوف  
 عليه (رأى كوكبا) أي  
 الزهرة أو المشتري وكان  
 أبوه وقومه يعبدون  
 الاصنام والشمس والقمر  
 والكواكب فأراد أن  
 يذهبهم على الخطأ في دينهم  
 وأن يرشدهم إلى طريق  
 النظر والاستدلال  
 ويعرفهم أن النظر الصحيح  
 مؤد إلى أن شيئا منها ليس  
 باله لقيام دليل الحدوث  
 فيها ولأن لها محدثا أحدثها  
 ومدبراد برطلوعها وأفوطها  
 وانتقالها ومسيرها وسائر  
 أحوالها فلما رأى الكوكب  
 الذي كانوا يعبدونه (قال  
 هذا ربي) أي قال لهم  
 هذا ربي في زعمكم والمراد  
 أهذا استهزاء بهم وانكارا  
 عليهم والعرب تكثف  
 عن حرف الاستفهام  
 بنغمة الصوت والصحيح أن  
 هذا قول من ينصف  
 خصمه مع علمه أنه مبطل  
 فيحكي قوله كما هو غير  
 متعصب لمذهبه لأنه أدعى  
 إلى الحق وأنجي من  
 الشغب ثم يكر عليه بعد  
 حكايته فيبطله بالحق

الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من الموقنين جلاله الامر سره وعلا نيته فلم يخف عليه شيء من  
 أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله تعالى انك لاتستطيع هذا فرده الله كما كان قبل  
 ذلك فعنى الآية على هذا القول وكذلك أر ينه ملكوت السموات والارض ليكون ممن يوقن علم كل شيء  
 حسا وخبرا ﴿ قوله تعالى (فما جن عليه الليل) يقال جن الليل وأجن اذا أظلم وغطى كل شيء وأجنه  
 الليل وجن عليه اذا ستره بسواده (رأى كوكبا قال هذا ربي)

### ﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾

قال أهل التفسير وأصحاب الاخبار والسير ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان الملك وكان  
 نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك  
 هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك  
 في كتب الانبياء وقال السدي رأى نمرود في منامه كأن كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم  
 يبق له ما ضوء ففزع من ذلك فزعاشد يدافع السحرة والكهان وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في  
 ناحيتك في هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك وهلاك أهل دينك على يديه فامر بدمج كل غلام يولد في  
 تلك السنة ناحيته وأمر بهزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة رجال يحفظهم فاذا حاضت المرأة خلى  
 بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا طهرت من الحيض حالوا بينهم ما قالوا فرجع آزر  
 فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بابراهيم وقال محمد بن اسحق بعث نمرود إلى كل امرأة  
 حبلى بقرية فحبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحبل  
 في بطنها وقال السدي فرج نمرود بالرجال إلى العسكر وعزلهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود فكث بذلك  
 ماشاء الله ثم بدت له حاجة إلى المدينة فلم يأمن عليها أحد من قومه الا آزر فبعث إليه فاحضره عنده وقال  
 له ان لي اليك حاجة أحب أن أوصيك بها ولم أبعثك فيها الا لتقتي بك فاقسمت عليك أن لاتدنون من أهلك  
 فقال آزر أنا أشح على ديني من ذلك فاوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم قال لودخلت على  
 أهلي فنظرت اليهم فلما دخل على أم ابراهيم ونظر اليها لم يتمالك حتى واقعها فحملت من ساعتها بابراهيم  
 قال ابن عباس لما حملت أم ابراهيم قال الكهان لنمرود ان الغلام الذي أخذ برناك به قد حملت به أمه الليلة  
 فامر نمرود بدمج الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها  
 فيقتل ولدها قالوا فوضعت في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعت في حلقاء ثم رجعت فاخذت زوجها بانها  
 ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق إليه أبوه فاخذ من ذلك المكان وحفر له سربا في النهر فواراه فيه وسد  
 بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف إليه فترضعه وقال محمد بن اسحق لما وجدت أم ابراهيم الطلق  
 خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه  
 باب المغارة ثم رجعت إلى بيتها وكانت تختلف إليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص ابهامه قال أبو روق  
 قالت أم ابراهيم لانظرني إلى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع سمنا ومن  
 أصبع عسلا ومن أصبع نمر او قال محمد بن اسحق كان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت  
 غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان ابراهيم يشب في اليوم كالشهر وفي الشهر كالسنة فلم يمكث في المغارة  
 الا خمسة عشر شهرا حتى قال اخر جيني فاخرجه عشاء فنظر وتفكر في خالق السموات والارض وقال ان  
 الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني ربي الذي مالى اله غيره ونظر في السماء فرأى كوكبا قال هذا ربي  
 ثم أتبعه بصره ينظر إليه حتى غاب فلما أفل قال لأحب الأولين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي وأتبعه  
 بصره ينظر إليه حتى غاب ثم طاعت الشمس قال هكذا إلى آخره ثم رجعت به إلى آبيه آزر وقد استقامت وجهته

وعرف ربه وبرى من دين قومه الا انه لم ينادهم بذلك فلما رجعت به أمه أخبرته انه ابنه وأخبرته بما صنعت به ففسر بذلك وفرح فرحاً شديداً وقيل انه مكث في السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم وهو في السرب قال لامه من ربي قالت أنا قال فن ربي قالت أبوك قال فن ربي قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت رأيت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين أهل الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال فاناه أبوه آزر فقال ابراهيم يا ابتاه من ربي قال أمك قال فن ربي أمي قال أما قال فن ربي قال نعم ود فاطمه اطمة وقال اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر في خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذاربي ويقال انه قال لابويه أخرجاني فاخرجاه من السرب حين غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل والخيل ولغتم فسأل أباه ما هذه قال ابل وخيل وغنم فقال ابراهيم ما هذه بد من أن يكون لها اله وهو ربه او خالقها ثم نظر فاذا المشتمرى قد طلوع ويقال انها الزهرة وكانت تلك الليلة من آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فرأى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه الليل يعني ستره بظلامه رأى كوكبا قال هذاربي ثم اختلف العلماء في وقت هذه الرؤية وفي وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ أو بعده على قولين أحدهما انه كان قبل البلوغ في حال طفوليته وذلك قبل قيام الحجّة عليه فلم يكن لهذا القول لدى صدر من ابراهيم في هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما تثبت بعد البلوغ وقيل ان ابراهيم لما خرج من السرب في حال صغره ونظر الى السماء وما فيها من العجائب ونظر الى الارض وما فيها من العجائب وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر في نفسه وقال لا بد لهذا الخلق من خالق مدبر وهو الخالق ثم نظر في حال تفكره فرأى الكوكب وقد أزهق فقال هذا ربي على ما سبق الى وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل استحكام النظر في معرفة الرب سبحانه وتعالى واستدل أصحاب هذا القول على صحته بقوله ان لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجّة وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي لان الانبياء معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز أن يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الاوقات الا وهو بالله عارف وله موحد وله من كل منقصة منزّه ومن كل معبود سواه برىء وكيف يتوهم هذا على ابراهيم وقد عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأراه ملكوت السموات والارض أفبرؤية الكوكب يقول معتقدا هذاربي حاشا ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان منصبه أعلى وأشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم والقول الثاني الذي عليه جهو والمحققين ان هذه الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ ابراهيم وحين شرفه الله بالنبوة وأكرمه بالرسالة ثم اختلف أصحاب هذا القول في تأويل الآية ومعناها فذكر وافها وجوها الوجه الاول ان ابراهيم عليه السلام أراد أن يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل الامور اليها فاراهم ابراهيم انه معظم ما عظموه فلما أفل الكوكب والقمر والشمس أراهم النقص الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والافول لبثت خطأ ما كانوا يعتقدون فيها من الالهية ومثل هذا كمثل الحوارى الذي ورد على قوم كانوا يعبدون صنما فآظهر تعظيمه فآكرموه لذلك حتى صاروا يصرون عن رأيه في كثير من أمورهم الى أن دهمهم عدوا لقبيل لهم به فشاو روه في أمر هذا العدو فقال الرأى عندى أن ندعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون اليه فلم يغن شيئا فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع دعاهم الحوارى وأمرهم أن يدعوا الله عز وجل ويسألوه أن يكشف عنهم ما نزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فاسماوا جميعا الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديره هذاربي الذي تزعمون واسقاط

(فلما أفل) غاب (قال لأحب الآفلين) أي لأحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال لان ذلك من صفات الاجسام (فلما رأى القمر بازغا) مبتدأ في الطلوع (قال هذاربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لا كون (٣١) من القوم الضالين) به قومه

حرف الاستفهام كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى أفان مت فهم الخالدون يعني أفهم الخالدون والمعنى أيكون هذاربوا بدلائل النقص فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذاربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله ذق انك أنت العزيز الكريم يعني عند نفسك و بزعمك وكما أخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى انظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا يريد الهك بزعمك الوجه الرابع ان في هذه الآية اضممارا تقديره يقولون هذاربي و اضممار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت واسم ميلر بنا تقبله نأى يقولان ر بنا تقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال في حقه وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل والفاء تقتضي التعقيب فدل هذا ان هذه الواقعة كانت بعد ان اراه الله ملكوت السموات والارض و بعد الايقان ومن كان معه بهذه المنزلة العالية الشريفة لا يابق بحاله ان يعبد الكواكب ويتخذها ربا فاما الجواب عن قوله لئن لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين فان الانبياء عليهم السلام لم يزلوا يسألون الله التثبيت ومنه قوله واجنبنى و بنى أن نعبد الاصنام وأما قوله تعالى (فلما أفل) يعني غاب والافول غيبة النيرات (قال) يعني ابراهيم (لأحب الآفلين) يعني لأحب ربا يغيب ويطلع لان أمارات الحدوث فيه ظاهرة ﴿ قوله تعالى (فلما رأى القمر بازغا) يعني طالعا منتشرا الضوء (قال هذاربي) معناه ما تقدم من الكلام في الكوكب (فلما أفل) يعني غاب (قال لئن لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين) يعني ان لم يثبتني ربي على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبياء لم يزلوا على الهداية من أول الفطرة وفي الآية دليل على أن الهداية من الله تعالى لان ابراهيم أضاف الهداية لله تعالى (فلما رأى الشمس بازغة) يعني طاعة (قال هذا ربي) يعني هذا الطالع وأنه أشار الى الضياء والنور لانه رأى الشمس أضوا من الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لان تأنيت انشمس غير حقيقي فلها أتى بلفظ التذكير (هذا كبر) يعني من الكوكب والقمر (فلما أفلت) يعني فلما غابت الشمس (قال يا قوم اني بريء مما تشركون) يعني انه لما أثبت ابراهيم عليه السلام بالدليل القطعي ان هذه النجوم ليست بألهة ولا تصلح للربوبية تبرأ منها وأظهر لقومه انه بريء مما يشركون ولما أظهر خلاف قومه وتبرأ من شركهم أظهر ما هو عليه من الدين الحق فقال (اني وجهت وجهي) يعني اني صرفت وجه عبادتي وقصرت توحيدى (للذى فطر السموات والارض) يعني للذى خلقهما وابتدعهما (حنيفا) يعني ما نال عن عبادة كل شئ سوى الله تعالى وأصل الحنף الميل وهو ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذى يستقبل الكعبة في صلاته (وما أنا من المشركين) تبرأ من الشرك الذى كان عليه قومه ﴿ قوله عز وجل (وحاجه قومه) يعني وخاصة قومه وذلك لما أظهر ابراهيم عليه السلام عيب آلهتهم التي كانوا يعبدونها وأظهر التوحيد لله عز وجل خاصة قومه وجادلوه في ذلك فقال أتحتاجونى في الله يعني أتجادلوننى في توحيدى لله وقد هدانى وقد تبين لى طريق الهداية الى توحيدى ومعرفة وقال البغوى لما رجع ابراهيم الى أبيه وصار من الشباب بحالة تسقط عنه طمع الذابحين وضمه آزر الى نفسه جعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب ابراهيم وينادى من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارتعابه ذهب بها الى نهر فصب فيه رؤسها وقال اشربي استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه وأهل قريته حاجه قومه يعني خاصة وجادله قومه في دينه (قال) يعني ابراهيم (أتحتاجونى في الله وقد هدانى) يعني الى توحيدى ومعرفة (ولا

على ان من اتخذ القمر الها فهو ضال وانما احتج عليهم بالافول دون البروز وكلاهما انتقال من حال الى حال لان الاحتجاج به أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب (فلما رأى الشمس بازغة قال هذاربي) وانما ذكره لانه أراد الطالع اولانه جعل المبتدأ مثل الخير لانهما شئ واحد معنى وفيه صيانة الرب عن شبهة التأنيت ولهذا قالوا في صفات الله تعالى علام ولم يبقوا لواعلامه وان كان الثانى أبلغ نقاديا من علامة التأنيت (هذا كبر) من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه (فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون) من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فكاه الله تعالى والاول أظهر لقوله يا قوم اني بريء مما تشركون (اني وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض) أى للذى دات هذه المحدثات على انه منشأها (حنيفا) حال أى ما نال عن الاديان كلها الا الاسلام (وما أنا من المشركين) بالله

شيان خلقه (وحاجه قومه) في توحيد الله تعالى ونفى الشركاء عنه (قال أتحتاجونى في الله) في توحيدى مدنى وابن ذكوان (وقد هدانى) الى التوحيد وبالبياء فى الوصل أبو عمرو وولما خوفوه أن معبودتهم تصيبه بسوء قال (ولا

أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً) أي لا أخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي أن يصيبني منها بضر فهو قادر

(٣٢)

أخاف ما تشركون به) وذلك انهم قالوا له احذر الاصنام فاننا نخاف أن تمسك بنجيل أو جنون لعيبك اياها فاجابهم بقوله ولا أخاف ما تشركون به فانها جادات لا تضر ولا تنفع وانما يكون الخوف من يقدر على النفع والضرر وهو قوله (الأن يشاء ربي شيئاً) يعني لكن ان يشار ربي شيئاً كان ما يشاء لانه قادر على النفع والضرر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه في بعض حالاته وأيام عمره ما يكرهه فلا واصله مكرهه نسبه الى الاصنام فنفي هذه الشبهة بقوله إلا أن يشاء ربي شيئاً وهذا الاستثناء منقطع وليس هو من الاول في شيء والمعنى ولكن ان شاء ربي شيئاً كان (وسمع ربي كل شيء علماً) يعني أحاط علمه بكل شيء فلا يخرج شيء عن علمه (أفلاتنكرون) يعني أفلاتعتبرون أن هذه الاصنام جادات لا تضر ولا تنفع وان النافع الضار هو الذي خلق السموات والارض ومن فيهما (وكيف أخاف ما أشركتم) يعني وكيف أخاف الاصنام التي أشركتم بها لانها جادات لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع (ولانتخفون أنكم أشركتم بالله) يعني وأنتم لاتخفون وقد أشركتم بالله وهو من أعظم الذنوب (مالم ينزل به عليكم سلطاناً) يعني مالم ينزل عليكم سلطاناً وبرهان (فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون) يعني يقول من أولى بالامن من العذاب في يوم القيامة الموحداً والمشرك (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) وهذا فصل قضاء الله بين ابراهيم وبين قومه يعني ان الذين يستحقون الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقيل هو من تمام كلام ابراهيم في الحاجة لقومه والمعنى ان الذين يحصل لهم الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا يعني آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئاً ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشرك (ق) عن ابن مسعود قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا أينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك ألم تسمعون قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي رواية ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه وذكره وقيل في معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشيء من معاني الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهى الله عنه أو يترك ما أمر الله به فعلى هذا القول تكون الآية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معاني الظلم دون غيره والصحيح أن الظلم المذكور في هذه الآية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك وفي الآية دليل على أن من مات لا يشرك بالله شيئاً كانت عاقبته الامن من النار لقوله (أولئك) يعني الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم (لهم الامن) يوم القيامة من عذاب النار (وهم مهتدون) يعني الى سبيل الرشاد وقوله تعالى (ونلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) يعني ماجرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لبراهيم اننا نخاف عليك من آلهتنا لسببك اياها قال أفلاتنخفون أنتم منها اذ سو يتم بين الصغير والكبير في العبادة أن يغضب الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال أى الفريقين أحق بالامن من يعبد الها واحداً مخلصاً للدين والعبادة أم من يعبد آرباباً كثيرة فقالوا من يعبد الها واحداً ففضوا على أنفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم عليهم (نرفع درجات من نشاء) يعني بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى الى حجة قومه وقيل نرفع درجات من نشاء في الدنيا بالنبوة والعلم والحكمة وفي الآخرة بالثواب على الاعمال الصالحة (ان ربك حكيم عليم) يعني أنه تعالى حكيم في جميع أفعاله عليم بجميع أحوال خلقه لا يفعل شيئاً الا بحكمة وعلم وقوله عز وجل (ووهبنا له اسحق ويعقوب) لما أظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغاب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلائل الصحيحة التي فهمه الله تعالى اياها وهداه اليها عند الله

فلا يصيب عبداً شيئاً من ضرر أو نفع الا بعلمه (أفلاتنكرون) فتتميزوا بين القادر والعاجز (وكيف أخاف ما أشركتم) أخاف ما أشركتم معبوداتكم وهي ماؤونة الخوف (ولانتخفون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به) باشرأكه (عليكم سلطاناً) حجة اذا الاشرأك لا يصح أن يكون عليه حجة والمعنى ومالككم تنكرون على الامن في موضع الامن ولانتنكرون على أنفسكم الامن في موضع الخوف (فأى الفريقين) أى فريقى الموحدين والمشركين (أحق بالامن) من العذاب (ان كنتم تعلمون) ولم يقل فإنا احترازاً من تزكية نفسه ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) بشرى عن الصديق رضى الله عنه (أولئك لهم الامن وهم مهتدون) ثم كلام ابراهيم عليه السلام (ونلك حجتنا) اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى وهم مهتدون (آتيناها ابراهيم على قومه) وهو

نعمه

خبر بعد خبر (نرفع درجات من نشاء) في العلم والحكمة وبالتنوين كوفي وفيه نقض قول المعتزلة في الاصطلاح (ان ربك حكيم) بالرفع (عليم) بالاهل (ووهبنا له) لبراهيم (اسحق ويعقوب)



نعمه عاياه واحسانه اليه بان رفع درجاته في علمين وأتى النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له  
 يعني لآبراهيم اسحق يعني ابنا لصلبه و يعقوب يعني ابن اسحق وهو ولد الولد (كلا هدينا) يعني هدينا جميعهم  
 الى سبيل الرشاد ووفقناهم الى طريق الحق والصواب (ونوحا هدينا من قبل) يعني من قبل ابراهيم ارشدنا  
 نوحا ووفقناه للحق والصواب ومننا عليه بالهداية (ومن ذريته) اختانقوا في هذا الضمير الى من يرجع  
 فقيل يرجع الى ابراهيم يعني ومن ذرية ابراهيم (داود وسليمان) وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور  
 المفسرين لان الضمير يرجع الى أقرب مذكور ولان الله ذكر في جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن أخي  
 ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا ان هاهنا الكناية ترجع الى نوح وقال الزجاج كلا القولين جائز لان  
 ذكرهما جميعا قد جرى وداود هو ابن يثا وكان من آتاه الله الملك والنبوة وكذلك سليمان بن داود (وأيوب)  
 هو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم (ويوسف) هو ابن يعقوب بن  
 اسحق بن ابراهيم (وموسى) هو ابن عمران بن بصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب (وهرون) هو أخو  
 موسى وكان أكبر منه بسنة (وكذلك نجزي المحسنين) يعني وكما جزينا ابراهيم على توحيدده وصبره على أذى  
 قومه كذلك نجزي المحسنين على احسانهم (وزكريا) هو ابن آذن بن بركا (ويحيى) هو ابن زكريا  
 (وعيسى) هو ابن مريم بنت عمران (والياس) قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل  
 وقال محمد بن اسحق هو الياس بن سنان بن قنص بن العيزار بن هرون بن عمران وهذا هو الصحيح لان  
 أصحاب الانساب يقولون ان ادريس جد نوح لان نوحا بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس  
 ولان الله تعالى نسب الياس في هذه الآية الى نوح وجهه من ذريته (كل من الصالحين) يعني أن كل من  
 ذكرنا وسمينا من الصالحين (واسماعيل) هو ابن ابراهيم وانما أخذ كره الى هنا لانه ذكر اسحق وذكر  
 أولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب أخذ كره اسمعيل الى هنا (واليسع) هو ابن أخطوب بن  
 الجوز (ويونس) هو ابن متى (ولوطا) هو ابن أخي ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) يعني على عالمي  
 زمانهم ويستدل بهذه الآية من يقول ان الانبياء أفضل من الملائكة لان العالم اسم لكل موجود سوى الله  
 تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضى أن الانبياء أفضل من الملائكة واعلم أن الله تعالى ذكر هنا ثمانية عشر نبيا  
 من الانبياء عليهم السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل لان الواو لا تقتضى الترتيب ولكن  
 هنا طيفة أوجبت هذا الترتيب وهي أن الله تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء عليهم السلام بنوع من  
 الكرامة والفضل فذكر أولاد نوحا و ابراهيم واسحق و يعقوب لانهم أصول الانبياء واليهم ترجع أنسابهم  
 جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد أعطى الله داود وسليمان من ذلك حظا  
 وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والمحن والشدائد وقد خص الله بهذه أيوب عليه السلام ثم عطف  
 على هاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عاياه السلام فانه صبر على البلاء والشدة الى أن أعطاه الله  
 ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة في تفضيل الانبياء عليهم السلام كثرة المعجزات وقوة البراهين وقد  
 خص الله تعالى موسى وهرون من ذلك بالخط الوافر ثم من المراتب المعتبرة الزهد في الدنيا والاعراض عنها  
 وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين  
 ثم ذكر الله من بعده هؤلاء الانبياء من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسمعيل واليسع ويونس و لوط فاذا اعتبرنا  
 هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من أحسن شيء يذكر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه  
 قوله تعالى (ومن آباؤهم) يعني ومن آباء الذين سميناهم ومن هذا التبعيض لان من آباء بعضهم من لم يكن  
 مسلما (وذرياتهم) يعني ومن ذرياتهم أي بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم  
 من هو كافر كان نوح (واخوانهم) يعني ومن اخوانهم والمعنى ان الله تعالى وفقى من آباء المذكورين ومن  
 واخوانهم

كلا هدينا) أي كاهن  
 واتصبا كلا هدينا (ونوحا  
 هدينا) أي وهدينا ونوحا  
 (من قبل) من قبل ابراهيم  
 (ومن ذريته) الضمير  
 انوح أو ابراهيم والاول  
 أظهر لان يونس و لوطا لم  
 يكونا من ذرية ابراهيم  
 (داود وسليمان أو أيوب  
 ويوسف وموسى وهرون)  
 والتقدير وهدينا من  
 ذريته هؤلاء (وكذلك  
 نجزي المحسنين) ونجزي  
 المحسنين جزاء مثل ذلك  
 فالكاف في موضع نصب  
 نعت لمصدر محذوف  
 (وزكريا ويحيى وعيسى  
 والياس كل) أي كاهن (من  
 الصالحين) وذكري عيسى  
 معهم دليل على ان النسب  
 يثبت من قبل الام أيضا  
 لانه جعله من ذرية نوح  
 عليه السلام وهو لا يتصل  
 به الا بالام وبذا أوجب  
 الحجاج حين أنكر أن  
 يكون بنو فاطمة أولاد  
 النبي عليه السلام  
 (واسماعيل واليسع) واليسع  
 حيث كان بلامين حزة  
 وعلى (ويونس و لوطا وكلا  
 فضلنا على العالمين)  
 بالنبوة والرسالة (ومن  
 آباؤهم) في موضع نصب  
 عطف على كلا أي وفضلنا  
 بعض آباؤهم (وذرياتهم  
 واخوانهم)

واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك) أي ما دان به هؤلاء المذكورون (هدى الله) دين الله (يهدي به من يشاء من عباده) فيه نقض قول المعزلة لانهم

(٣٤)

وتقدمهم ومارفع لهم من الدرجات العلى (لحبط عنهم ما كانوا يعملون) لبطلت أعمالهم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) يريد الجنس (والحكم) والحكمة أفهم الكتاب (والنبوة) وهي أعلى مراتب البشر (فان يكفربها) بالكتاب والحكم والنبوة أو بآيات القرآن (هؤلاء) أي أهل مكة (فقد وكلناهم قوما) هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أو أصحاب النبي عليه السلام أو كل من آمن به أو الجمع ومعنى توكلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهد به ويحافظ عليه والباء في (ليسوا بها) صلة كافرين وفي (بكافرين) لتأكيد النبي (أولئك الذين هدى الله) أي الانبياء الذين مر ذكرهم (فبهداهم اقتده) فاخص هداهم بالافتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد

اخوانهم وذرياتهم للهداية وخالص الدين وهو قوله تعالى (واجتبيناهم) يعني اخترناهم واصطفيناهم (وهديناهم) يعني وأرشدناهم (الى صراط مستقيم) أي الى دين الحق (ذلك هدى الله) قال ابن عباس ذلك دين الله الذي كان عليه هؤلاء الانبياء وقيل المراد يهدي الله معرفة الله وتنزيهه عن الشركاء والاضداد والانداد (يهدي به من يشاء من عباده) يعني يوفق من يشاء من عباده ويرشده الى دينه وطاعته وخلع الاضداد والشركاء (ولو أشركوا) يعني هؤلاء الذين سميناهم (لحبط) يعني لبطل وذهب (عنهم ما كانوا يعملون) من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيئاً ﴿ قوله عز وجل ( أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) يعني أولئك الذين سميناهم من الانبياء أعطيناهم الكتب التي أنزلناها عليهم وآتيناهم العلم والفهم وشرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوة وان كانت النبوة هي الاصل لان منصب النبوة أشرف المراتب والمناصب فذكر أول الكتاب والحكم لانهما يدلان على النبوة (فان يكفربها هؤلاء) يعني فان يكفربها هؤلاء (يعني فان يكفربها هؤلاء) يعني فان يكفربها هؤلاء (فقد وكلناهم قوما ليسوا بها بكافرين) قال ابن عباس هم الانصار وأهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال رجاء العطاردي هم الملائكة وفيه بعد لان اسم القوم لا ينطلق الا على بني آدم وقيل هم الفرس قال ابن زيد كل من لم يكفربهم سواء كان ملكاً أو نبياً أو من الصحابة أو التابعين وفي الآية دليل على أن الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ويقوى دينه ويجعله عالياً على الاديان كلها وقد جعل ذلك فهو اخبار عن الغيب ﴿ قوله تعالى ( أولئك الذين هدى الله) يعني النبيين الذين تقدم ذكرهم لانهم هم المخصوصون بالهداية (فبهداهم اقتده) إشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني بشرائعهم وسننهم اعمال وأصل الافتداء في اللغة طلب موافقة الثاني للاول في فعله وقيل أمره أن يقتدى بهم في أمر الدين الذي أمرهم أن يجمعوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن جميع النقائص التي لا تليق بجلاله في الاسماء والصفات والافعال وقيل أمره الله أن يقتدى بهم في جميع الاخلاق الحيدة والافعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على أذى السفهاء والعمو عنهم وقيل أمره أن يقتدى بشرائعهم الا ما خصه دليل آخر فعلى هذا القول يكون في الآية دليل على أن شرع من قبلنا شرع لنا

﴿ فصل ﴾ احتج العلماء بهذه الآية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبيانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال على أذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم و بذل ومجاهدة في الله عز وجل وكان اسحق ويعقوب من أصحاب الصبر على البلاء والمحن وكان داود عليه السلام وسليمان من أصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم اعمالوا آل داود شكراً وكان أيوب صاحب صبر على البلاء قال الله فيه انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أتى وكان يوسف قد جمع بين الخالتين يعني الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزة الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد في الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع واخبات ثم ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بهم وجمع له جميع الخصال المحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان أنه صلى الله عليه وسلم كان أفضل الانبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرقة في جميعهم والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً) يعني قل يا محمد

لا

بهداهم طريقهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهي مختلفة

والهاء في اقتده للوقف نسقط في الوصل واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء في المصحف وبخذفها جزء وعلى في الوصل وبختلسها شامى (قل لا أسألكم عليه) على الوحي أو على تبليغ الرسالة والبعث الى التوحيد (أجراً) جزء لا وفيه دليل على أن أخذ الاجر على تعليم القرآن

لا أطلب على تبليغ الرسالة جعلاً قيل لما أمره الله تعالى بالافتداء بالنبيين وكان من جملة هداهم عدم طلب  
 الاجر على إيصال الدين وإبلاغ الشريعة لا جرم اقتدى بهم فقال لأسألكم عليه أجزا (ان هو) يعني ما هو يعني  
 القرآن (الاذكري للعالمين) يعني أن القرآن موعظة وذكرى لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على أنه  
 صلى الله عليه وسلم كان مبعوثاً إلى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عممت جميع الخلائق ﴿قوله عز  
 وجل﴾ وما قدر والله حق قدره قال ابن عباس معناه ما عظموا الله حق عظمتة وعنه أن معناه ما آمنوا أن  
 الله على كل شيء قدير وقال أبو العالية ما وصفوا الله حق صفته وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته يقال  
 قدر الشيء اذا خزره وسيره وأراد أن يعلم مقداره يقال قدره يقدره بالضم قدرته يقال لمن عرف شيئاً هو  
 يقدر قدره واذالم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله وما قدروا الله حق قدره يصح فيه جميع الوجوه  
 المذكورة في معناه (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) يعني الذين قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ما قدروا  
 الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلماء  
 فيمن نزلت هذه الآية على قولين أحدهما أنها نزلت في كفار قريش وعلى هذا قول من يقول ان جميع هذه  
 السورة مكية وهو قول السدي و يروى ذلك عن مجاهد وصححه الطبري قال لان من أول السورة الى هذا  
 الموضع هو خبر عن المشركين من عبدة الاصنام وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولاً بذلك غير مفصول  
 عنه فلا يكون قوله اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء خبراً عن غيرهم وأورد في الرازي على هذا القول  
 اشكالا وهو أن كفار قريش ينكرون نبوة جميع الانبياء فكيف يمكن الزامهم بنبوة موسى وأيضاً ما بعد  
 هذه الآية لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود وأجاب عنه بان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود  
 وقد سمعوا منهم أن موسى جاءهم بالتوراة وبالمجرات الباهرات وانما أنكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله  
 عليه وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وأجاب عن كون سياق الآية لا يليق  
 إلا بحال اليهود بان كفار قريش واليهود لما كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يبعد  
 ان بعض الآية يكون خطاباً لكفار قريش وبه ضحاها خطاباً لليهود وأقول الثاني في سبب نزول هذه الآية  
 وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الآية نزلت بالمدينة وامه من  
 الآيات المدنية التي في السور المكية قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الاست آيات منها قوله وما قدروا  
 الله حق قدره فانها نزلت بالمدينة ثم اختلف القائلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه الآية فيه فقال سعيد  
 ابن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله  
 عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجدي في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين وكان حبراً  
 سميناً فغضب وقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال أصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله  
 ما أنزل الله على بشر من شيء فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل  
 الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس الآية قال البغوي وفي القصة أن مالك بن الصيف لما سمعت  
 اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت ما أنزل الله على بشر من شيء  
 فقال مالك بن الصيف أغضبتني محمد فقلت ذلك فقالوا له وأنت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعه  
 عن الخبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدي نزلت هذه الآية في فنحاص بن عازوراء اليهودي  
 وهو القائل هذه المقالة وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد أنزل الله عليك كتاباً قال نعم فقالوا والله ما أنزل  
 الله من السماء كتاباً فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل  
 الكتاب الذي جاء به موسى الآية وقال محمد بن كعب القرظي جاء ناس من يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم  
 وهو محتب فقوا يا أبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله فانزل

ورواية الحديث لا يجوز  
 (ان هو الاذكري للعالمين)  
 ما القرآن الاعطية للجن  
 والانس (وما قدروا الله  
 حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله  
 على بشر من شيء) أي ما  
 عرفوه حق معرفته في  
 الرحمة على عباده حين  
 أنكروا بعثة الرسل  
 والوحى اليهم وذلك من  
 أعظم رحمة وما أرسلناك  
 الا رحمة للعالمين روى أن  
 جماعة من اليهود منهم  
 مالك بن الصيف كانوا  
 يجادلون النبي عليه السلام  
 فقال النبي عليه السلام له  
 أليس في التوراة أن الله  
 يبغض الحبر السمين قال نعم  
 قال فانت الحبر السمين  
 فغضب وقال ما أنزل الله  
 على بشر من شيء وحق  
 قدره منصوب نصب المصدر

قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) مما فيه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والاختفاء بالياء في الثلاثة مكى وأبو عمرو (وعلمتم) يا أهل الكتاب بالكتاب (مالم تعلموا أتم ولا آباؤكم) من أمور دينكم ودينياكم (قل الله) جواب أي أنزله الله فأمهم لا يقدر أن يناكروك (ثم ذرهم في خوضهم) في باطلهم الذي يخوضون فيه (يلعبون) حال من ذرهم أو من خوضهم (وهذا كتاب أنزلناه) على نبينا عليه السلام (مبارك) كثير المنافع والفوائد (مصدق الذي بين يديه) من الكتب (ولتنذر) وبالياء أبو بكر أي الكتاب وهو معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات ونصديق ما تقدمه من الكتب والانداد (أم القرى) مكة وسميت أم القرى لأنها مرة الأرض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأنًا ولأن الناس يؤمنونها (ومن حولها) أهل الشرق والغرب

الله يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء الآية التي في سورة النساء فلما أحدثهم بأعمالهم الخبيثة جنارجل منهم وقال ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئا فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء وأورد الرازي على هذا القول اشكالا أيضا وهو أنه قال ان اليهود مقررون بانزال التوراة على موسى فكيف يقولون ما أنزل الله على بشر من شيء مع اعترافهم بانزال التوراه ولم يجب عن هذا الاشكال بشيء وأجيب عنه بان سراد اليهود انكار انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الزموا بما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى فقال تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) أي قل يا محمد هؤلاء اليهود الذين أنكروا انزال القرآن عليك بقولهم ما أنزل الله على بشر من شيء من أنزل التوراة على موسى وفي هذا الالزام تو بيخ لليهود بسوء جهلهم واقدامهم على انكار الحق الذي لا ينكر (نورا وهدي للناس) يعني التوراة ضياء من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل أن تبدل وتغير (يجعلونه قراطيس) يكتبونه في قراطيس مقطعة (يبدونها) يعني القراطيس المكتوبة (ويخفون كثيرا) يعني ويخفون كثيرا كما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في التوراة وما أخفوه أيضا آية الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التوراة (وعلمتم مالم تعلموا أتم ولا آباؤكم) أكثر المفسرين على أن هذا خطاب لليهود ومعناه انكم علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مالم تعلموا أتم ولا آباؤكم من قبل قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين يذكروهم النعمة فيما علمهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل الله) هذا راجع الى قوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فان آباؤك يا محمد والافقل أنت الله الذي أنزله (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) يعني دعهم يا محمد فيما هم فيه يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله ومعنى يلعبون يستمزقون ويسسخرون وقيل معناه يا محمد انك اذا أقت الحجة عليهم وبلغت في الاعداء والانداد هذا المبالغ العظيم فينتنل ببق عليك من أمرهم شيء فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للشركيين وقال بعضهم هذا منسوخ بآية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل التهديد والوعيد قوله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) يعني وهذا القرآن كتاب أنزلناه من عندنا عليك يا محمد كثيرا خيرا وباركة دائم النفع يبشر المؤمنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية وأصل البركة النماء والزيادة وثبوت الخير (مصدق الذي بين يديه) يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء على الانبياء يعني انه موافق لما في التوراة والانجيل وسائر الكتب لانها اشتملت جميعها على التوحيد والتنزيه لله من كل عيب وتقيسة وتدل على البشارة والندارة فثبت بذلك كون القرآن مصدقا لجميع الكتب المنزلة (ولتنذر) قرى بالياء يعني وتنذر يا محمد وبالياء ومعناه ولينذر الكتاب (أم القرى) يعني مكة وفيه حذف تقديره ولتنذر أهل أم القرى وسميت مكة أم القرى لان الأرض دحيت من تحتها قاله ابن عباس وقيل لانها أقدم القرى وأعظمها بركة وقيل لانها قبلة أهل الأرض (ومن حولها) يعني جميع البلاد والقرى التي حولها شرقا وغربا (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) يعني والذين يصدقون بقيام الساعة وبالبعث بعد الموت يصدقون بهذا الكتاب وانه منزل من عند الله عز وجل وقيل يصدقون ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ان الذي يؤمن بالآخرة يؤمن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومن كان كذلك فانه يرغب في تحصيل الثواب ودرء العقاب عنه وذلك لا يحصل الا بالنظر التام فاذا نظر وتفكر علم بالضرورة ان دين محمد أشرف الاديان وشريعته أعظم الشرائع (وهم على صلاتهم يحافظون) يعني يداومون عليها في أوقاتها والمعنى ان الإيمان بالآخرة يحمل على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك

يحمل على المحافظة على الصلاة وفائدة تخصيص الصلاة بالذكرك دون سائر العبادات التنبيه على أنها أشرف العبادات بعد الإيمان بالله تعالى فإذا حافظ العبد عليها يكتون محافظا على جميع العبادات والطاعات **قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا)** يعني ومن أعظم خطأ وأجهل فعلا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا وهو في زعمه كذاب مبطل (أوقال أوحى الى ولم يوح اليه شيء) قال قتادة نزات هذه الآية في مسيلمة الكذاب ابن عمامة وقيل مسيلمة بن حبيب من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وسجع ادعى النبوة باليمن وزعم ان الله أوحى اليه وكان قد أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهدان أن مسيلمة نبي قال نعم فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم إذ أتيت خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبر اعلى وأهمني فأوحى الى أن أنفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة وفي لفظ الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت في المنام كان في يدي سوارين فاولتهما كذابين يخرجان من بعدي يقال لاحدهما مسيلمة صاحب اليمامة والعنسي صاحب صنعاء قوله فأوحى الى ان أنفخهما يروى بالخاء المهملة ومعناه الرمي والدفع من نفخت الدابة برجلها اذا دفعت ورحت و يروى بالخاء المعجمة من النفخ بريدانه نفخهما فطارا عنه وهو قريش من الاول فاما مسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة من اليمن وتبعه قومه من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات فاغترق قومه بذلك وقتل مسيلمة الكذاب في زمن خلافة أبي بكر الصديق قتله وحشى قاتل حمزة بن عبدالمطلب وكان وحشى يقول قتلت خير الناس يعني حمزة وقتلت شر الناس يعني مسيلمة وأما الاسود العنسي بالنون فهو عبهلة بن كعب وكان يقال له ذوالخمار ادعى النبوة باليمن في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقتل والنبي صلى الله عليه وسلم لم يمت وذلك قبل موته بيومين وأخبر أصحابه بقتله وقتله فيروز الديلمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم فاز فيروز يعني بقتله الاسود العنسي فن قال ان هذه الآية يعني قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا وأوقال أوحى الى ولم يوح اليه شيء أنزات في مسيلمة الكذاب والاسود العنسي يقول ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة وهو قول لبعض علماء التفسير تقدم ذكره في اول السورة ومن قال ان هذه الآية مكية وقال انها نزلت في شأنهم ما يقول انها خبر عن عيب قد ظهر ذلك فيما بعد والله أعلم **قوله تعالى (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله)** اليك قال السدي نزات في عبد الله بن أبي سرح القرشي وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان اذا أملى عليه سمى عاصيرا كتب عليها حديما واذا أملى عليه عليها حكما كتب غفور ارحيما فلما نزلت ولقد خلقنا لانسان من سلالة من طين أملاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحجب عبد الله من تفصيل خالق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد الله بن أبي سرح وقال لئن كان محمد صادقا فقرأ أوحى الى مثل ما أوحى اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك الى الاسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران وقال ابن عباس نزل قوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله في المسنة بين وهو جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لانه لا يمنع خصوص السبب من عموم الحكم (ولو ترى اذا الظالمون في غمرات الموت) يعني ولو ترى يا محمد حال هؤلاء الظالمين اذا نزل بهم الموت لرأيت أمرا عظيما وغمراته شدائده وسكراته وغمرته كل شيء معظمه وأصلها الشيء الذي يغمر الاشياء فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدة والموكارة (والملائكة باسطوا أيديهم) يعني بالعذاب يضربون وجوههم وأدبارهم وقيل باسطوا أيديهم قبض أرواحهم (أخرجوا أنفسكم) يعني يقولون لهم أخرجوا أنفسكم فان قلت

يحافظ على اخواتها ظاهرا (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) هو مالك بن الصيف (أوقال أوحى الى ولم يوح اليه شيء) هو مسيلمة الكذاب ومن قال في موضع جر عطف على من افترى أي ومن قال (سأنزل مثل ما أنزل الله) أي سأقول وأملى هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح كاتب الوحي وقد أملى النبي عليه السلام عليه واقعد خلقنا الانسان الى خلقنا آخر فخرى على لسانه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزات فشك وقال ان كان محمد صادقا فقد أوحى الى كما أوحى اليه وان كان كاذبا فقد قلت كما قال فارتد ولحق بمكة أو النصر ابن الحارث كان يقول والطاحنات طحننا فالعاجنات عجنا فالخابرات خبرا كانه يعارض (ولو ترى) جوابه محذوف أي لرأيت أمرا عظيما (اذا الظالمون) يريد الذين ذكرهم من اليهود والمنبيته فنكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجفيس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله (في غمرات الموت) شدائده وسكراته (والملائكة باسطوا أيديهم) أي يبسطون

انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فيها فائدة هذا الكلام قلت معناه يقولون لهم أخرجوا أنفسكم  
كرها لان المؤمن يحب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلصوا أنفسكم من هذا العذاب  
ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لانهم لا يقدرون على خلاص أنفسهم من العذاب في ذلك  
الوقت (اليوم تجزون عذاب الهون) يعني الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) يعني ذلك العذاب  
الذي تجزونه بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) يعني وبسبب ما كنتم  
تتعظمون عن الايمان بالقرآن ولان صدق قوله ﴿قوله تعالى (واقد جثتمونا فرادى) يعني وحدانا لا مال  
معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم وهذا خبر من الله عز وجل عن حال الكافرين يوم القيامة وكيف يحشرون  
اليه وماذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله لا كافرين ولقد جثتمونا فرادى تقر يع وتو بيخ لهم لانهم  
صرفوا همهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه وأفنوا أعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل  
ذلك شيئا في يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا (كما خلقناكم أول مرة) يعني جثتمونا حفاة  
عراة غرلا يعني قلفا كما ولدتهم أمهاتهم في أول مرة في الدنيا لا شيء عليهم ولا معهم (ق) عن ابن عباس قال قام  
فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا  
أول خلق نعيده وعداء علينا انا كنا فاعلين (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول  
تحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامراء شد  
من أن يهمهم ذلك روى الطبري بسنده عن عائشة انها قرأت قول الله عز وجل ولقد جثتمونا فرادى كما  
خلقناكم أول مرة فقالت يا رسول الله واسوأنا ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى  
سواة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء  
ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض ﴿وقوله تعالى (وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) يعني وتركتم  
الذي أعطيناكم وملكناكم من الاموال والاولاد والخدم والخول وكل ما أعطى الله العبد خوله فيه من المال  
والعبيد وراء ظهوركم يعني في الدنيا (وما ترى معكم شفعاؤكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) يعني ان المشركين  
زعموا انهم انما عبدوا هذه الاصنام لانها تشفع لهم عند الله يوم القيامة لانها شركاء الله تعالى الله عن ذلك  
فاذا كان يوم القيامة وجح الله المشركين وقرعهم بهذه الآية ثم قال تعالى (لقد تقطع بينكم) قرىء بنصب  
النون من بينكم ومعناه لقد تقطع ما بينكم من الوصل أو يكون معناه لقد تقطع الامر بينكم وقرىء  
بينكم برفع النون ومعناه لقد تقطع وصلكم والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا (وضل  
عنكم ما كنتم تزعمون) يعني وذهب وبطل ما كنتم تكذبون في الدنيا ﴿قوله عز وجل (ان الله فالحق الحب  
والنوى) لما تقدم الكلام على تقرير التوحيد وتقرير النبوة أردفه بذكر الدلائل الدالة على كمال قدرته  
وعلمه وحكمته تنبيهاً بذلك على أن المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وأفعاله وانه  
مبدع الاشياء وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها  
وتعريفاً منه خطأ ما كانوا عليه من الاشرار الذي كانوا عليه والمعنى ان الذي يستحق العبادة دون غيره هو  
الله الذي فلق الحب عن النبات والنواة عن النخلة وفي معنى فلق قولان أحدهما انه بمعنى خاق ومعنى  
الآية على هذا القول ان الله خالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك  
ومقاتل قال الواحدى ذهبوا بالفلق مذهب فاطروا أنكر الطبري هذا القول وقال لا يعرف في كلام العرب  
فلق الله الشيء بمعنى خاق ونقل الازهرى عن الزجاج جواز فلق وقيل الفلق الخلق واذا تأملت الخلق تبين  
لك أن أكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشياء كانت قبل الوجود في العدم فلما أوجدها  
الله تعالى وأخرجها من العدم الى الوجود فكأنه فلقها وأظهرها والقول الثاني وهو قول اكثر من ان

وامهال (اليوم تجزون عذاب الهون) أرادوا وقت الامانة وما يعذبون به من شدة النزاع والهون الهوان الشديد واطافة العذاب اليه كهولك رجل سوء يريد العرافة في الهوان والتمكن فيه (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) من أن له شريكا وصاحبة وولدا وغير الحق مفعول تقولون أو وصف لمصدر محذوف أى قولاً غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تؤمنون بها (ولقد جثتمونا) للحساب والجزاء (فرادى) منفردين بلا مال ولا معين وهو جمع فريد كاسير وأسارى (كما خلقناكم) فى محل النصب صفة لمصدر جثتمونا أى مجيئاً مثل ما خلقناكم (أول مرة) على الهيات التي ولدتم عليها فى الانفرد (وتركتم ما خولناكم) ملكناكم (وراء ظهوركم) ولم تحتسبوا منه تقيرا (وما ترى معكم شفعاؤكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) فى استعبادكم (لقد تقطع بينكم) وصلكم عن الزجاج والبين الوصل والهجرا قال فوالله لولا البين لم يكن الهوى \* ولولا الهوى ما حن للبين آلف بينكم مدنى وعلى وحفص أى وقع التقطع بينكم (وضل عنكم) وضاع وبطل (ما كنتم تزعمون) انها شفعاؤكم عند الله (ان الله فالحق الحب والنوى)

الذين في النواة والخنطة  
(يخرج الحى من الميت)  
النبات الغض النامي من  
الحب اليابس (ويخرج  
الميت من الحى) الحب  
اليابس من النبات النامي  
أو الانسان من النطفة  
والنطفة من الانسان أو  
المؤمن من الكافر والكافر  
من المؤمن فأحتج الله عليهم  
بما شاهدونه من خلقه  
لانهم أنكروا البعث  
فاعلمهم أنه الذى خلق هذه  
الاشياء فهو يقدر على بعثهم  
وانما قال ويخرج الميت بلفظ  
اسم الفاعل لانه معطوف  
على فلق الحب لاعلى الفعل  
ويخرج الحى من الميت  
موقعه موقع الجملة الميتة  
لقوله فلق الحب والنوى  
لان فلق الحب والنوى  
بالنبات والشجر الناميين  
من جنس اخراج الحى  
من الميت لان النامى فى  
حكم الحيوان داليله  
قوله ويحيى الارض بعد  
موتها (ذلكم الله) ذلكم  
المحيى والمميت هو الله الذى  
تحق له الربوبية لا الاصنام  
(فأنى تؤفكون) فكيف  
تصرفون عنه وعن توليه  
الى غيره بعد وضوح الامر  
بما ذكرنا (فلق الاصباح)  
هو مصدر سمي به الصبح  
أى شاق عمود الصبح عن  
سواد الليل أو خالق نور النهار

الفلق هو الشق ثم اختلفوا فى معناه على قولين أحدهما وهو مروي عن ابن عباس قال فلق الحب عن السنبل والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدى وابن زيد قال الزجاج يشق الحب اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقاً أخضر والقول الثاني وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان فى الحب والنوى والحب هو الذى ليس له نوى كخنطة والشعر والارز وما أشبه ذلك والنوى جمع نواة وهى ما كان على ضد الحب كالرطب والخوخ والشمس وما أشبه ذلك ومعنى قوله فلق الحب والنوى أنه اذا وقعت الحببة أو النواة فى الارض الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان أظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحببة ورقاً أخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبله يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة صاعدة فى الهواء وعروقاً صارية فى الارض فسبحان من أوجد جميع الاشياء بقدرته وابداعه وخلقته ﴿ وقوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) قال ابن عباس فى رواية يخرج من النطفة بشر احياء ويخرج النطفة الميتة من الحى وهذا قول السكبي ومقاتل قال السكبي يخرج النطفة الحية من النطفة الميتة ويخرج الفرخة من البيضة ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحى وقال ابن عباس فى رواية أخرى يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن فجعل الايمان بمنزلة الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل معناه يخرج الطائع من العاصى والعاصى من الطائع وقال السدى يخرج النبات من الحب والحب من النبات وهذا اختيار الطبري لانه قال عقب قوله ان الله فلق الحب والنوى فان قلت كيف قال ويخرج الميت من الحى بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحى من الميت وما السبب فى عطف الاسم على الفعل قلت قوله ويخرج الميت من الحى عطف على قوله فلق الحب والنوى وقوله يخرج الحى من الميت كالبيان والتفسير لقوله فلق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى اليابس واخراج النبات والشجر منه من جنس اخراج الحى من الميت لان النامى من النبات فى حكم الحيوان وقوله (ذلكم الله) يعنى ذلكم الله المدبر الخالق الصانع لهذه الاشياء المحيى المميت لها (فأنى تؤفكون) يعنى فأنى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذى هو خالق الاشياء كلها وفيه دليل أيضاً على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطفة قادر على اخراجه من التراب للحساب ﴿ قوله تعالى (فلق الاصباح) أى شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر سمي به الصبح وقال الزجاج الاصباح والصبح واحد وهما أول النهار فان قلت ظاهر الآية يدل على انه تعالى فى الصبح والظلمة هى التى تنفلق بالصبح فبمعنى ذلك قلت ذكر العلماء فيه وجوهاً الاول أن يكون المراد فلق ظلمة الصبح وذلك لان الصبح صبحان فالصبح الاول هو البياض المستطيل الصاعد فى الافق كذنب السرحان وهو الذئب ثم تعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب لانه يبدو فى الافق الشرقى ثم يضمحل ويذهب ثم يطلع بعده الصبح الثانى وهو الضوء المستطير فى جميع الافق الشرقى ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل من هذا أن يكون المعنى فلق ظلمة الصبح الاول بنور الصبح الثانى الوجه الثانى انه تعالى كما شق ظلمة الليل بنور الصبح فكذلك يشق نور الصبح بضيء النهار فيكون معنى قوله فلق الاصباح أى فلق الصبح بنور النهار الوجه الثالث ان يراد فلق ظلمة الاصباح وهى الغبش فى آخر الليل الذى يلى الصبح الوجه الرابع أن يكون المعنى فلق الاصباح الذى هو عمود الفجر اذا انصدع الفجر وانفلق وسمى الفجر فلما يعنى مفروق الوجه الخامس الفلق بمعنى الخلق يعنى خالق الاصباح وعلى هذا القول يزول الاشكال والصبح هو الضوء الذى يبدو أول النهار والمعنى انه تعالى مبدى ضوء الصبح وخالقه ومنوره ﴿ وقوله تعالى (وجاعل الليل سكناً) السكن ما سكنت اليه واسترحت به يريدان الناس يسكنون فى الليل سكناً لانه تعالى جعل الليل لهم كذا قال ابن عباس ان كل ذى روح يسكن فيه لان الانسان قد أتعب نفسه فى النهار فاحتاج الى زمان يستريح فيه ويسكن عن الحركة

(وجاعل الليل) وجعل الليل كوفى لان اسم الفاعل الذى قبله يعنى المضى فلما كان فلق عطف عليه جعل لتوافقهما معنى (سكناً)

مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه أي ليسكن فيه الخلق عن كد المعيشة إلى نوم الغفلة وعن وحشة الخلق إلى الانس بالخلق (والشمس والقمر) اتصبا باضمار فعل يدل (٤٥) عليه جاعل الليل أي وجعل الشمس والقمر (حسابا) أي جعلهما على حساب

وذلك هو الليل (والشمس والقمر حسابا) يعني انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحسبان معين قال ابن عباس يجرى إلى أجل جعل لهما يعني عدد الايام والشهور والسنين وقال السكبي منازلها بحسبان لا يجاوزانه حتى يقفيا إلى أقصى منازلها (ذلك) إشارة إلى ما تقدم ذكره في هذه الآية من الاشياء التي خلقها بقدرته وكمال علمه وهو المراد بقوله (تقدير العزيز العليم) فالعزب إشارة إلى كمال قدرته والعليم إشارة إلى كمال علمه ﴿قوله عز وجل﴾ (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) جعل هنا بمعنى خلق يعني والله الذي خلق لكم هذه النجوم أدلة لتهتدوا بها إذا ضللتكم الطرق وتبحرتم فيه فامتن الله على عباده بان جعل لهم النجوم لتهتدوا بها في المسالك والطرق في البر والبحر إلى حيث يريدون ويستدلون بالنجوم أيضا على القبلة فيستدلون على ما يريدون في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها أيضا أنه تعالى خلقها زينة للسماء ورجوما للشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين (قد فصلنا الآيات) يعني قدينا الآيات الدالة على توحيدنا وكل قدرتنا (اقوم يعلمون) ان ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار وكمال علمه وقدرته ﴿قوله تعالى﴾ (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) يعني والله الذي ابتداء خلقكم أيها الناس من آدم عليه السلام فهو أبو البشر كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى أيضا ان ابتداء خلقه من مريم وهي من بنات آدم فثبت ان جميع الخلق من آدم عليه السلام (مستقر ومستودع) قرئ فمستقر بكسر القاف وفتحها يقال قر في مكابه واستقر فن كسر القاف قال المستقر بمعنى القار والمعنى منكم مستقر يعني في الارحام ومن فتح القاف جعله مكانا فالمستقر نفس المقر فيكون المعنى لكم مقر وأما المستودع فهو مثل أودع فيجوز أن يكون اسما لانسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز أن يكون المكان نفسه فن قرأ فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا والمعنى فلكن مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر أقرب إلى الثبات من المستودع لان المستقر من القرار والمستودع معرض لان يرد ولهذا اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروى عن ابن عباس أنه قال المستقر في أرحام الامهات والمستودع في أصلاب الآباء ثم قرأ ونقر في الارحام ما نشاء ويؤيد هذا القول أن النطفة لا تبقى في صلب الاب زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الام زمانا طويلا ولما كان المكث في بطن الام أكثر من صلب الاب جعل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وروى عنه أنه قال بالعكس يعني أن المستقر صلب الاب والمستودع رحم الام ووجه هذا القول أن النطفة حصلت في صلب الاب قبل رحم الام فوجب جعل المستقر على الصلب والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود المستقر في الرحم إلى أن يولد والمستودع في القبر إلى أن يبعث وقال مجاهد المستقر على ظهر الارض في الدنيا والقول لكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين والمستودع عند الله في الآخرة وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم أنت مستودع في أهالك إلى أن تلحق بصاحبك يعني القبر وقيل المستودع في القبر والمستقر أما في الجنة أو النار لان المقام فيهما يقتضي الخلود والتأيد (قد فصلنا الآيات) قدينا الدلائل الدالة على التوحيد بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة (لقوم يفقهون) يعني لقوم يفهمون عن الله آياته ودلائله الدالة على توحيد الله لان الفقه هو الفهم ﴿قوله عز وجل﴾ (وهو الذي أنزل من السماء ماء) يعني المطر وقيل ان الله ينزل المطر من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الارض (فاخرجنا به)

لان حساب الاوقات يعلم بدورها وسيرها والحسبان بانهم مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب (ذلك) إشارة إلى جعلهما حسابا أي ذلك التسيير بالحساب المعهولوم (تقدير العزيز) الذي فهمهما وسخرهما (العلم) بتدبيرهما وتدويرهما (وهو الذي جعل لكم النجوم) لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر أي في ظلمات الليل بالبر والبحر وأضافها اليهما للاستنباط لهما أو شبهة مشبهات الطرق بالظلمات (قد فصلنا آيات لقوم يعلمون) قدينا الآيات الدالة على التوحيد لقوم يعلمون (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) هي آدم عليه السلام (مستقر ومستودع) فمستقر بالكسر مكى وبصرى فن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله ومن كسرهما كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول يعني فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب أو مستقر فوق الارض ومستودع تحتها أو فلكم مستقر ومنكم مستودع

(قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) وانما قيل يعلمون ثم يفقهون هنا لان الدلالة ثم أظهر وهنا أدق لان انشاء الانس من نفس واحدة ونصر يفهم بين أحوال مختلفة أدق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أوفق (وهو الذي أنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فاخرجنا به)



(نبات كل شئ) نبت كل صنف من أصناف النامي أي السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة (فاخرجنا منه) من النبات (خضرا) أي شيئا غضا أخضر يقال أخضر وخضرو وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل الذي تراكب حبه (ومن النخل من (٤١) طاعها فنوان) هو رفعه بالابتداء

ومن النخل خبزه ومن  
طلعه ابدن منه كانه قيل  
وحاصلة من طلع النخل  
فنوان وهو جمع فنو وهو  
العنق نظيره صنو وصنوان  
(دانية) من المجتني لانحنائها  
بثقل حملها واقصر ساقها  
وفيه اكتفاء أي وغير  
دانية لطولها كقوله  
سراييل تقيكم الحر  
(وجناب) بالنصب عطفًا  
على نبات كل شئ أي  
وأخرجنا به جنات (من  
أعنا) أي مع النخل  
وكذا (والزيتون  
والرمان) وجنات بالرفع  
الاعشى أي ثم جنات من  
أعنا أي مع النخل  
(مشبهها وغير متشابه)  
يقال اشبه الشبان  
وتشابهنا حواسنوا وتساوا  
والافتعال والتفاعيل  
شتركان كثيرا وتقديره  
والزيتون متشابهها وغير  
متشابه الرمان كذلك  
يعني بعضه متشابه وبعضه  
غير متشابه في القدر واللون  
والطعم (أنظروا الى ثمره  
اذا أثمر) اذا أخرج ثمره  
كيف يخرج ضعيفا لا  
يتفتح به (وينعه) ونضجه

يعني بالماء الذي أنزلناه من السماء (نبات كل شئ) يعني كل شئ ينبت وينمو من جميع أصناف النبات وقيل  
معناه أخر جناب الماء الذي أنزلناه من السماء غذاء كل شئ من الانعام والبهائم والطيور والوحش وأرزاق  
نبي آدم وأقواتهم مما يتغذون به فينبتون عليه وينمو (فاخرجنا منه خضرا) يريد أخضر مثل عور  
وأعور والأخضر هو جميع الزروع والبقول الرطبة (نخرج منه حبا متراكبا) يعني نخرج من ذلك  
الأخضر سنبال فيها الحبيب يركب بعضها فوق بعض مثل سنبل القمح والشعير والارز والذرة وسائر الحبوب  
وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الافضلية ولان حاجة الناس اليه أكثر لانه القوت المألوف (ومن  
النخل من طلعها فنوان دانية) يعني من ثمرها يقال أطاعت النخلة اذا أخرجت طلعه او طلعه كقراها  
قبل أن ينشق عن الاغريض والاغريض يسمى طلعا أيضا وهو ما يكون في قلب الطلع والطلع أول ما يبدو  
ويخرج من ثمر النخل كالكبران يكون فيه العنق فاذا شق عنه كيزانه سمى عنقا وهو القنوج جمع فنوان  
مثل صنو وصنوان دانية أي قرية التناول يناها القائم والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار  
ملتصقة بالارض وفيه اختصار وحذف تقديره ومن النخل ما فنوانها دانية قرية ومنها ما هي بعيدة عالية  
فاكتفى بذكر القرية عن البعيدة لشدة الاهتمام بها ولانها أسهل تناولا من البعيدة لان البعيدة تحتاج  
الى كلفة (وجنات من أعنا) يعني وأخرجنا من ذلك بساتين من أعنا (والزيتون والرمان) يعني  
وأخرجنا شجر الزيتون وشجر الرمان (مشبهها) قال قتادة مشبهها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون  
يشبه ورق الرمان (وغير متشابه) يعني ومنها غير متشابه في الورق والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر في  
هذه الآية أربعة أنواع من الشجر بعد ذكر الزرع وانما قدم الزرع على سائر الاشجار لان الزرع غذاء  
وشمار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه وانما قدم النخلة على غيرها لان ثمرها يجري مجرى الغذاء  
وفيها من المنافع والخواص ما ليس في غيرها من الاشجار وانما ذكر العنب عقب النخلة لانها من أشرف  
أنواع الفواكه ثم ذكر عقبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الاكل وسائر وجوه  
الاستعمال ثم ذكر عقبه الرمان لما فيه من المنافع أيضا لانه فاكهة ودواء ثم قال تعالى (أنظروا الى ثمره اذا  
أثمر وينعه) يعني ونضجه وادراكه والمعنى أنظروا وانظر استدلال واعتبروا كيف أخرج الله تعالى هذه الثمرة  
الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة وهو قوله (ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) يعني  
بصدقون ان الذي أخرج هذا النبات وهذه الثمار قادر على أن يحيي الموتى ويعيهم وانما احتج الله عليهم  
بتصريف ما خلق ونقله من حال الى حال وهو ما يعلمونه قطعا ويشاهدونه من احياء الارض بعد موتها  
واخراج سائر أنواع النبات والثمار منها وانها لا يقدر على ذلك أحد الا الله تعالى ليبين أنه تعالى كذلك قادر  
على أن يحييهم بعد موتهم ويعيهم يوم القيامة فاحتج عليهم بهذه الاشياء لانهم كانوا ينكرون البعث وهو قوله  
تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) قال الحسن معناه أطاعوا الجن في عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال  
معناه انهم أطاعوا الجن فيما سوت لهم من شركهم فجعلوا شركاء لله وقال الكافي نزات في الزنادقة أنبتوا  
الشرك لاثنين في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة والسباع  
والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السائب ونقله الرازي عن ابن عباس قال  
الامام نضر الدين الرازي وهذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلبسون

(٦ - (خازن) - ثاني) أي انظروا الى حال نضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع نظر اعتبار استدلال على قدرة مقدره  
ونقله من حال الى حال (ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) ثمره وكذا ما بعد هذه حرة وعلى جمع ثمار فهو جمع الجمع يقال ثمره وثمر وثمار وثمر  
(وجعلوا لله شركاء الجن) ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا كان الحق بدلا من شركاء والا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على

الاول وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ الله شريك من كان ملكاً وجنياً وغير ذلك والمعنى أنهم أطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله (وخالفهم) أي وقد خلق الجن فكيف يكون المخلوق شريكاً خالقه وبالجملة حال أي وخلق الجاعلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره (وخرقوا) (٤٢) أي اختلفوا يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخرقه بمعنى أو هو من

خرق الثوب اذا شقه أي اشتقوا له (بنين) كقول أهل الكتابين في المسيح وعزير (وبنات) كقول بعض العرب في الملائكة وخرقوا بالتشديد للتكثير مدني لقوله بنين وبنات (بغير علم) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خطأ و صواب ولكن رميا بقول عن جهالة رهو حال من فاعل خرقوا أي جاهلين بما قالوا (سبحانه وتعالى عما يصفون) من الشريك والولد (بديع السموات والارض) يقال بدع الشيء فهو بديع وهو من اضافة الصفة المتسببة الى فاعلها يعني بديع سمواته وارضه وهو بمعنى المبدع أي مبدعها وهو خبير مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره (في يكون له ولد) أو هو فاعل تعالى (ولم تكن له صاحبة) أي من أين يكون له ولد والولد لا يكون الامن صاحبة ولا صاحبة له ولان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسماً حتى يكون له ولد (وخلق

بالزندق لان الكتاب الذي زعم زردشت أنه نزل من السماء سماه بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق فاذا جمع قيل زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل ما يكون في هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعني النور وجميع ما في العالم من الشر فهو من الظلمة يعني ابليس ثم اختلف المجوس فالأكثر من منهم على أن ابليس محدث ولهم في كيفية حدوثه أقوال عجيبية والاقولون منهم قالوا انه قديم وعلى كلا القولين فقد اتفقوا على أنه شريك الله في تدير هذا العالم فما كان من خير فن الله وما كان من شر فن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فان قلت فعلى هذا القول انما أثبتوا الله شريكاً واحداً وهو ابليس فكيف حكي الله انهم جعلوا له شركاء قلت ان ابليس له أعوان من جنسه وخر به وهم شياطين الجن يعملون أعماله فصح ما حكاها الله عنهم من انهم جعلوا له شركاء الجن ومعنى الآية وجعلوا الجن شركاء لله واختلفوا في معنى هذه الشركاء فن قال ان الآية في كفار العرب قال انهم لما أطاعوا الجن فيما أمرهم به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم شركاء لله ومن قال انها في المجوس قال انهم أثبتوا الهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا الملائكة بنات الله وهم شركاؤه فعلى هذا القول فقد جعلوا الملائكة من الجن وذلك لانهم مستورون عن الاعين وقوله (وخلقهم) في معنى الكتابة قولان أحدهما انها تعود الى الجن فيكون المعنى والله خالق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق والقول الثاني أن الكتابة تعود الى الجاعلين لله شركاء فيكون المعنى وجعلوا لله الذي خلقهم شركاء لا يخلقون شيئاً وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكاً لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع ما في الكون فامتنع أن يكون لله شريك في ملكه (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) أي اختلفوا وكذبوا بيقال اختلقوا وخرقوا على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطائفة من اليهود ادعوا ان لله ابناً وكفار العرب ادعوا ان الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعاً فيما ادعوه وقوله بغير علم كالتنبيه على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله سبحانه وتعالى لا يتجزأ فثبت بهذا فساد قول من يدعى ان لله ولداً ثم زه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن هذه الاقاويل الفاسدة فقال تعالى (سبحانه وتعالى عما يصفون) فقوله سبحانه فيه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وقوله تعالى يعني هو المتعالي عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد أو يكون المعنى المتعالي عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون يعني عما يصفونه به من الكذب ﴿ قوله عز وجل (بديع السموات والارض) الابداع عبارة عن تكوين الشيء على غير مثال سبق والله تعالى خلق السموات والارض على غير مثال سبق (أني يكون له ولد) يعني من أين يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) لان الولد لا يكون الامن صاحبة أي ولا ينبغي أن تكون لله صاحبة لانه ليس كمثل شيء (وخلق كل شيء) يعني أن صاحبة والولد في جملة من خلق لانه خالق كل شيء وليس كمثل شيء فكيف يكون الولد لمن لا مثل له واذا نسب الولد والصاحبة اليه فقد جعل له مثل والله تعالى منزه عن المثلية وهذه الآية حجة قاطعة على فساد قول النصارى (وهو بكل شيء عليم) يعني أنه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه شيء وعلمه محيط بكل شيء ﴿ قوله تعالى (ذلكم الله ربكم) يعني ذلكم الله الذي من صفته انه خلق السموات والارض وأبدعها على غير مثال سبق وانه بكل شيء عليم هو ربكم الذي يستحق العبادة لان تدعون من دونه من الاصنام لانها جادات لا تخاق ولا تضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع (لا اله الا هو خالق كل شيء

(فاعبدوه)

كل شيء وهو بكل شيء عليم) أي ما من شيء الا هو خالقه وعالمه ومن كان كذلك كان

لغنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة وهي (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء) وقوله

فاعبدوه) يعني انه هو الذي يستحق العبادة فاعبدوه وأطيعوه (وهو على كل شيء وكيل) يعني أنه هو تعالى على كل شيء خالق رقيب حفيظ يقوم بارزاق جميع خلقه ﴿ قوله عز وجل (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قال جمهور المفسرين معنى الادراك الاحاطة بكنهه الشيء وحقيقته فالابصار ترى الباري جل جلاله ولا تحيط به كما ان القلوب تدركه ولا تحيط به وقال سعيد بن المسيب في نفسه يرقوله لا تدركه لا بصر لا تحيط به الابصار وقال ابن عباس كملت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به

﴿فصل﴾ تمسك بظاهر الآية قوم من أهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا ان الله تبارك وتعالى لا يراه أحد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا لان الله أخبر أن الابصار لا تدركه وادراك البصر عبارة عن الرؤية اذ لا فرق بين قوله أدركته يبصرى ورأيته يبصرى فثبت بذلك ان قوله لا تدركه الابصار بمعنى لا يراه الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب أهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة وان رؤيته غير مستحيلة عقلا واحتجوا الصحة منهم بتظاهر أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الأمة على اثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين في الآخرة قال الله تبارك وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ففي هذه الآية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي رحمه الله سبحانه قوم بالمعصية وهي الكفر فثبت ان قوما يرونه بالطاعة وهي الايمان وقال مالك لولم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعبر الكفار بالحجاب وقال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وفسر واهذه الزيادة بالنظر الى وجه الله تبارك وتعالى يوم القيامة وأما دلائل السنة فاروى عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمده ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب أخرجه البخارى ومسلم عن أبي هريرة ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هر تضاحون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في لشمس لتس دونها سحب قالوا لا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذى وليس عنده في أوله ان ناسا سألوا لافي آخره ليس دونها سحب عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله ان كنا نرى ربنا مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك من خلقه قال يا أبا رزين ليس كما يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فآية أعظم انما هو خلق من خالق الله يعني القمر فآية ذلك وأعظم أخرجه أبو داود وأما الدلائل العقلية فقد احتج أهل السنة أيضا بهذه الآية على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وتقريره أنه تعالى تمدح بقوله لا تدركه الابصار فلولم يكن جائز الرؤية لما حصل هذا التمدح لان الممدوم لا يصح التمدح به فثبت ان قوله لا تدركه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على أنه تعالى جائز لرؤية وتحقيق هذا ان الشيء اذا كان في نفسه بحيث تمتع رؤيته فحينئذ لا يلزم من عدم رؤيته بمدح وتعظيم أما اذا كان في نفسه جائز لرؤية ثم انه قدر على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان هذه الآية دالة على انه تعالى جائز لرؤية واذا ثبت هذا وجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيامة لان موسى صلى الله عليه وسلم سأل الرؤية بقوله أرني أنظر اليك وذلك يدل على جواز الرؤية اذ لا يسأل نبي مثل موسى ما لا يجوز ويمتنع وقد علق الله الرؤية على استقرار الجبل بقوله فان استقر مكانه فسوف تراني واستقرار الجبل جائز والمعاق على الجائر جائز وأما الجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الآية في نفي الرؤية فاعلم ان الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الاحاطة بكنهه الشيء وحقيقته والرؤية المعانيضة للشيء من غير احاطة وقد تكون الرؤية بغير ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال أصحاب موسى اننا لمدركون قال كلا

تعبدا من دونه من بعض خلقه (وهو على كل شيء وكيل) أي هو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال (لا تدركه الابصار) لا تحيط به أو أبصار من سبق ذكرهم ونشبت المعتزلة بهذه الآية لاستنب لان المنفى هو الادراك لا لرؤية والادراك هو الوقوف على جوانب المراتب وحدوده وما يستحيل عليه الحدود والجوانب يستحيل ادراكه لا رؤيته فنزل الادراك من الرؤية منزلة الاحاطة من العلم ونفى الاحاطة التي تقتضى الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضى نفي العلم به فكذا هذا على أن مورد الآية وهو التمدح بوجوب ثبوت الرؤية اذ اني ادراك ما يستحيل رؤيته لا تمدح فيه لان كل ما يرى لا يدرك وانما التمدح بنفي الادراك مع تحقق الرؤية اذا تباؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهي والحدود على الذات فكانت الآية حجة لنا عليهم ولو أمعنوا النظر فيها لا غنموا النقص عن عهدها ومن ينفي الرؤية يلزمه نفي انه معلوم بوجوده

وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا ادراكهم اياهم في موسى الادراك مع اثبات الرؤية بقوله كلا والله تعالى يجوز ان يرى في الآخرة من غير ادراك ولا احاطة لان الادراك هو الاحاطة المرئي وهو ما كان محدودا وله جهات والله تعالى منزه عن الحد والجهة لانه القديم الذي لانهاية لوجوده فعلى هذا انه تعالى يرى ولا يدرك وقال قوم ان الآية مخصوصة بالدينيا قال ابن عباس في معنى الآية لا تدركه الابصار في الدينيا وهو يرى في الآخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والرؤية قالوا ويدل على هذا التخصيص قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقوله يومئذ ناضرة مقيده يوم القيامة وعلى هذا يمكن الجمع بين الآيتين وقال السدي البصر بصران بصر معاينة وبصر علم فعنى قوله لا تدركه الابصار لا يدركه علم العلماء ونظيره ولا يحيطون به علماء وهذا وجه حسن أيضا والله أعلم وقوله تعالى وهو يدرك الابصار يعنى انه تعالى يرى جميع المرئيات ويبصر جميع المبصرات لا يخفى عليه شيء منها ويعلم حقيقتها ومطلع على ماهيتها فهو تعالى لا تدركه ابصار المبصرين وهو يدركها (وهو اللطيف الخبير) قال ابن عباس اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقال الزهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الموصل الشيء اليك برفق وابن وقيل هو الذي ينسى عباده ذنوبهم لئلا ينجحوا وأصل اللطيف دقة النظر في الاشياء وقال أبو سليمان الخطابي اللطيف هو الذين بعباده يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقال الازهري اللطيف في أسماء الله تعالى معناه الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف حيث لم يأمر عباده بفوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم وقيل هو اللطيف بعباده حيث ينسى عيوبهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم بره واحسانه عند المعصية وقيل هو الذي اطفأ عن ان تدركه الابصار وهو يدركها ﴿ قوله تعالى (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصائر جمع البصيرة وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به والمعنى قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الآيات والبراهين ليست في أنفسها بصائر الا أنها بقوتها توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها فلما كانت هذه الآيات والحجج والبراهين أسبابا للحصول البصائر سميت بصائر (فن أبصر) يعنى فن عرف الآيات واهتدى بها الى الحق (فلنفسه) يعنى فلنفسه أبصر وطاع عمل لانه يعود نفع ذلك عليه (ومن عمى) يعنى ومن جهل ولم يعرف الآيات ولم يستدل بها الى الطريق (فعلينا) يعنى فعلى نفسه عمى وطأضركان وبال ذلك العمى عليه لان الله تعالى غنى عن خلقه (وما أناع عليكم بحفيظ) يعنى وما أناع عليكم برب قبأحصى عليكم أعمالكم وأفعالكم انما أنار رسول من ربكم اليكم أبلغكم ما أرسات به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأحوالكم وقيل معناه لا أقدر أن أدفع عنكم ما يريد الله بكم وقيل معناه لست آخذكم بالإيمان آخذ الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآيات السيف وعلى القول الاول ليست منسوخة والله أعلم ﴿ قوله عز وجل (وكذلك نصرف الآيات) يعنى وكذلك نبين الآيات ونفصلها في كل وجه كما صرفناها وبينها من قبل (وليقولوا درست) يعنى وكذلك نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا درست وقيل معناه لئلا يقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه عاقبة أمرهم أن يقولوا درست يعنى قرأت على خيرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة اذا أكثر قراءته وذلكه للمحفظ قال ابن عباس وليقولوا يعنى أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست يعنى تعلمت من سار وخير وكان عبد بن من سبي الروم ثم قرأت علينا تزعم أنه من عند الله وقال الفراء معناه تعلمت من اليهود وقرئ درست بالالف بمعنى قرأت أهل الكتاب من المدارس التي هي بين اثنين يعنى يقولون قرأت على أهل الكتاب وقرأ عليك وقرئ درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه ان هذه الاخبار التي

والاف كما يعلم موجودا بلا كيفية وجهة بخلاف كل موجود لم يجز أن يرى بلا كيفية وجهة بخلاف كل مرئي وهذا لان الرؤية تحقق الذي بالبصر كما هو فان كان المرئي في الجهة يرى فيها وان كان لافي الجهة يرى لافها (وهو اللطيف) أي العالم بدقائق الامور ومشكلاتها (الخبير) العليم بظواهر الاشياء وخفياتها وهو من قبيل الف والشر (قد جاءكم نصائر من ربكم) البصيرة نور القاب الذي به يستبصر القاب كما ان البصر نور العين الذي به تبصر أي جاءكم من الوحي والتنبيه ما هو للقلوب كالبصائر (فن أبصر) الحق وآمن (فلنفسه) أبصر واياها نفع (ومن عمى) عنه وضل (فعلينا) فعلى نفسه عمى واياها ضر بالعمى (وما أناع عليكم بحفيظ) أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها انما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم الكاف في (وكذلك نصرف الآيات) في موضع نصب صفة المصدر المحذوف ي نصرف الآيات تصريفاً مثل ما تلونا عليك (وليقولوا) جوابه محذوف أي وليقولوا (درست)

نصرفها ومعنى درست قرأت كتب أهل الكتاب درست مكي وأبو عمر وأي درست أهل الكتاب درست شامى أى قدمت هذه الآية  
ومضت كما قالوا أساطير الاولين (ولنبينه) أى القرآن وان لم يجزله ذكر كونه معلوماً (٤٥)

اللام الثانية حقيقة والاولى  
لام العاقبة والصبورة أى  
لتصبر عاقبة أمرهم الى أن  
يقولوا درست وهو كقوله  
فا انقطه آل فرعون  
ليكون لهم عدوا وخرنا  
وهم لم يلقطوه للعداوة  
وانما النطقه ليصبر لهم  
قرة عين ولكن صارت  
عاقبة أمرهم الى العداوة  
فكذلك الآيات صرفت  
للتبيين ولم تصرف ليقولوا  
درست ولكن حصل هذا  
القول بتصرف الآيات  
كما حصل التبيين فثبته به  
وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه  
وعندنا ليس كذلك لما  
عرف (لتقوم يعلمون)  
الحق من الباطل (اتبع  
ما أوحى اليك من ربك)  
ولا تتبع أهواءهم (لا اله  
الا هو) اعتراضاً كذبه  
إيجاب اتباع الوحي لا محل  
له من الاعراب أو حال من  
ربك مؤكدة (وأعرض  
عن المشركين) فى الحال الى  
ان يراد الامر بالقتال (ولو  
شاء الله) أى إيمانهم  
فالمفعول محذوف (ما  
أشركوا) بين اسم  
لا يشركون على خلاف  
مشيئة الله ولو علم منهم

تتلوها عينا قديمة فدرست وانمحت من قلوبهم درس الاثر اذا محى وذهب أثره (ولنبينه لقوم يعلمون) يعنى  
القرآن وقيل معناه نصر الف آيات تقوم يعلمون قال ابن عباس يريد أولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد  
وقيل معنى الآية وكذلك نصر الف آيات بسعدها قوم ويشقى بها آخرون فمن أعرض عنها وقال للنبي صلى  
الله عليه وسلم درست أو درست فهو شقى ومن تبين له الحق وفهم معناه وعمل بها فهو سعيد وقال أبو اسحق  
ان السبب الذى أدهم الى أن قالوا درست هو تلاوة آيات عليهم وهذه اللام تسميها أهل اللغة لام الصبرورة  
يعنى صار عاقبة أمرهم أن قالوا درست فصارت ذلك سببا لشقاوتهم وفى هذا دليل على أن الله تعالى جعل  
تصرف الآيات سببا لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم ﴿ وقوله تعالى (اتبع ما أوحى اليك من  
ربك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى اتبع يا محمد ما أمرك به ربك فى وحيه الذى أوحاه اليك وهو  
القرآن فاعمل به وبلغه الى عبادى ولا تلتفت الى قول من يقول درست أو درست وفى قوله اتبع ما أوحى  
اليك من ربك تعزية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن الذى حصل له بسبب قولهم درست ونبيه  
بقوله تعالى (لا اله الا هو) انه سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له واذا كان كذلك فانه يجب طاعته  
ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيف الزائعين وقوله تعالى (وأعرض عن المشركين) قيل  
لمراد منه فى الحال لا الدوام واذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقالتهم فعلى هذا يكون الامر  
بالاعراض منسوخا بآية القتال ﴿ قوله عز وجل (ولو شاء الله ما أشركوا) قال الزجاج معناه لو شاء الله  
لجاءهم مؤمنين وهذا نص صريح فى أن شركهم كان بمشيئة الله تعالى خلافا لما تنزله فى قولهم لم يرد من أحد  
الكفر والشرك فالآية رد عليهم (وما جعلناك عليهم حفيظا) يعنى وما جعلناك يا محمد على هؤلاء المشركين  
رقيباً ولا حافظاً تحفظ عليهم أعمالهم وقال ابن عباس فى رواية عطاء وما جعلناك عليهم حفيظاً تمنعهم  
منا ومعناه أنك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب وانما بعثت مبالغاً فى نهيهم بشركتهم فان ذلك بمشيئة  
الله تعالى (وما أنت عليهم بوكيل) يعنى وما أنت عليهم بقيم تقوم بارزاقهم وما أنت عليهم بمسيطر فعلى  
التفسير الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى قول ابن عباس لا تكون منسوخة ﴿ قوله  
عز وجل (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) الآية قال ابن عباس لما  
نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا وانهم يحجون  
ربك فنهاهم الله أن يسبوا أو ثنائهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المؤمنون يسبون أو ثنائهم  
الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله لانهم قوم جهالة لا علم لهم بالله عز وجل وقال  
السدى لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى  
عنا ابن أخيه فاما استحي أن نقتله بعد موته فتم قول العرب كان عمه بمنعه فلما مات قتله فانطلق أبو سفيان  
وأبو جهل والنضر بن الحرث وأميه وأبى ابنا خلف وعقبة بن أبى معيط وعمرو بن العاص والاسود  
ابن أبى البخترى الى أبى طالب فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وان محمد أقدادنا وأذى آلهتنا فنحب  
أن ندعوه فتنهاه عن ذلك آلهتنا وندعوه واله فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب ان هؤلاء  
قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يريدون قالوا يريدون أن تدعنا وآلهتنا وندعك  
واهلك فقال له أبو طالب قد أنصفت قومك فاقبل منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان أعطيتكم هذا

اختيار الايمان لهداهم اليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فاشركوا بمشيئته (وما جعلناك عليهم حفيظا) مراعىا لأعمالهم  
ماخوذاً بآراءهم (وما أنت عليهم بوكيل) بمسأط وكان المسلمون يسبون آلهتهم فهو الثلاث يكون سببها سبب الله بقوله (ولا تسبوا) آلهة  
(الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) منصوب على جواب النهى (عدوا) ظلما وعدوانا (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به

فهل أنتم معطي كلمة ان نكلمتم بهما لکنتم العرب وادانت لکم الحجج وادت لکم الخراج فقال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فهاهي قال قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخي فقال يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها ارادة أن يؤيسهم فقالوا التكفن عن شتمك ألهتنا أولشتمنك أولشتمن من يا مراك فانزلت ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني ولا تسبوا أيها المؤمنون الاصنام التي يعبدونها المشركون فیسبوا الله عدوا بغير علم يعني فیسبوا الله ظلما بغير علم لانهم جهلة بالله عز وجل قال الزجاج هو افي ذلك الوقت قبل القتال أن یلعنوا الاصنام التي كانت تعبدونها المشركون وقال ابن الانباري هذه الآية منسوخة أنزلها الله عز وجل والنبی صلی الله علیه وسلم بمكة فاما اقواه باصحابه نسخ هذه الآية ونظرها بقوله أقنوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل انما هو اعن سب الاصنام وان كان في سبها طاعة وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفسد التي هي أعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله وذلك من أعظم المفسد فلذلك نهوا عن سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الآية قال النبي صلی الله علیه وسلم لا تسبوا آلهتهم فیسبوا بکم فامسك المسلمون عن سب آلهتهم فظاهر الآية وان كان نهيا عن سب الاصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالى لانه سب لذلك ﴿ وقوله تعالى ﴾ ( كذلك زينالكل أمة عملهم ) يعني كما زيننا هؤلاء المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينالكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي هذه الآية دليل على تكذيب القدرية والله نزله حيث قالوا لا يحسن من الله خلق الكفر وتزيينه ﴿ وقوله تعالى ﴾ ( ثم الى ربهم مرجعهم ) يعني المؤمن والكافر والطائع والعاصي ( فينبئهم بما كانوا يعملون ) يعني في الدنيا ويجازيهم على ذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم ) قال محمد بن كعب القرظي والكافي قالت قریش يا محمد انك تخبرنا أن موسى كانت له عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخببرنا أن عيسى كان يحيي الموتى فانتابا آية حتى اصدقك وثؤمن بك فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم أي شيء تحبون قالوا نجعل لنا الصفا ذهباً وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك أحق ماتقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ان فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لتبغضك أجمعين وسأل المسامون رسول الله صلی الله علیه وسلم أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلی الله علیه وسلم وجعل يدعو الله عز وجل أن يجعل الصفا ذهباً فجاءه جبريل فقال ماشئت ان شئت أصبغ ذهباً ولك ان لم صدقك لنعذبهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم بل يتوب تائبهم فانزل الله عز وجل وأقسموا بالله جهد أيمانهم يعني وحلفوا بالله جهد أيمانهم يعني أو كد ما قدروا عليه من الايمان وأشدّها قال الكافي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه ( لئن جاءتكم آية ) يعني كما جاءت من قباهم من الامم ( ليؤمنن بها ) يعني ليصدقن بها ( قل ) يعني قل يا محمد ( انما الآيات عند الله ) يعني أن الله تعالى قادر على انزالها ( وما يشعركم ) يعني وما يدريككم ثم اختلف العلماء في المخاطبين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين أقسموا بالله وقيل هو خطاب للمؤمنين واختلفوا في قوله ( أنها اذا جاءت لا يؤمنون ) فقرا ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم على معنى وما يدريككم ما يكون منهم ثم ابتداء فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون فمن جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم أيها المشركون انها يعني الآيات اذا جاءت آمنتم ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه وما يشعركم أيها المؤمنون انها اذا جاءت آمنوا لان المؤمنین كانوا يسألون رسول الله صلی الله علیه وسلم أن يدعو الله ان يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخطبهم الله بقوله وما يشعركم ثم ابتداء فقال تعالى انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا في

حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهو سبحانه في الاصلاح ( ثم الى ربهم مرجعهم ) مصيرهم ( فينبئهم بما كانوا يعملون ) فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عليه ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم ) جهد صدقهم موقع الحال أي جاهدين في الايمان باوكد الايمان ( لئن جاءتكم آية ) من مقترحاتهم ( ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله ) وهو قادر عليها لا عندى فكيف آتيكم بها ( وما يشعركم ) وما يدريككم ( انها ) أن الآية المقترحة ( اذا جاءت لا يؤمنون ) بها يعني أما أعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وأتم لا تعلمون ذلك وكان المؤمنون يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويؤمنون مجيئها فقال الله تعالى وما يدريككم انهم لا يؤمنون على معنى أنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون انها بالكسر مكى وبصرى وأبو بكر على ان الكلام تم قبله أي وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من

قوم مخصوصين حكم الله عز وجل عليهم بانهم لا يؤمنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرأ الباقون أنها بفتح  
الالف وجعلوا الخطاب في ذلك للمؤمنين لان المؤمنين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال  
الآيات حتى يؤمن المشركون بها اذ ارأوها لان المشركين كانوا حلقوا أنهم اذا جاءتهم آية آمنوا وصدقوا  
واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات لذلك فقال  
الله تعالى وما يشعركم أيها المؤمنون ان الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فعلى هذا اختلفوا في  
لفظة لا من قوله لا يؤمنون فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم أيها اذا جاءت يؤمنون وقيل هي على بابها  
وفيه حذف والمعنى وما يشعركم أيها اذا جاءتهم يؤمنون أو لا يؤمنون وقيل ان بمعنى لعل في قوله أيها اذا جاءت  
وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب لعلها اذا جاءت وهذا سائغ في كلام العرب تقول العرب انت السوق أنك  
تشتري لنا شيئا بمعنى لعلك ومنه قول عدى بن زيد

أعاذل ما يدريك أن منيتي \* الى ساعة في اليوم أو في نحي الغد

يعنى لعل منيتي قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) قال ابن عباس يعنى ونحول بينهم وبين الايمان  
فلو جئناهم بالآيات التي سألوها لما آمنوا بها والتقايب هو تحويل الشيء وتحريكه عن وجهه الى وجه آخر  
لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الايمان بقيت على الكفر (كلام يؤمنوا به أول مرة)  
يعنى كلام يؤمنوا بما قبل ذلك من الآيات التي جاءها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير  
ذلك من المعجزات الباهرات وقيل أول مرة يعنى الآيات التي جاءها موسى وغيره من الانبياء وقال ابن عباس  
المرّة الأولى دار الدنيا يعنى لوردوا من الآخرة الى الدنيا نقاب أفئدتهم وأبصارهم عن الايمان فلا يؤمنون  
كلام يؤمنوا به أول مرة قبل مماتهم وفي الآية دليل على ان الله تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وان  
القلوب والابصار بيده وفي تصرفه فيقيم ما شاء منها ويرى ما أراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم  
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فعنى قوله نقلب أفئدتهم نزعها عن الايمان ونقلب أبصارهم عن رؤية  
الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم الآية التي سألوها فلا يؤمنون بها كلام يؤمنوا بالله ورسوله وبما جاء من  
عند الله فعلى هذا تكون الكآبة في به عائدة على الايمان باقرآن وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قبل سؤالهم الآيات التي اقترحوها قوله تعالى (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) يعنى ونترك هؤلاء  
المشركين الذين سبق في علم الله انهم لا يؤمنون في نذرهم على الله واعتدأهم عليه يترددون لا يهتدون الى  
الحق قوله عز وجل (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) قال ابن جرير نزلت في المستهزئين وذلك انهم أتوا الى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألك عنك أحق  
ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك انك رسول الله أو اتقنا بالله والملائكة قبيل لا فنزلت هذه الآية  
جوابا لهم والمعنى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة حتى يشهدوا لك بالرسالة (وكلمهم الموتى) يعنى كما سألوها (وحشرنا  
عليهم كل شيء قبلا) يعنى وجعنا عليهم كل شيء قبلا قبيل لا قبيل الكفيل بصحة ما تقول ما آمنوا وهو قوله  
(ما كانوا يؤمنوا الآن يشاء الله) يعنى الآن يشاء الله الايمان منهم وفيه دليل على أن جميع الاشياء بمشيئة  
الله تعالى حتى الايمان والكفر وموضع المعجزة ان الاشياء المحشورة منها ناطق ومنها صامت فاذا أنطق الله  
الكل حتى يشهدوا له بصحة ما يقول كان ذلك في غاية لا يحجاز وقيل قبلا من المقابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا  
عليهم كل شيء مواجهة ومعانين ما كانوا يؤمنوا الآن يشاء الله أخبر الله ان الايمان بمشيئة الله لا كما ظنوا انهم  
متى شاؤا آمنوا ومتى شاؤا لم يؤمنوا وقال ابن عباس ما كانوا يؤمنوا هم أهل الشقاء الآن يشاء الله هم  
أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه انهم يدخلون في الايمان وصحح الطبري قول ابن عباس قال لان الله عم  
بقوله ما كانوا يؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم ان جاءتهم آية يؤمنن

(ونقلب أفئدتهم) عن  
قبول الحق (وأبصارهم)  
عن رؤية الحق  
عند نزول الآية التي  
اقترحوها فلا يؤمنون بها  
قيل هو عطف على  
لا يؤمنون داخل في حكم  
وما يشعركم أي ما يشعركم  
انهم لا يؤمنون وما يشعركم  
بانقلب أفئدتهم وأبصارهم  
يفقهون ولا يبصرون الحق  
(كلام يؤمنوا به أول مرة)  
كما كانوا عند نزول آياتنا  
أولا لا يؤمنون بها (ونذرهم  
في طغيانهم يعمهون) قيل  
وما يشعركم أن نذرهم في  
طغيانهم يعمهون يتحبرون  
(ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة)  
كما قالوا لولا أنزل علينا  
الملائكة (وكلمهم الموتى)  
كما قالوا فاتوا بآياتنا  
(وحشرنا عليهم) جمعنا  
(كل شيء قبلا) كفاء  
بصحة ما بشرنا به وأنذرنا جمع  
قبيل وهو الكفيل قبلا  
مدنى وشامى أى عيانا  
وكلاهما نصب على الحال  
(ما كانوا يؤمنوا الآن يشاء  
الله) ايمانهم فيؤمنوا وهذا  
جواب لقول المؤمنين  
لعلهم يؤمنون بنزول الآية

بها ثم استثنى منهم أهل السعادة وهم الذين شاء لهم الإيمان ﴿ قوله تعالى (ولكن أكثرهم يجهلون) يعني يجهلون ان ذلك كذلك ويحسبون ان الإيمان اليهم متى شاءوا آمنوا ومتى شاؤوا كفروا وليس الامر كذلك بل الإيمان والكفر بمشيئة الله تعالى فمن شاء له الإيمان آمن ومن شاء له الكفر كفر وفي هذا دليل لمذهب أهل السنة ان الاشياء كلها بمشيئة الله تعالى ورد على القدرية والمعتزلة في قولهم ان الله أراد الإيمان من جميع الكفار ﴿ قوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) قيل هو منسوق على قوله تعالى وكذلك زيننا لكل أمة عملهم أي كما فعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الانبياء أعداء كذلك جعلنا لك أعداء وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسليته بقول الله تبارك وتعالى كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدوا واليه عظم ثوابه على ما يكابد من أذى أعدائه وعدو واحد يراد به الجمع يعني جعلنا لكل نبي أعداء (شياطين الانس والجن) اختلف العلماء في معنى شياطين الانس والجن على قولين أحدهما ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشيطان كل عات متهم من الجن والانس وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين الانس أشد تمردا من شياطين الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح وأعياءه ذلك استعان على اغوائه بشيطان الانس ليفتنه ويدل على صحة هذا القول ما روى عن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعودت بالله من شيطان الجن والانس قلت يا رسول الله وهل للانسان من شيطان قال نعم ثم من شياطين الجن ذكره البغوي بغير سند وأسند الطبري وقال مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن وذلك أتى اذا تعودت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي القول الثاني ان الجميع من ولد ابليس وأضيف الشياطين الى الانس على معنى انهم يعوونهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكبي والسدي ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الانس التي مع الانس وبشياطين الجن التي مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنده قسمين فبعث فريقا منهم الى الجن وفريقا منهم الى الانس فالفريقان شياطين الجن والانس بمعنى انهم يعوونهم ويضلونهم وكلا الفريقين أعداء للنبي صلى الله عليه وسلم ولأوليائه من المؤمنين والصالحين ومن ذهب الى هذا القول قال بدل على صحته ان لفظ الآية يقتضي اضافة الشياطين الى الانس والجن والاضافة تقتضي المغايرة فعلى هذا يكون في الشياطين نوع مغاير للانس والجن وهم أولاد ابليس ﴿ وقوله تعالى (يوحى بعضهم الى بعض) يعني باقى ويسر بعضهم الى بعض ويناجى بعضهم بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها الى من يريد اغواؤه فعلى القول الاول ان شياطين الانس والجن يسر بعضهم الى بعض ما يفتنون به المؤمنين والصالحين وعلى القول الثاني ان أولاد ابليس يلقي بعضهم بعضا في كل حين فيقول شيطان الانس لشيطان الجن أضلت صاحبي بكذا وكذا فاضل أنت صاحبك بمثله ويقول شيطان الجن لشيطان الانس كذلك فذلك وحى بعضهم الى بعض ﴿ وقوله (زخرف القول) يعني باطل القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذي قد زين ووشى بالكذب وكل شيء حسن مموه فهو زخرف (غرورا) يعني ان الشياطين يغرون بذلك القول الكذب المزخرف غرورا وذلك ان الشياطين يزنون الاعمال القبيحة لبنى آدم ويعرونهم بها غرورا (ولو شاء ربك مافعلوه) يعني مافعلوا الوسوسة التي يلقيها الشياطين في قلوب بني آدم والمعنى ان الله تعالى لو شاء لمنع الشياطين من القاء الوسوسة الى الانس والجن ولكن الله يمتحن من يشاء من عباده بما يعلم انه الاجزل له في الثواب اذا صبر على المحنة (فقدروا وما يفترون) يعني يخفونهم بالمحمد وما زين لهم ابليس وغرهم به من الكفر والمعاصي فاني من ورأيهم ﴿ قوله تعالى (ولتصني اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) قال ابن عباس ولتميل اليه وأصل الصغوفى اللغة الميل يقال أصغى الى كذا مال اليه ويقال صغوت أصغوف وصغيت أصغى اغتبان قال ابن انبارى اللام في وتصني متعلقة

ان هؤلاء يؤمنون اذا جاءتهم الآية المقترحة (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) وكما جعلنا لك أعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك من الانبياء أعداء لما فيه من الابتلاء الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر واتصّب (شياطين الانس والجن) على البديل من عدوا وعلى انه المفعول الاول وعدوا مفعول ثان (يوحى بعضهم الى بعض) يوحى بعضهم الى بعض الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن لانى اذا تعودت بالله ذهب شيطان الجن عنى وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا وقال عليه السلام قرناء السوء شر من شياطين الجن (زخرف القول) ما زينوه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي (غرورا) خدعا وأخذاعا على غرة وهو مفعول له (ولو شاء ربك مافعلوه) أى الاجباء يعني ولو شاء الله لمنع الشياطين من الوسوسة ولكنه امتحن بما يعلم انه اجزل في الثواب (فقدروا وما يفترون) عليك وعلى الله فان الله يخزيهم وينصرك ويخزيهم (ولتصني اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) بفعل



(وليقترفوا ما هم مقترفون) من الآثام (أفغ يرالله أبتغى حكماً) أى قل يا محمد أفغ يرالله أطاب ما كما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق من المظلم (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب) الممجز (مفصلاً) حال من المكتاب أى مبيناً فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لى بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق يعلم أهل الكتاب أنه حق لتصدق مائة منهم وموافقته بقوله (والذين آتيناهم الكتاب) أى عبد الله بن سلام وأصحابه (يعلمون أنه منزل) شامى وحفص (من ربك بالحق) (فلا تكون من المترين) الشاكين فيه أيها السامع أو فلا تكون من المترين فى أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا ير بك بخوداً كثيرهم وكفرهم به (وتمت كلمت ربك) أى ما تكلم به كلمات ربك حجازى وشامى وأبو عمرو أى تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعده وأوعده (صدقا) فى وعده ووعيده (وعدلاً) فى أمره ونهيه واتصفاً على التمييز وعلى الحال (لامبديل لكلماته)

بفعل مضمرة معناه وفعلناهم ذلك لى تصفى الى الباطل أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وقال غيره اللام متعلقة بيوحى تقديره يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروا بذلك واتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة والضمير فى اليه يرجع الى زخرف القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول وباطله ونحوه وترضى به وهو قوله (وإبرضوه) يعنى يرضون ذلك القول المزخرف الباطل (وايقترفوا ما هم مقترفون) يعنى وليكتسبوا من الاعمال الخبيثة ما هم مكتسبون قوله عز وجل (أفغ يرالله أبتغى حكماً) أى قل يا محمد طهؤلاء المشركين أفغ يرالله أطاب حكماً قاضياً يقضى بيني وبينكم وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكماً فامر الله تعالى أن يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحكم واحد عند أهل اللغة غير أن بعض أهل المعانى قال الحكم أكل من الحاكم لان الحاكم من شأنه أن يحكم والحكم أهل أن يتحاكم اليه وهو الذى لا يحكم الا بالحق فالله تعالى حكم لا يحكم الا بالحق فلما أنزل الله على محمد القرآن فقد حكم له بالنبوة وهو قوله تعالى (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلاً) يعنى مبيناً فيه أمره ونهيه ووعده ووعيده وفيه الحكم بيني وبينكم (والذين آتيناهم الكتاب) يعنى علماء اليهود والنصارى (يعلمون انه منزل من ربك بالحق) يعنى يشهدون ان هذا القرآن منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم بالدلائل الدالة على ذلك وقيل المراد بهم علماء الصحابة ورؤسائهم مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلي ونظرائهم يعلمون ان هذا القرآن منزل من ربك بالحق فأمنوا به وصدقوه (فلا تكون من المترين) يعنى فلا تكون يا محمد من الشاكين ان علماء أهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن حق وأنه منزل من عند الله وقيل معناه فلا تكون فى شك مما قصصنا عليك انه حق وصدق فهو من باب التهميش لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان فى الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد به غيره والمعنى فلا تكون أيها الانسان السامع لهذا القرآن فى شك انه منزل من عند الله لمافية من العجز الذى لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى قوله تعالى (وتمت كلمت ربك على الجمع فن قرأ على التوحيد قال الكامة قدير ادبها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد كقولهم قال الشاعر فى كلمته يعنى فى قصيدته وكذلك القرآن كلمة واحدة لانه شئ واحد فى اعجاز النظم وكونه حقاً وصدقاً ومجزاً ومن قرأ بالجمع قال لان الله قال فى سياق الآية لا يبدل لكلماته فوجب الجمع فى اللفظ الاول اتباعاً للثانى (صدقا وعدلاً) يعنى صدقاً فيما وعد وعدلاً فيما حكم وقيل ان القرآن مشتمل على الاخبار والحكام فهو صادق فيما أخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعمما هو كائن الى قيام الساعة وفيما أخبر عن ثواب المطيع فى الجنة وعقاب العاصى فى النار وهو عدل فيما حكم من الامر والنهى والحلال والحرام وسائر الاحكام (لامبديل لكلماته) يعنى لا مغير لقضائه ولا راد لحكمه ولا خلف لواعيده وقيل لما وصف كلماته بالتمام فى قوله وتمت كلمت ربك والتمام فى كلام الله لا يقبل النقص والتغيير والتبديل قال الله تعالى لا يبدل لكلماته لانها مصونة عن التحريف والتغيير والتبديل باقية الى يوم القيامة وفى قوله لا يبدل لكلماته دليل على ان السعيد لا ينقلب شقياً ولا الشقى ينقلب سعيداً فالسعيد من سعد فى الازل والشقى من شقى فى الازل وأورد على هذا ان الكافر يكون شقياً بكفره فيسلم فينقلب سعيداً باسلامه وأجيب عنه بان الاعتبار بالخاتمة فمن ختم له بالسعادة كان قد كتب سعيداً فى الازل ومن ختم له بالشقاوة كان شقياً فى الازل والله أعلم وقوله تعالى (وهو السميع) يعنى لما يقوله العباد (العليم) يعنى باحوالهم قوله عز وجل (وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) قال المفسرون ان المشركين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى كل الميتة وذلك أنهم قالوا للمسلمين كيف تأكلون ما قتلتم ولاناً كلون ما قتلتم بكم فقال الله تعالى لنبيه

(ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم (وان هم الايخرون) يكذبون في ان الله حرم عليهم كذا  
وأحل لهم كذا (ان ربك هو) (٥٠) أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالهتدين) أي هو يعلم الكفار والمؤمنين

محمد صلى الله عليه وسلم وان تطع أكثر من في الأرض في أكل الميتة وكان الكفار يومئذ أكثر أهل الأرض  
يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن دين الله الذي شرعه لك وبعثك به وقيل معناه لا تطعمهم في معتقداتهم  
الباطلة فانك ان تطعمهم يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم أخبر عن  
حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى (ان يتبعون الا الظن) يعني ان هؤلاء الكفار الذين يجادلونك  
ما يتبعون في دينهم الذي هم عليه الا الظن وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا باقناعين انهم على حق  
لانهم اتبعوا أهواءهم وتركوا التماس الصواب والحق واقتصر على اتباع الظن والجهل (وان هم  
لا يخرون) يعني يكذبون وأصل الخرس الخزر والتخمين ومنه خرص النخلة اذا خرصت ثمرتها على الظن  
من غير يقين ويسمى الكذب خرصا لما يدخله من الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول موقوف عن ظن وتخمين  
يقال له خرص لان قائله لم يقله عن علم ويقين (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله) يقول الله انبيه محمد  
صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك هو أعلم منك ومن جميع خلقه أي الناس يضل عن سبيله (وهو أعلم  
بالهتدين) يعني وهو أعلم أيضا بمن كان على هدى واستقامة وسداد لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه فاخبر  
تعالى انه أعلم بالفر يقين الضال والهتدي وانه يجازي كلا بما يستحق قوله تعالى (فكلوا مما ذكر اسم  
الله عليه) هذا جواب لقول المشركين حيث قالوا للمسلمين أنا كلون مما قتلتم ولانا كلون مما قتلتم بكم فقال  
الله تعالى للمسلمين فكلوا أتم ما ذكر اسم الله عليه من الذبائح (ان كنتم بآياته مؤمنين) وقيل كانوا  
يحرمون أصنافا من النعم ويحلون الميتة فقيل أحلوا ما أحل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول تكون  
الآية خطابا للمشركين وعلى القول الأول تكون الآية خطابا للمسلمين وهو الأصح لقوله في آخر الآية  
ان كنتم بآياته مؤمنين (وما لكم ألتا كوا ما ذكر اسم الله عليه) يعني وأي شيء لكم في أن لا تأكلوا وما  
يمنعكم من أن تأكلوا ما ذكر اسم الله عليه وهذا كما يدعي في اباحة ما ذبح على اسم الله دون غيره (وقد فصل  
لكم ما حرم عليكم) يعني وقد بين لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد  
فصل لكم ما حرم عليكم المحرمات المذكورة في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل  
لغير الله به وأورد الامام نضر الدين الرازي ههنا شكالا فقال في سورة الانعام مكية وسورة المائدة من آخر  
ما أنزل الله تعالى بالمدينة وقوله وقد فصل يجب أن يكون ذلك المفصل متقدما على هذا المحل والمدني متأخر عن  
المكي فيمتنع كونه متقدما ثم قال بل الأولى أن يقال قوله تعالى بعد هذه الآية قل لا أجد فيما أوحى الى محرما  
على طعام يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير وهذه الآية وان كانت مذكورة بعد هذه  
الآية بقليل الا أن هذا التقدير من المتأخر لا يمنع أن يكون هو المراد قال كاتبه ولما ذكره المفسرون وجه وهو  
ان الله لما علم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام في الترتيب لافي النزول حسن عود الضمير في قوله  
وقد فصل لكم ما حرم عليكم الى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية والله أعلم بمراده  
وقوله تعالى (الا ما اضطررتم اليه) يعني الا ان تدعوكم الضرورة الى أكله بسبب شدة المجاعة فيباح لكم  
ذلك عند الاضطرار (وان كثير اليضلون بأهوائهم بغير علم) يعني وان كثير من الذين يجادلونكم في أكل  
الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم أنا كلون ما تذبحون ولانا كلون ما يذبحه الله وانما قالوا هذه المقالة  
جهلا منهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل يتبعون أهوائهم ليضلوا أنفسهم وأتباعهم بذلك وقيل المراد به  
عمر بن لحي فن دونه من المشركين لانه أول من بحر البحائر وسبب السوائب وأباح الميتة وغير دين ابراهيم  
عليه السلام (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) يعني ان ربك يا محمد هو أعلم بمن تعدى حدوده فأحل ما حرم الله

من رفع بالابتداء ولفظها  
لفظ الاستفهام والخبر يضل  
وموضع الجملة نصب يعلم  
المقدر لآباءهم لان أفعال  
لا يعمل في الاسم الظاهر  
النصب ويعمل الجر وقيل  
تقديره أعلم بمن يضل بدليل  
ظهور الباء بعده في  
بالهتدين (فكلوا مما ذكر  
اسم الله عليه ان كنتم  
بآياته مؤمنين) هو مسبب  
عن انكار اتباع المضلين  
الذين يحلون الحرام  
ويحرمون الحلال وذلك  
انهم كانوا يقولون للمسلمين  
انكم تزعمون انكم تعبدون  
الله فماقتل الله أحق أن  
تأكلوا مما قتلتم أتم فقيل  
للمسلمين ان كنتم متحققين  
بالإيمان فكلوا مما ذكر  
اسم الله عليه خاصة أي على  
ذبحه دون ما ذكر عليه اسم  
غيره من آلهنهم أو مات حتف  
أنفه (وما لكم ألتا كوا)  
ما استفهام في موضع رفع  
بالابتداء ولكم الخبر أي  
وأي غرض لكم في أن  
لانا كوا (ما ذكر اسم الله  
عليه وقد فصل لكم) بين  
لكم (ما حرم عليكم) مما  
لم يحرم بقوله حرمت عليكم  
الميتة فصل وحرم كوفي غير  
حفص وفتحها ما مدني  
وحفص وضمها غيرهم  
(الا ما اضطررتم اليه)

ما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة أي شدة المجاعة الى أكله (وان كثير اليضلون) ليضلون كوفي وحرم  
(بأهوائهم بغير علم) أي يضلون فيحلون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) بالمتجاوزين

وحرم ما أحل الله فهو يجازيهم على سوء صنيعهم ﴿قوله عز وجل﴾ (وذروا ظاهر الأثم وباطنه) يعني وذروا أيها الناس ما يوجب الأثم وهي الذنوب والمعاصي كلها سرها وعلانيتها قليلها وكثيرها قال الربيع بن أنس نهى الله عن ظاهر الأثم وباطنه أن يعمل به سرا وعلانية وقال سعيد بن جبير في هذه الآية الظاهر منه قوله ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء إلا ما قد سلف ونكاح المحارم من الأمهات والبنات والاختوات والباطن الزنا وقال السدي أما الظاهر فالزواني في الحوانيت رهن أصحاب الرايات وأما الباطن فالمرأة يتخذها الرجل صديقة فيأتيها سرا وقال الضحاك كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون أن ذلك حلال ما كان سرا حرم الله السر منه والعلانية وقال ابن زيد ظاهر الأثم التجرع عن الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا وقال الكبي ظاهراً الأثم طواف الرجال بالبيت نهاراً وعرافة وباطنه طواف النساء بالليل عراة وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك إلى أن جاء الإسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل إن هذا النهي عام في جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الأصح لأن تخصيص العام بصورة معينة من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول يكون معنى الآية وذروا ما أعلنتم به وما أسررت من الذنوب كلها قال ابن الأنباري وذروا الأثم من جميع جهاته وقيل المراد بظاهر الأثم الأقدام على الذنوب من غير مبالاة وباطنه ترك الذنوب لخوف الله عز وجل لا لخوف الناس وقيل المراد بظاهر الأثم أفعال الجوارح وباطنه أفعال القلوب فيدخل في ذلك الحسد والكبر والعجب واردة السوء للمسلمين ونحو ذلك ﴿قوله تعالى﴾ (ان الذين يكسبون الأثم) يعني ان الذين يعملون بمآثهم الله عنه ويرتكبون ما حرم عليهم من المعاصي وغيرها (سيجزون) يعني في الآخرة (بما كانوا يفترون) يعني بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثم وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب وأنه مخصوص بمن لم يتب لأن المسلمين أجمعوا على أنه إذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد أهل السنة في ذلك فقالوا المذنب إذا لم يتب فهو في خطر المشيئة إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه بفضلته وكرمه ﴿قوله تعالى﴾ (ولأنكوا ما لم يذكروا اسم الله عليه) قال ابن عباس الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنة وغيرها وقال عطاء الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الأصنام انتهى

من الحق إلى الباطل  
(وذروا ظاهر الأثم وباطنه)  
علانيته وسره أو الزنا في  
الحوانيت والصديقة في  
السرا والشرك الجلي والخفي  
(ان الذين يكسبون الأثم  
سيجزون) يوم القيامة  
(بما كانوا يفترون)  
يكسبون في الدنيا (ولا  
تاكلوا مما لم يذكروا اسم  
الله عليه) عند الذبح (وإنه  
وان أكله) لفسق

﴿فصل﴾ اختلف العلماء في ذبيحة المسلم إذا لم يذكروا اسم الله عليها فذهب قوم إلى تحريمها سواء تركها عامداً أو ناسياً وهو قول ابن سيرين والشعبي ونقله الإمام نضر الدين الرازي عن مالك ونقل عن عطاء أنه قال كل ما لم يذكروا اسم الله عليه من طعام أو شراب فهو حرام واحتجوا في ذلك بظاهر هذه الآية وقال الثوري وأبو حنيفة إن ترك التسمية عامداً لا تحل وإن تركها ناسياً تحل وقال الشافعي تحل الذبيحة سواء ترك التسمية عامداً أو ناسياً ونقله البغوي عن ابن عباس ومالك ونقل ابن الجوزي عن أحمد وإيتين فيما إذا ترك التسمية عامداً وإن تركها ناسياً حلت فمن أباح كل الذبيحة التي لم يذكروا اسم الله عليها قال المراد من الآية الميتات وما ذبح على اسم الأصنام بدليل أنه قال تعالى في سياق الآية (وانه لفسق) وأجمع العلماء على أن أكل ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لا يفسق واحتجوا أيضاً بإخبارهم في البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قلت يا رسول الله إن هنا أقواماً حديثاً عهد بهم بشرك يأتوننا بلحمان فأندرى يذكرون اسم الله عليها أم لا قال إذكروا أتم اسم الله وكوا قالوا لو كانت التسمية شرطاً للإباحة لكان الشك في وجودها مانعاً من أكلها كالشك في أصل الذبح وقول الشافعي في أول الآية وإن كان عامداً بحسب الصيغة الآن آخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهي قوله وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادواكم وإن أطعمتموهم إنكم لمشركون علمنا أن المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق ذكروا اسم الله في الذبح كما قال في آخر السورة قل لا أجد فيها أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلى قوله أو فسقاً أهل غير الله به فصار هذا الفسق الذي أهل غير الله به مفسراً لقوله وإنه لفسق وإذا كان كذلك كان

وان الشياطين ليوحون (ليوسوسون) (الي اولياهم) من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم لانا كلون مماقتله الله وتا كلون مما تذبجون بايديكم والآية تحرم متروك التسمية (٥٢) وخصت حالة النسيان بالحديث أو يجعل الناس ذكرا تقديرا (وان

أطعمموهم) في استحلال ما حرم الله (انكم لمشركون) لان من اتبع غير الله في دينه فقد أشرك به ومن حق المتدين أن لا يأكل مما لم يذكرا باسم الله عليه لما في الآية من التشديد العظيم ومن أول الآية بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله أو فسقا أهل لغير الله به وقال ان الواو في وانه افسق للحال لان عطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يحسن فيكون التقدير ولانا كلوا منه حال كونه فسقا والفسق مجمل فبين بقوله أو فسقا أهل لغير الله به فصار التقدير ولانا كلوا منه حال كونه مهلا غير الله به فيكون مساوا حلالا بالعمومات المحلولة منها قوله قل لا أجد الآية فقد عدل عن ظاهر اللفظ (أو من كان ميتا فاحييناه) أي كافر افهديناه لان الايمان حياة القلوب ميتا مدني (وجعلنا له نور ايمشي به في الناس) مستضيئا به والمراد به اليقين (كمن مثله) أي صفته (في الظلمات) أي خابط فيها (ليس بخارج منها) لا يفارقها ولا يتخلص منها وهو حال قيل المراد

قوله ولانا كلوا مما لم يذكرا باسم الله عليه وانه لفسق مخصوصا بما أهل لغير الله به والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (وان الشياطين ليوحون الي اولياهم ليجادلوكم) يعني ان الشياطين يوسوسون الي اولياهم من المشركين ليجادلوكم ويخاصموهم واصلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فتزعم ان ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتله الكلب والاصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله عز وجل هذه الآية وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية في تحريم الميتة كتبت فارس وهم المجوس الي مشركي قريش ان خاصموهم واصلى الله عليه وسلم وقالوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فانزل الله وان الشياطين يعني مردة الانس وهم المجوس ليوحون الي اولياهم يعني مشركي قريش وكان بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحى المكاتبة في خفية (وان أطعمموهم) يعني في أكل الميتة وما حرم الله عليكم (انكم لمشركون) يعني انكم اذا مثلهم في الشرك قال الزجاج فيه دليل على أن كل من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك وانما سمي مشركا لانه أثبت ما كغير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك ﴿ قوله عز وجل (أو من كان ميتا فاحييناه) يعني أو من كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان وانما جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان الحي صاحب بصر يهتدي به الي رشده ولما كان الايمان يهدي الي القوزال العظيم والحياة الابدية شبيهة بالحياة (وجعلنا له نور ايمشي به في الناس) يعني وجعلنا له نور ايمشي به في الناس ويهتدي به الي قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لانه يخلص من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات الي النور وقال قتادة هو كتاب الله القرآن لانه بينة من الله مع المؤمنين بما يعملون (كمن مثله في الظلمات) يعني كمن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة (ليس بخارج منها) يعني من تلك الظلمات وهذا مثل ضرب به الله تعالى لحال المؤمن والكافر فبين أن المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فاحياه وأعطاه نور ايمشي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون متخيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون في هذين المثالين هل هما مخصوصان بانسانين معينين أو هما عامان في كل مؤمن وكافر فذكروا في ذلك قولين أحدهما ان الآية في رجائين معينين ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس في قوله وجعلنا له نور ايمشي به في الناس يريد جزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم كمن مثله في الظلمات يريد بذلك أبا جهل بن هشام وذلك ان أبا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر جزة بما فعل أبو جهل وكان جزة قد رجع من صيد ويده قوس وجزة لم يؤمن بعد فاقبل جزة غضبان حتى علا أبا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل أبو جهل يتضرع الي جزة ويقول يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال جزة ومن أسفه منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأسلم جزة يومئذ فانزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل وقال عكرمة والسكبي نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل وقال مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وذلك أن أبا جهل قال زاحنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا نحن وهم كفر سي رهان قالوا من انبي يوحى اليه والله لا تؤمن حتى يأتينا وحى كما ياتيه فزلت هذه الآية والقول الثاني وهو قول الحسن في آخرين ن هذه الآية عامة في حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصلا في الكل دخل فيه كل أحد ﴿ وقوله تعالى (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) قال أهل السنة المزين هو الله تعالى ويدل عليه

قوله

بهما جزة وأبو جهل والاصح ان الآية عامة لكل من هداه الله ولكل من أصله الله فبين

ان مثل المهتدي مثل الميت الذي أحيى وجعل مستضيئا بمشي في الناس بنور الحكمة والايمان ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات التي لا يتخلص منها (كذلك) أي كزين للمؤمن ايمانه (زين للكافرين) بتزيين الله تعالى كقوله زينناهم أعمالهم (ما كانوا يعملون)

أى أعمالهم (وكذلك) أى وكما جعلنا فى مكة صنادة للمكر وافيهما (جعلنا) صيرنا فى (٥٣) كل قرية أ كابر مجرميها ليكروا

ففيها) ليتجبروا على الناس فيها ويعدوا بالامتنان واللام على ظاهرها عند أهل السنة وليست بلام العاقبة وخص الأ كابر وهم الرؤساء لان ما فيهم من الرياسة والمنة أدعى لهم الى المكر والكفر من غيرهم دليله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ثم سلى رسوله عليه السلام ووعد له النصر بقوله (وما يكرون الا بانفسهم) لان مكرهم يحق بهم (وما يشعرون) انه يحق بهم أ كابر مفعول أول والثانى فى كل قرية ومجرميها بدل من أ كابر وأول مجرميها والثانى أ كابر والتقدير مجرميها كابر ولما قال أبو جهل زاجنا بنو عبدمنان فى الشرف حتى اذا صرنا كافر سى رهان قالوا منابى يوحى اليه والله لا رضى به الا ان يأتينا وحى كياتيه نزل (وإذا جاءتهم) أى الأ كابر (آية) معجزة أو آية من القرآن تأمرهم بالامتنان (قالوا ان نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) أى تعطى من الآيات مثل ما أعطى الانبياء فاعلم الله تعالى أنه أعلم من يصلح للنبوة فقال تعالى

قوله زينا لهم أعمالهم ولان حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعى وحصوله لا يكون الا بخلق الله تعالى فدل ذلك على ان المزين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان ويردّه ما تقدم ﴿ وقوله تعالى (وكذلك جعلنا فى كل قرية أ كابر مجرميها) يعنى وكما جعلنا فى مكة أ كابر وعظماء جعلنا فى كل قرية أ كابر وقيل هو معطوف على ما قبله ومعناه كما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا فى كل قرية أ كابر جمع الأ كبر ولا يجوز ان يكون مضافا لانه لا يتم المعنى بل فى الآية تقديم وتأخير تقديره وكذلك جعلنا فى كل قرية مجرميها أ كابر واما جعل المجرمين أ كابر لانهم أقدر على المكر والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم واما حصل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله أنه جعل فى كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم أ كابرهم (ليمكروا فيها) قال أبو عبيدة المكر الخديعة والحيلة والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والنميمة والامتنان الكاذبة وترويج الباطل قال ابن عباس معناه يقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولوا هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا مكرهم (وما يكرون الا بانفسهم) يعنى ما يحق هذا المكر الا بهم لان وبال مكرهم يعود عليهم (وما يشعرون) يعنى ان وبال ذلك المكر يعود عليهم ويضرهم ﴿ قوله عز وجل (وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) يعنى النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقاً لكانت أنا أولى بهامنى لاني أ كبر منكم سنواً أكثر منكم ما لا فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت فى أبى جهل وذلك انه قال زاجنا بنو عبدمنان فى الشرف حتى اذا صرنا كافر سى رهان قالوا منابى يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نقتبعه أبدا الا ان يأتينا وحى كياتيه فانزل الله هذه الآية واذا جاءتهم آية يعنى حجة بيينة ودلالة واضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يعنى الوليد بن المغيرة وأباجهـل ابن هشام أو كل واحد من رؤساء الكفر وبدل عليه الآية التى قبلها وهى قوله وكذلك جعلنا فى كل قرية أ كابر مجرميها ليكروا فيها فكان من مكر كفار قريش أن قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله يعنى النبوة وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسدا منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وفى قولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله قولان أحدهما وهو المشهور ان القوم أرادوا أن تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأن يكونوا متبوعين لاتباعين القول الثانى وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس أن المعنى واذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك يعنى لن نصدقك حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله يعنى حتى يوحى الينا أو يأتينا جبريل بصدقك بانك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوة وانما طلبوا أن يخبرهم الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وانهم رسول من الله تعالى وعلى القول الأول أنهم طلبوا أن يكونوا انبياء وبدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) يعنى انه تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيبشره بها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس بأهل لها واتم لستم لها بآهل وان النبوة لا تحصل لمن يطامها خصوصاً لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال أهل المعانى الابغ فى تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل البعثة مطاعين فى قومهم لان الطعن كان يتوجه عليهم فيقال انما كانوا رؤساء مطاعين فاتبعهم قومهم لاجل ذلك فكان الله تعالى أعلم من يستحق الرسالة فجعلها للتيقم أى طالب دون أى جهل والولد وغيرهم من أ كابر قريش ورؤسائها ﴿ وقوله تعالى (سيصيب الذين أجرموا صغار) أى ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذل الذى نصغر الى المرء نفسه فيه (عند الله) يعنى هذا من عند الله وقيل ان هذا الصغار ثابت لهم عند الله فعلى هذا القول انما يحصل لهم الصغار فى الآخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار بحكم الله حكم به عليهم فى الدنيا (وعذاب شديد) يعنى فى الآخرة (وما

الله أعلم حيث يجعل رسالته) مكى وحقق رسالاته غيرهما حيث فعل به والعامل مخدوف والتقدير يعلم موضع رسالته (سيصيب الذين أجرموا) من أ كابرها (صغار) ذل وهوان (عند الله) فى القيامة (وعذاب شديد) فى الدارين من القتل والامر وعذاب

كانوا يكرهون) يعني انما حصل لهم هذا الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسد هم وطلبهم ما لا يستحقون  
 قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) أي الإيمان يقال شرح الله صدره فأنشرح أي  
 وسعه لقبول الإيمان والخير فتوسع وذلك أن الانسان اذا اعتقد في عمل من الاعمال أن نفعه زائد وخيره  
 راجح وربحه ظاهر مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشرح الصدر وقيل  
 الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان أمره اذا أوضحت وأظهره وشرح المسئلة اذا كانت مشككة فوضعها  
 وبينها فقد ثبت أن للشرح معنيين أحدهما الفتح ومنه يقال شرح الكافر بالكفر صدرا أي فتحه لقبوله  
 ومنه قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا وقوله أفمن شرح الله صدره للإسلام يعني فتحه ووسعه لقبوله  
 والثاني ان الشرح نور يقذفه الله في قلب العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله وينشرح صدره له ومعنى  
 الآية فمن يرد الله أن يهديه للإيمان بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله ويهونه  
 عليه ويسهله بفضله وكرمه ولطفه به واحسانه اليه فعند ذلك يستنير الاسلام في قلبه فيضيء به ويتسع له  
 صدره ولما نزلت هذه الآية سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن  
 فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك أمانة قال نعم الا نابة الى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد  
 للموت قبل نزل الموت وأسند الطبري عن ابن مسعود قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم حين نزلت  
 عليه هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح  
 قالوا فهل لذلك من آية يعرف بها قال الا نابة الى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل  
 اتمام الموت وقوله تعالى (ومن يرد) أي الله (أن يضله يجعل صدره ضيقا) يعني يجعل صدره ضيقا  
 حتى لا يدخله الإيمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس اذا سمع ذكر الله اشماز قلبه واذا  
 سمع ذكر الاصنام ارتاح الى ذلك وقرأ عمر بن الخطاب هذه الآية وعنده اعرابي من كناية فقال له ما الخرجة  
 فيكم قال الخرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر كذلك  
 قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير وأصل الخرج الضيق وهو مأخوذ من الخرجة وهي الاشجار الملتف  
 بعضها على بعض حتى لا يصل اليها شيء وقرأ ابن عباس هذه الآية فقال هل هنا أحد من بني بكر قال رجل  
 نعم قال ما الخرجة فيكم قال الوادي الكثير الشجر المستمسك الذي لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب  
 الكافر قال أهل المعاني لما كان القلب محلا للعلوم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته  
 بالانشرح والانساح ونوره فقبل ما أودعه من الإيمان بالله ورسوله ووصف قلب من يريد ضلته بالضيق  
 الذي هو خلاف الشرح والانساح فدل ذلك على ان الله تعالى صير قلب الكافر بحيث لا يعي علماء ولا  
 استدلالا على توحيد الله تعالى والإيمان به وفي الآية دليل على أن جميع الاشياء بمشيئة الله وارا دته حتى  
 إيمان المؤمن وكفر الكافر وقوله تعالى (كأنما يصعد في السماء) يعني أن الكافر اذا دعى الى الاسلام كأنه  
 قد كلف أن يصعد الى السماء ولا يقدر على ذلك وقيل يجوز أن يكون المعنى كأن قلب الكافر يصعد الى السماء  
 نبوا عن الاسلام وتكبروا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد الا أن يصعد الى السماء وليس يقدر على ذلك وقيل  
 هو من المشقة وصعوبة الامر فيكون المعنى ان الكافر اذا دعى الى الاسلام فانه يتكلف مشقة وصعوبة في  
 ذلك كمن يتكلف الصعود الى السماء وليس يقدر على ذلك (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون)  
 الكاف في ذلك تقييد التشبيه وفيه وجهان الاول معناه أن جعله الرجس عليهم كجعله صـ دورهم ضيقة  
 حرجة والمعنى كما جعلنا صدورهم ضيقة حرجة كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثاني قال الزجاج  
 أي مثل ما قصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس قال ابن عباس الرجس الشيطان أي فيسلطه الله عليهم  
 وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وفي رواية عن ابن عباس ان الرجس العذاب وقال الزجاج الرجس في

النار (بما كانوا يكرهون) في الدنيا (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) يوسعه وينور قلبه قال عليه السلام اذا دخل النور في القلب انشرح وانفتح قيل وما علامة ذلك قال الا نابة الى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزل الموت (ومن يرد) أي الله (أن يضله يجعل صدره ضيقا) ضيقا مكي (حرجا) صفة لضيقا مدني وأبو بكر بالغ في الضيق حرجا غيرهما وصفا بالمصدر (كأنما يصعد في السماء) كأنه كلف أن يصعد الى السماء اذا دعى الى الاسلام من ضيق صدره عنه اذا ضاقت عليه الارض فطلب صعدا في السماء أو كعازب الرأي طائر القلب في الهواء يصعد مكي يصعد أبو بكر وأصله يتصاعد الباقيون يصعد وأصله يتصعد (كذلك يجعل الله الرجس) العذاب في الآخرة واللجنة في الدنيا (على الذين لا يؤمنون) والآية حجة لتساعلي المعتزلة في ارادة

و جعله ضيقا لمن أراد  
ضلاله (مستقيما) عادلا  
مطردا أو هو حال مؤكدة  
(قد فصلنا الآيات لقوم  
يذكرون) يتعظون  
(لهم) أي لقوم يذكرون  
(دار السلام) دار الله يعني  
الجنة أضافها إلى نفسه  
تعظيها لها ودار السلامة  
من كل آفة وكدر أو السلام  
التحية سميت دار السلام  
لأنه تحيتهم فيها سلام إلا  
قيل سلاما سلاما (عند  
رهم) في ضمانه (وهو  
وليهم) محبهم أو ناصرهم  
على أعدائهم (بما كانوا  
يعملون) بأعمالهم أو  
متوليهم بجزاء ما كانوا  
يعملون أو هو ولينا في  
لدينا بتوفيق الأعمال  
وفي العقبي بتحقيق  
الآمال (ويوم نحشرهم  
جميعا) وبالبياء حفص أي  
واذ كر يوم نحشرهم أو  
ويوم نحشرهم قلنا  
(يامعشر الجن قد استكثرتم  
من الانس) أضلتم منهم  
كثيرا وجعلتموهم  
أتباعكم كما تقول استكثر  
الأمير من الجنود (وقال  
أولياؤهم من الانس)  
الذين أطاعوهم واستمعوا  
إلى وسوساتهم (ربنا  
استمتع بعضنا ببعض) أي  
اتتفع الانس بالشياطين  
حيث دلوهم على الشهوات

الدنيا اللعنة وفي الآخرة العذاب قوله عز وجل (وهذا صراط ربك مستقيما) يعني وهذا الذي بيننا لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القرآن هو صراط ربك يعني دينه الذي شرعه لعباده ورضيه لنفسه وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه قال ابن عباس في قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعني الاسلام وقال ابن مسعود يعني القرآن لأنه يؤدي من تبعه وعمل به إلى طريق الاستقامة والسداد (قد فصلنا الآيات) يعني قد فصلنا آيات القرآن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والامر والنهي وغير ذلك من أحكام القرآن (لقوم يذكرون) يعني لمن يتذكر بها ويتعظ بما فيها من المواعظ والعبر قال عطاء يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان (لهم دار السلام عند رهم) يعني الجنة في قول جميع المفسرين قال الحسن والسدي السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام في أسماء الله تعالى ذوالسلام وهو جمع سلامة لأنه تعالى ذوالسلامة من جميع الآفات والمقائص فعلى هذا القول أضيفت الدار إلى السلام الذي هو اسم الله تعالى إضافة تشريف وتعظيم كما قيل للكعبة بيت الله وللنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله في قوله وأنه لما قام عبد الله يدعوه واحتج لصحة هذا بأن في إضافة الدار إلى الله تعالى نهاية تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الإضافة مبالغة في تعظيم أمرها وقيل إن السلام صفة للدار لأنها دار السلامة الدائمة التي لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام بمعنى السلامة كما قال لهم دار السلامة التي لا يلتقون فيها شيئا يكرهونه وقيل سميت بذلك لأن جميع حالاتهم مقرونة بالسلامة كما قال تعالى في وصفها ادخلوها بسلام آمنين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تحيتهم فيها سلام وقال من ربه رحيم لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما وقوله عند رهم يعني إن الجنة معدة مهياة لهم عند رهم حتى يوصلهم إليها (وهو وليهم بما كانوا يعملون) يعني أنه تعالى يتولى أمرهم وإيصال المنافع إليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناها أنه يتولاهم في الدنيا بالتوفيق والهداية وفي الآخرة بالجزاء والجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعني أنه تعالى ينصرهم في الدنيا ويقربهم في الآخرة بسبب أعمالهم الصالحة التي كانوا يتقربون بها إليه في الدنيا ﴿ قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا) أي اذ كر يا محمد يوم نحشر المعادين بالله الأصنام مع أوليائهم من الشياطين يعني يحشر المشركين والشياطين جميعا يوم القيامة (يامعشر الجن) فيه حذف تقديره يقول لهم يامعشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين (قد استكثرتم من الانس) يعني من أضلالهم واغوائهم وقال ابن عباس معناها أضلتم كثير من الانس وهذا التفسير لا بد له من تأويل آخر لأن الجن لا يقدر ون على اضلال الانس واغوائهم بانفسهم لأنه لا يقدر على الاجبار أحد إلا الله لأنه هو المتصرف في خلقه بما شاء فوجب أن يكون المعنى قد استكثرتم من الدعاء إلى الاضلال مع مصادفة القبول من الانس (وقال أولياؤهم من الانس) بنا استمتع بعضنا ببعض) يعني استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع الانس بالجن فقال الكلبي كان الرجل في الجاهلية إذا سافر فنزل بأرض فقراء وخاف على نفسه من الجن قال أهوذ بسيد هذا الوادي من شرسفهاء قومه فيبيت في جوارهم وأما استمتاع الجن بالانس فهو أنهم قالوا سددنا الانس مع الجن حتى عاذا وبنافيردادون بذلك شرفا في قومهم وعظما في أنفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن هو ما كانوا يلتقون اليهم من الأراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم الأمور التي كانوا يهونونها وتسهيل سبلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي وقيل استمتاع الانس بالجن فيما كانوا يدلونهم على أنواع الشهوات وأصناف الطيبات ويسهلونها عليهم واستمتاع الجن بالانس هي طاعة الانس للجن فيما يأمرونهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كأروساء للانس والانس كالأتباع وقيل إن قوله بنا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الانس خاصة لأن استمتاع الجن بالانس وبالعكس أمر نادر لا يكاد يظهر أما استمتاع الانس بعضهم ببعض فهو ظاهر فوجب حمل الكلام عليه

وعلى أسباب التوصل إليها واتتفع الجن بالانس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم في اغوائهم

واتباع الهوى والتكذب بالبعث وتحسر على حالهم (قال النار منواكم منزلكم خالدين فيها) حال والعامر معنى الاضافة كقوله تعالى أن دابر هؤلاء مقطوع مصبين فصبين حال من هؤلاء والعامل في الحال معنى الاضافة اذ معنا الممازجة والمضامة والمثوى ليس بعامل لان المكان لا يعمل في شيء (الاماشاء الله) أي يخلدون في عذاب النار الابدي كله الاماشاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب السعير الى عذاب الزمهرير (ان ربك حكيم) فيما يفعل باوليائه وأعدائه (عليم) باعمالهم فيجزى كالأعلى وفق عمله (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) تتبع بعضهم بعضا في النار أو نسلط بعضهم على بعض أو نجعل بعضهم أولياء بعض (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي ثم يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ (يا معشر الجن والانس ألبأتكم رسل منكم) عن الضحاك بعث الى الجن رسلا منهم كما بعث الى الانس رسلا منهم لانهم به آنس وعاليه ظاهر النص وقال آخرون الرسل

(و بلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) يعني ان ذلك الاستمتاع كان الى أجل معين ووقت محدد ثم ذهب و بقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدى الاجل الموت وقيل هو وقت البعث للحساب في يوم القيامة (قال) يعني قال الله هؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والانس (النار منواكم) يعني ان النار مقامكم ومقركم فيها ومصيركم اليها (خالدين فيها) يعني مقيدين في نار جهنم أبدا (الاماشاء الله) اختلفوا في معنى هذا الاستثناء فقيل معناه خالدين فيها الا قدر مدة بعثهم ووقفهم للحساب الى حين دخولهم الى النار فان هذا الوقت ليسوا بخالدين فيه في النار وقيل المراد من هذا الاستثناء هو اوقات نقلهم من عذاب الى عذاب آخر وذلك انهم يستغيثون من النار فينقلون الى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون الى النار فكانت مدة نقلهم هي المراد من هذا الاستثناء ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس انه قال ان هذا الاستثناء يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله أنهم مسلمون وصدقون النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار قالوا فعلى هذا التأويل تكون ما في قوله الاماشاء الله بمعنى من يعني الامن شاء الله ونقل الطبري عن ابن عباس انه كان يتأول هذا الاستثناء بان الله عز وجل جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابهم الى مشيئته وقال في هذه الآية انه لا ينبغي لاحد أن يحكم على الله في خلقه ان لا ينزلهم جنة ولا نار اقال الزجاج والقول الاول أولى لان معنى الاستثناء انما هو من يوم القيامة لان قوله ويوم نحشرهم جميعا هو يوم القيامة ثم قال خالدين فيها منديبعثون الاماشاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم (ان ربك حكيم) يعني في تدبير خلقه وتصريفه اياهم في مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من أفعاله وقيل حكيم فيما يفعله من ثواب الطائع وعقاب العاصي وفي سائر وجوه المجازاة (عليم) يعني بعواقب أمور خلقه وما هم اليه صائرون كانه قال انما حكمت هؤلاء الكفار بالخلود في النار اعلمى بانهم يستحقون ذلك ﴿قوله عز وجل﴾ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا الكاف في كذلك كاف التشبيه تقتضي شيئا تقدم ذكره فالتقدير كما أنزلت العذاب بالجن والانس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولي بعض الظالمين بعضا أي نسلط بعضهم على بعض فناخذ من الظالم بالظلم كما جاء في الاثر من أعان ظالما سلطه الله عليه وقال قتادة نجعل بعضهم أولياء بعض فالظلم من ولي المؤمن حيث كان وأين كان والكافر ولي الكافر حيث كان وأين كان وفي رواية أخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقيل معناه نولي ظلمة الانس وظلمة الجن وظلمة الانس يعني نكل بعضهم الى بعض وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية هو ان الله تعالى اذا أراد بقوم خيرا ولى عليهم خيرا وهم واذا أراد بقوم شرا ولى عليهم شرا وهم فعلى هذا القول ان الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عز وجل عليهم ظالما مثلهم فمن أراد أن يخلص من ظلم ذلك الظالم فليترك الظلم ﴿قوله تعالى﴾ (بما كانوا يكسبون) يعني يسلط عليهم من يظلمهم بسبب أعماله الخبيثة التي اكتسبوها ﴿قوله تعالى﴾ (يا معشر الجن والانس) المعشر كل جماعة أمرهم واحدا والجمع معاشر (ألبأتكم رسل منكم) اختلف العلماء في معنى هذه الآية وهل كان من الجن رسل أم لا فذهب أكثر العلماء الى انه لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس وأجابوا عن قوله رسل منكم بمعنى من أحدكم وهم الانس فحذف المضاف فهو كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهو جائز في كل ما اتفق في أصله فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهما بما ينصرف الى أحدهم الفريقين وهم الانس وهذا قول الفراء والزجاج ومذهب جمهور أهل العلم قال الواحدى وعليه دل كلام ابن عباس لانه قال يريد أنبياء من جنسهم ولم يكن من جنس الجن أنبياء وذهب قوم الى أنه أرسل الى الجن رسلا منهم كما أرسل الى الانس رسلا منهم قال الضحاك من الجن رسل كما من الانس رسل وظاهر الآية يدل



على ذلك لانه قال تعالى ألم ياتكم رسل منكم فخطبوا بكم فآبى عن ذلك بان الله تعالى قال  
 يامعشر الجن والانس ألم ياتكم رسل منكم وهذا يقتضى كون الرسل بعضهم أبعاض هذا المجموع واذا  
 كان الرسل من الانس كان الرسل بعضهم أبعاض هذا المجموع وكان هذا القول أولى من حمل لفظ الآية  
 على ظاهرها ثبت بذلك كون الرسل من الانس لا من الجن ويحتمل أيضاً ان يقال ان كافة الرسل كانوا من  
 الانس لكن الله تعالى ياتى الداعية فى قلوب قوم من الجن حتى يسمعو كلام الرسل من الانس ثم ياتوا قومهم  
 من الجن فيخبروهم بما سمعوا من الرسل وينذروهم به كما قال تعالى واذصر فناء ابيك نفر من الجن يستمعون  
 القرآن الى فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين فكان أولئك نفر من الجن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 الى قومهم وهذا مذهب مجاهد فانه قال الرسل من الانس والنذر من الجن ونحو ذلك قال ابن جريج وأبو عبيدة  
 وقيل كانت الرسل يعنون الى الجن من الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله اعلم بمراده وأسرار كتابه  
 ﴿وقوله تعالى (يقصون عليكم آياتي) يعني يخبرونكم بما أوحى اليهم من آياتي الله على توحيدى وتصديق  
 رسلى (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعني وينذرونكم ويخوفونكم لقاء عذابي فى يومكم هذا وهو يوم  
 القيامة وذلك ان الله تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التقرب والتوب بيخ ما أخبرنى  
 كتابه وهو قوله تعالى يامعشر الجن والانس الآية فيجيبون بما أخبر عنهم فى قوله تعالى (قالوا) يعنى كفار  
 الجن والانس (شهدنا على أنفسنا) اعترفوا بأن الرسل قد أتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وأنذروهم لقاء  
 يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله  
 تعالى (وغرتهم الحياة الدنيا) يعنى انما كان ذلك بسبب انهم غرتهم الحياة الدنيا ومالوا اليها (وشهدوا على  
 أنفسهم انهم كانوا كافرين) فى الدنيا فان قلت كيف أقروا على أنفسهم بالكفر فى هذه الآية ومجدوا  
 الشرك والكفر فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت يوم القيامة يوم طويل والاحوال فيه مختلفة فاذا  
 رأوا ما حصل للمؤمنين من الخير والفضل والكرامة أنكروا الشرك لعل ذلك الانكار ينفعهم وقالوا  
 والله ربنا ما كنا مشركين فينشد يختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله  
 تعالى وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين فان قلت لم كرر شهادتهم على أنفسهم قات شهادتهم الاولى  
 اعتراف منهم بما كانوا عليه فى الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفى قوله وشهدوا على أنفسهم  
 ذم لهم وتخطئة رأيهم ووصف لذة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا ولذاتهم كانت عاقبة  
 أمرهم أن اضطروا الى الشهادة على أنفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم تحذير السامعين وزجرهم  
 عن الكفر والمعاصى ﴿قوله عز وجل (ذلك) إشارة الى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل اليهم وانذارهم  
 سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذى قصصنا عليك من أمر الرسل وأمر عذاب من كذبهم (أن لم يكن  
 ربك) يعنى لانه لم يكن ربك (مهلك القرى بظلم) قال السكابي معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل  
 أن تأتهم الرسل فتنهاهم فان رجعوا والآن انهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز أن  
 يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم منه (وأهلها غافلون) أى وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا  
 للكفار وهو شركهم وذنوبهم التى عملوها وعلى قول الفراء انه لو أهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظالموا الله  
 عز وجل بتعالى عن الظلم والقول الاول أصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه  
 فى شئ من أفعاله غير انه أخبر انه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظالماً منه ﴿قوله تعالى (ولكل  
 درجات مما عملوا) يعنى ولكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات يعنى منازل يباغها بعمله ان كان خيراً خيراً  
 وان كان شراً شراً وانما سميت درجات لتفاضلها فى الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج وهذا انما يكون  
 فى الثواب والعقاب على قدر أعمالهم فى الدنيا فمنهم من هو أعظم ثواباً ومنهم من هو أشد عقاباً وهو قول جمهور

(يقصون عليكم آياتي)  
 يقرؤن كتبى (وينذرونكم  
 لقاء يومكم هذا) يعنى  
 يوم القيامة (قالوا) شهدنا  
 على أنفسنا) بوجوب  
 الحجّة علينا وتبليغ الرسل  
 اليها (وغرتهم الحياة الدنيا  
 وشهدوا على أنفسهم أنهم  
 كانوا كافرين) بالرسل  
 (ذلك) إشارة الى ما تقدم  
 من بعثة الرسل اليهم وهو  
 خبر مبتدأ محذوف أى  
 الامر ذلك (ان لم يكن  
 ربك مهلك القرى بظلم  
 وأهلها غافلون) لتعليل أى  
 الامر ما قصصنا عليك  
 لانتفاء كون ربك مهلك  
 القرى بظلم على أن  
 أن مصدرية ويجوز أن  
 تكون مخففة من التثنية  
 والمعنى لان الشأن والحديث  
 لم يكن ربك مهلك القرى  
 بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه  
 أو ظالموا على أنه لو أهلكهم  
 وهم غافلون لم ينهوا رسول  
 وكتاب لكان ظالماً وهو  
 متعال عنه (ولكل) من  
 المكافئين (درجات) منازل  
 (مما عملوا) من جزاء أعمالهم  
 وبه استدلل أبو يوسف  
 ومحمد رحمهما الله على أن  
 للجن الثواب بالطاعة لانه  
 ذكر عقيب ذكر الثقلين

(ومار بك بغافل عما يعملون) بساه عنه و بالتاء شامى (ور بك الغنى) عن عباده وعن عبادتهم (ذوالرحمة) عليهم بالتكليف ليعرضهم للذافع الدائمة (ان يشأ بذهبكم) أيها الظلمة (ويستخلف من بعدكم مايشاء) من الخلق المطيع (كأنشأكم من ذرية قوم آخرين) من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام (ان ما) ما بمعنى الذى (توعدون) من البعث والحساب والثواب والعقاب (لآت) خبر ان أى لكائن (وما أنتم بمجزيين) بفائتين رداً فوهم من مات فقد فات المكانة تكون مصدراً يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكّن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله (قل) يا قوم اعملوا على مكاتكم يحتمل اعملوا على تمكّنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم و اعملوا على جهنم وحالكم التي أنتم عليها ويقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله على مكاتك يا فلان أى اثبت على ما أنت عليه (انى عامل) على مكاتى التي انا

المفسر بن وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا مختص باهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يليق الا بهم وقوله تعالى (ومار بك بغافل عما يعملون) مختص باهل الكفر والمعاصى فضيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول أصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطائع والمعاصى وانه عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزى كل عامل على قدر عمله وما يليق به من ثواب أو عقاب ﴿ قوله عز وجل (ور بك الغنى) يعني عن خلقه وذلك أنه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة أو معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة المطيع أو منتقص بمعصية العاصى بل هو الغنى على الاطلاق وان جميع الخلق فقراء اليه (ذوالرحمة) قال ابن عباس باولياته وأهل طاعته وقال السكيتي مخلقه ذوالتحاوز عنهم فمن رحمته تأخير العذاب عن المذنبين لعلمهم بتوبه ويرجعون (ان يشأ بذهبكم) يعني يهلككم الخطاب لاهل مكة فضيه وعيد وتهديد لهم (ويستخلف) يعني وينشئ ويخلق (من بعدكم) يعني من بعد اهل ككم (مايشاء) يعني خلقاً غيركم أمثلاً وأطوع منكم (كأنشأكم من ذرية قوم آخرين) اختلفت عبارات المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوي يعني آباءهم الماضين قرنا بعد قرن ونحوه قال الواحدى وصاحب الكشاف يعني من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام نجر الدين الرازى في قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعني من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت وأما قوله مايشاء فالمراد منه خلق ثالث أورابع واختلفوا فيه فقال بعضهم خلقاً آخر من أمثال الجن والانس قال القاضى وهو الوجه الاقرب لان القوم يعملون بالعبادة انه تعالى قادر على انشاء أمثال هذا الخلق فحتى كمل خلق ثالث ورابع يكون أقوى في دلالة القدرة فكانه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصلحون لرحمته العظيمة التي هي الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى لرحمته طولاء الاقوام الحاضرين أبقاهم وأمهلهم ولو شاء لاماتهم وأفناهم وأبدل منهم سواهم ثم بين الله تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كأنشأكم من ذرية قوم آخرين لان المرء اذا تفكر علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب أن يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على تصويرهم خالقاً آخر مخالفاً لها هذا آخر كلامه وقال الطبرى في قوله كأنشأكم من ذرية قوم آخرين يقول كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم ومعنى من في هذا الموضع التعقيب كما يقال فى الكلام أعطيتك من دينارك ثوباً يعنى مكان الدينار ثوباً بالأن الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كأنشأكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر أنهم أنشؤا من أصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرناهم أنشؤا مكان قوم آخرين قد أهلوا قبليهم ﴿ قوله تعالى (ان ما توعدون) به من محى الساعة والبعث بعد الموت والجنس للحساب يوم القيامة (لآت) يعنى انه كائن قريب (وما أنتم بمجزيين) يعنى بفائتين حينما كنتم يدرككم الموت (قل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى قل يا محمد (يا قوم) أى قل لقومك من كفار قريش (اعملوا على مكاتكم) وقرى مكاتكم على الجمع والمكانة تكون مصدراً يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكّن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكاتكم محتمل أن يكون معناه اعملوا على تمكّنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم ويحتمل أن يكون معناه اعملوا على حالتكم التي أنتم عليها كما يقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله يثبت على حاله على مكاتك يا فلان أى اثبت على ما أنت عليه (انى عامل) يعنى انى عامل على مكاتى التي أنا عليها وما أمرنى به ربى والمعنى اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر والعداوة فاني ثابته على الاسلام والمصابرة فان قلت ظاهر الآية يدل

عليها أي اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم وهو امر تهديد ووعيد دليله قوله (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) أي فسوف تعلمون أي ناتكون له

(٥٩)

العاقبة المحموده وهذا طريق

لطيف في الانذار (انه لا يفلح الظالمون) أي الكافرون مكانكم حيث كان أبو بكر يكون حزة وعلى وموضع من رفع اذا كان بمعنى أي وعلق عنه فعل العلم أو نصب اذا كان بمعنى الذي (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) أي وللانعام نصيبا كتنى بدلالة قوله تعالى (فقالوا هـذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) بزعمهم على وكذا ما بعده أي زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله) أي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصفونهم اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) من انفاقهم عليها والاجراء على سدتها وروى انهم كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منهما لأهلهم فاذا رأوا ما جعلوا لله زكيا ناميا رجعوا فجعلوه للانعام واذا زكيا ما جعلوه للانعام تركوه لها وقالوا ان الله غني وانما ذاك لحبهم آلهتهم وايتارهم لها وفي قوله مما ذرأ ان الله كان أولى بان يجعل له زكيا ما جعلوه للانعام

على أمر الكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز قلت معنى هذا الامر الوعيد والتهديد والمبالغة في الزجر عما هم عليه من الكفر فكانه قال أقيموا على ما أنتم عليه من الكفر ان رضيتم لانفسكم بالعذاب الدائم فهو كقوله تعالى اعلموا ما شئتم ففيه نفو يض أمر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد وليس فيه اطلاق لهم في عمل ما أرادوه من الكفر والمعاصي ﴿وقوله تعالى (فسوف تعلمون) يعني لمن تكون العاقبة المحمودة لنا أولكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم أي نأنا كان على الحق في عمله نحن أم أنتم (من تكون له عاقبة الدار) يعني فسوف تعلمون غدا في القيامة لمن تكون عاقبة الدار وهي الجنة (انه لا يفلح الظالمون) قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفر بي وأشرك ثم في هذه الآية قولان أحدهما انها محكمة وهذا على قول من يقول ان المراد بقوله اعلموا على مكاتكم الوعيد والتهديد والقول الثاني انها منسوخة بآية السيف وهذا على قول من يقول ان المراد بها ترك القتال ﴿وقوله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) الآية لما بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من انكار البعث وغير ذلك عقبه بذكر أنواع من جهالاتهم وأحكامهم الفاسدة تذييلها على ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مما ذرأ يعني مما خاق من الحرث يعني الزرع والتمر والانعام يعني ومن الانعام وهي الابل والبقر والغنم نصيبا يعني قسما وجزأ قال المفسرون كان المشركون في الجاهلية يجعلون لله من حرثهم وثمارهم وانعامهم وسائر مواهبهم نصيبا وللانعام نصيبا فاجعلوه من ذلك لله صرفوه الى الضيفان والمساكين وما جعلوه للانعام أنفقوه عليها وعلى خدمتها فان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط شيء من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة اليه وكانوا اذا هلك شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا انتقص شيء مما جعلوه لله للاوثان جبروه مما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وفيه اختصار تقديره وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وللانعام نصيبا (فقالوا هـذا لله بزعمهم) يعني قولهم الذي هو بغير حقيقة لان معنى زعم حكاية قول يكون مظنة الكذب ولذلك لا يجيء الا في موضع ذم لقائله وانما نسبوا الى الكذب في قولهم هـذا لله بزعمهم وان كانت الاشياء كلها لله لا ضافتهم نصيب الانعام مع نصيب الله وهو قولهم (وهذا لشركائنا) يعني الانعام وانما سموا الانعام شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من مواهبهم ينفقونه عليها (فما كان لشركائهم) يعني ما جعلوه لها من الحرث والانعام (فلا يصل الى الله) يعني فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيفان (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) والمعنى انهم كانوا يقررون ما جعلوه للانعام مما جعلوه لله ولا يقررون ما جعلوه لله مما جعلوه للانعام وقال قتادة كانوا اذا أصابتهم سنة أي قحط وشدة استعانوا بما جعلوه لله وأكلوا منه ووفر ما جعلوه لشركائهم ولم يأكلوا منه شيئا وقال الحسن والسدي كانوا اذا هلك ما جعلوه لشركائهم أخذوا وبدلوا ما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم الله تعالى فقال (ساء ما يحكمون) يعني بس ما يحكمون ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب الانعام على جانب الله تعالى في الرعاية والحفظ وهذا سفه منهم وقيل ان الاشياء كلها لله عز وجل وهو خلقها فلما جعلوا للانعام جزءا من المال وهي لا تمك ولا تخلق ولا تنفع ولا تنفع نسبوا الى الاساءة في الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الاحكام الفاسدة التي لم يرد بها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل ﴿وقوله عز وجل (وكذلك) عطف على قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا يعني كما فعلوا ذلك

قوله مما ذرأ اشارة الى ان الله كان أولى بان يجعل له زكيا ما جعلوه للانعام (ساء ما يحكمون) في ايتار آلهتهم على الله وعمله على ما لم يشرع لهم وهو وضع ما رفعه أي ساء الحكم حكمه أو نص أي ساء حكمها حكمهم (وكذلك

زين لكثير من المشركين) أي كاز بن لم تجزئة المال زين وأد البنات (قتل) مفعول زين (أولادهم شركاؤهم) هو فاعل زين زين بالضم قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركاؤهم بالجر شامى على إضافة القتل إلى الشركاء أي الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول وتقديره زين لكثير من المشركين قتل شركاؤهم أولادهم (يردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ويشوبوه ودينهم كانوا (٦٥) عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه إلى الشرك (ولو شاء الله ما فعلوه) وفيه

دليل على ان الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى (قدرهم وما يفترون) وما يفترونه من الافلاك أو افتراءهم لان ضرر ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا (وقالوا هذه أنعام وحرث) للاوثان (حجر) حرام فعل بمعنى المفعول كالذبح والطحن ويستوى في الوصف به المذكور والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وكانوا اذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لأطعمهم قالوا (لا تطعمها الا من نشاء بزعمهم) يعنون خدام الاوثان والرجال دون النساء والزعم قول بالظن يشوبه الكذب (وأنعام حرمت ظهورها) هي البحائر والسوائب والحوامى (وأنعام لا يذ كرون اسم الله عليها) حالة الذبح وانما يذ كرون عليها أسماء الاصنام (افتراء عليه) هو مفعول له أو حال أي قسموا أنعامهم قسم حجر وقسم لا يركب وقسم لا يذ كرون

جهل منهم كذلك زين لكثير منهم قتل أولادهم شركاؤهم والمعنى أن جعلهم لله نصيبا من أموالهم وشركاؤهم نصيبا في غاية الجهل بمعرفة الخالق المذم لانهم جعلوا الاصنام مثله في استحقاق النصيب وكذلك اقدمهم على قتل أولادهم في نهاية الجهالة أيضا فكانه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في القسم جهلا وخطأ وضلالا كذلك (زين) يعني حسن (الكثير من المشركين قتل أولادهم) يعني به وأد البنات أحياء مخافة الفقر والعيلة (شركاؤهم) يعني شياطينهم أمرؤهم أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركاء لانهم أطاعوهم فيما أمرؤهم به من معصية الله وقتل الاولاد فاشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم وأضيف الشركاء إلى المشركين لانهم أطاعوهم واتخذوهم أربابا وقال الكافي شركاؤهم سدة آطتهم يعني خدامها وهم الذين كانوا يزينون ويحسنون للكفار قتل الاولاد وكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف أن ولده كذا وكذا غلاما ينحرن آخرهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول الشركاء هم السدة وخدام الاصنام سمو شركاء لانهم أشركوهم في الطاعة (يردوهم) يعني يهلكوهم بذلك الفعل الذي أمرؤهم به والارداء في اللغة الاهلاك قال ابن عباس يردوهم في النار (وليلبسوا عليهم دينهم) يعني وليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشرك في دينهم وكانوا على دين اسمعيل عليه السلام فرجعوا عنه بتبليس الشياطين وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين الحق الذي كان عليه اسمعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الاوضاع الفاسدة وزينوها لهم (ولو شاء الله ما فعلوه) يعني ولو شاء الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذي زين لهم من تحريم الحرث والانعام وقتل الاولاد أخبر الله عز وجل أن جميع الأشياء بمشيئته و ارادته اذ لو لم يشأ ما فعلوا ذلك (قدرهم) يعني فانزكهم يا محمد (وما يفترون) يعني وما يختلقون من الكذب على الله فان الله لهم بالمرصاد قوله تعالى (وقالوا) يعني المشركين (هذه أنعام وحرث حجر) أي حرام وأصله المنع لانه منع من الانتفاع منه بتحريمه وقيل هو من التضييق والحبس لانهم كانوا يحبسون أشياء من أنعامهم وحرثهم لأطعمهم قال مجاهد يعني بالانعام البحرية والسائبة والوصيلة والحامى (لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم) يعني يا كاهن خدام الاصنام والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) يعني الحوامى وهي الانعام التي جوار ظهورها عن الركوب فكانوا لا يركبونها (وأنعام لا يذ كرون اسم الله عليها) يعني لا يذ كرون اسم الله عليها عند الذبح وانما كانوا يذ كرون عليها أسماء الاصنام وقيل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها الفعل الخير لانه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير ذم هؤلاء على ترك فعل الخير (افتراء عليه) يعني أنهم كانوا يفعلون هذه الافعال ويزعمون ان الله أمرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل (سيجزئهم بما كانوا يفترون) فيه وعيد وتهديد لهم على افتراءهم على الله الكذب قوله عز وجل (وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) يعني نساءنا قال ابن عباس وقتادة والشعبي أراد أجنة البحائر والسوائب فالولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النساء وما ولد منها ميتا كله الرجال والنساء جميعا وهو قوله تعالى (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء)

اسم الله عليها ونسبوا ذلك إلى الله افتراء عليه (سيجزئهم بما كانوا يفترون) وعيد (وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا ياكل منه الاثام وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وانت خالصة وهو خير مما للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكور محرم جملا على اللفظ والتماء للمبالغة كمناسبة (وان يكن ميتة) أي وان يكن ما في بطونهم ميتة وان تكن ميتة أبو بكر أي وان تكن الاجنة ميتة وان تكن ميتة شامى على كان التامة يكن ميتة مكي لتقدم الفعل ونذ كبر الضمير في (فهم فيه شركاء) ودخلت

جزاء وصفهم الكذب على  
الله في التحليل والتحرير  
(انه حكيم) في جزائهم  
(عليم) باعتقادهم (قد  
خسر الذين قتلوا أولادهم)  
كانوا يثدون بناتهم مخافة  
السبي والفقير قتلوا مكي  
وشامى (سفها بغير علم)  
لخفة أعلامهم وجهلهم بان  
الله هو رازق أولادهم  
لاهم (وحرمو أمارزقهم -  
الله) من البحائر  
والسواب وغيرها (افتراء  
على الله) مفعول له (قد  
ضلوا وما كانوا مهتدين)  
الى الصواب (وهو الذي  
أنشأ) خلق (جنات) من  
الكروم (معروشات)  
مسموكات مرفوعات  
(وغير معروشات) متروكات  
على وجه الارض لم تعرش  
يقال عرشت الكرم اذا  
جعلت له دعائم وسمكا  
تعطف عليه القضبان  
(والنخل والزرع مختلفا)  
في اللون والطعم والجسم  
والرائحة وهو حال مقدرة  
لان النخل وقت خروجه  
لاأكل فيه حتى يكون مختلفا  
وهو كقوله فادخلوها  
خالدين (أكله) أكله  
حجازي وهو ثمره الذي يؤكل  
والضبير للنخل والزرع  
داخل في حكمه لانه  
معطوف عليه أول كل  
واحد (والزيتون والرمان

ودخلت الهاء في خالصة لتأكيده والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابة وقال الفراء دخلت الهاء لتأنيث  
الانعام لان ما في بطونها مثلها فانت بتأنيثها وقال الكسائي خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة وقيل  
اذا كان اللفظ عبارة عن مؤنث جازت تأنيثه على المعنى وتذكيره على اللفظ كما في هذه الآية فانه أنت خالصة على  
المعنى وذكروا محرم على اللفظ (سيعجز بهم وصفهم) يعني سيكافئهم بسبب وصفهم على الله الكذب (انه  
حكيم عليم) فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى حكيم فيما يفعله عليم بقدر استحقاقهم قوله تعالى (قد خسر  
الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم) قال عكرمة نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضرو وكان الرجل يقاضى  
الرجل على أن يستحي جارية ويئد أخرى فاذا كانت الجارية التي تؤاد غدا الرجل أو راح من عند امرأته  
وقال لها أنت على كظهر أُمِّي أن رجعت اليك ولم تشديها فتخذ لها في الارض خد أو ترسل الى نساءها  
فيجتمعن عندها ثم يتداونها يئدن حتى اذا أبصرته راجعاً دعستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب وقال قتادة  
هذا من صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنه مخافة السبي والفاقة وبعثه وكلمه أما سبب الخسران  
المذكور في قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم ان الولد نعمة عظيمة أنعم الله بها على الوالد فاذا تسبب الرجل في  
ازالة هذه النعمة عنه وابطاطها فقد استوجب الدم وخسر في الدنيا والآخرة أما خسارته في الدنيا فقد سعى في  
نقص عدده وازال ما أنعم الله به عليه وأما خسارته في الآخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم وقوله سفها  
بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه السفاهة هو قلة العلم بل  
عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا سمووا جاهلية وقوله  
تعالى (وحرمو أمارزقهم الله) يعني البحائر والسواب والحامى وبعض الحروث وبعض ما في بطون الانعام  
وهذا أيضا من أعظم الجهالة (افتراء على الله) يعني أنهم فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا أن الله أمرهم  
بذلك وهذا افتراء على الله وكذب وهذا أيضا من أعظم الجهالة لان الجراءة على الله والكذب عليه من أعظم  
الذنوب وأكبر الكبائر ولهذا قال تعالى (قد ضلوا) يعني في فعلهم عن طريق الحق والرشاد (وما كانوا  
مهتدين) يعني الى طريق الحق والصواب في فعلهم (خ) عن ابن عباس قال اذا سرك أن تعلم جهل العرب  
فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا  
وما كانوا مهتدين قوله عز وجل (وهو الذي أنشأ جنات معروشات) يعني والله الذي ابتدع وخلق جنات  
يعني بساتين معروشات (وغير معروشات) يعني مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات وأصل العرش في اللغة  
شيء مشقف يجعل عليه الكرم وجعه عروش يقال عرشت الكرم أعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا جعلته  
كهيئة السقف واعترش العنب العريش اذا علاه وركبه واختلفوا في معنى قوله معروشات وغير معروشات  
فقال ابن عباس المعروشات ما انبسط على الارض وانتشر ما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك  
وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزرع وسائر الشجر وقال الضحاك كلاهما في الكرم خاصة  
لان منه ما يعرش ومنه ما لم يعرش بل يبقى على وجه الارض منبسطا وقيل المعروشات ما غرسه الناس في  
الساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما أنبتة الله في البراري والجبال من كرم  
أو شجر (والنخل والزرع) يعني وأنشأ النخل والزرع وهو جميع الحبوب التي تقطت وتدخر (مختلفا كاه)  
يعني به اختلاف الطعوم في الثمار كالحلو والحامض والجيد والردى ونحو ذلك (والزيتون والرمان  
متشابهة) يعني في المنظر (وغير متشابهة) يعني في الطعم كالرمانين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل  
ان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرهما مختلفة في الجنس والطعم (كلوا من ثمره اذا أثمر) لما ذكر  
ما أنعم الله به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على أنواع من الثمار ذكرها هو المقصود الأصلي  
وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر وهذا أمر اباحة وتمسك بهذا بعضهم فقال الامر قد يرد

متشابهة) في اللون (وغير متشابهة) في الطعم (كلوا من ثمره) من ثمر كل واحد وفائدة (اذا أثمر) أن يعلم أن أول وقت الاباحة وقت

الى غير الوحوب لان هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقال بعضهم المقصود اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب الزكاة في الحبوب والثمار كان يحتمل أن يحرم على المالك أن يأكل منها شيئاً قبل اخراج الواجب فيها المكان شركة الفقراء والمساكين معه فاباح الله أن يأكل قبل اخراجه لان رعاية حق النفس متقدمة على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر بصيغة الامر ليعلم أن المقصود من خلق هذه الاشياء التي أنعم الله بها على عباده هو الاكل (وآتوا حقه يوم حصاده) يعني يوم حصاده وقطعه واختلفوا في هذا الحق المأمور باخراجه فقال ابن عباس وأنس بن مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وقتادة قال قتادة في قوله وآتوا حقه يوم حصاده أي من الصدقة المفروضة ذكر لنا أن نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السماء والعين السائجة وأسقاء النيل والندي أو كان بعلا العشر كاملاً وان سقى بنضح أو سانية فنصف العشر وهذا فيما يكال من الثمرة والزرع وبلغ خمسة أوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد وجب فيها حق الزكاة وفي رواية عن ابن عباس في قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر فان قلت على هذا التفسير اشكال وهو ان فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن جعل قوله وآتوا حقه يوم حصاده على الزكاة المفروضة قلت ذكر ابن الجوزي في تفسيره عن ابن عباس وقتادة أن هذه الآية نزلت بالمدينة فعلى هذا القول تكون الآية محكمة نزلت في حكم الزكاة وان قلنا ان هذه الآية مكية تكون منسوخة بآية الزكاة لانه قد روي عن ابن عباس أنه قال نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن وقيل في قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده انه حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد وهو اطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والتمر وهذا قول علي بن الحسن وعطاء ومجاهد وحامد قال ابراهيم هو الضغث وقال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يجيئون بالعنق عند الصرام فيأكل كل من مر وقال يزيد بن الاصم كان أهل المدينة اذا صرموا النخل يجيئون بالعنق فيعاقونه في جانب المسجد فيجبيء المسكين فيضربه بعصاه فاسقط منه أكله فعلى هذا القول هل هذا الامر أمر وجوب أو استعجاب ونذب فيه قولان أحدهما انه أمر وجوب فيكون منسوخاً بآية الزكاة بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي هل علي غيرهما قال لا الا أن تطوع والقول الثاني أنه أمر نذب واستعجاب فتكون الآية محكمة وقال سعيد بن جبير كان هذا حقايقاً من باخراجه في ابتداء الاسلام ثم صار منسوخاً بإيجاب العشر ولقول ابن عباس نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن واختار هذا القول الطبري وصححه واختار الواحدى والرازي القول الاول وصححاه فان قلت فعلى القول الاول كيف تؤدي الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل وانما يجب الاخراج بعد التصفية والجفاف قلت معناه قدر واداء اخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان التنقية والجفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه يوم حصاده وهو الصرام والزرع محمول عليه الا أنه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل معناه وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل ان فائدة ذكر الحصاد ان الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يده مالكة لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يده مالكة وقوله تعالى (ولا تسرفوا) الاسراف تجاوز الحد فيما يفعله الانسان وان كان في الاتفاق أشهر وقيل السرف تجاوز ما حدلك وسرف المال انفاقه في غير منفعة ولهذا قال سفیان ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلاً قال ابن عباس في رواية عنه عمداً ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيئاً فانزل الله هذه الآية ولا تسرفوا قال السدي معناه لا تعطوا أموالكم وتقعوا فقراء قال الزجاج فعلى هذا الوأعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيئاً فقد أسرف لانه قد صح في الحديث ابدأ بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتأويل الآية على هذا القول لا تجاوزوا

اطلاع الشجر التمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا أدرك (وآتوا حقه) عشره وهو حبة أبي حنيفة رحمه الله في تعميم العشر (يوم حصاده) بصرى وشامى وعاصم وبكسر الحاء غيرهم وهما القتان (ولا تسرفوا) باعطاء الكل وتضييع العيال وقوله كلوا الى



ما جعل أئمتها (أم كنتم شهداء) أم منقطة أي بل كنتم شهداء (أذواكم الله بهذا) يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم ولما كانوا لا يؤمنون برسول الله (٦٤) وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه تمهك بهم في قوله أم كنتم شهداء على

معنى أعرقم التوصية به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسول (فن أظلم من افترى على الله كذبا) فنسب إليه تحريم ما لم يحرم (ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أي الذين في علمه أنهم يختمون على الكفر ووقع الفاصل بين بعض المعدود وبعضه اعتراضا غيراً جنسي من المعدود وذلك أن الله تعالى من على عباده بإنشاء الانعام لمنافعهم وبإباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرّمها يكون تأكيداً للتحليل والاعتراضات في الكلام لانساق الاللتوكيد (قل لا أجد فيما أوحى إلى) أي في ذلك الوقت أوفى وحي القرآن لان وحي السنة قد حرم غيره أو من الانعام لان الآية في رد البحيرة وأخواتها وأما الموقوذة والمتردية والنطيحة فن الميتة وفيه تنبيه على أن التحريم إنما ثبت بوحى الله وشرعه لا بهوى النفس (محرم) حيوانا حرم أكله (على طاعم يطعمه) على آكل يأكله (الأأن يكون

صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمي فقال يا محمد بلغنا أنك تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتهم أصنافاً من النعم على غير أهل وإنما خلق الله هذه الأزواج الثمانية للأكل والاتفاح بها فمن أين جاء هذا التحريم من قبل الذكراً أم من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتجوهر ولم يتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمالك مالك لا تتكلم فقال بل أنت تكلم وأسمع منك قال المفسرون فلو قال جاء التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة وجب أن يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب أن يحرم جميع الاناث وان كان باشتمال الرحم عليه فينبغي أن يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الاعلى ذكر أو انثى وأما تخصيص التحريم بالولد الخامس أو السابع أو بالبعض دون البعض فن أي ذلك التحريم فاحتج الله على بطلان دعواهم بهاتين الآيتين واعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن كل ما قالوه من ذلك وأضافوه الى الله فهو كذب على الله وانه لم يحرم شيئاً من ذلك وانهم اتبعوا في ذلك أهواءهم وخالفوا أمر ربهم وذكر الامام نضر الدين في معنى الآية وجهين آخرين ونسبهما الى نفسه فقال ان هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعني أنكم لا تقررون بنبوته نبي ولا تعترفون بشريفة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثاني أنكم حكمتم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى مخصوصا بالابل فالله تعالى بين أن النعم عبارة عن هذه الانواع الاربعة وهي الضأن والمغز والبقرة والابل فلم تحكموا بهذه الاحكام في هذه الانواع الثلاثة وهي الضأن والمغز والبقرة فكيف خصتم الابل بهذا الحكم دون هذه الانواع الثلاثة ﴿ قوله تعالى (أم كنتم شهداء اذواكم الله بهذا) يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل هؤلاء الجاهلة من المشركين الذين يزعمون أن الله حرم عليهم ما حرموا على أنفسهم من الانعام والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تقررون بنبوته أحد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجج وبين أنه لا مستند لهم في ذلك قال تعالى (فن أظلم من افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) يعني فن أشد ظلمها وأبعد عن الحق ممن يكذب على الله ويضيف تحريم ما يحرمه الله الى الله ليضل الناس بذلك ويصددهم عن سبيل الله جهلامنه اذ ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي ابتدعه ونسبه الى الله ويقول ان الله أمرنا بهذا قيل أراد به عمرو بن لحي لانه أول من بحر البحائر وسبب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام ويدخل في هذا الوعيد كل من كان على طريقته أو ابتدع شيئاً لم يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من أدخل في دين الله ما ليس فيه فهو داخل في هذا الوعيد (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) يعني ان الله لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله وأضاف اليه ما لم يشرعه لعباده ﴿ قوله عز وجل (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه) اعلم أنه لما بين الله تعالى فساد طريقة أهل الجاهلية وما كانوا عليه من التحليل والتحريم من عند أنفسهم واتباع أهوائهم فيما حلوه وحرموه من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح في ذلك وبين أن التحريم والتحليل لا يكون الا بوحى سماوى وشرع نبوى فقال تعالى قل أي قل يا محمد هؤلاء المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون من عند أنفسهم لا أجد فيما أوحى إلى وقبل انهم قالوا فما المحرم اذا نزل قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه يعني على آكل يأكله (الا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً) يعني سائلاً مصبوحاً (أو لحم خنزير فإنه رجس) أي نجس (أو فسقا أهل غير الله به) يعني ما ذبح على غير اسم الله تعالى فيبين الله تعالى في هذه الآية أن

ميتة) الا أن يكون الشيء المحرم ميتة أن تكون مكي وشامي وحزة ميتة شامي (أو دماً مسفوحاً) مصبوحاً سائلاً التحريم فلا يحرم الدم الذي في اللحم والكبد والطحال (أو لحم خنزير فإنه رجس) نجس (أو فسقا) عطف على المنصوب قبله وقوله فإنه رجس اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه (أهل غير الله به) منصوب المحل صفة لفسقا أي رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله وسعى بافسق



التحريم والتحليل لا يكون الا بوحى منه وان المحرمات محصورة في الاربعه الاشياء المذكورة في هذه الآية وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله وهذا مبالغة في أن التحريم لا يخرج عن هذه الاربعه وذلك أنه ثبت أنه لا طريق الى معرفة المحرمات الا بالوحى وثبت أن الله تعالى نص في هذه الآية على هذه الاربعه الاشياء ولهذا اختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب بعضهم الى ظاهرها وانها لا يحرم شئ من سائر المطعومات والحيوان الا ما ذكر في هذه الآية يروى ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر مذهب مالك واحتجوا على ذلك بان هذه الآية محكمة لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ واحتجوا بان هذه الآية وان كانت مكية لكن بعضها آية مدنية وهي قوله تعالى في سورة البقرة انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدنية مطابقة للآية المكية في الحكم وذهب جمهور العلماء الى أن هذا التحريم لا يختص بهذه الاشياء المنصوص عليهم في هذه الآية فان المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الآية وقد حرمت السنة أشياء فوجب القول بما منها تحريم الجوارح الاهلية وكل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير عن المقدم بن معديكر بن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحلناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله تعالى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ولا يابى داود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الا لا يحل لكم الجوارح الاهلى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطه معاها الا أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فان لم يقروه فله أن يعفيهم بمثل قراه عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقدر افعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه فأحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو معفو وتلاقل لأجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة الآية أخرجه أبو داود (م) عن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (م) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كل لحوم الجوارح الاهلية (ق) عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الجوارح الاهلية وأذن في الخيل وفي رواية أن كلنا من خير الخيل وحمر الوحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجوارح الاهلى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الهر وأكل ثمنه وقد استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال وأباح كل ذلك وقد تقدم دليله والاصل في ذلك عند الشافعى أن كل ما لم يرد فيه نص بتحريم أو تحليل فما كان أمر الشرع بقتله كما ورد في الصحيح خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وهي الحية والعقرب والفأرة والحدأة والكلب العقور وروى عن سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ أخرجه البخارى ومسلم وسماه فويسقا وعن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدد والصدأ أخرجه أبو داود فهذا كاه حرام لا يحل أكله وما سوى ذلك فالمرجع فيه الى الاغلب من عادة العرب فما يستطيبه الاغلب منهم فهو حلال وما يستخبثه الاغلب منهم ولا ياكلونه فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله أحل لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا تقرير بما يحل ويحرم من المطعومات وأما الجواب عن هذه الآية الكريمة فن وجوه أحدها ان يكون المعنى لأجد محرما كما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب وغيرها الا ما أوحى الى في هذه الآية الوجه الثانى أن يكون المراد وقت نزول هذه الآية لم يكن محرما غير ما ذكر وانص عليه في هذه الآية ثم

لتوغله في باب الفسق (فن  
لمواساته (ولاعاد) متجاوز  
قدر حاجته من تناوله  
(فان ربك غفور رحيم)  
لا يؤاخذنه (وعلى الذين  
هادوا حرمنا كل ذي ظفر  
أى ماله أصبع من دابة  
أو طائر ويدخل فيه الابل  
والنعام (ومن البقر والغنم  
حرمنا عليهم شحومهما)  
أى حرمنا عليهم لحم كل  
ذو ظفر وشحمه وكل شيء  
منه ولم يحرم من البقر والغنم  
الا الشحوم وهى الثروب  
وشحوم الكلى (الاماجات  
ظهورهما) الا ما شتمل  
على الظهور والجنوب من  
السجفة (أو الحوايا) أو  
ما شتمل على الامعاء  
واحد ها حوايا أو حوية  
(أو ما اختلط بعظم) وهو  
الالية أو المخ (ذلك) مفعول  
نان لقوله (جزيناهم)  
والتقدير جزيناهم ذلك  
(ببغيتهم) بسبب ظلمهم  
(وانا لصادقون) فيما  
أخبرنا به وكيف نشكر  
من سبب معصيتهم لتحريم  
الحلال ومعصية سالفنا  
لتحايل الحرام حيث قال  
وعفا عنكم فالآن بأشروهن  
(فان كذبوك) فيما أوحيت  
إليك من هذا (فقل ربكم  
ذورجة واسعة) بهائم  
المكذبين ولا يعاجلهم  
بالعقوبة (ولا يرد بأسه)  
عذابه مع سعة رحته (عن  
القوم المجرمين) اذا جاء فلا  
تغتر بسعة رحته عن خوف

حرم بعد نزولها أشياء آخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام خصص بدليل آخر وهو ما ورد في السنة  
الوجه الرابع ان ما ذكر في هذه الآية محرم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما ورد في السنة  
من المحرمات والله أعلم (يقى في الآية أحكام) في قوله تعالى أو دما مسفوحا وهو ما سال من الحيوان  
في حال الحياة أو عند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وما سوى ذلك كالكبد والطحال فانهما حلال لانهما  
دمان جامدان وقد ورد الحديث بابا حتهما وكذا ما اختلط باللحم من الدم لانه غير سائل قال عمران بن جدير  
سألت أبا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها جرة الدم فقال لا بأس بذلك انما نهى عن الدم  
المسفوح وقال ابراهيم النخعي لا بأس بالدم في عرق أو مخ الا المسفوح وقال عكرمة لولا هذه الآية لتبضع  
المسلمون الدم من العروق ما تتبع اليهود وقوله تعالى (فن اضطر غير باغ ولا عاد) لما بين الله المحرمات في  
هذه الآية أباح أكلها عند الاضطرار من غير باغ ولا عاد (فان ربك غفور رحيم) دليل على  
الرخصة والاباحة عند الاضطرار (وعلى الذين هادوا) يعنى اليهود (حرمنا كل ذي ظفر) قال ابن  
عباس هو البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب وقيل كل ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور مثل  
البعير والنعامة والاوز والبط قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمى الحافر  
ظفرا على الاستعارة (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) يعنى شحم الجوف وهى الثروب وشحم  
الكليتين (الاماجات ظهورهما) يعنى الامعاء بالظهور والجنب من داخل بطونهما من الشحم فانه غير  
محرم عليهم وقال السدى وأبو صالح الالية مما حلت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم لان البقر ليس لها  
الية (أو الحوايا) وهى المباعر فى قول ابن عباس وجهور المفسرين واحدها حوية وحوية وقيل الحوايا  
المباعر والمصارين وهى الدوائر التى تكون فى بطن الشاة والمعنى أن الشحم الملتصق بالمباعر والمصارين غير  
محرم على اليهود (أو ما اختلط بعظم) يعنى من شحم الالية لانه اختلط بالعصص وكذا الشحم المختلط  
بالعظام التى تكون فى الجنب والرأس والعين فكل هذا حلال على اليهود فاصل هذا أن الذى حرم عليهم  
شحم الثروب وشحم الكلية وما عد ذلك فهو حلال عليهم (ق) عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله أرايت  
شحوم الميتة فانها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومها جاوره ثم باعوه فاكوا ثمه قوله  
جاوره يعنى أذا بوه يقال أجمت الشحم وجمته اذا أذنته وجمته أكثر وأصح وقوله تعالى (ذلك  
جزيناهم) أى ذلك التحريم جزيناهم عقوبة لهم (ببغيتهم) يعنى بسبب بغيتهم وظلمهم وهو قتل الانبياء  
وأخذ الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل (وانا لصادقون) يعنى فى الاخبار عن بغيتهم وفى الاخبار عن  
تخصيصهم بهذا التحريم (فان كذبوك) يعنى فان كذبك اليهود يا محمد فيما أخبرناك اننا حرمنا عليهم وأحللنا  
لهم مما بيناه فى هذه الآية المتقدمة (فقل ربكم ذورجة واسعة) يعنى بتأخير العقوبة عنكم فان رحته تسع  
المسىء والمحسن فلا يجمل بالعقوبة على من كفر به أو عصاه (ولا يرد بأسه) يعنى ولا يرد عذابه ونقمته اذا جاء  
وقتها (عن القوم المجرمين) يعنى الذين كذبوا الانبياء وهم الكفار واليهود وقوله عز وجل (سيعقول  
الذين أشركوا) لما لزمهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله ونحرىم ما لم يحرمه الله أخبر الله  
تعالى عنهم بما سيقولونه فقال تعالى سيعقول الذين أشركوا يعنى مشركى قريش والعرب (لوشاء الله ما أشركنا  
ولا آباؤنا) يعنى من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لوشاء الله ما أشركنا حجة على اقامتهم على الكفر والشرك  
وقالوا ان الله قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فاولا انه رضى ما نحن عليه وأراد منا  
وأمرنا به لخال بيننا وبين ذلك (ولا حرمنا من شيء) يعنى ما حرمه من البحار والسواحب وغير ذلك فقال الله

نقمته (سيعقول الذين أشركوا) اخبار بما سوف يقولونه (لوشاء الله) ان لا نشرك (ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) عز

عز وجل ردوا وتكذيباً لهم ( كذلك كذب الذين من قبلهم ) يعني من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل قومك كذبوا أنبياءهم وقالوا مثل قول هؤلاء ( حتى ذاقوا بأسنا ) يعني عذابنا

﴿فصل﴾ استدلال القدرة والمعزلة بهذه الآية فقالوا ان القوم لما قالوا لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وأضاف ان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار صريحاً من ذهب الجبرية وهو قولهم لو شاء الله منا أن لا نشرك لم نشرك ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا عنه ثبت انه يريد له واذا أراد منا امتنع تركه منا وأجيب عن هذا بان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار انهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التكذيب ليس هو في قولهم لو شاء الله ما أشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم ان الله أمرنا به ورضي منا نحن عليه كما أخبر عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها فراد الله تعالى عليهم بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء والدليل ان التكذيب في قولهم ان الله أمرنا به ورضي منا لا في قولهم لو شاء الله ما أشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب وقال الحسن بن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيماً لله واجلالاً له ومعرفة بحقه وما يقولون لما عابهم بذلك ولكنهم قالوا هذه المقالة تكديماً وجدلاً من غير معرفة بالله وما يقولون وقيل في معنى الآية انهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة وهو قولهم لو شاء الله ما أشركنا الا أنهم كانوا يعدونه عند انفسهم ويجعلونه حجة لهم في ترك الايمان والرد عليهم في ذلك ان أمر الله بعزل عن مشيئته وارادته فان الله تعالى يريد لجميع الكائنات غير أمر بجميع ما يريد فعله العبد ان يتبع أمره وليس له ان يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون عندنا لاحد عليه في فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يأمر به ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد ويأمره بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممنوع فالحاصل انه تعالى حكى عن الكفار انهم يتمسكون بمشيئة الله تعالى في شركهم وكفرهم فاخبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله تعالى في كل الامور دفع دعوه الانبياء عليهم السلام والله أعلم ﴿وقوله تعالى﴾ (قل هل عندكم من علم) أي قل يا محمد هؤلاء المشركين القائلين لو شاء الله ما أشركنا ولا كنا لعلهم يرضون منا نحن عليه من الشرك هل عندكم يعني بدعواكم ما تدعون من علم يعني من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم (فتخرجوه لنا) يعني فتظهروا ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم خطأ قولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالة في العقول (ان تتبعون الا الظن) يعني فيما أتمت عليه من الشرك وتحريم ما يحرمه الله عليكم وتحسينه بكون انكم على حق وانما هو باطل (وان أتمم الاخرصون) يعني وما أتمت في ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله الباطل ﴿وقوله تعالى﴾ (قل فوالله الحجة البالغة) يعني قل يا محمد هؤلاء المشركين حين عجزوا عن اظهار علم الله أو حجة لهم فوالله الحجة البالغة يعني التامة على خلقه بانزال الكتاب وارسال الرسل قال الربيع بن أنس لا حجة لاحد عصى الله أو أشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده (فلو شاء هداكم أجمعين) يعني فلو شاء الله لوفقكم أجمعين للهداية ولكنه لم يشأ ذلك وفيه دليل على انه تعالى لم يشأ ايمان الكافر ولو شاء هداه لا يستل عمداً يفعل وهم يستأون (قل هل شهداءكم الذين يشهدون) يعني هاتوا وادعوا شهداءكم وهم كلمة دعوة الى الشيء يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والذكور والانثى وفيها لغة أخرى يقال للواحد هلم وللأثنين هاما وللجمع هلموا وللأثنى هلمى واللغة الاولى أفصح (ان الله حرم هذا) وهذا تنبيه من الله باستدعاء الشهود من الكافر بن علي تحريم ما حرموه على انفسهم وقالوا ان الله أمرنا به ليظهر ان لا شاهد لهم على

هداكم أجمعين) أي لو شاء هدايتكم وبه تبطل صولة المعتزلة (قل هل شهداءكم) هاتوا شهداءكم وقر بوجههم ويستوى في هذه الكلمة الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند المجازيين وبنو عيم تؤنث وتجمع (الذين يشهدون ان الله حرم هذا) أي زعموه محرماً

(فان شهدوا فلا تشهد معهم) (٦٨) فلا تسلّم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلّم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم فكان واحدا

ذلك وانما اختلفوه من عند انفسهم (فان شهدوا فلا تشهد معهم) وهذا تنبيه أيضا على كونهم كاذبين في شهادتهم فلا تشهد أنت يا محمد معهم لانهم في شهادتهم كاذبون (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا باياتنا) يعني ان وقع منهم شهادة فأنما هي باتباع الهوى فلا تتبع أنت يا محمد أهواءهم ولكن اتبع ما أوحى اليك من كتابي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (والذين لا يؤمنون بالآخرة) أي ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة (وهم برهم يعدلون) يعني بشر كون ﴿ قوله عز وجل (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) لما بين الله تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا ان الله أمرهم بتحرير ما حرموه على انفسهم فكأنهم سألوا وقالوا أي شيء حرم الله فامر الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم تعالوا تعال من الخاص الذي صار عاما وأصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثروا تسع فيه حتى عم وقيل أصله ان تدعو الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع المنزلة فكأنه دعاه الى ما فيه رفعة وشرف ثم كثرت الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا أيها القوم أتل عليكم يعني أقرأ ما حرم ربكم عليكم يعني الذي حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا شك فيه ولا ظنا ولا كذبا كما تزعمون اتم بل هو وحي أوحاه الله الى (ان لا تشركوا به شيئا) فان قلت ترك الاشرار واجب فمأني قوله ان لا تشركوا به شيئا لانه كالتفصيل لما أجمله في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز قلت الجواب عنه من وجوه الوجه الاول ان يكون موضع ان رفع معناه هو ان لا تشركوا الوجه الثاني ان يكون محله نصب واختلاف في وجه اتصافه فقل معناه حرم عليكم ان تشركوا وتكون لاصلة وقيل ان حرف لا على أصلها ويكون المعنى أتل عليكم حرم عليكم أي لا تشركوا ويكون المعنى أوصيكم ان لا تشركوا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على أوصيكم بالوالدين احسانا الوجه الثالث ان يكون الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشركوا على الاغراء أو بمعنى فرض عليكم ان لا تشركوا به شيئا ومعنى هذا الاشرار الذي حرمه الله ونهى عنه هو ان يجعل لله شريكا من خلقه أو يطبع مخلوقا في معصية الخالق أو يريد بعبادته رياء وسمعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربك أحدا ﴿ وقوله عز وجل (وبالوالدين احسانا) أي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما نبي بالوصية بالاحسان الى الوالدين لان أعظم النعم على الانسان نعمة الله لانه هو الذي أخرجهم من العدم الى الوجود وخلقهم وأوجده بعد ان لم يكن شيئا ثم بعد نعمة الله نعمته الوالدين لانهمما السبب في وجود الانسان ولما لهم عليه من حق التربية والشفقة والحفظ من المهالك في حال صغره (ولا تقتلوا اولادكم من اطلاق) يعني من خوف الفقر والاملاق الاقتار والمراد بالقتل وأد البنات وهن أحياء فكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم (نحن نرزقكم واياهم) يعني لا تشدوا بناتكم خوف العيلة والفقر فاني رازقكم واياهم لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتر بيته والانتكال في أمر الرزق على الله عز وجل (ولا تقربوا الفواحش) يعني الزنا (ما ظهر منها وما بطن) يعني علانيته وسره وكان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به بأسا في السر فحرم الله تعالى الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى حمل لفظ الفواحش على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجب لهذا النهي هو كونه فاحشة فحمل اللفظ على العموم أولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وأيضا فان السبب اذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم وفي قوله ما ظهر منها وما بطن دقيقة وهي ان الانسان اذا احتراز عن المعاصي في الظاهر ولم يحتز منها في الباطن دل ذلك على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله وطاعته فيما أمر به ونهى عنه ولكن لاجل الخوف من رؤية الناس ومنهم ومن كان كذلك استحق ما بينك وبين الخلق (وما

منهم) (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا باياتنا) من وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ان من كذب بايات الله فهو متبع للهوى اذ لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالآيات موحدا لله (والذين لا يؤمنون بالآخرة) هم المشركون (وهم برهم يعدلون) يسوون الاصنام (قل) للذين حرموا الحرف والانعام (تعالوا) هو من الخاص الذي صار عاما فاصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثرت حتى عم (أتل ما حرم ربكم) الذي حرمه ربكم (عليكم) ما من صلة حرم (ن لا تشركوا به شيئا) ان مفسرة لافعل التلاوة ولا النهي وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا ولما كان ايجاب الاحسان تحريما لترك الاحسان ذكر في المحرمات وكذا حكم ما بعده من الاوامر (ولا تقتلوا اولادكم من اطلاق) من أجل فقر ومن خشية كقوله خشية املاق (نحن نرزقكم واياهم) لان رزق العبيد على مولاهم (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها) ما بينك وبين الخلق (وما

(ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق) كالقصاص والقتل على الردة والرجم (ذلكم وصاكم به) أي المذكور مفصلاً أمركم بكم بحفظه (اعلمكم تعقلون) لتعقلوا عظمها عند الله (ولا تقر بوامال اليتيم الابالتي هي أحسن) (٦٩) الابالخصلة التي هي أحسن وهي

حفظه وتميمه (حتى يبلغ أشده) أشده مبلغ حلمه فادفعوه اليه وواحدة شد كفلس وأفلس (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالسوية والعدل (لانكف نفسا الاوسعها) الامايسعها ولا تجزعه وانما اتبع الامر بإفناء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الخدم من القسط الذي لازيادة فيه ولانقصان مما فيه حرج فامر ببسوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه (واذا قلم فاعدلوا) فاصدقوا (ولو كان ذا قرني) ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيره من أهل قرابة القائل كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين (وبعهد الله) يوم الميثاق أو في الامر والنهي والوعد والوعيد والنذر واليمين (أوفوا ذلكم) أي ما أمر (وصاكم به لعلمكم تذكرون) بالتخفيف حيث كان حجة وعلى وحفظ على حذف احدي التاء بن غيرهم بالتشديد أصله تذكرون فادغم التاء الثانية في الذال أي أمركم به لتعظوا (وأن هذا صراطي) ولان هذا صراطي فهو علة للاتباع بتقدير اللام وان بالتخفيف شامى وأصله وانه على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وان على الابتداء حجة وعلى (مستقيماً) حال (فاتبعوه)

العقاب ومن ترك المعصية ظاهراً وباطناً لاجل خوف الله وتعظيم الامر استوجب رضوان الله وثوابه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق) حرم الله تعالى قتل النفس الابالحق وقتلها من جملة الفواحش المقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تقر بوا الفواحش وانما أفرد قتل النفس بالذكر تظيماً لامر القتل وانه من أعظم الفواحش والكبائر وقيل انما أفرد به بالذكرة لانه تعالى أراد أن يستغنى عنه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش الابالافراد فلذلك قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق وهي التي أبيع قتلها من ردة أو قصاص أو زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ﴿ وقوله تعالى (ذلكم) يعني ما ذكر من الاوامر والنواهي المحرمات (وصاكم به) يعني أمركم به وأرجمه عليكم (اعلمكم تعقلون) يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من الفوائد والمنافع فتعملوا بها ﴿ قوله تعالى (ولا تقر بوامال اليتيم الابالتي هي أحسن) يعني ولا تقر بوامال اليتيم الا بما فيه صلاحه وتميمه وتحصيل الربح له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يسعى له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئاً هذا اذا كان القيم بالمبال غنياً غير محتاج فلو كان الوصي فقيراً فله أن يأكل بالعرف (حتى يبلغ أشده) يعني احفظوا مال اليتيم الى أن يبلغ أشده فاذا بلغ أشده فادفعوا اليه ماله فما الاشد فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يقنأ في الشباب الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الاشد الحلم حين تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال أبو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال السكبي الاشد هو ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى أربعين سنة وقيل الى ستين سنة وقال الضحاك الاشد عشرون سنة وقال السدي الاشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التي نقلت عن المفسرين في هذه الآية انما هي نهاية الاشد لا ابتداء والمراد بالاشد في هذه الآية هو ابتداء بلوغ الحلم مع ايناس الرشد وهذا هو المختار في تفسير هذه الآية ﴿ وقوله تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان (لانكف نفسا الاوسعها) يعني طاقها وما يسعها في إفناء الكيل والميزان وانما لم يكف المعطى أن يعطى أكثر مما وجب عليه ولم يكف صاحب الحق الرضا بقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل أمر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه (واذا قلم فاعدلوا) يعني في الحكم والشهادة (ولو كان ذا قرني) يعني المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل ان الامر بالعدل في القول هو أعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان وأداء الامانة وغير ذلك من جميع الاقوال التي يعتمد فيها العدل والصدق (وبعهد الله أوفوا) يعني ما عهد الى عبادهم ووصاهم به وأوجب عليهم أو ما أوجب به الانسان على نفسه كندرو ونحوه فيجب الوفاء به (ذلكم) يعني الذي ذكر في هذه الآيات (وصاكم به) يعني بالعمل به (لعلمكم تذكرون) يعني لعلمكم تتعظون وتذكرون فتأخذون ما أمرتكم به ﴿ قوله عز وجل (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه) يعني وان هذا الذي وصيتكم به وأمرتكم به في هاتين الآيتين هو صراطي يعني طريق وديني الذي ارتضيته لعبادي مستقيماً يعني قويم لا اعوجاج فيه فاتبعوه يعني فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الآيتين المتقدمتين ما وصى به مفصلاً أجله في هذه الآية اجالا يقتضى دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيه أيضاً جميع احكام الشريعة وكل ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام وهو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين

بتقدير اللام وان بالتخفيف شامى وأصله وانه على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وان على الابتداء حجة وعلى (مستقيماً) حال (فاتبعوه)

ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات (فتفرق بكم عن سبيله) فتفرقكم أيادي سباع الله المستقيم وهو دين الاسلام روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مستويا ثم قال هذا سبيل الرشاد وصرط الله فاتبعوه (٧٠) ثم خط على كل جانب ستة خطوط ثم قال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان

يدعو اليه فاجتنبوها وتلا هذه الآية ثم يصير كل واحد من الاثني عشر طريقا ستة طرق فتكون اثنين وسبعين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وعن كعب بن جابر هذه الآيات لا شيء في التوراة (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) لتكونوا على رجاء اصابة التقوى ذكر أولئك الذين ثم تذكرون ثم تتقون لانهم اذا عقلوا تفكروا ثم تذكروا أي اتعظوا فاتقوا المحارم (ثم آتينا موسى الكتاب تماما) أي ثم أخبركم انا آتينا وهو عطف على ثم قل أي قل آتينا وضم مع الجملة تأتي بمعنى الواو كقوله ثم الله شهيد (على الذي احسن) على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين دليله قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أي تمتة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ في كل ما أمر به (ونفصيلا

وأمرهم باتباع جلته وتفصيله) (ولا تتبعوا السبل) يعني الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع الرديئة وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام (فتفرق بكم عن سبيله) يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطر يقه الذي ارتضاه لعباده روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأوا ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الآتية (ذلكم وصاكم به) يعني باتباع دينه وصرطه الذي لا اعوجاج فيه (لعلكم تتقون) يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الآيات محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شيء وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن ابن مسعود قال من سره أن ينظر الى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرأ هؤلاء الآيات قل تعالوا أتت ما حرم بكم عليكم الآيات الى قوله لعلكم تتقون أخرجه الترمذي قال حديث حسن غريب قوله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة فان قلت آتينا موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن وحرف ثم لتعقيب فمأني ذلك قلت دخا ثم لتأخير الخبر لالتأخير النزول والمعنى قل تعالوا أتت ما حرم بكم عليكم وهو كذا وكذا الى قوله تعالى لعلكم تتقون ثم أخبركم انا آتينا موسى الكتاب وقيل ان المحرمات المذكورة في قوله تعالى قل تعالوا أتت ما حرم بكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع الشرائع فتقدر الكلام ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم بعد ذلك آتينا موسى الكتاب يعني بعد ايجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا أتت ما حرم بكم عليكم ثم قال بعد ذلك يا محمد انا آتينا موسى الكتاب فخذف لفظة قل لدلالة الكلام عليها وقوله تعالى (تماما على الذي احسن) اختلف أهل التفسير فيه فقليل معناه تماما الى المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من أي تماما على من أحسن من قومه لانه كان منهم محسن ومسيء وعلى قراءة ابن مسعود تماما على الذين أحسنوا وقيل معناه تماما على كل من أحسن أي أتمنا فضيلة موسى على المحسنين وهم الانبياء والمؤمنون أي أتمنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذي أحسن هو موسى فيكون الذي بمعنى ما أي على ما أحسن وتقديره وآتينا موسى الكتاب تماما للنعمة عليه لاحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الامر وقيل الاحسان بمعنى العلم وتقديره آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما مني على احساني الى موسى (ونفصيلا لكل شيء) يعني وفيه بيان لكل شيء يحتاج اليه من شرائع الدين وأحكامه (وهدي) يعني وفيه هدى من الضلالة (ورحمة) يعني انزاله عليهم رحمة مني عليهم (لعلهم يلقاؤهم يؤمنون) قال ابن عباس لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب وقوله عز وجل (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) يعني القرآن لانه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق اليه نسخ (فاتبعوه) يعني فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام (واتقوا) يعني مخالفته (لعلكم ترجون) يعني ليسكن الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي ترجوا على جزاء التقوى (أن تقولوا) يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا يعني أنزلنا اليك الكتاب كراهية أن

لكل شيء) وبيانا مفصلا لكل ما يحتاجون اليه في دينهم (وهدي ورحمة اهلهم) أي بني اسرائيل تقولوا (بلقاء ربهم يؤمنون) يصدقون أي بالبعث والحساب وبالرؤية (وهذا) أي القرآن (كتاب أنزلناه مبارك) كثير الخير (فاتبعوه واتقوا) مخالفته (لعلكم ترجون) لترجوا (أن تقولوا) كراهية أن تقولوا أو لئلا تقولوا

(انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) أي أهل التوراة وأهل الانجيل وهذا دليل على ان المجوس ليسوا باهل كتاب (وان كنا عن دراستهم) عن تلاوة كتبهم (لغافلين) لاعلم لنا بشئ من ذلك ان مخففة من الثقيلة واللام (٧١) فارقة بينها وبين النافية والاول

وانه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن والخطاب لاهل مكة والمراد اثبات الحجية عليهم بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم كيلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل أنزل على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيها (أو تقولوا) كراهة ان تقولوا (لوانا أنزل علينا الكتاب كما أهدى منهم) لحدثة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا لا يام العرب (فقد جاءكم بينة من ربكم) أي ان صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم ما فيه البيان الساطع والبرهان القاطع فحذف الشرط وهو من أحسن الحذوف (وهدى ورجة فن أظلم بمن كذب بايات الله) بعد ما عرف صحتها وصدقها (وصدق عنها) أي أعرض (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) وهو النهاية في النكايه (بما كانوا يصدفون) باعراضهم (هل ينظرون) أي أقننا حجج الوحداينة وثبوت

تقولوا (انما أنزل الكتاب) وقيل يجوز أن تكون أن متعلقة بما قبلها فيكون المعنى واتقوا أن تقولوا وهذا خطاب لاهل مكة والمعنى واتقوا يا اهل مكة أن تقولوا انما أنزل الكتاب والكتاب اسم جنس لان المراد به التوراة والانجيل (على طائفتين من قبلنا) يعني اليهود والنصارى (وان كنا) أي وقد كنا وقيل وانه كما (عن دراستهم) يعني قراءتهم (لغافلين) يعني لاعلم لنا بما فيها لانها ليست بلغتنا والمراد بهذه الآية اثبات الحجية على اهل مكة وقطع عذرهم بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم والمعنى وأنزلنا القرآن بلغتهم لئلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل أنزل على طائفتين من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيها فقطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم بلغتهم (أو تقولوا لو أنزل علينا الكتاب كما أهدى منهم) وذلك ان جماعة من الكفار قالوا لو أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكاخير امهم وأهدى وانما قالوا ذلك لاعتمادهم على صحة عقولهم وجودة فطنتهم وذهنهم قال الله عز وجل (فقد جاءكم بينة من ربكم) يعني هذا القرآن فيه بيان وحجة واضحة تعرفونها (وهدى) يعني من الضلالة (ورجة) يعني وهو رجة ونعمة أنعم الله بها عليكم (فن أظلم) أي لأحد أظلم وأكفر (من كذب بايات الله وصدف عنها) يعني وأعرض عنها (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) يعني أسوأ العذاب وأشدّه (بما كانوا يصدفون) أي ذلك العذاب جزاؤهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم بايات الله قوله تعالى (هل ينظرون) يعني هل ينتظروا بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القرآن وصدفهم عن آيات الله وهو استتفهام معناه النفي وتقدير الآية انهم لا يؤمنون بك الا اذا جاءتهم احدى هذه الامور الثلاث فاذا جاءتهم احداها آمنوا وذلك حين لا ينفعهم ايمانهم (الآن تأتيهم الملائكة) يعني لقبض ارواحهم وقيل أن تأتيهم بالعذاب (أو يأتي ربك) يعني للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة وقد تقدم الكلام في معنى الآية في سورة البقرة عند قوله هل ينظرون الآن يأتيهم الله في ظلل من الغمام بما فيه كفاية وان المجيء والذهاب على الله محال فيجب امرارها بالانكشاف (أو يأتي بعض آيات ربك) قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها وبدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض أخرجه مسلم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله أو يأتي بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب من قبل المغرب مسيرة عرضه أو قال يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والارض مفتوحا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها وفي رواية فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا (م) عن حذيفة بن أسد الغفاري قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن تنذركر فقال ما نذركرون قلنا الساعة فقال انها لن تقوم حتى تروا قبليها عشر آيات قد كره الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاث خسوف خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تطرد الناس الى

الرسالة وأبطلنا ما يعتقدون من الضلالة فيأتيهم الملائكة (الآن تأتيهم الملائكة) أي ملائكة الموت لقبض ارواحهم يأتيهم حزة وعلى (أو يأتي ربك) أي أمر ربك وهو العذاب والقيامة وهذا ان الاتيان متشابه واتيان أمره منصوص عليه محكم فيرد اليه (أو يأتي بعض آيات ربك) أي اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك

مخبرهم (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادر وبالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخو بصة أحدكم وأمر العامة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروج الطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس نجي وأبهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريبا وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود في تفسير هذه الآية قال تصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعير بن القرينين زاد في رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا بسنده عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أتدرون أين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى فارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها لا تنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي فتخر ساجدة في مستقرها تحت العرش فيقال لها اطلعي من مغربك فتصبح طالعة من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا بسنده عن أبي ذر قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب في عين حمة تنطلق حتى تخرلر بها ساجدة تحت العرش حتى ياذن لها فاذا أراد أن يطلعها من مغربها حبسها فتقول يا رب ان مسيري بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل وروى بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم عباد الله توبوا الى الله قبل أن ياتيكم بعذاب فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت حبست التوبة وطوى العمل فقال الناس هل لذلك من آية يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية تلك الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون لهم ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقص ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم فاذا أصبحوا فطال عليهم رأيت أعينهم طلوع الشمس فيبيناهم ينظرونها اذا طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل قال ابن عباس لأنه لا ينفع مشركا إيمانه عند الآيات وينفع أهل الإيمان عند الآيات ان كانوا اا كتسبوا خيرا قبل ذلك وقال ابن الجوزي قيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان الملائكة والمنجمين زعموا ان ذلك لا يكون في ربهم الله قدرته فيطلعها عن المغرب كما أطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل بل ذلك بعض الآيات الثلاثة الدابة وأجوج وما أجوج وطلوع الشمس من مغربها يروى عن ابن مسعود انه قال التوبة معروفة على ابن آدم ان قبلها ما لم تخرج احدي ثلاث الدابة أو طلوع الشمس من مغربها أو بأجوج وما أجوج و يروى عن عائشة قالت اذا خرج أول الآيات طرحت التوبة وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال و يروى عن أبي هريرة في قوله تعالى أو ياتي بعض آيات ربك قال هي مجموع الآيات الثلاثة طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض ورواه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض وأصح الأقوال في ذلك ما نظهرت عليه الاحاديث الصحيحة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طلوع الشمس من مغربها وقوله تعالى (يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) يعني لا ينفع من كان مشركا

(يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها) لانه ليس بإيمان اختياري بل هو إيمان دفع العذاب والبأس عن أنفسهم (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا



إيمانه ولا تقبل توبة فاسق عند ظهور هذه الآية العظيمة التي تضطرهم إلى الإيمان والتوبة (أو كسبت في إيمانها خيراً) يعني أو عملت قبل ظهور هذه الآية خيراً من عمل صالح وتصديق قال الضحاك من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه قبل الله منه العمل الصالح بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك فإيمان آمن من شرك أو تاب من معصية عند ظهور هذه الآية فلا يقبل منه لأنها حالة اضطرار كما لو أرسل الله عبداً على أمة فآمنوا وصدقوا فإيمانهم لا ينفعهم إيمانهم ذلك لمعاينتهم الأهل والشهداء التي تضطرهم إلى الإيمان والتوبة وقوله (قل انتظروا) يعني ما وعدتكم به من مجي الآيات فقيهه وعيد وتهديد (انتم منتظرون) يعني ما وعدتكم ربكم من العذاب يوم القيامة أو قبله في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا إنما ينتظره من تأخر في الوجود من المشركين والمكذابين لمحمد صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الوقت والمراد بهذا أن المشركين إنما يهلون قدر مدة الدنيا فإذا ماتوا وأظهرت الآيات لم يدفعهم الإيمان وحلت بهم العقوبة اللازمة أبداً وقيل إن قوله قل انتظروا إنما منتظرون المراد به الكفار عن قتال الكفار فتكوير الآية منسوخة بآية القتال وعلى القول الأول تكون الآية محكمة قوله عز وجل (ان الذين فرقوا) وقرئ فرقوا (دينهم وكانوا شيعاً) يعني آخر إمامتفرقة في الضلالة ومعنى فرقوا دينهم أنهم لم يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه فن فرقوا دينهم يعني جعلوا دينهم وهو دين إبراهيم الحنيفية السهلة أدباً مختلفاً كاليهودية والمصرية وعبادة الأصنام ونحو ذلك من الأديان المختلفة ومن فرقوا دينهم قال معناه بانهم تركوه من المفارقة للشئ وقيل إن معنى القراءتين يرجع إلى شئ واحد في الحقيقة وهو أن من فرق دينه فافر ببعضه وأنكر بعضاً فقد فرق دينه في الحقيقة ثم اختلفوا في المعنى بهذه الآية فقال الحسن هم جميع المشركين لأن بعضهم عبدوا الأصنام وقالوا هذه شعبة أو ناعند الله وبعضهم عبدوا الملائكة وقالوا إنهم بنات الله وبعضهم عبدوا الكواكب فكان هذا تفرق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك هم اليهود والنصارى لأنهم تفرقوا فكانوا فرقاً مختلفة وقال أبو هريرة في هذه الآية هم أهل الضلالة من هذه الأمة وروى ذلك مرفوعاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شئ وإيسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة أسنده الطبري فملى هذا يكون المراد من هذه الآية الحث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة وإن لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا البدع المضلة وروى عن عمر بن الخطاب إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً هم أصحاب البدع والأهواء من هذه الأمة ذكره البغوي بغير سند عن العراب بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل بوجهه علينا فوعظنا موعظة بليغة درفت منها العيون ووجات منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فاتعهدنا أن نصدق الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم بعدى وسيرى اختلافاً كثيراً فليكن بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة أخرجه أبو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على ثنتين وسبعين فرقة وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين ثمان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة زادني رواية وأنه سيخرج في أمي أقوام تنجارى بهم الأهواء كما تجارى الكلاب بصاحبه لا يمتقي منه عرق ولا مفصل إلا دخله أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستفرق أمي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي أخرجه الترمذي قال خطابي في هذا الحديث دلالة على أن هذه الفرق غير حجة من

(أو كسبت في إيمانها خيراً) أي إخلاصاً كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل إخلاص المنافق أيضاً وتوبته وتقديره لا ينفع إيمان من لم يؤمن ولا توبة من لم يتب قيل (قل انتظروا) إحدى الآيات الثلاث (انتم منتظرون) بكم أحداها (ان الذين فرقوا دينهم) اختلافوا فيه وصاروا فرقاً كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وهي الناجية وافرقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وتفرقت أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وهي السواد الأعظم وفي رواية وهي ما أنا عليه وأصحابي وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض فرقوا دينهم حزة وعلى أي تركوا (وكانوا شيعاً) فرقا كل فرقة تشيع اماماً

الملة والدين اذ جعلهم من أمتهم وقوله تجاري بهم الالهواء كما تجاري الكلب بصاحبه التجاري تفاعل من  
الجرى وهو الوقوع في الالهواء الفاسدة والبدع المضلة تشبها بجرى الفرس والكلب قال ابن مسعود ان  
أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشرا الامور محدثاتها ورواه جابر  
عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً وقوله تعالى (لست منهم في شيء) يعني في قتال الكفار فعلى هذا ان يكون  
الآية منسوخة آية لقتل وهذا على قول من يقول ان المراد من الآية اليهود والنصارى والكفار ومن قال  
المراد من الآية أهل الالهواء والبدع من هذه الامة قال معناه لست منهم في شيء أي أنت منهم بريء وهم منك  
برآء تقول العرب ان فعلت كذا فاست منك واست مني أي كل واحد منا بريء من صاحبه (انما أمرهم الى  
الله) يعني في الجزاء والمكافأة (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) يعني اذا وردوا القيامة ﴿ قوله تعالى (من جاء  
بالحسنة فله عشر أمثالها) يعني عشر حسنات أمثالها (ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الامثالها) يعني مثلها في  
مقابلتها واختلفوا في هذه الحسنة والسيئة على قوانين أحدهما ان الحسنة قول لا اله الا الله والسيئة هي  
الشرك بالله وأورد على هذا القول ان كلمة لتوحيد لا مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر أمثالها وأجيب  
عنه بان جزاء الحسنة قدر معلوم عند الله فهو مجازي على قدر ايمان المؤمن بما شاء من الجزاء وانما قال عشر  
أمثالها للترغيب في الايمان لا للتحديد وكذلك جزاء السيئة بمثلها من جنسها والقول الثاني ان اللفظ عام في  
كل حسنة يعملها العبد أو سيئة وهو هذا أولى لان جعل اللفظ على العموم أولى قال بعضهم التقدير بال عشرة  
ليس للتحديد لان الله يضاعف لمن يشاء في حسناته الى سبعمائة ويعطي من يشاء بغير حساب واعطاء الثواب  
لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا من ذهب أهل السنة وجزاء السيئة يمثلها عدل منه سبحانه وتعالى وهو  
قوله تعالى (وهم لا يظلمون) يعني لا ينقص من ثواب الطائع ولا يزداد على عذاب العاصي (ق) عن أبي هريرة  
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحسن أحدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها  
الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقي الله تعالى (م) عن أبي ذر رضي الله عنه قال  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وازيد ومن جاء  
بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب مني شبراً تقرب مني ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقرب مني  
بذراعاً ومن أتاني بمشي آيته هرولة ومن أتاني بقرب الارض خطيئة بعد ان لا يشرك بي شيئاً قيمته بمثلها مغفرة  
(ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى واذا أراد  
عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكثرت بوجوهها وان تركها من أجل  
فاكتبها له حسنة واذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكثرت بوجوهها حسنة فان عملها فاكثرت بوجوهها بعشر  
أمثالها الى سبعمائة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك  
وتعالى اذا تحدث عبدى بان يعمل حسنة فانا أكتبها له حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فانا أكتبها له بعشر أمثالها  
واذا تحدث عبدى بان يعمل سيئة فانا أغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها فانا أكتبها له بمثلها فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذلك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فان عملها  
فاكتبوا له حسنة فانا أكتبها له حسنة فانا أكتبها له حسنة فانا أكتبها له حسنة فانا أكتبها له حسنة فله  
عشر أمثالها ﴿ قوله عز وجل (قل) يعني قل يا محمد هؤلاء المشركين من قومك (انني هداني ربي الى صراط  
مستقيم) يعني قل لهم اني أرشدني ربي الى الطريق القويم وهو دين الاسلام الذي ارتضاه الله لعباده  
المؤمنين (ديناً قيباً) يعني هداني صراطاً مستقيماً ديناً قيباً وقيل يحتمل أن يكون محجولاً على المعنى تقديره  
وعرفني ديناً قيباً يعني ديناً مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا زيغ وقيل قيباً بابتا مقولاً بالامور معاشي ومعادي  
وقيل هو من قام وهو أبلغ من القائم (ملاذ ابراهيم) والملة بالكسر الدين والشريعة يعني هداني وعرفني دين

لها (لست منهم في شيء) أي  
من السؤل عنهم وعن  
تفرقهم أو من عقابهم  
(انما أمرهم الى الله ثم  
ينبئهم بما كانوا يفعلون)  
فيجاز بهم على ذلك (من  
جاء بالحسنة فله عشر  
أمثالها) تقديره عشر  
حسنات أمثالها الا أنه  
أقيم صفة الجنس المميز  
مقام الموصوف (ومن جاء  
بالسيئة فلا يجزي الامثالها  
وهم لا يظلمون) بنقص  
الثواب وزيادة العقاب  
(قرانني هداني ربي)  
ربي أبو عمر ومدني (الى  
صراط مستقيم ديناً) نصب  
على البدل من محل الى  
صراط مستقيم لان معناه  
هداني صراطاً بدليل قوله  
ويهديكم صراطاً مستقيماً  
(قيباً) فيعمل من قام كسيد  
من ساد وهو أبلغ من القائم  
قيباً كوفي وشامي وهو مصدر  
يعني القيام وصف به (ملة  
ابراهيم) عطف بيان

(حنيفاً) حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) بالله يامعشر قريش (قل ان صلاتي ونسكي) أي عبادتي والناسك العابد وذبحي  
أوحجي (ومحياي ومماتي) وما أنبتته في حياتي وأموت عليه من الايمان والعمل الصالح (٧٥) (لتقرب العالمين) خالصاً لوجهه

محياي ومماتي بسكون  
الياء الاوّل وفتح الثاني  
مدني وبعكسه غيره  
(لاشريك له) في شيء  
من ذلك (وبذلك)  
لاخلاص (أمرت وأنا أول  
المسلمين) لان اسلام كل  
نبي متقدم على اسلام أمته  
(قل أغير الله أبنى ربا)  
جواب عن دعائهم له الى  
عبادة آلهتهم والهمزة  
للا نكار أي منكر أن أطلب  
ربا غيره وتقديم المفعول  
للاشعار بأنه أهم (وهو  
رب كل شيء) وكل من دونه  
مرئوب ليس في الوجود  
من له الربوبية غيره (ولا  
تكتسب كل نفس الاعايها)  
جواب عن قولهم اتبعوا  
سبيلنا ولنحمل خطاياكم  
(ولا تزروا زرة وزر أخرى)  
أي لا تؤخذ نفس آئمة  
بذنب نفس أخرى (ثم الى  
ربكم مرجعكم فينبئكم بما  
كنتم فيه تختلفون) من  
الاديان التي فرقتموها  
(وهو الذي جعلكم خلائف  
الارض) لان محمد صلى  
الله عليه وسلم خاتم النبيين  
فأمته قد خافت سائر الامم  
أولاً لان بعضهم يخلف بعضاً  
أو هم خلفاء الله في أرضه  
يملكونها ويتصرفون  
فيها (ورفع بعضكم فوق

ابراهيم وشريعته (حنيفاً) الاصل في الحنيف الميل وهو ميل عن الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمى كل  
من اختن أوحج حنيفاً تدينها على أنه على دين ابراهيم عليه السلام (وما كان من المشركين) يعني ابراهيم  
صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون أنهم على دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان ابراهيم لم  
يكن من المشركين ومن يعبد الاصنام (قل ان صلاتي) أي قل يا محمد ان صلاتي (ونسكي) قال مجاهد وسعيد  
ابن جبير والضحاك والسدي أراد بالنسك في هذا الموضع الذبيحة في الحج والعمرة وقيل النسك العبادة  
والناسك العابد وقيل المناسك أعمال الحج وقيل النسك كل ما يتقرب به الى الله تعالى من صلاة وحج وذبح  
وعبادة ونقل الواحدى عن ابن الاعرابى قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسكة وقيل للنسك عبادة الناسك  
لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفها كالسبيكة الخاصة من الخبث وفي قوله ان صلاتي ونسكي دليل  
على ان جميع العبادات يؤدى بها العبد على الاخلاص لله ويؤكد هذا قوله لتقرب العالمين لاشريك له وفيه  
دليل على ان جميع العبادات لا تؤدى الا على وجه التمام والكمال لان ما كان لله لا ينبغي أن يكون الا كاملاً  
تماماً مع اخلاص العبادة له فما كان بهذه الصفة من العبادات كان مقبولاً (ومحياي ومماتي) أي حياتي  
وموتى بخلق الله وقضائه وقدره أي هو محيى ويميتى وقيل معناه ان محياي بالعمل الصالح ومماتي اذا مت  
على الايمان لله وقيل معناه ان طاعتى في حياتى لله وجزائى بعد مماتى من الله وحاصل هذا الكلام ان الله  
أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبين ان صلاته ونسكه وسائر عباداته وحياته وموته كلها واقعة بخلق الله  
وقضائه وقدره والمراد بقوله (لتقرب العالمين لاشريك له) يعني في العبادة والخلق والقضاء والقدر وسائر  
أفعاله لا يشارك فيها أحد من خلقه (وبذلك أمرت) يعني قل يا محمد وبهذا التوحيد أمرت (وأنا أول  
المسلمين) قال قتادة يعني من هذه الامة وقيل معناه وأنا أول المستسلمين لقضائه وقدره ﴿قوله عز وجل﴾ (قل  
أغير الله أبنى ربا) أي قل يا محمد ل هؤلاء الكفار من قومك أغير الله أطلب سيدها وأهلها (وهو رب كل شيء)  
يعنى وهو سيد كل شيء ومالكه لا يشاركه فيه أحد وذلك ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى  
ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلى أجل عنكم أوزاركم فقال الله عز وجل ردا  
عليه (ولا تكتسب كل نفس الاعايها) يعني ان ثم لجانى عليه لا على غيره (ولا تزروا زرة وزر أخرى) يعني  
لا تؤخذ نفس آئمة بأثم أخرى ولا تحمل نفس حاملة جل أخرى ولا يؤخذ أحد بذنب آخر (ثم الى ربكم  
مرجعكم) يعني يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعني في الدنيا من الاديان والملل ﴿قوله تعالى﴾  
(وهو الذي جعلكم خلائف الارض) يعني والله الذي جعلكم بأمة محمد خلائف في الارض فان الله أهلك  
من كان قبلكم من الامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الارض تخفونهم فيها وتعمرونها  
بعدهم وذلك لان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وهو آخرهم وأمته آخر الامم (ورفع بعضكم فوق بعض  
درجات) يعني انه تعالى خالف بين أحوال عباده فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل  
والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقيح والغنى والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوى  
والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لاجل العجز أو الجهل أو البخل فان الله سبحانه وتعالى  
منزه عن صفات النقص وإنما هو لاجل الابتلاء والامتحان ﴿وهو قوله تعالى﴾ (ليبلوكم فيما آتاكم) يعني  
يعاملكم معاملة المبتلى والمختبر وهو أعلم باحوال عباده والمعنى يتلى الغنى بغناه والفقير بفقره والشريف  
بشرفه والوضيع بدناءته والعبد والحر وغيرهم من جميع أصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب  
والعقاب لان العبد اما أن يكون مقصراً فيما كلف به واما أن يكون موفياً ما أمر به فان كان مقصراً كان

بعض) في الشرف والرزق وغير ذلك (درجات) مفعول ثان أو التقدير الى درجات أو هي واقعة موقع المصدر كانه قيل رفعة بعد  
رفعة (ليبلوكم فيما آتاكم) فما أعطاكم من نعمة الجاه والمال كدف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والغنى بالفقير والمالك

بالمملوك (ان ربك سريع العقاب) لمن كفر نعمته (وانه لغفور رحيم) لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ماهوات قريب وما امر الساعة الا كلعج البصر وهو اقرب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ثلاث آيات من اول الانعام حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين ألف ملاك يحفظونه وكتب له (٧٦) مثل أعمالهم الى يوم القيامة ﴿سورة الاعراف مكية وهي مائة وان وخمس آيات بصرى

نصيبه الخوف والترغيب ﴿وهو قوله تعالى (ان ربك سريع العقاب) يعني لاعدائه باهلا بهم في الدنيا وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ماهوات فهو قريب وان كان العبد موفيا لحقوق الله تعالى فيما امره به أو نهاه عنه كان نصيبه الترغيب والتشريف والتكريم ﴿وهو قوله تعالى (وانه لغفور) يعني لذنوب اوليائه وأهل طاعته (رحيم) يعني بجميع خلقه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿تفسير سورة الاعراف﴾

نزلت بمكة روى ذلك عن ابن عباس و به قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة وروى عن ابن عباس أيضا انها مكية الا خمس آيات أولها واسألهم عن القرية التي كانت وبه قال قتادة وقال مقاتل ثمان آيات في سورة الاعراف مدينية أولها واسألهم عن القرية التي قالوا واذ أخذ ربك من بنى آدم وهي مائة وست آيات وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة وأربعة عشر ألف حرف وعشرة أحرف ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (المص) قال ابن عباس معناه أنا الله أفضل وعنه أنا الله أعلم وأفضل وعنه ان المص قسم أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة المص اسم من أسماء القرآن وقال الحسن هو اسم للسورة وقال السدي هو بعض اسم الله تعالى المصور وقال أبو العالية الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هي حروف مقطعة استأثر الله تعالى بعلمها وهي سره في كتابه العزيز وقيل هي حروف اسمه الأعظم وقيل هي حروف تحتوي معاني دل الله بها خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام على معاني الحروف المقطعة أوائل السور في أول سورة البقرة ﴿وقوله تعالى (كتاب أنزل اليك) يعني هذا كتاب أنزله الله اليك يا محمد وهو القرآن (فلا يمكن في صدرك حرج منه) يعني فلا يضيق صدرك بالبلاغ وتادية ما أرسلت به الى الناس (لتنذر به) يعني أنزل اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من أمرتك بانذاره (وذكري للمؤمنين) يعني ولتذكري وتعتظ به المؤمنين وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم تقديره كتاب أنزلناه اليك لتنذر به وذكري للمؤمنين فلا يمكن في صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تكن في شك منه لان الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الانساء توجبه ما حصل له ﴿قوله تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أي قل يا محمد لقومك اتبعوا أيها الناس ما أنزل اليكم من ربكم يعني من القرآن الذي فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن آدم أمرت بانبياء كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما أنزل آية الا ووجب أن تعلم فيم أنزلت وما معناها وبنحو هذا قال الزجاج أي اتبعوا القرآن وما أنزل به النبي صلى الله عليه وسلم فانه مما أنزل لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى الآية ان الله تعالى لما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار في قوله لتنذر به كان معنى الكلام أنذر بالقوة وقل لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم واتركوا ما أتكم عليه من الكفر والشرك وقيل معناه لتنذر به وتذكري به المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب للكفار أي اتبعوا أيها المشركون ما أنزل اليكم من ربكم واتركوا ما أتكم عليه من الكفر والشرك وبدل عليه قوله تعالى (ولا تتبعوا من دونه أولياء) يعني ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك أولياء فتتبعوهم من عند الله شجعه اليقين

وست كوفي ومدني ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قال الزجاج المختار في تفسيره ما قال ابن عباس رضى الله عنهما أنا الله أعلم وأفضل (كتاب) خبر مبتدا محذوف أي هو كتاب (أنزل اليك) صفته والمراد بالكتاب السور (فلا يمكن في صدرك حرج) شك فيه وسمى الشك حرجا لان الشك ضيق الصدر حرجه كما ان التيقن منشرح الصدر منفسحه أي لا شك في انه منزل من الله أو حرج منه بتبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه وأداهم فكأن يضيق صدره من الاذى ولا ينشط له فانه الله ونهاه عن المبالاة بهم والنهي متوجه الى الحرج وفيه من المبالغة ما فيه والفاء للعطف أي هذا الكتاب أنزلته اليك فلا يمكن بعد انزاله حرج في صدرك واللام في (لتنذر به) متعلق بانزل أي أنزل اليك لانذارك به أو بالنهي لانه اذا لم يخفهم أنذرهم وكذا اذا أيقن انه من عند الله شجعه اليقين

على الانذار به لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه (وذكري للمؤمنين) والمعنى في محل النصيب باضمار فعلها أي لتنذر به وتذكري فاذكري اسم بمعنى التنذير أو الرفع بالعطف على كتاب أي هو كتاب وذكري للمؤمنين أو بانه خبر مبتدا محذوف أو الجر بالعطف على محل لتنذر أي للانذار وللذكري (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أي القرآن والسنة (ولا تتبعوا من دونه) من دون الله (أولياء) أي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة

الاوثن والاهواء والبدع (قليل ما تذكرون) حيث تركون دين الله وتتبعون غيره وقليل انصب بتذكروا أي تذكروا  
 قليلا وما يزيد لتوكيد القلة بتذكروا شاميا (وكم) مبتدأ (من قرية) تبين والخبر (أهلكناها) أي أردنا هلاكها كقوله اذا قمنا الى  
 الصلاة (جاءها) جاءهاها (باسنا) عذابنا (بيانا) مصدر واقع موقع الحال بمعنى (VII) بائين يقال بات يات احسنا (أوهم

قائلون) حال معطوفة على  
 بيانا كأنه قيل جاءهم  
 باسنا بائين أو قائلين وانما  
 قيل هم قائلون بلا واولا  
 يقال جاءني زيد هو فارس  
 بغير واولانه لما عطف على  
 حال قبلها حذف الواو  
 استنقلا لاجتماع حرفي  
 عطف لان واو الحال هي واو  
 العطف استعيرت للوصل  
 وخص هذان الوقتان  
 لانهما وقت الغفلة فيكون  
 نزول العذاب فيهما أشد  
 وأفظع وقوم لوط عليه  
 السلام أهلكوا بالليل  
 وقت السحر وقوم شعيب  
 عليه السلام وقت القيولة  
 وقيل بيانا ليل أي ليلا وهم  
 نائمون أو نهارا وهم قائلون  
 (فما كان دعواهم) دعواهم  
 دعواهم وتضرعهم  
 (اذ جاءهم باسنا) لما جاءهم  
 أوائل العذاب (الآن قالوا  
 انا كنا ظالمين) اعترفوا  
 بالظلم على أنفسهم والشرك  
 حين لم ينفعهم ذلك  
 ودعواهم اسم كان وأن  
 قالوا الخبر ويجوز لعكس  
 (فلنستلن الذين أرسل  
 اليهم) أرسل منسدا الى  
 اليهم أي فلنستلن المرسل  
 اليهم وهم الامم عما أجابوا

والمعنى ولا تتولوا من دونه شياطين الانس والجن فيأمرهم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة  
 (قليل ما تذكرون) يعني ما تعظون الا قليلا قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها) لما أمر الله رسوله  
 صلى الله عليه وسلم بالانذار والابلاغ وأمر أمته باتباع ما أنزله اليهم حذرهم نقمته وبأسه ان لم يتبعوا  
 ما أمر به فقد كفي هذه الآية ما في ترك المتابعة والاعراض عن أمره من الوعيد فقال تعالى وكم من قرية  
 أهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم من أهل قرية لان المقصود بالهلاك أهل القرية لا القرية وقيل ليس  
 فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها (جاءها باسنا) يعني عذابنا فان قلت محي البأس وهو  
 العذاب انما يكون قبل اهلاك فكيف قال أهلكناها جاءها باسنا قلت معناه وكم من قرية حكمنا  
 باهلا كما جاءها باسنا وقال القراء اهلك والبأس قد يقعان معا كما يقال أعطيتني فاحسنت الى فلم يكن  
 الاحسان قبل الاعطاء ولا بعده وانما وقع معا وقال غيره لافرق بين قولك أعطيتني فاحسنت الى أو احسنت  
 الى فاعطيتني فيكون أحدهما بدلا من الآخر (بيانا) يعني جاءها عذابنا ليليا قبل أن يصبحوا (أوهم  
 قائلون) من القيولة وهي نوم نصف النهار واستراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم والمعنى جاءها باسنا  
 غفلة وهم غير متوقعين له ليلا وهم نائمون أو نهارا وهم قائلون وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود  
 الآية انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقسيم أمانة تدلهم على وقت نزول العذاب وفيه وعيد  
 وتخويف للكفار كأنه قيل لهم لا تغتروا باسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة (فما  
 كان دعواهم) يعني فما كان دعاء أهل القرية التي جاءها باسنا والدعوى تكون بمعنى الادعاء بمعنى  
 الدعاء قال سيبويه تقول العرب اللهم أشركنا في صالح دعوى المؤمنين ومنه قوله تعالى دعواهم فيها سبحانه  
 المهي (اذ جاءهم باسنا) يعني عذابنا (الآن قالوا انا كنا ظالمين) يعني امهم لم تقدر واعلى رد العذاب عنهم  
 وكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجنابة وذلك حين لا ينفع الاعتراف (فلنستلن الذين أرسل اليهم) يعني  
 نسأل الامم الذين أرسلت اليهم الرسل ماذا علمتم مما جاءكم به الرسل (ولنستلن المرسلين) يعني ولنسأل  
 الرسل الذين أرسلناهم الى الامم هل بلغتم رسالاتنا وأديتم الى الامم ما أمرتم بتأديته اليهم أم قصرتم في ذلك  
 قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الآية يسأل الله تعالى الناس عما أجابوا به المرسلين ويسأل  
 المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال بوضع الكتاب يوم القيامة فيتم كما بما كانوا يعملون وقال السدي يسأل  
 الامم عما عملوا فاجاءت به الرسل ويسأل الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به فان قلت قد أخبر عنهم في الآية الاولى  
 باهم اعترفوا على أنفسهم بالظلم في قوله انا كنا ظالمين فما فائدة هذا السؤال مع اعترافهم على أنفسهم بذلك  
 قلت لما اعترفوا بانهم كانوا ظالمين مقصرين بنسألوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير والمقصود من هذا  
 التقرير والتوبيخ للكفار فان قلت فما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى  
 من أرسلوا اليهم من الامم قلت اذا كان يوم القيامة أنكر الكفار تبليغ الرسالة من الرسل فقالوا ما جاءنا  
 من بشير ولا نذير فكان مسألة الرسل على وجه الاستشهاد بهم على من أرسلوا اليهم من الامم أنهم قد بلغوا  
 رسالات ربهم الى من أرسلوا اليهم من الامم فتكون هذه المسئلة كالتقرير والتوبيخ للكفار أيضا لانهم  
 أنكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك خسرهم وهوانهم وعذابهم وقوله تعالى (فلنقصن عليهم بعلم) يعني  
 فلنخبرن الرسل ومن أرسلوا اليهم بعلم ويقين بما عملوا في الدنيا (وما كنا غائبين) يعني عنهم وعن أفعالهم

به رسالهم (ولنستلن المرسلين) عما أجابوا به (فلنقصن عليهم) الى الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) علمين باحوالهم الظاهرة  
 والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما أوجد منهم ومعنى السؤال التوبيخ والتقرير اذا فاهوا بالسننهم  
 وشهد عليهم أنبياءهم

وعن الرسل فيما بانغوا وعن الامم فيما اجابوا فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى فانستأن الذين ارسل اليهم وانستأن المرسلين وبين قوله فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين واذا كان عالما فافائدة هذه السؤالات فائدة سؤال الامم والرسل مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التقريعية والتوحيبية للكفار لانهم اذا اقرروا على انفسهم كان اباغ في المقصود فاما سؤال الاسترشاد والاستنبات فهو منفي عن الله عز وجل لانه عالم بجميع الاشياء قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها فهو العالم بالكلية والجزئية وعلمه بظاهر الاشياء كعلمه بباطنها <sup>١</sup> قوله تعالى (والوزن يومئذ الحق) يعني والوزن يوم سؤال الامم والرسل وهو يوم القيامة العدل وقال مجاهد المراد بالوزن هنا القضاء ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى ان المراد بالوزن وزن الاعمال بالميزان وذلك ان الله عز وجل ينصب ميزان له لسان وكفتين كل كفة قدر ما بين المشرق والمغرب قال ابن الجوزي جاء في الحديث ان داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه ان ير به الميزان فاراه اياه فقال الهى من يقدر ان يملأ كفتيه حسنات فقال يا داود اذا رضيت عن عبدى ملائمتها بتمره وقال حذيفة جبريل صاحب الميزان يوم القيامة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم ورد من بعضهم على بعض وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم يكن له حسنة اخذ من سيئات المظلوم فيرد على سيئات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبل فان قلت اليس الله عز وجل يعلم مقادير اعمال العباد فما الحكمة في وزنها قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالايمان بذلك في الدنيا واقامة الحجية عليهم في العقبي ومنها تعريف العباد ما لهم من خير وشر وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره انه تعالى اثبت اعمال العباد في اللوح المحفوظ ثم في صحائف الحفظ الموكين بنى آدم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلماء في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال المكتوبة فيها الحسنات والسيئات ويدل على ذلك حديث البطاقة وهو ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له ائتكم من هذا شيئا اطعمتكم كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول اقلك عذرا فيقول لا يارب فيقول الله تبارك وتعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظم عليك اليوم فيخرج الله له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانه لا ظم عليك اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء اخرجته الترمذي واحمد بن حنبل وقال ابن عباس يوثق بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان فعلى قول ابن عباس ان الاعمال تتصور صور او توضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله تعالى في تلك الصور ثقلا وخفة وتقل البغوي عن بعضهم انها توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انه لياتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة اخرجاه في الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في الميزان لان المراد بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمة لا وزن جسده ولحمه والصحيح قول من قال ان صحائف الاعمال توزن او نفس الاعمال تتجسد وتوزن والله اعلم بحقيقة ذلك <sup>٢</sup> وقوله تعالى (فن ثقلت موازينه) جمع ميزان وأورد على هذا انه ميزان واحد فوجه الجمع واجب عنه بان العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما جعله لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن الا باجماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعني من رجحت اعماله بالحسنة الموزونة التي لها وزن وقدر (فاولئك

(والوزن) أى وزن الاعمال  
والتميز بين راجعها  
وخفيفها وهو مبتدأ وخبره  
(يومئذ) أى يوم يسأل الله  
الامم ورسولهم خذفت الجلة  
وعوض عنها التنوين  
(الحق) أى العدل صفتهم ثم  
قيل توزن صحف الاعمال  
بميزان له لسان وكفتان  
اظهار للنصفة وقطعا للمعذرة  
وقيل هو عبارة عن القضاء  
السوى والحكم العادل  
والله اعلم بكيفيته (فن  
ثقلت موازينه) جمع  
ميزان أو موزون أى فن  
رجحت اعماله الموزونة  
التي لها وزن وقدر وهي  
الحسنات أو ما توزن به  
حسناتهم (فاولئك



عز وجل لا بليس أي شيء يمنعك من السجود لآدم إذا مرتك به فعلى هذا التأويل تكون كلمة لاني قوله أن لا تسجد صلاة زائدة وإنما دخالت للتوكيد والتقدير ما يمنعك أن تسجد فهو كقوله لا أقسم أي أقسم وقوله وحرام على قرية أهل كنها أنهم لا يرجعون أي يرجعون وقوله لا يعلم أهل الكتاب أي لا يعلم أهل الكتاب وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثريين وقيل إن كلمة لا هنا على أصلها مفيدة وليست بزائدة لانه لا يجوز أن يقال إن كلمة من كتاب الله زائدة ولا معنى لها وعلى هذا القول حكى الواحدى عن أحمد بن يحيى إن لاني هذه الآية ليست زائدة ولا توكيد لأن معنى قوله ما يمنعك أن لا تسجد من قال لك لا تسجد فحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه أبو بكر عن الفراء وقال الطبري الصواب في ذلك أن يقال إن في الكلام محذوف تقديره ما يمنعك من السجود فاحوجك أن لا تسجد فترك ذكر أحوجك استغناء عنه بمعرفة السامعين به ونقل الامام فخر الدين الرازى عن القاضى قال ذكر الله تعالى المنع وأراد الداعى فكأنه قال مادعاك إلى أن لا تسجد لأن مخالفة الله تعالى عظمة يتعجب منها ويستل عن الداعى اليها فارتقت لم سألته عن المانع له من السجود وهو أعلم به قلت إنما سأله للتوبيخ والتقريع له ولاظهار معانده وكفره وافتخاره بأصله وحسده لآدم عليه الصلاة والسلام ولذلك لم يتب الله عليه (قال) يعنى قال ابليس مجيباً لله تعالى عما سأله عنه (أناخير منه) فإن قلت قوله أناخير منه ليس بجواب عما سأله عنه في قوله تعالى ما يمنعك أن لا تسجد فلم يجب بما يمنع من السجود فإنه كان ينبغي له أن يقول معنى كذا وكذا ولكنه قال أناخير منه قلت استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وفيه دليل على موضع الجواب وهو قوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) والنار خير من الطين وأنور وإنما قال أناخير منه لما رأى أنه أشد منه قوة وأفضل منه أصلاً وذلك لفضل الجنس الذى خلق منه وهو النار على الطين الذى خلق منه آدم عليه الصلاة والسلام فجعل عدو الله ابليس وجه الحق وأخطا طريق الصواب لأن من المعلوم أن من جوهر النار الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب وهذا الذى جعل الخبيث ابليس مع الشقاء لذي سبق له من الله تعالى فى الكتاب السابق على الاستبكار على السجود لآدم عليه الصلاة والسلام والاستخفاف بأمر ربه فأورده ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم أن فى جوهر الطين الرزانة والاناة والصبر والحلم والحياء والتثبت وهذا كان الداعى لآدم عليه الصلاة والسلام مع السعادة السابقة التى سبقت له من الله تعالى فى الكتاب السابق إلى التوبة من خطيئته ومسئلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان أول من قاس ابليس فأخطأ وقال ابن سيرين أيضاً ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس وأصل هذا القياس الذى قاسه ابليس لعنه الله تعالى لما رأى أن النار أفضل من الطين وأقوى فقال أناخير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يدرك أن الفضل لمن جعله الله فاضلاً وإن الأفضلية والخيرية لا تحصل بسبب فضيلة الأصل والجوهر وأيضاً الفضيلة إنما تحصل بسبب الطاعة وقبول الأمر فالقائمون من الحبشى خير من الكافر القرشى فالله تعالى خص صفيه آدم عليه الصلاة والسلام بأشياء لم يخص بها غيره وهو أنه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأورثه الاجتباء والتوبة والهداية إلى غير ذلك مما خص الله تعالى به آدم عليه الصلاة والسلام للعناية التى سبقت له فى القدم وأورث ابليس كبره اللعنة والطرده للشقاوة التى سبقت له فى القدم (قال فاهبط منها) يعنى قال الله تعالى لا بليس لعنه الله اهبط من الجنة وقيل من السماء إلى الأرض والهبوط الانزال والانحدار من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف (فما يكون لك أن تستكبر فيها) يعنى فليس لك أن تستكبر فى الجنة عن أمرى وضاعى لانه لا ينبغي أن يسكن فى الجنة أو فى السماء متكبر مخالف لامر الله عز وجل فاما غير الجنة والسماء فقد يسكنها المستكبر عن طاعة الله تعالى وهم الكفار الساكنون فى الأرض (فاخرج انك

أخطأ الخبيث بل الطين أفضل لرزاقته ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك دعاه إلى التوبة والاستغفار وفى النار الطيش والحدة والترفع وذلك دعاه إلى الاستكبار والتراب عدة الممالك والنار عدة الممالك والنار مظنة الحياة والافناء والتراب مثله الامانة والاعناء والطين يطغى النار ويتلفها والنار لا تتلفه وهذه فضائل غفل عنها ابليس حتى زل بفساد من المقاييس وقول لاني القياس أول من قاس ابليس قياس على ان القياس عند مثبتته مردود عند وجود النص وقياس ابليس عناد للأمر المنصوص فكان الجواب لما منعك أن يقول معنى كذا وإنما قال أناخير منه لانه لما استأنف قصة وأخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبقلة فضله عليه فعلم منها الجواب كانه قال معنى من السجود فضلى عليه وزيادة عليه وهي انكار الأمر واستبعاد أن يكون مثله مأموراً بالسجود مثله إذ سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب (قال فاهبط منها) من الجنة أو من السماء

لانه كان فيها وهي مكان المطيعين والمتواضعين والفاء فى فاهبط جواب لقوله أناخير منه أى ان كنت تتكبر فاهبط (فما يكون لك) فاصح لك (أن تستكبر فيها) وتنعى (فاخرج انك



من الصغرين) من أهل الصغار والهووان على الله وعلى أوليائه يذمك كل إنسان ويلعنك كل إنسان لتكبرك وبه علم أن الصغار لازم للاستكبار (قال أنظرني إلى يوم يبعثون) أمهلني إلى يوم البعث وهو وقت النفخة الأخيرة (قال إنك من المنظرين) إلى النفخة الأولى وإنما جيب إلى ذلك لما فيه من الابتلاء وفيه تقرب لقلوب الأحاب أي هذا يرى بمن يسيئ فكيف بمن يحسن وإنما جسر على السؤال مع وجود الزال منه في الحال علمه بحكم ذي الجلال (قال فيما أغويتني) أضللتني (٨١) أي فسبب اغوائك إياي

والباء تتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فسبب اغوائك أقسم أو تكون الباء للقسم أي فاقسم باغوائك (لا تعدن لهم صراطك المستقيم) لا تعترض لهم على طريق الإسلام مترصدا للرد متعرضا للصد كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة واتصابه على الظرف كقولك ضرب زيد الظهر أي على الظهر وعن طاوس أنه كان في المسجد الحرام فاعرجل فوري فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له أنقول هذا الرجل فقيه فقال إبليس أفقه منه قال رب بما أغويتني وهو يقول أنا أغوي نفسي (ثم لا تبينهم من بين أيديهم) أشككهم في الآخرة (ومن خلفهم) أرغبهم في الدنيا (وعن إيمانهم) من قبل الحسنات (وعن شمائلهم) من قبل السيئات وهو جمع شمال يعني ثم لا آتيتهم من الجهات الأربع التي يأتي منها

من الصغرين) يعني إنك من الأدلاء المهانين والصغار الذل والمهانة قال لزجاج استكبر عدو الله إبليس فابتلاه الله تعالى بالصغار والذلة وقيل كان له ملك الأرض فأخرجه الله تعالى منها إلى جزائر البحر الأخضر وعرشه عليه فلا يدخل الأرض إلا خائفا كهيئة السارق مثل شيخ عليه اطمار رثة يروع فيها حتى يخرج منها (قال) يعني قال إبليس عند ذلك (انظرني) يعني أخرى وأمهلني فلا تمنني (اليوم يبعثون) يعني من قبورهم وهي النفخة الآخرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة الخبيث إبليس لعنه الله لأنه سأل ربه لامهال وقد علم أنه لا سبيل لاحد من خلق الله تعالى إلى البقاء في الدنيا ولو كنه كره أن يكون ذاتا للموت فطالب البقاء والخلود فلم يجب إلى ما سأل بل (قال) الله تعالى له (إنك من المنظرين) يعني من المؤخرين المهانين وقد بين الله تعالى مدة النظرة والمهلة في سورة الحجر فقال تعالى إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم فإن قلت فما وجه قوله إنك من المنظرين وليس أحد ينظر سواه قلت معناه إن الذين تقوم عليهم الساعة منظرون إلى ذلك الوقت بأجلهم فهو منهم (قال) يعني إبليس (فبما أغويتني) يعني فبأي شيء أضللتني فعلى هذا تكون ما استفهامية وتم الكلام عند قوله أغويتني ثم ابتداء فقال (لا تعدن لهم صراطك المستقيم) وقيل هي باء القسم تقديره فباغوائك إياي وقيل معناه فيما وقعت في قلب النبي الذي كان سبب هبوطي إلى الأرض من السماء وأضللتني عن الهدى لا تعدن لهم صراطك المستقيم يعني لا تجلسن على طريقك القويم وهو طريق الإسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم الطريق الذي يسلكونه إلى الجنة وذلك بان أو سوس اليهم وأزين لهم الباطل وما يكسبهم المآثم وقيل المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يعني بمنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول الأول أولى لأنه يعم الجميع ومعنى الآية لاردن بن آدم عن عبادتك وطاعتك ولا غوينهم ولا ضللتهم كما أضللتني عن سبيرة من أنى الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الشيطان قعد لابن آدم باطريقة قعد له في طريق الإسلام فقال تسلم وتزردن آباءك وآباء آباءك فعصاه وأسلم وقعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذر أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر وقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جهده النفس والمال فتقاتل فتقتل فتسكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال فن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقت دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة أخرجه النسائي وقوله تعالى اخبار عن إبليس (ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم) قال ابن عباس من بين أيديهم يعني من قبل الآخرة فأشككهم فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فأرغبهم فيها وعن إيمانهم يشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهى لهم المعاصي وإنما جعل الآخرة من بين أيديهم في هذا القول لأنهم منقلبون إليها وصارون إليها فعلى هذا الاعتبار فالدينيا خلفهم لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس في رواية عنه من بين أيديهم من قبل دنياهم يعني أزينها في قلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فاقول لا بعث ولا نشور ولاجنة ولا نار وعن إيمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وإنما جعل الدينيا من بين أيديهم في هذا القول لأن الإنسان يسعى فيها ويشاهد فيها ما هو حاضر

(١١ - خازن - ثانی) المدون في الأغاب وعن شقيق ما من صباح الاقعد لي الشيطان على أربعة مراد من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرا واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ومن خلتني الضيعة على مخلفي فاقرا وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها وعن يني فيأتيني من قبل النناء فاقرا أو العاقبة للمتقين وعن شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرا أو حيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة وقال في الاولين من لا بداء الغاية وفي الاخيرين عن لان عن تدل على الانحراف

بين يديه والآخرة غائبة عنه فهي خلفه وقال الحكم بن عتبة من بين أيديهم يعني من قبل الدنيا فاز ينهاتهم  
ومن خلفهم من قبل الآخرة فأنبطهم عنها وعن أيديهم يعني من قبل الحق فاصدهم عنه وعن شمائلهم  
من قبل الباطل فاز ينههم وقال قتادة أنهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم  
من أمر الدنيا فاز ينههم ودعاهم إليها وعن أيديهم من قبل حسناتهم فبطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم  
السيئات والمعاصي ودعاهم إليها أنك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك فلم يستطع أن يحول  
بينك وبين رحمة الله تعالى وقال مجاهد يأتهم من بين أيديهم وعن أيديهم حيث يبصرون ومن خلفهم وعن  
شمائلهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا من حيث يخطئون ويعلمون أنهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون  
أنهم يخطئون ولا يعلمون أنهم يخطئون وقيل من بين أيديهم يعني فيما بقي من أعمارهم فلا يقدمون فيه  
طاعة ومن خلفهم يعني ماضي من أعمارهم فلا يتوبون عما أسلفوا فيه من معصية وعن أيديهم يعني من  
قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور ناله وقال  
شقيق البلخي ما من صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الأربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني  
وعن شمالي أما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله عفور رحيم فافراواني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا  
ثم اهتدي وأما من خلفي فيخوفني من وقوع أولادي في الفقر فافراوا من دابة في الارض الاعلى الله  
رزقها وأما من قبل يميني فيأتيني من الثناء فافراوا والعاقبة للمتقين وأما من قبل شمالي فيأتيني من قبل  
الشهوات فافراوا وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع انما أريد بها التأكيد  
والمبالغة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم وانه لا يتصرف في ذلك ومعنى الآية على هذا القول ثم لا ينههم من  
جميع الوجوه الممكنة لجميع الاعتبارات وقوله (ولا تجدوا أكثرهم شاكرين) يعني ولا تجدوا يارب أكثر مني  
آدم شاكرين لك على نعمك التي أنعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجدوا أكثرهم موحدين فان  
قلت كيف علم الحبيث ابليس ذلك حتى قال ولا تجدوا أكثرهم شاكرين قلت قاله ظنا فاصاب ومنه قوله تعالى  
واقصد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين القبائح وعلم ميل  
نبي آدم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل انه راها مكتوبا في اللوح المحفوظ فتمال هذه المقالة على سبيل  
اليقين والقطع والله أعلم مراده ﴿ قوله عز وجل (قال اخرج منها) أي قال الله تعالى لابليس حين طرده  
عن بابه وأبعده عن جنابه وذلك بسبب مخالفته وعصيانه أخرج منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي أن يسكن  
فيها العصاة (مدووما) يعني معيبا والذام أشد العيب (مدحورا) يعني مطرودا مبعودا وقال ابن عباس  
صغيرا محقوتا وقال قتادة لعينا مقيتا وقال الكلبي ما لو ما مقصيا من الجنة ومن كل خير (لمن تبعك منهم) يعني  
من بني آدم (لأملأن جهنم منكم أجمعين) اللام لام القسم أقسم الله تعالى ان من تبع ابليس من بني آدم  
وأطاعه منهم ان يملأ جهنم منه ومن كفر من بني آدم وابليس وذريته ومن تبعه منهم ﴿ قوله تعالى  
(ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أي وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وذلك بعد ان أهبط  
منها ابليس وأخرجه وطرده من الجنة (فكلامن حيثما) يعني فكلامن ثمار الجنة من أي مكان  
شئتما فان قلت قال في سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا فكلا بالفاء الفرق قلت قال الامام نضر الدين  
الرازي ان الواو تقيده المطلق والفاء تقيده الجمع على سبيل التعقيب فاللهوم من الفاء نوع داخل تحت  
الفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس ففي سورة البقرة ذكر الجنس وهذا ذكر النوع (ولا تقربا  
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) تقدم في سورة البقرة الكلام على تفسير هذه الآية مستوفي  
﴿ قوله تعالى (فوسوس لهما الشيطان) يعني فوسوس اليهما والوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب  
الانسان يقال وسوس وسوسا اذا تكلم كلاما خفيا مكررا وأصله من صوت الحلي ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة

(ولا نجد أكثرهم  
شاكرين) مؤمنين قاله  
ظنا فاصاب لقوله ولقد  
صدق عليهم ابليس ظنه  
أوسعه من الملائكة  
باخبار الله تعالى ايهم  
(قال اخرج منها) من  
الجنة أو من السماء  
(مدووما) معيبا من ذامه  
اذا ذمه والذام والذم العيب  
(مدحورا) مطرودا مبعودا  
من رحمة الله واللام في (لمن  
تبعك منهم) موطئة للقسم  
وجوابه (لأملأن جهنم)  
وهو ساد مسد جواب  
الشرط (منكم) منك  
ومنهم فغلب ضمير المخاطب  
(أجمعين ويا آدم) وقانا  
يا آدم بعد اخراج ابليس  
من الجنة (اسكن أنت  
وزوجك الجنة) اتخذها  
مسكنا (فكلامن حيث  
شئتما) ولا تقربا هذه  
الشجرة فتكونا) فتصيرا  
(من الظالمين فوسوس  
لهما الشيطان) وسوس  
اذا تكلم كلاما خفيا مكرره  
وهو غير متناه ورجل  
موسوس بكسر الواو ولا  
يقال موسوس بالفتح  
ولكن موسوس له  
وموسوس اليه وهو الذي  
يلقي اليه الوسوسة ومعنى  
وسوس له فعل الوسوسة  
لاجله ووسوس اليه  
ألقاها اليه

(ليبدى لهما ما ووري عنهما من سواتهما) ليكشف لهما ما ستر عنهما من عوراتهما وفيه دليل على أن كشف العورة من عظام الأمور وأنه لم يزل مستقبحا في الطباع والعقول فان قلت مالوا والمضمومة في و وري لم تقاب (٨٣) همزة كافي أو يصل تصغير واصل

وأصله ووصل فقلت  
الواو همزة كراهة لاجتماع  
واو ين قات لان الثانية مدة  
كالف واري فكالم يجب  
همزه في واعد لم يجب في  
ووري وهذا لان الواو ين  
اذا تحركتا ظهر فيهما من  
الثقل ما لا يكون فيهما  
اذا كانت الثانية ساكنة  
وهذا مدرك بالضرورة  
فالتزموا البدلها في موضع  
الثقل لا في غيره وقرأ  
عبد الله أوري بالقلب  
(وقال ماها كما ربكما  
عن هذه الشجرة الآن  
تكونا ملكين) الا كراهة  
ان تكونا ملكين تعلمان  
الخير والشر وتستغنيان  
عن الغداء وقرئ  
ملكين لقوله وملك  
لا يبلي (أوتكونا من  
الخالدين) من الذين  
لا يموتون وبيتون في  
الجنة ساكنين (وقاسمهما)  
وأقسم لهما (اني لكاملين  
الناصحين) وأخرج قسم  
ابليس على زنة المفاعلة  
لانه لما كان منه القسم  
ومنها التصديق فكأنها  
من اثنين (فدلاهما)  
فترط ما الى الا كل من  
الشجرة (بغرور) بما  
غرهما به من القسم

واقفا لهما فان قلت كيف وس اليهما ما و آدم وحواء في الجنة و ابليس قد أخرج منها قلت ذكر الامام  
نجر الدين الرازي في الجواب عن هذا السؤال عن الحسن أنه قال كان يوسوس في الارض الى السماء  
الى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله تعالى له وقال أبو موسى لم الاصبها اني بل كان آدم و ابليس في الجنة لان  
هذه الجنة كانت بعض جنات الارض والذي يقوله بعض الناس من أن ابليس دخل في جوف الحية  
فدخلت به الحية الى الجنة فقصه مشهوره و كيككة وقال آخرون ان آدم وحواء بما قرأ بهن باب الجنة وكان  
ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها فقرب أحدهما من الآخر فحصلت الوسوسة هناك \* فان قلت ان  
آدم عليه الصلاة والسلام قد عرف ما بينه وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله \* قلت يحتمل أن يقال  
ان ابليس اتى آدم مرارا كثيرة ورغبه في أكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها جاء نيل الخلد ومنها قوله  
وقاسمهما الى لكاملين الناصحين فلا جعل هذه المواظبة والمداومة على هذا التمويه أثر كلام ابليس في آدم  
حتى أكل من الشجرة (ليبدى لهما ما ووري عنهما من سواتهما) يعني ليظهر لهما ما غطي وستر من  
عوراتهما وقوله ما ووري ما أخذ من المواراة وهي الستر يقال واريته بمعنى سترته والسواة فرج الرجل  
والمرأة سمي بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفي الآية دليل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات  
واللام في قوله ليبدى لهما ما لام العاقبة وذلك لان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عوراتهما وانما كان  
حملهما على المعصية فقط فكان عاقبة أمرهما ان بدت عوراتهما (وقال) يعني وقال ابليس لآدم وحواء  
(ماها كما ربكما عن هذه الشجرة) يعني عن الاكل من هذه الشجرة (الا أن تكونا ملكين أو تكونا من  
الخالدين) يعني انماها كما عن هذه الشجرة لكي لا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر أو تكونا  
من الباقيين الذين لا يموتون وانما أطمع ابليس آدم بهذه الآية لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من  
العرش فاستشرف لذلك آدم وأحب أن يعيش مع الملائكة لطول أعمارهم أو يكون مع الخالدين الذين  
لا يموتون أبدا \* فان قلت ظاهر الآية يدل على ان الملك أفضل من الانبياء لان آدم عليه الصلاة والسلام طلب  
أن يكون من الملائكة وهذا يدل على فضلهم عليه \* قلت ليس في ظاهر الآية ما يدل على ذلك لان آدم عليه  
الصلاة والسلام لما طالب أن يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل أن يتشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة  
قبل نبوة آدم عليه الصلاة والسلام فطالب أن يكون من الملائكة أو من الخالدين وعلى تقدير أن تكون هذه  
الواقعة في زمان النبوة بعد ان شرف بها آدم انما طالب أن يكون من الملائكة لطول أعمارهم لانه أفضل  
منه حتى يلتحق بهم في الفضل لانه طلب ان يكون من الملائكة لطول أعمارهم أو من الخالدين الذين  
لا يموتون أبدا وقوله تعالى (وقاسمهما) أي وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد (اني  
لكاملين الناصحين) قال قتادة حلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال اني خاقت  
قبلكما وأنا أعلم منكما فتبعاني أرشدكما وقال بعض العلماء من خادعنا بالله خدعنا له (فدلاهما بغرور)  
يعني خدعهما بغرور يقال مازال فلان يدلي فلانا بغرور يعني مازال يخدعه ويكاهمه بزخرف من القول  
الباطل قال الأزهرى وأصله ان الرجل العطشان يتدلى في البئر لياخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التولية  
موضع الطمع فيما لا فائدة فيه والغرور اظهار النصح مع ابطان النفس وهو ان ابليس حطهما من منزلة  
الطاعة الى حالة المعصية لان التدلي لا يكون الا من علو الى أسفل ومعنى الآية ان ابليس اعنه الله تعالى غر آدم  
باليمن الكاذبة وكان آدم عليه الصلاة والسلام يظن ان أحد الايحاء بالله كاذبا و ابليس أول من حلف  
بالله كاذبا فلما حلف ابليس ظن آدم انه صادق فاغتر به (فلما اذا قال الشجرة) يعني طعمها من ثمرة الشجرة

بالله وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضي الله عنهما من خدعنا بالله انخدعنا له (فلما اذا قال الشجرة) وجسد اطعمها آخذين في الاكل  
منها وهي السنبلة أو الكرم

(بدت لهما سوا منهما)  
 ظهرت لهما عوراتهما  
 انها فت اللباس عنهما وكانا  
 لا يريانها من أنفسهما ولا  
 أحدهما من الآخر وقيل  
 كان لباسهما من جنس  
 الاظفار أي كالظفر بيضا  
 في غاية اللطف واللين فبقي  
 عند الاظفار تذكيرا  
 للنعم وتجديدا للندم  
 (وطبقا) وجعلا يقال  
 طفق يفعل كذا أي جعل  
 (يخصفان عليهما من ورق  
 الجنة) بجعلان علي عورتها  
 من ورق التين أو الموز وورقة  
 فوق ورقة ليستراها كما  
 تخصف الدحل (وناداهما  
 ربهما لم أنهما عن تلكا  
 الشجرة) هذا عتاب من  
 الله وتنبية على الخطا وروى  
 أنه قال لآدم عليه السلام  
 ألم يكن لك فيما منحتك من  
 شجر الجنة مندوحة عن  
 هذه الشجرة فقال بلى  
 ولكن ما عنفت ان أحدا  
 يخاف بك كاذبا قال فبعزتي  
 لا هبطنك الى الارض ثم  
 لاتنال العيش الا بكديمين  
 وعرق جبين فاهبط وعلم  
 صنعة الحديد وأمر بالحرث  
 فحرث وسقى وحصد وداس  
 وذرى وعجن وطحن وخبز  
 (وأقل لكما ان الشيطان  
 لكما عدو مبين قالار بنا  
 طلعنا أنفسنا وان لم تغفر  
 لنا وترحمنا لنكونن من  
 الخاسرين) فيه دليل لنا

وفيه دليل على انها تناولوا اليسير من ذلك فصد الى معرفة طعمه لان الذوق يدل على الاكل اليسير (بدت  
 لهما سوا منهما) يعني ظهرت لهما عوراتهما ما قال ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ازدردا أخذتهما  
 العقوبة والعقوبة أن ظهرت وبدت لهما سواتهما وفت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما  
 ما وري عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يرى هذا عورة هذه  
 ولا هذه عورة هذا فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سواتهما ما قال قتادة كان لباس آدم في الجنة ظفرا كاه  
 فلما وقع في الذنب قشط عنه وبدت سواته (وطبقا) يعني وأقبلا وجعلا (يخصفان عليهما من ورق الجنة)  
 يعني انهما لما بدت لهما سواتهما جعل ليرقان ويلزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار  
 كهية الثوب وقال الزجاج جعل لورقة على ورقة ليس ترا سواتهما في الآية دليل على ان كشف العورة  
 من ابن آدم قبيح ألا ترى انهما بادرا الى ستر العورة لما تقرر في عقليهما من قبيح كشفها روى أني بن كعب  
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم صلى الله عليه وسلم رجلا طويلا كأنه نخلة - يحوق كثير شعر  
 الرأس فلما وقع في الخطيئة بدت له سواته وكان لا يراها في الجنة فانطلق فارا فعرضت له شجرة من شجر الجنة  
 فحسبته بشعره فقال لها أرسليني قالت است برسانك فناداه به يا آدم أمنى تفر قال لا يارب ولكني استحييتك  
 ذكره البغوي بغير سند وأسند الطبري من طريقين موقوفين فوفا مرفوعا ﴿قوله تعالى﴾ (وناداهما ربهما ألم  
 أنهما عن تلكا الشجرة) يعني ان الله تعالى نادى آدم وحواء وخطبهما فقال ألم أنهما عن تلكا شجرة هذه  
 الشجرة (وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) يعني ألم أعلم لكما ان الشيطان قد بان عدوته لكما بترك  
 السجود وحسد او بغيا قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أكل آدم من الشجرة قيل له ألم أكلت من الشجرة التي  
 نهيتك عنها قال حواء أمرتني قال فاني أعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرت حواء عند  
 ذلك رنة فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك وقال محمد بن قيس ناداه به يا آدم ألم أكلت منها وقد نهيتك قال  
 أطعمتني حواء فقال لحواء ألم أطعمتني قالت أمرتني الحية فقال للحية ألم أمرتها قالت أمرتني ابليس قال الله  
 تعالى أما أنت يا حواء وكما أدميت الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت يا حية فاقطع رجلك فتشين علي وجهك  
 وسبب دخ رأسك من لقيك وأما أنت يا ابليس فلعون مطرود مدحور يعني عن الرجة وقيل ناداه به يا آدم  
 أما خلقتك بيدي أما نفخت فيك من روعي أما أسجدت لك ملائكتي أما أسكنتك جنتي في جوارى ﴿قوله﴾  
 عز وجل (قالار بناظلمنا أنفسنا) وهذا خبر من الله عز وجل عن آدم عليه الصلاة والسلام وحواء عليها السلام  
 واعترافهما على أنفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالار بنا اننا فعلنا بانفسنا من الاساءة اليها بخالفة  
 أمرك وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا ان نطيعه فيه من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها (وان لم تغفر لنا)  
 يعني وأنت ياربنا ان لم تستر علينا ذنوبنا (وترحمنا) يعني وتفضل علينا برحمتك (لنكونن من الخاسرين)  
 يعني من الهالكين قال قتادة قال آدم يارب أرأيت ان تبت اليك واستغفرتك قال اذا أدخلك الجنة وأما ابليس  
 فلم يسأله التوبة وسأله أن ينظره فاعطى كل واحد منهما ما سأل وقال الضحاك في قوله بناظلمنا أنفسنا قال  
 هي الكامات التي تلقاها آدم عليه الصلاة والسلام من ربه عز وجل

﴿فصل﴾ وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية وأجيب  
 عنه بان درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما جعلهم على الخوف  
 منه والاشفاق من المؤاخذة بما لم يؤاخذ به غيرهم وانهم بما عوتبوا بما وردت منهم على سبيل التأويل  
 والسهو فهم بسبب ذلك خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علو مناصبهم وسيات بالنسبة الى كمال  
 طاعتهم لأنها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم  
 وعمارة بواطنهم بالوحى السماوي والذكر القدسي وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل ذنوبا

وهي حسنات بالنسبة الى غيرهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المنقر بين يعني انهم بر ونها بالنسبة الى  
أحوالهم كالسيئات وهي حسنات غيرهم وقد تقدم في سورة البقرة ان أكل آدم من الشجرة هل كان قبل  
النبوة أو بعدها والخلاف فيه فاغنى عن الاعادة والله أعلم ﴿ قوله تعالى (قال اهبطوا) قال الامام نجر الدين  
الرازي رحمه الله ان الذي تقدم ذكره هو آدم وحواء وابليس فقوله اهبطوا يجب أن يتناول هؤلاء الثلاثة  
وقال الطبري قال الله تعالى لآدم وحواء وابليس والحية اهبطوا يعني من السماء الى الارض قال السدي  
رحمه الله قوله تعالى اهبطوا يعني الى الارض آدم وحواء وابليس والحية (بعضكم لبعض عدو) يعني ان  
العداوة ثابتة بين آدم وابليس والحية وذرية كل واحد من آدم وابليس (ولكم في الارض مستقر) يعني  
موضع قرار تستقرون فيه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ولكم في الارض مستقر يعني  
القبور (ومتاع الى حين) يعني ولكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع الدنيا والى انقضاء آجالكم ومعنى  
الآية ان الله عز وجل أخبر آدم وحواء وابليس والحية انه اذا اهبطهم الى الارض فان بعضهم لبعض عدو  
وان لهم في الارض موضع قرار يستقرون فيه الى انقضاء آجالهم ثم يستقرون في قبورهم الى انقطاع الدنيا  
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ومتاع الى حين يعني الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا  
(قال فيها تحيون) يعني قال الله عز وجل لآدم وذريته وابليس وأولاده فيها تحيون يعني في الارض  
تعيشون أيام حياتكم (وفيهاتموتون) يعني وفي الارض تكون وفاتكم وموضع قبوركم (ومنها تخرجون)  
يعني ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم للحساب يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم  
لباسا يوارى سواكم) اعلم ان الله عز وجل لما أمر آدم وحواء بالهبوط الى الارض وجعلها مستقرا لهم  
أنزل عليهم كل ما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما نزل عليهم اللباس الذي يحتاج اليه  
في الدين والدنيا فاما منفعة في الدين فانه يستر العورة وسترها شرط في صحة الصلاة وأما منفعة في الدنيا فانه  
يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بان أنزل عليهم لباسا يوارى سواهم فقال تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم  
لباسا يوارى سواكم يعني لباسا تسترون به عوراتكم فان قلت ما معنى قوله قد أنزلنا عليكم لباسا قلت  
ذكر العلماء فيه وجوها أحدها أنه بمعنى خاق أي خلقنا لكم لباسا أو بمعنى زقناكم لباسا الوجه  
الثاني ان الله تعالى أنزل المطر من السماء وهو سبب نبات اللباس فـ كانه أنزله عليهم الوجه الثالث ان  
جميع بركات الارض تنسب الى السماء والى الانزال كما قال تعالى وأنزلنا الحديد (وريشا) الريش للطنائر  
معروف وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى وأنزلنا عليكم  
لباسين لباسا يوارى سواكم ولباسا زينتكم لان التزيين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوهن زينة  
وقال ولكن فيها جمال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا في معنى الريش  
المذكور في الآية فقال ابن عباس رضي الله عنهما وريشا يعني مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدي  
لان المال مما يتزين به ويقال ترش الرجل اذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع الى الزينة  
أيضا وقيل ان الريش في كلام العرب الاثا وما ظهر من الثياب والمتاع مما يلبس أو يفرش والريش أيضا  
المتاع والاموال عندهم ور بما استعملوه في الثياب والكسوة دون سائر المال يقال انه لحسن الريش أي  
لحسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل أيضا في الخصب ورفاهية العيش (ولباس التقوى) اختلف  
العلماء في معناه فمنهم من جعله على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم من جعله على الجازا ما من جعله على نفس  
الملبوس فاختلفوا أيضا في معناه فقال ابن انباري لباس التقوى هو اللباس الاول وانما أعاده اخبار أن  
ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما أعاده لاجل ان يخبر عنه بانه خير لان العرب في الجاهلية كانوا  
يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وذلك

ابليس هبط من قبل  
ويحتمل انه هبط الى السماء  
ثم هبطوا جميعا الى الارض  
(بعضكم لبعض عدو)  
في موضع الحال أي  
متعادين يعاديهما ابليس  
ويعاديانه (ولكم في الارض  
مستقر) استقرار أو موضع  
استقرار (ومتاع)  
واتمتاع بعيش (الى حين)  
الى انقضاء آجالكم وعن  
ثابت البناني لما هبط آدم  
عليه السلام وحضرته  
الوفاة وأحاطت به الملائكة  
فجعات حواء تدور حولهم  
فقال لها خلي ملائكة ربى  
فانما أصابني ما أصابني  
فيك فلما توفي غسلته  
الملائكة بماء وسدر وترا  
وحنطته وكفنته في وتر من  
التياب وحفره واله قبره  
ودفنه بسمرنديب بارض  
الهند وقالوا لبنيه هذه  
سنتكم بعده (قال فيها  
تحيون) في الارض (وفيهاتموتون  
ومنها تخرجون)  
للاثواب والعقاب تخرجون  
حزة وعلى (يا بني آدم قد  
أنزلنا عليكم لباسا) جعل  
ما في الارض منزل من السماء  
لان أصله من الماء وهو  
منها (يوارى سواكم)  
يستر عورتكم (وريشا)  
لباس الزينة استعير من  
ريش الطير لانه لباسه وزينته

أي أنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سواكم ولباسا زينتكم (ولباس التقوى) ولباس الورع الذي بقي العقاب وهو مبتدأ وخبره الجملة وهي



(انا جعلنا الشياطين

أولياء للذين لا يؤمنون) فيه دلالة خاتمة الافعال (واذا فعلوا فاحشة) ما يبالغ في قبحه من الذنوب وهو طوافهم -م بالبيت عرارة وشركهم (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) أي اذ فعلوها اعتدروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقعدوا بهم -م وبان الله أمرهم بان يفعلوها حيث أقرنا عليها اذ لو كرهها لنقلنا عنها وهم -م باطلان لان أحدهما تقليد للجهال والثاني افتراء على ذي الجلال (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) اذ المأمور به لا بد أن يكون حسنا وان كان فيه على مراتب على ما عرف في أصول الفقه (أتقولون على الله مالا تعلمون) استفهام انكار وتوبيخ (قل أمر ربي بالقسط) بالعدل وبما هو أحسن عند كل عاقل فكيف يأمر بالفحشاء (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وقيل أقيموا وجوهكم أي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود (وادعوه) وادعوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة مبتغين بوجهه خالصا (كابدأكم تهودون) كما أنشأكم

لابرون الجن رقة أجسام الجن واطافتها والوجه في رؤية الجن للانسان كثافة أجسام الانس والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع أبصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل في أبصارنا هذه القوة لرأيناهم ولكن لم يجعلها لنا وحكي الواحدى وابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وجعلت صدور بني آدم مساكن لهم الامن عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس فهم يرون بنى آدم ولا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا أربعة نزى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى ان عدوايرك ولا تراها لشديد المؤنة الامن عصمه الله تعالى (انا جعلنا الشياطين اولياء) يعنى أعوانا وقرناء (للذين لا يؤمنون) قال الزجاج يعنى سلطانهم عليهم يزبدون فى غيرهم ﴿ قوله عز وجل (واذ فعلوا فاحشة) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهدى طوافهم بالبيت عرارة الرجال والنساء وقال عطاءهى الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصى والكبائر فيمكن جعلها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا بما ورد من طوافهم -م عرارة ولما كانت هذه الافعال التى كان أهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون أنها طاعات وهى فى نفسها فواحش ذمهم الله تعالى عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما أخبر الله عنهم وهو ﴿ قوله تعالى (قالوا وجدنا على آباءنا والله أمرنا بها) فذكروا لانفسهم عذرا من أحدهما محض التقليد وهو قوطهم وجدنا على هذا الفعل آباءنا وهذا التقليد باطل لانه أصل له والعذر الثانى قولهم والله أمرنا بها وهذا العذر أيضا باطل وقد أجاب الله تعالى عنه بقوله (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) والمعنى ان هذه الافعال التى كان أهل الجاهلية يفعلونها وهى فى نفسها قبيحة منكورة فكيف يأمر الله تعالى بها والله لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى ردا عليهم (أتقولون على الله مالا تعلمون) يعنى أنكم ما سمعتم كلام الله تعالى ابتداء من غير واسطة ولا أخذتموه عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عبادته فى تبليغ أوامره ونواهيه وأحكامه لانكم تشكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله مالا تعلمون ﴿ قوله تعالى (قل أمر ربي بالقسط) أى قل يا محمد طهؤلاء الذين يقولون على الله مالا يعلمون أمر ربي بالقسط يعنى بالعدل وهذا قول مجاهد والسدى وقال ابن عباس رضى الله عنهما بلالة الا الله فالامر بالقسط فى هذه الآية يشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأفعاله وانه واحد لا شريك له (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) فان قلت قل أمر ربي بالقسط خبر وقوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد أمر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فمات معناه قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل أمر ربي بالقسط وقال وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد حذف قال لدلالة الكلام عليه ومعنى الآية فى قول مجاهد والسدى وجهوا وجوهكم حينما كنتم فى الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وأتم عند المسجد فصلاوا فيه ولا يقولن أحدكم أصلى فى مسجدى أو فى مسجد قومى وقيل معناه اجعلوا وسجودكم لله خالصا (وادعوه مخلصين له الدين) أى واعبدوه مخلصين العباداة والطاعة والدعاء لله عز وجل لا غيره (كابدأكم تهودون) قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله عز وجل بدأ خلق بنى آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذى خلقكم فىكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كابدأ خلقهم مؤمنا وكافرا ووجه هذا القول قوله فى سياق الآية فريقا هدى وفر يقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له وبدل على صحة ذلك ما روى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على مامات عليه أخرجه مسلم زاد البغوى فى روايته المؤمن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتداء الله خلقه على الشقاوة صار الى ما ابتدئ عليه خلقه وان عمل باعمال أهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدئ خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال أهل

الشقاوة كما ان السحرة كانوا يعملون بعمل أهل الشقاوة ثم صاروا الى السعادة و يصحح هذا القول ماروي  
 عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل يعمل الزمن الطويل  
 بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وان الرجل يعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم  
 له عمله بعمل أهل الجنة أخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد في معني الآية كما بدأكم في الدنيا ولم  
 تكونوا شيئا فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون احياء يوم القيامة ويشهد لصحة هذا القول ماروي عن  
 ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم  
 تحشرون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كآفأا من أخرجه البخاري  
 ومسلم وقوله تعالى (فر يها هدى) يعني هداهم الله الى الايمان به ومعرفة ووقفهم لطاعته وعبادته  
 (وفر يها حق عليهم الضلالة) يعني وخذل فر يها حتى وجبت عليهم الضلالة للسابقة التي سبقت لهم في  
 الازل بانهم أشقياء وفيه دلائل على ان الهدى والضلالة من الله عز وجل ولما روي عن عبد الله بن عمرو بن  
 العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة فالتقى عليهم من نوره  
 فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل أخرجه الترمذي وقوله تعالى (انهم اتخذوا الشياطين  
 أولياء من دون الله) يعني ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصراء وأنا اطاعوهم  
 فيما أمرهم به من الكفر والمعاصي والمعنى ان الداعي الذي دعاهم الى الكفر والمعاصي هو أنهم اتخذوا  
 الشياطين أولياء من دون الله لان الشياطين لا يقدر ان يضلوا احد وقوله (ويحسبون انهم  
 مهتدون) يعني أنهم مع ضلالتهم يظنون ويحسبون أنهم على هداية وحق وفيه دلائل على ان الكافر الذي  
 يظن انه في دينه على الحق والجاحد والمعاند في الكفر سواء قوله عز وجل (يا بني آدم خذوا زينتكم عند  
 كل مسجد) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من  
 يعيرني تطوا فاجعله على فرجه وهي تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله \* وما يبداه منه فلا آحله

فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد أخرجه مسلم وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله  
 عنهما قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل و ذكر الحديث زاد في رواية أخرى عنه  
 فامرهم الله تعالى ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان نحي من أهل اليمن كان أحدهم اذا قدم حاجا  
 أو معتمرا يقول لا ينبغي لي ان أطوف في ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرني مئزرا فان قدر عليه والاطاف  
 عريانا فانزل الله تعالى فيه ما تسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري ان العرب كانت تطوف  
 بالبيت عراة الا الحس وهم قريش وأحلافهم فمن جاء من غير الحس وضع ثيابه وطاف في ثوب أجسى ويرى  
 أنه لا يحل له أن يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحس فانه ياتي ثيابه و يطوف عريانا وان طاف في ثياب  
 نفسه ألقاها اذا قضى طوافه وحرمها أي جعلها حراما عليه فلذلك قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل  
 مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة قال مجاهد ما يوارى عورتكم ولو عباة وقال الكلابي  
 الزينة ما يوارى العورة عند كل مسجد كطواف وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم أمر وظاهره الوجوب وفيه  
 دليل على ان ستر العورة واجب في الصلاة والطواف وفي كل حال وقوله تعالى (وكلاوا واشربوا)  
 الكلابي كانت بنوعا من لا يأكلون في أيام حجهم الا قونا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون  
 نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله فانزل الله عز وجل وكلاوا واشربوا يعني الدسم واللحم (ولا تسرفوا)  
 يعني بتحريم ما لم يحرمه الله من أكل اللحم والدسم قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت واشرب ما شئت  
 والبس ما شئت ما أخطأتك خصمتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله

ابتداء يعيدكم احتج عليهم  
 في انكارهم الاعادة با تداء  
 الخلق والمعنى انه يعيدكم  
 فيجازيكم على أعمالكم  
 فاخصوا له العبادة (فر يها  
 هدى) وهم المسلمون  
 (وفر يها) أي أضل فر يها  
 (حق عليهم الضلالة) وهم  
 الكافرون (انهم) ان  
 الفريق الذين حق عليهم  
 الضلالة (اتخذوا الشياطين  
 أولياء من دون الله) أي أنصرا  
 (ويحسبون انهم مهتدون)  
 والآية حجة لما على أهل  
 الاعتراف في الهداية  
 والاضلال (يا بني آدم خذوا  
 زينتكم) لباس زينتكم  
 (عند كل مسجد) كلما  
 صليتم وقيل الزينة المشط  
 والطيب والسنة ان يأخذ  
 الرجل أحسن هياته  
 للصلاة لان الصلاة مناجاة  
 الرب فيستحب لها التزين  
 والتعطر كما يجب التستر  
 والتطهر (وكلاوا) من  
 اللحم والدسم (واشربوا  
 ولا تسرفوا) بالشرع في  
 الحرام أو في مجاوزة الشبع



(انه لا يجب المسرفين) وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وكان للرشيد طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له علي قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله وكلاوا واشربوا (٨٩) ولا تسرفوا فقال النصراني ولم يرو

عن رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا الطب في ألفاظ يسيرة وهي قوله عليه السلام المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبائهم استفهم انكارا على محرم الحلال بقوله (قل من حرم زينة الله) من الثياب وكل ما يتجمل به (التي أخرج لعباده) أي أصلها يعني القطن من الارض والقزم من الدود (والطيبات من الرزق) والمستلذات من الماء وكل والمشارب وقيل كانوا اذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) غير خاصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها (خالصة يوم القيامة) لا يشركهم فيها أحد ولم يقل للذين آمنوا وغيرهم لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصاله والكفار تبع لهم خالصة بالرفع نافع فهي مبتدأ خبره للذين آمنوا وفي الحياة الدنيا ظرف للخبر وأخالصة

في نصف آية فقال وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا في الآية دليل على ان جميع المطعومات والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع بدليل في التحريم لان الاصل في جميع الاشياء الاباحة الا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل (انه لا يجب المسرفين) يعني ان الله تعالى لا يجب من أسرف في الماء كقول والمشروب والملبوس وفي هذه الآية وعيد وتهديد لمن أسرف في هذه الاشياء لان محبة الله تعالى عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذا لم يحبه علم انه تعالى ليس هو راض عنه فدات الآية على الوعيد الشديد في الاسراف ﴿ قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده) يعني قل يا محمد طهؤلاء الجاهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عايكم زينة الله التي خلقها لعباده ان تنزبنوا بها وتلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان أحدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة والقول الثاني ذكره الامام غير الدين الرازي انه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحته جميع أنواع الملبوس والحلي ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحري على الرجال لدخلوا في هذا العموم ولكن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحري على الرجال دون النساء (والطيبات من الرزق) يعني ومن حرم الطيبات من الرزق التي أخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكر وفي معنى الطيبات في هذه الآية أقوال أحدها ان المراد بالطيبات اللحم والدم الذي كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله تعالى عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما وقتادة ان المراد بذلك ما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوايق قال ابن عباس رضى الله عنهما ان أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله تعالى من الرزق وغيرها وهو قول الله تعالى قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وأنزل الله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث ان الآية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهي من سائر المطعومات الا ما نهى عنه وورد نص بتحريمه (قل هي للذين آمنوا) يعني قل يا محمد ان الطيبات التي أخرج الله من رزقه للذين آمنوا (في الحياة الدنيا) غير خاصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون (خالصة) لهم (يوم القيامة) يعني لا يشركهم فيها أحد لانه لا حظ للمشركين يوم القيامة في الطيبات من الرزق وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنغيص والغم لانه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كدبر وتنغيص فأعلمهم أنها خالصة لهم في الآخرة من ذلك كله (كذلك تفصل الآيات اقوم يعلمون) يعني كذلك نبين الحلال مما أحلت والحرام مما حرمت لقوم علموا اني أنا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالى وحرموا حرامى ﴿ قوله عز وجل (قل انما حرم ربي الفواحش) جمع فاحشة وهي ما قبح وخش من قول أو فعل والمعنى قل يا محمد طهؤلاء المشركين الذين يتجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون كل الطيبات مما أحل الله لهم ان الله لم يحرم ما تحرمونه انتم بل أحله الله لعباده وطيبه لهم وانما حرم ربي الفواحش من الافعال والاقوال (ما ظهر منها وما بطن) يعني علانيته وسره (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولأحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه أصل الغيرة ثوران القلب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يختص به الانسان ومنه غيرة أحد الزوجين

(١٢ - (خازن) - ثانی) خبرتان أو خبر مبتدأ محذوف أى هي خالصة وغيره نصها على الحال من الضمير الذى فى الظرف الذى هو الخبر أى هي ثابتة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا فى حال خلوصها يوم القيامة (كذلك تفصل الآيات) تميز الحلال من الحرام (لقوم يعلمون) أنه لا شريك له (قل انما حرم ربي الفواحش) ربي حمزة الفواحش ما قبحه أى تزايد (ما ظهر منها وما بطن)

على الآخر لا اختصاص كل واحد منهما بصاحبه ولا يرضى أن يشاركه أحد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره وأما الغيرة في وصف الله تعالى فهو منعه من ذلك وتحريمه له وبدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقد يحتمل أن تكون غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقاب والله أعلم وقوله تعالى (والأثم) يعني وحرم الأثم واختلفوا في الفرق بين الفاحشة والأثم فقيل الفواحش الكبائر لأنه قد تفاحش قبحها وتزايدوا الأثم عبارة عن الصغائر من الذنوب فعلى هذا يكون معنى الآية قل إنما حرم ربي الكبائر والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب فيه الحد من الذنوب والأثم اسم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول قريب من الأول واعترض على هذين القولين بأن الأثم في أصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغائر وقيل إن الفاحشة اسم للكبيرة والأثم اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيرا أو صغيرا والفائدة فيه أن يقال لما حرم الله الكبيرة بقوله قل إنما حرم ربي الفواحش أردفه بتحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم متوهم أن التحريم ممتصو على الكبائر فقط وقيل إن الفاحشة وإن كانت بحسب اللغة اسما لكل ما تفاحش من قول أو فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصا بالزنا لأنه إذا أطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه إلا ذلك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا وأما الأثم فقد قيل إنه اسم من أسماء الخمر وهو قول الحسن وعطاء قال الجوهري قد تسمى الخمر إنما واستدل عليه بقول الشاعر

شربت الأثم حتى ضل عقلي \* كذا الأثم بذهب بالعقول

وقال ابن سيده صاحب المحكم وعندى أن تسمية الخمر بالأثم صحيح لأن شر بها أثم وبهذا المعنى يظهر الفرق بين اللفظين وأنكر أبو بكر بن الأنباري تسمية الخمر بالأثم قال لأن العرب ما سمتها أثمًا قط في جاهلية ولا في اسلام ولكن قد يكون الخمر داخل تحت الأثم لقوله قل فيهما أثم كبير ﴿وقوله تعالى (والبنى) أى وحرم البنى (بغير الحق) والبنى هو الظلم والكبر والاستتالة على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كما ومعنى البنى بغير الحق هو أن يطلب ما ليس له بحق فإذا طلب ما له بحق خرج من أن يكون بغيا (وأن تشركوا) أى وحرم أن تشركوا (بالله ما ينزل به سلطانا) هذا فيه نهىكم بالمشركين والكفار لأنه لا يجوز أن ينزل حجة وبرهانا بأن يشرك به غيره لأن الأقرار بشئ ليس على ثبوته حجة ولا برهان ممنوع فلهذا امتنع حصول الحجية والبيضة على صحة القول بالشرك وجب أن يكون باطلا على الإطلاق \* فان قلت البنى والاشراك داخلان تحت الفاحشة والأثم لأن الشرك من أعظم الفواحش وأعظم الأثم وكذا البنى أيضا من الفواحش والأثم \* قات إنما أفردهما بالذكرة لتبنيهما على عظم قبحهما كأنه قال من الفواحش المحرمة البنى والشرك فكأنه بين جملته ثم تفصيله ﴿وقوله (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) تقدم تفسيره ﴿وقوله تعالى (ولكل أمة أجل) الأجل الوقت المؤقت لانقضاء وقت المهلة ثم في هذا الأجل المذكور في الآية قولان أحدهما أنه أجل العذاب والمعنى إن لكل أمة كذبت رسلها وقتها معيناً وأجل يسمى أمهلهم الله إلى ذلك الوقت (فاذا جاء أجلهم) يعني فاذا حل وقت عذابهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعني فلا يؤخرون ولا يمهلون قدر ساعة ولا أقل من ساعة وإنما ذكر الساعة لأنها أقل أسماء الأوقات في العرف وهذا حين سألوا نزول العذاب فآخبرهم الله تعالى أن لهم وقتاً إذا جاء ذلك الوقت وهو وقت أهلاكهم واستئصالهم فلا يؤخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني أن المراد بهذا الأجل هو أجل الحياة والعمر فاذا انقضى ذلك الأجل وحضر الموت فلا يؤخرون ساعة ولا يقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم أن يكون لكل واحد أجل لا يقع فيه تقديم ولا تأخير وإنما قال تعالى لكل أمة لنقارب أعمار أهل كل عصر فكأنهم كانوا حدى في مقدار العمر وعلى هذا القول أيضاً يكون المقبول ميتاً باجته خلافاً لمن يقول القاتل قطع عليه أجله ﴿قوله عز وجل (يا بني آدم اياي أتيتكم رسل منكم) هي إن الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط لأن ما للشرط ولذا لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة (رسل منكم)

سرها وعلايتها (والأثم) أى شرب الخمر أو كل ذنب (والبنى) والظلم والكبر (بغير الحق) متعلق بالبنى ومحمل (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) حجة النصب كأنه قال حرم الفواحش وحرم الشرك ينزل بالتخفيف مكي وبصرى وفيه نهىكم إذا لا يجوز أن ينزل برهانا على أن يشرك به غيره (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وأن تقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره (ولكل أمة أجل) وقت معين ياتهم فيه عذاب الاستئصال إن لم يؤمنوا وهو وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) قيد بساعة لأنها أقل ما يستعمل في الأمهال (يا بني آدم اياي أتيتكم) هي إن الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط لأن ما للشرط ولذا لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة (رسل منكم)

وجزاء هذا الشرط هو الفاء وما بعده من الشرط والجزاء وهو قوله فن اتقى وأصلح يعني منكم وإنما قال  
 رسل بلفظ الجمع وان كان المراد به واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم لأنه خاتم الانبياء وهو مرسل الى  
 كافة الخلق فقد كره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب في قوله ياتى آدم لاهل مكة  
 ومن يلحقهم وقيل أراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب في قوله ياتى آدم عام في كل بنى آدم وإنما قال منكم  
 يعني من جنسكم ومثلكم من بنى آدم لان الرسول اذا كان من جنسهم كان أقطع لعذرهم وأثبت للحجة  
 عليهم لانهم يعرفونه ويعرفون أحواله فاذا أتاهم بما لا يليق بقدرته أو بقدرته أمثاله علم أن ذلك الذى أتى  
 به معجزته وله وحجة على من خالفه (يقصون عليكم آياتى) يعني يقرؤن عليكم كتابى وأدلة أحكامى وشرائعى التى  
 شرعت لعبادى (فن اتقى) يعني فن اتقى الشرك ومخالفة رسلى (وأصلح) يعني العمل الذى أمرته به رسلى  
 فعمل بطاعتى وتجنب معصيتى وماتهيته عنه (فلاخوف عليهم) يعني حين يخاف غيرهم يوم القيامة من  
 العذاب (ولاهم يحزنون) يعني على ما فاتهم من دنياهم التى تركوها (والذين كذبوا بآياتنا) يعني ومن  
 جحدوا آياتنا وكذبوا رسلنا (واستكبروا عنها) يعني واستكبروا عن الايمان بها وما جاءت به رسلنا (أولئك  
 أصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى لا يخرجون منها أبداً <sup>﴿</sup> قوله تعالى (فن أظلم من افترى على الله كذبا)  
 يعنى فن أعظم ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله أو يجعل له شريكا من خلقه وهو منزعه عن الشريك والولد  
 (أو كذب بآياته) يعنى أو كذب بالقرآن الذى أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (أولئك  
 ينالهم نصيبهم من الكتاب) يعنى ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب فى اللوح المحفوظ واختلفوا فى ذلك  
 النصيب على قولين أحدهما أن المراد به هو العذاب المعين لهم فى الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن  
 والسندي ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس فى رواية  
 عنه كتب لمن يفتري على الله كذبا من وجهه أسود وقال الزجاج هو المذكور فى قوله فانذرتكم نار اتظى  
 وفى قوله اذا اغلال فى أعناقهم فهذه الاشياء هى نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم فى كفرهم والقول  
 الثانى أن المراد بالنصيب المذكور فى الكتاب هو شئ سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضى  
 الله عنهما فى رواية أخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبيرة وعطية فى قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو  
 السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الاعمال وقال فى رواية أخرى عنه من عمل خيرا  
 جوزى به ومن عمل شرا جوزى به وقال قتادة جزاء أعمالهم التى عملوها وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما  
 وعدوا فى الكتاب من خيرا وشرقاه مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا وقال  
 الربيع بن أنس ينالهم ما كتب لهم فى الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظى عمله ورزقه وعمره  
 وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فرغ هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم  
 وصحح الطبرى هذا القول الآخر وقال لان الله تعالى أتبع ذلك بقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فابان  
 ان الذى ينالهم هو ما قدر لهم فى الدنيا فاذا فرغ توفيتهم رسل ربهم قال الامام غفر الله له تعالى وإنما  
 حصل الاختلاف لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حله على العمر والرزق أولى لانه  
 تعالى بين أنهم وان بلغوا فى الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس بما نفع أن ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر  
 تفضلا من الله سبحانه وتعالى لى يصطلحوا ويتوبوا <sup>﴿</sup> قوله تعالى (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) يعنى  
 حتى اذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعنى ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم عند  
 استكمال أعمالهم وأرزاقهم لان لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى (قالوا) يعنى قال الرسل وهم الملائكة لا الكفار  
 (أنما كنتم تدعون من دون الله) وهذا سؤال توبيخ وتقرير وتبكيك لسؤال استعلام والمعنى أين الذين  
 كنتم تعبدونهم من دون الله ادعواهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون فى الآخرة والمعنى حتى

يقصون عليكم آياتى)  
 يقرؤن عليكم كتابى وهو  
 فى موضع رفع صفة لرسول  
 وجواب الشرط (فن  
 اتقى) الشرك (وأصلح)  
 العمل منكم (فلاخوف  
 عليهم ولا هم يحزنون)  
 أصلا فلاخوف يعقوب  
 (والذين كذبوا) منكم  
 (بآياتنا واستكبروا عنها)  
 تعظموا عن الايمان بها  
 (أولئك أصحاب النار هم فيها  
 خالدون فن أظلم) فن  
 أشنع ظلما (من افترى  
 على الله كذبا أو كذب  
 بآياته) ممن تقول على الله  
 ما لم يقله أو كذب ما قاله  
 (أولئك ينالهم نصيبهم من  
 الكتاب) ما كتب لهم  
 من الارزاق والاعمار  
 (حتى اذا جاءتهم رسلنا)  
 ملك الموت وأعوانه وحتى  
 غاية انيلهم نصيبهم واستيفائهم  
 له وهى حتى التى يتبدأ  
 بعدها الكلام والكلام  
 هنا الجملة الشرطية وهى اذا  
 جاءتهم رسلنا (يتوفونهم)  
 يقبضون أرواحهم وهو  
 حال من الرسل أى متوفيتهم  
 وما فى (قالوا أينما كنتم  
 تدعون) فى خط المصحف  
 موصولة بآين وحققها أن  
 تكتب مفصولة لانها  
 موصولة والمعنى أين الآلهة  
 الذين تعبدون (من دون  
 الله) ليدعوا عنكم

(قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا فلا تراهم (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التي هي لتحقيق الخبر (قال ادخلوا) أي (٩٢) يقول الله تعالى يوم القيامة هؤلاء الكفار ادخلوا (في أمم) في موضع الحال أي

إذا جاءتهم رسلنا يعني ملائكة العذاب يتوفونهم يعني يستوفون عددهم عند حشرهم إلى النار قالوا أيما كنتم تدعون يعني شركاء وأولياء تعبدونهم من دون الله فادعوهم ليدفعوا عنكم ما جاءكم من أمر الله (قالوا) يعني الكفار مجيبين للرسل (ضلوا عنا) يعني بطلوا وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا إليهم فلم ينفعونا (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) يقول الله تعالى وشهد هؤلاء الكفار عند معاينة العذاب أنهم كانوا جاحدين وحدانية الله واعترفوا على أنفسهم بذلك ﴿قوله عز وجل﴾ (قال ادخلوا في أمم قد دخلت من قبلكم من الجن والإنس) يقول الله عز وجل يوم القيامة لمن افتري عليه الكذب وجعل له شريكاً من خلقه ادخلوا في أمم يعني في جملة أمم قد دخلت يعني قدمت وسلفت وإنما قال قد دخلت ولم يقل قد دخلوا لأنه أطلق الضمير على الجماعة يعني في جملة جماعة قد دخلت من قبلكم من الجن والإنس (في النار) أي ادخلوا جميعاً في النار التي هي مستقركم ومأواكم وإنما عني بالأمم الجماعات والأحزاب وأهل الملل الكافرة من الجن والإنس (كلما دخلت أمة) يعني كلما دخلت جماعة النار (لغنت أختها) يعني كلما دخلت أمة النار لغنت أختها من أهل ملتها في الدين لافي النسب قال السدي كلما دخلت أهل ملة النار لغنوا أصحابهم على ذلك الدين فيلغون المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس تلغون الآخرة الأولى (حتى إذا داركوا) يعني تداركوا وتلاحقوا (فيها جميعاً) يعني تلاحقوا واجتمعوا في النار جميعاً وأدرك بعضهم بعضاً واستقروا في النار (قالت أخراهم لأولاهم) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني قال آخر كل أمة لأولها وقال السدي قالت أخراهم الذين كانوا في آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعني قال آخرهم دخول النار وهم الاتباع لا أولهم دخولا وهم القادة لأن القادة يدخلون النار أولاً (ربنا هؤلاء أضلونا) يعني تقول الاتباع ربنا هؤلاء القادة والرؤساء أضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان وقيل إنما قال المتأخرون ذلك لأنهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين من أسلافهم فسلكوا سبيلهم في الضلالة واتبعوا طريقتهم فيما كانوا عليه من الكفر والضلالة فلما كان يوم القيامة وتبين لهم فساد ما كانوا عليه قالوا ربنا هؤلاء أضلونا لانا اتبعنا سبيلهم (فآتهم عذاباً ضعفاً من النار) أي أضعف عليهم العذاب قال أبو عبيدة الضعف هو مثل الشيء مرة واحدة قال الأزهرى والذي قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم وأما كتاب الله فهو عربي مبين فيرد تفسيره إلى موضوع كلام العرب الضعف في كلامهم ما زاد وليس بمقصود على مثلين وجاز في كلام العرب هذا ضعفه أي مثله وثلاثة أمثاله لأن الضعف في الأصل زيادة غير محصورة وأولى الأشياء به أن يجعل عشرة أمثاله فأقل الضعف محصور وهو المثل وأكثره غير محصور وقال الزجاج في تفسيره هذه الآية فآتهم عذاباً ضعفاً أي مضعفاً لأن الضعف في كلام العرب على ضربين \* أحدهما المثل والآخر أن يكون في معنى تضعيف الشيء أي زيادته (قال) يعني قال الله تعالى (لكل ضعف) يعني لا أولكم ضعف ولا آخركم ضعف وقيل معناه للتابع ضعف وللمتبعون ضعف لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعاً (ولكن لا تعلمون) يعني ما أعد الله لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء ومعناه ولكن لا يعلم كل فريق ما أعد الله تعالى من العذاب للفريق الآخر (وقالت أولاهم) يعني في الكفر وهم القادة (لاخراهم) يعني الاتباع (فما كان لكم علينا من فضل) يعني قد ضللتكم كما ضللنا وكفرتكم كما كفرنا وقيل في معنى الآية وقالت كل أمة سلفت في الدنيا لاخراها الذين جاؤا من بعدهم فسلكوا سبيل من مضى قبلهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله بسبب كفرنا ومعصيتنا إياه وجاءكم بذلك الرسل والنذر فما رجعت عن ضلالتكم وكفرتكم (فدوقوا العذاب)

كاذبين في جملة أمم مصاحبين لهم (قد دخلت) مضت (من قبلكم من الجن والإنس) من كفار الجن والإنس (في النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت أمة) النار (لغنت أختها) شكها في الدين أي التي ضلت بالافتداء بها (حتى إذا داركوا) أصله تداركوا أي تلاحقوا واجتمعوا في النار فابدلت التاء بالواو سكنت للادغام ثم أدخلت همزة الوصل (جميعاً) حال (قالت أخراهم) منزلة وهي الاتباع والسفلة (لاولاهم) منزلة وهي القادة والرؤس ومعنى لاولاهم لاجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم (ربنا) ياربنا (هؤلاء أضلونا) فآتهم عذاباً ضعفاً (من النار) قال لكل ضعف (للقادة بالغواية والاعغواء وللاتباع بالكفر والافتداء) (ولكن لا تعلمون) ما لكل فريق منكم من العذاب لا يعلمون أبو بكر أي لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق (وقالت أولاهم لاخراهم) فما كان لكم علينا من فضل (عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة

وهذا

لكل ضعف أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وإنما متسارون في استحقاق الضعف (فدوقوا

العذاب

بما كنتم تكسبون)

بكسبكم وكفركم وهو من قول القادة للسفلة ولا وقف على فضل أو من قول الله لهم جميعا والوقف على فضل (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء) أي لهم أبواب السماء لا يؤذن لهم في صعود السماء ليدخلوا الجنة اذ هي في السماء أولا يصعد لهم عمل صالح ولا تنزل عليهم البركة أولا تصعد أرواحهم اذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين الى السماء وبالتقاء مع التخفيف أبو عمرو وبالياء معه حزة وعلى (ولا يدخلون الجنة حتى بلج الجبل في سم الخياط) حتى يدخل البعير في ثقب الابرّة أي لا يدخلون الجنة أبدا لانه علقه بما لا يكون والخياط والمخيط ما يخاط به وهو الابرّة (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع الذي وصفنا (نجزي المجرمين) أي الكافرين بدلالة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها (لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) أغطية جمع غاشية (وكذلك نجزي الظالمين) أنفسهم بالكفر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكاف نفسا الاوسعها) طافتها والتكليف الزام ما فيه كافة

وهذا يحتمل أن يكون من قول القادة للتابع والامة الاولى للاخرى التي بعدها ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى يعني يقول الله للجميع فذوقوا العذاب (بما كنتم تكسبون) يعني بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والاعمال الخبيثة ﴿ قوله عز وجل (ان الذين كذبوا بآياتنا) يعني كذبوا بدلائل التوحيد فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا (واستكبروا عنها) أي وتكبروا عن الايمان بها والتصديق لها وأنفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبرا (لا تفتح لهم أبواب السماء) يعني لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من أجسادهم ولا يصعد لهم الى الله عز وجل في وقت حياتهم قول ولا عمل لان أرواحهم وأقوالهم وأعمالهم كآه خبيثة وانما يصعد الى الله تعالى الكم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تفتح أبواب السماء لارواح الكفار وتفتح لارواح المؤمنين وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح أبواب السماء لأعمالهم ولا لارواحهم وروى الطبري بسنده عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر وأنه يصعد بها الى السماء فل يصعدون بها فلا يرون على ملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة قال فيقولون فلان باقبح اسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجبل في سم الخياط وقيل في معنى الآية لا تنزل عليهم البركة والخير لان ذلك لا ينزل الا من السماء فاذا لم تفتح لهم أبواب السماء فلا يبرئ عليهم من البركة والخير والرحمة شيء ﴿ وقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجبل في سم الخياط) الولوج الدخول والجبل معروف وهو الذي كرم من الابل وسم الخياط ثقب الابرّة قال الفراء الخياط والمخيط ما يخاط به والمراد به الابرّة في هذه الآية وانما خص الجبل بالذك كرم من بين سائر الحيوانات لانه أكبر من سائر الحيوانات جسميا عند العرب قال الشاعر \* جسم الجبال وأحلام العصافير \* وصف من هجاه بهذا بعظم الجسم مع صغر العقل جسم الجبل من أعظم الاجسام وثقب الابرّة من أضيق المنافذ فكان ولوج الجبل مع عظم جسمه في ثقب الابرّة الضيق محالاف كذلك دخول الكفار الجنة محال ولما وصف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط محال ثبت أن الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار ان دخول الكفار الجنة ما يوس منه قطعوا وقال بعض أهل المعاني لما عاق الله تعالى دخولهم الجنة بولوج الجبل في سم الخياط وهو خرق الابرّة كان ذلك نفيا لدخولهم الجنة على التأييد وذلك لان العرب اذا علق ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحال كون ذلك الجائر وهذا كقولك لا آتيك حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر اذا شاب الغراب أتيت أهلي \* وصار القار كاللبن الحليب

﴿ قوله تعالى (وكذلك نجزي المجرمين) أي ومثل الذي وصفنا نجزي المجرمين يعني الكافرين لانه تقدم من صفتهم أنهم كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على أنهم الكفار ولما بين الله عز وجل أن الكفار لا يدخلون الجنة أبدا بين أنهم من أهل النار ووصف ما أعد لهم فيها فقال تعالى (لهم من جهنم مهاد) يعني لهم من نار جهنم فراش وأصل المهاد المتهاد الذي يقعد عليه ويضطجع عليه كالفرش والبساط (ومن فوقهم غواش) جمع غاشية وهي الغطاء كاللحاف ونحوه ومعنى الآية ان النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي المهاد الفراش والغواشي اللحف (وكذلك نجزي الظالمين) يعني وكذلك نكافئ ونجازي المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها ﴿ قوله عز وجل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكاف نفسا الاوسعها) لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما أعد لهم في الآخرة أتبعه بذكر وعد المؤمنين وما أعد لهم في الآخرة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحى الله اليه وتنزله عليه

من شرائع دينه وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لانكاف نفسا الاوسعها يعني لانكاف نفسا الاوسعها من الاعمال وما يسهل عليها ويدخل في طوقها وقد رتبها او ما لا حرج فيه عليها ولا ضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر عليه وقال مجاهد معناه الا ما افترض عليها يعني الذي افترض عليها من وسعها الذي تقدر عاياه ولا تجز عنه وقد غاط من قال ان الوسع بذل المجهود قال أكثر أصحاب المعاني ان قوله تعالى لانكاف نفسا الاوسعها اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات (أو تلك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لانكاف نفسا الاوسعها وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لأنه من جنس هذا الكلام لأنه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاعتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحملها يتوصل اليها بالعمل الصالح السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وقال قوم من أصحاب المعاني هو من تمام الخبر موضعه رفعه والعائد محذوف كأنه قال لانكاف نفسا منهم الاوسعها خذف العائد للعلم به قوله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل) يعني وقلعنا وأخرجنا ما في صدور المؤمنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم في الدنيا ومعنى الآية أن لنا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شيء خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوسوس ودفعها عن ان ترد على القلب روى عن علي رضي الله عنه قال فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروى عنه أيضا انه قال اني لارجوان أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحسبون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لا أحد هم أهدى بمنزلة في الجنة منه بمنزلة في الدنيا وقال السدي في هذه الآية ان أهل الجنة اذا سبقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان فشر بوا من احدهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور وواغتسلوا من الاخرى فخرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعروا وان يشحنوا بعدها أبدا وقيل ان درجات أهل الجنة متفاوتة في العلو والكمال فبعض أهل الجنة أعلى من بعض وأخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وأزاله عنهم ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العلية وأورد على هذا القول كيف يعقل أن الانسان يرى الدرجات العالية والنعمة العظيمة وهو محبوس عنها لا يصل اليها ولا يميل بطبعه اليها ولا يفتن بسبب حرمانه منها وان كان في لذة ونعيم وأجيب عن هذا بان الله تعالى قد وعد بازالة الحقد والحسد من قلوب أهل الجنة حتى تكمل لهم اللذة والسرور حتى ان أحدهم لا يرى نفسه الا في كمال وزيادة في النعيم الذي هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد أحدا أبدا ويهدا نعيمه ولذته وكل سروره وبهجته وقوله تعالى (تجربى من تحتهم الانهار) لما أخبر الله تعالى بما أنعم به على أهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم أخبر بما أنعم به عليهم من اللذات والخيرات والمسرات (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) يعني ان المؤمنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا وأرشدنا للعمل الذي هدانا اليه وتفضل علينا برحمته منه واحسانا وصرف عنا عذاب جهنم بفضله وكرمه فله الحمد على ذلك (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) يعني وما كنا لنرشد لذلك العمل الذي هدانا اليه لولا أنه أرشدنا الله اليه ووفقنا بفضله ومنه وكرمه وفي الآية دليل على ان المهتدي من هداه الله ومن لم يهد الله فليس بمهتد (لقد جاءت رسلنا لطفانا وننبيها على الهدى فأتيناهم بالحق) فأتيناهم بالحق (ونودوا أن نلهم

أى مشقة (أو تلك) مبتدأ والخبر (أصحاب الجنة) والجملة خبر الذين ولا نكاف نفسا الاوسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر (هم فيها خالدون) ونزعنا ما في صدورهم (من غل) حقد كان بينهم في الدنيا فلم يبق بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجوان أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تجربى من تحتهم الانهار) حال من هم في صدورهم والعامل فيها معنى الاضافة (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) لما هو وسيلة الى هذا الفوز العظيم وهو الايمان (وما كنا) ما كنا بغير واوشامى على أنها جملة موضحة للاولى (لنهتدي لولا أن هدانا الله) اللام لتوكيد النفي أى وما كان يصح ان نكون مهتدين لولا هداية الله وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله (لقد جاءت رسلنا بالحق) فكان لطفنا وتنبيها على الهدى فأتيناهم بالحق فأتيناهم بالحق (ونودوا أن نلهم

الجنة) ان مخففة من الثقبلة واسمها محذوف والجملة بعدها خبرها تقديره ونودوا بانهم تلك الجنة والهاء ضمير الشأن أو بمعنى أي كأنه قيل وقيل لهم تلك الجنة (أورثتموها) أعطيتموها وهو حال من الجنة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة (بما كنتم تعملون) سماها ميراثا لانها لا تستحق بالعمل بل هي محض فضل الله وعده على الطاعات كالميراث من الميت (٩٥) ليس بعوض عن شيء بل هو صلة خاصة وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله ان المعتزلة خالفوا الله فيما أخبر ونوحا عليه السلام وأهل الجنة والنار وابليس لانه قال الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقال نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم وقال أهل الجنة وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وقال أهل النار لو هدانا الله لهديناكم وقال ابليس فيما أغويتني (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً) يعني ما وعدنا في الدنيا على السنة رساله من الثواب على الايمان به وبرسوله وطاعته حقاً (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً) يعني من العذاب على الكفر (قالوا نعم) يعني قال أهل النار محبين لأهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقاً فان قلت هذا النداء من كل أهل الجنة لكل أهل النار ومن البعض للبعض قلت ظاهر قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار يفيد العموم والجمع اذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من أهل الجنة ينادى من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة في السماء والنار في الارض فكيف يمكن ان يباغ هذا النداء وكيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر على أن يقوى الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب ﴿وقوله تعالى (فأذن مؤذنينهم) يعني نادى منادواً علم لان أصل الاذان في اللغة الاعلام والمعنى نادى مناداً سمع الفريقين وهذا المنادى من الملائكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور ذكره الواحدى (أن لعنة الله على الظالمين) يعني يقول المؤذن ان لعنة الله على الظالمين ثم فسر الظالمين من هم فقال تعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) يعني الذين يمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام (ويبغونها عوجاً) يعني ويحاولون ان يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله ويعظمون مالم يعظمه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله وتعظيم مالم يعظمه الله فاخطوا الطريق وضلوا عن السبيل (وهم بالآخرة كافرون) يعني وهم يكون الآخرة واقعة جاحدون منكرون لها ﴿وقوله عز وجل (وبينهم ما خجاب) يعني بين

الجنة) يعني ونادى منادياً أهل الجنة ان هذه الجنة التي كانت الرسل وعدتكم بها في الدنيا واختلفوا في المنادى فقيل هو الله عز وجل وقيل الملائكة ينادون بأمر الله عز وجل وقيل هذا النداء يكون في الجنة (م) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبداً وان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً فذلك قوله عز وجل ونودوا أن تلك الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى (أورثتموها بما كنتم تعملون) روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فإنه يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة زادي رواية فذلك قوله تعالى أورثتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتاً بقوله أموات غير أحياء وسمى المؤمن حياً بقوله ليندر من كان حياً وفي الشرع ان الأحياء يرثون الأموات فقال أورثتموها يعني ان المؤمن يحيى وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه في حكم الميت وقيل معناه ان أمرهم يؤل الى الجنة كما ان الميراث يؤل الى الوارث وقيل أورثتموها عن الاعمال الصالحة التي عملتموها لان الجنة جعلت لهم جزاء وثواباً على الاعمال ولا يعارض هذا القول ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة أحد بعمله وانما يدخلها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله وانقسام المنازل والدرجات بالاعمال وقيل ان العمل الصالح ان يناله المؤمن ولن يبلغه الا برحمة الله تعالى وتوفيقه واذا كان العمل الصالح بسبب الرحمة كان دخول الجنة في الحقيقة برحمة الله تعالى وجعلها الله ثواباً وجزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة التي عملوها في دار الدنيا والله أعلم ﴿وقوله تعالى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) يعني ونادى أهل الجنة أهل النار وهذا النداء انما يكون بعد استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار تقول أهل الجنة يا أهل النار (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً) يعني ما وعدنا في الدنيا على السنة رساله من الثواب على الايمان به وبرسوله وطاعته حقاً (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً) يعني من العذاب على الكفر (قالوا نعم) يعني قال أهل النار محبين لأهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقاً فان قلت هذا النداء من كل أهل الجنة لكل أهل النار ومن البعض للبعض قلت ظاهر قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار يفيد العموم والجمع اذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من أهل الجنة ينادى من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة في السماء والنار في الارض فكيف يمكن ان يباغ هذا النداء وكيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر على أن يقوى الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب ﴿وقوله تعالى (فأذن مؤذنينهم) يعني نادى منادواً علم لان أصل الاذان في اللغة الاعلام والمعنى نادى مناداً سمع الفريقين وهذا المنادى من الملائكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور ذكره الواحدى (أن لعنة الله على الظالمين) يعني يقول المؤذن ان لعنة الله على الظالمين ثم فسر الظالمين من هم فقال تعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) يعني الذين يمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام (ويبغونها عوجاً) يعني ويحاولون ان يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله ويعظمون مالم يعظمه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله وتعظيم مالم يعظمه الله فاخطوا الطريق وضلوا عن السبيل (وهم بالآخرة كافرون) يعني وهم يكون الآخرة واقعة جاحدون منكرون لها ﴿وقوله عز وجل (وبينهم ما خجاب) يعني بين

والنار (أن لعنة الله على الظالمين) أن لعنة مكي وشامى وجزرة وعلى (الذين يصدون) يمنعون (عن سبيل الله) دينه (ويبغونها عوجاً) مفعول ثانٍ ليبغون أي ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض (وهم بالآخرة) بالدار الآخرة (كافرون وبينهما) وبين الجنة والنار أو بين الفريقين (خجاب) وهو السور المدكور في قوله فضررب بينهم بسور

الجنة والنار وقيل بين أهل الجنة وأهل النار حجاب وهو المذكور في قوله تعالى فضرِبَ بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدي بينهما حجاب هو السور وهو الاعراف وقوله (وعلى الاعراف رجال) الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الارض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه على مساواه من الجسد سمي بذلك لانه بسبب ارتفاعه صار أعرف وأبين مما انخفض وقال السدي انما سمي الاعراف لان أصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس رضي الله عنهما الاعراف الشئ المشرف وعنه قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف جبال بين الجنة والنار يحبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء في صفة الرجال الذين أخبر الله عنهم انهم على الاعراف وما السبب الذي من أجله صاروا هنالك فروى عن حذيفة انه سئل عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فمضت بهم سيئاتهم عن الجنة وتخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقوا هنالك على السور حتى يقضى الله تعالى فيهم قال بعضهم انما جعلوا على الاعراف لانهما درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لامن أهل الجنة ولا من أهل النار لكن الله تعالى يدخلهم الجنة بفضلهم ورحمته لانه ليس في الآخرة دار الا الجنة أو النار وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسنة أكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئة أكثر بواحدة دخل النار وان الميزان يخفف ويثقل بمثل حبة من خردل ومن استوت حسنة وسيئة كان من أصحاب الاعراف فوقوا على الاعراف فاذا نظروا الى أهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا نظروا الى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهناك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه اذا عمل العبد حسنة كتب له بها عشر واذا عمل سيئة لم تكتب له الا واحدة ثم قال هلك من غاب آحاده عشراته وقال ابن عباس رضي الله عنهما الاعراف سور بين الجنة والنار وأصحاب الاعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم بذلك المكان حتى اذا أراد الله تعالى أن يعافهم انطلق بهم الى نهر يقال له نهر الحياة حافته ذهب مكال بالؤلؤ وترابه المسك فالقوافيه حتى تصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمنوا ما شئتم فيتمنون حتى اذا انقطعت أميبتهم قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفا يدخلون الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال شرحبيل بن سعد أصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو من غير اذن آبائهم ورواه الطبري بسنده الى يحيى بن غيل مولى لبني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا عصابة لا بائهم فنعمهم قتلهم في سبيل الله عن النار ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة زاد في رواية فهم آخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزي أنهم قوم رضي آبائهم دون أمهاتهم وأمهاتهم دون آبائهم ورواه عن ابراهيم وذكر عن أبي صالح مولى التوأمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم أنهم أولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا في الفترة وفيه بعد لان آخر أصحاب الاعراف الى الجنة وهؤلاء الذين ماتوا في الفترة الله أعلم بحالهم وهو يتولى أمرهم وقيل انهم أولاد المشركين الذين ماتوا أطفالا وهذا القول يرجع معناه الى القول الذي قبله لانه داخل في حكمه فهذه الأقوال تدل على أن أصحاب الاعراف دون أهل الجنة في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله تعالى وقال مجاهد أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكون ابائهم على الاعراف على سبيل النزهة أو ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل انهم أنبياء حكاه ابن الانباري وانما جلسهم الله على ذلك المكان العالي تمييزا لهم على سائر أهل القيامة واظهارا لفضاهم وعالومرتبتهم وليكونوا مشرفين على أهل الجنة والنار ومطاعين على أحوالهم ومقادير ثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار وقال أبو مجلز وأصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسماهم يعني

(وعلى الاعراف) على  
أعراف الحجاب وهو السور  
المضروب بين الجنة والنار  
وهي أعاليه جمع عرف  
استعبر من عرف الفرس  
وعرف الديك (رجال)  
من أفاضل المسلمين أو  
من آخرهم دخولا في الجنة  
لاستواء حسناتهم  
وسيئاتهم أو من لم يرض  
عنه أحد أبويه أو أطفال  
المشركين



(يعرفون كلا) من زمرة السعداء والاشقياء (بسيماهم) بعلامتهم قيل سيما المؤمنين بياض الوجوه وتضارنها وسبها الكافر بن سواد الوجوه  
وزرقة العيون (ونادوا) أي أصحاب الاعراف (أصحاب الجنة أن سلام عليكم) (٩٧) انه سلام أو أي سلام وهو

يعرفون أهل الجنة وأهل النار فليل لابي مجازان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وأنت تقول انهم ملائكة فقال ان الملائكة ذكور ليسوا باناث وضعف الطبري قول أبي مجاز قال لان لفظ الرجال في لسان العرب لا يطلق الاعلى الذكور من بني آدم دون اناتهم ودون سائر الخلق وحاصل هذه الاقوال ان أصحاب الاعراف أفضل من أهل الجنة لانهم أعلى منهم منزلة وأفضل وقيل انما جلسهم الله في ذلك المكان العالى ليميزوا بين أهل الجنة وبين أهل النار والله أعلم لم يراده وأسرار كتابه ﴿ قوله عز وجل (يعرفون كلا بسيماهم) يعني أن أصحاب الاعراف يعرفون أهل الجنة بسيماهم وذلك بياض وجوههم ونضرة النعيم عليهم ويعرفون أهل النار بسيماهم وذلك بسواد وجوههم وزرقة عيونهم والسبب العلامة الدالة على شئ وأصله من السمة قال ابن عباس رضي الله عنهما أصحاب الاعراف اذ رأوا أصحاب الجنة عرفوهم بياض الوجوه واذ رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه فان قلنا ان أصحاب الاعراف من استوت حسناتهم وسيئاتهم وهم دون أهل الجنة في الدرجة كان وقوفهم على الاعراف ليكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا رأوا أهل الجنة عرفوهم بياض وجوههم نادوهم أن سلام عليكم وهو قوله تعالى (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) يعني نادى أصحاب الاعراف أصحاب الجنة أن سلام عليكم سلمت من الآفات وحصل لكم الامن والسلامة واذ رأوا أهل النار يعرفونهم بسواد وجوههم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان أصحاب الاعراف هم الاشراف والافاضل من أهل الجنة كان جاوسهم على الاعراف ليطلعوا على أهل الجنة وأهل النار لينقلهم الله عز وجل الى درجات العلية في الجنة ﴿ قوله تعالى (لم يدخلوها وهم يطمعون) يعني في دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم الا لكرامة يريد بهاهم ﴿ قوله تعالى (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) يعني واذا صرفت أبصار أصحاب الاعراف تلقاء أصحاب النار يعني وجاههم وحياتهم فنظروا اليهم والى سواد وجوههم وماهم فيه من العذاب (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) يعني الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان أصحاب الاعراف اذا نظروا أهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والمعنى ان أصحاب الاعراف اذا نظروا الى أهل النار وما فيه من العذاب تضرعوا الى الله تعالى وسألوه أن لا يجعلهم منهم ﴿ قوله تعالى (ونادى أصحاب الاعراف رجالا) يعني ونادى أصحاب الاعراف رجالا كانوا عظماء في الدنيا وهم من أهل النار (يعرفونهم بسيماهم) يعني بسيما أهل النار (قالوا) يعني أصحاب الاعراف هؤلاء الذين عرفوهم في النار (ما أغنى عنكم جمعكم) يعني ما كنتم تجمعون من الاموال والعدد في الدنيا (وما كنتم تستكبرون) يعني وما أغنى عنكم تكبركم عن الايمان شيئا قال الكبي ينادونهم وهم على السور ياوليد بن المغيرة يا أبا جهل بن هشام يا فلان ويا فلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستكبرون بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال وأشباهم فيقول أصحاب الاعراف لا أولئك الكفار (أهؤلاء) لفظ استفهام يعني هؤلاء الضعفاء (الذين أقسمتم) بالله (لا ينالهم الله برحمة) يعني انكم حلفتم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله تعالى لا أصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) بفضل ورحمتي (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقيل ان أصحاب الاعراف اذا قالوا لا أصحاب النار ما أخبر الله عنهم قال لهم أهل النار ان أولئك دخلوا الجنة وأنتم لم تدخلوها فيهم ونهم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة فتقول الملائكة لاهل النار أهؤلاء يعني أصحاب الاعراف الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ثم تقول الملائكة لا أصحاب الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴿ قوله عز وجل (ونادى

تهنئة منهم لاهل الجنة (لم يدخلوها) أي أصحاب الاعراف ولا محل له لانه استئناف كأن سائلا عن أصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها (وهم يطمعون) في دخولها أوله محل وهو صفة لرجال (واذا صرفت أبصارهم) أبصار أصحاب الاعراف وفيه ان صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعينوا (تلقاء) ظرف أي ناحية (أصحاب النار) ورأوا ماهم فيه من العذاب (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) فاستعاضوا بالله وفرغوا الى رحمة أن لا يجعلهم معهم (ونادى أصحاب الاعراف رجالا) من رؤس الكفرة (يعرفونهم بسيماهم) قالوا ما أغنى عنكم جمعكم المال أو كثرتمكم واجتماعكم وما أفيه (وما كنتم تستكبرون) واستكباركم على الحق وعلى الناس ثم يقولون لهم (أهؤلاء) مبتدأ (الذين) خبر مبتدأ مضمرة تقديره هؤلاء هم الذين (أقسمتم) حلفتم في الدنيا والمشار اليهم فقراء المؤمنين كهيب وسلمان ونحوهما (لا ينالهم الله برحمة) جواب أقسمتم وهو داخل في صلة الذين

(١٣ - خازن - ثاني) تقديره أقسمتم عليهم بان لا ينالهم الله برحمة أي لا يدخلهم الجنة يحتملونهم فقرهم فيقال لا أصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) وذلك بعد ان نظروا الى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما قالوا (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) ونادى

أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أوما رزقكم الله قالوا) قال ابن عباس رضي الله عنهما لما صار أصحاب الاعراف الى الجنة طمع أهل النار في الفرج فقالوا يا ربنا ان قرابات من أهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونسلكهم فيأذن لهم فينظرون الى قراباتهم في الجنة ويأثمونهم فيمنعهم من النعيم فيعرفونهم وينظر أهل الجنة الى قراباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادون أي أصحاب النار أصحاب الجنة باسمائهم فينادي الرجل أباه وخاه فيقول قد احترقت فض علي من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين ومعنى الآية ان أهل النار يستغيثون بأهل الجنة اذا استقر وافيهما وذلك عند نزول البلاء بأهل النار وما ياقون من شدة العطش والجوع عقوبة لهم من الله على ما سلف منهم في الدنيا من الكفر والمعاصي يقول أهل النار لاهل الجنة يا أهل الجنة أفيضوا علينا من الماء يعني صبوا علينا من الماء أوما رزقكم الله يعني وأطعمونا مما رزقكم الله ووسعوا علينا من طعام الجنة فيجيبهم أهل الجنة بقولهم (ان الله حرمهما على الكافرين) وهذا الجواب يفيد الحرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم في الدنيا في لذة الاكل والشرب عندهم الله في الآخرة بشدة الجوع والعطش فسألوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طلب الاكل والشرب فاجيبوا بان الله حرمهما على الكافرين يعني طعام الجنة وشرايبها وصف الكافرين فقال تعالى (الذين اتخذوا دينهم هوا ولعبا) يعني أنهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم وهو اعنه وأصل اللهم ما يشغل الانسان عما يعنيه وبهمه يقال هوت بكذا وهوت عن كذا أي اشتغلت عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما هم المستهزؤون وذلك انهم كانوا اذا دعوا الى الايمان سخر وايمان دعاهم اليه وهزوا به استهزأ به الله عز وجل وقيل هو ما زين لهم الشيطان من تحريم البعائر والسواب والمكاء والتصديقة حول البيت وسائر الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل معنى دينهم عيدهم اتخذوه هوا ولعبا لا يذكر الله فيه (وغرتهم الحياة الدنيا) يعني وخذعهم عاجل ما هم فيه من حسب العيش ولذته وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الايمان بالله ورسوله وعن الاخذ بنصيبهم من الآخرة حتى أنهم المنية وهم على ذلك والغرة غفلة في اليقظة وهو طمع الانسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل له ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لانه غريق في الدنيا بلذاته وما هو فيه من ذلك ولما وصفهم الله تعالى بهذه الصفات الذميمة قال (فاليوم) يعني يوم القيامة (نفساهم) نفساهم كالتقاء يومهم هذا) يعني فاليوم نتركهم في العذاب المهين جيا عا عا شا كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي قال ابن عباس رضي الله عنهما انسيهم من الخبر ولم ينسهم من الشر وقيل معناه نعماءهم معاملة من نسي فتركهم في النار كما تركوا العمل وأعرضوا عن الايمان اعراض النامى سعى الله تعالى جزاء انسيانهم بالنسيان على المجاز لان الله تعالى لا ينسى شيئا فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فيكون المراد من هذا النسيان ان الله تعالى لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وزلتهم بل يتركهم في النار كما تركوا الايمان والعمل (وما كانوا باياتنا يحدون) يعني وتركهم في النار كما كانوا يحدون وحدانيتنا يكذبون قوله تعالى (ولقد جئناهم بكتاب) يعني ولقد جئنا هؤلاء الكفار بالقرآن الذي أنزلناه عليك يا محمد (فصلناه على علم) أي بيناه على علم مناهج فصله ونبينه (هدى ورجة لقوم يؤمنون) أي جعلنا القرآن هاديا ودارجة لقوم يؤمنون (هل ينظرون) يعني هل ينظرون هؤلاء الكفار الذين كذبوا باياتنا وجاهدوا ولم يؤمنوا بها (الاتأويله) يعني هل ينظرون ويتوقعون الاما وعدوا به على السنة الرسل من العذاب وان مصيرهم الى النار والتأويل ما يؤول اليه الشيء (يوم يأتي تأويله) يعني يوم القيامة لانه يوم الجزاء وما تؤول اليه أمورهم (يقول الذين نسوه من قبل) يعني يقول الذين تركوا العمل بالقرآن ولم يؤمنوا به يوم القيامة عند معاينة العذاب (قد جاءت رسلنا بالحق) اقروا

رزقكم الله) من غيره من الاثربة لخدوله في حكم الافاضة أو أريد وألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقولك علفها تذاوما باردا أي وسقيتها وانما سألوا ذلك مع بأسهم عن الاجابة لان المتحير ينطق بما يفيد وبما لا يفيد (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) هو تحريم منع كافي وحرمانا عليه المرضع وتقف هنا ان رفعت أو نصبت ما بعده ذما وان جرته وصفا للكافرين فلا (الذين اتخذوا دينهم هوا ولعبا) خرموا واحلوا ماشاؤا أو دينهم عيدهم (وغرتهم الحياة الدنيا) اغتروا بطول البقاء (فاليوم نفساهم) نتركهم في العذاب (كأنسوا لقاء يومهم) هذا وما كانوا باياتنا يحدون) أي كنفسيانهم ووجودهم (واقدر جئناهم بكتاب فصلناه) ميزنا حلاله وحرامه ومواعظه وقصصه (على علم) عالين بكيفية تفصيل أحكامه (هدى ورجة) حال من منصوب فصلناه كان على علم حال من مرفوعه (لقوم يؤمنون هل ينظرون) (الاتأويله) الا عاقبة أمره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتي تأويله) يقول الذين نسوه من قبل) تركوه وأعرضوا عنه (قد جاءت رسلنا بالحق) أي تبين وصح أنهم جاؤا بالحق فاقروا حين لا ينفعهم

أقروا على أنفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف والاقرار والمعنى ان الكفار أقروا بان الذي  
 جاءت به الرسل من الايمان والتصديق والحشر والنشر والبعث يوم القيامة والثواب والعقاب حق وصدق  
 وانما أقروا بهند الاشياء لانهم شاهدوها معاينة وذلك حين لا ينفعهم ولمسوا وانفسهم في العذاب قالوا (فهل  
 لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ونزد فنعمل غير الذي كنا نعمل) يعني أنه ليس لنا طريق الى الخلاص مما نحن  
 فيه من العذاب الا ان يشفع لنا شفيع عند ربنا فيقبل شفاعة فينا فيخلصنا من هذا العذاب ونزد الى الدنيا  
 فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصي بالطاعة والاباية (قد خسروا  
 أنفسهم) يعني ان الذي طلبوه ولا يحصل لهم فتبين خسرا نهم واهلاكهم انفسهم لانهم كانوا في الدنيا اول  
 مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولو ردوا الى الدنيا لعادوا الى ما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله  
 تعالى فيهم (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون في الدنيا  
 من ان الاصنام تشفع لهم فلما أفضوا الى الآخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا أنهم كانوا في دعواهم كاذبين  
 ﴿قوله عز وجل (ان ربكم الله) يعني ان سيدكم ومالككم ومصلح أسوركم وموصل الخيرات اليكم والذي  
 يدفع عنكم المكارد هو الله (الذي خلق السموات والارض) أصل الخلق في اللغة التقدير ويستعمل في  
 ابداع الشيء من غير أصل سبق ولا ابتداء تقدم فقوله خالق السموات والارض يعني أبداعهما وأنشأ خلقهما  
 على غير مثال سبق وقد رأوا حوالهما (في ستة أيام) فان قلت اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار  
 هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة أيام ولم يكن شمس ولا سماء قلت معناه في مقدار ستة  
 أيام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يعني على مقدار البكر والعشي في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها  
 ولا نهار واختلاف العلماء في اليوم الذي ابتداء الله عز وجل بخلق الاشياء فيه فقيل في يوم السبت وهو قول  
 محمد بن اسحق وغيره ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم في افراده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه  
 قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خالق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد  
 وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس  
 وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل  
 وهذا الحديث وان كان في صحيح مسلم ففيه مقال وقد أنكره بعض العلماء لما فيه من المخالفة لآية الكرسي  
 لان الله تعالى يقول خلق السموات والارض في ستة أيام وقال في آية أخرى ولقد خلقنا السموات والارض  
 وما بينهما في ستة أيام فدل بهذين النصين على ان جميع الخلق تم وكل في ستة أيام والذي في الحديث ان  
 بعض الخلق وقع في سبعة أيام وذلك مجموع أيام الاسبوع فلهذا السبب أنكره من أنكره من العلماء وقد  
 ذكر الازهرى في كتابه تهذيب اللغة ما يقوى الحديث فقال وقال ابن الانباري السبت القطع وسمى يوم  
 السبت لان الله تعالى ابتداء الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق السموات والارض وقيل ان ابتداء الخلق  
 كان يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري قال  
 لطبري خالق الله السموات والارض في ستة أيام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس  
 والجمعة وروى بسنده عن مجاهد قال بدأ خلق العرش والماء والهواء وخالقت الارض من الماء وبدأ الخلق  
 يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجمع الخلق في يوم الجمعة وتمموا في يوم السبت  
 و يوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون ويعضد هذا القول ما حكاه صاحب المحكم ابن سيده قال وسمى  
 سابع الاسبوع سبئ لان ابتداء الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن في السبت خالق قال أصحاب  
 الاخبار والسير والتواريخ ان الله تعالى خلق التربة التي هي الارض بلاد حو ولا بسط في يوم الاحد والاثنين  
 ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات في يومين وهما الثلاثاء والاربعاء ثم دحا الارض وبسطها

(ههل لنا من شفعاء فيشفعوا  
 لنا) جواب الاستفهام  
 (أوزد) جملة معطوفة على  
 جملة قبلها اداخلة معها في حكم  
 الاستفهام كأنه قيل فهل لنا  
 من شفعاء أو هل نرد ورافعه  
 وقوعه موقعا يصلح للاسم  
 كقولك ابتداء هل يضرب  
 زيدا أو عطف على تقدير هل  
 يشفع لنا شفيع أو هل نرد  
 (فنعمل) جواب الاستفهام  
 أيضا (غير الذي كنا نعمل  
 قد خسروا أنفسهم وضل  
 عنهم ما كانوا يفترون)  
 ما كانوا يبدونه من الاصنام  
 (ان ربكم الله الذي خلق  
 السموات والارض في ستة  
 أيام) أراد السموات  
 والارض وما بينهما وقد  
 فصلاها في حم السجدة أي  
 من الاحد الى الجمعة لاعتبار  
 الملائكة شيئا فشيئا وللإعلام  
 بالتأني في الامور ولان لكل  
 عمل يوما ولان انشاء شيء  
 بعد شيء أدل على عالم مدبر  
 مر يد يصرفه على اختياره  
 ويحجر به على مشيئته

وطحاها وأخرج ماءها وصرعها وخلق دوابها وحشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق آدم في يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السماء فخلقها وجمع ما فيها يوم الاثنين والثلاثاء ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعاء والخميس وخلق آدم يوم الجمعة وأسكنه الجنة هو وزوجته حواء ثم أهبطهما الى الارض في آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل أول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خاق وما هو خاق الى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خاق العرش ثم خلق السماء من درة بيضاء ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقر ثم مد الارض وبسطها من التربة التي خلقها أولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خاق آدم آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه أهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق في ستة أيام كل يوم مقداره ألف سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل في ستة أيام من أيام الدنيا فان قلت ان الله عز وجل قادر على أن يخلق جميع الخلق في لحظة واحدة ومنه قوله تعالى وما أمرنا الا واحدة كما يح بالبصر فما الفائدة في خلق السموات والارض في ستة أيام وما الحكمة في ذلك قلت ان الله سبحانه وتعالى وان كان قادرا على خلق جميع الاشياء في لحظة واحدة الا أنه تعالى جعل لكل شيء حدا محددا ووقتا معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتأني في الامور وقال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات والارض في لحظة خلقهن في ستة أيام تعلمنا خلقه التثبت والتأني في الامور كما في الحديث الثاني من الله والمجئ من الشيطان وقيل ان الشيء اذا أحدث دفعة واحدة فلعله أن يخطر ببال بعضهم أن ذلك الشيء انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا أحدث شيئا بعد شيئا على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك أبلغ في القدرة وأقوى في الدلالة وقيل ان الله تعالى أراد أن يوقع في كل يوم أمرا من أمره حتى تستعظمه الملائكة وغيرهم ممن شاهدوه وقيل ان التمجيل في الخلق أبلغ في القدرة وأقوى في الدلالة والتثبت أبلغ في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشياء بالتثبت كما أظهر قدرته في خلق الاشياء بكن فيكون ﴿١﴾ وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) العرش في اللغة السرير وقيل هو ماعلا فأظلم وسمى مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان ثل عرشه بمعنى ذهب عزه ومملكه وسلطانه قال الراغب في كتابه مفردات القرآن وعرش الله عز وجل مما لا يعلمه البشر الا بالاسم على الحقيقة وليس هو كما ذهب اليه أوهام العامة فانه لو كان كذلك لكان حامله تعالى الله عن ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى والكرسي فلك الكواكب وأما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي في كتابه الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها وقال أما الاستواء فالمتقدمون من أصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنعومذاهبهم في أمثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب أنه قال كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه قال فاطرق مالك وأخذته الرخصاء ثم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه فاخرج الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه فاطرق مالك برأسه حتى علت الرخصاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك الامبتدعافا مربه أن يخرج وروى البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقي والآثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه واليه ذهب أحمد بن حنبل والحسن بن الفضل البجلي ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي قال

(ثم استوى) استولى  
(على العرش) أضاف  
الاستيلاء الى العرش وان  
كان سبحانه وتعالى  
مستوليا على جميع المخلوقات  
لان العرش أعظمها  
وأعلاها وتفسر العرش  
بالسرير والاستواء  
بالاستقرار كما تقوله المشبهة  
باطل لانه تعالى كان قبل  
العرش ولا مكان وهو الآن  
كما كان لان التغيير من  
صفات الكوان والمنقول  
عن الصادق والحسن وأبي  
حنيفة ومالك رضي الله  
عنهم ان الاستواء معلوم  
والتكليف فيه مجهول  
والايان به واجب والجود  
له كفر والسؤال عنه بدعة

البعوى أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم به إلى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن أنس مع الرجل الذي سأله عن الاستواء وقد تقدم وروى عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة أقرؤها كما جاءت بلا كيف وقال الإمام غفر الدين الرازي رحمه الله بعد ذكره الدلائل العقلية والسمعية أنه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان الأول القطع بكونه تعالى متعالياً عن المكان والجهة ولا تخوض في تأويل الآية على التفصيل بل نفوض أمرها إلى الله تعالى وهو الذي قررنا في تفسير قوله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثاني أننا نخوض في تأويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان الأول ما ذكره القفال فقال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك ثم جعل ثل العرش كناية عن نقض الملك يقال نل عرشه أي انتقض ملكه وإذا استقام له ملكه واطرد أمره ونفذ حكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه هذا ما قاله القفال والذي قاله القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تديره العالم على الوجه الذي ألفوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم تبيينها على عظمة الله جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجرى المباشرة قال ويدل على صحة هذا قوله في سورة بونس ثم استوى على العرش يدبر الأمر فقوله يدبر الأمر جرى مجرى التفسير لقوله ثم استوى على العرش وأورد على هذا القول أن الله تعالى لم يكن مستوياً على الملك قبل خلق السموات والأرض والله تعالى منزّه عن ذلك وأجيب عنه بأن الله تعالى كان قبل خلق السموات والأرض مالِكها لكن لا يصح أن يقال شبع زيد الأبعد أكله الطعام فإذا أفسر العرش بالملك صح أن يقال إنه تعالى إنما استوى على ملكه بعد خلق السموات والأرض والقول الثاني أن يكون استوى بمعنى استولى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهران

وعلى هذا القول إنما خص العرش بالأخبار عنه بالاستيلاء عليه لأنه أعظم المخلوقات ورد هذا القول بان العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وإنما يقال استولى فلان على كذا إذا لم يكن في ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالِكاً للشيء كلها وما استولى عليها فإي تخصيص للعرش هنا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقي عن أبي الحسن الأشعري أن الله تعالى فعل في العرش فعلا سماء استواء كما فعل في غيره فعلا سماء رزقا ونعمة وغيرهما من أفعاله ثم لم يكيف الاستواء إلا أنه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش ثم للتراخي والتراخي إنما يكون في الأفعال وأفعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه أياها ولا حركة وحكي الاستاذ أبو بكر بن فورك عن بعض أصحابنا أنه قال استوى بمعنى علامن العلو قال ولا يريد بذلك علواً بالمسافة والتحيز والكون في المكان متمكناً فيه ولكن يريد معنى نفي التحيز عنه وأنه ليس بما يحويه طبقاً أو يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك طريقة الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي رحمه الله تعالى وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلق بالمستوى عليه لا بالاستواء قال وقد أشار أبو الحسن الأشعري إلى هذه الطريقة فقال قال بعض أصحابنا إنه صفة ذات قال وجوابي هو الأول وهو أن الله تعالى مستو على عرشه وأنه فوق الأشياء بأن منها معنى أنه لا تحل ولا يحلها ولا يسها ولا يشبهها وإيست البنونة بالعزلة تعالى الله ربنا عن الحلول والمماساة علواً كبيراً وقد قال بعض أصحابنا أن الاستواء صفة لله تعالى تنفي الأعوجاج عنه وروى أن ابن الأعرابي جاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ما معنى قوله

تعالى الرحمن على العرش استوى قال انه مستوعب على عرشه كما أخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى أى استولى فقال له ابن الاعرابى ما يدريك أن العرب لا تقول استولى فلان على الشيء حتى يكون له فيه مضاد فأيها مغاب قيل لمن غاب قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما أخبر لا كما ظنه البشر والله أعلم وقوله تعالى ( يغشى الليل النهار ) يعنى أنه تعالى يأتي بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى يذهب بنوره وفيه حذف تقديره ويغشى النهار الليل وانما لم يذكر النهار دلالة الكلام عليه ( يطلبه حينئذ ) يعنى سر يعاود ذلك أنه اذا كان يعقب أحدهم الآخر ويخلفه فكانه يطلبه حتى الامام نجر الدين الرازى عن القفال انه قال ان الله تعالى لما أخبر عباده باستوائه على العرش أخبر عن استمرار أمور المخلوقات على وفق مشيئته وأراهم ذلك فيما يشاهدونه منها لينضم العيان الى الخبر وتزول الشبهة من كل الجهات قال الامام واعلم أنه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل والنهار انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة أشد الحركات سرعة فان الانسان اذا كان فى أشد عدوه بمقدار رفع رجليه ووضعها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة آلاف ميل وهي ألف فرسخ فلماذا قال تعالى يطلبه حينئذ السرعة حركته (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الاشياء جارية فى مجاريها بأمره وقال المفسرون يعنى بتسخيرهن تذللهن لما يراد منها من طلوع وغروب وسير ورجوع اذ ليس هي قادرات بانفسهن وانما هن يتصرفن فى متصرفاتهن على ارادة المديبر لمن الحكيم فى تديبرهن وتصرفهن على ما أراد منهن والمراد بالامر فى قوله بأمره نفاذ ارادته لان الغرض من هذه الآية تبين عظمة قدرته ومنهم من جعل الامر على الامر الذى هو الكلام وقال انه تعالى أمر هذه الاجرام بالسير الدائم والحركة المستمرة لى انقضاء الدنيا وخراب هذا العالم فان قلت ان الشمس والقمر من النجوم فلم أفردهما بالذكركم عطف عليهما ذكرك النجوم قلت انما أفردهما بالذكرك لبيان شرفهما على سائر الكواكب لما فيهما من الاشراق والنور وسيرهما فى المنازل لتعرف الاوقات فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فعطف جبريل وميكال على ذكرك الملائكة وان كانا من الملائكة ايمان شرفهما وفضاهما على غيرهما من الملائكة وقوله تعالى (ألا اله الا خلق والامر) يعنى له الخلق لانه خلقهم وله أن يامر فيهم بما أراد وله أن يحكم فيهم بما شاء وعلى هذا المعنى الامر هنا الذى هو تقييد النهى واستخراج سفیان بن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عز وجل ليس بمخلوق فقل ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر فن جمع بينهما فقد كفر يعنى من جعل الامر الذى هو كلامه تعالى من جملة ما خلقه فقد كفر لان المخلوق لا يقوم بمخلوق مثله وقيل ل معناه ان جميع ما فى العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجري بقضائه وقدره فهو مجربها ومنشأها فلا يبقى بعد هذا الاحدثى وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الآية تعظيم القدرة وفى الآية دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل ففيه رد على من يقول ان الشمس والقمر والكواكب تأثيرات فى هذا العالم فاخبر الله انه هو الخالق المديبر لهذا العالم لا الشمس والقمر والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد امر غير الله والامر والنهى الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه (نبارك الله) يعنى تمجد وتعظيم وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة ومعنى البركة لكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظيم الله (رب العالمين) يعنى انه هو الذى يستحق التعظيم وذلك ان الله تعالى لما افتتح هذه الآية بقوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض وذكر اشياء من عظيم خلقه وان له الخلق والامر والنهى والقدرة عليهم ختم الآية بالثناء عليه لانه هو المستحق للمدح المطلق والثناء والتعظيم وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه جاء بكل بركة وقيل تبارك معناه تقدس والتقديس الطهارة وقيل معناه باسمه يتبرك فى كل شئ وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت

( يغشى الليل النهار ) يغشى  
جزرة وعلى وأبو بكر أى  
يلحق الليل بالنهار والنهار  
بالليل ( يطلبه حينئذ ) حال  
من الليل أى سر يعا  
والطالب هو الليل كأنه  
لسرعة ضيه يطلب النهار  
(والشمس والقمر  
والنجوم) أى وخلق  
الشمس والقمر والنجوم  
(مسخرات) حال أى  
مذلات والشمس والقمر  
والنجوم مسخرات شامى  
والشمس مبتدأ والبقية  
معطوف على ما والخبير  
مسخرات ( بأمره ) هو  
أمر تكوين ولما ذكر انه  
خلقهن مسخرات بأمره  
قال (ألا اله الا خلق والامر) أى  
هو الذى خلق الاشياء  
وله الامر (تبارك الله)  
كثرت خبره أودام بره من  
البركة الثناء أو من  
البروك الثبات ومنه البركة  
(رب العالمين)

ودام كالم يزل ولا يزال وأصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لأنه لم يرد به التوقيف قوله عز وجل (ادعوا ربكم) قيل معناه اعبدوا ربكم لأن معنى الدعاء طلب الخير من الله تعالى وهذه صفة العبادة ولأنه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفاً وطعماً والمعطوف يجب أن يكون مغايراً للمعطوف عليه وقيل المراد به حقيقة الدعاء وهو الصحيح لأن الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من أنواع العبادة لأن الداعي لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف أن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على إيصالها إلى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله تعالى (نضرعاً) يعني ادعوا ربكم تذلاً واستكانة وهو اظهار الذل الذي في النفس والخشوع يقال نضرع فلان لفلان إذا دل له وخشع وقال الزجاج نضرعاً يعني تملقاً وحقيقته أن ندعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى (وخفية) يعني سرافى أنفسكم وهو ضد العلانية والادب في الدعاء أن يكون خفياً هذه الآية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ولا يسمعون لهم صوت إن كان الإهمسا بينهم وبين ربهم وذلك أنه تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعاً وخفية وإن الله تعالى ذكر عبداً صالحاً رضى فله فقال تعالى اذ نادى ربه نداء خفياً (ق) عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم والذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته قال أبو موسى رضى الله عنه وأنا خلفه أقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم في نفسي فقال يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم يعني ارفقوا بها واقصروا عن الصياح في الدعاء ﴿ وقوله تعالى (انه لا يحب المعتدين) يعني في الدعاء وقال أبو مجلزهم الذين يسألون منازل الانبياء عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم اني أسألك القصر الأبيض عن عيين الجنة اذا دخلتها قال أي بنى سل الله الجنة وتعود به من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعاء أخرجه أبو داود وقال ابن جريج الاعتداء رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء وقيل الاعتداء مجاوزة الحد في كل شيء فكل من خالف أمر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل تحت قوله تعالى انه لا يحب المعتدين وفرع بعض أرباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعاً وخفية هل الأفضل اظهار العبادات أم لا فذهب بعضهم إلى ان اخفاء الطاعات والعبادات أفضل من اظهارها هذه الآية ولكنها كونها أبعد عن الرياء وذهب بعضهم إلى ان اظهارها أفضل ليقترن به الغير فيعمل مثل عمله وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفاً على نفسه من الرياء فالأولى اخفاء العبادات صوتاً لعمله عن البطلان وان كان قد بلغ في الصفاء وقوة اليقين إلى التمكين بحيث صار مباحثاً شائبة الرياء كان الأولى في حقه الاظهار لتحصل فائدة الاعتداء به وذهب بعضهم إلى ان اظهار العبادات المفضلة أفضل من اخفائها فالصلاة المكتوبة في المسجد أفضل من صلاته في بيته وصلاة النفل في البيت أفضل من صلاته في المسجد وكذلك اظهار الزكاة أفضل من اخفائها واخفاء صدقة لتطوع أفضل من اظهارها ويقاس على هذا سائر العبادات ﴿ قوله تعالى (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) يعني ولا تفسدوا أيها الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعاء لي غير طاعة الله بعد اصلاح الله أيها عبدة الرسل وبيان الشرائع والدعاء إلى طاعة الله تعالى وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي وقال ابن عطية لا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرت بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها يعني بعد اصلاح الله أيها بالمرء والخصب وقيل معنى الآية ولا تفسدوا في الارض شيئاً

ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) نصب على الحال أي ذوى تضرع وخفية واتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل أي تذلاً وتلقاً قال عليه السلام انكم لا تدعون أصم ولا غائباً انما تدعون سمعياً قريباناً معكم أيها كتم عن الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفاً (نه لا يحب المعتدين) المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج الرافعين أصواتهم بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) أي بالمعصية بعد الطاعة أو بالشرك بعد التوحيد أو

بعد ان أصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس بالقتل أو افسادها بقطع بعض الاعضاء و افساد الاموال بالنصب والسرفه وأخذ من الغير بوجه الخيل و افساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهواء المضلة و افساد الانساب بالاقدام على الزنا و افساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعبرة في الدنيا هي هذه الخمسة فنع الله من ادخال الفساد في ماهيتها ﴿ وقوله تعالى (وادعوه خوفا وطمعا) أصل الخوف انزعاج في الباطن لما لا يؤمن من المضار وقيل هو توقع مكروه يحصل فيما بعد والطمع توقع محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفا منه ومن عقابه وطمعا فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن جرير معناه خوف العدل وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفا من الرياء في الذكر والدعاء وطمعا في الاجابة فان قلت قال في أول الآية ادعوا بكم تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه وهذا هو عطف الشيء على نفسه فافادة ذلك قلت الفائدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا بكم أي ليكن الدعاء مقرونا بالتضرع والاختبات وقوله وادعوه خوفا وطمعا ان فائدة الدعاء أحد هذين الامرين فكانت الآية الأولى في بيان شرط صحة الدعاء والآية الثانية في بيان فائدة الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين في أنفسكم بين الخوف والرجاء في أعمالكم كلها ولا تظموا انكم وفيتم حق الله في العباداة والدعاء وان اجتهدتم فيهما (ان رحمت الله) أصل الرحمة رقة تقتضى الاحسان الى المرحوم وتستعمل نارة في الرقة المجردة عن الاحسان وتارة في الاحسان المجرده عن الرقة واذا وصف بها البارى جل وعز فليس يراد بها الا الاحسان المجرده دون الرقة فرحة الله عز وجل عبارة عن الافضال والانعام على عباده وايصال الخير اليهم وقيل هي ارادة ايصال الخير والنعمة الى عباده فعلى القول الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى القول الثاني تكون من صفات الذات (قريب من الحسين) قال سعيد بن جبيرة الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت الى المعنى دون اللفظ وقيل ان تانيث الرحمة ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة وتكون الرحمة قريبة من الحسين لان الانسان في كل ساعة من الساعات في ادبار عن الدنيا واقبال على الآخرة واذا كان كذلك كان الموت أقرب اليه من الحياة وليس بينه وبين رحمة الله التي هي الثواب في الآخرة الا الموت وهو قريب من الانسان قوله عز وجل (وهو الذي يرسل الرياح) هذا عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي خالق السموات والارض وهو الذي يرسل الرياح (بشرا) قرئ بشرا بالنون أراد جمع نشور وهي الريح الطيبة الهبوب التي تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشر يقال أنشر الله الريح بمعنى أحيها وقال الفراء النشور الريح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب وقال ابن الانباري النشور المنتشرة الواسعة الهبوب وقيل النشور خلاف الطي فيحتمل أنها كانت بانقطاعها كالمطوية فانتشرت بمعنى أرسلت وقرئ بشرا بالباء جمع بشيرة وهي التي تبشر بالمطر والريح هو الهواء المتحرك يمسح ويسرعة والرياح أربعة الصبا وهي الشرقية والديبور وهي الغربية والشمال وهي التي تهب من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبيلية وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان الرياح ثمان أربع منها عذاب وهي المقاصف والعاصف والصرصر والعقيم وأربع منها رحمة وهي النائمات والمبشرات والمرسلات والذاريات (بين يدي رحمة) يعني أمام المطر الذي هو رحمة وانما سعاد رحمة لانه سبب حياة الارض الميتة قال أبو بكر بن الانباري رحمه الله تعالى اليان تستعملهما العرب في المجاز على معنى التقدمة تقول هذه تكون في الفتن بين يدي لساعة يريدون قبل أن تقوم الساعة تشبها وتمثيلا بما اذا كانت يدا الانسان تتقدمانه كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذن به عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بانكم في الريح فلم يرجعوا اليه شيئا وبلغني الذي سأل عمر عنه من أمر الريح فاستحششت راحلتي حتى أدركت عمر وكنت في مؤخر الناس فقلت يا أمير المؤمنين أخبرت أنك سألت عن الريح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالظلم بعد العدل (وادعوه خوفا وطمعا) حالان أي خائفين من الرد طامعين في الاجابة أو من النيران وفي الجنان أو من الفراق وفي التلاق أو من غيب العاقبة وفي ظاهر الهداية أو من العدل وفي الفضل (ان رحمت الله قريب من المحسنين) ذكر قريب على تاويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو لانه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب أو على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول أو لان تانيث الرحمة غير حقيقي أو للاضافة الى المذكور (وهو الذي يرسل الرياح) الريح مكي وحمزة وعلى (نشرا) حمزة وعلى مصدر نشر واتصابه اما لان أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشرا واما على الحال أي منشورات بشرا عاصم تخفيف بشرا جمع بشير لان الرياح تبشر بالمطر نشرا شامى تخفيف نشر كرسل ورسل وهو قرأه الباقيين جمع نشور أي نامرة للمطر (بين يدي رحمة) أي نعمته وهو الغيث الذي هو من



يقول الربيع من روح الله تعالى تاني بالرحمة وتاني بالعذاب فاذا رايتقوها فلا تسبوها واسألوا الله من خيرها واستعينوا بالله من شرها رواه الشافعي رضي الله عنه بطوله وآخر جهه أبو داود في المسند عنه وقال كعب الاحبار لو حبس الله الربيع عن عباده ثلاثة أيام لانت أكثر أهل الأرض وقوله تعالى (حتى اذا أقلت سحبابا نقالا) يقال أقل فلان الشيء اذا حمله واشتقاق الاقلال من القلة فان من يرفع شيئا براه قليلا والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء أو لم يكن فيه ماء سمي سحبابا لان سحابه في الهواء والمعنى حتى اذا حلت هذه الرياح سحبابا نقالا بما فيه من الماء قال السدي ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتأتي بالسحاب من بين الخافقين وهما طرف السماء والأرض حيث يلتقيان فتخرج منه من ثم ثم تنشره فتبسطه في السماء كيف يشاء ثم تفتح له أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله تعالى دبر بحكمته ان الرياح تتحرك تحركا شديدا فتثير السحاب ثم ينضم بعضها الى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الماء ثم تسوقه الى حيث يشاء الله عز وجل وهو قوله تعالى (سقناه ابلد ميميت) يعني الى بلد فتكون اللام بمعنى الى وقيل معناه لاجل حياة ابلد ميميت وانما قال سقناه لان لفظ السحاب مذكروا وان كان جمع سحابة فكان ورود الحكاية عنه على سبيل التذكير جائزا نظرا الى اللفظ قال الازهرى رحمه الله تعالى قال الليث البلد كل موضع من الأرض عامر أو غير عامر خال أو مسكون والطائفة منها بلدة والجمع بلاد زاد غيره والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن الوحش والجن قال الاعشى

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة \* للجن بالليل في حافاتها زجل

ومعنى الآية اننا سقنا السحاب الى ابلد ميميت محتاج لانزال الماء ينزل فيه غيث ولم تنبت فيه خضرة (فانزلنا به الماء) اختلفوا في الضمير في قوله تعالى به الى ماذا يعود فقال الزجاج رحمه الله وابن الانباري جائز ان يكون المعنى فانزلنا بالبلد الميت الماء وجائز ان يكون المعنى وانزلنا بالسحاب الماء لان السحاب آلة انزول الماء (فاخر جنابه) يعني بذلك الماء لان انزال الماء كان سببا لاجل اخراج الثمرات وقيل يحتمل ان يكون المعنى فاخر جنابه ذلك الميت (من كل الثمرات) يعني وأخر جنابه ذلك البلد بعد موته وجدبه من أصناف الثمار والزروع (كذلك نخرج الموتى) يعني كما أحيينا ابلد الميت كذلك نخرج الموتى أحياء من قبورهم بعد فناءهم ودروس آثارهم واختلفوا في وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر كذلك يحيي الموتى بواسطة انزال المطر أيضا قال أبو هريرة وبن عباس رضي الله عنهما ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى أمطر الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان أربعين سنة فينبثون كما ينبت الزرع من الماء وفي رواية أربعين يوما فينبثون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا أراد الله تعالى أن يخرج الموتى أمطر السماء حتى تنشق الأرض ثم يرسل الأرواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيي الله الموتى بالمطر كما يحييها الأرض به وقيل انما وقع التشبيه باصل الأحياء والمعنى انه تعالى كما أحيانا هذا البلد الميت بعد خرابه وموته فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الله الموتى ويخرجهم من قبورهم أحياء بعد ان كانوا أمواتا ورمما بالية لان من قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على أن يحييهم ويخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشرهم (اعلمكم تذكرون) الخطاب المنكرى البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهي مزهرة مورقة مثمرة في أيام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الازهار والاوراق والثمار ثم ان الله تعالى أحيانا مرة أخرى فالتقدير على

أجل النعم (حتى اذا أقلت) حلت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطبق يرى ما يرفعه قليلا (سحبابا نقالا) بالماء جمع سحابة (سقناه) الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالتقال لانت كما لو حمل الوصف على اللفظ لقييل ثقيلا (ابلد ميميت) لاجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه ميت مدني وحزمة وعلى وحفص (فانزلنا به الماء) بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فاخر جنابه) من كل الثمرات كذلك) مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات (نخرج الموتى لعلكم تذكرون) فيؤدبكم التذكري الى الايمان بالبعث اذلا فرق بين الاخراجين لان كل واحد منهما اعادة الشيء بعد انشائه

أحيائها بعد موتها قادر على إحياء الأجزاء بعد موتها والمعنى انما وصفت ما وصفت من التشبيه والتمثيل لكي تعتبر واوتدكر واوتعلم وأن من فعل ذلك كان هو الذي يعيد ويجي ﴿ قوله تعالى (والبلد الطيب) يعني والارض الطيبة التربة السهلة السمحة (يخرج نباته باذن ربه) يعني اذا اصابه المطر اخرج نباته باذن الله عز وجل (والذي خبت لا يخرج) يعني والبلد الذي خبت ارضه فهي سبخة لا يخرج يعني لا يخرج نباته (الانكدا) يعني عسرا بمشقة وكلفة قال الشاعر في المعنى يذم انسانا

لا تنجز الوعدان وعدت وان \* أعطيت أعطيت تافها نكدا

يعني بالتافه القليل وبالنكد العسير ومعناه انك ان أعطيت أعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون هذا مثل ضرب به الله تعالى للمؤمن والكافر فشبّه المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبه نزول القرآن على قلب المؤمن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت انواع الازهار والثمار وكذلك المؤمن اذا سمع القرآن آمن به وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الرديئة الغليظة السبخة التي لا ينتفع بها وان اصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينتفع به ولا يصدقه ولا يزيد الاعتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الآخرة قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا مثل ضرب به الله تعالى للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبادية السبخة المالحة التي خرجت منها البركة قال الكافر خبيث وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضرب به الله تعالى لادم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا كانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبثت الكلا والعشب الكثير وكانت منها اجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واواصاب طائفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كالا فذلك مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله تعالى به فعلم وعلم ومن لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله تعالى الذي ارسات به خرجاه في الصحيحين ﴿ وقوله تعالى ( كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) يعني كما نصر بنا هذا المثل كذلك نبين الآيات الدالة على التوحيد والايان آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله تعالى على انعامه عليهم بالهداية وحيث جنبهم سبيل الضلالة وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم الذين انتفعوا باسماع القرآن ﴿ قوله عز وجل ( لقد ارسلنا نوحا الى قومه) اعلم ان الله تبارك وتعالى لما ذكر في الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته وغرائب خلقه وصنعتة الدالة على توحيد ورؤيته وأقام الدلالة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى لهم مع أممهم وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه فقط عن قبول الحق بل قد اعرض عنه سائر الامم الحالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة أولئك الذين كذبوا لرسول كانت الى الخسار والهلاك في الدنيا وفي الآخرة الى العذاب العظيم فمن كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل أولئك الذين خلو من قبله من الامم المكذبة وفي ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يلق احدا من علماء زمانه فلما أتى بمثل هذه القصص والأخبار عن القرون الماضية والأمم الحالية مما لم ينكره عليه احد علم بذلك انه انما أتى به من عند الله عز وجل وانه أوحى اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا نوحا جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو نوح ابن المك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو ادريس عليه الصلاة والسلام ومعنى ارسلنا بعثنا وهو أول نبي بعثه الله

(والبلد الطيب) الارض الطيبة التربة (يخرج نباته باذن ربه) بتدبيره وهو موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا (والذي خبت) صفة للبلد أي والبلد الخبيث (لا يخرج) أي نباته خذف للاكتفاء (الانكدا) هو الذي لا خير فيه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ وهو المؤمن ولن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وهو الكافر وهذا التمثيل واقع على أثر مثل ذلك المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد (كذلك) مثل ذلك التصرف (نصرف الآيات) زردها ونكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها (لقد ارسلنا) جواب قسم محذوف أي والله لقد ارسلنا (نوحا الى قومه) ارسل وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو اسم ادريس عليه السلام

(فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من الغيرة) غيره على فالرفع على المحل كأنه قيل مالكم اله غيره فلا تعبدوا معه غيره والجر على اللفظ (اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان (قال الملائة) أي الأشراف والسادة (من قومه انا انراك في ضلال مبين) أي بين في ذهاب عن طريق الصواب والرؤية رؤية القلب (قال) (١٠٧) يا قوم ايس في ضلالة) ولم يقل

ضلال كما قالوا لان الضلالة  
أخص من الضلال فكانت  
أبلغ في نفي الضلال عن  
نفسه كأنه قال ليس في شيء  
من الضلال ثم استدرك  
لتأكيد نفي الضلالة فقال  
(ولكني رسول من رب  
العالمين) لان كونه رسولا  
من الله مبلغا لرسالاته في  
معنى كونه على الصراط  
المستقيم فكان في الغاية  
القصوى من الهدى (أبلغكم  
رسالات ربي) ما أوحى الى  
في الأوقات المتطاولة أو في  
المعاني المختلفة من الاوامر  
والنواهي والمواعظ والبشائر  
والنظارا أبلغكم أبو عمرو  
وهو كلام مستأنف بيان  
لكونه رسول رب  
العالمين (وأصح لكم)  
وأقصد صلاحكم باخلاص  
يقال نصحت ونصحت  
له وفي زيادة اللام مبالغة  
ودلالة على المحاض  
النصيحة وحقيقة الصح  
ارادة الخير لغيرك مما  
تريده لنفسك أو النهاية  
في صدق العناية (وأعلم من  
الله ما لا تعلمون) أي من  
صفاته يعني قدرته الباهرة  
وشدة بطشه على أعدائه

تعالى بعد ادر يس وكان نوح عليه الصلاة والسلام نجارا وقيل معنى الارسال ان الله تعالى حمله رسالة ليؤديها  
الى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة للبعث أيضا ويكون البعث كالتابع لانه أصل قال ابن  
عباس رضي الله عنهما بعثه الله وهو ابن أربعين سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين  
وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما سمي نوحا لكثرة ما نوح على نفسه  
واختلفوا في سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمر اجعته به في شأن ابنه كنعان وقيل لانه  
مر بكذب مجذوم فقال له اخسا يا قبيح فأوحى الله تعالى اليه أعيبتني أم عبت الكاب (فقال) يعني نوحا قومه  
(يا قوم اعبدوا الله مالكم من الغيرة) يعني اعبدوا الله تعالى فانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس  
لكم اله معبود سواه فانه هو الذي يستوجب أن يعبد (اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يعني ان لم تقبلوا  
ما أمركم به من عبادة الله تعالى واتباع أمره وطاقته واليوم الذي خافه عليهم هو اما يوم الطوفان واهلاكهم  
فيه أو يوم القيامة انما قال أخاف على الشك وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم  
يعلم وقت نزول العذاب بهم أي عاجلهم أم يتأخر عنهم العذاب الى يوم القيامة (قال الملائة) وهم الجماعة الاشراف  
(من قومه انا انراك) يعني يانوح (في ضلال مبين) يعني في خطأ وزوال عن الحق بين (قال) يعني نوحا (يا قوم  
ايس في ضلالة) يعني ما بي ما تظنون من الضلال (ولكني رسول من رب العالمين) يعني هو أرسلني اليكم  
لانذركم وأخوفكم ان لم تؤمنوا به وهو قوله (أبلغكم رسالات ربي) يعني بتحذيري اياكم عقابه على كفركم  
ان لم تؤمنوا به (وأصح لكم) يقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير  
لا غيره كما يريد لنفسه وقيل النصح تحري قول أو فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجه  
المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه والمعنى انه قال أبلغكم جميع تكاليف الله وشرائعه وأرشدكم  
الى الوجه الاصلح والاصوب لكم وأدعوكم الى ما دعاني اليه وأحب لكم ما أحب لنفسي قال بعضهم والفرق بين  
ابلاغ الرسالة وبين النصيحة هو أن تبليغ الرسالة أن يعرفهم جميع أوامر الله تعالى ونواهيها وجميع أنواع  
التكاليف التي أوجبه الله تعالى عليهم وأما النصيحة فهو أن يرغبهم في قبول تلك الاوامر والنواهي  
والعبادات ويحذرهم عقابه ان عصوه (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يعني وأعلم انكم ان عصيتم أمره عاقبكم  
بالطوفان والغرق في الدنيا ويعذبكم في الآخرة عذابا عظيما وقيل أعلم ان مغفرة الله تعالى لمن تاب وعقوبته  
لمن أصر على الكفر وقيل لعل الله تعالى أطلعته على سر من أسراره فقال وأعلم من الله ما لا تعلمون (أو عجبتم)  
الالف ألف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكار معناه  
أ كذبتهم وعجبتم (أن جاءكم ذكركم) يعني وحيامن ر بكم (على رجل منكم) تعرفونه وتعرفون  
نسبه وذلك لان كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد بالذكركم الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نوح عليه  
الصلاة والسلام سماه ذكرا كما سمي القرآن ذكرا وقيل المراد بالذكركم المعجزة التي جاء بها نوح عليه السلام  
فعلى هذا تكون على بمعنى مع أي مع رجل منكم قال الفراء على هنا بمعنى مع (لينذركم) يعني جاءكم لاجل  
أن ينذركم (ولتتقوا) أي ولاجل أن تتقوا (ولعلكم ترجون) لان المقصود من ارسال الرسل الانذار  
والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما لا ينبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الآخرة (فكذبوه)

وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين (أو عجبتم) الهزمة لانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أ كذبتهم وعجبتم (أن  
جاءكم) من ان جاءكم (ذكركم) موعظة (من ر بكم على رجل منكم) على لسان رجل منكم أي من جنسكم وذلك لانهم كانوا يتعجبون من  
نبوة نوح عليه السلام ويقولون ماسه عنا بهذا في آياتنا الاواين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزال ملائكة (لينذركم) لينذركم عاقبة  
الكفر (ولتتقوا) ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار (ولعلكم ترجون) ولترجوا بالتقوى ان وجدت منكم (فكذبوه)

فنسبوه الى الكذب (فانجيناها والذين معه) وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنو دسام وحام ويافث وستة ممن آمن به  
(في الفلك) يتعلق بمعه كانه قيل والذين صحبوه في الفلك (واغرقتنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عجمين) عن الحق يقال أعمى في البصر  
وعم في البصيرة (والى عاد) وأرسلنا (١٠٨) الى عاد وهو عطف على نوح (أخاهم) واحدا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد

منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم عن رجل منهم أفهم فكانت الحجّة عليهم ألزم (هودا) عطف بيان لأخاهم وهو هود بن صالح بن ارغش بن سام بن نوح (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) وانما لم يقل فقال كما في قصة نوح عليه السلام لانه على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال ياقوم اعبدوا الله وكذلك (قال الملائكة الذين كفروا من قومه) وانما وصف الملائكة بالذين كفروا دون الملائكة من قوم نوح لان في أشرف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد فارتدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشرف قوم نوح عليه السلام مؤمنا (انا انزرك في سفاهة) في خفة حلم وسخافة عقل حيث نهج دين قومك الى دين آخر وجعات السفاهة ظرفا مجازا يعني انه متمكن فيها غير منك عنها (وانا لظنك من الكاذبين) في ادعائك الرسالة (قال ياقوم ليس بي

يعني فكذبوا نوحا (فانجيناها) يعني من الطوفان والغرق (والذين معه) يعني من آمن من قومه معه (في الفلك) يعني في السفينة (واغرقتنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عجمين) قال ابن عباس رضي الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموا عن الحق والايمان يقال رجل عم في البصيرة وأعمى في البصر وأنشدوا قول زهير

وأعلم ما في اليوم والامس قبله \* ولكنني عن علم ما في غد عم

قال مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق ﴿ قوله تعالى (والى عاد أخاهم هودا) أي وأرسلنا الى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الاولى أخاهم هودا يعني أخاهم في النسب لاني الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقال ابن اسحق هو هود بن صالح بن ارغش بن سام بن نوح واتفقوا على ان هودا عليه الصلاة والسلام لم يكن أخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الاخوة من أين حصلت فقيل انه كان واحدا من القبيلة فيتوجه قوله أخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم يكن من القبيلة ثم ذكر في تفسير هذه الاخوة وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني آدم ومن جنسهم لامن الملائكة ويكفي هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى انا أرسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانس بكلامه أتم وأكمل ولم نبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك أو الجن والثاني انه أخاهم يعني صاحبهم والعرب تسمى صاحب القوم أخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضر موت (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) أي اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه الها آخر فانه ليس لكم اله غيره والفرق بين قوله في قصة نوح فقال وهنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوة قومه غير متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب وأما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء فأخبر الله تعالى عنه بقوله قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره (أفلا تتقون) يعني أفلا تتخافون عقابه بعبادتكم غيره ولما كانت هذه القصة منسوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ما حل بهم من الغرق حسن قوله هنا أفلا تتقون يعني أفلا تتخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح شيء حسن تخوف بهم من العذاب فقال هناك اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (قال الملائكة الذين كفروا من قومه انا انزرك في سفاهة) يعني انا انزرك يا هود في حق وجهالة وضلالة عن الحق والصواب أخبر الله تعالى عن قوم نوح انهم قالوا له انا انزرك في ضلال مبين وأخبر عن قوم هود انهم قالوا له انا انزرك في سفاهة والفرق بينهما ان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق في عمل السفينة قاله قومه عند ذلك انا انزرك في ضلال مبين حيث تتعب في اصلاح سفينة في أرض ليس فيها من الماء شيء وأما هود عليه السلام فانه لما زيف عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل قابله بمثله فقالوا انا انزرك في سفاهة (وانا لظنك من الكاذبين) يعني في ادعائك انك رسول من عند الله (قال) يعني قال هود هؤلاء الملائكة الذين نسبوه الى السفه (يا قوم ليس بي سفاهة) يعني ليس الامر كما تدعون ان بي سفاهة (ولكني رسول من رب العالمين) يعني اليكم (أبلغكم رسالات ربي) يعني أؤدّي اليكم ما أرسلني به من أوامره ونواهيته وشرائعه ونكاليه (وأنا لكم ناصح) يعني فيما أمركم به من عبادة الله عز وجل وترك عبادة ما سواه

سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح) فيما أدعوك اليه (أمين)

(أمين) على ما أقول لكم وانما قال هنا وأنا لكم ناصح أمين لقولهم وانا لظنك من الكاذبين أي ليقابل الاسم وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من ينسبهم الى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاعضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم أضل الناس وأسفهم أدب حسن وخلق عظيم واخبار الله تعالى ذلك لتعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكذا ينشرون عنهم

ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أي خلقتهم في الأرض أوفى مساكنهم واذمفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم (وزادكم في الخلق بسطة) طولاً وامتداداً فكان أقصرهم ستين ذراعاً وطولهم مائة ذراع بصطة حجازي وعاصم وعلى (فاذكروا آلاء الله) في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواها من عطاياه وواحد الآلاء إلى نحواني والآماء (اعلمكم تفلحون) ومعنى (١٠٩) المحي في (قالوا أجتنا) أن

يكون لهُود عليه السلام مكان مع نزل عن قومه يتحنن فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى إليه جاء قومه يدعوهم (لنعبد الله وحده وننذر ما كان يعبد آباؤنا) أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معهم حينئذ ما نشأوا عليه (فاتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) ان العذاب نازل بنا (قال قد وقع) أي قد نزل (عابكم) جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان (من ربكم رجس) عذاب (و غضب) سخط (أتجادلوني) في أسماء سميتموها) في أشياء ما هي الأسماء ليس تحتمل اسميات لانكم تسمون الأصنام آلهة وهي خالية عن معنى الألوهية (أتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) حجة (فاتظروا) نزول العذاب

(أمين) يعني على تبليغ الرسالة وأداء النصح والأمين الثقة على مائة من عليه حكى الله عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال وأنصح لكم وحكى عن هود عليه الصلاة والسلام انه قال وأنا لكم ناصح فالاول بصيغة الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجديد النصيحة ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلا ونهارا كما أخبر الله عنه بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وأنصح لكم وأما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتادون وقت فلهاذا قال وأنا لكم ناصح أمين والمدح للنفوس باعظم صفات المدح غير لائق بالعقلاء وانما فعل هود ذلك وقال هذا القول لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك وصدوره الرد عليهم في قلوبهم وانما ذلك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه أمين في تبليغ ما أرسل به من عند الله ففيه تقرر للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه في موضع الضرورة الى مدحها (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) يعني عجبتم أن نزل الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم بأس ربكم ويخوفكم عقابه (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) يعني واذكروا انعمة الله عليكم اذا هلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم في الأرض (وزادكم في الخلق بسطة) يعني طولاً وقوة قال الكبي والسدي كانت قائمة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعاً وقيل سبعين ذراعاً وعن ابن عباس رضي الله عنهما مائة ذراعاً وقال مقاتل اثني عشر ذراعاً وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة (فاذكروا آلاء الله) يعني نعم الله وفيه اضمار تقديره فاذكروا انعمة الله عليكم واعمالوا عملاً يليق بذلك الانعام وهو أن تؤمنوا به وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة الأصنام (اعلمكم تفلحون) يعني لكي تفوزوا بالفلاح وهو البقاء في الآخرة (قالوا) يعني قال قوم هود مجيبين له (أجتنا) يهود (لنعبد الله وحده وننذر ما كان يعبد آباؤنا) يعني من الأصنام (فاتنا بما تعدنا) يعني من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعني في قولك انك رسول الله (قال) يعني قال هود مجيباً لهم (قد وقع) يعني نزل ووجب (عليكم من ربكم رجس و غضب) أي عذاب وسخط (أتجادلوني) يعني أنا خصموني (في أسماء سميتموها أتم وآباؤكم) يعني وضعتم لها أسماء من عند أنفسكم والمراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار عليهم لانهم سموها الأصنام بالآلهة وذلك معدوم فيها (ما نزل الله بها من سلطان) يعني من حجة وبرهان على هذه التسمية وانما سميتموها أتم من عند أنفسكم بغير دليل (فاتظروا) يعني العذاب (ان معكم من المنتظرين) يعني نزول العذاب بكم (فاتنجيناه) يعني فاتنجينا هوداً عند نزول العذاب بقومه (والذين معه برحمة منا) يعني وأنجينا أتباعه الذين آمنوا به وصدقوه لانهم كانوا مستحقين للرحمة (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) يعني وأهلكنا الذين كذبوا هوداً من قومه وأراد بالآيات معجزات هود عليه الصلاة والسلام الدالة على صدقه وهذا هلاك استئصال فهل كواجيباً ولم يبق منهم واحد (وما كانوا مؤمنين) يعني لانهم لم يكونوا صدقين بالله ولا برسوله هود عليه الصلاة والسلام

ذ كرفصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق وأصحاب السير والخبار

قالوا جميعاً كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله تعالى فيهم هوداً عليه الصلاة والسلام الاحقاف

(ان معكم من المنتظرين) ذلك (فاتنجيناه والذين معه) أي من آمن به (برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) الدابر الاصل أو الكائن خلف الشيء وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين) فائدة نفي الايمان عنهم مع اثبات التكذيب بآيات الله الاشعار بان اهلاك خص المكذبين وقصتهم ان عاداً قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضر موت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصموداً والهاء فبعث الله اليهم هوداً فكذبوه فامسك القطر عنهم ثلاث سنين وكانوا اذا نزل بهم بلاء طابوا الى الله الفرغ منه عند

والاحقاف الرمل فيما بين عمان وحضر موت من أرض اليمن وكانوا قد فسقوا في الأرض كلها وقهر وأهلها  
 بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا أصحاب أو ثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صداء  
 وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله عز وجل فيهم هوذا عليه الصلاة والسلام وهو من أوسطهم  
 نسبا وأفضلهم موضعا فامرهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الهة غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يامرهم  
 بغير ذلك فيما ذكر فابوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد مناقرة واتبعه منهم ناس فآمنوا به وهم يسير يكتمون  
 إيمانهم وكان ممن صدقه وآمن به رجل يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتنأ إيمانه فلما عتوا على الله  
 وكذبوا نبينهم وأكثروا في الأرض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية واتخذوا المصانع لعلمهم بخلدون فلما  
 فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء  
 وجهدي يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام بمكة مؤمنهم ومشركيهم وكان يجمع بمكة ناس  
 كثير مختلفة أديانهم وكل معظم مكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفا مكانه من  
 الحرم وكان سكان مكة يومئذ العماليق وانما سمو العماليق لان أباهم كان عمليق بن لاوز بن سام بن نوح  
 وكان سيد العماليق يومئذ يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية كاهنة بنت الخيري وهو رجل  
 من عاد وكانت عاد أخوال معاوية سيد العماليق فلما حطت عاد وقل عنهم المطر قالوا اجهزوا منكم وفد الى  
 مكة ليستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قبيلا بن عزرو نعيم بن هزال من هذيل وعقيل بن صند بن عاد  
 الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسالما يكتنأ اسلامه وجلهمة بن الخيري خال معاوية بن بكر سيد  
 العماليق ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه جماعة من قومه فبلغ عدد وفد عاد سبعين  
 رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فانزلهم وأكرمهم وكانوا  
 أخواله وأصهاره فاقاموا عنده شهر ايشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهم اقينتان لمعاوية بن بكر فلما رأى  
 معاوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه  
 وقال هلك أخوالي وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفى نازلون على الله ما أدري كيف أصنع فاني  
 أستحي ان آمرهم بالخروج لما بعثوا اليه فيظنوا أنه ضيق منى بمكانهم عندي وقد هلك من وراءهم من  
 قومهم جهدا وعطشا قال وشكى ذلك من أمرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا تغنيهم به ولا يدرون من  
 قاله لعل ذلك أن يحركهم فقال معاوية

بيته الحرام فاوفدوا اليه  
 قيل بن عزرو نعيم بن هزال  
 ومرثد بن سعد وكان يكتنأ  
 إيمانه بهود عليه السلام  
 وأهل مكة اذ ذاك العماليق  
 أولاد عمليق بن لاوز بن  
 سام بن نوح وسيدهم  
 معاوية بن بكر فنزلوا عليه  
 بظاهر مكة فقال لهم مرثد  
 لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود  
 فغلبوا مرثدا وخرجوا  
 فقال قيل اللهم اسق عاد ما  
 كنت تسقهم فانشأ الله  
 سحبات ثلاثا بيضاء وجراء  
 وسوداء ثم ناداه مناد من  
 السماء يا قبيلا اختر لنفسك  
 ولقومك فاختر السوداء  
 على ظن انها أكثر  
 ماء فخرجت على عاد من  
 وادهم فاستبشروا وقالوا  
 هذا عارض ممطرنا فجاؤهم  
 منهار يج عقيم فاهلكهم  
 ونجا هود والمؤمنون معه  
 فاتوا مكة فعبدوا الله فيها  
 حتى ماتوا

ألا يا قبيلا ويحك قم فهينم \* لعل الله يسقينا غماما \* فيسقى أرض عادان عادا  
 قد امسوا لا يبينون الكلاما \* من العطش الشديد فليس نرجو \* به الشيخ الكبير ولا الغلاما  
 وقد كانت نساؤهم بخير \* فقد أمست نساؤهم أياى \* وان الوحش تائبهم جهارا  
 ولا تخشى اعادى ساهاما \* وأنتم ههنا فيما اشتهيتم \* نهاركم وليلكم تماما  
 فقبح وفدكم من وفد قوم \* ولاتقوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية هذا الشعر وغنتهم به الجرادتان وعرف القوم ما غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم  
 قومكم ليتغوثوا بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا قومكم فقال  
 مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لاتسقون بدعائكم ولكن ان أطعمت نبيكم وتبتم الى ربكم سقيتم وأظهر  
 اسلامه عند ذلك وقال في ذلك

عصت عاد رسو لهم فامسوا \* عطاشا ماتلهم السماء  
 لهم صنم يقال له صمود \* يقابله صداء والهباء  
 فبصرنا الرسول سبيل رشد \* فابصرنا الهدى وجلى العماء

وان اله هود هو الهى \* على الله التوكل والرجاء  
 زادنى رواية لقد حكم الاله وليس جورا \* وحكم الله ان غلب الهواء  
 على عاد وعاد شرف يوم \* فقد هلكوا وليس لهم بقاء  
 وانى لن أفارق دين هود \* طوال الدهر أو يأتى الفناء

فقال جلهممة بن الخبيرى مجيبا لمرثد بن سعد حين فرغ من مقاتته وعرف انه اتبع دين هود وآمن به

ألا يا سعد انك من قبيل \* ذوى كرم وأمك من نمود  
 فانا لانطيعك ما بقينا \* ولستنا فاعلين لما تريد  
 أنأمرنا لنترك دين وفد \* ورميل والصداء مع الصمود  
 ونترك دين آباء كرام \* ذوى رأى وتبوع دين هود

لابخني ماني قافية البيت  
 الثانى

ثم قال جلهممة لمعاوية بن بكر وأبيه بكر احبسا عنا مرثدا فلا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا  
 ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها العاد فلما اولوا الى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى  
 أدركهم بمكة قبل أن يدعو الله بشئ مما خرجوا اليه فلما انتهى اليهم قام يدعو الله وبها وفد عاد يدعو ففقال  
 مرثد اللهم أعطني سولى وحدى ولا تدخلني فيما يدعوك به وفد عاد وقام قيل بن عنز رأس وفد عاد يدعو ففقال  
 اللهم أعط قبيلا ما سألك وقال الوفد معه واجعل سوئنا مع سوئله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد وكان  
 سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعواتهم قام لقمان فقال اللهم انى جئتك وحدى فى حاجتى فاعطني سولى وسأل  
 طول العمر فعمر عمر سبعة أشهر وقال قيل بن عنز حين دعا بالهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا  
 فانشأ الله تعالى سحائب ثلاثا بيضاء وجرأ وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لقومك ولنفسك من  
 هذه السحائب فقال قيل قد اخترت السجاية السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا  
 رمدد الا يبقى من آل عاد أحد واساق الله تعالى السجاية السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النعمة الى  
 عاد حتى خرجت عايتهم من وادهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله  
 عز وجل بل هو ما استججتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ أى كل شئ صرت به بامر ربها وكان أول من  
 أبصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها من العذاب صاحت ثم  
 صعقت فلما ان أفاقوا قالوا لها ماذا رأيت قالت رأيت الريح فيها كسهب النار أمامها رجال يقولونها  
 فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من آل عاد أحد الا أهلكته واعتزل هود ومن  
 معه من المؤمنين فى حظيرة ما يصبه ومن معه من الريح الاماتلين عليه الجلود وتلدبه الانفس وانها فى قوتها  
 لتر بالظعن من عاد فتحم لهم بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية  
 ابن بكر فنزلوا عليه فيبيناهم عنده اذا قبل اليه رجل على ناقة فى ليلة مقمرة وذلك مساء ثالثة من مصاب عاد  
 فاخبرهم الخبر فقالوا له أين فارقت هودا أو صحابه فقال فارقتهم بساحل البحر وكانهم شكوا فيما حدثهم به  
 فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدى بعث الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دنت  
 منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما رأوها تبادروا الى البيوت فدخلوها  
 وأغلقوا الابواب فجاءت الريح فقلعت ابوابهم ودخات عليهم فاهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما  
 أهلكتهم أرسل الله عليهم طيرا أسود فنقلهم الى البحر فالتقاهم فيه وقيل ان الله تعالى أمر الريح فأمالت  
 عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم  
 الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم فى البحر ولم تخرج ريح قط الا بكيال الا يومئذ فانها عمت على الخزنة فغلبتهم فلم  
 يعلموا كم كان مكيالها وفى الحديث انما خرجت على مثل خرق الخاتم وقيل ان مرثد بن سعد ولقمان بن

بتأويل القبيلة وقيل  
سميت ثمود لقلة ماؤها من  
التمد وهو الماء القليل  
وكانت مساكنهم الحجر  
بين الحجاز والشام (أخاهم  
صالحا قال يا قوم اعبدوا الله  
مالكم من الغيرة قد  
جاءتكم بينة من ربكم)  
اي ظاهرة شاهدة على صحة  
نبوتى فكانه قيل ما هذه  
البينة فقال (هذه ناقة الله)  
وهذه اضافة تخصيص  
وتعظيم لانها بتكويته تعالى  
بلا صلب ولا رحم (لكم  
آية) حال من الناقة  
والعامل معنى الاشارة فى  
هذه كانه قيل أشير اليها  
آية ولكم بيان لمن هي له  
آية وهي ثمود لانهم عاينوها  
(فدروها) تأكل فى أرض  
الله (أى الارض أرض الله  
والناقة ناقة الله فدروها  
تأكل فى أرض ربها من  
نبات ربها فليس عليكم  
مؤنتها) (ولا تمسوها بسوء)  
ولا تضربوها ولا تعفروها  
ولا تطردوها اكراما لآية  
الله (فياخذكم) جواب  
الهمى (عذاب أليم  
واذكروا اذ جعلكم خلفاء  
من بعد عاد وبوأكم)  
ونزلكم المباءة المنزل (فى  
الارض) فى أرض الحجر بين  
الحجاز والشام (تتخذون  
من سهولها قصورا) غرفا  
للصيف (وتنحتون الجبال  
بيوتا) للشاء وبيوتا حال

عاد وقيل ابن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم قد أعطيتكم منكم فاختروا والانفسكم غير أنه لا سبيل الى الخلود ولا بد من  
الموت فقال مرثد اللهم اعطنى برا وصدقا فاعطى ذلك وقال لقمان اللهم اعطنى عمرا فقيل له اختر فاختر عمر  
سبعة أنسرف كان يأخذ الفرخ حين يخرج من البيضة وكان يأخذ الذكرا فونه فير به حتى يموت فاذا مات  
أخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور  
اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه وأما قيل فانه اختار لنفسه ما يصيب قومه فقتل له انه اهلك فتال لأبالي  
لا حاجة لى فى البقاء بعد قومى فاصابه الذى أصاب عاد اهلك ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستقون  
لعاد فانت الريح لما خرجوا من الحرم فاهلقتهم جميعا فاما أهل الله عاد ارنحل هو دود من معه من المؤمنين من  
أرضهم بعد هلاك قومه الى موضع يقال له الشجر من أرض اليمن فنزل هناك ثم أدركه الموت فدفن بارض  
حضر موت يروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان قبره ودعا به الصلاة والسلام بحضر موت فى كتيب  
أجر وقال عبد الرحمن بن شبابة بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبره دود وصالح وشعيب  
واسمه عيل عليهم الصلاة والسلام فى تلك البتعة ويروى ان كل نبي من الانبياء اذا هلك قومه جاء هو والصالحون  
من قومه معه الى مكة يعبدون الله تعالى حتى يموتوا بها قوله عز وجل (والى ثمود أخاهم صالحا) يعنى وأرسلنا  
الى ثمود وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جد يس بن عابر وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز  
والشام الى وادى القرى وما حوله ومعنى الكلام والى بنى ثمود أخاهم صالحا لان ثمود قبيلة قال أبو عمرو بن  
العلاء سميت ثمود لقبلة ماؤها والتمد الماء القليل وقيل سموا ثمود باسم أبيهم الذى ينسبون اليه أخاهم صالحا  
يعنى فى النسب لافى الدين وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود (قال يا قوم اعبدوا  
الله مالكم من الغيرة) يعنى قال لهم صالح حين أرسله الله تعالى اليهم يا قوم وحدوا الله تعالى ولا تشركوا به شيئا  
فما لكم من اله يستحق أن يعبد سواه (قد جاءكم بينة من ربكم) يعنى جاءكم حجة من ربكم وبرهان على صدق  
ما أقول وأدعوا اليه من عبادة الله تعالى وأن لا تشركوا به شيئا وعلى تصديق باقى رسول الله اليكم ثم فسر تلك  
البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) يعنى علامة على صدق قول العلماء رحيم الله تعالى ووجه كون هذه الناقة  
آية على صدق صالح ومجزة له خارقة للعادة أنها خرجت من صخرة فى الجبل وكونها لا من ذكروا من أنتى  
وكال خلقها من غير رجل ولا ندر يح لانها خلقت فى ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب يوم  
ولجميع قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من المعجزة أيضا لان ناقة تشرب ما تشربه قبيلة معجزة وكانوا يحلبونها فى  
يوم شرب بها قدر ما يكفيهم جميعهم ويقوم لهم مقام الماء وهذا أيضا معجزة وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات  
كانت تمتنع من شرب الماء فى يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الماء فى غير يوم الناقة وهذا أيضا معجزة وانما  
أضافها الى الله تعالى فى قوله هذه ناقة الله على سبيل التفضيل والتشريف كما يقال بيت الله وقيل لان الله تعالى  
خالقها بغير واسطة ذكروا أنتى وقيل لانه لم يملكها أحد الا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح  
(فدروها) تأكل فى أرض الله) يعنى فدروا الناقة تأكل العشب من أرض الله فان الارض لله والناقة ايضا  
لله وايس لكم فى أرض الله شئ لانه هو الذى أنبت العشب فيها (ولا تمسوها بسوء) يعنى ولا تطردوها ولا  
تضربوها بشئ من أنواع الاذى ولا تعفروها (فياخذكم عذاب أليم) يعنى بسبب عقرها وأذاها  
(واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) يعنى ان الله أهلك عاد وجعلكم خلفونهم فى الارض وتعمرونها  
(وبوأكم) يعنى وأسكنكم وأنزلكم (فى الارض) تتخذون من سهولها قصورا) يعنى تبنيون القصور  
من سهولة الارض لان القصور انما تبني من اللبن والآجر المتخذ من الطين السهل اللين (وتنحتون الجبال  
بيوتا) يعنى وتشقون بيوتا من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبل فى الشتاء وهذا يدل  
على أنهم كانوا متنعمين مترفهين (فاذكروا آلاء الله) أى فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروا عليها





وفيه فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أقواما قد جيفوا فقال ما أتم باسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون  
وقيل انما خاطبهم صالح بذلك ليكون عبرة لمن يأتي من بعدهم فينجز عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها  
﴿ ذكر قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحق ووهب بن منبه وغيرهما من أصحاب السير والخبار ﴾  
قالوا جميعا ان عاد الماهلكت وانقضى أمرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فدخلوا فيها وكثروا  
وعمر واخترى ان أحدهم ليبنى المسكن من المدر فينهدم والرجل حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا  
وكانوا في سعة من العيش والرخاء ففتوا وأفسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله تعالى اليهم صالحا  
نبيا وكانوا قوماعر با وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله تعالى اليهم وهو غلام فلم يزل  
يدعوهم الى الله تعالى والى عبادته حتى شمت وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح  
بالدعاء والتبليغ وأكثرتهم التحذير والتخويف سألوه ان يرهم آية تكون مصداقا على ما يقول فقال  
صالح أي آية تريدون فقالوا نخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه أصنامهم وذلك في يوم معلوم  
من السنة وقالوا تدعوا هلك وتدعوا آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعنا فقال لهم  
صالح نعم فخرجوا باصنامهم الى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا أو ثامنهم وسألوها ان لا يستجاب لصالح في  
شيء مما يدعوا به ثم قال جندع بن عمرو بن حراش وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة  
لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكائبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشرة والمخترجة ماشا كانت  
البعث من الابل فان فعات آمنابك وصدقناك فاخذ عليهم صالح موثيقهم لئن فعلت لتصدقني ولتؤمنن بي  
قالوا نعم قال فصلى صالح عليه الصلاة والسلام ركعتين ودعا به عز وجل فتمحضت الصخرة كما تمحض  
التوج بولدها ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشرة جوفاء وبراء كما سألوها ووصفوا غير أنه لا يعلم ما بين جنديها  
الا الله عز وجل عظما وهم ينظرون اليها ثم نجت سقبا مثلها في العظم فأمن به جندع بن عمرو ورهط معه من  
قومه وأراد بقية أشراف ثمود ان يؤمنوا به وصدقوه فنعهم ذؤاب بن عمرو بن لييد والحباب وكانا صاحبي  
أو ثامنهم وورباب بن ضمير وكان كاهنهم وكانوا من أشراف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال لهم صالح  
هذه ناقة لها ثرب ولكم ثرب يوم معلوم فكثرت الناقة ومعها سقبا في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء  
وكانت ترد الماء غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت رأسها في بئر في الحجر يقال لها بئر الناقة فترفع رأسها حتى  
تشرب كل ما فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع رأسها فتعجج لهم فيحلبون ماشاؤا منها من ابن فيشربون  
ويدخرون حتى يملؤا أو انهم كاهنهم تصدر الناقة من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر ان تصدر من حيث  
وردت حتى اذا كان من الغد كان يوم ثمود فيشربون ماشاء الله من الماء ويدخرون ماشاؤا ليوم  
الناقة فهم على ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر يظهر الوادي فتهرب منها  
مواشيهم الابل والبقر والغنم فهبط الى بطن الوادي فتكون في حره وجده واذ كان الشتاء  
فتشتو الناقة في بطن الوادي فتهرب المواشي الى ظهره فتكون في البرد والجذب فاضر ذلك بمواشيهم  
للامر الذي يريد الله بهم والبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم ففتوا عن أمرهم وحملهم ذلك  
على عقور الناقة فاجعوا على عقورها وكانت امرأتان من ثمود يقال لهما عذرا بنت غانم بن مخلد  
وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهي امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل  
وبقر وغنم والمرأة الاخرى يقال لها صدقة بنت المختار وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة وكانت من أشد  
الناس عداوة لصالح عليه الصلاة والسلام وكانتا تحبان عقور الناقة لما أضرت بمواشيها فتحيلتا في عقور الناقة  
فدعت صدقة رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فأبى عليها فدعت  
ابن عم لها يقال له مصدع بن مهزج بن الحيا وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس

منيحة تدرأ الفضيحة  
ولكنها وخيمة تورث  
السخيمة روى ان عقرهم  
الناقة كان يوم الاربعاء  
فقال صالح تعيشون بعده  
ثلاثة أيام تصفرو وجوهكم  
أول يوم وتحمر في الثاني  
وتسود في الثالث ويصيبكم  
العذاب في الرابع وكان  
كذلك روى أنه خرج في  
مائة وعشرة من المسلمين  
وهو يبكي فلما علم أنهم  
هلكوا رجع بمن معه  
فسكنوا ديارهم

وجهها وأكثروها ما لا فاجها إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلاً أحراراً زرق قصيراً  
 ويزعمون أنه كان ابن زانية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه فقالت عنيزة لقدار أي بناتي شئت  
 أعطيتك على أن تعقر الناقة وكان قدار عز يزامني عافى قومه (ق) عن عبد الله بن زمعة رضي الله تعالى عنه  
 أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ  
 انبعث أشقاه انبعث لها رجل عز يزاعرم منيع في رهطه مثل أبي زمعة قوله انبعث أي قام بسرعة والعارم  
 الخبيث الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع الممتنع ممن أراده قال أصحاب الأخبار فانطلق  
 قدار بن سالف ومصدع بن مهزج فاستنقرا غواة ثم ودفا تبعهم سبعة نفر فكانوا تسع رهط فانطلق قدار  
 ومصدع وأصحابهما فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها وكمن  
 لها مصدع في أصل صخرة أخرى ففرت على مصدع فرماها بسهم فانتظمت في عضلة ساقيها فخرجت أم غنم عنيزة  
 وأميرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت من أحسن الناس وجهاً ليراها قدار ثم حثته على عقرها وأغرته به  
 فشد قدار على الناقة بالسيوف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رعاة واحدة فتصدرت بها من الجبل ثم طعن  
 قدار في لبتها فنحرتا فخرج أهل البلاد فاقسموا لهما فلما رأى سقمها ذلك انطلق هار باحتي أتى جبلاً منيعاً  
 يقال له صور ووقيل قارة وأتى صالح عليه الصلاة والسلام فقبل له أدرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوها وخرج  
 أهل البلدة يتلقونه ويعتدرون إليه ويقولون يا بني الله أنما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظر واهل  
 تدركون فصـيلها فان أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فرأوه على الجبل فذهبوا  
 ليأخذوه فآوحى الله تعالى إلى الجبل أن تطاول فتطاول حتى ماتت الطير وجاء صالح عليه الصلاة والسلام  
 فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثاً ثم انفجرت الصخرة فدخاها فقال صالح لكل رعاة أجل  
 يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحق تبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين  
 عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهزج وأخوه ذؤاب فرماهم مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جذبته فانزله وألقوا  
 لحمه مع لحم أمه وقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام اتهمكم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم  
 يهزؤون به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الأيام في ذلك الوقت الاحد أول والاثنين أهون  
 والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروية والسبت شبار وكانوا عقروا الناقة يوم  
 الاربعاء فقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام حين قالوا ذلك تصبحون غداً يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم  
 تصبحون يوم العروية ووجوهكم حمرة ثم تصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول  
 فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلموا فقتلناهم قالوا لا نقتلناهم قبلنا وان كان  
 كاذباً كنا قد أحقنا بناقته فأتوه ليلا ليقتلوه في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطوا على أصحابهم  
 أتوا منزل صالح عليه الصلاة والسلام فوجدوهم وقد رضخوا بالحجارة فقالوا الصالح أنت قتلتهم ثم هموا به  
 فقامت عشيرته دونه وقالوا لا تقتلوه أبداً فإنه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقاً لم تزدوا  
 ر بكم الا غضبا عليكم وان كان كاذباً فاتم وراء ما تريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحوا يوم الخميس  
 ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكركم وأنثاهم فاقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحاً  
 قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم ولحق يحيى من بطون ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم  
 واسمه نقييل ويكنى بابي هذب وهو مشرك ففزع صالحاً فلم يقدروا عليه وكانوا عمداً إلى أصحاب صالح ليدلوهم  
 عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يا بني الله انهم يعدون نالندهم عليك أفندهم عليك  
 قال نعم فدلوهم عليه فاتوا بأهدب فكاموه في أمر صالح فقال هو عندي وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه  
 وتركوه وشغلهم ما نزل بهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضاً بما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا

باجمعهم الاقد مضى يوم من الاجل فلما أصـ بحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محجرة كأنها خضبت بالدم  
 فصاحوا وضجوا وبكوا وأيقنوا أنه العذاب فلما أمسوا صاحوا باجمعهم الاقد مضى يومان من الاجل  
 وحضر كم العذاب فلما أصـ بحوا في اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنها طليت بالقار فصاحوا جيعا ألاما  
 قد حضر كم العذاب فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح عليه الصلاة والسلام ومن أسلم معه من بين أظهرهم  
 الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما أصـ بحوا في اليوم الرابع تكفنا وتحنطوا وألقوا بانفسهم الى الارض  
 يقلبون أبصارهم الى السماء مرة الى الارض مرة لا يدرون من أين ياتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من  
 يوم الاحد أتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الارض فتقطعت  
 قلوبهم في صدورهم وهلكوا جميعا الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سالف وكانت كافرة شديدة العداوة  
 لصالح عليه الصلاة والسلام فاطلق الله تعالى رجلها بعدما عاينت العذاب وما أصاب ثمود فخرجت مسرعة  
 حتى أتت وادي القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذي بثمود ثم استقت ماء فسقيت فلما شربت ماتت  
 في الحال وذكروا السدي في عقر الناقة فقال أوحى الله عز وجل الى صالح عليه الصلاة والسلام ان قومك  
 سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال صالح انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها  
 فيكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الاقتناءه قال فولدت تسعة منهم في ذلك الشهر أولاد  
 فدبحوهم ثم ولد للعاشر ولد فاني أن يذبحه لانه كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد الذي ولده أجر أزرق  
 فنبت نباتا سر يعاف كان اذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا الغلام فغضب  
 التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أبنائهم فتقاسموا بالله يعني فتحالفوا بالله لئلا يمتنوا وأهله وقالوا نخرج  
 فنرى الناس اننا قد خرجنا الى سفر فنأتى الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده  
 أتينا فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكون فيه حتى نتصرف الى رحلتنا فنقول ماشهدنا مهلك أهله وانا  
 اصادقون فيصدقوننا فيظنون اننا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية بل كان يبيت  
 في مسجده خارج القرية فاذا أصبح أتاهم فيعظهم ويذكرهم فاذا أمسى خرج الى مسجده فيتعبد فيه  
 قال فانطلق التسعة الى الغار فدخلوا فسقط عليهم فقتلوا فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على أمرهم  
 لينظر واما فعل أولئك النفر فرأوهم وهم رضع فرجعوا الى القرية يصيحون ماضى صالح بقتل أولادهم  
 حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق كان التسعة قد تقاسموا على تبئيت صالح بعد  
 عقر الناقة وقال السدي وغيره لما ولد للعاشر ولد سماه بقدر فكان يشب سر يعا فلما كبر جلس مع  
 أناس يشربون الخمر فارادوا ماء ليمزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد  
 شربه الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نضع نحن بلين هذه الناقة ولو كنا نأخذ هذا الماء الذي تشر به الناقة  
 فنسقيه لانعامنا وزرعنا كان خيرا لنا وقال ابن العاشر هل لكم ان أعقرها لكم قالوا نعم فعقرها (ق) عن  
 ابن عمر رضي الله عنهما قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا  
 أنفسهم ان يصيبكم ما أصابهم الا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادي وفي رواية  
 لمسلم لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ثم ذكر مثله ولهما عنه ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على  
 الحجر أرض ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهرقوا ما  
 استقوه ويعلفوا الابل العجين وأمرهم ان يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة وللبخاري ان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من آبارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجننا  
 منها واستقينا فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يطحروا ذلك العجين ويهرقوا ذلك الماء وفي بعض  
 الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوهم الآيات

(ولو طأذقال لقومه) أي واذ كر لوطا واذ بدل منه (أتأتون الفاحشة) أنفعلون السيئة المتعدية في القبيح (ماسبقتكم بها) ما عملها قبلكم والباء للتعدية ومنه قوله عليه السلام سبقتكم بها عاكشة (من أحد) من زائدة (١١٧) لتأكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق

(من العالمين) من للتبعض  
وهذه جملة مستأنفة أنكر  
عليهم أولا بقوله أتأتون  
الفاحشة ثم ونجهم عايبها  
فقال أتم أول من عملها  
وقوله تعالى (أنتم  
لتأتون الرجال) بيان  
لقوله أتأتون الفاحشة  
والهمزة مثلها في أتأتون  
للا نكار أنكم على الاخبار  
مدني وحفص يقال أتى  
المرأة إذا غشيها (شهوة)  
مفعول له أي للاشتهاء  
لاحامل لكم عليه الاجرد  
الشهوة ولا ذم أعظم منه  
لانه وصف لهم بالبهيمية  
(من دون النساء) أي  
لامن النساء (بل أتم قوم  
مصرفون) أضرب عن  
الانكار الى الاخبار عنهم  
بالحال التي توجب ارتكاب  
القبايح وهو انهم قوم  
عادتهم الاسراف وتجاوز  
الحدود في كل شيء فمن ثم  
اسرفوا في باب قضاء الشهوة  
حتى تجاوز المعتاد الى غير  
المعتاد (وما كان جواب  
قومه الا أن قالوا آخر جوهم  
من قريبتكم) أي لوطا  
ومن آمن معه يعني ما أجابوه  
بما يكون جوابا عما  
كلهم به لوط من انكار  
الفاحشة ووصفهم بصفة  
الاسراف الذي هو أصل

فبعث الله الناقة فكانت تزد من هذا الفرج وتصدر من هذا الفرج وتشرب ماءهم يوم ورودها وأراهم مرتقى  
الفصيل من القارة فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فهاك الله من تحت أديم السماء منهم في مشارق الارض  
ومغارها الارجل واحد يقال له ابو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله فحرم الله تعالى من عذاب الله  
فما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر  
أبي رغال فنزل القوم وابتدروه باسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المؤمنة من قوم  
صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح الى حضرموت فلما دخلوها مات صالح فسمى حضرموت ثم بنوا أربعة  
آلاف مدينة وسموها حضورا وقال قوم من أهل العلم توفي صالح عليه الصلاة والسلام بمكة وهو ابن ثمان  
وخمسين سنة وأقام في قومه عشرين سنة قوله تعالى (ولو طأ) يعني وأرسلنا لوطا وقيل معناه واذ كر يا محمد  
لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ وهو ابن أخي ابراهيم وابراهيم عمه (اذ قال لقومه) يعني أهل سدوم واليهيم  
كان قد أرسل وذلك ان لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام الى الشام فنزل  
ابراهيم عليه الصلاة والسلام أرض فلسطين ونزل لوط الاردن أرسله الله تعالى الى أهل سدوم يدعوهم الى الله  
تعالى وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله تعالى (أتأتون الفاحشة) يعني أنفعلون الفعل الخبيث التي هي غاية  
في القبيح وكانت فاحشتهم اتيان الذكران في أدبارهم (ماسبقتكم بها من أحد من العالمين) من الاولى زائدة  
لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعض والمعنى ماسبقتكم أيها القوم بهذه الفعل الفاحشة  
أحد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع على فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما نزا  
ذكر على ذكر في الدنيا الا كان من قوم لوط (أنتم لتأتون الرجال) يعني في أدبارهم (شهوة من دون  
النساء) يعني ان أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء (بل أتم) يعني أيها القوم (قوم مسرفون)  
أي مجاوزون الحلال الى الحرام وانما ذمهم وعيرهم ووجعهم بهذا الفعل الخبيث لان الله تبارك وتعالى خلق  
الانسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا للشهوة وموضع النسل  
فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكأنما قد أسرف وجاوز واعتدى لانه وضع الشيء  
في غير محله وموضعه الذي خلق له لان أدبار الرجال ليست محلا للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة  
في الانسان وكانت قصة قوم لوط على ما ذكره محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار والسير انه كانت قري  
قوم لوط محصبة ذات زروع وثمار لم يكن في الارض مثلها فقصدهم الناس فأذوهم وضيقوا عليهم فعرض  
لهم ابليس في صورة شيخ وقال لهم اذ فعلتم بهم كذا وكذا انجوت منهم فابوا فلما ألح الناس عليهم قصدوهم  
فاصابوا غلما ناسا ناصبا فاحبوا واستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء وقيل  
استحكم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال السكبي ان أول من عمل به عمل قوم لوط ابليس وذلك  
لان بلادهم أخصبت فقصدوها أهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب أمر دفا عالى نفسه فكان أول  
من نكح في دبره فامر الله تعالى السماء أن تحصبهم والارض أن تخسف بهم قوله عز وجل (وما كان  
جواب قومه) يعني وما كان جواب قوم لوط لوط اذ ونجهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى  
عليهم من العمل الخبيث (الا أن قالوا) يعني قال بعضهم لبعض (أخر جوهم من قريبتكم) يعني آخر جوا  
لوطا وأتباعه وأهل دينه من بلادكم (انهم أناس يتطهرون) يعني انهم أناس يتزهون عن فعلكم وعن  
أدبار الرجال لانها موضع النجاسة ومن تركها فقد تطهر وقيل ان البعد عن المعاصي والآثام يسمى طهارة  
فن تباعد عنهم فطفطهروا فلهم هذا قال انهم أناس يتطهرون أي من فعل المعاصي والآثام (فانجيناها وأهلها)

الشر ولكنهم جاؤا بشئ آخر لا يتعلق بكلامه وانصبته من الأمر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريبتهم (انهم أناس يتطهرون) يدعون  
الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث عن ابن عباس رضي الله عنهما عابوهم بما يمدح به (فانجيناها وأهلها) ومن يختص به من المؤمنين

(الامرأته كانت من الغابرين) من الباقيين في العذاب والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروى  
انها التفتت فاصابها حجر فانت (وأمرنا عليهم مطرا) وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قالوا أمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف  
بالمقيمين منهم وأمطرت حجارة (١١٨) على مسافرهم وقال أبو عبيدة أمطر في العذاب ومطر في الرحمة (فانظر كيف كان

يعني فانحينا لوطا ومن آمن به واتبعه على دينه وقيل المراد باهله المتصلون به بسبب النسب أو المراد باهله  
ابنتاه (الامرأته) يعني زوجته (كانت من الغابرين) يعني كانت من الباقيين في العذاب لانها كانت  
كافرة وقيل معناه كانت من الباقيين المعمرين قد أتى عليها دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط  
وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين  
(وأمرنا عليهم مطرا) يعني حجارة من سبع جيل قد عجت بالكبريت والنار يقال مطرت السماء وأمطرت  
وقال أبو عبيدة يقال في العذاب أمطرت وفي الرحمة مطرت (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) يعني انظر  
يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف أهل كاهم قال مجاهد نزل  
جبريل عليه السلام فادخل جناحيه تحت مدينتي قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها  
أسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم  
لكن المراد به غيره من أمته ليعتبر واما جرى على أولئك فينجزوا بذلك الاعتبار عن الافعال القبيحة  
والفواحش الخبيثة قوله عز وجل (والى مدين أخاهم شعيبا) يعني وأرسلنا الى مدين أكثر المفسرين على  
ان مدين اسم رجل وهو مدين بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يكون المعنى وأرسلنا الى ولد  
مدين ومدين اسم للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو عدي وبنو أسد وقيل مدين اسم للماء الذي كانوا عليه وقيل  
هو اسم للمدينة وعلى هذين القولين يكون المعنى وأرسلنا الى أهل مدين والصحيح هو الاول لقوله أخاهم  
شعيبا يعني في النسب لافي الدين وشعيب هو ابن ثوبان مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام قاله عطاء  
وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكيل بن يشجز بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وأم ميكيل بنت لوط  
عليه السلام وقيل هو شعيب بن يثرون بن ثوبان مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان شعيب أعمى وكان  
يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكان قومه أهل كفر وبخس في المكيل والميزان (قال) يعني  
شعيب (يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءكم بينة من ربكم) يعني قد جاءكم بينة وبرهان من ربكم  
بحقيقة ما أقول وصدق ما أدعى من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد لكل نبي من معجزة تدل على صدق ما جاء  
به من عند الله غير ان تلك المعجزة التي كانت لشعيب لم تذكر في القرآن وليست كل آيات الانبياء مذكورة في  
القرآن وقيل أراد بالبينه محي شعيب بالرسالة اليهم وقيل أراد بالبينه الموعظة وهي قوله (فاوفوا الكيل  
والميزان) يعني فأنمو الكيل والميزان وأعطوا الناس حقوقهم وهو قوله (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) يعني  
لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها فطففوا الكيل والوزن يقال بخس فلان في الكيل والوزن  
اذا نقصه وطففه (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) يعني بعد ان أصلحها الله تعالى ببعثة الرسل واقامة  
العدل وكل نبي يبعث الى قوم فهو صلاحهم (ذلكم) يعني الذي ذكرت لكم وأمرتكم به من الايمان بالله  
ووفاء الكيل والميزان وترك الظلم والبخس (خير لكم) يعني مما أتم عليكم من الكفر وظلم الناس (ان كنتم  
مؤمنين) يعني ان كنتم مصدقين بما أقول (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) يعني ان شعيبا قال لقومه  
الكفار ولا تقعدوا على كل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهتدون بهم على ذلك  
وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان بالله ورسوله شعيب وهو قوله تعالى  
(وتصدون عن سبيل الله من آمن به) يعني وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعيبا كذاب

عاقبة المجرمين) الكافرين  
(والى مدين) أرسلنا الى  
مدين وهو اسم قبيلة  
(أخاهم شعيبا) يقال له  
خطيب الانبياء لحسن  
مراجعته قومه وكانوا أهل  
بخس للمكاييل والموازين  
(قال يا قوم اعبدوا الله  
مالكم من اله غيره قد  
جاءكم بينة من ربكم)  
أى معجزة وان لم تذكر في  
القرآن (فاوفوا الكيل  
والميزان) أتموهما والمراد  
فاوفوا الكيل ووزن  
الميزان أو يكون الميزان  
كالعبادة بمعنى المصدر (ولا  
تبخسوا الناس أشياءهم)  
ولا تنقصوا حقوقهم  
بتطفيف الكيل ونقصان  
الوزن وكانوا يبخسون  
الناس كل شئ في مبايعتهم  
وبخس يتعدى الى  
مفعولين وهما الناس  
وأشياءهم تقول بخست  
زيدا حقه أى نقصته اياه  
(ولا تفسدوا في الارض  
بعد اصلاحها) بعد اصلاح  
فيها أى لا تفسدوا فيها بعد  
ما أصلح فيها الصالحون من  
الانبياء والاولياء وضافته  
كإضافة بل مكر الليل  
والنهار أى بل مكركم في

الليل والنهار (ذلكم) سارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض  
(خير لكم) في الانسانية وتحسن الاحدوث (ان كنتم مؤمنين) مصدقين لي في قولي (ولا تقعدوا بكل صراط) بكل طريق (توعدون)  
من آمن بشعيب بالعذاب (وتصدون عن سبيل الله) عن العبادة (من آمن به) بالله وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين

(وتبغونها) وتطلبون لسبيل الله (عوجا) أي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال أي لا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وياغبين عوجا (واذ كروا اذ كنتم قليلا) اذ مفعول به غير ظرف أي واذا كروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم (فكثرتم) الله ووفر عددكم (١١٩) وقيل ان مدين بن ابراهيم

تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) آخر أمر من أفسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فانظروا (حتى يحكم الله بيننا) أي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم وهو حث للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين الى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم أو هو خطاب للفريقين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار والكافرون على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيمير الخبيث من الطيب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الجور (قال الملائكة الذين استكبروا من قومه ان يخرجنا من قلوبنا) ان يخرجنا من قلوبنا

وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من أتى عليهم ان شعيبا الذي تريدونه كذاب فلا يفتنكم عن دينكم (وتبغونها عوجا) يعني وتريدون اعوجاج الطريق عن الحق وعدوها عن القصد وقيل معناه وتلتمسون لها الزيغ والضلال ولا تستقيموهون على طريق الهدى والرشاد (واذ كروا اذ كنتم قليلا فكثرتم) يعني ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة أوجه كثر عددكم وكثر كم بالغنى بعد الفقر وكثر كم بالقوة بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا اقراء ضعفاء فهم بمنزلة القليل والمعنى انه كثر كم بعد القلة وأعز كم بعد الذلة فاشكروا نعمة الله تعالى عليكم وآمنوا به (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) يعني وانظر وانظر اعتبار ما نزل بمن كان قبلكم من الامم السالفة والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسوله من العذاب والهلاك وأقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف أرسل الله تعالى عليهم حجارة من السماء لعصوه وكذبوا رسوله (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا) يعني وان اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين فرقة آمنت بي وصدقتم برسالتي وفرقة كذبت وجحدت رسالتي (فاصبروا) فيه وعيد وتهديد (حتى يحكم الله بيننا) يعني حتى يقضى الله ويفصل بيننا فيعز المؤمنين المصدقين وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم (وهو خير الحاكمين) يعني انه كما عادل منزعه عن الجور والميل والحيف في حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الاشخاص كما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين (قال الملائكة الذين استكبروا من قومه) يعني قال الجماعة من أشرف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) يعني أن قوم شعيب أجابوه بان قالوا لا بد من أحد أمرين اما اخرجك ومن تبعك على دينك من بلدنا أو لترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فامعنى قوله أو لتعودن في ملتنا أو جيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الايمان به على ملة أولئك الكفار فخطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه لتصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتداء كما تقول قد عاد على من فلان مكروه بمعنى قد لحقني منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه فهو كما قال الشاعر

فان تكن الأيام أحسن مدة \* الى فقد عادت لمن ذنوب

أراد فقد صارت لمن ذنوب ولم يرد ان ذنوبها كانت لمن قبل الاحسان وقوله تعالى (قال أولو كنا كارهين) أي لانعودن في ملتكم وان أكرهتمونا وأجبرتمونا على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) يعني ان شعيبا أجاب قومه اذ دعوه ومن آمن به الى العود الى ملتهم والدخول فيها فقال قد افترينا يعني قد اخترقنا على الله كذبا ونخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فساد ما تم عليه من الملة والدين وقد أنقذنا الله وخلصنا منها وبصرنا خطأها وهذا أيضا فيه من الاشكال مثل ما في الاول وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ما كان في ملتهم قط حتى يقول ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل ما جيب عن الاشكال الاول وهو أن نقول ان الله

والذين آمنوا معك من قريتنا ولتعودن في ملتنا) أي ليكونن أحد الأمرين اما اخرجكم واما عودكم في الكفر (قال) شعيب (أولو كنا كارهين) الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال شعيب (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم) وهو قسم على تقدير حذف اللام أي والله لقد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم (بعد اذ نجانا الله منها) خلاصنا الله فان قات كيف قال شعيب ان عدنا في ملتكم والكفر على الانبياء عليهم السلام محال قلت أراد عود قومه لانه نظم نفسه

في جنتهم وان كان بريئا  
 من ذلك اجراء لكلاهما  
 على حكم التغليب (وما  
 يكون لنا) وما ينبغي لنا  
 وما يصح (ان نعود فيها  
 الا ان يشاء الله بنا) الا  
 ان يكون سبق في مشيئته  
 ان نعود فيها اذ الكائنات  
 كلها بمشيئة الله تعالى خيرا  
 وشرها (وسمع ربنا كل شيء  
 علما) تميز أي هو عالم بكل  
 شيء فهو يعلم أحوال عباده  
 كيف تتحول وقلوبهم  
 كيف تنقلب (عـ) الى الله  
 توكلنا) في أن يثبتنا على  
 الايمان ويوفقنا لزيادة  
 الايقان (ربنا افتح بيننا  
 وبين قومنا بالحق) أي  
 احكم والفتاحة الحكومة  
 والقضاء بالحق بفتح الامر  
 المغلق فلذا سمي فتحا  
 ويسمى أهل عمان القاضي  
 فتاحا (وأنت خير الفاتحين)  
 كقوله وهو خير الحاكمين  
 (وقال الملأ الذين كفروا  
 من قومه ان اتبعتم شعيبا  
 انكم اذا الخاسرون) مغبونون  
 لفوات فوائدهم بالخس  
 والتطفيف باتباعه لانه  
 ينهاكم عنهما ويأمركم  
 على الايفاء والتسوية  
 وجواب القسم الذي  
 وطأته اللام في ان اتبعتم  
 وجواب الشرط انكم اذا  
 خاسرون فهو ساد مسد  
 الجوابين (فأخذتهم  
 الرجفة) الزلزلة (فأصبحوا  
 في دارهم جاثمين) ميتين

نجي قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة الا أن شعيبا نظم نفسه في جنتهم وان كان بريئا مما كانوا عليه  
 من الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معنى نجانا الله منها علمنا قبح ملتكم وفسادها فكأنه  
 خلاصنا منها وقوله تعالى اخبار عنه (وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله بنا) يعني وما يكون لنا ان  
 نرجع الى ملتكم ونترك الحق الذي نحن عليه الا ان يشاء الله بنا يعني الا ان يكون قد سبق لنا في علم الله  
 ان نعود فيها خيث يرضى قضاء الله وقدره فينا وينفذ سابق مشيئته علينا وقال الواحدى معنى العود هنا  
 الابتداء والذي عليه أهل العلم والسنة في هذه الآية ان شعيبا وأصحابه قالوا ما كنا نرجع الى ملتكم بعد ان  
 وقفنا على انها ضلالة تكسب دخول النار الا ان يريد الله اهلا كنا فامورنا راجعة الى الله غير خارجة عن  
 قبضته يسعد من يشاء بالطاعة ويشقى من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام لمشيئة الله ولم تزل  
 الانبياء والا كابر يخافون العاقبة وانقلاب الأمر الا ترى الى قول اخليل عليه الصلاة والسلام واجنبنى وبنى  
 ان نعبد الاصنام وكان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال  
 الزجاج رحمه الله تعالى المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق في علم الله ومشيئته ان نعود فيها  
 وتصديق ذلك قوله (وسمع ربنا كل شيء علما) يعني انه تعالى يعلم ما يكون قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى  
 كان عالما في الازل بجميع الاشياء فالسعيد من سعد في علم الله تعالى والشقى من شقى في علم الله تعالى (على الله  
 توكلنا) أي على الله نعتمد واليه نستند في أمورنا كلها فانه الكافي ان توكل عليه والمعنى على الله توكلنا لعل  
 غيره فكأنه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) لما أيس شعيب من  
 ايمان قومه دعاهم هذا الدعاء فقال ربنا افتح أي اقض وافصل واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعني بالعدل الذي  
 لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف (وأنت خير الفاتحين) يعني خير الحاكمين قال الفراء ان أهل عمان يسمون  
 القاضي الفاتح والفتاح وقال غيره من أهل اللغة هي لغة مرادوا نشد لبعضهم في ذلك  
 الأبلغ بنى عصم رسولا \* فاني عن فتى حكم غنى ٧

أراد انه غنى عن حاكمهم وقاضيهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما معنى قوله ربنا افتح بيننا  
 وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول تعال أفتحك يعني أقضيك وهذا قول  
 قتادة والسدي وابن جرير وجوه المفسرين ان الفاتح هو القاضي والحاكم سمي بذلك لانه يفتح أغلاق  
 الاشكال بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج وجاز ان يكون معنار بنا أظهر أمرنا حتى يفتح بيننا وبين  
 قومنا وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين  
 وعلى هذا الوجه فالفتح يراد به الكشف والتمييز (وقال الملأ الذين كفروا من قومه ان اتبعتم شعيبا) يعني  
 وقال جماعة من أشرف قوم شعيب ممن كفر به لآخرين منهم ان اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم  
 وملتكم وما أنتم عليه (انكم اذا الخاسرون) يعني انكم انجبونون في فعلكم (فأخذتهم الرجفة) يعني الزلزلة  
 الشديدة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فأرسل عليهم حر  
 شديد من جهنم فأخذ بانفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخولوا في الاسراب ليبردوا فيها فوجدوها أشد حر  
 من الظاهر فخرجوا بالبرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلمت وهي الظلة فوجدوا  
 لها بردا ونسيما فنادى بعضهم لبعض حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجا لهم ونساؤهم وصبيانهم أظلم الله  
 عليهم نار اور جفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا كاحترق الجراد في المقل و صاروا رمادا وروى أن الله  
 تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا وها قال قتادة بعث الله شعيبا الى أصحاب  
 الايكة والى أهل مدين فاما أصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما أهل مدين فأخذتهم الرجفة صاح بهم جبريل  
 عليه السلام صيحة هلكوا جميعا قال أبو عبد الله المجلى كان أبوجاد وهو زوحطى وكن وسعفص وقرشت



(الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كان لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها غنى بالمكان أقام (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كانوا هم الخاسرين) لا من قالوا لهم انكم اذا خاسرون وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه (١٢١) قيل الذين كذبوا شعيبا هم

ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الظلة اسمه كلن فلما هلك قالت ابنته شعرا تبكيه وترثيه به  
كلن هم ركني \* هلكه وسط المحلة

سيد القوم أتاه \* هلك نار تحت ظله \* جعلت نار اعليهم \* دارهم كالمضمحل

وقوله تعالى (الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها) يعني كان لم يقيموا فيها ولم ينزلوها يوما من الدهر يقال غنيت بالمكان أي أقت به والمغاني المنازل التي بها أهلها واحد ها معنى قال الشاعر  
وان قد غنوا فيها بانعم عيشة \* في ظل ملك ثابت الاوناد

أراد أقاموا فيها وقيل في معنى الآية كأن لم يعيشوا فيها متنعمين مستغنين يقال غنى الرجل اذا استغنى وهو من الغنى الذي هو ضد الفقر (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) يعني خسروا أنفسهم مهلا كهم (فتولى عنهم) يعني فاعرض عنهم شعيب شاخصا من بين أظهرهم حين أتاهم العذاب (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) يعني انه قال لهم ذلك لما تيقن نزول العذاب بقومه واختافوا هل كان ذلك القول قبل نزول العذاب أو بعده على قولين سبقا في قصة صالح عليه الصلاة والسلام وقوله (فكيف آسى) يعني أحن (على قوم كافرين) والاسى أشد الحزن وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة والايان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عزى نفسه فقال كيف أحن على قوم كافرين لانهم هم الذين أهلكوا أنفسهم باصرارهم على الكفر وقيل في معنى الآية ان شعيبا قال لقد أعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصحي فكيف أحن عليكم يعني انكم لستم مستحقين لان يحزن عليكم فعلى القول الاول انه حصل لشعيب حزن على قومه وعلى القول الثاني لم يحزن عليهم والله أعلم وقوله تعالى (وما أرسلنا في قرية من نبي) فيه اضرار وحذف تقديره فكذبوه (الاخذنا أهلها بالبأساء والضراء) قال ابن مسعود بالبأساء الفقر والضرراء المرض وهو معنى قول الزجاج فانه قال بالبأساء كل ما ناله من الشدة في أموالهم والضرراء كل ما ناله من الامراض وقيل بالبأساء الشدة وضيق العيش والضرراء الضرو وسوء الحال (لعلهم يضرعون) يعني انما فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخضوع والانقياد لامر الله عز وجل والمراد من هذه الآية ان الله عز وجل لما عرف نبيه صلى الله عليه وسلم أحوال الانبياء مع أمهم المكذبة وقص عليه من أخبارهم وعرفه سنته في الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه في هذه الآية انه قد أرسل رسالا الى أمم آخر فكذبوا رسالهم فاخذهم بالبأساء والضراء كما فعل بمن كذب رسله وفيه تحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار لينزجوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجرى تدبيره في أهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة انما يدبرهم بما يكون الى الايمان أقرب وهو قوله تعالى (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعي الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال أهل اللغة السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل فالسيئة والحسنة هنا الشدة والرخاء والمعنى انه تعالى بدل مكان البأساء والضرراء النعمة والسعة والخصب والصحة في الابدان فاخبر الله تعالى في هذه الآية انه ياخذ أهل المعاصي والكفر نارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج وهو قوله (حتى عفوا) يعني انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت أموالهم يقال عفا الشعر اذا كثروا طال قال مجاهد حتى كثرت أموالهم وأولادهم (وقالوا) يعني من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخاء والسعة (قدمس آباءنا

المخصوصون بان أهلكوا  
كان لم يقيموا في دراهم لان  
الذين اتبعوا شعيبا قد  
أنجاهم الله الذين كذبوا  
شعيبا هم المخصوصون  
بالخسران العظيم دون  
أتباعه فهم الراجحون وفي  
التكرار مبالغة واستعظام  
لتنكيد بهم ولما جرى عليهم  
(فتولى عنهم) بعد ان نزل  
بهم العذاب (وقال يا قوم  
لقد أبلغتكم رسالات ربي  
ونصحت لكم فكيف آسى)  
أحن (على قوم كافرين)  
اشتد حزنه على قومه ثم أنكر  
على نفسه فقال كيف يشتد  
حزني على قوم ليسوا باهل  
للحزن عليهم لكفرهم  
واستحقاقهم ما نزل بهم أو  
أراد لقد أعذرت لكم في  
الابلاغ والتحذير مما حل  
بكم فلم تصدقوني فكيف  
آسى عليكم (وما أرسلنا في  
قرية من نبي) يقال لكل  
مدينة قرية وفيه حذف  
أي فكذبوه (الاخذنا  
أهلها بالبأساء) بالبؤس  
والفقر (والضرراء) الضر  
والمرض لاستكبارهم  
عن اتباع نبيهم أو هما  
نقصان النفس والمال  
(لعلهم يضرعون)  
ليتضرعوا ويتذللوا

(١٦ - (خازن) - ثاني)

من البلاء والمنحة الرخاء والسعة والصحة (حتى عفوا) كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قوهم عفا النبات اذا كثروا ومنه قوله عليه السلام واعفوا للحي (وقالوا قدمس آباءنا

ويحطوا أودية الكبر (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه

من البلاء والمنحة الرخاء والسعة والصحة (حتى عفوا) كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قوهم عفا النبات اذا كثروا ومنه قوله عليه

السلام واعفوا للحي (وقالوا قدمس آباءنا

الضراء والسراء) أي قالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو يعقوبه الذنب فكونوا على ما أنتم عليه (فاخذناهم بعتة) خفاة (وهم لا يشعرون) بنزول العذاب واللام في (ولو أن أهل القرى) إشارة إلى أهل القرى التي دل عليها وما أرسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا (آمنوا) بدل كفرهم (وانقوا) الشرك مكان ارتكابه (لفتحنا عليهم) لفتحنا شامى (بركات من السماء والأرض) أراد المطر والنبات أو لا يتناهم بالخير من كل وجه (ولكن كذبوا) الأنبياء (فاخذناهم بما كانوا يكسبون) (١٢٢) بكفرهم وسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام للجنس (أفامن أهل القرى)

الضراء والسراء) يعني أنهم قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولا بآبائنا ولم يكن ماسنا من الشدة والضراء عقوبة لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء والسراء قال الله تعالى (فاخذناهم بعتة) يعني أخذناهم خفاة آمن ما كانوا ليكون ذلك أعظم لحسرتهم (وهم لا يشعرون) يعني بنزول العذاب بهم والمراد بذلك هذه القصة اعتبار من سمعها لينزجر عما هو عليه من الذنوب ﴿قوله عز وجل (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا) لما بين الله تعالى في هذه الآية الأولى ان الذين عصوا وتمردوا أخذهم بعذابه بين في هذه الآية أنهم لو آمنوا يعني بالله وبرسوله وأطاعوه فيما أمرهم به واتقوا يعني ما نهى الله تعالى عنه وحرمه عليهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) بركات السماء المطر و بركات الأرض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والأرزاق والامن والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل الله تعالى واحسانه على عباده وأصل البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء وسمى المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذلك ثبوت البركة في نبات الأرض لانه نشأ عن بركات السماء وهي المطر وقال البغوي أصل البركة المواظبة على الشيء أي تابعنا عليهم بالطر من السماء والنبات من الأرض ورفعنا عنهم القحط والجذب (ولكن كذبوا) يعني فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا بما آمنوا ولكن كذبوا يعني الرسل (فاخذناهم) يعني بأنواع العذاب (بما كانوا يكسبون) يعني أخذناهم بسبب كسبهم الأعمال الخبيثة ﴿قوله تعالى (أفامن أهل القرى) هو استفهام بمعنى الإنكار وفيه وعيد وتهديد وزجر والمراد بالقرى مكة وما حوله وقيل هو عام في كل أهل القرى الذين كفروا وكذبوا (ان ياتيهم بأسنا) يعني عذابنا (بيانا) يعني ليلا (وهم نائمون أو آمن أهل القرى أن ياتيهم بأسنا ضحى) يعني نهارا لان الضحى صدر النهار (وهم يلبسون) يعني وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من الآية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم في غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها لعب ويحتمل أن يكون المراد خوفهم في كفرهم وذلك لعب أيضا لانه يضر ولا ينفع (أفامنوا مكر الله) يعني استدرأجه اياهم بما أنعم عليهم من الدنيا وقيل المراد أن ياتيهم عذابه من حيث لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون بمعنى التحذير وسمى هذا العذاب مكر الانزوله وهم في غفلة عنه لا يشعرون به (فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون) يعني انه لا يامن أن يكون ما أعطاهم من النعمة مع كفرهم استدرأجا لامن خسروا في آخره وهالك مع الهالكين (أولم يهد) يعني أولم يبين (للذين يرثون الأرض من بعد) هلاك (أهلها) الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) يعني لو نشاء أخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم (ونطبع)

يريد الكفار منهم (أن ياتيهم بأسنا) عذابنا (بيانا) ليلا أي وقت ييات يقال يات بيانا (وهم نائمون أو آمن أهل القرى أن ياتيهم بأسنا ضحى) نهارا والضحى في الأصل ضوء الشمس اذا شرقت والفاء والواو في أفامن وأمن حرف عطف دخل عليهما همزة الإنكار والمعطوف عليه فاخذناهم بعتة وقوله ولو ان أهل القرى الى يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بعتة بعد ذلك أمن أهل القرى ان ياتيهم بأسنا بيانا وأمنوا أن ياتيهم بأسنا ضحى أو آمن شامى وحجازى عل العطف بابو والمعنى انكار الامن من أحد هذين الوجهين من اتيان العذاب ليلا وضحى فان قلت كيف دخل همزة الاستفهام على حرف لعطف وهو ينافي في الاستفهام قلت التنافي في المفرد لا في عطف جملة على جملة لانه على استئناف جملة

بعد جملة (وهم يلبسون) يشتغلون بما لا يجدي لهم (أفامنوا) تكرر ليقوله أفامن أهل القرى (مكر الله) أخذه العبد أي من حيث لا يشعرون وعن الشبلي قدس الله روحه العزيز مكره بهم تركه اياهم على ما هم عليه وقالت ابنة الربيع بن خيثم لابنها مالي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يابنتاه ان أباك يخاف البيات أراد قوله أن ياتيهم بأسنا بيانا (فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون) الا الكافرون الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا الى النار (أولم يهد) يبين (للذين يرثون الأرض من بعد أهلها) أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم (أن لو نشاء مرفوع بانه فاعل يهد وان مخففة من الثقيلة أي أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم فاهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين وانما عدى فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبين (ونطبع)

مستأنف أي ونحن نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الوعظ (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) كقوله هذا بعلي شيخنا في أنه مبتدأ وخبر وحال أو تكون القرى صفة تلك ونقص خبر أو المعنى تلك القرى المذكورة من (١٢٣) قوم نوح إلى قوم شعيب نقص

عليك بعض أنبائها وطأ أنباء غيرهم لم نقصها عليك (واقدم جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فما كانوا يؤمنوا) عند مجيء الرسل بالبينات (بما كذبوا من قبل) بما كذبوا من آيات الله من قبل مجيء الرسل أو فمما كانوا يؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أو لاحقين جاءتهم الرسل أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين مع تتابع الآيات واللام لتأكيد النفي (كذلك) مثل ذلك الطبع الشديد (يطبع الله على قلوب الكافرين) لما علم منهم أنهم يختارون الثبات على الكفر (وما وجدنا لاكثرهم من عهد) الضمير للناس على الإطلاق يعني أن أكثر الناس تقضوا عهد الله وميثاقه في الإيمان والآية اعتراض أو للام المذكورين فانهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضرر وخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم أنجاهم نكثوا (وان) الشأن والحديث (وجدنا أكثرهم لفاسقين) لخارجين عن الطاعة والوجود بمعنى العلم بدليل

أي ونختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) يعني لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الإيمان ويطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز أن يكون معطوفاً على الماضي ولفظه لفظ المستقبل والمعنى ولو شئنا طبعننا على قلوبهم (تلك القرى) يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد أمرها وأمر أهلها وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (نقص عليك من أنبائها) يعني نخبرك عنها وعن أخبار أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسلهم الذين أرسلوا إليهم لتعلم يا محمد أن النصر رسلنا والذين آمنوا معهم على أعدائنا وأعدائهم من أهل الكفر والعناد وكيف أهلكناهم بكفرهم وبمخالفتهم رسلهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش أن يصيبهم مثل ما أصابهم (ولقد جاءتهم) يعني لأهل تلك القرى (رسلهم بالبينات) يعني جاءتهم رسلهم بالمعجزات والبراهين الدالة على صدقهم (فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل) اختلف أهل التفسير في معنى ذلك فقيل معناه ما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند إرسالنا إليهم رسلهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام فافروا باللسان وأضروا التكذيب وهذا معنى قول ابن عباس والسدي قال السدي آمنوا كره يوم أخذ الميثاق وقال مجاهد فمما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم وقيل معناه فمما كانوا يؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق لهم في علم الله أنهم يكذبون به حين أخرجهم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال أبي بن كعب كان سبق لهم في علمه يوم أقرؤا له بالميثاق أنهم لا يؤمنون به وقال الربيع بن أنس يحق على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربه وان لا يتأولوا علم ما أخفى الله تعالى عنهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفي ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فمما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم أيهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال الطبري وأولى الأقوال بالصواب قول أبي بن كعب والربيع بن أنس وذلك ان من سبق في علم الله أنه لا يؤمن به فلا يؤمن أبداً وقد كان سبق في علم الله لمن هلك من الأمم الذين قص خبرهم في هذه السورة أنهم لا يؤمنون أبداً فأخبر عنهم أنهم لم يكونوا يؤمنوا بما هم مكذبون به في سابق علمه قبل مجيء الرسل عند مجيئهم إليهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) يعني كما يطبع الله على قلوب كفار الأمم الخالية وأهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم أنهم لا يؤمنون من قومك (وما وجدنا لاكثرهم من عهد) يعني وما وجدنا لاكثر الأمم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد من وفاء بالعهد الذي عهدناه إليهم وأوصيناهم به يوم أخذ الميثاق قال ابن عباس إنما أهلك الله أهل القرى لأنهم لم يكونوا يحفظوا ما وصاهم به (وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) أي وما وجدنا أكثرهم لفاسقين خارجين عن طاعتنا وأمرنا ﷺ قوله عز وجل (ثم بعثنا من بعدهم) يعني ثم بعثنا بعد الأنبياء الذين تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام (موسى بآياتنا) يعني بحججنا وأدلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الآيات التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام (إلى فرعون وملئه) قيل ان كل من ملك مصر كان يسمى فرعون في ذلك الزمان مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون الذي أرسل إليه موسى عليه الصلاة والسلام الوليد بن مصعب بن الريان وكان ملك القبط والملأ أشراف قومه وإنما خصوا بالذكور لأنه إذا آمن الأشراف آمن الاتباع (فظلموا بها) يعني فجحدوا بها لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه وكانت هذه

دخول أن المخفقة واللام الفارقة ولا يجوز ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما (ثم بعثنا من بعدهم) الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للام (موسى بآياتنا) بالمعجزات الواضحات (إلى فرعون وملئه فظلموا بها) فكفروا بآياتنا أجرى الظلم بحري

الكفر لانهم امن وادوا حدان الشرك لظلم عظيم أو فظلهوا الناس بسببها حين آذوا من آمن أو لانه اذاوجب الايمان بها فكفر وابدل الايمان كان كهرهم بها ظاهرا حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان ( فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ) حيث صاروا مغرقين ( وقال موسى يا فرعون ) يقال ملوك مصر الفراعنة كما يقال ملوك فارس الاكسرة وكأنه قال يملك مصر واسمه قابوس أو الوليد بن مصعب بن الريان ( انى رسول من رب العالمين ) اليك قال فرعون كذبت فقال موسى ( حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق ) أى أنا حقيق على قول الحق أى واجب على ( ١٢٤ ) قول الحق أن أكون قائله والقائم به حقيق على نافع أى واجب على ترك القول على

الله الا الحق أى الصدق وعلى هذه القراءة تتفق على العالمين وعلى الاول يجوز الوصل على جعل حقيق وصف الرسول وعلى بمعنى الباء كقراءة أبى أى انى رسول خليق بان لا أقول أو يعلق على بمعنى الفعل فى الرسول أى انى رسول حقيق جدير بالرسالة أرسلت على أن لا أقول على الله الا الحق ( قد جئتكم بيينة من ربكم ) بما بين رسالتى ( فارسل معى بنى اسرائيل ) نخلهم يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى وطنهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفى غلب فرعون على نسل الاسباط واستعبدهم فانقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذى دخل يوسف عليه السلام مصر واليوم الذى دخله موسى أر بعامة عام معى حفص ( قال ان كنت جئت بأية ) من عند من أرسلك ( فأت بها ان كنت

الآيات معجزات ظاهرة قاهرة فكفروا بها ووضعوا الكفر موضع الايمان ( فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ) أى انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف أهل كنانهم ( وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين ) يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما دخل على فرعون دعاه الى الله تعالى والى الايمان به وقال له انى رسول أى مرسل اليك والى قومك من رب العالمين يعنى ان الله الذى خلق السموات والأرض وخلق الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذى أرسلنى اليك ( حقيق ) أى واجب ( على أن لا أقول على الله الا الحق ) يعنى انى رسول والرسول لا يقول على الله الا الحق فى وصفه وتزيمه وتوحيدده وانه لا اله غيره ( قد جئتكم بيينة من ربكم ) يعنى يبرهان على صدقى فيما أدعى من الرسالة والمراد بيينته معجزته وهى العصا واليد البيضاء ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال موسى ( فارسل معى بنى اسرائيل ) يعنى خل عنهم وأطلقهم من أسرك وكان فرعون قد استعبد بنى اسرائيل واستعملهم فى الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن وتقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة ( قال ان كنت جئت بأية فات بها ان كنت من الصادقين ) يعنى ان فرعون قال موسى عليه الصلاة والسلام بعد تبليغ الرسالة ان كنت جئت من عند من أرسلك بيينة تدل على صدقك فاتى بها وأحضرها عندى لتصح دعواك ويثبت صدقك فيما قلت ( فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مابين ) أى بين والثعبان الذكرك من الحيات وصفه هنا بأنه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصفه فى آية أخرى بأنه جان والجان الحية الصغيرة والجمع بين هذين الوصفين أنها كانت فى عظم الجنة كالثعبان العظيم وفى خفة الحركة كالحية الصغيرة وهى الجان قال ابن عباس والسدى ان موسى لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فاها بين لحبيها ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحبيها الاسفل فى الارض ولحبيها الأعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره غار باوا حدث وقيل انه أحدث فى ذلك اليوم أر بعامة مرة وقيل انها أخذت قبة فرعون بين أنيابها وحملت على الناس فانهمزوا وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم فى ذلك اليوم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى أنشدك بالذى أرسلك أن تأخذها وأنا ومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فعادت فى يده عصا كما كانت وفى كون الثعبان مابيننا وجوه الاول انه تميز وتبين ذلك عما عملته السحرة من التمويه والتليس وبذلك تتميز معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن تمويه السحرة وتخييلهم الوجه الثانى انهم شاهدوا العصا قد انقلبت حية ولم يشبه ذلك عابهم فلذلك قال ثعبان مابين أى بين الوجه الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه الصلاة والسلام كان من أعظم الآيات التى أبانت صدق قول موسى عليه الصلاة والسلام فى أنه رسول من رب العالمين ﴿ وقوله تعالى ( ونزع يده ) النزاع فى اللغة عبارة عن اخراج الشئ عن مكانه والمعنى انه أخرجه من جيبه أو من تحت جناحه ( فاذا هى بيضاء لناظرين ) قال ابن

من الصادقين ) فاتى بها لتصح دعواك ويثبت صدقك فيها ( فالقى موسى ) عليه السلام ( عصاه ) من يده عباس ( فاذا هى ) اذا هذه المفاجأة وهى من ظروف المكان بمنزلة ثمة وهناك ( ثعبان ) حية عظيمة ( مابين ) ظاهرا أمره روى انه كان ذكرا فاغرافاه بين لحبيه ثمانون ذراعا ووضع لحبه الاسفل فى الارض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وحل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفا وقتل بعضهم بعضا فصاح فرعون يا موسى خذها وأنا ومن بك فاخذها موسى فعاد عصا ( ونزع يده ) من جيبه ( فاذا هى بيضاء لناظرين ) أى فاذا هى بيضاء للنضارة ولان يكون بيضاء للنضارة الا اذا كان بيضا عجيبا خارجا. العادة

يجمع الناس للنظر اليه  
 روى أنه أرى فرعون يده  
 وقال ما هذه فقال يدك ثم  
 أدخلها في جيبه ونزعها  
 فاذا هي بيضاء غلب شعاعها  
 شعاع الشمس وكان موسى  
 عليه السلام آدم شديد الامة  
 (قال الملائكة من قوم فرعون  
 ان هذا الساحر عليم) عالم  
 بالسحر ما هو فيه قد خيل  
 الى الناس العصا حية  
 والادم ابيض وهذا  
 الكلام قد عزي الى  
 فرعون في سورة الشعراء  
 وانه قاله للملائكة وهن اعزى  
 اليهم فيحتمل انه قد قاله  
 هو وقالوا هم فكي قوله  
 ثم وقولهم هنا وقاله ابتداء  
 فتلقته منه الملائكة فقالوه  
 لاعقابهم (يريد ان  
 يخرجكم من ارضكم) يعني  
 مصر (فاذا نامرون)  
 تشيرون من امرته فامرني  
 بكذا اذا شاورته فاشار  
 عليك برأى وهو من كلام  
 فرعون قاله للملائكة قالوا له  
 ان هذا الساحر عليم يريد  
 ان يخرجكم (قالوا ارجه)  
 بسكون الهاء عاصم وجزء  
 أي آخر واحبس أي آخر  
 أمره ولا تجعل أو كانه هم  
 بقتله فقالوا أخرقتله  
 واحبسه ولا تقتله ليتبين  
 سحره عند الخلق (وأخاه)  
 هرون

عباس وغيره أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعني من غير برص وقيل ان موسى عليه الصلاة  
 والسلام أدخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل أخرج يده من تحت ابطنها فاذا هي بيضاء لها شعاع غلب  
 نور الشمس وكان موسى عليه الصلاة والسلام آدم اللون ثم ردها الى جيبه فاخرجها فاذا هي كما كانت ولما  
 كان البياض المفرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في آية أخرى بياض من غير سوء يعني من  
 غير برص والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن  
 العادة يتعجب منه

فصل في بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسل اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق  
 المعرفة والايمان في قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن أرسل اليهم رسالات يعرفهم معالم دينه وجميع  
 تكليفاته وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه ويعرفهم أحكامه وجائز أن تكون  
 تلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبياء وجائز أن تكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع أممهم  
 ولما منع لهذا من جهة العقل واذا جاز هذا في دليل العقل وقد جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بمعجزات  
 دلت على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما أتوا به لان المعجزة مع التحدي من النبي قائمة مقام قول الله  
 عز وجل صدق عبدى فاطيعوه واتبعوه ولان معجز النبي شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة معجزة  
 لان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين فضرب منها هو على نوع قدرة البشر ولكن عجزوا عنه  
 فمعجزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم كتمنى الموت في قوله فتمنوا  
 الموت ان كنتم صادقين فلما صر فواعن تمنيه مع قدرتهم عليه علم انه من عند الله ودل على صدق النبي صلى  
 الله عليه وسلم الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة البشر كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من  
 صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونسج الماء من بين الأصابع وغير ذلك من المعجزات التي عجز البشر  
 عن مثلها فاذا أتى النبي بشيء من تلك المعجزات الخارقة للعادات علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو  
 الذي أظهر ذلك المعجز على يد نبيه ليكون حجة على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل  
 العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء وابداعها من غير أصل سبق لها واخراجها من  
 العدم الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وخوارق العادات والله تعالى أعلم قوله عز وجل (قال الملائكة من  
 قوم فرعون ان هذا) يعني موسى (ساحر عليم) يعني انه لياخذ باعين الناس حتى يخيل لهم ان العصا حية  
 حية ويرى الشيء بخلاف ما هو عليه كما أراههم يده بيضاء وهو آدم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو  
 الغالب في ذلك الزمان فلما أتى بما يعجز عنه غيره قالوا ان هذا ساحر عليم فان قلت قد أخبر الله تعالى في هذه  
 السورة ان هذا الكلام من قول الملائكة لفرعون وقال في سورة الشعراء وقال فرعون للملائكة حوله ان هذا الساحر  
 عليم فكيف الجمع بينهما قلت لا يمنع ان يدون قاله فرعون أو لاثم انهم قالوه بعده فاخبر الله تعالى عنهم هنا  
 وأخبر عن فرعون في سورة الشعراء وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملائكة من قومه وهم خاصته  
 سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله عز وجل هنا عن الملائكة وأخبر هناك عن فرعون وقوله (يريد  
 ان يخرجكم من ارضكم) يعني يريد موسى ان يخرجكم أيها القبط من ارض مصر (فاذا نامرون) يعني فاي  
 شيء تشيرون ان نفعل به وقيل ان قوله فاذا نامرون من قول الملائكة لان كلام فرعون ثم عند قوله يريد ان  
 يخرجكم من ارضكم فقال الملائكة محبين لفرعون فاذا نامرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على عادة  
 الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى فانزروا ان تفعل به والقول الاول أصح اسياق الآية التي بعده وهو  
 قوله تعالى (قالوا ارجه وأخاه) يعني أخر أمرها ولا تجعل فيه فتصير عجبتك عليك لالك والارجاء التأخير في  
 اللغة وقيل معنى أرجه واحبسه وأخاه وهذا القول ضعيف لان الارجاء في اللغة هو التأخير لا الحبس ولان

(وأرسل في المدائن حاشرين) جامعين (بأتوك بكل ساحر عليم) سحار حزة وعلى أي أتوك بكل ساحر عليم مثله في المهارة أو بخير منه (وجاء السحرة فرعون) يريد فارس البهم خضروا (قالوا ان لنا اجرا) على الخبر واثبات الاجر ٧ العظيم حجازي وحفص ولم يقل فقالوا لانه على تقدير سؤال سائل ما قالوا اذ جاؤا فاجيب بقوله قالوا ان لنا اجرا لجملا على الغلبة والتنكير للتعظيم كانهم قالوا لا بد لنا من أجر عظيم (ان كنا نحن الغالبين قال نعم) ان لكم اجرا (وانكم لمن المقربين) عندي فتكونون اول من يدخل وآخر من يخرج وكانوا ثمانين ألفا وسبعين ألفا أو بضعة وثلاثين ألفا (قالوا يا موسى اما ان تلقى عصاك) واما ان تكون نحن الملقين) لما معنا وفيه دلالة على ان رغبتهم في أن يلقوا قبله حيث أكد ضميرهم المتصل بالمنفصل وعرف الخبر (قال) لهم موسى عليه السلام (ألقوا) تخييرهم اياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل المناظرون قبل ان يتحاوروا في الجدال وقد سوغ لهم موسى ما رغبوا

فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعد أن رأى من أمر العصا ما رأى (وأرسل في المدائن) جمع مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان أي أقام به يعني مدائن صعيد مصر (حاشرين) يعني رجالا يحشرون اليك السحرة من جميع مدائن الصعيد والمعنى أنهم قالوا لفرعون أرسل الى هذه المدائن رجالا من أعوانك وهم الشرط يحشرون اليك من فيهم من السحرة وكان رؤساء السحرة باقصى مدائن الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا أنه ساحر فذلك قوله (بأتوك) يعني الشرط (بكل ساحر) وقرئ سحار والفرق بين الساحر والسحار أن الساحر هو المبتدى في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذي يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتادون وقت والسحار الذي يدوم سحره ويعمل في كل وقت (عليم) يعني ماهر بصناعة السحر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن اسحق والسدي ان فرعون لما رأى من سلطان الله وقدرته في العصا قال انالنا قتاتل موسى الابن هو أشد منه سحر افاخذ غلمانا من بني اسرائيل وبعث بهم الى مدينة يقال لها الغوصاء يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كبيرا واعد فرعون موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجاؤا معهم معلمهم فقال فرعون للعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحر أهل الارض الا أن يكون أمر من السماء فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك ساحر الا أتى به واختلوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنا من منهم من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بني اسرائيل وقال الكبي كان الذين يعلمونهم رجالا من مجوسيين من أهل نينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر ألفا وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة عشر ألفا وقال عكرمة كانوا سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين ألفا وقال السدي كانوا بضعا وثمانين ألفا ويقال رئيس القوم شمعون وقيل يوحنا قوله عز وجل (وجاء السحرة فرعون) يعني لما اجتمعوا و جاؤا الى فرعون (قالوا ان لنا اجرا) يعني جعلوا وعطاء تكريمنا به (ان كنا نحن الغالبين) يعني لموسى قال الامام نضر الدين الرازي ولقائل أن يقول كان حق الكلام أن يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا بالفاء وجوابه هو على تقدير سائل ما قالوا اذ جاؤا فاجيب بقوله قالوا ان لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين يعني لموسى (قال نعم) يعني قال لهم فرعون لكم الاجر والعطاء (وانكم لمن المقربين) يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر والمعنى ان فرعون قال للسحرة اني لا أقصر معكم على الاجر بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة اني أجمعكم من المقربين عندي قال الكبي تكونون اول من يدخل على وآخر من يخرج من عندي (قالوا) يعني السحرة (يا موسى اما ان تلقى عصاك) (واما ان تكون نحن الملقين) يعني عصينا وحبالناني هذه الآية دقيقة لطيفة وهي ان السحرة راعوا مع موسى عليه الصلاة والسلام حسن الأدب حيث قدموه على أنفسهم في الالتقاء لاجرم ان الله عز وجل عوضهم حيث تأدبوا مع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أن من عليهم بالايمان والهداية لماراعوا الادب أولا وأظهر واما يدل على رغبتهم في ذلك (قال) يعني قال لهم موسى (ألقوا) يعني أتم فقدمهم على نفسه في الالتقاء فان قلت كيف جاز لموسى أن يأمر بالالتقاء وقد علم انه سحر وفعل السحرة غير جائز قلت ذكر العلماء رحيم الله تعالى فيه أجوبة أحدها ان معناه ان كنتم محقين في فعلكم فآلوا والافلاتا نقوا الجواب الثاني انما أمرهم بالالتقاء لتظهر مجزته لانهم اذا لم يلقوا احبا لهم وعصيتهم لم تظهر مجزة موسى في عصاه الجواب الثالث ان موسى علم انهم لا بد أن يلقوا تلك الحبال والعصى وانما وقع التخيير في التقديم والتأخير فاذن لهم في التقديم لتظهر مجزته أيضا بغلبهم لانه لو ألقى أولا لم يكن له غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى أمرهم بالالتقاء أولا (فلما ألقوا) يعني حبا لهم وعصيتهم (سحروا أعين الناس) يعني صرفوا أعين الناس عن ادراك حقيقة ما فعلوه من التثوية والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر وبين معجزة الانبياء عليهم الصلاة والسلام التي هي فعل الله وذلك لان السحر

فيه اذ اهل الشانسة قلة مسالاة منه واعتاد اعلم ان المعجزة لم يفلها سحرا أبدا (فلما ألقوا اسحروا أعين الناس)

قلب الاعين وصر فها عن ادراك ذلك الشيء والمجززة قلب نفس الشيء عن حقيقته كقلب عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية تسمى (واسترهبوهم) يعني أرهبوهم وأفزعوهم بما فعلوه من السحر وهذا قوله تعالى (وجاؤا) يعني السحرة (بسحر عظيم) وذلك انهم القوا حبالا غلاظا وخشباطوا الا فاذا هي حيات كما مثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضها ويقال انهم طلوا تلك الجبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصي زئبقا أيضا والقوه على الارض فلما أثر حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس انها حيات ويقال ان الارض كانت سهما ميلا في ميل فصارت كلها حيات وأفاعي ففزع الناس من ذلك وأوجس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه الصلاة والسلام لاجل سحرهم لانه عليه الصلاة والسلام كان على يقين وثقة من الله تعالى انهم لن يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما بان كل ما أتوا به على وجه المعارضة لمجزته فهو من باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه الصلاة والسلام لاجل فزع الناس واضطرابهم مما رأوا من أمر تلك الحيات فخاف موسى عليه الصلاة والسلام ان يتفرقوا قبل ظهور مجزته وحجته فلذلك أوجس في نفسه خيفة موسى ﷺ قوله تعالى (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك) يعني فألقها (فاذا هي تلتف) يعني تبتلع (ما يافكون) يعني ما يكذب فيه السحرة لان أصل الافك قلب الشيء عن غير وجهه ومنه قيل للكذاب أفاك لانه يقرب الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل قال المفسرون أوحى الله عز وجل الى موسى عليه الصلاة والسلام أن لا تخف وألق عصاك فلقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الأفق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاهما ثمانين ذراعا فاذا هي تلتف يعني تبتلع كل شيء أتوا به من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع ففزعوا ووقع الزحام بينهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى عليه الصلاة والسلام فصارت في يده عصا كما كانت أول مرة فلما رأى السحرة ذلك عرفوا انه من أمر السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا آمنوا رب العالمين وذلك قوله تعالى (فوق الحق) يعني فظهر الحق الذي جاء به موسى (وبطل ما كانوا يعملون) يعني من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحر البقيت حبالنا وعصينا فلما نفذت وتلاشت في عصا موسى علموا ان ذلك من أمر الله وقدرته (فغلبوا هنالك) يعني فعند ذلك غلب فرعون وسحرته وجوعه (وانقلبوا صاغرين) يعني ورجعوا ذليلين مقهورين (وألقى السحرة ساجدين) يعني ان السحرة لما علموا ان الله تعالى ما ليس في قدرتهم مقابلته وعلموا انه ليس بسحر خروا لله ساجدين وذلك ان الله عز وجل ألهمهم معرفته والإيمان به (قالوا آمنوا رب العالمين) فقال فرعون اباي تعنون فقالوا بل (رب موسى وهرون) قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن بي ان غلبتك فقال لا تين بسحر لا يغلبه سحر ولئن غلبتني لأؤمن بك وقيل ان الحبال والعصى التي كانت مع السحرة كانت حل ثلثمائة بعير فلما ابتاعتها عصا موسى كلها قال بعضهم لبعض هـذا أمر خارج عن حد السحر وما هو الا من أمر السماء فأمنوا به وصدقوه فان قلت كان يجب أن يأتوا بالإيمان قبل السجود فافائدة تقديم السجود على الإيمان قلت لما قذف الله عز وجل في قلوبهم الإيمان والمعرفة خروا سجدا لله تعالى شكريا على هدايتهم اليه وعلى ما ألهمهم من الإيمان بالله وتصديق رسوله ثم أظهر وابتعد ذلك إيمانهم وقيل لما رأوا عظيم قدرة الله تعالى وسلطانه في أمر العصا وانها ليس بقدر على ذلك أحد من البشر وزالت كل شبهة كانت في قلوبهم بادروا الى السجود لله تعظيما لشأنه لما رأوا من عظيم قدرته ثم أظهر والإيمان باللسان قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما رأوا السحرة ما رأوا عرفت أن ذلك من أمر السماء وليس بسحر

ملأت الارض وركب بعضها بعضا (واسترهبوهم) وأرهبوهم ارها باشديدا كأنهم استدعوا رهبتهم بالحيلة (وجاؤا بسحر عظيم) في باب السحر أو في عين من رآه (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلتف) تبتلع تلتف (ما يافكون) حفص (ما يافكون) ماموصولة أو مصدرية يعني ما يافكونه أي يقبلونه عن الحق الى الباطل ويذرونه أو افكهم تسمية للأفوك بالافك روى أنها الماتلتفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا البقيت حبالنا وعصينا (فوق الحق) حفص وثبت (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر (فغلبوا هنالك) أي فرعون وجنوده والسحرة (وانقلبوا صاغرين) وصاروا أذلاء مهوتين (وألقى السحرة ساجدين) وخروا سجدا لله كأنما ألقاهم ملق لشدة خورهم أولم يتالكوا بما رأوا فكانهم القوا فكانوا أول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهادة بررة (قالوا آمنوا رب العالمين رب موسى وهرون) هو بدل مما قبله

(قال فرعون آمنتم به) على الخبر حفص وهذا توبيخ منهم وبهمز تين كوفي غير حفص فالاولى همزة الاستفهام ومعناه الانكار الاستبعاد (قبل أن آذن لكم) قبل اذنى لكم (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرج جوامنها أهلبا) ان صنعكم هذا حيلة احتلتموها وأتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا (١٢٨) الى الصحراء افرض لكم وهو ان تخرجوا من مصر القبط وتسكنوا بنى

اسرائيل (فسوف تعلمون) نخر واسجدوا وقالوا آمناب رب العالمين رب موسى وهرون ﴿قوله عز وجل﴾ (قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم) يعني قال فرعون للسحرة آمنتم بموسى وصدقتموه قبل أن أمركم به وآذن لكم فيه (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة) يعني ان هذا الصنع الذي صنعتتموه أنتم وموسى في مدينة مصر قبل خروجكم الى هذا الموضوع وذلك ان فرعون رأى موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعون ان موسى وكبير السحرة قد تواطأ عليه وعلى أهل مصر وهو قوله (لتخرج جوامنها أهلبا) وتستولوا عليها أتم (فسوف تعلمون) فيه وعيد وتهديد يعني فسوف تعلمون ما أفعلكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) وهو ان تقطع احدى اليدين واحدى الرجلين فيخالف بينهما في القطع (ثم لأصلبنكم أجمعين) يعني على شاطئ نيل مصر قال ابن عباس رضى الله عنهما أول من صلب وأول من قطع الايدي والارجل فرعون (قالوا) يعني مجيبين لفرعون حين وعدهم بالقتل (انا الى ربنا منقلبون) يعني انا الى ربنا راجعون واليه صارتون في الآخرة (وما ننقم منا) وما نكره منا وما نطعن علينا وقال عطاء معناه وما لنا عندك من ذنب تعد بنا عليه (الأن آمناب آيات ربنا لما جاءتنا) ثم فرغوا الى الله تعالى وسأله الصبر على تعذيب فرعون اياهم فقالوا (ربنا أفرغ علينا صبرا) أى اصبب علينا صبرا كاملا تاما ولهذا أتى بلفظ التنكير يعني صبرا وأى صبر عظيم (وتوفنا مسلمين) يعني واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا في أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء قال الكلبي ان فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون اليك بآياتنا أتمنا ومن اتبعكم الغالبون ﴿قوله تعالى﴾ (وقال الملا من قوم فرعون أنذر موسى) يعني وقال جماعة من أشرف قوم فرعون لفرعون أنذر موسى (وقومه) من بنى اسرائيل (ليفسدوا في الارض) يعني أرض مصر وأراد بالافساد فيها انهم يأمر ونهم بمخالفة فرعون وهو قوله (ويذكرك وآهلك) يعني وتذره ليذكرك ويذرك آهلك فلا يعبدك ولا يعبدوا قال ابن عباس رضى الله عنهما كانت لفرعون بقرة كان يعبدها وكان اذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها ولذلك أخرج لهم السامري عجلا وقال السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناما وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم أنار بكم ورب هذه الاصنام وذلك قوله أنار بكم الاعلى والاولى أن يقال ان فرعون كان دهر يامنكر الوجود الصانع فكان يقول مدبر هذا العالم السفلى هي الكواكب فاتخذ أصناما على صورة الكواكب وكان يعبدها ويأمر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الأرض فلماذا قال أنار بكم الاعلى وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وابن عباس والشعبي والضحاك ويذكرك وآهلك بكسر الالف ومعناه ويذكرك وعبادتك فلا يعبدك لان فرعون كان يعبد ولا يعبدون قيل أراد بالالهة الشمس والكواكب لانه كان يعبدها قال الشاعر

تروحنامن اللعاء قصرا \* وأعجلنا الالهة أن نثوبا

أراد بالالهة الشمس (قال) يعني فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له أنذر موسى وقومه (سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم) يعني نتركهن أحياء وذلك ان قوم فرعون لما أرادوا اغراء فرعون على قتل موسى وقومه أو جس موسى انزال العذاب بقومه ولم يقدر فرعون أن يفعل بموسى عليه الصلاة والسلام شيئا مما أرادوا به لقوة موسى عليه السلام بمساعدة من المعجزة فعدل الى قومه فقال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وقال ابن

وعيد أجله ثم فصله بقوله (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من كل شق طرفا (ثم لأصلبنكم أجمعين) هو أول من قطع من خلاف وصلب (قالوا) انا الى ربنا منقلبون) فلا نبالي بالموت لا نقبلنا الى لقاء ربنا ورجته أو انا جميعا يهنون أنفسهم وفرعون تنقلب الى الله فيحكم بيننا (وما ننقم منا الآن آمناب آيات ربنا لما جاءتنا) وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله أرادوا وما تعيب منا الا ما هو أصل المناقب والمفاخر وهو الايمان ومنه قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم  
بين فلول من قراع الكتاب  
(ربنا أفرغ علينا صبرا)  
أى اصبب صبرا ريعا  
والعنى هب لنا صبرا واسعا  
وأكثره علينا حتى يفيض  
علينا ويغمرنا كما يفرغ  
الماء افرغا (وتوفنا  
مسلمين) ثابتين على  
الاسلام (وقال الملا من  
قوم فرعون أنذر موسى  
وقومه ليفسدوا في الارض)  
أرض مصر بالاستعلاء

فيها وتغير دين أهلها لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة ألف نفر (ويذكرك وآهلك) عطف على عباس  
ايفسدوا قيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقر با اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقر بونا الى الله زلفي  
ولذلك قال أنار بكم الاعلى (قال) فرعون مجيبا للملا (سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم



وانافوقهم قاهرون) سنقتل تجازي أي سنعيد عليهم قتل الابناء ليعلموا اناعلى ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا ولتلايتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون بذهاب ملكنا على يده فيشبثهم ذلك عن طاعتنا وبدعوهم الى اتباعه (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل أبناءهم تسليتهم ووعد ابا نصر عليهم (ان الارض) اللام للعهد أي أرض مصر أو للجنس فيتناول أرض مصر تماولا وأوليا (لله يورثها من يشاء من عباده) في تمنيتها اياهم أرض مصر (والعاقبة للمتقين) بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط (١٢٩) وأخليت هذه الجملة عن الواو لانها جملة مستأنفة بخلاف قوله

وقال الملا لانها معطوفة على ما سبقها من قوله قال الملا من قوم فرعون (قالوا أوذينا من قبل أن تاتينا ومن بعد ما جئتنا) يعنون قتل أبناءهم قبل مولد موسى الى أن استنبيء واعادته عليهم بعد ذلك وذلك اشتكاء من فرعون واستبطاء لوعده النصر (قال عيسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض) تصرح بعمار من اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر فينظر كيف تعملون) فيرى السكان منكم من العمل حسنة وقبيحة وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائده رغيف أو رغيفان وطلب المنصور

عباس رضى الله عنهما كان قد ترك القتل في بني اسرائيل بعد ما ولد موسى فلما اجاءهم موسى بالرسالة وكان من أمره ما كان قال فرعون أعيدوا عليهم القتل فاعادوا القتل على بني اسرائيل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى بقومه فنحن نسعى في تقايل عدد قومه بالقتل لتقل شوكته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله (وانافوقهم قاهرون) يعنى بالغلبة والقدرة عليهم ولما نزل ببني اسرائيل ما نزل شكوا الى موسى ما نزل بهم (قال موسى لقومه) يعنى لما شكوا اليه (استعينوا بالله واصبروا) يعنى استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء فان الله هو الكافي لكم واصبروا على ما نالكم من المكروه في أنفسكم وأبنائكم (ان الارض لله) يعنى أرض مصر وان كانت الارض كلها لله تعالى (يورثها من يشاء من عباده) وهذا اطماع من موسى عليه الصلاة والسلام لبني اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بنو اسرائيل أرضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وهو قوله تعالى (والعاقبة للمتقين) يعنى ان النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل أراد الجنة يعنى ان عاقبة المتقين الصابرين الجنة (قالوا أوذينا من قبل أن تاتينا ومن بعد ما جئتنا) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما آمنت السحرة بتبع موسى ستمائة ألف من بني اسرائيل والمعنى أن بني اسرائيل لما سمعوا ما قاله فرعون ووعدهم به من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد أوذينا من قبل أن تاتينا يعنى بالرسالة وذلك ان بني اسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة الى نصف النهار فلما جاء موسى بالرسالة وجرى ما جرى شدد فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار وأعاد القتل عليهم فقالوا أوذينا من قبل أن تاتينا ومن بعد ما جئتنا يعنى بالرسالة وظاهر هذا الكلام يوهم أن بني اسرائيل كرهوا محيى موسى بالرسالة وذلك كفر والجواب عن هذا الابهام أن موسى عليه الصلاة والسلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا ان ذلك يكون على الفور فلما رأوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا أوذينا من قبل أن تاتينا ومن بعد ما جئتنا فتى يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه (قال) موسى مجيبا لهم (عسى ربكم ان يهلك عدوكم) يعنى فرعون وقومه (ويستخلفكم في الارض) يعنى ويجعلكم تخلفوهم في أرضهم بعد هلاكهم (فينظر كيف تعملون) يعنى فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج فيرى وقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما يعلمه منهم وانما يجازيهم على ما يقع منهم قوله عز وجل (واقدا أخذنا آل فرعون بالسنين) يعنى بالقمح والجدب تقول العرب مستهم السنة بمعنى أخذهم الجدب في السنة ويقال أسنتوا كما يقال أجدبوا قال الشاعر ورجال مكة مستنون عجاف \* ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ومعنى الآية واقدا أخذنا آل فرعون بالجدب والقمح والجوع سنة بعد سنة (ونقص من الثمرات) يعنى واتلاف الغلات بالآفات قال قتادة أما السنون فلاهل البوادي وأما نقص الثمرات فلاهل الامصار (لعلهم يذكرون) يعنى لعلهم يتعلمون فيرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي وذلك لان الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله تعالى

(١٧ - (خارن) - ثانياً) زيادة لعمره وفلم توجد فقرأ عمر وهذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخاف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) سني القمح وهن سبع سنين والسنة من الاسماء الغالبة كالداية والنجم (ونقص من الثمرات) قبل السنون لاهل البوادي ونقص الثمرات للامصار (لعلهم يذكرون) ليتعلموا فينها على أن ذلك لا صرارهم على الكفر ولان الناس في حال الشدة أضرع خدودا وأرق أفئدة وقد لعاش فرعون أر بعامة سنة لم يرمكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حى لما ادعى الربوبية

(فاذا جاءهم الحسنة) الصحة والخصب (قالوا لنا هذه) أي هذه التي نستحقها (وان تصبهم سيئة) جدب ومرض (يطيروا) أصله يتطبروا  
فادخمت التاء في الطاء لانها من (١٣٠) طرف اللسان وأصول الثنايا (بموسى ومن معه) تشاء مواهبهم وقالوا هذه بشؤمهم

ولولا مكانهم لما أصابتنا وانما  
دخل اذا في الحسنة وعرفت  
الحسنة وان في السيئة  
ونكرت السيئة لان جنس  
الحسنة وقوعه كالكاثر  
لكثرته وأما السيئة فلا تقع  
الا في الندرة ولا يقع الا شيء  
منها (الانما طائرهم) سبب  
خيرهم وشرهم (عند الله)  
في حكمه ومشيئته والله هو  
الذي يقدر ما يصيبهم من  
الحسنة والسيئة قل كل من  
عند الله (ولكن أكثرهم  
لا يعلمون) ذلك (وقالوا  
مهما تاتنا به من آية  
لتسخرنا بها فما نحن لك  
بمؤمنين) أصل مهماماما  
فما الاولى للجزاء ضمت  
اليها ما المزيدة المؤكدة  
للجزاء في قولك متى ما  
تخرج أبنات كونوا  
فاما نذهبن بك الان الالف  
قلبت هاء استنقالاتا لذكر  
المتجانسين وهو المذهب  
السديد البصرى وهو في  
موضع النصب بتأنا أي  
أيما شيء ومن آية تبيين لهما  
والضمير في به وبها راجع  
الى مهما الان الاول ذكر  
على اللفظ والثاني أنت على  
المعنى لاسما في معنى الآية  
وانما سموها آية اعتبارا  
لقسمية موسى أو قصدوا  
بذلك الاستهزاء (فارسلنا

انهم عند نزول العذاب وتلك المحن عليهم والشدة لم يزدوا والاعتراد وكفر افعال تعالى (فاذا جاءتهم الحسنة)  
يعنى الغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات (قالوا لنا هذه) أي نحن مستحقون لها ونحن  
أهلها على العادة التي جرت لنا في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه على  
انعامه (وان تصبهم سيئة) يعنى القحط والجذب والمرض والبلاء ورأوا ما يكرهون في أنفسهم (يطيروا)  
يعنى يتشاءموا وأصله يتطير واوالتطير التشاؤم في قول جميع المفسرين (بموسى ومن معه) يعنى انهم قالوا  
ما أصابنا بلاء الا حين رأيناهم وما ذلك الا بشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك  
فرعون أر بعمانه سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لم يرمكروها قط ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم  
أو حى ليلة أو وجع ساعة لما ادعى الرب بوبية قط (الانما طائرهم عند الله) يعنى ان نصيبهم من الخصب  
والجذب والخير والشركة من الله قال ابن عباس رضى الله عنهما طائرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله  
وفي رواية عنه شؤمهم عند الله تعالى ومعناه انه انما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم العظيم هو الذي لهم  
عند الله من عذاب النار (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى ان ما أصابهم من الله تعالى وانما قال أكثرهم  
لا يعلمون لان أكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضاء والقدر قوله تعالى  
(وقالوا) يعنى قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام (مهما تاتنا به من آية) يعنى من عند ربك فهى  
عندنا سحر وهو قوتهم (لتسخرنا بها) يعنى لتصرفنا عما نحن عليه من الدين (فما نحن لك بمؤمنين) يعنى  
بمصدقين وكان موسى عليه الصلاة والسلام رجلا حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله عز وجل  
دعاه فقال تعالى (فارسلنا عليهم الطوفان) قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقتادة  
ومحمد بن اسحق دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه  
الا الإقامة على الكفر والنمادى في الشرف تابع الله عز وجل عليهم الآيات فاخذهم أولا بالسنين وهو  
القحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يارب  
ان عبدك فرعون علا في الارض وبنى وعمتا وان قومه قد نقضوا العهد رب نخذهم بعقوبة تجعلها عليهم  
نقمة ولتقومى عظة ولمن بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فارسل الله عليهم المطر من السماء  
وبيوت بنى اسرائيل وبيوت القبط مختلطة مشتبكة فامتلاّت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم  
ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بنى اسرائيل شيئا وركب الماء على أرضهم فلم يقدروا  
على التحرك ولم يعملوا شيئا ودام ذلك الماء عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وقال مجاهد وعطاء الطوفان  
الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة أهل اليمن وقال أبو قتادة الطوفان الجدري وهم أول من عذبوا به  
ثم بقى في الارض وقال مقاتل الطوفان الماء طفا فوق حروثهم وفي رواية ابن عباس رضى الله عنهما ان  
الطوفان أمر من الله عز وجل طاف بهم فعند ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنحن  
نؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه فرفع عنهم الطوفان وأبنت الله لهم  
تلك السنة شيئا لم ينبتة قبل ذلك من الكلا والزرع والتمر وأخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة  
علينا فلم يؤمنوا وأقاموا شهرافى عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر  
وأكل الابواب وسقوف البيوت والخشب والتمياب والامتنعة وأكل المسامير الحديدى في الابواب وغيرها  
وابتلى الجراد بالجوع فكان لا يشبع وامتلاّت دور القبط منه ولم يصب بنى اسرائيل من ذلك شيئا فنجوا  
وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا هذا الرجز لنؤمنن لك وأعطوه عهدا لله وميثاقه بذلك

عليهم الطوفان) ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم  
وذلك انهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمس ولا قمر ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل دخل الماء في بيوت القبط  
فدعا

فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وفي الخبر  
مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم و يقال ان موسى عليه السلام خرج الى الفضاء فإشار بعصاه  
نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جاء وكان قد بقي من زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قد بقي لنا  
ما هو كافينا نحن بتاركى ديننا فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وعادوا الى أعمالهم الخبيثة فاقاموا شهرا  
في عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا فيه فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله  
عنهما ان القمل هو السوس الذى يخرج من الخنطة وقال مجاهد وقتادة والسدى والكلبى القمل الذى وهو  
صغار الجراد الذى لا أجنحة له وقال أبو عبيدة هو الجنان وهو ضرب من الجراد وقال عطاء الخراسانى هو  
القمل نفسه وكان الحسن يقرأ بفتح القاف وسكون الميم قال أصحاب الاخبار أمر الله عز وجل موسى عليه  
الصلاة والسلام ان يمشى الى كتيب رمل أعقر بقرية من قرى مصر تسمى عين الشمس فمشى الى ذلك  
الكتيب فصر به بعصاه فانها ل عليهم القمل فتبع ما بقي من حرثهم وزروعهم وثمارهم فاكلها وحس  
الارض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه فاذا أكل أحدهم طعاما امتلأ قلا قال سعيد بن  
المسبب القمل السوس الذى يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة أجرة الى الرحي فلا يرد  
منها ثلاثة أفقرة فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذت أشعارهم وأبشارهم وحواجبهم وأشعار  
عيونهم ولزم جلودهم كأنه الجدرى عابهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا بموسى ان اتوب فادع لنا ربك  
يكشف عنا هذا البلاء فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم القمل بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى  
السبت فنكثوا بعد ذلك ورجعوا الى أخبت ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة وقالوا ما كنا نأقظ أحق ان  
نستيقن انه ساحر منا اليوم يجعل الرمل دواب فدعا موسى عليهم بعد ما قاموا شهرا في عافية فارسل الله عليهم  
الضفادع فامتلات منها بيوتهم وافنيتهم وأطعمتهم وأنيتهم فلا يكشف أحدا ناء ولا طعاما الا وجد فيه  
الضفادع وكان الرجل منهم يجلس في الضفادع فتبلغ الى حلقه فاذا أراد ان يتكلم يشب الضفدع فيدخل  
في فيه وكانت تشب في قدورهم فتفسد طعامهم عليهم وتطفئ نيرانهم وكان أحدهم اذا اضطجع ركبته  
الضفادع حتى تكون عليه ركاما فلا يستطيع أن ينقلب الى شقه الآخر واذا أراد أن يأكل سبقه الضفدع  
الى فيه ولا يجن أحدهم عجيبا الامتلاء ضفادع ولا يفتح قدر الامتلات ضفادع فلقوا من ذلك بلاء شديدا  
وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه ما قال كانت الضفادع بريه فلما أرسلها الله عز وجل على آل  
فرعون سمعت وأطاعت وجعلت تقذف بانفسها في القدر وهي تغلى على النار وفي القناير وهي تقور  
انها بالله عز وجل يحسن طاعتها برد الماء فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى عليه الصلاة والسلام ما يلقونه  
من الضفادع وقالوا هذه المرة تتوب ولا نعود فاخذ موسى عليه السلام عابهم اليهود والمواثق ثم دعا الله  
عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعدما أقامت عليهم سبعين من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا  
العهد وعادوا الى كفرهم فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فارسل الله عز وجل عليهم الدم فسال النيل  
عليهم دما عبيطا وصارت مياههم كاهادما وكل ما يستقون من الآبار والأنهار يجذونه دما عبيطا فشكوا  
ذلك الى فرعون وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم فقالوا من أين يسحرنا ونحن لانجد في أوعيتنا  
شيئا من الماء الا دما عبيطا فكان فرعون يجمع بين القبطى والاسرائيلى على اناء واحد فيكون ما يلى  
الاسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما ويفرغان الجررة فيها الماء فيخرج للقبطى دما وللأسرائيلى ماء حتى ان  
المرأة من آل فرعون تاتي الى المرأة من بنى اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول لها استنى من مائك فتصب  
لها في قرتها فيصير في الاناء دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم يحبه في في فتفعل ذلك فيصير دما ثم ان  
فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها دما فمكثوا على ذلك

حتى قاموا في الماء الى  
تراقيهم فمن جلس غرق  
ولم يدخل بيوت بنى  
اسرائيل من الماء قطرة أو  
هو الجدرى أو الطاعون



اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام (مشارك الارض ومغارها) يعني أرض مصر والشام (التي باركنا فيها) بالخصب وسعة الارزاق وكثرة الانهار والاشجار (وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل) هو قوله عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض أو يزيد أن يمن على الذين استضعفوا في الارض (١٣٣) الى ما كانوا يحذرون والحسنى

تأنيث الاحسن صفة للكلمة وعلى صلة تمت أى مضت عليهم واستقرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه (بما صبروا) بسبب صبرهم وحسبك به حائنا على الصبر ودال على ان من قابل البلاء بالجزع وكفه الله اليه ومن قابله بالصبر ضمن الله له الفرج (ودمرنا) اهلكنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من العمارات و بناء القصور (وما كانوا يعرشون) من الجنات أو ما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره و يضم الرءاشامى وأبو بكر وهذا آخر قصة فرعون والقبض وتكذيبهم بآيات الله ثم أتبعه قصة بنى اسرائيل وما أحدثوه بعد انقاذهم من فرعون ومعاباتهم الآيات العظام ومجاورتهم البحر من عبادة البقر وغير ذلك ليتسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمآرآه من بنى اسرائيل بالمدينة (وجاوزنا بنى اسرائيل البحر) روى أنهم عبر بهم موسى

فقتلوا أبناؤهم واستخدموهم فصرروهم مستضعفين تحت أيديهم (مشارك الارض ومغارها) يعني أرض الشام ومصر وأراد بمشاركها وغارها جميع جهاتها ونواحيها وقيل أراد بمشارك الارض ومغارها الارض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل أراد جميع جهات الارض وهو اختيار الزجاج قال لان داود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما كانا من بنى اسرائيل وقدم ملكا لارض **﴿** وقوله عز وجل (التي باركنا فيها) يدل على أنها الارض المقدسة يعني باركنا فيها بالثمار والاشجار والزرع والخصب والسعة (وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل) يعني وتمت كلمة الله وهي وعدهم بالنصر على عدوهم وانتمكين في لارض من بعدهم وقيل كلمة الله هي قوله ويزيد أن يمن على الذين استضعفوا في الارض الآية والحسنى صفة للكلمة وهي تأنيث الاحسن وتماها بنجاستها وعدهم به من تمكنه في الارض واهلاك عدوهم (بما صبروا) يعني انما حصل لهم ذلك التمام وهو ما أنعم الله تعالى به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه وأذى فرعون لهم (ودمرنا) يعني وأهلكنا والدمار اهلاك باستئصال (ما كان يصنع فرعون وقومه) في أرض مصر من العمارات والبنيان (وما كانوا يعرشون) يعني يستقون من ذلك البنيان وقال مجاهد ما كانوا يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن وما كانوا يعرشون من الثمار والاعناب **﴿** قوله عز وجل (وحاوزنا بنى اسرائيل البحر) يعني وقطعنا بينى اسرائيل البحر بعد اهلاك فرعون وقومه واغرقهم فيه يقال جاز الوادى وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراء ظهره وقال الكلبي عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلاك فرعون وقومه فصامه شكر الله تعالى (فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) يعني فر بنو اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون أى يقعون ويواظبون على أصنام لهم يعني تماثيل لهم كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جرير كانت تلك الاصنام تماثيل بقر وذلك أول شأن الجمل وقال قتادة كان أولئك انقوم من لحم وكانوا نزولا بالرفة يعني بالرفة ساحل البحر وقيل كان أولئك الاقوام من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه الصلاة والسلام بقتالهم (قالوا) يعني قال بنو اسرائيل لموسى لما رأوا ذلك التمثال (ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة) يعني كما لهم أصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا أنت الها نعبده ونعظمه قال البغوى رحمه الله ولم يكن ذلك شكاً من بنى اسرائيل في وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل لنا شيئا نعظمه ونقترب بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهالهم وقال غيره هذا يدل على غاية جهل بنى اسرائيل وذلك انهم توهموا أنه يجوز عبادة غير الله تعالى بعدما رأوا الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وكما قدرته وهي الآيات التي تواتت على قوم فرعون حتى أغرقهم الله تعالى في البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله تعالى فحملهم جهلهم على أن قالوا لنبينهم موسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة فرد عليهم موسى عليه الصلاة والسلام بقوله (قال انكم قوم تجهلون) يعني تجهلون عظمة الله تعالى وانه لا يستحق أن يعبد سواه لانه هو الذى أنجاكم من فرعون وقومه فاغرقهم في البحر وأنجاكم منه عن أبى واقد الليثى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة للشركيين كانوا يعاقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان

يوم عاشوراء بعدما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكر الله (فاتوا على قوم) فر و اعليهم (يعكفون على أصنام لهم) يواظبون على عبادتها وكانت تماثيل بقر وبكسر الكاف حزة وعلى (قالوا يا موسى اجعل لنا الها) صما نكف عليه (كما لهم آلهة) أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها قال يهودى اعلى رضى الله عنه اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يحف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا ه ولم تجف أقدامكم (قال انكم قوم تجهلون) تجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى فوصفهم بالجهل المطلق وأ كده

(ان هؤلاء) يعني عبدة تلك التماثيل (متبر) مهلك من التبار (ماهم فيه) أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي وفي ايقاع هؤلاء اسمالان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة (وباطل ما كانوا يعملون) أي ما عملوا من عبادة الاصنام (۱۳۴) باطل مضمحل (قال غير الله أبعيكم اها) أي غير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا

الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا اها كما لهم آلهة والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم أخرج  
الترمذي وقوله تعالى (ان هؤلاء متبر ما هم فيه) أي مهلك والتبر الالهلاك (وباطل ما كانوا يعملون)  
البطلان عبارة عن عدم الشيء اما بعد ذاته أو بعدم فائدته ونفعه والمراد من بطلان عملهم أنه لا يعود عليهم  
من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضرر الا انه عمل غير الله تعالى فكان باطلا لا نفع فيه (قال غير الله أبعيكم اها)  
كما قال بنو اسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا اها كما لهم آلهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيبا لهم  
على سبيل التعجب والانكار عليهم غير الله أبعيكم اها يعني أطلب لكم وأبعيكم اها (وهو فضلكم على  
العالمين) والمعنى أن الاله ليس هوشيا يطلب ويلتمس ويتخير بل الاله هو الذي فضلكم على العالمين لانه  
القادر على الانعام والافضل فهذا هو الذي يستحق أن يعبد ويطاع لا عبادة غيره ومعنى قوله فضلكم على  
العالمين يعني على عالمي زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم به من الآيات الباهرة التي لم تحصل لغيرهم وان كان  
غيرهم أفضل منهم ﴿ قوله عز وجل (واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون  
أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك لآية لقوم يعقلون) هذه الآية تقدم نفس يرها في سورة البقرة  
والفائدة في ذكرها في هذا الموضع أنه تعالى هو الذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم  
الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا اها كما لهم آلهة ﴿ قوله عز وجل (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة)  
يعني وواعدنا موسى عليه الصلاة والسلام لثلاثين ليلة وهي ذوالقعدة (وآتمناها بعشر) يعني عشر  
ذو الحجة وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال المفسرون ان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل اذا  
أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما  
أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه عز وجل أن ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني اسرائيل فأمره  
أن يصوم ثلاثين يوما فصامها فامت أنكر خلوف فيه فتسوك يعود خروب وقيل بل أكل من ورق الشجر  
فقال الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشر ذو الحجة  
وقال له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك فكانت فتنة بني اسرائيل في تلك العشر  
التي زادها الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان الله تعالى أمر موسى عليه الصلاة والسلام ان  
يصوم ثلاثين يوما يعمل فيها ما يتقرب به الى الله ثم كلمه وأعطاه الألواح في العشر التي زادها فلما قال  
وآتمناها بعشر وهذا التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما أجله في سورة البقرة وهو قوله تعالى وواعدنا  
موسى أربعين ليلة فذكره هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل ﴿ وقوله تعالى (فتم ميقات ربه  
أربعين ليلة) يعني فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى عليه الصلاة والسلام وعبادته أربعين ليلة لان  
الميقات هو الوقت الذي قدر أن يعمل فيه عمل من الاعمال ولهذا قيل مواقيت الحج (وقال موسى لأخيه  
هرون اخلفني في قومي) يعني كن أنت خليفتي فيهم من بعدى حتى أرجع اليك (وأصلح) يعني وأصلح أمور  
بني اسرائيل واجلهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما يريد الفرق بينهم والاحسان اليهم  
(ولا تتبع سبيل المفسدين) يعني ولا تسلك طريق المفسدين في الارض ولا تطعمهم والمقصود من هذا الامر  
التأكد لان هرون عليه الصلاة والسلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ليطمئن قلبي

(وهو فضلكم على العالمين)  
حال أي على عالمي زمانكم  
(واذ أنجيناكم من آل  
فرعون) أنجناكم شامى  
(يسومونكم سوء العذاب)  
يبغونكم شدة العذاب  
من سام السلعة اذا طلبها  
وهو استئناف لا محل له أو  
حال من المخاطبين أو من  
آل فرعون (يقتلون أبناءكم  
ويستحيون نساءكم)  
يقتلون نافع (وفي ذلكم)  
أي في الانجاء أو في العذاب  
(بلاء) نعمة أو محنة  
(من ربكم عظيم وواعدنا  
موسى ثلاثين ليلة)  
لا عطاء التوراة (وآتمناها  
بعشر) روى أن موسى  
عليه الصلاة والسلام وعد  
بني اسرائيل وهو بمصر  
ان أهلك الله عدوهم أنا هم  
بكتاب من عند الله فلما  
هلك فرعون سأل موسى  
ربه الكتاب فأمره بصوم  
ثلاثين يوما وهي شهر  
ذو القعدة فلما أتم الثلاثين  
أنكر خلوف فيه فتسوك  
فاوحى الله اليه أما علمت  
أن خلوف فم الصائم أطيب  
عندى من ريح المسك  
فأمره أن يزيد عليها عشرة

أيام من ذو الحجة لذلك (فتم ميقات ربه) ما وقت له من الوقت وضر به له (أربعين ليلة) نصب على  
الحال أي تم بالعبادة العدد ولقد أجل ذكر الاربعين في البقرة وفصلها هنا (وقال موسى لأخيه هرون) هو عطف بيان لأخيه (اخلفني  
في قومي) كن خليفتي فيهم (وأصلح) ما يجب أن يصلح من أمور بني اسرائيل (ولا تتبع سبيل المفسدين) ومن دعاك منهم الى  
الافساد فلا تتبعه ولا تطعمه

(ولما جاء موسى لميقاتنا) يعني للوقت الذي وقتنا الذي وقتناه وحددنا ومعنى اللام الاختصاص أى اختص بميقاتنا (وكلمه ربه) بلا واسطة ولا كيفية وروى انه كان يسمع الكلام من كل جهة وذكر الشيخ في التأويلات أن موسى عليه السلام سمع صوتا دالا على كلام الله تعالى وكان اختصاصه باعتبار أنه أسمعته صوتا تولى تخليفه من غير أن يكون ذلك الصوت مكتسبا لاحد من الخلق وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى فلما سمع كلامه طمع في رؤيته اغلبة شوقه فسأل الرؤية بقوله (قال رب أرني أنظر اليك) ثانيا مفعولى أرني محذوف أى أرني ذاتك أنظر اليك يعنى مكنتى من رؤيتك بان تتجلى لى حتى أراك أرني مكى وبكسر الراء مختلصة بأبو عمرو وبكسر الراء مشبعة غيرهما وهو دليل لاهل السنة على جواز الرؤية فان موسى عليه السلام اعتقد ان الله تعالى يرى حتى سأل واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله كافر (قال ابن ترائى)

وكقولك للقاعد اقعدي بمعنى دم على ما أنت عليه من القعود قوله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا) يعني للوقت الذي وقتناه ان يأتي فيه لمناجاتنا وهو قوله (وكلمه ربه) وفي هذه الآية دليل على ان الله عز وجل كلم موسى عليه الصلاة والسلام واختلف الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري كلمه ربه عز وجل من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في الالواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولاشك في بطلانه وفساده لان الشجرة أو ذلك الجرم لا يقول اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهبت الحنابلة ومن وافقهم الى ان كلام الله تعالى حروف وأصوات متقطعة وانه قديم وذهب جمهور المتكلمين الى أن كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة أزلية والقائلون بهذا القول قالوا ان موسى عليه الصلاة والسلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية وقالوا كما انه لا يبعد رؤية ذاته وليست جسماء ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع أن كلامه ليس بصوت ولا حرف ومذهب أهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف ان الله تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تأويله وحقيقته قال أهل التفسير والخبار لما جاء موسى عليه الصلاة والسلام لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم أتى طور سيناء وفي القصة ان الله تعالى أنزل ظلة تغشت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية وطرده عنه الشيطان وهوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما في الهواء ورأى العرش بارزا وأدناه ربه حتى سمع صريف الاقلام على الالواح وكلمه الله تبارك وتعالى وناجاه وأسمعته كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى فاستجلى كلام ربه عز وجل واشتاق الى رؤيته (قال رب أرني أنظر اليك) قال الزجاج فيه اختصار تقديره أرني نفسك أنظر اليك وقال ابن عباس معناه اعطني أنظر اليك وانما سأل موسى عليه الصلاة والسلام الرؤية مع علمه بان الله تعالى لا يرى في الدنيا لما حاج به من الشوق وفاض عاينه من أنواع الجلال حتى استغرق في بحر المحبة فعند ذلك سأل الرؤية وقيل انما سأل الرؤية ظنا منه بانه تعالى يرى في الدنيا فتعالى الله عن ذلك (قال ابن ترائى) يعنى ليس لبشر ان يرانى في الدنيا ولا يطبق النظر الى في الدنيا ومن نظر الى في المنامات فقال موسى عليه الصلاة والسلام الهى سمعت كلامك فاشتقت الى النظر اليك ولأن أنظر اليك ثم أموت أحب الى من أن أعيش ولا أراك وقال السدى لما كلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام غاص عدو الله ابليس الخبيث في الأرض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه الرؤية فقال رب أرني أنظر اليك قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام لن ترانى

**فصل** وقد نمسك من نفي الرؤية من أهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى لن ترانى قالوا لن تكون للتأييد والدوام ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة وما قالوه في أن لن تكون للتأييد خطأ بين ودعوى على أهل اللغة اذ ليس يشهد لما قالوه نص عن أهل اللغة والعربية ولم يقل به أحد منهم وبدل على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود ولن يتموه أبدا مع انهم يتمون الموت يوم القيامة يدل عليه قوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقوله ياليتها كانت القاضية فان قالوا ان معناها تاكيد النفي كالاتى تنفى في المستقبل قلنا ان سح هذا التأويل فيكون معنى لن ترانى محمولا على الدنيا أى لن ترانى في الدنيا جمعاً بين دلائل الكتاب والسنة فانه قد ثبت في الحديث الصحيح ان المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة في الدار الآخرة وأيضاً فان موسى عليه الصلاة والسلام كان عارفاً بالله تعالى وبما يجب ويجوز ويمتنع على الله عز وجل وفي الآية دليل على انه سأل الرؤية فلو كانت الرؤية ممتنعة على الله تعالى لما سألها موسى عليه الصلاة والسلام فثبت سألها علمنا ان الرؤية جائزة على الله تعالى وأيضاً فان الله عز وجل حلح علق رؤيته على أمر جائز والمعلق على الجائز جائز فيلزم من

ذلك كون الرؤية في نفسها جائزة وانما قلنا ذلك لانه تعالى علق رؤيته على استقرار الجبل وهو قوله تعالى (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) وهو امر جائز الوجود في نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رؤيته جائزة الوجود لان استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلي اذا جعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا والله اعلم بمراده قال وهب ومحمد بن اسحق لما سأل موسى عليه الصلاة والسلام به عز وجل الرؤية ارسل الله الضباب والرياح والصواعق والرعد والبرق والظلمة حتى احاطت بالجبل الذي عليه موسى عليه الصلاة والسلام اربع فراسخ من كل جانب وامر الله تعالى اهل السموات ان يعترضوا على موسى عليه الصلاة والسلام فرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع افواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى رب اني كنت عن هذا غنيا ثم امر الله تعالى ملائكة السماء الثانية ان اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه مثال الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف موسى بن عمران مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وبدنه ثم قال لقد ندمت على مسئلتى فهل ينجنى مما أنا فيه شيء فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم امر الله ملائكة السماء الثالثة ان اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه أمثال النور لهم قصف ورجف ورجف شديد وافواههم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم ألوانهم كذهب النار ففزع موسى واشتد فزعهم وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة ورئيسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم امر الله ملائكة السماء الرابعة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا قبلهم ألوانهم كذهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقار بهم شيء من أصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وأرعد قلبه واشتد بكأؤه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم امر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره ولم ير مثاهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوفه خوفا واشتد خزنه وكثر بكأؤه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا صبر عليه ثم امر الله تعالى ملائكة السماء السادسة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نار أشد ضوا من الشمس ولباسهم كذهب النار اذا سبحوا وقد سوا جاوبهم من كان قبلهم من الملائكة كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبح قدوس رب العزة أبدا لا يموت في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رأهم موسى عليه الصلاة والسلام رفع صوته يسبح معهم وهو يبكي ويقول رب اذكرني ولا تنس عبدك فلا أدري أنفأت مما أنا فيه أم لا ان خرجت احترقت وان أقت مت فقال له كبير الملائكة ورئيسهم قدأوشكت يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت ثم امر الله تعالى ان يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فاما بدانور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملائكة أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لا يموت فارتح الجبل لشدة أصواتهم وانندك وانندك كل شجرة كانت في وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ايس معه روحه فارسل الله تعالى برحمته الروح فتغشته وقلب عليه الحجر الذي كان جلس عليه موسى فصار عليه كهيئة القبة لئلا يحترق موسى عليه الصلاة والسلام وأقامت الروح عليه مثل اللامة فلما أفاق موسى قام يسبح ويقول أنت بك وصدقت أنه لا يراك أحد فبصحا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب ومالك الملوك والاله العظيم لا يعد لك شيء ولا يقوم لك شيء رب ثبت اليك الحمد لا ثم يك لك ما أعظمك وما أجلك يا رب العالمين فذلك قوله تعالى ﴿ فلما تجلى ربه

بالسؤال بعين فانية بل بالعباء والنوال بعين باقية وهو دليل لنا ايضا انه لم يقل ان ارى ليكون نفيًا للجواز ولو لم يكن مرثيا لا خبر به ليس بمرثي اذ الحالة حالة لحاجة الى البيان (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) تقي على حاله (فسوف تراني) وهو دليل لنا أيضا لانه عاق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعلق الشيء بما هو ممكن يدل على امكانه كالتعلق بالمتنع يدل على امتناعه والدليل على انه يمكن قوله جعله دكار لم يقل اندك وما وجدته تعالى كان جائز أن لا يوجد لولم يوجد لانه مختار في فعله ولا به تعالى آيسه عن ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محال لعاتبه كما عاتب نوحا عليه السلام بقوله اني أعظك أن تكون من الجاهلين حيث سأل انجاء ابنه من الغرق (فلما تجلى ربه



للجبل) أي ظهور بان ظهور ابلا كيف قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى التجلي للجبل ما قاله الأشعري أنه تعالى خلق في الجبل حياة وعلم ورؤية حتى رأى ربه وهذا نص في إثبات كونه مرئياً وبه هذه الوجوه يتبين جهل منكري الرؤية وقولهم بان موسى عليه السلام كان عالماً بأنه لا يرى ولكن طلب قومه أن يريهم به كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فطلب الرؤية ليمين الله تعالى أنه ليس بمرئي باطل إذ لو كان كما زعموا لكان أروهم بنظر واليك ثم يقول له ان يروني (١٣٧) ولأنها لو لم تكن جائزة لما أخرج

موسى عليه السلام الرد عليهم بل كان يرد عليهم وقت قرع كلام سمعه لما فيه من التقرير على الكفر وهو عليه السلام بعث لتغييره لا لتقريره الأتري أنهم لما قالوا له اجعل لنا لها كطهم آلهة لم يعلمهم بل رد عليهم من ساعته بقوله انكم قوم تجهلون (جعل له دكا) مدكوكا مصدر بمعنى المفعول كضرب الأمير والدق والدك اخوان دكاء جزرة وعلى أي مستوية بالارض لا أكمة فيها وناقة دكاء لاسنام لها (وخرموسى صعقا) حال أي سقط مغشياً عليه (فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك تبت اليك) من السؤال في الدنيا (وأنا أول المؤمنين) بعظمتك وجلالك وبأنك لا تعطى الرؤية في الدنيا مع جوازها وقال الكعبى والاصم معنى قوله أرني أنظر اليك أرني آية أعلمك بها بطريق الضرورة كاني أنظر اليك لن تراني لن تطيق معرفتي به هذه

للجبل جعله دكا) قال ابن عباس ظهر نور ربه للجبل فصارت ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك أظهر الله عز وجل من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ما تجلى للجبل من عظمة الله تعالى إلا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدي ما تجلى الأقدار الخنصر بدل عليه ما روى ثابت عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوي هكذا بغير سند وأخرجه الترمذي أيضا عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد هكذا وأمسك بطرف إبهامه على أنملة أصبعه اليميني فساخ الجبل وخرموسى عليه السلام صعقا وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة ويروى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نور اقدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالارض وقال ابن عباس جعله ترابا وقال سفیان ساخ الجبل حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي صار ملاحا ثلاثا وقال الكلبى جعله دكا يعني كسر اجبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة اجبل فوق ثلاثة بالمدينة وهي أحد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهي نور وثبير وحراء وقال تعالى (وخرموسى صعقا) قال ابن عباس والحسن يعني مغشيا عليه وقال قتادة يعني ميتا والاول أصح لقوله (فلما أفاق) والميت لا افاقة له انما يقال أفاق من غشيته قال الكلبى صعق موسى عليه الصلاة والسلام يوم الخميس وهو يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر وقال الواقدي لما خرموسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن عمران وسؤال الرؤية وفي بعض الكتب ان ملائكة السموات أتوا موسى وهو في غشيته فجعلوا يركونه ويقولون يا ابن النساء الخيض أطمعت في رؤية رب العزة فلما أفاق يعني من غشيته ورجع عقله اليه وعرف انه سأل أمر اعظيما لا ينبغي له (قال سبحانك) يعني تنزيها لك من النقائص كلها (تبت اليك) يعني من مسئلتى الرؤية بغير اذنك وقيل من سؤال الرؤية في الدنيا وقيل لما كانت الرؤية مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعها قال سبحانك تبت اليك يعني من سؤالى ما ليس لي وقيل لما سأل الرؤية ومنعها قال تبت اليك يعني من هذا السؤال وحسنات الابراسيات المقر بين (وأنا أول المؤمنين) يعني بانك لا ترى في الدنيا وقيل وأنا أول المؤمنين يعني من بنى اسرائيل بقي في الآية سوالات الاول ان الرؤية عين النظر فكيف قال أرني أنظر اليك وعلى هذا يكون التقدير أرني حتى أراك والجواب عنه ان معنى قوله أرني اجعلني متمكنا من رؤيتك حتى أنظر اليك وأراك السؤال الثاني كيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي حتى يكون مطابقا لقوله أنظر اليك والجواب ان النظر لما كان مقدمة الرؤية كان المقصود هو الرؤية لا النظر الذي لا رؤية معه السؤال الثالث كيف استدرك وكيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله والجواب ان المقصود منه تعظيم أمر الرؤية وان أحد الايقوى على رؤيته تعالى الامن قواه الله تعالى بمعوتته وتأيدته الأتري انه لما ظهر أثر التجلي للجبل اندك وتقطع فهذا هو المراد من هذا الاستدراك لانه يدل على تعظيم أمر الرؤية والله أعلم بمراده (قوله عز وجل) (قال يا موسى انى اصطفتك على الناس برسالاتى وبكلامى) يعني قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام يا موسى انى

(١٨ - (خازن) - ثاني) الصفة ولكن انظر الى الجبل فاني أظهر له آية فان ثبت الجبل لتجليها واستقر مكانه فسوف تثبت لها وتطيق وهذا فاسد لانه قال أرني أنظر اليك ولم يقل اليها وقال ان تراني ولم يقل ان ترأيتى وكيف يكون معناه ان ترأيتى وقد أراه أعظم الآيات حيث جعل الجبل دكا (قال يا موسى انى اصطفتك على الناس) اخترتك على أهل زمانك (برسالاتى) هي أسفار التوراة برسالتى حجازى (وبكلامى) وبكلامي اياك

اخترتك واتخذتك صفوة والاصطفاء الاستخلاص من الصفوة والاجتباء والمعنى اني فضلتك واجتبيتك على الناس وفي هذا تسلية لموسى عليه الصلاة والسلام عن منع الرؤية به حين طلبها لان الله تعالى عـدد عليه نعمه التي انعم بها عليه وامره ان يشتغل بشكرها كانه قال له ان كنت منعت من الرؤية التي طلبت فقد اعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيـق صدرك بسبب منع الرؤية وانظر الى سائر انواع النعم التي خصصتك بها وهي الاصطفاء على الناس برسالاتي وبكلامي يعني من غير واسطة لان غيره من الرسل منع كلام الله تعالى الا بواسطة الملك فان قلت كيف قال اصطفتك على الناس برسالاتي مع ان كثيرا من الانبياء قد ساواه في الرسالة قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال جوابين أحدهما ذكره البغوي فقال لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفتك على الناس وان شاركه فيها غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتي وان كان قد شاور غيره اذ لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيا وفي هذا الجواب نظر لان من جملة من اصطفاه الله برسالاته محمد صلى الله عليه وسلم وهو افضل من موسى عليه الصلاة والسلام فلا يستقيم هذا الجواب الثاني ذكره الامام نـفر الدين الرازي فقال ان الله تعالى بين انه خصه بمجموع أمرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ما حصل لغيره فنبت انه انما حصل التخصيص ههنا لانه سمع ذلك الكلام بغير واسطة وانما كان الكلام بغير واسطة سبب لما يزيد الشرف بناء على العرف الظاهر لان من سمع كلام الملك العظيم من فيه كان أعلى وأشرف ممن سمعه بواسطة الحجاب والنواب وهذا الجواب فيه نظر أيضا لان محمد صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالاته وكلمة ليل المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى أمته الصلوات وخاطبه بيا محمد يدل عليه قوله فأوحى الى عبده ما أوحى ورفع الى حيث سمع صريف الاقلام وهذا كله يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى عليه الصلاة والسلام وغيره من الانبياء فلا يستقيم هذا الجواب أيضا والذي يعتمد في الجواب عن هذا السؤال ان الله اصطفى موسى عليه الصلاة والسلام برسالاته وبكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه وذلك انه لم يكن في ذلك الوقت أعلى من صبا ولا أشرف ولا أفضل منه وهو صاحب الشريعة الظاهرة وعليه نزلت التوراة فدل ذلك على انه اصطفاه على ناس زمانه كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم وهو قوله تعالى يا بني اسرائيل اذ كروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعني على عالمي زمانهم وقوله تعالى (نفسا آيتك) يعني ما فضلتك وأكرمتك به (وكن من الشاكرين) يعني على انعمي عليك وفي القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام كان بعدما كلمه به لا يستطيع أحد ان ينظر اليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت زوجته ألم أراك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك لك ان لم تزوجي بعدي فان المرأة لاخر أزواجها وقوله تعالى (وكتبنا في الالواح) قال ابن عباس يريد الالواح التوراة والمعنى وكتبنا لموسى في الالواح التوراة قال البغوي وفي الحديث كانت من صدر الجنة طول الالواح اثنا عشر ذراعا وجاء في الحديث خلق الله تعالى آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الالواح من خشب وقال الكبي من زبرجدة خضراء وقال سعيد بن جبيرة من ياقوتة حمراء وقال ابن جرير من زمرد أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستخدم من نهر النور وقال الربيع بن أنس كانت الالواح من زبرجد وقال وهب أمره الله بقطع الالواح من صخرة صماء لينهاه فقطعها بيده ثم شققها باصبعه وسمع موسى عليه الصلاة والسلام صريف الاقلام بالكلمات العشرة وكان ذلك في أول يوم من ذي الحجة وكان طول الالواح عشرة أذرع على طول موسى وقيل ان موسى خرصعا يوم عرفه فاعطاه الله التوراة يوم النحر وهذا أقرب الى الصحيح واختلفوا في عدد الالواح فروى عن ابن عباس

(نفسا آيتك) أعطيتك  
من نـرف النبوة والحكمة  
(وكن من الشاكرين)  
على النعمة في ذلك فهي  
من أجل النعم قيل خر  
موسى صـعقا يوم عرفه  
وأعطى التوراة يوم النحر  
ولما كان هرون وزيرا  
وتابعا لموسى تخصص  
الاصطفاء بموسى عليه

انها كانت سبعة ألواح وروى عنه انها لوحان واختاره الفراء قال وانما جعت على عادة العرب في اطلاق الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة ألواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن أنس نزلت التوراة وهي وقر سبعين بعبراً يقرأ الجزء منها في سنة ولم يقرأها الا أربعة نفر موسى و يوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم الصلاة والسلام والمراد بقوله لم يقرأها يعني لم يحفظها و يقرأها عن ظهر قلبه الا هؤلاء الاربعة وقال الحسن هذه الآية في التوراة بالف آية يعني قوله (وكتبنا له في الألواح من كل شيء) يعني يحتاج اليه من أمر ونهي (موعظة) يعني نهي عن الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته (وتفصيلاً لكل شيء) يعني وتبيننا لكل شيء من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام مما يحتاج اليه في أمور الدين وروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له يعني في التوراة لا تشرك في شيء من أهل السماء ولا من أهل الأرض فان كل ذلك خافي ولا تخلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا زكيه وقر والديك وروى البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه الصلاة والسلام نظر في التوراة فقال اني أجد أمة خيرا لامم أخرجت للناس يا مرون بالمعروف وينهون عن المنكر و يؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلون الاعور والذجال رب اجعلهم امتي قال هي أمة محمد يا موسى فقال رب اني لا جد أمة هم الجادون رعاة الشمس المحكمون اذا أراد أمر اقلوا نفعه ان شاء الله فاجعلهم امتي قال هي أمة محمد قال رب اني أجد في التوراة أمة يا كلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفعون لهم فاجعلهم امتي قال هي أمة محمد قال يا رب اني أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله واذا هبط واذا جحد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حينما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غر محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم امتي قال هي أمة محمد قال يا رب اني أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة بمثلها وان عملها كتبت بعشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم امتي قال هي أمة محمد قال يا رب اني أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الامر حوما فاجعلهم امتي قال هي أمة محمد قال رب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار أحد منهم أبدا الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء البحر فاجعلهم امتي قال هي أمة محمد فلما عجب موسى من الخير الذي اعطاه الله عز وجل محمد اصلى الله عليه وسلم وأتمته قال يا ليتني من أصحاب محمد فإوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيه بهن يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي الى قوله سأريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضا ﴿وقوله تعالى﴾ (خذها بقوة) يعني وقلنا لموسى عليه الصلاة والسلام اذ كتبنا له في الألواح من كل شيء خذها بجد واجتهاد وقيل معناه خذها بقوة قلب وصحة عزيمة ونية صادقة لان من أخذ شيئا بضعف نية أداه الى الفتور (وأمر قومك ياخذوا باحسنها) قال ابن عباس يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا أمثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابها وكان موسى عليه الصلاة والسلام أشد عبادة من قومه فامر بمالم يؤمر وابه وقيل ظاهر قوله وأمر قومك ياخذوا باحسنها يدل على ان بين التكليفين فرقا ليكون في هذا الفصل فائدة وهي ان التكليف كان على موسى أشد لانه تعالى لم يرخص له ما رخص لغيره من قومه فان قلت ظاهر قوله تعالى ياخذوا باحسنها ليس بحسن وذلك لم يقل به أحد فامعنى قوله ياخذوا باحسنها قلت ان التكليف كله حسن وبعضه أحسن كالتقصاص حسن ولكن العفو أحسن

السلام (وكتبنا له في الألواح) الألواح الألواح التوراة جمع لوح وكانت عشرة ألواح وقيل سبعة وكانت من زمر دوقيل من خشب نزلت من السماء فيها التوراة (من كل شيء) في محل نصب على انه مفعول كتبنا (موعظة وتفصيلاً لكل شيء) بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعبر لم يقرأها كلها الا أربعة نفر موسى و يوشع وعزير وعيسى (خذها) فقلنا له خذها عطفاً على كتبنا والضمير للألواح أو لكل شيء لانه في معنى الاشياء (بقوة) بجد وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل (وأمر قومك ياخذوا باحسنها) أي وبها ما هو حسن وأحسن كالتقصاص والعفو والانتصار والصبر فرهم أن ياخذوا بما هو أدخل في الحسن وأكثر الثواب كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم

(سار يكمدار الفاسقين) دار فرعون وقومه وهي مصر ومنازل عاد وثمود والقرن المهلكة كيف أقفرت منهم لتعتبر وافلاتنفس قوامثل فسقهم فينكل بكم مثل نكاظم أوجهنم (سأصرف عن آياتي) عن فهمها قال ذوالنون قدس الله روحه أني الله أن بكرم قلوب البطالين بكنون حكمة القرآن (الذين يتكبرون) (١٤٠) يتظارلون عن قبول الحق وحقيقته التكاف للكبرياء التي اختصت بالباري عزت قدرته (في الارض بغير الحق) هو حال أي يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده (وان يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشدي) طريق صلاح الامراء وطريق الهدى الرشدي حزة وعلى وهما كالسقم والسقم (لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل النفي) الضلال (يتخذوه سبيلا) ومحل (ذلك) الرفع أي ذلك الصرف (بانهم كذبوا باياتنا) بسبب تكذيبهم (وكانوا عنها غافلين) غفلة عناد واعراض لا غفلة سهو وجهل (والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة) هو من اضافة المصدر الى المفعول به أي ولقاءهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها (حبطت أعمالهم) خبر والذين (هل يجزون الاما كانوا يعملون) وهو تكذيب الاحوال بتكذيب الارسال (واتخذ قوم موسى من بعده) من بعده ذهابه الى الطور (من حلبيهم) وانما نسب اليهم

وكالاتصار حسن والصبأحسن منه فامروا أن ياخذوا بالاشد على أنفسهم ليكون ذلك أعظم في الثواب فهو كقوله اتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح والاحسن الاخذ بالاشد والاشق على النفس وقيل معناه باحسنها بحسنها واكلها احسن وقوله تعالى (سار يكمدار الفاسقين) قال مجاهد يعني مصيركم في الآخرة وقال الحسن وعطاء يريد جهنم يحذر كم أن تكونوا مثلهم وقال قتادة سأدخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله تعالى لتعتبروا بها وقال عطية العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال السدي يعني منازل الكفار وقال الكاكي هي منازل عاد وثمود والقرن الذين هلكوا فكانوا يرون عليها اذا سافروا وقوله عز وجل (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون أوليائي سأصرف فهم عن قبول آياتي والتصديق بها حتى لا يؤمنوا بي عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينة سأمنعهم فهم القرآن وقيل معناه سأصرفهم عن التفكير في خلق السموات والارض وما فيها من الآيات والعبر وقيل حكم الآية لاهل مصر خاصة وأراد بالآيات الآيات التسع التي أعطاها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام والا كثرون على ان الآية عامة وفيه دليل لمذهب أهل السنة على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن آياته وقبول الحق من يشاء ويوفق بالتفكير في آياته وقبول الحق من يشاء لانه القادر على ما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ومعنى الذين يتكبرون الذين يرون أنهم أفضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم والتكبر على هذه الصفة لا يكون الا لله عز وجل لانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لاحد سواه فالتكبر في حق الله عز وجل صفة مدح وفي حق المخلوقين صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار كبر النفس على غيرها فهو صفة ذم في حق جميع العباد وقوله يتكبرون من الكبر لا من التكبر أي يفتعلون التكبر ويرون أنهم أفضل من غيرهم فلذلك قال يتكبرون في لارض بغير الحق بل بالباطل (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشدي) يعني طريق الحق والهدى والسداد والصواب (لا يتخذوه سبيلا) يعني لا يختاروه لانفسهم طر يقا يسلكونه الى الهداية (وان يروا سبيل النفي) يعني طريق الضلال (يتخذوه سبيلا) ذلك الذي اختاروه لانفسهم من ترك الرشدي واتباع النفي بسبب انهم كذبوا بايات الله الدالة على توحيديه (وكانوا عنها غافلين) يعني عن التفكير فيها والاتعابها (والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة) يعني ولقاء الدار الآخرة التي فيها الثواب والعقاب (حبطت أعمالهم) يعني بطلت فصارت كأن لم تكن والمعنى انه قد يكون في الذين يكذبون بايات الله من يعمل البر والاحسان والخير فيبين الله تعالى به هذه الآية ان ذلك ليس ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بايات الله وانكارهم الدار الآخرة والبعث (هل يجزون الاما كانوا يعملون) يعني هل يجزون في العقبي الاجزاء العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا وقوله تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده) يعني من بعد انطلق موسى الى الجبل المناجاة ربه عز وجل (من حلبيهم) يعني التي استعاروها من قوم فرعون وذلك ان بني اسرائيل كان لهم عيد فاستعاروا من القبط الخلى ليتزينوا به في عيدهم فبقي عندهم الى أن أهلك الله فرعون وقومه

قدرة (في الارض بغير الحق) هو حال أي يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده (وان يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشدي) طريق صلاح الامراء وطريق الهدى الرشدي حزة وعلى وهما كالسقم والسقم (لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل النفي) الضلال (يتخذوه سبيلا) ومحل (ذلك) الرفع أي ذلك الصرف (بانهم كذبوا باياتنا) بسبب تكذيبهم (وكانوا عنها غافلين) غفلة عناد واعراض لا غفلة سهو وجهل (والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة) هو من اضافة المصدر الى المفعول به أي ولقاءهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها (حبطت أعمالهم) خبر والذين (هل يجزون الاما كانوا يعملون) وهو تكذيب الاحوال بتكذيب الارسال (واتخذ قوم موسى من بعده) من بعده ذهابه الى الطور (من حلبيهم) وانما نسب اليهم

مع انها كانت عواري في أيديهم لان الاضافة تكون لادنى ملابسة وفيه دليل على ان من حلف أن لا يدخل دار فلان فبقي قد دخل دار استعارها بحيث على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم وفيه دليل على ان الاستيلاء على أموال الكفار بوجوب زوال ملكهم عنها نعم المتخذ هو السامري وليكنهم رضوا به فاستند الفعل اليهم والخلي جمع حلي وهو اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة حلبيهم حزة وعلى بالاتباع

(عجلا) مفعول اتخذ (جسدا) بدل منه أي بدنًا ذا لحم ودم كسائر الاجساد (له خوار) هو صوت البقر والمفعول الثاني محذوف أي الها ثم عجب من عقولهم السخيفة فقال (ألم يروا) حين اتخذوه الها (انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته انقذ البحر قبل أن تنفذ

(١٤١)

الى سبيل الحق بما  
أركز في العقول من الأدلة  
وبما أنزل في الكتب ثم  
ابتداء فقال (اتخذوه) الها  
فاقدموا على هذا الامر  
المنكر (وكانوا ظالمين ولما  
سقط في أيديهم) ولما اشتد  
ندمهم على عبادة العجل  
وأصله أن من اشتد ندمه  
أن يعرض يده غمًا فصير  
يده مستقوطينها لان فاء  
وقع فيها وسقط مسند الى  
في أيديهم وهو من باب  
الكناية وقال الزجاج معناه  
سقط الدم في أيديهم أي  
في قلوبهم وأنفسهم كما يقال  
حصل في يده مكروه وان  
استحال أن يكون في اليد  
تشبيها لما يحصل في القلب  
وفي النفس بما يحصل في  
اليد ويرى بالعين (ورأوا  
انهم قد ضلوا) وتبينوا  
ضلالهم تبينا كأنهم  
أبصروه بعيونهم (قالوا لئن  
لم ير حنار بنا وغفر لنا) لئن  
لم ير حنار بنا وغفر لنا حجة  
وعلى وانتصاب ر بنا على  
النداء (التي كون من  
الخاسرين) المغبونين في  
الدنيا والآخرة (ولما  
رجع موسى) من

فبقي الخلى ابني اسرائيل ملكا لهم فذلك قال الله تعالى من حلبيهم فلما أبطأ موسى عاينهم جمع السامري ذلك الخلى وكان رجلا مطاعا في بني اسرائيل فذلك قال تعالى واتخذ قوم موسى واتخذ هو واحد فنسب الفعل الى الكل لانه كان برضاهم فكانهم أجمعوا عليه وكان السامري رجلا صائغا فصاغ لهم (عجلا جسدا) يعني من ذلك الخلى وهو الذهب والفضة وألقى في ذلك العجل من تراب أثرفرس جبريل عليه السلام فتحول عجلا جسدا لما ودما (له خوار) هو صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وجهور أهل التفسير وقيل كان جسدا لا روح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت كان خفيق الريح وذلك انه جعله محوفا ووضع في جوفه أنابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت في تلك الانابيب فيسمع لها صوت كصوت البقر والقول الاول أصح لانه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا وكما خار سجدوا له واذا سكت رفعوا رؤسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال السدي كان يخور ويمشي (ألم يروا) يعني الذين عبدوا العجل وقيل أن بني اسرائيل كلهم عبدوا العجل الا هرون عليه الصلاة والسلام بدليل قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده وهذا يفيد العموم وقيل ان بعضهم عبدوا العجل وهو الصحيح وأجيب عن قوله واتخذ قوم موسى انه خرج على الاغلب وكذا قوله ألم يروا (انه) يعني العجل الذي عبدوه (لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) يعني ان هذا العجل لا يمكنه أن يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جادا أو حيوانا ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح لان يعبد (اتخذوه وكانوا ظالمين) يعني لانفسهم حيث أعرضوا عن عبادة الله تعالى الذي يضر وينفع واشتغلوا بعبادة العجل الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم الى رشد وصواب قوله عز وجل (ولما سقط في أيديهم) يعني ولما قدموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على أمر سقط في يده وذلك لان من شأن من اشتد ندمه على أمر ان يعرض يده ثم يضرب على فخذه فتصير يده ساقطة لان السقوط عبارة عن النزول من أعلى الى أسفل (ورأوا أنهم قد ضلوا) يعني وتيقنوا انهم على الضلالة في عبادتهم العجل (قالوا لئن لم ير حنار بنا وغفر لنا) يعني يتب علينا ويتجاوز عنا (لنكونن من الخاسرين) يعني الذين خسروا أنفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها وهذا كلام من اعترف بعظيم ما أقدم عليه من الذنب وندم على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى في اقالة عثرته واعترافهم على أنفسهم بالخسران ان لم يغفر لهم ربهم ويرحمهم كلام التائب النادم على ما فرط منه وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام اليهم وهو قوله تعالى (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا) يعني ولما رجع موسى عليه الصلاة والسلام من مناجاة ربه الى قومه في بني اسرائيل رجوع غضبان أسفالا لان الله تعالى كان قد أخبره أنه قد فتن قومه وان السامري قد أضلهم فكان موسى في حال رجوعه غضبان أسفا قال أبو الدرداء الاسف أشد الغضب وقال ابن عباس والسدي الاسف الحزن والاسيف الحزين قال الواحدى والقولان متقاربان لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكره من هو دونك غضبت واذا جاءك ما تكره من هو فوقك حزنفت قسمي احدي هاتين الحالتين حزنا والاخرى غضبا فعلى هذا كان موسى عليه الصلاة والسلام غضبان على قومه لاجل عبادتهم العجل أسفا حزين لان الله تعالى فتنهم وان الله تعالى قد أعلمه بذلك فحزن لاجل ذلك (قال) يعني موسى عليه الصلاة والسلام لقومه (بشما خلفتموني من بعدى)

الطور (الى قومه) بني اسرائيل (غضبان) حال من موسى (أسفا) حال أيضا أي حزينا (قال بشما خلفتموني) فتم مقامي وكنتم خلفائي (من بعدى) والخطاب لعبدية العجل من السامري وأشياعه أو هرون ومن معه من المؤمنين و يدل عليه قوله اخلفني في فومي والمعنى بشما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله أو حيث لم تفعلوا عن عبادة غير الله وفاعل بشس مضمير يفسره ما خلفتموني

والمخصوص بالذي محذوف تديره بس خلافة خلفتهم من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى بعد قوله خلفتموني من بعد ما رأيت منى  
من توحيد الله ونبي الشركاء عنه ومن بعد ما كنت أحمل بنى اسرائيل على التوحيد وكفهم عن عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما  
لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا (١٤٢) بسيرة المستخلف (أعجلتم) أسبقتم بعبادة العجل (أمر ربكم) وهو آتيا في لكم

باتورا بعد أربعين ليلة  
وأصل العجلة طلب الشيء  
قبل حينه وقيل عجالتهم بمعنى  
تركتم (وألقى الألواح)  
ضجرا عند استماعه حديث  
العجل غضب الله وكان في  
نفسه شديدا غضب وكان  
هرون أبا من جانا ولذلك  
كان أحب إلى بنى اسرائيل  
من موسى فتكسرت  
فرقت ستة أسباعها وبقى  
سبع واحد وكان في بارفغ  
تفصيل كل شيء وفيما بقي  
هدى ورجة (وأخذ برأس  
أخيه بشعر رأسه غضبا  
عليه حيث لم يمنعهم عن  
عبادة العجل (بجره إليه)  
عتابا عليه لاهوانابه وهو  
حال من موسى (قال ابن أم)  
بنى الابن مع الام على الفتح  
خمس عشرة و بكسر الميم  
جزة وعلى وشامى لان أصله  
أى خذف الياء اجترأ  
عنها بالكسرة وكان ابن  
أمه وأبيه وانما ذكر الام  
لأنها كانت مؤمنة ولان  
ذكرها ادعى الى العطف  
(ان القوم استضعفوني  
وكادوا يقتلونى) أى انى  
لم آل جهدا في كفهم  
بالوعظ والانذار ولكنهم

أى بس الفعل فعلتم بعد فراقى اياكم وهذا الخطاب يحتمل أن يكون عبادة العجل من السامرى  
وأتباعه أو هرون والمؤمنين من بنى اسرائيل فعلى الاحتمال الاول فى انه خطاب عبادة العجل يكون  
المعنى بسما خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال الثانى وهو أن يكون  
الخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين يكون المعنى بسما خلفتموني حيث لم تمنعوه من عبادة غير الله  
تعالى وقدر أيت منى الامر بتوحيد الله تعالى واخلاص العبادة له ونبي الشركاء عنه وحمل بنى اسرائيل على  
ذلك ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة مستخلفهم ﴿وقوله (أعجلتم أمر ربكم) معنى العجلة التقدم بالشيء  
قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشيء فى أول وقته ولقائل أن يقول  
لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه الصلاة والسلام وعجلت اليك رب لترضى ومعنى الآية أعجلتم  
ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن أعجلتم وعد ربكم الذى وعدكم من الاربعين وذلك انهم قد مروا انه  
ان لم يات على رأس الثلاثين فقدمت وقيل معناه أعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل وقال الكلبى معناه  
أعجلتم بعبادة العجل قبل أن ياتىكم أمر ربكم \* ولما ذكر الله تعالى أن موسى عليه الصلاة والسلام رجع  
الى قومه غضبان أسفا ذكر بعده ما أوجبه الغضب فقال تعالى (وألقى الألواح) يعنى التى فيها التوراة  
وكان حاملها فالتقاه من شدة الغضب قالت الرواة وأصحاب الاخبار كانت التوراة سبعة أسباع فلما ألقى  
موسى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباع وبقى سبع واحد فرفع منها ما كان من أخبار الغيب وبقى ما  
فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروى أن الله تعالى أخبر موسى عليه الصلاة والسلام بفتنة قومه  
وعرف موسى عليه الصلاة والسلام ان ما أخبره الله سبحانه وتعالى به حق وصدق ومع ذلك لم يلق التوراة من  
يده فلما رجع الى قومه وعاب ذلك وشاهده ألقى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة (وأخذ برأس  
أخيه بجره إليه) قيل انه أخذ بشعر رأسه وحلخته من شدة غضبه وقال ابن الانبارى لما رجع موسى عليه  
الصلاة والسلام ووجد قومه مقيمى على المعصية أكبر ذلك واستعظمه فاقبل على أخيه هرون بلومه ومد  
يده الى رأسه لشدة موجدته عليه اذ لم يلحق به فيعرفه خبر بنى اسرائيل فيرجع ويتلافاهم فاعلمه هرون  
عليه السلام انه انما أقام بين أظهرهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله تعالى (قال) يعنى هرون (ابن أم)  
انما قال هرون لموسى ابن أم وان كانا لآب وأم ايرقعه ويستعطفه عليه (ان القوم) يعنى الذين عبدوا العجل  
(استضعفوني) أى استدلونى وقهرونى (وكادوا يقتلونى) أى وقاربوا أو هموا أن يقتلونى (فلا تسمت بى  
الاعداء) أصل الشماتة الفرح ببليدة من تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان بفلان اذا سر بمكروه نزل به  
والمعنى لانسر الاعداء بما تنال منى من مكروه (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) يعنى الذين عبدوا العجل (قال  
رب اغفر لى) يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام تبين له عذرا أخيه هرون قال رب اغفر لى ما صنعت الى  
أخى هرون يريد ما أظهر من الموجدة عليه فى وقت الغضب (ولاخى) يعنى واغفر لاخى هرون ان كان وقع منه  
تقصير فى الانكار على عبادة العجل (وأدخلنا) يعنى جميعا (فى رحمتك) يعنى فى سعة رحمتك (وأنت أرحم  
الراحمين) وهذا فيه دليل على الترغيب فى الدعاء لان من هو أرحم الراحمين تؤمل منه الرحمة وفيه تقوية  
لطمع الداعى فى نجاح طلبته (ان الذين اتخذوا العجل) يعنى الها عبدوه من دون الله (سينالهم غضب

استضعفوني وهموا يقتلني (فلا تسمت بى لاعداء) الذين عبدوا العجل أى لان فعل بى ما هو أمنيته من  
من الاستهانة بى والاساءة الى (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) أى قريناهم بغضبك على فلما انضح له عذرا أخيه (قال رب اغفر لى ولاخى)  
ليرضى أخاه وينبى الشماتة عنه باشرا كه معه فى الدعاء والمعنى اغفر لى ما فرط منى فى حق أخى ولاخى ان كان فرط فى حسن الخلافة (وأدخلنا  
فى رحمتك) عصمتك فى الدنيا وجنتك فى الآخرة (وأنت أرحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل) الها (سينالهم غضب

من ربهم وذلة في الحياة الدنيا) يعني سينالهم عقوبة من ربهم وهو ان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عاجل الحياة الدنيا ثم للفسرين في هذه الآية قولان أحدهما ان المراد بالذين اتخذوا العجل الذين باثروا عبادته وعلى هذا القول ففي الآية سؤال وهو أن أولئك الاقوام الذين اتخذوا العجل تابوا الى الله تعالى بقتلهم أنفسهم كما أمر الله فتاب عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة مع التوبة والجواب أن ذلك الغضب انما حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو اسلامهم أنفسهم للقتل واعترافهم على أنفسهم بالضلال والخطأ فان قلت السين في قوله سينالهم للاستقبال فكيف تكون الماضي قلت هذا الكلام انما هو خبر عما أخبر الله به موسى عليه الصلاة والسلام حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم أخبره الله في ذلك الوقت انه سينالهم غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذي أمرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جرير في هذه الآية ان هذا الغضب والذلة لمن مات منهم على عبادة العجل ولمن فر من القتل وهذا الذي قاله ابن جرير وان كان له وجه لكن جميع المفسرين على خلافه القول الثاني ان المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وآباؤهم هم الذين عبدوا العجل وأراد بالغضب عذاب الآخرة وبالذلة في الدنيا الجزية وقال عطية العوفي سينال أولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد بالغضب والذلة ما أصاب بني النضير وبني قريظة من القتل والجلاء وعلى هذا القول ففي تقرير الآية وجهان الاول ان العرب تعبر الابناء بقبايح أفعال الآباء كما تفعل ذلك في المناقب فتقول للابناء فعلتم كذا وفعلمتم كذا وانما فعل ذلك من مضي من آباءهم فكذلك ههنا وصف اليهود الذين كانوا على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا العجل وان كان آباؤهم فعلوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا في زمنه بانهم سينالهم غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا لوجه الثاني ان تكون الآية من باب حذف المضاف والمعنى ان الذين اتخذوا العجل وباشروا عبادة سينال أولادهم الخ ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليه ﴿ وقوله تعالى ﴾ (وكذلك نجزي المفترين) يعني وكما جزينا هؤلاء الذين اتخذوا العجل اهلنا نجزي كل من افترى على الله كذبا وعبده غيره وقال أبو قلابة هي والله جزاء كل مفتر الى يوم القيامة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع الى يوم القيامة وقال مالك بن أنس ما من مبتدع الا وهو يحدف فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الآية قال والمبتدع مفتر في دين الله (والذين عملوا السيئات) يعني عملوا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب صغير وكبير حتى الكفر فادونه (ثم تابوا من بعدها) يعني ثم رجعوا الى الله من بعد أعمالهم السيئة (وآمنوا) يعني وصدقوا بالله تعالى وانه يقبل توبة التائب ويغفر الذنوب (ان ربك) يا محمد وأيا أيها الانسان التائب (من بعدها) يعني من بعد توبتهم (لغفور رحيم) يعني انه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائبين وفي الآية دليل على ان السيئات باسرها صغيرها وكبيرها مشتركة في التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضله ورحمته وتقدير الآية ان من أتى بجميع السيئات ثم تاب الى الله وأخلص التوبة فان الله يغفرها له ويتقبل توبته وهذا من أعظم البشائر للذنين التائبين ﴿ قوله تعالى ﴾ (ولما سكنت عن موسى الغضب) يعني سكن لان السكوت أصله الامساك عن الشيء ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير في سكون الغضب لان الغضب لا يتكلم لكنه لما كان بفورته والاعلى ما في نفس الماغضب كان بمنزلة الناطق فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة السكوت عما كان متكلمه به وقيل معناه ولما سكنت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كما تقول أدخلت الفلنسة في رأسي والمعنى أدخلت رأسي في الفلنسة والقول الاول أصح لانه قول أهل اللغة والتفسير (أخذ الألواح) يعني التي ألقاها قال الامام غفر الدين وظاهر هذا يدل على ان الألواح لم تتكسر ولم يرفع من التوراة

من ربهم) هو ما أمر وابه من قتل أنفسهم توبة (وذلة في الحياة الدنيا) خروجهم من ديارهم فالعربة نذل الاعناق أو ضرب الجزية عليهم (وكذلك نجزي المفترين) الكاذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامري هذا الحكم واله موسى (والذين عملوا السيئات) من الكفر والمعاصي (ثم تابوا) رجعوا الى الله (من بعدها وآمنوا) وأخلصوا الايمان (ان ربك من بعدها) أي السيئات أو التوبة (لغفور) لستور عليهم محاملا كان منهم (رحيم) منعم عليهم بالجنة وان مع اسمها وخبرها خبر والذين وهذا حكم عام يدخل تحته متخذوا العجل وغيرهم عظيم جنايتهم أو لائم أردفها بعظم رحمته ليعلم أن الذنوب وان عظمت فعفوه أعظم ولما كان الغضب لشده كان هو الأمر لموسى بما فعل قيل (ولما سكنت عن موسى الغضب) وقال الزجاج معناه سكن وقرئ به (أخذ الألواح)

شيء (وفي نسختها) النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نقلت ما في الأصل الى الفرع فعلى هذا قيل أراد بها الألواح لأنها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل أراد بها النسخة المكتوبة من الألواح التي أخذها موسى بعدما تكسرت وقال ابن عباس وعمر بن دينار لما أتى موسى الألواح فتكسرت صام أربعين يوما فردت عليه في لوحين وفيهما ما في الأولى بعينها فيكون نسخها نقلها وعلى قول من قال ان الألواح لم تكسر وأخذها موسى بعينها بعدما ألقاها يكون معنى وفي نسختها المكتوب فيها (هدى ورجة) قال ابن عباس يعني هدى من الضلالة ورجة من العذاب (للذين هم لهم رهبون) يعني للخائفين من ربهم ﴿ قوله عز وجل (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) الاختيار افعال من لفظ الخيار يقال اختار الشيء اذا أخذ خيره وخياره والمعنى واختار موسى من قومه خذف كلمة من وذلك سائغ في العربية لدلالة الكلام عليه قال أصحاب الاخبار ان موسى عليه الصلاة والسلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال لمن قعد منكم مثل أجر من خرج ففعد يوشع بن نون وكاب بن يوقنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فوحي الله اليه أن يختار من الشباب عشرة فاخترهم فأصبحوا شيوا خافأمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويظهروا ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميقات ربه واختلف أهل التفسير في ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسأل فيه الرؤية وذلك انه لما خرج الى طور سيناء أخذ معه هؤلاء السبعين فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى أحاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو يكلم موسى بأمره وينهاه فعمل كذا لا تفعل كذا فلما انكشف الغمام أقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الآية وقال السدي ان الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختر موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتذر وافلما أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فارناه فأخذتهم الصاعقة فأتوا مقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول ابني اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقال محمد بن اسحق اختر موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا خيرا فخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وظهروا ثيابكم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكركم حين فعلوا ما أمرهم به وخرجوا مع موسى لميقات ربه اطلب لنا اسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى غشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا فسمعوا الله وهو يكلم موسى بأمره وينهاه فعمل ولا تفعل فلما فرغ من أمره انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا له ان نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي الرجفة فأتوا جميعا فقام موسى يناشدر به ويدعوه ويرغب اليه يقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقال ابن عباس كان الله أمر موسى أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختر سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم نعطه أحد اقبلنا ولا نعطه أحد ابعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقيل انما أخذتهم الرجفة من أجل انهم ادعوا على موسى انه قتل هرون قال علي بن أبي طالب انطلق موسى وهرون الى سفح جبل فنام هرون على سرير فتوفاه الله فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له أنت قتلتهم حسدنا على خلقه وايئنه وكان هرون حسن الخلق محببا في

التي ألقاها (وفي نسختها) وفيما نسخ منها أي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة (هدى ورجة للذين هم لهم رهبون) دخات اللام لتقدم المفعول وضعف عمل الفعل فيه باعتبارها (واختار موسى قومه) أي من قومه خذف الجار وأوصل الفعل (سبعين رجلا) قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة فبلغوا اثنين وسبعين رجلا فقال ليتخلف منكم رجلان ففعد كالب ويوشع (لميقاتنا) لا اعتذارهم عن عبادة العجل



(فلما أخذتهم الرجفة)  
الزلزلة الشديدة (قال رب  
لوشئت أهلكتهم من  
قبل) بما كان منهم من  
عبادة العجل (واياي)  
لقتلى القبطى (أهلكنا  
بما فعل السفهاء منا)  
أهلكنا عقوبة بما فعل  
الجهال منا وهم أصحاب  
العجل (ان هي الافتنتك)  
ابتلاؤك وهو راجع الى  
قوله انا قد فتنا قومك من  
بعدك فقال موسى هي  
تلك الفتنة التي أخبرتني  
بها وهي ابتلاء الله تعالى  
عباده بما شاء ونبأكم  
بالشر والخير فتنة (تضل  
بها) بالفتنة (من تشاء) من  
علمت منهم اختيار الضلالة  
(وتهدى) بها (من تشاء)  
من علمت منهم اختيار  
الهدى (أنت ولينا) مولانا  
القائم بأمورنا (فاغفر لنا  
وارحنا) أنت خير الغافر  
ين (وأنت لنا) وأنت لنا  
وأقسم (في هذه الدنيا  
حسنة) عافية وحياة طيبة  
أو توفيقا في الطاعة (وفي  
الآخرة) الجنة (انا هدنا  
اليك) تبنا اليك وهاد  
اليك يهودا اذ ارجع وتاب  
واهود جمع هائد وهو  
التائب

بنى اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شئتم فاختروا سبعين رجلا فلما اتهموا اليه قالوا يا هرون من قتلك  
قال ما قتلتني أحد ولكن الله توفاني فاخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع يميناً وشمالاً ويقول رب لوشئت  
أهلكتهم من قبل واياي الآية قال فاحياهم الله عز وجل وقيل انما أخذتهم الرجفة لتركههم فراق عبدة العجل  
لأنهم كانوا من عبدة قال ابن عباس انما اتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل وما كرهوا  
أن يجامعوهما عليه قال ابن جرير فلما خرجوا ودعوا الله أماتهم ثم أحياهم. وقال مجاهد واختر موسى قومه  
سبعين رجلا ليقاتنا الميقات الموعد فلما أخذتهم الرجفة بعد ان خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله  
ويسألونه ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى أنهم قد أصابوا من المعصية ما أصاب قومهم وقال  
محمد بن كعب القرظي لم يستجب لهم من أجل أنهم لم ينهوه عن المنكر ولم يأمرهم بالمعروف فاخذتهم  
الرجفة فأتوا ثم أحياهم الله ﷻ وقوله تعالى (فلما أخذتهم الرجفة) أصل الرجف الاضطراب الشديد الذي  
يحصل معه التغيير والهلاك ولهذا اختلفوا في تلك الرجفة التي حصلت لهؤلاء اهل كان معهما موت أم لا فعظم  
الروايات التي تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتاً ولكن  
القوم لما رأوا تلك الهيئة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجعوا حتى كادت أن تبين مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك  
رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدمهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا  
موسى وبكى وناشده به فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمأنوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما  
أخذتهم الرجفة (قال) يعني موسى (رب) أي يارب (لوشئت أهلكتهم من قبل) يعني من قبل عبادتهم  
العجل (واياي) وذلك أنه خاف أن يتهمه بنو اسرائيل على السبعين اذ ارجع اليهم وما هم معه ولم يصدقوه  
بانهم ماتوا فقال رب لوشئت أهلكتهم من قبل يعني قبل خروجهم الى الميقات واياي معهم فكان بنو اسرائيل  
يعاينون ذلك ولا يتهموني (أهلكنا بما فعل السفهاء منا) قال الفراء ظن موسى انهم أهلكوا باخذ أصحاب  
العجل العجل فقال أهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني عبدة العجل وانما أهلكوا بسبب مسئلتهم الرؤية وهي  
قولهم أرنا الله جهرة وهذا قول الكلبى وجماعة وقال جماعة من أهل العلم لا يجوز أن يظن موسى ان الله  
تعالى يهلك قوماً بذنوب غيرهم ولكن قوله أهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الحمد أي لست تفعل  
ذلك وهذا قول ابن الانباري وقال المبرد هذا استفهام استعطاف أي لانهلكنا (ان هي الافتنتك) قال  
الواحدى الكناية في هي تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الازيد والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء  
لم تكن الافتنتك أي اختبارك وابتلاءك وهذا كما قيل أهلكنا بما فعل السفهاء منا لان معناه  
لانهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختباراً منك وابتلاءً أضللت بها قومنا فافتقدوا وهديت قوماً فعصمتهم  
حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله (تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) قال الواحدى وهذه الآية  
من الحجج الظاهرة على القدرة التي لا يفتي لهم معها عذر (أنت ولينا) يعني أنت يارب بنا ناصرنا وحافظنا وهذا  
يفيد الحصر أي لاولى لنا ولا ناصر ولا حافظ الا أنت (فاغفر لنا) سأل موسى عليه الصلاة والسلام لنفسه  
ولقومه الغفران أما لنفسه فاقوله ان هي الافتنتك وهذا فيه اقسام على الحضرة المقدسة وأما لقومه فلقوله  
أرنا الله جهرة وفي هذا اقسام على الحضرة المقدسة فلها السبب سأل موسى عليه الصلاة والسلام الغفران له  
ولقومه (وارحنا) أي واشملنا برحمتك التي وسعت كل شيء (وأنت خير الغافر ين) يعني ان كل من سواك انما  
يعفر الذنب طلباً للشناء الجميل أو لدفع ضرر أو ما أنت يارب فتعفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض ولا غرض  
بل لمحض الفضل والكرم فانت خير الغافر ين ﷻ قوله تعالى (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة)  
يعني قال موسى في دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة أي واجعلنا ممن كتبت له حسنة وهي ثواب الاعمال  
الصالحة وفي الآخرة أي واكتب لنا في الآخرة مغفرة لذنوبنا (انا هدنا اليك) قال ابن عباس معناه انا تبنا

اليك وهذا قول جميع المفسرين وأصل اليهود الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان اسم مدح  
قبل نسخ شر يعتهم فلما نسخت شر يعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم (قال) يعني قال الله عز وجل موسى عليه  
الصلاة والسلام (عذابي أصيب به من أشاء) يعني من خلقي وليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكي  
وعبيدي ومن تصرف في خالص حقه فليس لاحد عليه اعتراض (ورحمتي وسعت كل شيء) يعني ان رحمة  
سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام أريد به الخاص فرحة الله عمت البر والفاجر في  
الدنيا وهي للمؤمنين خاصة في الآخرة وقيل هي للمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة ولكن الكافر يرزق  
ويدفع عنه بركة المؤمن لسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة قال جماعة من المفسرين  
لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء تطاول ابليس اليها وقال أنا من ذلك الشيء فنزعها الله تعالى من ابليس فقال  
تعالى (فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) فليس ابليس منها وقالت  
اليهود نحن نتق ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها الله من اليهود وأثبتها لهذه الامة فقال تعالى الذين  
يتبعون الرسول النبي الامي الآية وقال نوف البكالي لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله تعالى  
لموسى اجعل لك الارض مسجد او طهورا تصلون حيث أدركتكم الصلاة الا عند من حاض أو جام أو قبر  
واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهر قلوبكم يقرؤها الرجل والمرأة والحر والعبد  
والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد ان نصلي الا في الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة  
في قلوبنا ولا نستطيع ان نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقرأها الا نقرأها الا نقرأها الا نقرأها الا نقرأها  
لذين يتقون الى قوله المفلحون فجعلها الله تعالى لهذه الامة فقال موسى رب اجعلني نبيا منهم قال نبيا منهم قال  
اجعلني منهم قال انك لن ندرهم قال موسى يا رب أتيتك بوفد بني اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فانزل الله  
تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون فرضى موسى أما التفسير فقوله الذين يتقون يعني  
الشرك وسائر ما نهوا عنه لان جميع التكاليف محصورة في نوعين الاول التروك وهي الاشياء التي يجب على  
الانسان تركها والاحترار عنها ولا يقربها واليه الاشارة بقوله تعالى للذين يتقون والثاني الافعال المأمور  
بها وتلك الاعمال بدنية وقلبية أما البدنية فاليها الاشارة بقوله ويؤتون الزكاة وهذه الآية وان كانت في حق  
المال لكن يختص البدن باخراجها والاعمال القلبية كالايمان والمعرفة واليه الاشارة بقوله تعالى والذين  
هم بآياتنا يؤمنون ﴿١﴾ وقوله عز وجل (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في  
التوراة والانجيل) ذكر الامام نضر الدين الرازي في معنى هذه التبعية وجهين أحدهما ان المراد بذلك ان  
يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفة في التوراة اذ لا يجوز ان يتبعوه في شرائعه قبل ان يبعث الى  
الخلق وفي قوله والانجيل ان المراد وسيجدونه مكتوبا في الانجيل لان من المحال ان يجدوه فيه قبل ما أنزل الله  
الانجيل الوجه الثاني ان المراد من الحق من بني اسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان  
هؤلاء اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الآخرة الا اذا اتبعوه قال وهذا القول أقرب لان اتباعه قبل ان يبعث  
لا يمكن فبين هذه الآية ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بآيات  
الله في زمن موسى عليه الصلاة والسلام ومن كانت هذه صفة في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع  
ذلك متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم في شرائعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول  
من بني اسرائيل خاصة وجهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد بهم جميع أمته الذين آمنوا به  
واتبعوه سواء كانوا من بني اسرائيل أو غيرهم وأجمع المفسرون على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه  
وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالته وأوامره ونواهيته وشرائعه اليهم ثم  
وصفه بكونه نبيا وهذا أيضا من أعلى المراتب وأشرها وذلك يدل على انه رفيع الدرجات عند الله المنجبر عنه ثم

(قال عذابي) من صفته اني  
(أصيب به من أشاء) أي  
لا أعف عنه (ورحمتي  
وسعت كل شيء) أي من  
صفه رحمتي أنها واسعة تبلغ  
كل شيء ما من مسلم ولا كافر  
الا وعليه أثر رحمتي في الدنيا  
(فسأ كتبها) أي هذه  
الرحمة (للذين يتقون)  
الشرك من أمة محمد صلى  
الله عليه وسلم (ويؤتون  
الزكاة) المفروضة (والذين  
هم بآياتنا) بجميع كتبنا  
(يؤمنون) لا يكفرون  
بشيء منها (الذين يتبعون  
الرسول) الذي نوحى اليه  
كتبا مختصا به وهو القرآن  
(النبي) صاحب المعجزات  
(الامي الذي يجدونه) أي  
يجدونه أولئك الذين  
يتبعونه من بني اسرائيل  
(مكتوبا عندهم في التوراة  
والانجيل)

وصفه بالامى قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال الزجاج في معنى الامى هو الذى على صفة أمة العرب لان العرب أكثرهم لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب فالنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك فهذا وصفه الله تعالى بكونه أميا وضح في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال نحن أمة أمية لان كتب ولا يحسب قال أهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان أميا من أكبر معجزاته وأعظمها وبيانه أنه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا الكتاب العظيم الذى أعجزت الخلائق فصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى وقيل انه لو كان يحسن الكتابة ثم انه أتى بهذا القرآن العظيم لكان متهما فيه لاحتمال أنه كتبه ونقله عن غيره فلما كان أميا وأتى بهذا القرآن العظيم الذى فيه علم الاولين والآخرين والمغيبات دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وأيضا فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه أتى بهذه الشريعة الشريفة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على أحد فدل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامى الذى هو منسوب الى أمة كأنه لم يخرج بعد عما ولدته عليه وقيل سمي أميا لانه منسوب الى أم القرى وهى مكة وقوله تعالى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يعنى يجدون صفته وابعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماءهم وأخبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا فى الذل والهوان (خ) عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال أجل انه لم يوصف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحزلا لاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا واذانها وقلوبها غلغا

### شرح غريب ألفاظ الحديث

(يا أمرهم بالمعروف) بجمع الابداد وانصاف العباد (وينهاهم عن المنكر) عبادة الاصنام وقطيعة الارحام (ويحل لهم الطيبات) ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طاب فى الشريعة مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت (ويحرم عليهم الخبائث) ما يستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبث فى الحكم كالربا والرشوة ونحوها من المكاسب الخبيثة (ويضع عنهم اصرهم) هو الثقل الذى ياصر صاحبه أى يجلسه عن الحراك لثقله والمراد التكليف الصعبة كقتل النفس فى توبتهم وقطع الاعضاء الخاطئة آصارهم

الفظ السبي الخلق والغليظ الجافى القاسى وقوله سخاب بالسين والصاد وهو كثير الصياح فى الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة وأراد بالملة العوجاء الكفر والقلب الاغلف الذى لا يصل اليه شئ ينفعه شبهه بالاغلف كأنه فى غلاف وروى البغوى بسنده عن كعب الاحبار قال انى أجد فى التوراة مكتوبا بمحمد رسول الله لافظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة ولكن يعفوا ويصفح أمته الحامدون يحمدون الله فى كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يأتزرون على أنصافهم ويعضون أطرافهم صفهم فى الصلاة وصفهم فى القتال سواء مناديتهم ينادى فى جوف السماء لهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل مولده بمكة ومهاجرة بطيبة وملكه بالشام وقوله تعالى (يا أمرهم بالمعروف) يعنى بالايمن وتوحيد الله (وينهاهم عن المنكر) يعنى عن الشرك بالله وقيل المعروف ما عرف فى الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف فى شريعة ولا سنة وقال عطاء يامرهم بالمعروف بجمع الابداد وبكلام الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام (ويحل لهم الطيبات) يعنى بذلك ما كان محرما عليهم فى التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه على أنفسهم فى الجاهلية من البعائر والسواب والوصائل والحوامى وقيل هى المستلذات التى تستطيبها النفس (ويحرم عليهم الخبائث) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع وتستقدره النفس فان الاصل فى المضار الحرمه الاماله دليل متصل بالحل (ويضع عنهم اصرهم) يعنى ثقلهم وأصل الاصر الثقل الذى ياصر صاحبه أى يجلسه عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذى أخذ على بنى اسرائيل

أن يعمدوا بما في التوراة من الاحكام فكانت تلك الشدائد (والاغلال التي كانت عليهم) بمعنى ويضع الاثقال والشدائد التي كانت عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقرض وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنائس وتنبع العروق في اللحم وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني اسرائيل شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التي تجمع اليد الى العنق كما أن اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فاجاء محمد عليه الصلاة والسلام نسخ ذلك كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة (فاللذين آمنوا به) يعني بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعزروه) يعني وقرروه وعظموه وأصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه وهو قوله (ونصروه) يعني على أعدائه (واتبعوا النور الذي أنزل معه) يعني القرآن سمي القرآن نورا لان به يستنير قلب المؤمن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء اليقين والعلم (أولئك هم المفلحون) يعني هم الناجون الفائزون بالهداية ﴿قوله تعالى﴾ (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض ففي الآية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يا أيها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم أمره الله عز وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أمة وأحد لي الغنم ولم تحل لأحد قبلي وجعت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فإيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو وبين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وفي رواية أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعت لي الارض مسجدا وطهورا فإيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنم ولم تحل لأحد من قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقوله في الرواية الاولى وبعثت الى كل أمة وأحد لي الغنم وبالاسود العرب وقيل أراد بالاجر الانس والاسود الجن فعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس والجن (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء ستة اعطيت جوامع الكام ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنم وجعت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون ﴿قوله تعالى﴾ (الذي له ملك السموات والارض) لما أمر الله عز وجل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بان يقول يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا أردفه بما يدل على صحة دعواه يعني أن الذي له ملك السموات والارض وهو مدبرهما وملك أمرهما هو الذي أرسلني اليكم وأمرني بان أقول لكم اني رسول الله اليكم جميعا (لا اله الا هو يحيي ويميت) وصف الله نفسه بالالهية وأنه لا شريك له فيها وأنه القادر على احياء خلقه واماتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه (فآمنوا بالله ورسوله) لما أمر الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا أمر الله جميع خلقه بالايمان به ورسوله وذلك لان الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عنه فلماذا بدأ بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان برسوله فقال فآمنوا بالله ورسوله ثم وصفه فقال تعالى (النبي الامي) تقدم معناهما (الذي يؤمن بالله وكلماته) قال قتادة يعني آياته وهو القرآن وقال مجاهد والسدى أراد بكلمانه عيسى بن مريم لانه خلق

شرع الدية وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنم وظهور الذنوب على أبواب البيوت وشبهت بالغل للزومها لزوم الغل (فالذين آمنوا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وعزروه) وعظموه أو منعه من العدو حتى لا يقوى عليه عدو وأصل العز المنع ومنه التعزير لانه يمنع عن معاودة القبيح كالحمد فهو المنع (ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي القرآن ومع متعاقب باتبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته (أولئك هم المفلحون) الفائزون بكل حيز والناجون من كل شر (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم) بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن (جميعا) حال من اليكم (الذي له ملك السموات والارض) في محل النصب باضمار أعني وهو نصب على المدح (لا اله الا هو) بدل من الصلة وهي له ملك السموات والارض وكذلك (يحيي ويميت) وفي لاله الا هو بيان للجمل قبلها لان من

بقوله كن فكان وقبل هو على العموم يعني يؤمن بجميع كلمات الله تعالى (واتبعوه) يعني واقتدوا به أيها الناس فيما يامركم به وينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة في الأقوال ومتابعة في الأفعال أما المتابعة في الأقوال فبأن يمثل التابع جميع أموره المتبوع على طريق الأمر والنهي والترغيب والترهيب وأما المتابعة في الأفعال فبأن يقتدي به في جميع أفعاله وآدابه إلا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت بالدليل أنه من خصائصه فلا متابعة فيه ﷺ وقوله تعالى (لعلكم تهتدون) يعني لكي تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب في متابعتكم إياه ﷺ قوله عز وجل (ومن قوم موسى) يعني من بني إسرائيل (أمة) أي جماعة (يهدون بالحق) يعني يهتدون بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون إليه (وبه يعدلون) يعني وبالحق يحكمون وبالعدل يأخذون ويعطون ويتصفون واختلفوا في هؤلاء من هم فقيل هم الذين أسلموا من بني إسرائيل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه فانهم آمنوا بموسى والتوراة وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واعترض على هذا بانهم كانوا قليلين ولفظ الأمة يقتضي الكثرة وأجيب عنه بانهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز إطلاق لفظ الأمة عليهم كما في قوله إن إبراهيم كان أمة وقيل هم قوم بقوا على الدين الحق الذي جاء به موسى عليه الصلاة والسلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس إليه وقال السدي وابن جرير وجماعة من المفسرين إن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وإن يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا في الأرض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا قال ابن جرير قال ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصفارواه الطبري وحكي البغوي عن الكلب والضحاك والربيع قالوا هم قوم خلف الصين بأقصى الشرق على نهر يسمى نهر الأردن ليس لأحد منهم مال دون صاحبه يظرون بالليل ويصحون بانهارهم يزرعون ولا يصل إليهم أحد منا وهم على الحق وذكروا أن جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء به فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الأمي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله إن موسى أو صاننا من أدرك منكم أحد فليقرأ مني عليه السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم موسى وأقرأهم عشر سور من القرآن نزلت عليه بمكة وأمرهم بالصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الأول قولهم إن أحدنا لا يصل إليهم وإذا كان كذلك فمن ذا الذي أوصل خبرهم إلينا الوجه الثاني قولهم إن جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء به وهذا لم يرد به نقيل صحيح ولا رواه أحد من أئمة الحديث ولا يلتفت إلى قول الأخباريين والقصاص في ذلك الوجه الثالث قولهم أنهم بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد صح في حديث المعراج أنه سلم عليه في السماء السادسة وأيضا قولهم وأقرأهم عشر سور وقد نزل عليه بمكة أكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف يأمرهم بها قبل فرضيتها فاذا ثبت بما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالتخالف في تفسير هذه الآية إنما هو أن تكون نزلت في قوم كانوا أمميين بدو موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك وأما أن تكون قد نزلت فيمن أسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه والله أعلم بمراده ﷺ قوله تعالى (وقطعناهم) يعني وفرقنا بني إسرائيل (اثنتي عشرة أسباطا) يعني من أولاد يعقوب لأن يعقوب هو إسرائيل وأولاده الأسباط وكانوا اثني عشر ولدا (أما) يعني جماعات وقبائل (وأوحينا إلى موسى إذا استسقاء قومه) يعني في التيه (أن اضرب بعصاك الحجر فانجست) يعني فانفجرت وقيل عرقت وهو الانبجاس (منه) أي من الحجر (اثنتا عشرة عينا) يعني لكل سبط عين (قد علم كل أناس مشربهم)

عليه ولما في الالتفات من منزلة البلاغة وليعلم أن الذي وجب الإيمان به هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كأنما من كان أنا وغيري اظهار للنصفة وتفادي من العصبية لنفسه (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق) أي يهدون الناس محقين أو بسب الحق الذي هم عليه (وبه يعدلون) وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجوزون قيل هم قوم وراء الصين آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج وأمرهم عبد الله بن سلام واضرا به (وقطعناهم) وصيرناهم قطعاً أي فرقا وميزنا بعضهم من بعض (اثنتي عشرة أسباطا) كقولك اثنتي عشرة قبيلة والأسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولداً من ولد يعقوب عليه السلام نعم يميز ما عدا العشرة مفرد فكان ينبغي أن يقال اثني عشر سبطا لكن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباط موضع قبيلة (أما) بدل من اثنتي

عشرة أي وقطعناهم أما لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى (وأوحينا إلى موسى إذا استسقاء قومه أن اضرب بعصاك الحجر) فاضرب (فانجست) فانفجرت (منه اثنتا عشرة عينا) أي كل أناس مشربهم (هو اسم جمع غير تكبير

(وظللنا عليهم الغمام) وجعلناه ظليلا عليهم في التيه (وانزلنا عليهم المن والسلوى) وقلنا لهم (كوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا) أي وما رجع الينا ضرر ظلمهم (١٥٠) بكفر انهم النعم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع

يعني لا يدخل سبط على سبط في مشربهم (وظللنا عليهم الغمام) يعني في التيه يقيم حر الشمس (وانزلنا عليهم المن) هو الترنجيبين (والسلوى) جنس من الطير جعل الله ذلك طعاما لهم في التيه (كوا من طيبات ما رزقناكم) أي وقلنا كوا (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) في الكلام حذف ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كوا من طيبات ما رزقناكم فاجو ذلك وسموه وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسألوه غيره لان المكاف اذا امر بشئ فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك فلماذا قال وما ظلمونا يعني وما ادخلوا علينا في ما كنا و سلطنا ناقصا بمسئلتهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يعني بمخالفتهم ما امروا به وقد تقدم بسط الكلام على هذه الآية في سورة البقرة وقوله تعالى (واذ قيل لهم) يعني واذا كرم يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني لبني اسرائيل (اسكنوا هذه القرية) يعني بيت المقدس وقال في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لان كل ساكن في موضع لا بد له من الدخول اليه (وكوا منها حيث شئتم) يعني وكوا من ثمار القرية وزروعها وحبوبها وبقولها حيث شئتم واين شئتم وقال في البقرة فكلوا بالفاء وهنا بالواو والفرق بينهما ان الدخول حالة مقتضية للاكل عقبه فحسن دخول الفاء التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو عقب السكنى فيكون الاكل حاصلتا مع شأوا وانما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله هنا لان الاكل عقب الدخول الدوا كمل فاما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن دخول لفظه رغدا هناك بخلافه هنا (وقولوا حطة) أي حط عنا ذنوبنا (وادخلوا الباب سجدا) وقال في البقرة عكس هذا اللفظ ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم أمر الله واظهار الخضوع والخشوع له فلم يتفاوت الحال بسبب التقديم والتأخير (نغفر لكم خطاياكم) يعني نغفر لكم ذنوبكم ولم نؤاخذكم بها وانما قال هنا خطياتكم وفي البقرة خطاياكم لان المقصود غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة أو كثيرة اذا أتوا بالدعاء والتضرع (سنزيد المحسنين) وقال في سورة البقرة وسنزيد بالواو ومعناه أنه قد وعد المسئئين بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بهذا المعنى لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فليل له سنزيد المحسنين (فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم) يعني غير الذين ظلموا أنفسهم بمخالفة أمرنا من بني اسرائيل فقالوا قولاً غير الذي قيل لهم وأمرنا به وذلك انهم أمروا أن يقولوا حطة فقالوا حنطة في شعبة فكان ذلك تبدلهم وتغييرهم (فارسلنا عليهم رجلاً من السماء) يعني بعثنا عليهم عناداً من السماء أهلكتهم ولا منافاة بين قوله تعالى هنا أرسلنا وبين قوله في سورة البقرة أنزلنا لانهم لا يكونان الا من اعلى الى اسفل وقيل بينهما فرق وهو أن الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال يشعر بذلك فكأنه تعالى بدأ بانزال العذاب قليلاً ثم أرسله عليهم كثيراً (بما كانوا يظلمون) يعني أن ارسال العذاب عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم أمر الله وقال في البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهما أنهم لما ظلموا أنفسهم بما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة أيضاً في تفسير سورة البقرة وقوله عز وجل (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك عن حال أهل القرية وهذا السؤال سؤال توخي وتقرير يع لسؤال استفهام لانه عليه الصلاة والسلام كان قد علم حال أهل هذه القرية بوحي الله عز وجل اليه واخباره اياهم بحالهم وانما المقصود بهذا السؤال تقرير اليهود على اقدامهم على الكفر والمعاصي قديماً وان اصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكار نبوته ومجزاته ليس شيئاً قد حدث منهم في زمانه بل اصرارهم على الكفر كان حاصلًا لاسلافهم في قديم الزمان وفي الاخبار

وبال ظلمهم اليهم (واذ قيل لهم) واذا كرم اذ قيل لهم (اسكنوا هذه القرية) بيت المقدس (وكوا منها حيث شئتم) وقولوا حطة (وادخلوا الباب سجدا) نغفر لكم خطاياكم (تغفر لكم مدني وشامي خطيئاتكم مدني خطاياكم أبو عمر وخطيئتكم شامي) (سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فارسنا عليهم رجلاً من السماء بما كانوا يظلمون) ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكوا منها في هذه السورة وبين قوله في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية فكلوا الوجود الدخول والسكنى وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو آخروها فهم جامعون بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعود بشئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على قول القائل وماذا بعد الغفران فليل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم

(اذيعدون في السبت) اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه اذ يعدون في محل الجرب بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألمهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من (١٥١) بدل الاشتغال (اذ تاتيهم) منصوب ببعدين

أو بدل بعد بدل  
(حيثانهم) جمع حوت  
أبدلت الواو ياء لسكونها  
وانكسار ما قبلها (يوم  
سبتهم شرعا) ظاهرة على  
وجه الماء جمع شارع حال  
من الحيتان والسبت  
مصدر سبت اليهود اذا  
عظمت سبتها بترك الصيد  
والاشتغال بالتعبد والمعنى  
اذ يعدون في تعظيم هذا  
اليوم وكذا قوله يوم  
سبتهم معناه يوم تعظيمهم  
أمر السبت ويدل عليه  
(ويوم لا يستنون  
لاتاتيهم) ويوم ظرف  
للاتاتيهم) كذلك نيلوهم  
بما كانوا يفسقون) مثل  
ذلك البلاء الشديد  
نيلوهم بنفسهم (واذ  
قالت) معطوف على اذ  
يعدون وحكمه حكمه في  
الاعراب (أمة منهم)  
جماعة من صلحاء القرية  
الذين أيسوا من وعظهم  
بعد ما ركبوا الصعب  
والذل في مواعظهم  
لآخرين لا يقلعون عن  
وعظهم (لم تعظون قوما  
الله مهلكهم أو معذبهم  
عذابا شديدا) وانما قالوا ذلك  
لعلمهم ان الوعظ لا ينفع  
فيهم (قالوا معذرة الى ربكم)  
أي مواعظنا ابلأ عذرا الى

بهذه القصة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا لا يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف أخبار الاولين ثم أخبرهم بما جرى لاسلافهم في قديم الزمان وانهم بسبب مخالفتهم أمر الله عز وجل مسخوا قرده وخنزير واختلفوا في هذه القرية فقال ابن عباس ٢ هي قرية بين مصر والمدينة والمغرب وقيل بين مدين والطور على شاطئ البحر وقال الزهري هي طبرية الشام وفي رواية عن ابن عباس قال هي مدين وقال وهب هي ما بين مدين وعيون في معنى القرية التي كانت على ساحل البحر وقرية منه (اذ يعدون في السبت) يعني يتجاوزون حد الله فيه وما أمرهم به من تعظيمه فخالفوا أمر الله وصادوا فيه السمك (اذ تاتيهم حيثانهم يوم سبتهم شرعا) يعني ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك تاتيهم متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تاتيهم يوم السبت مثل الكباش البيض السماء (ويوم لا يستنون لاتاتيهم) يعني الحيتان (كذلك نيلوهم) يعني مثل هذا الاختبار الشديد تختبرهم ونحن أعلم بحالهم (بما كانوا يفسقون) يعني ان ذلك الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وما أمره به قال أهل التفسير ان اليهود أمروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وهو أن الله أمرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما أراد الله أن يتلبيهم كانت الحيتان تظهر لهم في يوم السبت ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم ترى السبت المقبل فلما ابتلوا به وسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد وانما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليهم انكم انما نهيتهم عن الاخذ فاتخذوا حياضا على ساحل البحر وسوقوا اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد خذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجردوا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا فيه وأكلوا باعوا وصار أهل القرية أحزابا ثلاثة وكانوا نحو من سبعين ألفا فقلت نهوا عن الاصطياد وثلاث سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلاث هم أصحاب الخطيئة الذين خالفوا أمر الله واصطادوا وأكلوا باعوا فلما لم ينهوا عماتهم فيه من المعصية قال الناهون لانسألكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بحدار للناهين باب يدخلون ويخرجون منه وللعاشرين باب ولعنه داود عليه الصلاة والسلام وكانوا في زمنه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان لهم لشأننا لعل الجرح قد غلبتهم فعلاوا على الجدار الذي بينهم فاذا هم قدم مسخوا قرده ففتحو اعليهم الباب ودخلوا اليهم فصار القرده يعرفون أنسابهم من الناس ولم يعرف الناس أنسابهم من القرده فجعلت القرده تأتي أنسابها من الناس فتشم ثيابها فيقول لهم أهلوهم ألم تنهكم فتقول القرده برأسها نعم فنجح الناهون وهلك سائرهم فذلك قوله تعالى (واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم) واختلفوا في القائلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين ان أهل القرية اختلفوا ثلاث فرق فاعتدت وأصاب الخطيئة وفرقة منهم عن ذلك الفعل وفرقة أمسكت عن الصيد وسكتت عن مواعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يعني انهم لا موهم على مواعظة قوم يعلمون أنهم غير متعظين ولا منجزين فقالت الفرقة الناهية للذين لا موهم معذرة الى ربكم يعني ان مواعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا فوعظتنا هؤلاء عذر لنا عند الله (ولعلمهم يتقون) أي وجائز عندنا أن ينتفعوا بالمواعظة فيتقوا الله ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان أهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن السوء وفرقة عملت بالسوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية انتم اقبل أن ينزل بكم عذاب شديد ان لم تنتهوا عما أنتم فيه

الله لانه نسب في النهي عن المنكر الى التفريط معذرة حنص على انه مفعول له أي وعظناهم للمعذرة (ولعلمهم يتقون) ولطمعنا في أن يتقوا ٢ (قوله هي قرية بين مصر والمدينة والمغرب) في نسخة هي ايلة بين مصر والمدينة والعرب تسمى المدينة قرية وقال الزهري الخ اه

فقال لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما لله مهلكهم أو معدنهم عذابا شديدا والمعنى لم تعظونا وقد علمتم ان الله مهلكنا أو منزل بنا عذابه والقول الاول أصح لانهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة الى ربكم خطا بمن الناهية للمعتدية ﴿ وقوله تعالى (فلمانسوا ماذ كروا به) أي فلماتركوا ما وعظوا به (أنجينا الذين ينهون عن سوء) وهم الفرقة الناهية (وأخذنا الذين ظلموا) يعني الفرقة المعتدية العاصية (بعذاب بئيس) أي شديد وجيع من البأس وهو الشدة (بما كانوا يفسقون) يعني أخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا روي عكرمة عن ابن عباس قال أسمع الله يقول أنجينا الذين ينهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فلا أدري ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكي قال عكرمة فقلت له جعلني الله فداءك ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما لله مهلكهم وان لم يقل الله أنجيتهم لم يقل أهلكتهم قال فاعجبه قولي ورضي به وأمر لي بريدن فكساها ما وقال نجت الساكتة وقال يمان بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه الآية أشد آية في ترك النهي عن المنكر ﴿ وقوله تعالى (فلما عتوا عما نهوا عنه) قال ابن عباس أبو أن يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الإباء والعصيان والمعنى فلما عتوا عما نهوا عنه يعني عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلوا ما حرم الله عليهم من صيد السمك في يوم السبت وأكاه (قلنا لهم كونا قردة خاسئين) يعني صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة لما عتوا عما نهوا عنه مسخهم الله فصيرهم قردة تتعوى بعدما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير فزعم ان شبان القوم صاروا قردة وان المشيخة صاروا خنازير قيل انهم بقوا ثلاثة أيام ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا ﴿ وقوله تعالى (واذ تأذن ربك) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى تأذن أذن والاذن الاعلام يعني أعلم ربك وقيل معناه قال ربك وقيل حكم ربك وقيل آلى ربك بمعنى أقسم ربك (ليبعثن عليهم) اللام في قوله ليعثن جواب القسم لان قوله واذا تأذن ربك جار مجرى القسم لكونه جزما وجواب القسم ليعثن عليهم واختلفوا في الضمير في عليهم الى من يرجع فقيل يقتضى أن يكون راجعا الى قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونا قردة خاسئين لكن قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم أحد فيحتمل أن يكون المراد الذين بقوا منهم فالحق الذل بهم وقيل بان المراد سائر اليهود من بعدهم لان الذين بقوا من أهل القرية كانوا صالحين والذي بعثه الله على اليهود وهو مختصر وسنجار يب وماوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليعثن عليهم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه فالزم من لم يسلم منهم الصغار والذلة والهوان والجزية لازمة لليهود الى يوم القيامة وأورد على هذا بان في آخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان اليهود أتباعه وأشياعه وأجيب عنه بان ذلك العز الذي يحصل لهم هو في نفسه غاية الذلة لانهم يدعون الهية الدجال فيزدادون كفرا على كفرهم فاذا هلك الدجال أهلكهم المسلمون وقتلواهم جميعا فذلك هو الذلة والصغار المشار اليه بقوله تعالى ليعثن عليهم (الي يوم القيامة) من يسومهم سوء العذاب) وهذا نص في أن العذاب انما يحصل لهم في الدنيا مستمر عليهم الى يوم القيامة ولهذا فسر هذا العذاب بالاهاية والذلة وأخذ الجزية منهم فاذا أفضوا الى الآخرة كان عذابهم أشد وأعظم وهو قوله تعالى (ان ربك لسريع العقاب) يعني لمن أقام على الكفر ففيه دليل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الآخرة فيكون العذاب مستمر عليهم في الدنيا والآخرة ثم ختم الآية بقوله تعالى (وانه لغفور رحيم) يعني لمن آمن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام

ينهون عن سوء) عن العذاب الشديد (وأخذنا الذين ظلموا) الراكبين للمنكر والذين قالوا لم تعظون من الناجين فعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان (بعذاب بئيس) شديد يقال بؤس بؤس ما اذا اشتد فهو بئيس بئس شامى بئس مدنى بئس على وزن فيعل أبو بكر غير جاد (بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونا قردة خاسئين) أي جعلناهم قردة أذلاء مبعدين وقيل فلما عتوا نكروا بقوله فلما نسوا العذاب البئيس هو المسخ قيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وكانوا يعرفون أقاربهم ويبكون ولا يتكلمون والجمهور على انها ماتت بعد ثلاث وقيل بقيت وتناسلت (واذ تأذن ربك) أي أعلم وأجربى مجرى فعل القسم ولذا أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله (ليبعثن عليهم) أي كتب على نفسه ليلسطن على اليهود (الي يوم القيامة من يسومهم) من ليهم (سوء العذاب) فكانوا يؤدون الجزية الى الجوس الى أن بعث محمد صلى الله



وراء الصين (ومنهم دون ذلك) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الفسقة ومحل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف محذوف أي ومنهم ناس منحطون عن الصلاح (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) بالنعمة والنقم والخصب والجذب (لعلهم يرجعون) ينتهون فينبون (خلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلف بدل السوء بخلاف الخلف فهو الصالح (ورثوا الكتاب) التوراة ووقفوا على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحریم ولم يعملوا بها (ياخذون عرض هذا الادنى) هو حال من الضمير في ورثوا والعرض المتاع أي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشافي الاحكام وعلى تحريف الكام وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحفير (ويقولون سيغفر لنا) لا ياخذنا الله بما أخذنا

قوله تعالى (وقطعناهم في الارض أمة) يعني وفرقنا بني اسرائيل في الارض جماعات متفرقة فلا تجد بلدا الا وفيه من اليهود طائفة وجماعة قال ابن عباس كل أرض يدخلها قوم من اليهود (منهم الصالحون) يعني من هؤلاء الذين وصفهم الله من بني اسرائيل صالحون وهم من آمن بالله ورسوله وثبت منهم على دينه قبل مبعث عيسى عليه الصلاة والسلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم برهم ذكره الطبري ولم يذكر غيره وروى البغوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وآمنوا به والصحيح ما ذكره الطبري يدل عليه قوله بعد خلف من بعدهم خلف والخلف انما كان بعد هؤلاء الذين وصفهم بالصالح من بني اسرائيل ﴿وقوله تعالى (ومنهم دون ذلك) يعني الذين كفروا من بني اسرائيل وبدلوا وغيروا (وبلوناهم) يعني جميعا الصالح وغيره وهي بلوى اختبار وامتحان (بالحسنة) يعني الخصب والعافية (والسيئات) يعني الجذب والشدّة (لعلهم يرجعون) يعني لكي يرجعوا الى طاعتهم ويتوبوا اليه قال أهل المعاني كل واحدة من الحسنات والسيئات اذا فسرت بالنعمة والشدّة تدعو الى طاعة الله تعالى أما النعمة فيزداد عليها شكرها فيرغب في الطاعة وأما الشدّة فيخاف سوء عاقبتها فيهرب منها ﴿قوله تعالى (خلف من بعدهم) يعني من بعد هؤلاء الذين وصفناهم (خلف) يعني خلف سوء يعني حدث من بعدهم وتبدل منهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها فاكثر ما يقال في المدح بفتح اللام وفي الذم بسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال حسان بن ثابت في المدح

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا \* لاولنا في طاعة الله تابع

فسكن اللام في قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال لبيد في الذم

ذهب الذين يعاش في أكنافهم \* وبقيت في خلف كجد الاجرب

ففتح اللام وهو يريد الذم وأصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا فسد وتغير في السقاء ويقال للردى من القول خلف وخلف الشيء تغير ومنه خلف فم الصائم والمعنى جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذي يحيى بعد قرن كان قبله (ورثوا الكتاب) يعني انتقل اليهم الكتاب عن آباءهم والمراد بالكتاب التوراة (ياخذون عرض هذا الادنى) العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدنانير والمعنى أنهم كانوا ياخذون الرشافي الاحكام على تبديل الكلام وتغييره وذلك الذي يأخذونه من حطام الدنيا هو الشيء النافه الخسيس الخبير لان الدنيا باسرها فانية حثيرة والراغب فيها أحقر منها فاليهود ورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوه وأخذوا الرشافي الاحكام ويعلمون أنها حرام ثم أنهم مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم يصرون عليه (ويقولون سيغفر لنا) يعني ذنوبنا فيتمنون على الله الاماني الباطلة الكاذبة عن شدا بن أوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني أخرجه الترمذي وقال في قوله عليه الصلاة والسلام دان نفسه يعني حاسبها في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة وموضع الاستشهاد من الحديث على الآية قوله وتمنى على الله الاماني لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمني بعينه ﴿وقوله تعالى (وان يأتهم عرض مثله ياخذوه) وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى أنهم اذا أتاهم شيء من الدنيا أخذوه حلالا كان أو حراما ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله أخذوه قال السدي كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضي الا ارتشى في الحكم فيقال له ما بالك ترتشى فيقول

(ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أي الميثاق المذكور في الكتاب (أن لا يقولوا على الله الالحق) أي أخذ عليهم الميثاق في كتابهم أن لا يقولوا على الله الا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب (ودرسوا ما فيه) وقرؤا ما في الكتاب وهو عطف على ألم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الخسيس (الذين يتقون) الرشا والمحامرم (أفلا يعقلون) انه كذلك وبالتاء (١٥٤) مدني وحفص (والذين يمسكون بالكتاب) يمسكون أبو بكر والامسك والتمسيك

والتمسك الاعتصام والتعلق بشئ (وأقاموا الصلاة) خص الصلاة مع ان التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة لانها عماد الدين والدين مبتدأ والخبر (انا لانضيع أجر المصلحين) انا لانضيع أجرهم وجزان يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون وانا لانضيع اعتراض (واذ نتقنا الجبل فوقهم) واذ كراذ قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقكم الطور (كانه ظلة) هي كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب (وظنوا أنه واقع بهم) وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لفظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فرسخ وقيل لهم ان قبلقوها بما فيها والايقن عليكم فلما نظر والى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى

سيغفر لي فيطمع عليه الآخرون فاذا مات أو نزع من الحكم وجعل مكانه آخر فن كان يطعن عليه ارتشى أيضا يقول الله عز وجل وان يات الآخري عرض الدنيا ياخذوه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) يعني ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في أحكامهم العهود والمواثيق في الكتاب وهو التوراة (أن لا يقولوا على الله الالحق) يعني انا أخذنا عليهم الميثاق على أن يقولوا الحق فقالوا الباطل وخالفوا أمر الله وهو قولهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع لليهود في ادعائهم على الله الباطل قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها (ودرسوا ما فيه) يعني ما في الكتاب والمعنى انهم ذكرونا لما أخذنا عليهم من العهود والمواثيق في الكتاب لانهم درسوا له لم يتركوه ولكن درسوه وضيعوا العمل به (والدار الآخرة) يعني وما في الدار الآخرة مما أعد الله لا وليائه وأهل طاعته العاملين بما أمرهم الله به من كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا في الاحكام (خير للذين يتقون) يعني يتقون الله ويخافون عقابه (أفلا يعقلون) يعني أفلا يعقل هؤلاء الذين يرضون بعرض الدنيا أن ما في الآخرة خير وأبقى انهادار المتقين (والذين يمسكون بالكتاب) يقال مسكت بالشئ وتمسكت به واستمسكت به وأمسكت به والمراد بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه من احلال حلاله وتحريم حرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه نزات هذه الآية في الذين أسلموا من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول ولم يحرفوه ولم يغيروه فاداهم ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القرآن (وأقاموا الصلاة) يعني وداوموا على اقامتها في مواقيتها وانما أفرد بها بالذكر وان كانت الصلاة داخلية في التمسك بالكتاب تنبيهها على عظم قدرها وانها من أعظم العبادات بعد الايمان بالله وبرسوله (انا لانضيع أجر المصلحين) قوله عز وجل (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) يعني واذ كراي محمد اذ قلعنا الجبل فرفعناه فوق بني اسرائيل كأنه ظلة يعني جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كل ما على الانسان كالسقف ونحوه (وظنوا) أي وعلموا وايقنوا (انه واقع بهم) يعني الجبل (خذوا) يعني وقتلناهم خذوا واضمار القول كثير في القرآن وكلام العرب (ما آتيناكم) يعني التوراة (بقوة) يعني بجد واجتهاد (واذ كروا ما فيه) يعني واعملوا بما فيه من الاحكام (لعلكم تتقون) قال أصحاب الاخبار ان بني اسرائيل لما أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة أمر الله عز وجل جبريل برفع جبل عظيم حتى صار على رؤسهم كالظلة فلما نظر والى الجبل فوق رؤسهم خر وساجدين فسجد كل واحد منهم على خده وحاجبه الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا أن يسقط عليه ولذلك لا تسجد اليهود الا على شق وجوههم الايسر قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) الآية عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر ابن الخطاب سئل عن قوله سبحانه وتعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بميمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة يعملون بعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار يعملون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنابها العقوبة وقتلناهم (خذوا ما آتيناكم) الله من الكتاب (بقوة) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه (واذ كروا ما فيه) من الاوامر والنواهي ولا تنسوه (لعلكم تتقون) ما أتم عليه (واذ أخذ ربك من بنى آدم) أي واذ كراذ أخذ (من ظهورهم) بدل من بنى آدم والتقدير واذ أخذ ربك من ظهور بنى آدم (ذريتهم) ومعنى أخذ ذريتهم من ظهورهم اخرجهم من أصلاب آبائهم (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى)

الله سبحانه وتعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة  
 فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله  
 النار أخرجه مالك في الموطأ وأبو داود والترمذي وقال حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر  
 بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبري في بعض طرق هذا الحديث الرجل  
 فقال عن مسلم بن يسار عن يعمر بن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه عن أبي هريرة قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها  
 من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من  
 هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فاعجبه ربيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا قال داود قال رب  
 كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يا رب زده من عمري أربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما  
 نقض عمر آدم الأربعين جاءه ملك الموت فقال آدم أولم يبق من عمري أربعين سنة قال أولم تعطها ابنك  
 داود فجحد آدم فجحد ذريته ونسي آدم فاكل من الشجرة فنسبت ذريته وخطي نطقت ذريته أخرجه الترمذي  
 وقال حديث حسن صحيح وأما تفسير الآية فقوله سبحانه وتعالى واذا أخذ ربك يعني واذا كرم يا محمد اذا أخذ  
 ربك من بني آدم من ظهورهم يعني من ظهور بني آدم وانما لم يذكر ظهر آدم وان كان الله سبحانه وتعالى  
 أخرج جميع الذرية من ظهره لان الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الابناء  
 من الآباء فلذلك قال سبحانه وتعالى من بني آدم من ظهورهم فاستغنى عن ذكر ظهر آدم عليه السلام لما علم  
 انهم كلهم بنو آدم وأخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر آدم استغناء ثم للعلماء في تفسير هذه الآية مذاهبان  
 أحدهما وهو مذهب أهل التفسير والأثر وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف فيما روى عن ابن عباس من  
 طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها عنه الطبري باسانيد فمنها عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنوعمان يعني عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنزحهم  
 بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال ألسنت بر بكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين  
 وعن ابن عباس في هذه الآية قال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنوعمان  
 هذا الذي وراء عرفة وأخذ ميثاقهم ألسنت بر بكم قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس أيضا قال ان أول ما أهبط  
 الله آدم الى الارض أهبطه بدهناء أرض الهند فسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو بارئها الى يوم القيامة ثم  
 أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بر بكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا  
 غافلين زاد في رواية عنه جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة وفي رواية عنه قال لما خلق الله آدم أخذ ميثاقه  
 أنه ربه وكتب رزقه وأجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وكتب أرزاقهم وآجالهم ومصائبهم وفي رواية  
 عنه قال ان الله عز وجل مسح صلب آدم فاستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فاخذ منهم الميثاق أن  
 يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من اعطى  
 الميثاق يومئذ فن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الاول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم ينف به لم  
 ينفعه الاول ومن مات صغيرا ولم يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الاول على الفطرة وروى الطبري  
 بسنده عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس  
 فقال لهم ألسنت بر بكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقال  
 ابن عباس أخرج ذرية آدم من ظهره فكلمهم الله وأنطقهم فقال ألسنت بر بكم قالوا بلى ثم أعادها في صلبه  
 فليس أحد من الخلق الا وقد تكلم فقال رب في الله وان القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على  
 نفسه وقال السدي أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه

كهيمته الذر بيضاء فقال ادخلوا الجنة برحمتي ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه كهيمته الذر سوداء فقال  
ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألسنت بر بكم  
قالوا بلى فأطاعه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التبعية زاد في رواية وذلك حيث يقول وله أسلم  
من في السموات والارض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظي أقرله بالايمان والمعرفة الارواح قبل خلق  
أجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر آدم العيني فأخرج منها ذرية بيضاء كهيمته الذر يتحركون ثم مسح  
صفحة ظهره اليسرى فأخرج منها ذرية سوداء كهيمته الذر يتحركون فقال يا آدم هؤلاء ذر يتك ثم قال لهم  
ألسنت بر بكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء في النار ولا أبالي  
وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعا في صلب آدم فاهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق جميعا  
وروي ان الله سبحانه وتعالى قال لهم جميعا علموا أنه لا اله الا الله لكم غيري وأنار بكم لارب لكم غيري فلا تشركوا  
بي شيئا فاني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي واني مرسل اليكم رسلا يدركونكم عهدى وميثاقى ومنزل  
عليكم كتبيا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا أنك ربنا لارب لنا غيرك فاخذ بذلك موافقتهم ثم كتب آجالهم  
وأرزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم عليه السلام فرأى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال  
رب هلا سويت بينهم فقال انى أحب أن أشكر فلما قرروهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم الى  
صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق وقال الزجاج وجائز أن يكون الله سبحانه وتعالى جعل  
لامثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما قال تبارك وتعالى في النملة قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال  
وسخر ناعم داود الجبال يسبحن والطير وقال ابن الانبارى مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم في هذه  
الآية ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم صور كالذر وأخذ عليهم الميثاق أنه  
خالقهم وأنهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما  
جعل للجبال عقولا حتى حو طبوا بقوله يا جبال أوبي معه وكما جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبي صلى الله عليه  
وسلم وكذلك الشجرة سمعت لامرده وانقادت ومعنى قوله ألسنت بر بكم على هذا التفسير قال الله سبحانه  
وتعالى للذرية ألسنت بر بكم فهو ايجاب للربو بية عليهم قالوا بلى يعنى قالت الذرية بلى أنت ربنا فهو جواب  
منهم له واقرار له بالربو بية واعتراف على أنفسهم بالعبودية (شهدنا) فيه قولان أحدهما أنهم لما أقرؤا له  
بالربو بية قال الله عز وجل للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا على اقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف على  
قوله سبحانه وتعالى بلى بأن كلام الذرية يتم وانقطع وقوله شهدنا كلام مستأنف والقول الثانى أن قوله  
سبحانه وتعالى شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على أنفسنا بهذا الاقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف على  
بلى لتعلقه بما بعده وقوله سبحانه وتعالى (أن يقولوا) وقرىء بالتاء على خطاب الذرية ومعناه لئلا تقولوا  
أيها الذرية (يوم القيامة انا كنا عن هذا) يعنى الميثاق (غافلين) وقرىء أن يقولوا بالياء على الغيبة ومعناه  
لئلا تقولوا أى الذرية انا كنا عن هذا غافلين والمذهب الثانى فى معنى هذه الآية وهو مذهب أهل الكلام  
والنظر انه سبحانه وتعالى أخرج الذرية وأنشأهم بعد ان كانوا انطفا فى أصلاب الآباء وهم أولاد بنى آدم  
فأخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم فى الوجود وأشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من العقول وأراهم  
عجائب خلقه وغرائب صنعه ودلائل وحدانيته فهذا الاشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى وأشهدهم على أنفسهم  
أنه ربهم وذلك بما أظهر لهم من دلائل آياته وبراهينه التى تضطرهم الى أن يعلموا أنه خالقهم وبارئهم  
وربهم وناقدا الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق بوحدانيته وربوبيته فقالوا بلى شهدنا على  
أنفسنا أنك أنت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا على أنفسنا على المجاز لا على الحقيقة  
وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور فى كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد أخذ عليه الميثاق بما

(شهدنا) هذا من باب  
التمثيل ومعنى ذلك انه  
صحب لهم الادلة على  
ربوبيته ووحدانيته  
وشهدت بها عقولهم التى  
ركبها فيهم وجعلها مميزة  
بين الهدى والضلالة فكانه  
أشهدهم على أنفسهم  
وقرروهم وقال لهم ألسنت  
بر بكم وكانهم قالوا بلى أنت  
ربنا شهدنا على أنفسنا  
واقررنا بوحدانيتك (ان  
يقولوا) مفعول له أى  
فعلنا ذلك من نصب الادلة  
الشاهدة على صحتها  
العقول كراهة أن يقولوا  
(يوم القيامة انا كنا عن  
هذا غافلين) لم نجه عليه

جعل فيه من السبب الذي يؤخذ به الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الآية واذياً خذرك من  
 بنى آدم ويشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف الذي به يرتب  
 على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة فان قلت فما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الآية قلت  
 المذهب الاول هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف ورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه  
 وسلم فان قلت اذا كان المختار في تفسير هذه الآية هو مذهب السلف في ذلك وأن الله تعالى أخرج الذرية من  
 ظهر آدم لاخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث أيضاً فكيف يحمل تفسيراً لفاظ هذه الآية على هذا القول  
 قلت قد صح الحديث بان الله مسح ظهر آدم فاخرج ذرية وأخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الآية والحديث  
 كما تقدم في تفسير لفاظ الآية من أن الله أخرج ذرية آدم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما  
 في الخارج وكلهم باجمعهم من ظهر آدم الذي هو أصلهم فهذا الطريق أمكن الجمع بين الآية والحديث اذ  
 ليس في معنى لفاظ الآية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير  
 اليه والاخذ به جمعاً بين الآية والحديث وحكي الواحدى عن صاحب النظم أنه قال ليس بين قوله عليه الصلاة  
 والسلام ان الله مسح ظهر آدم فاخرج منه ذرية وبين الآية اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا أخرجهم من  
 ظهر آدم فقد أخرجهم من ظهور ذرية لان ذرية آدم ذرية كذرية بعضهم من بعض قال ونحصل الفائدة  
 بهذا الفصل بانه تعالى أثبت الحجّة على كل منفوس ممن بلغ ومن لم يبلغ بالميثاق الذي أخذه عليهم وزاد على من  
 بلغ منهم الحجّة بالآيات والدلائل التي نصبها بالرسول المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين وبالوعظ وقال غيره  
 فائدة أخذ الميثاق عليهم في القدم أن من مات منهم صغيراً أدخل الجنة باقراره بالميثاق الاول وهذا على قول  
 من يقول ان أطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغاراً فاما من لا يحكم لهم بالجنة فانه يقول هم ممن كان  
 من أهل الشقاوة من الذرية السوداء وانما أقر بالعرفه كرها فلم يغن عنهم ذلك شيئاً ومن بلغ وعقل لم  
 يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيئاً حتى يؤمن ويصدق عند بلوغه وعقله بان الله به وخالقه ويصدق رسوله  
 فيما جاؤا به من عنده وانما فعل ذلك لتلايق قول الكفار انا كنا من هذا الميثاق أو الايمان بان الله ربنا غافلين  
 أو لتلايق قول اخلافهم انما أشرك آباؤنا ونحن نسبهم على آثامهم ظناً منهم أن الحق ما كانوا عليه فان قلت ان  
 ذلك الميثاق لا يذكره أحد اليوم فكيف يكون حجّة عليهم اليوم أو فكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتاج  
 عليهم به قلت لما أخرج الذرية من صلب آدم ركب فيهم العقول وأخذ عليهم الميثاق فلما أعيدوا الى صلب  
 آدم بطل ما ركب فيهم فتوالدوا ناساً بين ذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الالهية نسيانهم له ثم ابتدأهم  
 بالخطاب على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأصحاب الشرائع فقام ذلك مقام الذكرا والداردار  
 تكليف وامتحان ولولم ينسوه لانتفت المحنة والابتلاء والتكليف فقامت الحجّة عليهم لامدادهم بالرسول  
 واعلامهم بحجراتهم بذلك قامت الحجّة عليهم أيضاً يوم القيامة لاخبار الرسل ايهم بذلك  
 الميثاق في الدنيا فمن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزمته الحجّة ولم تسقط الحجّة عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم  
 بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمجترات الباهرات ﷺ وقوله تعالى (أو يقولوا) يعني الذرية (انما أشرك  
 آباؤنا من قبل) يعني انما أخذ الميثاق عليهم لتلايق قول المشركون انما أشرك آباؤنا من قبل (وكنا ذرية من  
 بعدهم) يعني وكنا أتباعاً لهم فاقتدينا بهم في الشرك (أفهل كنا) يعني أفقتدينا (بمافعل المبتلون) قال  
 المفسرون هذا قطع اعذار الكفار فلا يستطيع أحد من الذرية أن يقول يوم القيامة انما أشرك آباؤنا من قبلنا  
 ونقضوا العهد والميثاق وكنا نحن الذرية من بعدهم فقلدناهم واقتدينا بهم وكنا في غفلة عن هذا الميثاق  
 فلا ذنب لنا فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل ذلك وقد أخذ عليهم جميعاً الميثاق وجاءتهم الرسل وذكروهم به وثبتت  
 الحجّة عليهم بذلك يوم القيامة وأما الذين حملوا معنى الآية على أن المراد منه مجرد نصب الدلائل وهو مذهب

(أو يقولوا) أو كراهة ان  
 يقولوا (انما أشرك آباؤنا  
 من قبل وكنا ذرية من  
 بعدهم) فاقتدينا بهم  
 لان نصب الادلة على  
 التوحيد وما نبهوا عليه  
 قائم معهم فلا عذر لهم في  
 الاعراض عنه والافتداء  
 بالآباء كما لا يأتهم في  
 الشرك وأدلة التوحيد  
 منصوبة لهم (أفهل كنا  
 بمافعل المبتلون) أي  
 كانوا السبب في شركنا  
 لتأسيهم الشرك وتركه

سنة لنا (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل البليغ (نفس الآيات) لهم (واعلمهم يرجعون) عن شركهم فصلها الى هذا ذهب المحققون من أهل التفسير منهم الشيخ أبو منصور والزجاج والزمخشري وذهب جمهور المفسرين الى ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهر آدم مثل الذر وأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم بقوله ألتستبركهم فاجابوه ببلى قالوا وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها وقال ابن عباس رضي الله عنهما أخرج الله من ظهر آدم ذريته وأراه آياهم كهيئة الذر وأعطاهم العقل وقال هؤلاء ولدك أخذ عليهم الميثاق ان يعبدوني قيل كان ذلك قبل دخول الجنة بين مكة والطائف وقيل بعد النزول من الجنة وقيل في الجنة والحجة للاولين انه قال من بنى آدم من ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم ولانا لا نتذكر ذلك فاني يصير حجة ذرياتهم مدني وبصري وشامي أن تقولوا أو تقولوا أبو عمرو (واتل عليهم على اليهود) (نبأ الذي آتينا آياتنا) هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله

أهل النظر قالوا معناه ان الله نصب هذه الدلائل وأظهرها للعقول لئلا يقولوا انما أشركنا على سبيل التقليد لآياتنا لان نصب أدلة التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على تقليد الآباء في الشرك وقوله تعالى (وكذلك نفس الآيات) يعني ليتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق والايمان ويعرضوا عن الباطل والكفر وهو المراد من قوله (واعلمهم يرجعون) يعني عن الشرك الى التوحيد وقيل معناه ولعلمهم يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه ويعملون بموجبه ومقتضاه وقوله عز وجل (واتل عليهم) يعني وافرأ على قومك يا محمد (نبأ) يعني خبر (الذي آتينا آياتنا) اختلفوا فيه فقال ابن عباس هو بلعم بن باعوراء وقال مجاهد بلعام بن باعر وقال ابن مسعود هو بلعم بن ابر قال عطية قال ابن عباس انه كان من بني اسرائيل وفي رواية أخرى عنه انه كان من الكنعانيين من بلاد الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقاء وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحق والسدي وغيرهم من أصحاب الاخبار والسير قالوا ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام اليه وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد وان معه جنودا كثيرة وانه قد جاء يخرجننا من بلادنا ويقتلنا ويحلبها بنى اسرائيل وأنت رجل محباب الدعوة فاخرج وادع الله أن يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم واني ان فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي فراجعوه وألحوا عليه فقال حتى أوامر ربي وكان لا يدع حتى أوامر ربه في المنام فاني في المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه اني قد أمرت ربي فنهاني أن أدعو عليهم فاهدوا له هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى أوامر ربي فآمر فلم يوح اليه شيء فقال قد أمرت ربي فلم يوح الي شيء فقالوا له لو كره ربك أن تدعو عليهم انما كبرهاك أول مرة فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب أتاناه متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرائيل يقال لذلك الجبل جبل حسان فلما سار على أتاناه غير بعيد راضت فنزل عنها وضربها فقامت وركبها فلم تسر به كثيرا حتى راضت فضر بها حتى قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى راضت فضر بها حتى أدلتها فاذن الله عز وجل لها في الكلام وأنطقها له فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعام أتدري أين تذهب أما ترى الملائكة أما هي بردوني عن وجهي هذا ويحك أتذهب الى نبي الله والمؤمنين فتدعو عليهم فلم ينزع فغلب الله سبيل الاثنان فانطلقت به حتى اذا أشرفت به على جبل حسان ومعه قومه جعل يدعوا فلم يدع بشيء الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعوا له قومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه يا بلعام أتدري ما تصنع انما تدعوا لهم وتدعوا علينا فقال هذا ما لا أملكه هذا شيء قد غلب الله عليه وانداع لسانه فوقع على صدره فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق لي الا المكر والحيلة فسامكركم وأحتال ثم قال جلوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثم ارساهن الى عسكر بني اسرائيل ليعنها عليهم ومر وهن أن لا تمنع امرأة نساءهم من رجل أرادها فانه ان زنى رجل منهم بواحدة منهمن كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخل النساء على العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستي بنت صور على رجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن شلوم وكان رأس سبط شعون بن يعقوب فقام الى المرأة وأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام وقال اني لا ظنك أنك تقول هذه حرام عليك فقال أجل هي حرام عليك لانقر بها قال والله اني لأطيعك في هذا ثم قام ودخل بها الى قبته فوقع عليها فارسل الله عز وجل الطاعون على بني اسرائيل في ذلك الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هرون وكان صاحب أمر موسى وكان رجلا فظا قد أعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس في بني اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ سحرته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليها القبة وهما متضاجعان فطعنهما بجرته فانتظما ثم خرج بهما وهو رافعهما الى السماء وقد

أخذ الحربة بذراعه واعتمد برفقته على خصرته وأسندها إلى الحية وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم  
هكذا نفعل عن عصاك ورفع الطاعون من بني إسرائيل فحسب من مات منهم في ذلك الطاعون فيما بين  
الآن أسباب ذلك الرجل المرأة إلى أن قتله فنحاص فوجدوه قد هلك سبعون ألفاً في ساعة واحدة من النهار  
فمن هنالك يعطى بنو إسرائيل لولد فنحاص من كل ذبيحة يذبحونها الفضة والذراع واللحم لاعتماده بالحربة  
على خصرته وأخذها إياها بذراعه واسناده إياها إلى الحية ويعطوهم البكر من كل أموالهم لأنه كان بكر العيزار  
وفي بلعام أنزل الله عز وجل واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآيات وقال مقاتل إن ملك البلقاء قال لبلعام ادع  
الله على موسى فقال بلعام إنه من أهل ديني ولا أدعو عليه فنصب له خشبة ليصلبه عليها فلما رأى ذلك  
خرج على أنان له ليدعو على موسى فلما عاين عسكرهم وقفت به الاتان فضر بها فقالت لم تضر بني وائ  
مأمورة وهذه نار أمامي قد منعتني أن أمشي فرجع إلى الملك فأخبره بذلك فقال لتدعون عليه أو لا صلبتك  
فدعا على موسى بالاسم الأعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بني إسرائيل في  
التيه بدعاء بلعام عليه فقال موسى يارب باي ذنب وقعت في التيه قال بدعاء بلعام قال فكما سمعت دعاءه على  
فاسمع دعائي عليه فدعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الأعظم والإيمان فنزع الله سبحانه وتعالى منه  
المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره حكمة بيضاء فذلك قوله سبحانه وتعالى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فان  
قلت هذه التصة ذكرها جماعة من المفسرين وفيها أن موسى عليه السلام دعا على بلعام بان ينزع عنه الاسم  
الأعظم والإيمان وكيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو منصبه في النبوة أن يدعو على إنسان بالكفر بعد  
الإيمان أو يرضى له بذلك قلت الجواب عنه من وجوه أحدها منع صحة هذه القصة لانها من الأسرثيليات  
ولا يلتفت إلى ما يسطره أهل الأخبار إذا خالف الأصول الوجه الثاني أن سبب وقوع بني إسرائيل في التيه هو  
عبادتهم الجبل أو قوتهم لموسى عليه السلام اجعل لنا الها فكان ذلك هو سبب وقوعهم في التيه لا دعاء بلعام  
عليهم الوجه الثالث على تقدير صحة هذه القصة وإن موسى عليه السلام دعا على بلعام وإن موسى عليه السلام  
لم يدع عليه إلا بعد أن ثبت عنده أن بلعام كفر وارتد عن الإيمان بدعائه على موسى وإيثاره الحياة الدنيا  
فدعا عليه مقابلة لدعائه عليه والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيهه من منصب النبوة  
عما سبق له أصحاب الأخبار في كتبهم من غير نظر فيه ولا بحث عن معناه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص  
وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي وكانت قصته أنه كان قد قرأ  
الكتب القديمة وعلم أن الله سبحانه وتعالى مرسل رسولاً فرجأ أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمد  
صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان أمية صاحب حكمة وشعرو ومواعظ حسنة فقصد  
بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسأل عنهم ف قيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبياً ما قتل أقرباه  
فلما مات أمية أتت أخته فارعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن  
وفاة أخيه فقالت بينا هو راقد أتاه اثنان فكشفا سقف البيت ونزلا فقعداً أحدهما عند رأسه والآخر عند  
رجليه فقال الذي عند رجليه الذي عند رأسه أوعى قال أوعى قال أذكي قال أبي قالت فسألته عن ذلك فقال  
خير أريدني فصرف عني ثم غشي عليه فلما أفاق من غشيته قال شعرا

كل عيش وإن تطاول دهره صائر مره إلى أن يزولا

ليتني كنت قبل ما قد بد إلى في قلال الجبال أوعى الوعولا

إن يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الصغير يوم أثقلا

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدني من شعرا أخيك فأنشدته بعض قصائده فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فانزل الله عز وجل واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية

وادركه وصار قريناً له  
(فكان من الغاوين) فصار  
من الضالين الكافرين  
روى ان قومه طلبوا منه  
ان يدعو على موسى ومن  
معه فاني فلم يزالوا به حتى  
فعل وكان عنده اسم الله  
الاعظم (ولوشئنا رفعناه)  
الى منازل الابرار من العلماء  
(٣١) بتلك الآيات (ولكنه  
أخذ الى الارض) مال الى  
الديار ورغب فيها (واتبع  
هواه) في ايشار الدنيا ولداتها  
على الآخرة ونعيمها (فله  
كمثل الكلب ان تحمل  
عليه) أي تزجره وتطرده  
(يلهث أو تركه) غير  
مطروود (يلهث) والمعنى  
فصفته التي هي مثل في  
الحسنة والضعفة كصفة  
الكلب في أخس أحواله  
وأذلها وهي حال دوام  
اللهث به سواء حمل عليه أي  
شد عليه وهيج فطرده أو ترك  
غير متعرض له بالجل عليه  
وذلك ان سائر الحيوان  
لا يكون منه اللهث الا اذا  
حرك أما الكلب فيلهث في  
الحالين فكان مقتضى  
الكلام ان يقال ولكنه  
أخذ الى الارض فخططناه  
ووضعنا منزلته فوضع هذا  
التمثيل موضع فخططناه أبلغ  
حظ ومحل الجلة الشرطية  
النصب على الحال كما قيل

وفي رواية عن ابن عباس انها نزلت في البسوس وهو رجل من بني اسرائيل وكان قد أعطى ثلاث دعوات  
مستجابات وكانت له امرأة له منها أولاد فقالت له اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة كما تريد بن قالت  
ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل فدعاها فصارت أجمل النساء فلما علمت أنه ليس في نساء بني  
اسرائيل مثلها رغبت عنه فغضبت فدعاها فصارت كلبة نباحه فذهبت فيهاد دعوتان فجاء بنوها الى أبيهم  
وقالوا ليس لنا على هذا الامر قرار فدصارت أمنا كلبة نباحه والناس تعيرنا بذلك فادع الله أن يردها الى حالها  
الاول فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعاً والقولان الاولان أشهر وقال الحسن وابن  
كيسان نزلت في منافق أهمل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون  
أبناءهم ثم أنكروه وقال قتادة هذا مثل ضرب به الله لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله تعالى آتينا آياتنا  
قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الأكبر وقال ابن زيد كان لا يسأل الله شيئاً الا أعطاه وقال السدي كان يعلم  
اسم الله الأعظم وفي رواية أخرى عن ابن عباس انه أتى كتاباً وقيل ان الله آتاه حجة وأدلة وهي الآيات التي  
أوتيتها (فانسلخ منها) يعني نخرج من الآيات التي كان الله آتاه اياها كما نسلخ الحية من جلدها وقال ابن  
عباس نزع منه العلم (فاتبعه الشيطان) يعني لحقه وأدركه وصيره الشيطان تابعا لفسه في معصية الله يخالف  
أمر ربه ويطيع الشيطان وهواه ﴿ قوله تعالى (فكان من الغاوين) يعني من الهالكين الضالين بما  
خالف ربه وأطاع هواه وشيطانه ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ولوشئنا رفعناه بها) يعني رفعنا درجاته ومنزلته  
بتلك الآيات التي أوتيتها وقال ابن عباس لرفعناه بعملها وقال مجاهد وعطاء معناه ولوشئنا رفعناه الكفر  
وعصمناه بالآيات (ولكنه أخذ الى الارض) يعني ولكنه سكن الى الدنيا ومال اليها ورضى بها وأصله من  
الخلود وهو الدوام والمقام والارض هنا عبارة عن الدنيا لان الارض عبارة عن المقاوز والقفار وفيها المدن  
والضياع والمعادن والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به في الدنيا فالدنيا كلها هي الارض (واتبع هواه) يعني  
انه عرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات واتبع الهوى فخر دنياه وآخرته ووقع في هلاوية الردى  
والهلاك وهذه الآية من أشد الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون  
الهوى وذلك لان الله عز وجل خص هذا الرجل بآياته وحكمته وعلمه اسمه الأعظم وجعل دعاءه مستجاباً  
ثم انه لما اتبع هواه وركن الى الدنيا ورضى بها عوضاً عن الآخرة نزع منه ما كان أعطيه وانسلخ من الدين  
فخر الدنيا والآخرة ومن الذي يسلم من الميل الى الدنيا واتباع الهوى الامن عصمه الله بالورع وثبته بالعلم  
وبصره بعيوب نفسه عن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جانتان  
أرسلا في غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه أخرجه الترمذي ﴿ ثم ضرب الله عز وجل  
مثلاً لهذا الرجل الذي آتاه آياته فانسلخ منها واتبع هواه فقال تعالى (فنهله كمثل الكلب ان تحمل عليه  
يلهث أو تركه يلهث) يقال له الكلب يلهث اذا لدغ لسانه من العطش وشدة الحر وعند الاعياء  
والتعب وهذا مثل ضرب به الله عز وجل لمن آتاه آياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع هواه وترك آخرته  
وآثر دنياه بأخس الحيوانات وهو الكلب في أخس أحواله وهو اللهث لان الكلب في حال لهته لا يقدر على  
نفع نفسه ولا ضررها كذلك العالم الذي يتبع هواه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضررها في الآخرة لان التمثيل به  
على انه يلهث على كل حال ان حملت عليه أو تركته كان لاهنا وذلك عادة منه وطبيعة وهي مواظبته على اللهث  
دائماً فكذلك من آتاه الله العلم والدين وأغناه عن النعرض لحطام الدنيا الخسيسة ثم انه مال اليها وطلبها  
كانت حالته كحال الكلب اللاهث وقيل ان العالم اذا توصل بعلمه الى طلب الدنيا فانه يظهر هاولمه عند أهلها  
وبدلغ لسانه في تقرير تلك العلوم وبيانها وذلك لاجل ما يحل عنده من حرارة الحرص الشديد وشدة



العطش الى الفوز بمطلوبه من الدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب الذي أدلج لسانه من اللهث في غير حاجة ولا ضرورة ومعنى ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أى ان شددت عليه وأهيجته طث وان تركته على حاله طث لان اللهث طبيعة أصلية فيه فكذلك حال الحر يص على الدنيا ان وعظته فهو حر يص لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه وان تركته ولم تعظه فهو حر يص أيضا لان الحر يص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة كما ان اللهث طبيعة لازمة للكلب ( ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ) يعنى ان المثل الذي ضربناه للذي آتينا بآياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فم هذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجحدوا فوجه التمثيل بينهم وبين الكلاب اللاهت انهم اذا جاءتهم الرسل ليهدوهم لم يهتدوا وان تركوا لم يهتدوا أيضا بل هم ضلال في كل حال ثم قال سبحانه وتعالى ( فاقصص القصص ) وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى فاقصص القصص يا محمد على قومك أى اخبار من كفر بآيات الله ( لعلمهم يتفكرون ) يعنى فيتعظون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله عز وجل فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله والى طاعته وهم يعرفونه ويعرفون صدقه كذبوه ولم يقبلوا منه ثم قال سبحانه وتعالى ( ساء مثلا لقوم الذين كذبوا بآياتنا ) يعنى بسئ مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ( وأنفسهم كانوا يظلمون ) يعنى بتكذيبهم بآياتنا ﴿ قوله عز وجل ( من يهد الله فهو المهتدى ) يعنى من يرشده الله الى دينه فهو المهتدى وقيل معناه من يتولى الله هدايته وارشاده فهو المهتدى ( ومن يضل ) يعنى ومن يتولى ضلاله ( فأولئك هم الخاسرون ) يعنى فى الآخرة وفى الآية دليل على ان الله سبحانه وتعالى هو الهادى المضل ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ( ولقد ذرأنا ) يعنى خلقنا ( لجهنم كثيرا من الجن والانس ) أخبر الله سبحانه وتعالى انه خلق كثيرا من الجن والانس وهم الذين حقت عليهم الكرامة الازلية بالشقاوة ومن خلقه الله للنار فلا حيلة له فى الخلاص منها واستدل البغوى على صحة هذا التأويل بما رواه عن عائشة قالت دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقات يارسول الله طوبى لهدا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم أخرجه مسلم قال الشيخ محي الدين النووي فى شرح مسلم أجمع من يعتد به من علماء المسلمين ان من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لانه ليس مكافا وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا وأجاب العلماء عنه بانه لعلة صلى الله عليه وسلم نهاها عن المسارعة الى القطع من غير ان يكون عند هاديل قاطع كما نكر على سعد بن أبى وقاص لفظه انى لاراه مؤمنا فقال أو مسلما الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان أطفال المسلمين فى الجنة فلما علم ذلك قال به وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب قال الاكثرون هم فى النار تبعالآبائهم وتوقف طائفة فيهم - والثالث وهو الصحيح الذى ذهب اليه المحققون انهم من أهل الجنة ويستدل له باشياء منها خبر ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم فى الجنة وحوله أولاد الناس فقالوا يارسول الله وأولاد المشركين قال وأولاد المشركين رواه البخارى فى صحيحه ومنها قوله سبحانه وتعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله أعلم وفى الآية دليل وحجة واضحة انه فى ان الله خالق أعمال العباد جميعها خيرها وشرها لان الله سبحانه وتعالى بين بصريح اللفظ انه خالق كثيرا من الجن والانس للنار ولا تزيد على بيان الله عز وجل لان العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب دخول النار به علم ان له من يضطره الى ذلك العمل الموجب الى دخول النار وهو الله عز وجل وقيل الا لام فى جهنم للعاقبة أى عاقبتهم جهنم ثم وصفهم

القرآن المجز وما فيه  
و بشروا الناس باقتراب  
مبعثه ( فاقصص القصص )  
أى قصص بلم الذى هو نحو  
قصصهم ( لعلمهم يتفكرون )  
فيحذرون مثل عاقبتهم  
اذا ساروا نحو سيرته ( ساء  
مثلا القوم الذين كذبوا  
بآياتنا ) أى مثلا القوم  
غذف المضاف وفاعل ساء  
مضمر أى ساء المثل مثلا  
واتصاب مثلا على التمييز  
( وأنفسهم كانوا يظلمون )  
معطوف على كذبوا  
فيدخل فى حيز الصلة أى  
الذين جمعوا بين التكذيب  
بآيات الله وظلم أنفسهم أو  
منقطع عن الصلة أى وما ظلموا  
الأنفسهم بالتكذيب وتقديم  
المفعول به للاختصاص  
أى وخصوا أنفسهم بالظلم  
لم يتعد الى غيرها ( من يهد  
الله فهو المهتدى ) جل على  
اللفظ ( ومن يضل ) أى  
ومن يضل ( فأولئك هم  
الخاسرون ) جل على المعنى  
ولو كان الهدى من الله  
البيان كما قالت المعتزلة  
لاستوى الكافر والمؤمن  
اذ البيان ثابت فى حق  
الفر يقين فدل انه من الله  
تعالى التوفيق والعصمة  
والمعسونة ولو كان ذلك  
للكافر لا هتدى كما هتدى  
المؤمن ( ولقد ذرأنا لجهنم

فقال تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها) يعني لا يفهمون بها ولا يعقلون بها وأصل الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشيء ثم صار علما على اسم العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه فهو فقيه اذا فهم ومعنى الآية لهم قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها الخير والهدى لاعراضهم عن الحق وتركهم قبوله (ولهم أعين لا يبصرون بها) يعني لا يبصرون بها طريق الحق والهدى ولا ينظرون بها في آيات الله وادلة توحيده (ولهم آذان لا يسمعون بها) يعني لا يسمعون آيات القرآن ومواعظه فيعتبرون بها قال أهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم أعين يبصرون بها المراتب والآذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا يشك فيه ولما وصفهم الله عز وجل بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الداركة علم بذلك ان المراد بذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم في الآخرة وحاصل هذا الكلام انهم مع وجود هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم في أمور الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قول الشاعر

وعوراء الكلام صممت عنها \* وانى ان أشاء بها سميع

فانه أثبت له صمما مع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون بها شيئا من أمر الآخرة ولهم أعين لا يبصرون بها الهدى ولهم آذان لا يسمعون بها الحق \* ثم ضرب لهم مثلا فقال سبحانه وتعالى (أولئك كالانعام) يعني ان الذين ذرأهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم الكامة الازلية كالانعام وهي البهائم التي لا تفهم ولا تعقل وذلك لان الانسان وسائر الحيوانات مشتركون في هذه الحواس الثلاثة التي هي القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على سائر الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المؤدى الى معرفة الحق من الباطل والخير والشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التي لا تدرك شيئا \* ثم قال تعالى (بل هم أضل) يعني بل ان الكفار أضل من الانعام لان الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها والكافر لا يعرف ذلك فصار أضل من الانعام ولان الانعام لم تعط القوة العقلية والانسان قد أعطيها فاذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار أخس حالا من الانعام وفيمن الانعام مطيعة لله عز وجل والكافر غير مطيع لله عز وجل فصارت الانعام أفضل منه \* ثم قال الله تعالى (أولئك هم الغافلون) يعني عن ضرب هذه الامثال لهم \* قوله سبحانه وتعالى (ولله الاسماء الحسنى) قال مقاتل ان رجلا دعا الله في صلواته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة قال ابن الجوزي هو أبو جهل ان محمدا وأصحابه يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا فإنا بالهذي ابدعوا اثنين فانزل الله هذه الآية ولله الاسماء الحسنى والحسنى تأنيث الاحسن ومعنى الآية ان أسماء الله سبحانه وتعالى المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن والمعنى ان الاسماء الحسنى ليست الا لله لان هذا اللفظ يفيد الحصر وفيما ان الاسماء ألقاها على معان فهي انما تحسن بمعانيها ولا معنى للحسن في حق الله تبارك وتعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين أحدهما عدم افتقاره الى غيره والثاني افتقاره اليه وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر وفي رواية من أحصاها وفي رواية أخرى لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قال البخاري أحصاها حفظها وفي رواية الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرفع المعز المذل السميع البصير الحكيم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت

انما خلق منهم للعبادة من علم انه يعبدوه وأما من علم انه يكفر به فانما خلقه ليعلم انه يكون منه فالخاصل ان من علم منه في الازل انه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم منه انه يكون منه الكفر خلقه لذلك وكم من عام برادبه الخصوص وقول المعتزلة بان هذه لام العاقبة أي لما كان عاقبتهم جهنم جعل كأنهم خلقوا لها فرار عن ارادة المعاصي عدول عن الظاهر (لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق ولا يتفكرون فيه (ولهم أعين لا يبصرون بها) الرشد (ولهم آذان لا يسمعون بها) الوعظ (أولئك كالانعام) في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتفكير (بل هم أضل) من الانعام لانهم كبروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا الفضول فالانعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارها وهم لا يعلمون مضارهم حيث اختاروا النار وكيف يستوى المكلف المأمور والمخلى المعذور فالأدنى روحاني شهواني مهابى أرضي فان غلب روحه هواه فاق ملائكة السموات وان غلب هواه روحه فاقه بهائم الارض (أولئك هم

الحسب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق  
الوكيل القوى المتين الولي الجيد المحصي المبدئ المعيد المحي المميت الحي القيوم الواجد  
الماجد الواحد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر الاوّل الآخر الظاهر الباطن الوالي  
المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى  
المغنى المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور قال  
الترمذى حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا يعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند  
أهل الحديث قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا  
نعلم فى كثير من الروايات ذكر الاسماء التى فى هذا الحديث قال ابن الاثير وفى رواية ذكرها رزين ان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذرّوا الذين يلحدون فى اسمائه سيحزون  
ما كانوا يعملون فقال ان الله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما الحديث قال الشيخ محي الدين النووى رحمه  
الله تعالى اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له  
اسماء غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسما من احصاها دخل  
الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصائها الا الاخبار بحصر الاسماء ولهذا جاء فى الحديث الآخر  
اسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي  
المالكي عن بعضهم ان لله ألف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من احصاها دخل  
الجنة تقدم فيه قول البخارى ان معناه حفظها وهو قول أكثر المحققين وبعضه الرواية الاخرى من حفظها  
دخل الجنة وقيل المراد من الاحصاء العدداى عدها فى الدعاء بها وقيل معناه من أطاها وأحسن المراعاة لها  
والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معنى احصاها حضر بياله عند  
ذكرها معناها وتفكر فى مدلولها معتبرا متدبرا اذا كرر اخبارها بمعظمها ولمسهاها ومقدسات الله  
سبحانه وتعالى وأن يحضر بياله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله والله وترى حجب الوتر الفرد  
ومعناه فى وصف الله تعالى أنه الواحد الذى لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر فى الاعمال لان أكثر  
إطاعات وتر وفيه دليل على أن أشهر اسمائه سبحانه وتعالى الله لاضافة الاسماء اليه فيقال الرؤف والكريم  
واللطيف من أسماء الله ولا يقال من أسماء الرؤف والكريم واللطيف الله وقد قيل ان لفظة الله هو الاسم  
الاعظم قال أبو القاسم القشيري فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسماء لغيره وقد  
قال والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال الامام فخر الدين الرازى دلت الآية على ان الاسم غير المسمى لانها  
تدل على ان اسماء الله كثيرة لان لفظ الاسماء لفظ الجمع وهو يفيد الثلاثة فما فوقها ثبت ان اسماء الله  
كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى وايضا قوله سبحانه وتعالى والله الاسماء الحسنى  
يقتضى اضافة الاسماء الى الله واطافة الشئ الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشئ  
المسمى به فهو غيره وقال أهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم  
لان التسمية عبارة عن وضع اللفظ المعين لتعريف ذات الشئ والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق  
ظاهر قال العلماء وكما يجب تنزيه الله عن جميع النقائص فكذلك يجب تنزيه اسمائه أيضا وقوله سبحانه  
وتعالى (فادعوه بها) يعنى ادعوا الله باسمائه التى سمي بها نفسه أو سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم فادعوه بها  
الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكد انه يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان  
يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال يا حكيم ولا يجوز ان يقال  
يا طبيب وللدعاء شرائط منها ان يعرف الداعي معانى الاسماء التى يدعوا بها ويستحضر فى قلبه عظمة المدعو

معان حسنة فمنها ما يستحقه  
بحقائه كالقديم قبل كل  
شئ والباقي بعد كل شئ  
والقادر على كل شئ والعالم  
بكل شئ والواحد الذى  
ليس كمثل شئ ومنها ما  
تستحسنه النفس لآثارها  
كالغفور والرحيم والشكور  
والحليم ومنها ما يوجب  
التخلق به كالفضل والعفو  
ومنها ما يوجب مراقبة  
الاحوال كالسميع والبصير  
والمقندر ومنها ما يوجب  
الاجلال كالعظيم والجبار  
والمتكبر (فادعوه بها)  
فسموه بتلك الاسماء

(وذروا الذين يلحدون في الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولوا يا سخى يارفيق لأنه لم يسم نفسه بذلك ومن الالحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة يلحدون حزة لحد وألحد مال سيجزون ما كانوا يعملون (ومن خلقنا) للجنة لأنه في مقابلة ولقد زرأنا لهم (أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) في أحكامهم قيل هم العلماء والدعاة إلى الدين وفيه دلالة على أن اجماع كل عصر حجة (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) سنستدرجهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهما كهم في النفي فكما جدد الله عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجدوا ومعصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن ترادف النعم أثر من الله تعالى وتقريب وانما هو خذلان منه وتباعد وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستعداد والاستئصال درجة بعد درجة (وأملئهم) عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين أي أمهلهم (ان كيدى متين) اخذى شديد سماه كيد الانه

سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعائه مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقديس لله ويعزم المسئلة مع رجاء الاجابة ويعترف لله سبحانه وتعالى بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان له تأثير عظيم (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) معنى الالحاد في اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال ألحد في الدين الحادا اذا عدل عنه ومال الى غيره قال المحققون الالحاد يقع في أسماء الله تعالى على وجوه أحدها اطلاق أسماء الله عز وجل على غيره وذلك ان المشركين سمووا أصنامهم بالآله واشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق اللات من الاله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد الوجه الثاني وهو قول أهل المعاني ان الالحاد في أسماء الله هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لان أسماء الله سبحانه وتعالى كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل ندعو الله باسمائه التي وردت في الكتاب والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الادب في الدعاء فلا يجوز أن يقال يا ضار يا مانع يا خالق القردة على الانفراد بل يقال يا ضار يا نافع يا معطي يا خالق الخلق الوجه الرابع أن يسمى الله العبد باسم لا يعرف معناه فانه به باسم لا يليق اطبما سما لاقه على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز أن يسمى به لما فيه من الغرابة ﴿وقوله سبحانه وتعالى (سيجزون ما كانوا يعملون) يعني في الآخرة ففيه وعيد وتهديد لمن ألحد في أسماء الله عز وجل ﴿وقوله عز وجل (ومن خلقنا أمة) يعني جماعة وعصابة (يهدون بالحق وبه يعدلون) قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة باغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (ق) عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وفي الآية دليل على أنه لا يخالو زمان من قائم بالحق يعمل به ويهدي اليه (والذين كذبوا بآياتنا) يريد به جميع المكذبين بآيات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم أهل مكة والاول أولى لان صيغة العموم تتناول الكل الاما دل الدليل على خروجه منه (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) قال الازهرى سناخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله سبحانه وتعالى يفتح عليهم من النعم ما يغتبطون به ويركعون اليه ثم يأخذهم على غرتهم أغفل ما يكونون وقيل معناه سنقر بهم إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا اذا أتوا بجرم أو أقدموا على ذنب فتح الله عليهم من أبواب الخير والنعمة في الدنيا فيزدادون بذلك تماذا في النى والضلال ويتدرجون في الذنوب والمعاصي فيأخذهم الله أخذة واحدة أغفل ما يكونون عليه وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا نعمة وقال الكلبي تزين أعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان الثوري نسخ عليهم النعم ثم نسلهم الشكر روى أن عمر بن الخطاب لما حمل اليه كنوز كسرى قال اللهم انى أعوذ بك أن أكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال أهل المعاني الاستدراج ان ينسج الشئ الى الشئ في خفية قليلا قليلا ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه في المشى ومنه درج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شئ (وأملئهم) يعنى وأمهلهم وأطيل مدة أعمارهم والاملاء في اللغة الامهال واطالة المدة والمعنى انى أطيل مدة أعمارهم ليمادوا في الكفر والمعاصي ولا أعاجلهم بالعقوبة ولا افتح لهم باب التوبة (ان كيدى متين) يعنى ان اخذى شديد والمتين من كل شئ هو القوى الشديد وقال ابن عباس معناه ان مكري شديد قال المفسرون نزلت هذه الآية في المستهزئين من قريش وذلك أن الله سبحانه وتعالى أمهلهم ثم قتلهم في ليلة واحدة وفي هذه الآية دليل على مسئلة القضاء والقدر وأن الله

(أولم يتفكروا ما يصاحبهم) محمد عليه السلام وما نافية بعد وقف أى أولم يتفكروا فى قولهم ثم نبى عنه الجنون بقوله ما يصاحبهم (من جنّة) جنون (ان هو الانذير مبين) منذر من الله موضع انذاره (أولم ينظروا) نظر استدلال (فى ملكوت السموات والارض) الملكوت الملك العظيم (وما خلق الله من شئ) وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشئ من أجناس لا يحصرها العدد (وأن عسى) ان مخففة من الثميلة وأصله وأنه عسى والضمير ضمير الشأن وهو فى موضع الجر بالعطف على ملكوت والمعنى أولم ينظروا (١٦٥) فى ان الشأن والحديث عسى

(أن يكون قد اقترب  
أجلهم) ولعلهم يموتون  
عما قريب فيسارعوا الى  
النظر وطلب الحق  
وما ينجمهم قبل مفاجأة  
الاجل وحلول العقاب  
(فبأى حديث بعده) بعد  
القرآن (يؤمنون) اذالم  
يؤمنوا به وهو متعلق بعسى  
أن يكون قد اقترب  
أجلهم كأنه قيل لعل  
قد اقترب فإلهم لا يبادرون  
لإيمان بالقرآن قبل الفوت  
وماذا ينتظرون بعد وضوح  
الحق وبأى حديث أحق  
منه يريدون أن يؤمنوا  
به (من يضل الله فلا هادى  
له) أى يضال الله (ويذرهم)  
بالبلاء عراقى وبالجزم جزء  
وعلى عطف على محل فلا  
هادى له كأنه قيل من يضل  
الله لا يهده أحد ويذرهم  
والرفع على الاستئناف  
أى وهو يذرهم الباقون  
بالبون (فى طغيانهم)  
كفرهم (يعمّهون)  
يتحبرون ولما سالت  
اليهود أو قريش عن  
الساعة متى تكون نزل

سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عمداً يفعل وهم يستلون ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أولم يتفكروا ما يصاحبهم) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (من جنّة) يعنى من جنون قال قتادة ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قام على الصفا ليل جعل يدعو قريشا فخذوا خذوا يابى فلان يابى فلان انى لكم نذير مبين وكان يحذرهم بأس الله ووقائعه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا الجنون بات يصوت الى الصباح فانزل الله عز وجل أولم يتفكروا والتفكر التامل واعمال الخاطر فى عاقبة الامر والمعنى أولم يتفكروا فإيعلموا ما يصاحبهم يعنى محمد صلى الله عليه وسلم من جنّة والجنّة حالة من الجنون وادخال لفظه من فى قوله من جنّة يوجب أن لا يكون به نوع من أنواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وهو يرى عنده لانهم رأوا انه صلى الله عليه وسلم خالفهم فى الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذاتهما مقبلا على الآخرة ونعيمهما مستغلا بالدعاء الى الله عز وجل وانذارهم بأسه ونقمته ليللا ونهارا من غير ملال ولا ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبرأه الله سبحانه وتعالى من الجنون فقال تعالى (ان هو) يعنى ما هو (الانذير مبين) ثم حثهم على النظر المؤدى الى العلم بالوحدانية فقال سبحانه وتعالى (أولم ينظروا) يعنى نظر اعتبار واستدلال (فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ) والمقصود التنبيه على ان الدلالة على الوحدانية ووجود الصانع القديم غير متصورة على ملك السموات والارض بل كل شئ خلقه الله سبحانه وتعالى وبرأه فيه دليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى وآثار قدرته كما قال الشاعر وفى كل شئ له آية \* تدل على انه واحد (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) والمعنى ولعل أجلهم يكون قد اقترب فيموتوا على الكفر قبل ان يؤمنوا فيصيروا الى النار واذا كان الامر كذلك وجب على العاقل المبادرة الى التفكير والاعتبار والنظر المؤدى الى الفوز بالنعيم المقيم (فبأى حديث بعده) يعنى بعد القرآن (يؤمنون) يعنى يصدقون والمعنى فبأى كتاب بعد الكتاب الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبى ولا بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبياء وكتابه خاتم الكتب لا نقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمان فقال سبحانه وتعالى (من يضل الله فلا هادى له) يعنى ان اعراض هؤلاء عن الايمان لا ضلال الله اياهم فلو هداهم لآمنوا (ويذرهم فى طغيانهم يعمهون) يعنى ويتركهم فى ضلالاتهم وتماديهم فى الكفر يترددون متحبرين لا يهتمدون سبيلا ﴿ قوله عز وجل (يسألونك عن الساعة أيا نمرساها) قال قتادة قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس قال جبل بن أبى قشير وشمول بن زيد وهما من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد أخير نامتى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فاننا نعلم متى الساعة فانزل الله عز وجل يسألونك عن الساعة يعنى عن خبر القيامة سميت ساعة لانها تقوم فى ساعة غفلة وبعثة أولان حساب الخلائق ينقضى فيها فى ساعة واحدة أيا نمرساها سؤال استفهام عن الوقت الذى تقوم فيه الساعة ومعناه متى مرساها قال ابن عباس يعنى منتهى أى متى وقوعها قال والساعة الوقت الذى تموت فيه الخلائق وأصل الارساء الثبات يقال رسا رسوا اذا ثبت (قل) أى قل لهم يا محمد (انما علمها عند ربى) أى لا يعلم الوقت الذى تقوم فيه الا الله استأثر الله بعلمها

(يسألونك عن الساعة) وهى من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها ولانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (أيا نمرساها) متى واشتقاقه من أى فعلا ن منه لان معناه أى وقت (مرساها) ارساؤها مصدر مثل المدخل بمعنى الادخال أو وقت ارسائها أى اثباتها والمعنى متى يرسها الله (قل انما علمها عند ربى) أى علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحد من ملك مقرب ولا نبى مرسل ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك

(لا يجلبها وقتها الا هو) كل من أهلها من الملازمة والنقلتين أهمه شان الساعة ويتمنى أن ينجلي له علمها ويشق عليه حفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لان أهلها يخافون شدائدها وأحوالها (لأنكم لا بغتة) فجأة على غفلة منكم (يسئلونك كأنك حفي عنها) كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسئلة عن الشيء والتنقيب عنه استحکم علمه فيها وأصل هذا التركيب المبالغه ومنه احفاء الشارب أو عنهما متعلق يسئلونك أي سئلونك عنها كأنك حفي أي عالم بها (قل انما علمها عند الله) وكرر يسئلونك وانما علمها عند الله لئلا يزداد كثرة كأنك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة منهم محمد بن الحسن رحمه الله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انه المختص بالعلم بها قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله) هو اظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمالك الا ماشاء مالكي من النفع لي والدفع عني

فلم يطلع عليه أحد او مر حديث الايمان والاسلام والاحسان وسؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها باعلم من السائل قال المحققون وسبب اخفاء علم الساعة ووقت قيامها عن العباد ليكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت كانوا على وجل وخوف واشفاق منها فيكون ذلك أدعى لهم الى الطاعة والتوبة وأزجر لهم عن المعصية (لا يجلبها وقتها الا هو) قال مجاهد لا يأتي بها الا هو وقال السدي لا يرسلها وقتها الا هو والتجلية اظهار الشيء بعد خفائه والمعنى لا يظهرها لوقتها المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره (ثقلت في السموات والارض) يعني ثقل أمرها وخفي علمها على أهل السموات والارض فكل شيء خفي فهو ثقيل شديد وقال الحسن اذا جاءت ثقلت وعظمت على أهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب (لأنكم لا بغتة) يعني فجأة على حين غفلة من الخلق (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقوم من الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقوم من الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقوم من الساعة وهو يليب حوضه فلا يسقي فيه ولتقوم من الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها باللقحة بفتح اللام وكسرهما الناقة القرية العهد بالنتاج قوله يليب حوضه ويروي يلوط حوضه يعني يطينه ويصلحه يقال لا ط حوضه يلبطه أو يلوطه اذا طينه وأصله من الصوق والاكلة بضم الهمزة اللقمة وقوله سبحانه وتعالى (يسئلونك كأنك حفي عنها) يعني يسألك قومك عن الساعة كأنك حفي بهم بمعنى بار بهم شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتأخير تديريه يسئلونك عنها كأنك حفي بهم قال ابن عباس يقول كان بينك وبينهم مودة وكانك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس محمد صلى الله عليه وسلم عن الساعة سأله سؤال قوم كأنهم يرون ان محمد صلى الله عليه وسلم حفي بهم فادعى الله عز وجل اليه انما علمها عنده استأثر بعلمها فلم يطلع عليها مكدكا ولا رسولا وقيل معناه يسئلونك عنها كأنك حفي بها أي عالم بها من قولهم أحفيت في المسئلة اذا بالغت في السؤال عنها حتى علمتها (قل) يعني قل يا محمد (انما علمها عند الله) يعني استأثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل فان قلت قوله سبحانه وتعالى يسئلونك عن الساعة أيان مر ساها وقوله سبحانه وتعالى نانيا يسئلونك كأنك حفي عنها فيه تكرار قلت ليس فيه تكرار لان السؤال الاول سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني سؤال عن أحوالها من ثقلها وشدائدها فلم يلزم التكرار فان قلت عبر عن الجواب في السؤال الاول بقوله تعالى علمها عند ربّي وعن الجواب في السؤال الثاني بقوله تعالى علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين قلت فيه فرق لطيف وهو انه لما كان السؤال الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله تعالى علم وقت قيامها عند ربّي ولما كان السؤال الثاني واقعا عن أحوالها وشدائدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله سبحانه وتعالى علمها عند الله لانه أعظم الاسماء (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يعلمون أن علمها عند الله وانه استأثر بعلم ذلك حتى لا يسألوا عنه وقيل ولكن أكثر الناس لا يعلمون السبب الذي من أجله أخفي علم وقت قيامها المغيب عن الخلق قوله سبحانه وتعالى (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا) قال ابن عباس ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلفن شترى به فترجح فيه عند الغلاء وبالارض التي يريد ان تجذب فترحل عنها الى ما قد أخصبت فانزل الله عز وجل قل لا أملك أي قل يا محمد لا أملك ولا أقدر لنفسي نفعا أي اجتلاب نفع بان أربح فيما اشتريه ولا ضرا يعني ولا أقدر ان أدفع عن نفسي ضرا انزل بها بان ارتحل الى الارض الخصبة وأترك الجذبة (الاماشاء الله) يعني ان أملكه وأقدر عليه (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) يعني ولو كنت أعلم وقت الخصب والجذب لاستكثرت من المال (وما مني السوء) يعني

(ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مني السوء) أي لكانت حالي على خلاف ما هي عليه عن استكثار الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسنى شيء منها ولم أكن غالباً مرة ومغلوباً أخرى في الحروب وقيل الغيب الاجل والخير

يعني الضر والفقير والجوع وقال ابن جريج معناه لا املك لنفسي نقالا لاضر من الهدى والضلالة ولو كنت أعلم الغيب ير يد وقت الموت لاستكثر من الخير يعني من العمل الصالح وقيل ان أهل مكة لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة أنزل الله تعالى الآية الاولى وهذه الآية ومعناه انا لا ادعى علم الغيب حتى أخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك لما طابوه بالاخبار عن الغيوب فذكر أن قدرته قاصرة عن علم الغيب فان قلت قد أخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد جاءت أحاديث في الصحيح بذلك وهو من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثر من الخير قلت يحتمل أن يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا أعلم الغيب الا أن يطلعني الله عليه ويقدره لي ويحتمل أن يكون قال ذلك قبل أن يطلع الله عز وجل على الغيب فلما أطلع الله عز وجل أخبر به كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارضى من رسول أو يكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك أظهره الله سبحانه وتعالى على أشياء من المغيبات فاخبر عنها ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله وما مسني السوء يعني الجنون وذلك أنهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولو كنت أعلم الغيب لاستكثر من تحصيل الخير واحترزت عن الشر حتى أصير بحيث لا يمسي السوء قبيلا معناه ولو كنت أعلم الغيب لعلمتكم بوقت قيام الساعة حتى تؤمنوا وما مسني السوء يعني قولكم لو كنت نبيا لعلمت متى تقوم الساعة (ان انا الانذير) يعني ما انا الا رسول أرسلني الله اليكم أنذركم وأخوفكم عقابه ان لم تؤمنوا (وبشير) يعني وأبشر بثوابه (لقوم يؤمنون) يعني يصدقون قوله عز وجل (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) يعني وخلق منها زوجها حواء وقد تقدم كيفية خاق حواء من ضلع آدم في أول سورة النساء (ليسكن اليها) يعني ليأنس بها ويأوي (فلما تغشاها) يعني واقعا وجامعا كني به عن الجماع أحسن كناية لان الغشيان اتيان الرجل المرأة وقد غشيا وتغشاها اذا علاها وتجلها (جلت جلا خفيفا) يعني النطقة والمني لان أول ما تحمل النطقة وهي خفيفة عليها (فرت به) يعني انها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها (فلما اثقلت) أي صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحمل وودت مدة ولادتها (دعوا الله ربهما) يعني ان آدم وحواء دعوا الله ربهما (لئن آتيتنا صالحا) يعني لئن أعطيتنا بشرا سويا مثلنا (لنكونن من الشاكرين) يعني لك على انعامك علينا قال المفسرون لما أهبط آدم وحواء الى الارض أقيت الشهوة في نفس آدم فاصاب حواء فحملت من ساعته فلما ثقل الحمل وكبر الولد أنها ابليس فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما أدري قال اني أخاف أن يكون بهيمة أو كلبا أو خنزيرا أنزى في الارض الابهيمة أو نحوها قالت اني أخاف بعض ذلك قال وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك أو من فيك أو يشق بطنك فيقتلك فخافت حواء من ذلك وذكرته لآدم فلم يزل في غم من ذلك ثم عاد اليها ابليس فقال لها اني من الله بمنزلة فان دعوت الله أن يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث فذكرت ذلك حواء لآدم عليه السلام فقال لعله صاحبنا الذي قد علمت فعادها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد الحرث وقال ابن عباس كانت حواء تلد لآدم فيسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فأتاهما ابليس فقال ان سر كما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فولدت فسمياه عبد الحرث فعاش عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فسمته فعاش وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال قدروا بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك

وقد رد (ان انا الانذير وبشير) ان انا الا عبد أرسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني أن أعلم الغيب واللام في (لقوم يؤمنون) يتعلق بالانذير والبشير لان المنذرة والبشارة انما ينفعان فيهم أو بالبشير وحده والمتعلق بالانذير محذوف أي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) هي نفس آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعها (ليسكن اليها) ليطمئن ويميل لان الجنس الى الجنس أميل خصوصا اذا كان بعضا منه كما يسكن الانسان الى والده وحب عتبة لكونه بنعة من عوف كليسكن بعد ما أتت في قوله واحدة وخلق منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليسين أن المراد بها آدم (فلما تغشاها) جامعها (جلت جلا خفيفا) خف عليها ولم تلق منها ما يلقي بعض الحبالى من جهنم من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقله (فرت به) فضت به الى وقت ميلاده من غير اخذاج ولا ازالاق أو جلت جلا خفيفا يعني النطقة فرت به فقامت به وقعدت (فلما اثقلت) حان وقت ثقل حملها (دعوا الله ربهما) دعاء آدم وحواء ربهما وملك أمرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلجأ اليه فقالا (لئن آتيتنا صالحا) لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه أو ولدا ذكرا لان الذكور من الصلاح (لنكونن من الشاكرين) لك والضمير في

من وحي الشيطان يعني من وسوسته وحديثه كما جاء انه خدعهما مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض قال ابن عباس لما ولد له أول ولد آتاه ابليس فقال اني سأنصح لك في شأن ولدك هذا تسميه عبد الحرث وكان اسمه في السماء الحرث فقال آدم أعوذ بالله من طاعتك اني أطعتك في أكل الشجرة فاخرجتني من الجنة فلن أطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر فقال أطعني والامات كما مات الاول فعصاه فمات ولده فقال لا أزال أقتلهم حتى تسميه عبد الحرث فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث فذلك قوله تعالى (فلما آتاها صالحا جعلاه شركاء فيما آتاها) قال ابن عباس اشركاه في طاعته في غير عبادة ولم يشركا بالله ولكن أطاعاه وقال قتادة اشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة وقال عكرمة ما أشرك آدم ولا حواء وكان لا يعيش لهما ولد فآتاها الشيطان فقال ان شركاؤن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فهو قوله تعالى جعلاه شركاء فيما آتاها قرئ شركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركه وقال أبو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرئ شركاء بضم الشين مع المد جمع شرك يعني ابليس عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعني جعلاه شركا كاذميا ولدهما عبد الحرث قال العلماء ولم يكن ذلك شركا في العبادة ولأن الحرث رب لهما لان آدم عليه الصلاة والسلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصدوا بتسميتهما الولد بعد الحرث ان الحرث كان سبب نجاته الولد وسلامته وسلامة أمه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك كما قال الشاعر

\* واني لعبد الضيف مادام ثاويا \* أخبر عن نفسه انه عبد الضيف ما أقام عنده مع بقاء الحرية عليه وانما أراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الالف واللام على غير الله كقول يوسف عليه الصلاة والسلام لعزير مصر انه ربي أحسن مثواي أراد به الترية ولم يرد به انه ربه ومعبوده فكذلك هنا وانما أخبر عن آدم عليه الصلاة والسلام بقوله سبحانه وتعالى جعلاه شركاء فيما آتاها لان حسنات الابرار سيئات المقربين ولان منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فعاتبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب ولم تنظر الى المسبب والله أعلم مراده وأسرار كتابه قال العلماء وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله فيما آتاها ﴿ ثم ابتدأ في الخبر عن الكفار بقوله تعالى (فتعالى الله عما يشركون) نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من أهل مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو أراد آدم وحواء لقال سبحانه وتعالى فتعالى الله عما يشركون على التثنية لا على الجمع وقال بعض أهل المعاني ولو أراد به ما سبق في معنى الآية فستقيم أيضا من حيث انه كان الاولي بهما ان لا يفعل ما أتياه من الاشراك في التسمية فكان الاولي أن يسمياه عبد الله لا عبد الحرث وفي معنى الآية قول آخر وهو أنه راجع الى جميع المشركين من ذرية آدم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل اولادهما شركاء فحذف ذكر الاولاد واقامهما مقامهم كما أضاف فعل الآباء الى الابناء بقوله ثم اتخذتم العجل واذقتهم نفسا فغير به عن اليهود الذين كانوا موجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل آباؤهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة أي خلق كل واحد من آبيه وجعل منها زوجها أي وجعل من جنسها زوجها آدمية مثله وهذا قول حسن الا أن القول الاول أصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولادافهم وودهم ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سموا اولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (أي شركون) قرئ بالتاء على خطاب الكفار وقرئ بالياء على الغيبة (ملا يخلق شيئا) يعني ابليس والاصنام (وهم مخلوقون) أي وهم مخلوقون فان قلت كيف وحدهم يخلق ثم جمع فقال وهم مخلوقون قلت ان لفظة ماتع على الواحد والاثنين والجمع فهي من صيغ الواحدان بحسب ظاهر اللفظ ومحملة للجمع بحسب المعنى فوحده قوله

السوى (جعلاه شركاء) أي جعل اولادهما شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك (فيما آتاها) أي آتى اولادهما دليله (فتعالى الله عما يشركون) حيث جمع الضمير و آدم وحواء بريثان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاها الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك فكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي أي هو الذي خلقكم من نفس واحدة قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قريشية ليسكن اليها فلما آتاها ما طلبا من الولد الصالح السوى جعلاه شركاء فيما آتاها حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في أي شركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك شركا مدني وأبو بكر أي ذوى شرك وهم الشركاء (أي شركون) ملا يخلق شيئا) يعني الادنام (وهم مخلوقون)



أى أيشركون ما لا يخلق شيئاً

وهم مخلوقوا لله فليعبدوا خالقهم أول العابدين والمعبودين وجعهم كولى العلم تغليباً للعابدين (ولا يستطيعون لهم) لعبدتهم (نصراً ولا أنفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث كالكسر وغيره بل عبدهم هم الذين يدفعون عنهم (وان تدعوهم) وان تدعوا هذه الاصنام (الى الهدى) الى ما هو هدى وارشاد والى أن يهدوكم أى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى (لا يتبعوكم) الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله لا يتبعوكم نافع (سواء عليكم أدعوتموهم أم أتم صامتون) عن دعائهم فى أنه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم والعدول عن الجملة الفعلية الى الاسمية لرؤس الآى (ان الذين تدعون من دون الله) أى تعبدهم وتسمونهم آلهة (عباد أمثالكم) أى مخلوقون مما لوكون أمثالكم (فادعوهم) لطلب نفع أو دفع ضرر (فليستجيبوا لكم) فليجيبوا (ان كنتم صادقين) فى انهم آلهة ثم أبطل أن يكونوا عبادة

ما لا يخلق رعاية لحكم ظاهر اللفظ وجع قوله وهم مخلوقون رعاية لجانب المعنى فان قلت كيف جمع بالواو وبالنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس قلت لما اعتقد عابداً والاصنام أنها تعقل وتميز وورد هذا الجمع بناء على ما يعتقدونه ويتصورونه وقوله تعالى (ولا يستطيعون لهم نصراً) يعنى أن الاصنام لا تقدر على نصر من أطاعها وعبدها ولا تضر من عصاها والنصر المعونة على الاعداء والمعنى أن المعبود الذى تجب عبادته يكون قادراً على اىصال النفع ودفع الضرر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل أن يعبدها ثم قال تعالى (ولا أنفسهم ينصرون) يعنى ولا يتقدمون على أن يدفعوا عن أنفسهم مكرهاً فان من أراد كرهاً قدر عليه وهى لا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المؤمنين فقال سبحانه وتعالى (وان تدعوهم الى الهدى) يعنى وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين الى الهدى (لا يتبعوكم) لان الله سبحانه وتعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلون الهداية (سواء عليكم أدعوتموهم) الى الدين والهداية (أم أتم صامتون) أى ساكتون عن دعائهم فهم فى كلال الحالين لا يؤمنون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما بين فى الآية المتقدمة عجز الاصنام بين فى هذه أنه لا علم لها بشئ البتة والمعنى أن هذه الاصنام التى يعبدها المشركون معلوم من حالها انها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها الى خير وهدى ثم قوى هذا المعنى بقوله سبحانه وتعالى (سواء عليكم أدعوتموهم أم أتم صامتون) وذلك أن المشركين كانوا اذا وقعوا فى شدة وبلاء تضرعوا لاصنامهم فاذا لم تكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقبل لهم لافرق بين دعائكم للاصنام أو سكوتكم عنها فانها عاجزة فى كل حال وقوله سبحانه وتعالى (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) يعنى ان الاصنام التى يعبدونها المشركون انما هى مملوكة لله أمثالهم وقيل انها مسخرة منذلة مثل ما أتم مسخرون منذلون قال مقاتل فى قوله سبحانه وتعالى عباد أمثالكم انها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الاول أصح وفيه سؤال وهو أنه وصفها بانها عباد مع أنها جاد والجواب أن المشركين لما ادعوا أن الاصنام تضر وتنفع وجب أن يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدتهم بتكيتها لهم وتوخيها ولذلك قال عز وجل (فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) فى كونها آلهة وجواب آخر وهو أن هذا اللفظ انما ورد فى معرض الاستهزاء بالمشركين والمعنى أن قصارى هذه الاصنام التى تعبدها حياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد الله أمثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم عبدتموهم وجعلتموهم آلهة وجعلتم انفسكم لهم عبيداً ثم وصفهم بالعجز فقال تعالى (ألم أرى انهم يمشون بها أم لهم أيدي يطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها) يعنى ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربع فانه آلات يستعين بها الانسان فى جميع أموره والاصنام ليس لها من هذه الاعضاء والجوارح شئ فهم مفضالون عليها بهذه الاعضاء لان الرجل المشية أفضل من الرجل العاجزة عن المشى وكذلك اليد الباطشة أفضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة أفضل من العين العاجزة عن الادراك والاذن السامعة أفضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان أن الانسان أفضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها البتة لانها حجارة وجاد لا تضر ولا تنفع واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل أن يشتغل بعبادة الاخص الادون الارذل الذى لا فضل له البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحجية كون الاصنام آلهة ثم قال تعالى (قل ادعوا شركاءكم) أى قل يا محمد طهوا المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التى تعبدها حتى يتبين عجزها (ثم كيدون) يعنى أتم وشركاؤكم وهذا متصل بما قبله فى استكمال الحجية عليهم لانهم لما قرعوا بعبادة من لا يملك ضرراً ولا نفعاً قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان معبودى يملك الضر والنفع فلو

اجتهدتم في كيدي لم تصلوا إلى ضري لان الله يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه بالهتيم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون (فلاتنظرون) أي لاتمهلون واعجلوا في كيدي أتم وشركاؤكم (ان ولي الله) يعني ان الذي يتولى حفظي وينصرني عليكم هو الله (الذي نزل الكتاب) يعني القرآن والمعنى كما أيدني بانزال القرآن علي كذلك يتولى حفظي وينصرني (وهو يتولى الصالحين) يعني يتولاهم بنصره وحفظه فلا تضرمهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن أرادهم بسوء أو كادهم بشر قال ابن عباس ير يد بالصالحين الذين لا يعبدون بالله شيأ ولا يعصونه وفي هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله يحفظه فلا يضره شيء قوله عز وجل (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) هذه الآية قد تقدم تفسيرها والفائدة في تكريرها أن الآية الأولى مذكورة على جهة التقرير والتوبيخ وهذه الآية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وهو الله الذي يتولى الصالحين بنصره وحفظه وبين هذه الاصنام وهي ليست كذلك فلان تكون معبودة وقوله سبحانه وتعالى (وان تدعوهم إلى الهدى لا يسمعون ولا يسمعون من دعوتهم ينصرون) قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين إلى الهدى لا يسمعون ولا يسمعون من دعوتهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون يعني يبصرون قلوبهم وذهب أكثر المفسرين إلى أن هذه الآية أيضا وردة في صفات الاصنام لانها جاد لا تضرم ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر قوله تعالى (خذ العفو) العفو هنا الفضل وما جاء بلا كلفة والمعنى اقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستعصوا عليك فتتولد منه العداوة والبغضاء وقال مجاهد يعني خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الأشياء والعفو التساهل في كل شيء (خ) عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت خذ العفو وأمر بالعرف إلا في أخلاق الناس وفي رواية قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس وكذا في جامع الأصول وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس أو كما قال وقال ابن عباس يعني خذ ما عفاك من أموالهم فأتوك به من شيء نخذه وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرأض الصدقات وتفضيلها وما انتهت إليه وقال السدي خذ العفو أي الفضل من المال نسختها آية الزكاة وقال الضحاك خذ ما عفا من أموالهم وهذا قبل أن تفرض الصدقة المفروضة (وأمر بالعرف) يعني وأمر بكل ما أمرك الله به وهو كل ما عرفته بالوحي من الله عز وجل وكل ما يعرفه الشارع وقال عطاء وأمر بقول لا إله إلا الله (وأعرض عن الجاهلين) أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصفح عن الجاهلين وهذا قبل أن يؤمر بقتال الكفار فلما أمر بقتالهم صار الأمر بالأعراض عنهم منسوخا بآية القتال قال بعضهم أول هذه الآية وآخرها منسوخ ووسطها محكم يريد بنسخ أولها أخذ الفضل من الأموال فنسخ بفرض الزكاة والأمر بالمعروف محكم والأعراض عن الجاهلين منسوخ بآية القتال روي انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا قال لأدرى حتى أسأل ثم رجعت فقال ان ربك يا أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوي بعيرسند وقال جعفر الصادق أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه عن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أخرجه الترمذي وروي البغوي بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لتمائم مكارم الأخلاق وتمام محاسن الأفعال قوله عز وجل (واما ينزغنيك من الشيطان نزغ) قال ابن زيد لما نزل قوله سبحانه وتعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبي صلى

آلهتهم فامر أن يخاطبهم بذلك وبالبياء يعقوب (ان ولي) ناصرى عليكم (الله الذي نزل الكتاب) أوحى إلى وأعزني برسالته (وهو يتولى الصالحين) ومن سنته أن ينصر الصالحين من عباده ولا يخذلهم (والذين تدعون من دونه) من دون الله (لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) وان تدعوهم إلى الهدى لا يسمعون ولا يسمعون اليك) يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه (وهم لا يبصرون) المرئي (خذ العفو) هو ضد الجهد أي ما عفاك من أخلاق الناس وأفعالهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا (وأمر بالعرف) بالمعروف والجبريل من الأفعال أو هو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع (وعرض عن الجاهلين) ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم وفسرها جبريل عليه السلام بقوله صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك وعن الصادق أمر الله نبيه عليه

الله عليه وسلم فكيف بالغضب يارب فانزل الله عز وجل واما ينزغك من الشيطان نزع فاستعذ بالله انه  
سميع عليم ونزع الشيطان عبارة عن وساوسه ونحسه في القلب وقيل النزع الانزعاج وأكثرا يكون عند  
الغضب وأصله الانزعاج بالحركة الى الشر والافساد يقال نزعت بين القوم اذا أفسدت بينهم وقال الزجاج  
النزع أدنى حركة تكون ومن الشيطان أدنى وسوسة والمعنى واما يصيبك يا محمد ويعرض لك من الشيطان  
وسوسة أو نخسة (فاستعذ بالله) يعنى فاستعذ بالله والجا إليه في دفعه عنك (انه سميع) يعنى لدعائك (عليم)  
بحالك وقيل ان الشيطان يجد مجالا في حل الانسان على ما لا ينبغي في حالة الغضب والغضب فامر الله بالتجاء  
اليه والتعوذ به في تلك الحالة فهي تجرى مجرى العلاج لذلك المرض

**فصل واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء بهذه الآية** فقالوا لو كان النبي معصوما لم يكن للشيطان  
عليه سبيل حتى ينزع في قلبه ويحتاج الى الاستعاذة والجواب عنه من وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل  
في قلبك نزع من الشيطان فاستعذ بالله وانه لم يحصل ذلك له ألبتة فهو كقوله ائن أشركت وهو برى من  
الشرك البتة والوجه الثاني على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل عصم نبيه صلى  
الله عليه وسلم عن قبولها وثبوتها في قلبه (م) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم  
من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياى الا أن الله  
أعانتى عليه فأسلم فلا يامرني الا بخير قال الشيخ محي الدين النووي ويروى فأسلم بفتح الميم وضمها فن رفع قال  
معناه فأسلم أنا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان القرين أسلم من الاسلام يعنى صار مؤمنا لا يامرني الا بخير  
قال الخطابي الصحيح المختار الرفع ورجح القاضي عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار لقوله فلا يامرني  
الابخير قال القاضي عياض واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه  
وخاطره ولسانه وفي هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوائه أعلمنا انه معنا المختار  
عنه بحسب الامكان والله أعلم الوجه الثالث يحتمل أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره  
ومعناه واما ينزغك أيها الانسان من الشيطان نزع فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله  
قوله سبحانه وتعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف) وقرئ طيف (من الشيطان) وهما الغتان ومعناه  
الشيء يلم بالانسان وقيل بينهما فرق فالطائف ما يطوف حول الانسان والطيف الوسوسة وقيل الطائف  
ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللهم والمس وقال الازهرى الطيف في كلام العرب الجنون وقيل  
للغضب طيف لان الغضبان يشبه الجنون وقيل سمي الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه لمة من الشيطان  
تشبه لمة الخبال فذكر في الآية الاولى النزع وهو أخف من الطيف المذكور في هذه الآية لان حالة الشيطان  
مع الانبياء أضعف من حاله مع غيرهم (نذكروا) يعنى عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيد  
قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فينذكروا الله فيكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب فينذكرو  
الله فيقوم ويدعه (فاذا هم مبصرون) يعنى انهم يبصرون مواقع الخطأ بالتذكرو والتفكر وقال السدى  
اذا زلوا تابوا وقال مقاتل هو الرجل اذا أصابه نزع من الشيطان تذكروا وعرف انه معصية فابصرو نزع عن  
مخالفة الله عز وجل (واخوانهم) يعنى واخوان الشياطين من المشركين (يمدونهم) أى يمددهم الشياطين  
(في النفي) قال الكلبى الكل كافر أخ من الشياطين يمدونهم أى يطيلون لهم في الاغواء حتى يستمروا عليه  
وقيل يزيدونهم في الضلالة (ثم لا يقصرون) يعنى لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال  
المؤمنين المتقين لان المؤمن اذا أصابه طيف من الشيطان تذكروا وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر  
والكافر مستقر في ضلالته لا يتذكر ولا يرجع وقال ابن عباس الانس لا يقصرون عما يعملون من السيئات  
ولا الشياطين يسكون عنه فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون عن فعل الانس والشياطين جميعا

كانه ينحس الناس حين  
يعرهم على المعاصى وجعل  
النزع نازغا كما قيل جدجده  
أو أريد بنزع الشيطان  
اعتراء الغضب كقول أبي  
بكر رضى الله عنه أن لى  
شيطانا يعتريني (انه سميع)  
لنزع (عليم) بدفعه (ان  
الذين اتقوا اذا مسهم  
طائف من الشيطان)  
طيف مكى وبصرى وعلى  
أى لمة منه مصدر من قولهم  
طاف به الخيال يطيف  
طيفا وعن أبى عمر وهما  
واحد وهى الوسوسة وهذا  
تا كيد لما تقدم من  
وجوب الاستعاذة بالله  
عند نزع الشيطان وان  
عادة المتقين اذا أصابهم  
أدنى نزع من الشيطان  
والملم بوسوسته (تذكروا)  
مأمر الله به ونهى عنه  
(فاذا هم مبصرون)  
فابصروا السداد ودفعوا  
وسوسته وحقيقته أن  
يفروا منه الى الله فيزدادوا  
بصيرة من الله بالله  
(واخوانهم) وأما اخوان  
الشياطين من شياطين  
الانس فان الشياطين  
(يمدونهم في النفي) أى  
يكونون مدد لهم فيه  
ويعضدونهم ويمدونهم  
من الامداد مدنى (ثم  
لا يقصرون) ثم لا يسكون  
عن اغوائهم حتى يبصروا

ولا يرجعوا وحازان يراد بالاخوان الشياطين وهم جمع الضمة المتماثلة الى الجاهل والاول اوجه لان اخه انهم في مقابلة الذم اتقوا

قوله عز وجل (واذالم تأتهم بآية) يعني واذا الم تأت المشركين يا محمد بآية ومجزة باهزة (قالوا) يعني قال المشركون (لولا اجتبيتها) يعني افتعلتها وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجتبيت الكلام اذا اختلقته وافتعلته وقال الكلبى كان أهل مكة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الآيات تعنتا فإذا تأخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها يعني هلا أحدثتها وأنشأتها من عندك (قل) أى قل يا محمد طو لاء المشركين الذين سألوا الآيات (انما أتبع ما يوحى الى من ربي) يعني القرآن الذى أنزل على وليس لى أن أقترح الآيات والمجرات (هذا بصائر من ربكم) يعني هذا القرآن حجة وبرهان وأصل البصائر من الابصار وهو ظهور الشئ حتى يبصره الانسان ولما كان القرآن سببا لبصائر العقول فى دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه اسم البصائر فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب (وهدى) يعني وهو هدى (ورحة) يعني وهو رحمة من الله (لقوم يؤمنون) وهى لطيفة وهى الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون فى درجات العلوم ففهم من بلغ الغاية فى علم التوحيد حتى صار كالمشاهد وهم أصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة الاستدلال والنظر وهم أصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المؤمنين وهم أصحاب حق اليقين فالقرآن فى حق الاولين وهم السابقون بصائر وفى حق القسم الثانى وهم المستدلون هدى وفى حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين رحمة **قوله تعالى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عظم شأن القرآن بقوله هذا بصائر من ربكم وهو هدى ورحمة لقوم يؤمنون أتبعه بما يجب من تعظيم شأنه عند قراءته فقال سبحانه وتعالى واذا قرئ عليكم أيها المؤمنون القرآن فاستمعوا له يعنى أصغوا اليه باسما عمك لتفهموا معانيه وتتدبروا مواضعه وأنصتوا يعنى عند قراءته والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وأنصت وانتصت بمعنى واحد واختلف العلماء فى الحال التى أمر الله عز وجل بالاستماع لقارى القرآن والانصات له اذا قرأ لان قوله فاستمعوا له وأنصتوا أمر وظاهر الامر للوجوب فقطضاه أن يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلماء فى ذلك أقوال القول الاول وهو قول الحسن وأهل الظاهر أن تجرى هذه الآيات على العموم فى أى وقت وأى موضع قرئ القرآن يجب على كل أحد الاستماع له والسكوت والقول الثانى انها نزلت فى تحريم الكلام فى الصلاة روى عن أبى هريرة أنهم كانوا يتكلمون فى الصلاة بحوائجهم فأمرو بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن وقال عبد الله كنى اسم بعضنا على بعض فى الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان قال جاء القرآن واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا القول الثالث انها نزلت فى ترك الجهر بالقراءة خلف الامام روى عن أبى هريرة قال نزلت هذه الآية فى رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرؤن مع الامام فلما انصرف قال أما ان لكم أن تفقهوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله وقال الكلبى كانوا يرفعون أصواتهم فى الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت فى السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبيرة ومجاهد وعطاء قال مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصمت فى اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الآية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة واتفقوا على أنه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك أنصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت أخرجاه فى الصحيحين واختلف العلماء فى القراءة خلف الامام فذهب جماعة الى ايجابها سواء جهر الامام بالقراءة أو أسر روى ذلك عن عمرو وعثمان وعلى وابن مسعود ومعاذ وهو قول الاوزاعى واليه ذهب الشافعى وذهب قوم الى أنه يقرأ فيها أسر الامام فيه القراءة ولا يقرأ فيها جهر الامام فيه يروى ذلك عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد ورواه الزهرى ومالك وابن المبارك وأحمد واسحق وذهب قوم الى انه**

وانما جمع الضمير فى اخوانهم والشئ طان مفرد لان المراد به الجنس (واذا لم تأتهم بآية) مقترحة (قالوا لولا اجتبيتها) هلا اخترعتها أى اختلقتها كما اختاقت ما قبلها (قل أما أتبع ما يوحى الى من ربي) ولست بمقترح لها (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) به (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا

لا يقرأ سواء أقرأه الإمام أو جهر يروي ذلك عن جابر واليه ذهب أصحاب الرأي حجة من لا يرى القراءة خلف الإمام ظاهر هذه الآية وحجة من قال يقرأ في السرية دون الجهرية قال إن الآية تدل على الأمر بالاستماع لقراءة القرآن ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الإمام فحملنا مدلول الآية على صلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على صلاة السرية فجاء بين دلائل الكتاب والسنة وحجة من أوجب القراءة خلف الإمام في صلاة السرية والجهرية قال الآية واردة في غير الفاتحة لأن دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا وإذا قرأ الفاتحة خلف الإمام تتبع سكتاته ولا ينازع في القراءة ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل عليه ما روى عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال أراكم تقرؤون وراء أمامكم قال قلنا يا رسول الله أي والله قال لا تفعلوا إلا بام القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها أخرجه الترمذي بطوله وأحراه في الصحيحين أقصر منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلاثا غير تمام فليل لابي هريرة أنا نكون وراء الإمام قال أقرأ بها في نفسك وذا كرا الحديث و وقوله سبحانه وتعالى (لعلكم ترحمون) يعني لكي يرحمكم بكم باتباعكم ما أمركم به من أوامره ونواهيه و قوله عز وجل (واذ كر ربك في نفسك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لأنه عام لسائر المكلفين قال ابن عباس يعني بالذكر القرآن في الصلاة يقرأ أسرا في نفسك والفائدة فيه إن ارتفاع الإنسان بالذكر إنما يكمل إذا وقع الذكر بهذه الصفة لأن ذكر النفس أقرب إلى الإخلاص والبعث عن الرياء وقيل المراد بالذكر في النفس أن يستحضر في قلبه عظمة المذكور وجل جلاله وإذا كان الذكر باللسان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لأن فائدة الذكر حضور القلب واستشعاره عظمة المذكور عز وجل (تضرعا) يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة إذا خضع وذل واستكان لغيره (وخيفة ودون الجهر من القول) يعني وخوفا والمعنى تضرع إلى وخف عذابي وقال مجاهد وابن جريج أمر أن يذكره في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت في الدعاء وههنا لطيفة وهي أن قوله سبحانه وتعالى واذا كر ربك في نفسك فيه اشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء لأن لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة والفضل والاحسان فإذا تذكر العبد انعام الله عليه واحسانه إليه فعند ذلك يقوى مقام الرجاء ثم اتبعه بقوله تضرعا وخيفة وهذا مقام الخوف فإذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء قوى إيمانه والمستحب أن يكون الخوف أغلب على العبد في حال صحته وقوته فإذا قارب الموت ودنا آخر أجله فيستحب أن يغلب رجاءه على خوفه عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وإني أخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو منه وأمنه مما يخاف أخرجه الترمذي و وقوله سبحانه وتعالى (بالغدو) جمع غدوة (والأصال) جمع أصل وهي ما بين صلاة العصر إلى المغرب والمعنى إذا كرر بك بالبكر والعشيات وإنما خص هذين الوقتين بالذكر لأن الإنسان يقوم بالغدوة من النوم الذي هو أخو الموت فاستحب له أن يستقبل حالة الانقباض من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون أول أعماله ذكر الله عز وجل وأما وقت الأصال وهو آخر النهار فإن الإنسان يريد أن يستقبل النوم الذي هو أخو الموت فيستحب له أن يستقبله بالذكر لأنها حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النوم فيكون موته على ذكر الله عز وجل وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى (ولا تكن من الغافلين) يعني عما يقرأ بك إلى الله عز وجل وقيل إن أعمال العبد تصعد أول النهار وآخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر إلى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين ويلهون عنه

لعلكم ترحمون) ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجهور الصحابة رضي الله عنهم على أنه في استماع المؤتم وقيل في استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الأصح (واذ كر ربك في نفسك) هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا (ودون الجهر من القول) ومتكلما كلاما دون الجهر لأن لا خفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكير (بالغدو والأصال) لفضل هذين الوقتين وقيل المراد ادامه الذكر باستقامة الفكر ومعنى بالغدو وأوقات الغدو وهي الغدوات والأصال جمع أصل والأصل جمع أصيل وهو العشي (ولا تكن من الغافلين) من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه

ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر  
مكروهة استحب للعبد ان يذكر الله في هذين الوقتين ليكون في جميع أوقاته مشتغلا بما يقرب به الى الله  
عز وجل من صلاة أو ذكر ﴿ قوله عز وجل (ان الذين عند ربك) يعني الملائكة المقرين لما أمر الله  
عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالذكر في حالة التضرع والخوف أخبر ان الملائكة الذين عنده  
مع علوم ربهم وشرفهم وعصمتهم (لا يستكبرون عن عبادته) وطاعته لانهم عبيده خاضعون لعظمته  
وكبريائه عز وجل (ويسبحونه) يعني وينزهونه عن جميع النقائص ويقولون سبحان ربنا (وله يسجدون)  
لغيره فان قلت التسبيح والسجود داخلان في قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته لانهما من جملة العبادات  
فكيف أفردهما بالذكر قلت أخبر الله عز وجل عن حال الملائكة انهم خاضعون لعظمته لا يستكبرون عن  
عبادته ثم أخبر عن صفة عبادتهم انهم يسبحونه وله يسجدون ولما كانت الاعمال تنقسم الى قسمين أعمال  
القلوب وأعمال الجوارح وأعمال القلوب هي تنزيه الله عن كل سوء وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله  
ويسبحونه وعبر عن أعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيستحب  
للقارئ والمستمع ان يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقرين في عباداتهم (ق) عن عبد  
الله بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى  
ما يجد بعضا موضع المكان جبهته في غير وقت صلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة  
وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار (م) عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك  
بها خطيئة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

### ﴿ تفسير سورة الانفال ﴾

مدنية كلها الا سبع آيات منها نزلت بمكة وهي من قوله سبحانه وتعالى واذا بكم ربك الذين كفروا الى آخر سبع  
آيات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهي خمس وسبعون آية وألف وخمس وسبعون  
كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفا

### ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله سبحانه وتعالى (يسئلونك عن الانفال) (ق) عن سعيد بن جبيرة قال سألت ابن عباس عن سورة  
الانفال قال نزلت في بدر واختلف أهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا من أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ومن قتل  
قتيلا فله كذا ففسر ع الشباب وبقية الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ما جعل لهم  
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبوا به دوننا ولا تستأثروا به علينا فانا كنا ردكم ولو  
انكشفتكم انكشفتكم الينا فتنازعوا فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال الآية قال أهل التفسير قام أبو  
اليسر بن عمرو الانصاري أخو بني سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلا فله كذا وكذا واننا قد  
قتلنا سبعين وأسرا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الآخرة  
ولاجبن عن العدو لكن كرهنا ان تعري مصافك فتعطف عليك خيل من المشركين فيصيبونك فاعرض  
عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط هؤلاء  
الذين ذكرت لا يبقى لاصحابك كبير شيء فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الانفال وقال محمد بن اسحق أمر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع فاختلف المساهمون فيه فقال من جمعه هو لنا وكان رسول الله

(ان الذين عند ربك)  
مكانة ومنزلة لامكانا ومنزلا  
يعني الملائكة (لا يستكبرون  
عن عبادته) لا يتعظمون  
عنها (ويسبحونه)  
وينزهونه عما لا يليق به  
(وله يسجدون) ويختصونه  
بالعبادة لا يشركون به  
غيره والله أعلم  
﴿ سورة الانفال مدنية  
وهي خمس وأست أوسبع  
وسبعون آية ﴾  
(بسم الله الرحمن الرحيم)  
(يسئلونك عن الانفال)

في غنائم بدر وفي قسمتها  
فسألوا رسول الله كيف  
تقسم ولن الحكم في قسمتها  
للمهاجرين أم للانصار أم  
لهم جميعا فقبل له قل لهم هي  
لرسول الله وهو الحاكم  
فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء  
ليس لاحد غيره فيها حكم  
ومعنى الجمع بين ذكر الله  
والرسول أن حكمها مختص  
بالله ورسوله بأمر الله  
بقسمتها على ما تقتضيه  
حكيمته ويمثل الرسول أمر  
الله فيها وليس الامر في  
قسمتها مفوضا الى رأى  
أحد (فاتقوا الله) في  
الاختلاف والتخاصم  
وكونوا متآخين في الله  
(وأصلحوا ذات بينكم)  
أحوال بينكم يعنى ما بينكم  
من الاحوال حتى تكون  
أحوال ألفة ومحبة واتفاق  
وقال الزجاج معنى ذات  
بينكم حقيقة وصلكم  
والبين الوصل أى فاتقوا  
الله وكونوا مجتمعين على  
ما أمر الله ورسوله به قال  
عبادة بن الصامت رضى الله  
عنه نزلت فينا يوم عشر  
أصحاب بدر حين اختلفنا  
في النفل وساعت فيه  
أخلاقنا فنزعه الله من  
أيدينا فجعله لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم فقسمه  
بين المسلمين على السواء  
(وأطيعوا الله ورسوله)  
فيما أمرتم به في الغنائم

صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما أصاب وقال الذين  
يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نقاتل العدو  
ولكننا اخفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
غرة العدو فقمنا دونها فأتتم باحق منافزات هذه الآية وروى  
مكحول عن أبي امامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت  
عن الانفال فقال فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا  
في النفل وساعت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا وجعله  
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بيننا عن بواء يقول على سواء وكان فيه تقوى  
الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات  
البين وعن سعد بن أبي وقاص قال لما كان يوم بدر جئت  
بسيوف فقلت يا رسول الله ان الله قد شفي صدري من المشركين  
أونحو هذا هب لي هذا السيف فقال هذا ليس لي ولا لك فقلت  
عسى أن يعطى هذا من لا يبلى بلائى فجاءني الرسول فقال  
انك سألتني وليس لي وانه قد صار لي وهولك فنزلت يسئلونك  
عن الانفال الآية أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث  
حسن صحيح وأخرجه مسلم في جملة حديث طويل يتضمن فضائل  
سعد ولفظ مسلم فيه قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
غنيمة عظيمة واذا فيها سيف فاخذته فأتيت به رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فقلت نفلني هذا السيف فانما من قد علمت  
حاله فقال رده من حيث أخذته فانطلقت به حتى أردت أن  
ألقيه في القبض لامتنى نفسي فرجعت اليه فقلت أعطني قال  
فشد علي صوت رده من حيث أخذته فانزل الله عز وجل  
يسئلونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت المغنم لرسول  
الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شيء وما  
أصاب سرايا المسلمين من سبي أتوه به فمن حبس منه ابرة أو  
سلكا فهو غلول وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى يسئلونك  
عن الانفال استفتاء لا سؤال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال  
طلب وقوله عن الانفال أى من الانفال وعن معنى من وقيل  
عن صلة أى يسئلونك الانفال والانفال هي الغنائم في قول  
ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وأصله الزيادة سميت  
الغنائم أنفالا لانها زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على  
الخصوص وأكثر المفسرين على انها نزلت في غنائم بدر وقال  
عطاء هي ما شذ عن المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد  
أو امرأة أو متاع فهو للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما يشاء  
(قل الانفال لله والرسول) أى قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها  
الله ورسوله يتسمانها كيف شاء أو اختلف العلماء في حكم  
هذه الآية فقال مجاهد وعكرمة والسدى هذه الآية منسوخة  
فمنسوخها الله سبحانه وتعالى بالخمس في قوله واعلموا أن ما  
غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول الآية وقيل كانت  
الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولن  
شاء ثم نسخها الله بالخمس وقال بعضهم هذه الآية ناسخة  
من وجه منسوخة من وجه وذلك ان الغنائم كانت حراما على  
الامم الذين من قبلنا في شرائع أنبيائهم فإباحها الله لهذه  
الامة بهذه الآية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت  
بآية الخمس وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهي  
احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا القول  
قل الانفال لله والرسول يضعها حيث أمره الله وقد بين الله  
مصارفها في قوله واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسة  
والرسول الآية وصرح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في سرية فغنمنا بلا فاصاب كل واحد منا اثني عشر  
بعيرا ونقلنا بعيرا بعيرا أخرجاه في الصحيحين فعلى هذا تكون  
الآية محكمة وللإمام أن ينقل من شاء من الجيش ماشاء قبل  
التخميم (فاتقوا الله) يعنى اتقوا الله بطاعته واتقوا مخالفته  
واتركوا المنازعة والمخاصمة في الغنائم (وأصلحوا ذات بينكم)  
أى اصلحوا الحال فيما بينكم بترك المنازعة والمخالفة  
وبتسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله (وأطيعوا الله ورسوله)  
فيما يأمرانكم به وينهيانكم عنه (ان كنتم مؤمنين) يعنى ان  
كنتم مصدقين بوعد الله ووعد عباده قوله سبحانه وتعالى (انما  
المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) لما أمر الله سبحانه  
وتعالى بطاعته وطاعة رسوله في الآية المتقدمة ثم قال بعد ذلك  
ان كنتم مؤمنين

وغيرها (ان كنتم مؤمنين) كالملى الايمان (انما المؤمنون) انما الكاملون الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فرعت لذكره

مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين في هذه الآية صفات المؤمنين وأحوالهم فقال سبحانه وتعالى انما المؤمنون ولفظة انما تفيد الحصر والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون في ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه وقال أهل الحقائق الخوف على قسمين خوف عقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه أشد خوف وأما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله فان قلت انه سبحانه وتعالى قال في هذه الآية وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال في آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت لامنافة بين هاتين الحالتين لان الوجل هو خوف العقاب والاطمئنان انما يكون من تلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة واتموحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمعنا في آية واحدة وهي قوله سبحانه وتعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى تقشعر جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر الله ورجاء ثوابه وهذا حاصل في قلب المؤمنين ﴿ثم قال تعالى (واذا نلت عليهم آياته زادتهم ايمانا) يعني واذا قرئت عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقه قاله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شيء من عند الله آمنوا به فيزدادون بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول وهو الذي عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحدى ان كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان ايمانه أزيد لان عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله أقوى فيزداد ايمانه الوجه الثاني هو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك الاقرار بتصديقا وايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا في شئين كان أكبر ممن يصدق في شيء واحد فقوله تعالى واذا نلت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة أتوا باقرار جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة في ايمانهم واختلف الناس في ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقص أم لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع أهل اللغة على أن الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع أمور ثلاثة وهي التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك بهذه الآية من وجهين أحدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح في أن الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثاني انه ذكر في هذه الآية أوصاف متعددة من أحوال المؤمنين ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك أولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على أن تلك الأوصاف داخلة في مسمى الايمان وروى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها امانة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان أخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على أن الايمان فيه أعلى وأدنى واذا كان كذلك كان قابلا لزيادة والنقص قال عمر بن حبيب وكان له صحبة ان للايمان زيادة ونقصا قيل له فزادته قال اذا ذكرنا الله وجدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن عدي ان للايمان فرائض وشرائط وشرايع وحدودا وسفنا فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (وعلى ربهم يتوكلون) معناه يفوضون جميع أمورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم أن المؤمن اذا كان واثقا بوعده الله ووعبه كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهي درجة عالية ومرتبته شريفة لان الانسان

استعظامه وتهيبا من  
جلاله وعزه وسلطانه  
(واذا نلت عليهم آياته)  
أي القرآن (زادتهم ايمانا)  
ازدادوا بها يقينا وطمأنينة  
لان تظاهر الأدلة أقوى  
للمدلول عليه وأثبت  
لقدمه أو زادتهم ايمانا بتلك  
الآيات لانهم لم يؤمنوا  
باحكامها قبل (وعلى ربهم  
يتوكلون) يعتمدون ولا  
يفوضون أمورهم الى غير  
ربهم لا يخشون ولا يرجون  
الآيات



(الذين يقيمون الصلاة وعمارزقناهم ينفقون) جمع بين أعمال القلوب من الوجع والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (أولئك هم المؤمنون حقا) هو صفة لمصدر محذوف أي أولئك هم المؤمنون (١٧٧) إيماناً حقا وهو مصدر مؤكد

للجملة التي هي أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وعن الحسن رحمه الله إن رجلا سأله أمؤمن أنت قال إن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فإنا مؤمن وإن كنت تسألني عن قوله إن المؤمنون الآية فلا أدري أنا منهم أم لا وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقا لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وهذا ينشبت من يقول أنا مؤمن إن شاء الله وكان أبو حنيفة لا يقول ذلك وقال لقتادة لم تستثن في إيمانك قال أتباع إبراهيم في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى قال بعد قوله لي طمئن قلبي فطلب مزيد الطمأنينة \* الوجه الثالث إن الله سبحانه وتعالى ذكر في أول الآية أعمال المؤمنين ولفظة إيمان تفيد الحصر يعني أعمال المؤمنين الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك أوصاف خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والإيمان بالصلاة كما أمر الله سبحانه وتعالى وإيتاء الزكاة كذلك ثم بعد ذلك قال أولئك هم المؤمنون حقا يعني أن من أتى بجميع هذه الأوصاف كان مؤمنا حقا ولا يمكن لاحد أن يتطوع بحصول هذه الصفات له فكان الأولى له أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله وقال ابن نجيب سأل رجل الحسن فقال أمؤمن أنت فقال الحسن إن كنت سألتني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فإنا مؤمن وإن كنت سألتني عن قوله إن المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فلا أدري أنا منهم أم لا وقال علقمة كنا في سفر فلقينا قوم فقالنا من القوم فقالوا نحن المؤمنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى

يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شيء من أموره إلا على الله عز وجل واعلم أن هذه المراتب الثلاث أعني الوجع عند ذكر الله وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن والتوكل على الله من أعمال القلوب ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الصفات الثلاث أتبعها بصفتين من أعمال الجوارح فقال سبحانه وتعالى (الذين يقيمون الصلاة وعمارزقناهم ينفقون) يعني يقيمون الصلاة المفروضة بمحدودها وأركانها في أوقاتها وينفقون أموالهم فيما أمرهم الله به من الانفاق فيه ويدخل فيه النفقة في الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق في أنواع البر والقربات ثم قال تعالى (أولئك) يعني من هذه صفتهم (هم المؤمنون حقا) يعني يقينا لا شك في إيمانهم قال ابن عباس برؤا من الكفر وقال قتادة استحقوا الإيمان وأحقه الله لهم وفيه دليل على أنه لا يجوز أن يصف أحد نفسه بكونه مؤمنا حقا إلا أن الله سبحانه وتعالى إنما وصف بذلك أقواما مخصوصين على أوصاف مخصوصة وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه وهذا يتعلق بمسئلة أصولية وهي أن العلماء اتفقوا على أنه يجوز للرجل أن يقول أنا مؤمن واختلفوا في أنه يجوز له أن يقول أنا مؤمن حقا أم لا فقال أصحاب الإمام أبي حنيفة الأولى أن يقول أنا مؤمن حقا ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجهين \* الأول أن المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك إن شاء الله وكذا القول في القائم والقاعد كذلك هذه المسئلة يجب فيها أن يكون المؤمن مؤمنا حقا ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله \* الوجه الثاني أنه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا وفي قوله أنا مؤمن إن شاء الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال أصحاب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه الأولى أن يقول الرجل أنا مؤمن إن شاء الله واحتجوا بصحة هذا القول بوجوه \* الأول أن الإيمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والإقرار والعمل وكون الإنسان آتيا بالأعمال الصالحة المقبولة أمر مشكوك فيه والشك في أحد أجزاء الماهية يوجب الشك في الماهية فيجب أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله وإن كان اعتقاده وإقراره صحيحا وعند أصحاب أبي حنيفة أن الإيمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل من مسمى الإيمان فلم يلزم حصول الشك \* الوجه الثاني أن قولا أنا مؤمن إن شاء الله ليس هو على سبيل الشك ولكن إذا قال الرجل أنا مؤمن فقد مدح نفسه بأعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال إن شاء الله زال عنه ذلك العجب وحصل له الانكسار وروى أن أبا حنيفة قال لقتادة لم استثنيت في إيمانك فقال قتادة أتباع إبراهيم عليه السلام في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال أبو حنيفة هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى فانقطع قتادة قال بعضهم كان لقتادة أن يقول إن إبراهيم قال بعد قوله لي طمئن قلبي فطلب مزيد الطمأنينة \* الوجه الثالث إن الله سبحانه وتعالى ذكر في أول الآية أعمال المؤمنين ولفظة إيمان تفيد الحصر يعني أعمال المؤمنين الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك أوصاف خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والإيمان بالصلاة كما أمر الله سبحانه وتعالى وإيتاء الزكاة كذلك ثم بعد ذلك قال أولئك هم المؤمنون حقا يعني أن من أتى بجميع هذه الأوصاف كان مؤمنا حقا ولا يمكن لاحد أن يتطوع بحصول هذه الصفات له فكان الأولى له أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله وقال ابن نجيب سأل رجل الحسن فقال أمؤمن أنت فقال الحسن إن كنت سألتني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فإنا مؤمن وإن كنت سألتني عن قوله إن المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فلا أدري أنا منهم أم لا وقال علقمة كنا في سفر فلقينا قوم فقالنا من القوم فقالوا نحن المؤمنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى

(٢٣ - (خازن) - ثاني) الله عنهما من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا وقد احتج عبد الله على أحمد فقال إيش اسمك فقال أحمد فقال أنت قول أنا أحمد حقا أو أنا أحمد إن شاء الله فقال أنا أحمد حقا فقال حيث سماك والداك لا تستثنى وقد سماك الله في القرآن مؤمنا تستثنى

(لم درجات) مراتب بعضها فوق بعض على قدر الاعمال (عند ربهم ومغفرة) ونجاوز لسيئاتهم (ورزق كريم) صاف عن كد الاكتساب  
وخوف الحساب الكافي (كما أخرجك (١٧٨) ربك) في محل النصب على انه صفة لمصدر الفعل المقدر والتقدير قل الانفال

استقرت لله والرسول  
وثبتت مع كراهتهم ثباتا  
مثل ثبات اخراج ربك  
اياك من بيتك وهم  
كارهون (من بيتك)  
يريد بيته بالمدينة أو المدينة  
نفسها لانها مهاجرة  
ومسكنه فهي في  
اختصاصها كاختصاص  
البيت لساكنه (بالحق)  
اخراجا ملتبسا بالحكمة  
والصواب (وان فريقتا  
من المؤمنين لكارهون)  
في موضع الحال أي  
أخرجك في حال كراهتهم  
وذلك ان عير قريش  
أقبلت من الشام في تجارتها  
عظيمة ومعها أربعون  
راكباً منهم أبو سفيان  
فاخرج جبريل النبي عليه  
السلام فاخبر أصحابه فاجتمع  
تلقى العير لكثرة الخير وقلة  
القوم فلما خرجوا علمت  
قريش بذلك فخرج أبو  
جهل بجميع أهل مكة وهو  
الغيفري المثل السائر لافي  
العير ولا في النفير فقبل له  
ان العير أخذت طريق  
الساحل ونجت فاني وسار  
بمن معه الى بدر وهو ماء  
كانت العرب تجتمع فيه  
لسوقهم يوماني السنة  
ونزل جبريل عليه السلام  
فقال يا محمد ان الله وعدكم

لغيرنا عبد الله بن مسعود فاخبرنا بما قالوا قال فارددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيئا قال هلا قلتم لهم أمن أهل  
الجنة أتم ان المؤمنين هم أهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهد انه في  
الجنة فقد آمن بنصف الآية دون النصف الآخر \* الوجه الرابع ان قولنا أنا مؤمن ان شاء الله للتبرك  
لالتسك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وان ان شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق باهل القبور  
\* الوجه الخامس ان المؤمن لا يكون مؤمنا حقا الا اذا ختم له بالايان ومات عليه وهذا يحصل الا عند الموت  
فالهدا السبب حسن ان يقول أنا مؤمن ان شاء الله فالمراد صرف الاستثناء الى الخاتمة وأجاب أصحاب هذا  
القول وهم أصحاب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنهم عن استدلال أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم  
بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان يقول أنا متحرك ان شاء الله بان الفرق بين وصف الانسان بكونه مؤمنا  
وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة فعل يقيني فحصل الفرق بينهما  
والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم انه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم  
مؤمنين حقا انه تعالى حكم للموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية بكونهم مؤمنين حقا اذا أتوا بتلك  
الاصناف الخمسة ولا يقدر أحد ان يأتي بتلك الاوصاف على الحقيقة ونحن نقول أيضا ان من أتى بتلك  
الاصناف على الحقيقة كان مؤمنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك أحد والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وقوله  
تعالى (لم درجات عند ربهم) يعني لهم مراتب بعضها أعلى من بعض لان المؤمنين تتفاوت أحوالهم في  
الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال  
عطاء درجات الجنة يرتقون فيها باعمالهم وقال الربيع بن أنس درجات الجنة سبعون درجة ما بين  
الدرجتين حضر الفرس المضر سبعين سنة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة  
مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال  
ان في الجنة مائة درجة لو ان العالمين اجتمعوا في احداهن لوسعتهم (ومغفرة) يعني وهم مغفرة لذنوبهم  
(ورزق كريم) يعني ما أعد لهم في الجنة وصفه بكونه كريما لان منافعه حاصلة لهم دائما عليهم مقرونة  
بالاكرام والتعظيم قوله سبحانه وتعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) اختلفوا في الجالب لهذه  
الكاف ما هو فقال المبرد تقديره قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان  
كرهوا وقيل معناه امض لا ممر ربك في الانفال وان كرهوا كما مضت لا ممر ربك في الخروج من البيت  
لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله وأصلحو ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما ان اخراج محمد  
صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق هو خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى قوله سبحانه وتعالى لهم  
درجات عند ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك  
بالحق وأنجز الوعد بالنصر والظفر وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على  
كره فريق منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على أي امض على الذي أخرجك  
ربك من بيتك بالحق فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذي أخرجك ربك من بيتك وجوابه  
يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذا كرهوا كما مضت لا ممر ربك من بيتك بالحق قيل المراد  
بهذا الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه  
من المدينة الى بدر ومعناه كما أمرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالحق يعني بالوحى لطلب المشركين  
(وان فريقا من المؤمنين لكارهون) يعني للقتال وانما كرهوه لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم

وسلاحهم

احدى الطائفتين اما العير واما قريش فاشارة للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال العير أحب اليكم أم

النفير قالوا بل العير أحب اليك من لقاء العدو فوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا

أبوجهل قد أقبل فقالوا عليك بالعيروودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد ابن عباد فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما أمرك الله فانامعك حيث أحببت لا تقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك (١٧٩) فقاتلانا ههنا قاعدون ولكن

اذهب أنت وربك فقاتلانا  
انامعكما مقاتلون مادامت  
عين منا طرف فضحك  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وقال سعد بن معاذ  
امض يا رسول الله لما أردت  
فوالذي بعثك بالحق لو  
استعرضت بنا هذا البحر  
غفصته لخضناه معك ما  
تخلف منا رجل واحد فسر  
بنا على بركة الله ففرح  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ونشطه قول سعد ثم  
قال سيروا على بركة الله  
أبشروا فان الله وعدني  
احدى الطائفتين والله  
لكأنى الآن أنظر الى  
مصارع القوم وكانت  
الكراهة من بعضهم لقوله  
وان فريقا من المؤمنين  
لكارهون قال الشيخ أبو  
منصور رحمه الله يحتمل  
أنهم منافقون كرهوا ذلك  
اعتقادا ويحتمل أن  
يكونوا مخلصين وأن يكون  
ذلك كراهة طبع لانهم غير  
متأهين له (بجادلونك في  
الحق) الحق الذي جادلوا فيه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
تلقى النفي لا يثارهم عليه

وسلاحهم (بجادلونك في الحق) وذلك ان المؤمنين لما يقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا أن نلتقي العدو فنتسعد لقتالهم وانما خرجنا لطلب العير فذلك جدا لهم (بعدهما تبين) يعني تبين لهم أنك لا تصنع شيئا الا باصر ربك وتبين لهم صدقك في الوعد (كأنما يساقون الى الموت) يعني لشدة كراهتهم القتال (وهم ينظرون) يعني الى الموت شبه حالهم في فرط فزعهم بحال من يجري الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم أنه آتية ﴿ قوله عز وجل (واذ يبعثكم الله احدى الطائفتين) يعني الفرقتين فرقة أبى سفيان مع العير وفرقة أبى جهل مع النفي (أنها لكم) يعني احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحق والسدى أقبل أبو سفيان بن حرب من الشام في عير قريش في أر بعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري ومعهم تجارة كبيرة وهى اللطيمة يريد باللطيمة الجمال التى تحمل العطر والبرغير الميرة حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فندب أصحابه اليهم وأخذ بهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكم وهو فانتدب الناس نخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صل الله عليه وسلم يلقى حرا فلما سمع أبو سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه الى مكة وأمره أن يأتى قريشا يستنفرهم ويخبرهم أن محمد فى أصحابه قد عرض اعيرهم فخرج ضمضم سرا الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاثة أيام أفزعته فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا فزعتنى وخشيت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعيره حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته ألافانقروا يا آل غدر الى مصارعكم فى ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها بأعلى صوته ألافانقروا يا آل غدر الى مصارعكم فى ثلاث ثم مثل به بعده على رأس أبى قبيس فصرخ مثلها ثم أخذ صخرة فارتسلها فاقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فابقي بيت من بيوت مكة ولادار من دورها الاود دخلها منها فلقه فقال العباس والله ان هذه الرؤيا فظيعة فاكتمها ولا تذكر بها لاحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر رؤيا عاتكة له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة قال العباس فعمدت أطوف بالبيت وأبوجهل بن هشام فى نفر من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة فغدوت أطوف فلما رأيت أبوجهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا قال العباس فلما فرغت من طوافي أقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لى أبوجهل يابنى عبد المطلب متى حدثت هذه النبىة فيكم قلت وما ذلك قال الرؤيا التى رأيت عاتكة قلت وما رأيت قال يابنى عبد المطلب أما رضيتم أن تتنبا رجالكم حتى تتنبا نساؤكم لقد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال انقروا فى ثلاث فسنترى بصكم هذه الثلاث فان يك ما قالت حقا فس يكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا بانكم كذب أهل بيت فى العرب قال العباس فوالله ما كان منى اليه من كبير شئ الا أتى بحديث ذلك وانكرت أن تكون عاتكة رأيت شيا ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا أتتني فقلن أقررتن لهذا الفاسق الخبيث أن

تلقى العير (بعدهما تبين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ينصرون وجداهم قو لهم ما كان خروجنا الا لله يروها فقلت لئن لست بعد وذلك لكراهتهم القتال (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) شبه حالهم فى فرط فزعهم وهم يسارهم الى الظفر والغنيمية بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدو وانهم كانوا رجالا وما كان سهم الافارس ان (واذ يبعثكم الله احدى الطائفتين) اذ منصوب باذ كروا احدى مفعول نان (أنها لكم) بدل من احدى الطائفتين وهما العير

يقع في رجالكم حتى تناول النساء وأنت تسمع ولم يكن عندك غدة لشيء مما سمعت قال قلت قد والله فعلت ما كان مني اليه من شيء وأيم الله لا تعرض له فان عادلا كفيكته قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أتي قد فاني شيء أحب أن أدركه منه قال فدخات المسجد فرأيت فوالله اني لأمر نحوه أنعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به وكان أبو جهل رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشته قال العباس فقات في نفسي ما لعنه الله أكل هذا فرقاني أن أشاءه قال فاذا هو قد سمع ما لم أسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ بيطن الوادي واقفعا على بعيره وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قيصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة هذه أم والكم مع أبي سفيان وقد عرض لها محمد في أصحابه ولا أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فشقاني عنه وشغله عني ما جاء من الامر قال فتجهز الناس سرا عا ولم يتخلف من أشرف قريش أحد الا أن أباهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا نخشى أن يأتونا من خلفنا فكا ذلك أن ينهيم فتبدي لهم ابليس في صورة سراقه ابن مالك بن جعشم وكان من أشرف بني بكر فقال أنجاركم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجت قريش سرا عا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه لليل مضت من شهر رمضان حتى باغ واديا يقال له ذافر دقاته الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن غيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء أخذ عيننا للقوم فاخبره بنجرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه من جهينة حليفا للانصار يدعى أريقط فأتاه بنجر القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين أنهما لكم اما العير واما قريش وكانت العير أحب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في طلب العير وحب النفير فقام أبو بكر فقال وأحسن وقام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن تقول اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم كما قاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجادلنا معك من دونه حتى نباغ به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خير اودعنا له بنجر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس وانما يريد الانصار وذلك لانهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انابر آء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا فنمنعك مما تمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصرتة الا من دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسيروا معه الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا و موثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا أحد وما نكره أن تأتي بنا عدونا وعدوك انا الصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله عز وجل أن يريك منامات تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا علي بركة الله وأبشر وافان الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني أنظر اى مصارع القوم (م) عن أنس ابن مالك أن عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذي بعثه بالحق ما أخطوا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في

والنفي والتقدير واذيعدكم  
الله أن احدى الطائفتين  
لكم

(وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) أي العبر وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة كانت في النفي بعد دهم وغدتهم أي تمنون أن تكون لكم العبر لانها الطائفة التي لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة الاخرى (و يريد الله أن يحق الحق) أي يثبت ويعلية (بكلماته) بآياته المنزلة في محاربه ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من (١٨١) قتلهم وطرحهم في قلب بدر

(ويقطع دابر الكافرين) والدابر الآخر فاعل من دبر اذا دبر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفاف الامور والله تعالى يريد معالي الامور ونصرة الحق وعلو الكلمة وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وأعزكم وأذلهم (ليحق الحق) متعلق بيقطع أو يحذف تقديره ليحق الحق (ويبطل الباطل) فعل ذلك والمقدر متأخر ليفيد الاختصاص أي ما فعله الالهما وهو اثبات الاسلام واطهاره وابطال الكفر ومحققه وليس هذا بتكرار لان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها ولم ونصرتهم عليها (ولو كره المجرمون) ان المشركون ذلك (اذ تستغيثون ربكم) بدل من اذ يدعكم أو متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا

بتر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجساد الأرواح فيها فقال ما أتم باسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا على شيئا فذلك قوله سبحانه وتعالى واذا يدعكم الله احدي الطائفتين أنهما لكم يعني طائفة أبي سفيان مع العبر وطائفة أبي جهل مع النفي (وتودون) أي تريدون وتمنون (ان غير ذات الشوكة تكون لكم) والمعنى وتمنون أن العبر التي ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح (و يريد الله أن يحق الحق) أي يظهر الحق ويعلية (بكلماته) يعني بأمره اياكم بالقتال وقيل بعداته التي سبقت لكم من اظهار الدين واعزازة (ويقطع دابر الكافرين) أي ويستاصلهم حتى لا يبقى منهم أحد (ليحق الحق) يعني ليثبت الاسلام (ويبطل الباطل) يعني وينفي الكفر (ولو كره المجرمون) يعني المشركون وفي الآية سؤالان \* الاول ان قوله و يريد الله أن يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق تكرر فمعاينه والجواب أنه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ما وعدني هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعداء والمراد بالثاني تقوية القرآن والدين واطهار منار الشريعة لان الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قاتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعني الذي هو الشرك \* السؤال الثاني الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كونه ذلك الحق حقا والمراد من ابطال ذلك الباطل اظهار كونه ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلائل الحق وتقويته وقهر رؤساء الباطل وقهرهم قوله عز وجل (اذ تستغيثون ربكم) أي واذا ذكر يا محمد اذ تستجيرون ربكم من عدوكم وتطلبون منه العون والنصر وفي المستغيثين قولان أحدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الزهري والقول الثاني انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له (م) عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة و بضعه عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مديده فجعل يهتف ربه يقول اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لاتعبد في الارض فإزال يهتف بر به ما دايد به حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأنه أبو بكر فاخذ رداءه فلقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم (فاستجاب لكم أني مددكم بالف من الملائكة مردفين) فامده الله بالملائكة قال سماك حدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرک امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السيف فاحصى ذلك أجمع وجاء فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين وقوله سبحانه وتعالى فاستجاب لكم يعني قاجاب دعاءكم أني مددكم أصله باني مددكم أي مرسل اليكم مدد اورد لكم بالف من الملائكة مردفين يعني يردف بعضهم بعضا بمعنى يتبع بعضهم بعضا حتى انه نزل جبريل عليه السلام في

يدعون الله يقولون أي ربنا النصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وهي طلب العون وهو التخليص من المكروه (فاستجاب لكم) فاجاب وأصل (أنى مددكم) باني مددكم فذئف الجار ووسط عليه استجاب فنصب محله (بالف من الملائكة مردفين) مدني غيره بكسر الدال وفتحها فالكسر على أنهم أوردوا غيرهم والفتح على أنه أورد كل ملك ملكا آخر يقال ردفه اذا تبعه وأردفه اياه اذا اتبعه

عند الله) أي ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان النصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر من الملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله واختلف في قتال الملائكة يوم بدر ف قيل نزل جبريل عليه السلام في خمائة ملك على اليمين وفيها أبو بكر رضي الله عنه وميكائيل في خمائة على اليسرة وفيها علي رضي الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنانها بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود من أين كان ياتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة قال فهم غلبونا لا أتم وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والافلاك واحد كاف في اهلاك أهل الدنيا (ان الله عزيز) بنصر أوليائه (حكيم) بقهر أعدائه (اذ يغشاكم) بدل ثان من اذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو باضمار اذ كر يغشاكم مدني (النعاس) النوم والفاعل هو الله على القراءتين يغشاكم العاس مكي وأبو عمرو (أمنة) مفعول له أي اذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أي لا منكم أو مصدر أي فامنتم أمنة فالنوم بزيح الرعب ويرج النفس (منه) صفة لها أي أمنة حاصله لكم من الله (و ينزل) بالتخفيف مكي وبصري وبأشديد غيرهم (عليكم من السماء ماء) مطرا (ليظهركم به) بالماء من الحدث والجنابة

خمائة وميكائيل عليه السلام في خمائة في صور الرجال على خيل باق عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوها بين أكتافهم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نشد به وقال أبو بكر ان الله ينجز لك ما وعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انقبه فقال يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل أخذ بعنان فرس يقوده على ثناباه النقع (خ) عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب يعني آلة الحرب قال ابن عباس كان سبب الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ولم تقابل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيها سواء عددا ومداور وروى عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدر انه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصرى لارىتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة وقد تقدم الكلام في سورة آل عمران هل قاتلت الملائكة أم لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذي ضربه بالسوط فطم أنفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مداورا وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثر واسواد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما جعله الله الابشري) يعني وما جعل الله الارداق بالملائكة الابشري (ولتطمئن به قلوبكم) وهذا يحقق انهم انما نزلوا لذلك للقتال والصحيح هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الايام ﴿ وقوله تعالى (وما النصر الا من عند الله) يعني ان الله هو ينصركم أيها المؤمنون فثقوا بنصره ولا تتكوا على قوتكم وشدة باسكم وفيه تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم ان لا يتوكل الا على الله تعالى في جميع أحواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة (ان الله عزيز) يعني انه تعالى قوى منيع لا يقهره شيء ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شيء ويغلبه (حكيم) يعني في تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده ﴿ قوله سبحانه وتعالى (اذ يغشاكم النعاس أمنة منه) أي واذا كروا اذ يلقى عليكم النعاس وهو النوم الخفيف أمنة منه أي أمانا من الله لكم من عدوكم ان يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والفائدة في كون النعاس أمنة في القتال ان الخائف على نفسه لا يأخذ النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المساهين وقلة عددهم وعددهم وعطشوا وعطشوا شديدا ألقى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كان أمنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد أمر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان في حكم المعجزة لانه أمر خارق للعادة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (وينزل عليكم من السماء ماء) يعني المطر (ليظهركم به) وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كتيب رمل أعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبوا وهم الى ماء بدر فزولوا عليه وأصبح المسلمون على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم العطش فوسوس لهم الشيطان وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وأنتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبيين فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم فانزل الله سبحانه وتعالى مطرا سال منه الوادي فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وماؤا الاسقية واطفا الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت

هو الله على القراءتين يغشاكم العاس مكي وأبو عمرو (أمنة) مفعول له أي اذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أي لا منكم أو مصدر أي فامنتم أمنة فالنوم بزيح الرعب ويرج النفس (منه) صفة لها أي أمنة حاصله لكم من الله (و ينزل) بالتخفيف مكي وبصري وبأشديد غيرهم (عليكم من السماء ماء) مطرا (ليظهركم به) بالماء من الحدث والجنابة

تنهم وسوسة الشيطان وطابت أنفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر  
 والظفر فذلك قوله سبحانه وتعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعني من الاحداث والجنابة  
 (ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعني وسوسته التي القاها في قلوبكم (وليربط على قلوبكم) يعني بالنصر  
 واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر على أمر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدى ويشبه أن تكون  
 لفظه على صلة والمعنى ويربط قلوبكم بالصبر وما وقع فيهما من اليقين وقيل ان لفظه على است بصلة لانها تفيد  
 الاستعلاء فيكون المعنى ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها (ويثبت به  
 الاقدام) يعني ان ذلك المطر ليد الارض وقوى الرمل حتى تثبتت عليه الاقدام وحوافر الدواب وقيل  
 المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفرو بهرب  
 عند اللقاء وقوله سبحانه وتعالى (اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم) يعني ان الله سبحانه وتعالى  
 أوحى الى الملائكة الذين أمدهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اني معكم بالنصر والمعونة (فثبتوا الذين  
 آمنوا) أي قوا قلوبهم واختلجوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت فقل كما أن للشيطان قوة في القاء  
 الوسوسة في قلب ابن آدم بالشرف كذلك للملك قوة في القاء الالهام في قلب ابن آدم بالخبر ويسمى ما يلقي  
 الشيطان وسوسة وما يلقي الملك الهام فانه هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم  
 القتال ومعوتهم لهم أي ثبوتهم بقتالكم معهم المشركين وقيل معناه بشر وهم بالنصر والظفر فكان الملك  
 يمشي في صورة رجل امام الصف ويقول أشروا فان الله ناصركم عليهم (سألني في قلوب الذين كفروا  
 الرعب) يعني الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث ألقى الرعب والخوف في قلوب الكافرين  
 (فاضر بوا فوق الاعناق) قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعاً عما قبله وقيل هو خطاب مع  
 الملائكة فيكون متصلاً بما قبله قال ابن الانباري ما كانت الملائكة تعرف تقابل بني آدم فعلمهم الله ذلك  
 بقوله تعالى فاضر بوا فوق الاعناق قال عكرمة يعني الرأس لانها فوق الاعناق وقال الضحاك معناه فاضر بوا  
 الاعناق وفوق صلة وقيل معناه فاضر بوا على الاعناق فتكون فوق بمعنى على (واضر بوا منهم كل بنان)  
 يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الاطراف وهي جمع بنانة وهي أطراف أصابع اليدين سميت بذلك  
 لان بها صلاح الاحوال التي يمكن الانسان أن يبين ما يريد أن يعمل بيديه وانما خصت بالذكر من دون  
 سائر الاطراف لاجل أن الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل انه سبحانه وتعالى أمرهم  
 بضرب أعلى الجسد وهو الرأس وهو أشرف الاعضاء وبضرب البنان وهو أضعف الاعضاء فيدخل في ذلك  
 كل عضو في الجسد وقيل أمرهم بضرب الرأس وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة  
 الانسان عن الحرب لان البنان يمكن من مسك السلاح ووجهه والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك  
 كما روى عن أبي داود المازني وكان شهيد بدر اقال اني لاتبع رجلا من المشركين لا ضربه اذ وقع رأسه قبل  
 أن يصل اليه سيفي فعرفت أنه قد قتله غيري وعن سهل بن حنيف قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا يشير  
 بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف وروى عكرمة عن أبي رافع مولى رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام  
 قد دخل علينا أهل البيت فأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم  
 اسلامه وكان ذاملا كثير متفرق في قومه وكان عدوا لله أبو هب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن  
 هشام بن المغيرة فاجاء الخبر عن مقتل أصحاب بدر كبتهم الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعز قال أبو  
 رافع وكنت رجلا ضعيفا عمل القداح وأنحتها في شجرة زمزم فوالله اني لجالس أنحت القداح وعندى أم  
 الفضل جالسة اذا قبل الفاسق أبو هب يجزر جلبيه حتى جلس على طنبا الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبينما

(ويذهب عنكم رجز  
 الشيطان) وسوسته اليهم  
 وتخويفها ياهم من العطش  
 أو الجنابة من الاحتلام  
 لانه من الشيطان وقد  
 وسوس اليهم ان لانصرة  
 مع الجنابة (ويربط على  
 قلوبكم) بالصبر (ويثبت  
 به الاقدام) أي بالماء اذ  
 الاقدام كانت تسوخ في  
 الرمل أو بالرطلان القلب  
 اذا تمكّن فيه الصبر ثبت  
 القدم في مواطن القتال  
 (اذ يوحي) بدل ثالث من  
 اذ يعدكم أو منصوب بثبت  
 (ربك الى الملائكة أني  
 معكم) بالنصر (فثبتوا  
 الذين آمنوا) بالبشرى  
 وكان الملك يسير امام الصف  
 في صورة رجل ويقول  
 أشروا فان الله ناصركم  
 (سألني في قلوب الذين  
 كفروا الرعب) هو امتلاء  
 القلب من الخوف والرعب  
 شامى وعلى (فاضر بوا)  
 أمر للمؤمنين أو للملائكة  
 وفيه دليل على أنهم قاتلوا  
 (فوق الاعناق) أي أعلى  
 الاعناق التي هي المذاج  
 تطير للسرور أو أراد  
 الرأس لانها فوق الاعناق  
 يعني ضرب الهام  
 (واضر بوا منهم كل بنان)  
 هي الاصابع يريد الاطراف  
 والمعنى فاضر بوا بالمقاتل  
 والشوى لان الضرب اما

أن يقع على مقتل أو غير مقتل فاضرهم أن يحجموا عليهم النوعين

(ذلك) إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره (بانهم شاقوا الله ورسوله) أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاققتهم أي مخالفتهم. وهي مشتقة من الشق لأن كلا المتعادين في شق خلاف شق صاحبه وكذلك المعاداة والمخاصمة لأن هذا في عدوة وخصم أي جانب وذاني (١٨٤) عدوة وخصم (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب)

والكاف في ذلك لخطاب الرسول أو لكل أحد وفي ذلك للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلك العقاب أو العقاب (ذلك فتدقوه) والواو في (وأن للكافرين عذاب النار) بمعنى مع أي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا) حال من الذين كفروا والزحف الجيش الذي يرى أكثرته كأنه يزحف أي يدب ديبا من زحف الصبي إذا دب على آسته قليلا قليلا سمي بالصدر (فلا تولوهم الأدبار) فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أي إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قائل فلا تنرفوا فضلا أن تدانوهم في العدو أو تساووهم أحوال من المؤمنين أو من الفريقين أي إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم (ومن يولم يومئذ بوجهه لوطم) (ومن يولم يومئذ بوجهه لوطم) (ومن يولم يومئذ بوجهه لوطم) (ومن يولم يومئذ بوجهه لوطم) (ومن يولم يومئذ بوجهه لوطم)

هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب يا ابن أخي فعندك الخبر اليقين جلس إليه والناس قيام عليه فقال أبو لهب يا ابن أخي أخبرني كيف كانت أحوال الناس قال لا شيء والله إن كان الآن لقيناهم فذبحناهم كما فنيا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا أيم الله ما لمت الناس لقينا رجلا يبضا على خيل بلق بين السماء والأرض والله لا يتلقاهم شيء ولا يقوم لهم شيء قال أبو رافع فرفعت طرف الحجر بيدي وقلت تلك والله للملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة فذاورته فأحتملني فضرب بي الأرض ثم برك على صدري وكنت رجلا ضعيفا فقامت إلي أم الفضل بعمود من عمد الحجر فضربت به ضربة فلققت رأسه شجرة منكورة وقالت تستضعفه إن غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الأسبوع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو وأخو بني سلمة وكان أبو اليسر رجلا مجوعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف أسرت العباس قال يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل مارأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعانك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (ذلك) يعني الذي وقع من القتل والأسر يوم بدر (بانهم شاقوا الله ورسوله) يعني بانهم خالفوا الله ورسوله والمشافة المخالفة وأصلها المجانبة كأنهم صاروا في شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه أنهم شاقوا أولياء الله وهم المؤمنون أو شاقوا دين الله ثم قال سبحانه وتعالى (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) يعني إن الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والأسر شيء قليل فيما أعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ﷻ ثم قال تعالى (ذلكم) إشارة إلى القتل والأسر الذي نزل بهم (فتدقوه) يعني عاجلا في الدنيا لأن ذلك يسير بالإضافة إلى المؤجل الذي أعده الله لهم في الآخرة من العذاب وهو قوله (وأن للكافرين عذاب النار) يعني في الآخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك بالعير أيس من دونها شيء قال فناداه العباس من وثاقه لا يصلحك لك لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك الله ما وعدك قال صدقت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ﷺ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا) يعني مجتمعين متزاحفين بعضهم إلى بعض والتزاحف التذاني في القتال وأصل الزحف مشى مع جر الرجل كأنبعاث الصبي قبل أن يمشى وسمى مشى الطائفتين بعضهم إلى بعض في القتال زحفا لأنها مشى كل طائفة إلى صاحبتهما مشيا ويبدأ ذلك قبل التذاني للقتال وقال نعلب الزحف المشى قليلا قليلا إلى الشيء (فلا تولوهم الأدبار) يعني فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فإن المنهزم يولي ظهره ودبره (ومن يولم يومئذ بوجهه لوطم) يعني ومن ينهزم ويول دبره يوم الحرب والقتال (الامتحر بالقتال) يعني الامتقطع إلى القتال يرى عدوه من نفسه الانهزام وقصده طلب الكرة على العدو والعود إليه وهذا هو أحد أبواب الحرب وخدعها ومكايدها ﷻ وقوله تعالى (أومتجيزا إلى فئة) يعني أومتجيزا وصاروا إلى جماعة من المؤمنين يريدون العود إلى القتال (فقدباء بغضب من الله) يعني من انهزم من المسلمين وقت الحرب الأفي هاتين الحالتين وهي التحرف للقتال والتعجيز إلى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله (وما أواه جهنم وبئس المصير) ◦

منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب (أومتجيزا) منضمًا (إلى فئة) إلى جماعة أخرى من المسلمين  
سوى الفئة التي هو فيها وهم أحوال من ضمير الفاعل في يولم (فقدباء بغضب من الله وما أواه جهنم وبئس المصير) ووزن متعجيز متفعيل لا متفعل لأنه من حازم يحوز فبناء متفعل منه متحوز ولما كبروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وكان القتال منهم يقولون تفاخرنا قتلت وأسرت قيل لهم



(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فاتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ولما قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال شاهدت الوجوه فلم يبق مشرك الاشغل بعينه فانهمزوا قيل (ومارميت) يا محمد (اذرميت ولكن الله رمى) يعني ان الرمية التي رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ أثرها الا ما يبالغه أثر رمى البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الاثر العظيم وفي الآية بيان ان فعل العبد مضاف اليه كسبا والى الله تعالى خلقا لا كما تقول الجبرية والمعتزلة لانه أثبت الفعل من العبد بقوله اذرميت ثم نفاه عنه وأثبت الله تعالى بقوله ولكن الله رمى ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن شامى وحزة وعلى

فصل في حكم هذه الآية **اختلاف العلماء في ذلك فقال أبو سعيد الخدري** هـ ذاق أهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم تكن لهم فئة يتحيزون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا انحازوا الى المشركين ولانها أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشد الله عليهم أمر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فاما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار متحيزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسين وقتادة والضحاك قال يزيد بن أبي حبيب أوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم أحد قال الله تعالى انما استزلم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال سبحانه وتعالى ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله بن عمر كئنا في جيش بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاص الناس حيصة فانهمز منا فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال لا بل أنتم الكرارون انافئة المسلمين قوله فخاص الناس حيصة يعني جال الناس جولة يطلبون الفرار من العدو والمحيص الحرب وقال محمد بن سيرين لما قتل أبو عبيدة جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الى كنت له فئة انافئة كل مسلم وقال بعضهم حكم الآية عام في حق كل من ولي ظهره منهزما بدليل قوله يا أيها الذين آمنوا وهذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وان كانت الآية زلت في غزاة بدر لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء في الحديث من الكبائر الفرار من الزحف وقال عطاء بن أبي رباح هذه الآية منسوخة بقوله تعالى الآن خفف الله عنكم فليس لقوم أن يفر وأمن مثلهم ففسخت بذلك الا في هذه العدة وعلى هذا أكثر أهل العلم أن المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفر وأمنهم ويولوهم ظهورهم وان كان العدو أكثر من المثلين جاز لهم أن يفر وأمنهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر قوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) قال مجاهد سبب نزول هذه الآية انهم لما انصرفوا عن قتال أهل بدر كان الرجل يقول أنا قتلت فلانا ويقول الآخر أنا قتلت فلانا فنزلت هذه الآية والمعنى فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم يعني بنصره اياكم وتقويتم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداد اياكم بالملائكة قال الزمخشري الفاء في قوله فلم تقتلوهم جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم أتم ولكن الله قتلهم (وما رميت اذرميت ولكن الله رمى) قال أهل التفسير والمغازي لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه انطلقوا حتى نزلوا بدر او وردت عليهم روايا قر يش وفيهم أسلم غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاص بن سعد فاخذوهما واتوا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أين قر يش قالاهم وراء الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكتيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالوا كثير قال ما عددهم قال لا لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قالوا يوم عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى ألف ثم قال لهم من فيهم من أشرف قر يش قال عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعمة ابن عدي والنضر بن الحرث وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألت اليكم فلاذ كبدها فلما أقبلت قر يش وراها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكتيب الرمل جاء الى الوادي فقال اللهم هذه قر يش قد أقلت بجيلاؤها ونفرتها تحادك وتكذب رسولاك اللهم فنصرك الذي وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاه من الحصباء عليه تراب فرمى به وجوه القوم وقال شاهدت الوجوه يعني قبعت الوجوه فلم يبق مشرك الاودخل في عينه ووجهه ومنخره من ذلك التراب شي فانهمزوا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكرنا ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم وقال شأهت الوجوه فانهزموا فذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اذ ليس في وسع احد من البشر ان يرمى كذا من الحصى في وجوه جيش فلا تبقى عين الا وقد دخل فيها من ذلك شيء فصورة الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها صدر من الله عز وجل فالهنا المعنى صح النبي والاثبات وقيل في معنى الآية وما بلغت اذ رميت ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم اذ رميت بحصياتك ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) يعنى ولينع على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر والثواب فقد اجتمع المفسرون على أن البلاء هنا بمعنى النعمة (ان الله سميع) يعنى لدعائكم (عليم) يعنى باحوالكم ﴿وقوله تعالى (ذلكم) يعنى الذى ذكرت من أمر القتل والرمي والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذى فعلنا (وان الله) يعنى واعلموا ان الله مع ذلك (موهن) أى مضعف (كيد الكافرين) يعنى مكرهم وكيدهم ﴿وقوله عز وجل (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) هذا خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان ابا جهل قال يوم بدر لما التقى الجمعان اللهم أينما كان أجر يعنى نفسه ومحمد صلى الله عليه وسلم قاطعا للرحم فاحنه اليوم وقيل انه قال اللهم أينما كان خيرا عندك فانصره وقيل قال اللهم انصر اهدى الفئتين وخير الفريقين وافضل الجمعين اللهم من كان أجروا قطع لرحه فاحنه اليوم فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا ومعنى الآية ان تستحكموا الله على قطع الفريقين للرحم وأظلم الفئتين فينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعنى جاءكم حكم الله بنصرة المظلوم على الظالم والمحق على المبطل والمقطوع على القاطع (ق) عن عبد الرحمن بن عوف قال انى لواقف فى الصف يوم بدر فنظرت عن يمينى وعن شمالى فاذا أنا بعلامين من الانصار حديثه أسنانهما فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما فغمزنى أحدهما فقال أى عم هل تعرف أبا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن أخى قال أخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذى نفسى بيده لئن رأيت لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الاعجل منافى تجبت لذلك قال وغمزنى الآخر فقال لى مثلها فلم أنشب أن نظرت الى أبى جهل يحول فى الناس فقلت ألا ترى ان هذا صاحب كما الذى تسألان عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضر باه حتى قتلاه ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال أى كما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته فقال هل مسحتما سيفيهما فقال لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلا كما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لهما والرجلان معاذ بن عمرو بن الجوح ومعاذ بن عفرأء (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو جهل فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضرب به ابنا عفرأء حتى برد قال فاخذ بلحيتته فقال أنت أبو جهل وفى كتاب البخارى أنت أبا جهل هكذا قاله أنس فقال وهل فوق رجل قتله قومه وفى رواية فقال أبو جهل فلو غيراً كارقلتنى عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا أبو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله بأبى جهل قد أخزى الله الآخر قال ولا أهابه عند ذلك فقال أعمد من رجل قتله قومه فضر به بسيف غير طائل فلم يعن شياً حتى سقط سيفه من يده فضر به حتى برد آخرجه أبو داود وآخرجه البخارى مختصراً قال انه أتى أبا جهل يوم بدر وبه رمق فقال هل أعمد من رجل قتله قومه وقال عكرمة قال المشركون والله ما نعرف ما جاء به محمد فاقح يدينا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء وقال السدى والكلبى كان المشركون لما خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعدى الجندى وأهدى الفئتين وأكرم الخبز بين وأفضل الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وهو على ما سأله فكان النصر لاهدى الفئتين

(وليبلى المؤمنين)  
وليعطيهم (منه بلاء حسنا)  
عطاء جيلا والمعنى  
وللاحسان الى المؤمنين  
فعل ما فعل وما فعل الا لذلك  
(ان الله سميع) لدعائهم  
(عليم) باحوالهم (ذلكم)  
اشارة الى البلاء الحسن  
ومحل الرفع أى الامر ذلكم  
(وان الله موهن كيد  
الكافرين) معطوف على  
ذلكم أى المراد بلاء  
المؤمنين ونوهين كيد  
الكافرين موهن كيد  
شامى وكوفى غير حفص  
موهن كيد حفص موهن  
غيرهم (ان تستفتحوا فقد  
جاءكم الفتح) ان تستنصروا  
فقد جاءكم النصر عليكم  
وهو خطاب لاهل مكة  
لانهم حين أرادوا ان  
ينفروا تعلقوا باستار  
الكعبة وقالوا اللهم ان  
كان محمد على حق فانصره  
وان كنا على الحق فانصرنا  
وقيل ان تستفتحوا  
خطاب للمؤمنين وان  
نتهوا للكافرين أى

(نعد) لنصرته عليكم  
 (وان تغني عنكم فتكم)  
 جمعكم (شياً ولو كثرت)  
 عدداً (وان الله مع المؤمنين)  
 بالفتح مدني وشامي  
 وحفص أي ولان الله مع  
 المؤمنين بالنصر كان ذلك  
 وبالكسر غيرهم ويؤيده  
 قراءة عبد الله وان الله مع  
 المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا  
 أطيعوا الله ورسوله ولا  
 تولوا عنه) عن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم لان  
 المعنى وأطيعوا الله ورسوله  
 الله كقوله والله ورسوله  
 أحق أن يرضوه ولان طاعة  
 الرسول وطاعة الله شيء  
 واحد من يطع الرسول  
 فقد أطاع الله فكان  
 رجوع الضمير إلى أحدهما  
 كرجوعه إليهما كقولك  
 الاحسان والاجال لا ينفع  
 في فلان أو يرجع الضمير إلى  
 الامر بالطاعة أي ولا تولوا  
 عن هذا الامر وامثاله  
 وأصله ولا تتولوا خذف  
 إحدى التاءين تخفيفاً  
 (وأتم تسمعون) أي وأتم  
 تسمعون أو ولا تتولوا عن  
 رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ولا تخالفوه وأنتم  
 تسمعون أي تصدقون  
 لانكم مؤمنون لستم كالصم  
 المكذبين من الكفرة (ولا  
 تكونوا كالذين قالوا  
 سمعنا) أي ادعوا السماع

وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق حدثني عهد الله بن أبي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن  
 الجوح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر أمر بابي جهل بن هشام ان يلقس في القتلى فقال  
 اللهم لا يهزك فلما سمعتها جعلته من شأني فعمدت نحوه فضرته ضربة طيرت قدمه بنصف ساقه قال  
 وضر بني ابنه عكرمة على عاتق فطرح يدي فتعلقت بجلدة وأجهضني القتال عنه فلقد قانت عامة يومى واني  
 لا سحبه اخلفي فلما آذنتني جعلت عليها قدمي ثم نظيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل وهو عقير معاذ بن  
 عفراء فضر به حتى أثبتته وتركه وبه رمق فر به عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته بأخر رمق فمرفته  
 فوضعت رجلي على عنقه فقلت هل أخراك الله يا عبد الله قال وبماذا أخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني  
 لمن الدولة قلت لله ولرسوله روى عن ابن مسعود انه قال قال لي أبو جهل لقد ارتقيت يارويعي الغنم مرتقى صعباً  
 ثم احتزرت رأسه ثم جئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل  
 فقال آله الذي لا اله غيره فقلت نعم والذي لا اله غيره ثم ألقيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله  
 وقال أبي بن كعب هذا خطاب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للمسلمين ان تستفتحوا  
 أي تستنصروا فقد جاءكم الفتح أي النصر (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم وهو متوسد برده له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعونا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ  
 الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط  
 الحديد مادون الحنجر وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء  
 إلى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون قلت استبدل البغوي بهذا الحديث  
 على ما فسر به أبي بن كعب الآية وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة في الحديث كانت بمكة والآية مدنية  
 فلا تعلق للحديث بتفسير الآية والله أعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ببدر وسأله انجاز  
 ما وعده من إحدى الطائفتين وألح في الدعاء والمسئلة حتى سقط رداؤه قال الله سبحانه وتعالى مجيباً له ان  
 تستفتحوا يعني تطلبوا النصر وانجاز ما وعدهم الله به فقد جاءكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم  
 فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدهم به وهذا القول أولى لان قوله فقد جاءكم  
 الفتح لا يليق الا بالمؤمنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعداء أما اذا فسرناه بالقضاء والحكم  
 لم يتنع ان يراد به الكفار ما قوله سبحانه وتعالى (وان تنهوا فهو خير لكم) فهو خطاب للكفار يعني  
 وان تنهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا أما في الدين بان  
 تؤمنوا به وتكفوا عنه فيجعل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلص من العقاب وأما في الدنيا فهو الخلاص  
 من القتل والاسر (وان تعودوا نعد) يعني وان تعودوا القتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم  
 ونصره عليكم (وان تغني عنكم فتكم) يعني جماعتكم (شياً) يعني لا تغني عنكم شيئاً (ولو كثرت) يعني  
 جماعتكم (وان الله مع المؤمنين) يعني بالنصر لهم عليكم يامعشر الكفار ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا  
 أطيعوا الله ورسوله) يعني في امر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس (ولا تولوا عنه) يعني عن الرسول صلى  
 الله عليه وسلم لان التولي لا يصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لان في حق الله تعالى والمعنى لا تعرضوا عنه  
 وعن معوته وانصرته في الجهاد (وأتم تسمعون) يعني القرآن يتلى عليكم (ولا تكونوا كالذين قالوا)  
 بالسنتهم (سمعنا وهم لا يسمعون) يعني وهم لا يتعظون ولا ينتفعون بما سمعوا من القرآن والمواعظ وهذه  
 صفة المنافقين (ان شر الدواب عند الله) يعني ان شر من دب على وجه الارض من خلق الله عند الله

وهم المنافقون وأهل الكتاب (وهم لا يسمعون) لانهم ليسوا بصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتهم  
 عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها أشبهه بسماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال (ان شر الدواب عند الله

لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لانهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل (ولو علم الله فيهم) في هؤلاء الصم البكم (خيرا) صدقا ورغبة (لا سمعهم) لجعلهم سامعين حتى يسمعوا سماع المصدقين (ولو أسمعهم لتولوا) عنه أى ولو أسمعهم وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا (وهم معرضون) عن الايمان (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم) وخذ الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبال الدعوة البعث والتحريض (لما يحييكم) من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما أن الجهل موت قال الشاعر لا تنجبن الجهول حلتة فذاك ميت وثوبه كفن أو لمجاهدة الكفار لانهم لورفضوها الغلبوهم وقتلواهم أو للشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أى يميتة فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من

(الصم) عن سماع الحق (البكم) عن النطق به فلا يقولونه (الذين لا يعقلون) يعنى لا يفهمون عن الله أمره ونهيه ولا يقبلونه وانما سماهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس هم نفر من بنى عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم أحد وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلا ن مصعب بن عمير وسويب بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) يعنى سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق ومعنى ولو علم الله قال الامام نضر الدين ان كان ما كان حاصله فيجب أن يعلمه الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خيرا لاسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهم (ولو أسمعهم) يعنى بعد ان علم انه لا خير فيهم لم ينتفعوا بما يسمعون من المواعظ والدلائل لقوله تعالى (لتولوا وهم معرضون) يعنى لتولوا عن سماع الحق وهم معرضون عنه لعنادهم ونجودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسئ لنا قريبا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فتؤمن لك فقال الله سبحانه وتعالى ولو أحياءهم قريبا وسمعوا كلامه لتولوا عنه وهم معرضون ﴿ قوله عز وجل ﴾ (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول) يعنى أجبوهم بالطاعة والانقياد لامرهما (اذا دعاكم) يعنى الرسول صلى الله عليه وسلم وانما يذكر وحد الضمير في قوله تعالى اذا دعاكم لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر أحد هما مع الآخر للتوكيد واستدل أكثر الفقهاء بهذه الآية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من أمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الآية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل مادعا لله ورسوله اليه (خ) عن أبي سعيد بن المعلى قال كنت أصلى في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيتته فقلت يا رسول الله انى كنت أصلى فقال صلى الله عليه وسلم ألم يقل الله استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أبي بن كعب وهو يصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بنى فالتفت أبى ولم يجبه وصلى أبى وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام مامنك يا أبى أن نجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله انى كنت في الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم أفلم تجد فيما أوحى الله الى استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولأعود ان شاء الله تعالى و ذكر الحديث أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته بدعاء أحد آخر وقيل لو دعاه أحد لامر مهم لا يحتمل التأخير فله أن يقطع صلاته ﴿ وقوله تعالى ﴾ (لما يحييكم) يعنى اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدى هو الايمان لان الكافر ميت فيحيا بالايمان وقال قتادة هو القرآن لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحق هو الجهاد لان الله أعزه به بعد الذل وقيل هو الشهادة لان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصى الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبيرة والضحاك ومجاهد وقال السدى يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن أو يكفر الا باذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان أحوال القلوب اعتقادات ودواعى وتلك الاعتقادات والدواعى لا بد أن تتقدمها الارادة وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله سبحانه وتعالى فثبت بذلك ان المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت

قلوبنا على طاعتك عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثُرُ أن يقول يا مقاب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله قد آمنابك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء أخرجه الترمذي وهذا الحديث من أحاديث الصفات فيجب على المرء المسلم أن يمره على ما جاء مع الاعتقاد الجازم بتنزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل في معنى الآية إن الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئاً وقيل إن القوم لما دعوا إلى القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضقت صدورهم فقبل لهم قائلوا في سبيل الله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمناً والجن جراً ۞ وقوله تعالى (وأنه إليه تحشرون) يعني في الآخرة فيجزى كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي ۞ قوله سبحانه وتعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) لما أخبر الله عز وجل أنه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع المرء في الفتن والمعنى واحد واتقوا فتنة إن نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تعدى إليكم جميعاً وتصل إلى الصالح والطالح وأراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة إن لم تتقوها أصابكم جميعاً الظالم وغير الظالم قال الحسن نزلت هذه الآية في علي وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما نرى أنامن أهلها فإذا نحن المعنيون بها يعني ما كان منهم في يوم الجمل وقال السدي ومجاهد والضحاك وقتادة هذا في قوم مخصوصين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أصابهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوي بسنده عن عدي بن عدي الكندي قال حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى ير والمنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الأثير في جامع الأصول عن عدي بن عميرة الكندي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها أخرجه أبو داود عن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه ولم يغيروا إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا أخرجه أبو داود وقال ابن زيد أراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضاً (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي من تشرف طاعتك تشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذب به فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه أن يوصل الفتنة إلى من لم يذنب قات أنه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عباده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يستل عمنه ما يفعل وهم يسئلون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية أولانه تعالى علم اشتغال ذلك على أنواع من أنواع المصلحة والله أعلم بمراده ۞ وقوله سبحانه وتعالى (واعلموا أن الله شديد العقاب) فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذر الله منها وقوله عز وجل (واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض) لما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا أيام عشر المؤمنين المهاجرين إذا أنتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الأرض يعني في أرض مكة في ابتداء الإسلام (تحافون أن يتخطفكم الناس) يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب ابن منبه يعني فارس والروم (فاؤاكم) يعني إلى المدينة (وأيدكم بنصره) يعني وقواكم بالانصار وقال الكافي وقواكم يوم بدر بالملائكة (ورزقكم من الطيبات) يعني الغنائم أحلها لكم ولم يحلها لأحد قبلكم (اعلمكم تشكرون) يعني تشكرون هذه النعم

(وأنه إليه تحشرون) واعلموا أنكم إليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة (واتقوا فتنة) عذاباً (لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) هو جواب للامر أي إن أصابكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وجزان تدخل النون المؤكدة في جواب الامر لأن فيه معنى النهي كما إذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك وجزان لا تطرحك ومن في منكم للتبعية (واعلموا أن الله شديد العقاب) إذا عاقب (واذكروا إذا أنتم قليل) إذ مفعول به لا ظرف أي وذكروا وقت كونكم أقله أدلة (مستضعفون في الأرض) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش (تحافون أن يتخطفكم الناس) لأن الناس كانوا لهم أعداء مضادين (فاؤاكم) إلى المدينة (وأيدكم بنصره) بظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم ولم يحل لأحد قبلكم (اعلمكم تشكرون) هذه النعم

الله على نعمه عليكم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) قال الزهري والكافي  
 نزلت هذه الآية في أبي لبابة هرون بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على  
 ما صالح عليه اخوانهم بنى النضير على أن يسيروا إلى اخوانهم إلى أذرعات وأرض الشام فأتى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا أرسل الينا أبا  
 لبابة بن عبد المنذر وكان منا صحابهم لأن له وولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فاتاهم فآووا بالباب ما ترى أنزل على حكم سعد بن معاذ فآشأ أبو لبابة بيده إلى حلقه يعني أنه الذبح فلا  
 تفعلوا قال أبو لبابة والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه  
 ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا أذوق طعاما  
 ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله عليّ فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال ما لوجاءني  
 لاستغفرت له أما ذفعل ما فعل فاني لأطلقه حتى يتوب الله عليه فكثرت سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا  
 حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا أبا لبابة قد تاب عليك فقال والله لا أحل نفسي حتى يكون  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه خلفه بيده ثم قال أبو لبابة إن تمام توبتي أن أهجردا ر قومي  
 التي أصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثالث إن تصدق به  
 فنزل فيه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون السر من النبي صلى الله عليه  
 وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله إن أباسفيان خرج من مكتفاني  
 جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أباسفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه  
 إن أباسفيان في موضع كذا وكذا فخرجوا إليه واكتتموا قال فكتب رجل من المنافقين إليه إن محمدا  
 يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله عز وجل لا تخونوا الله والرسول (وتخونوا أماناتكم) ومعنى الآية لا تخونوا  
 الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم (وأتم تعلمون) يعني انها أمانة وقيل معناه وأتم تعلمون إن ما فعلتم من  
 الإشارة إلى الخلق خيانة وأصل الخيانة من الخون وهو النقص لأن من خان شيئا فقد نقصه والخيانة ضد  
 الأمانة وقيل في معنى الآية لا تخونوا الله والرسول فإنكم إذا فعلتم ذلك فقد خنتم أماناتكم وقال ابن عباس  
 معناه لا تخونوا الله بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا أماناتكم قال ابن عباس هي  
 ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله تعالى والأعمال التي اتقن عليها العباد وقال قتادة أعلموا أن دين الله  
 أمانة فادوا إلى الله ما أتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من أتمن عليها ومنه  
 الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا الأمانة إلى من أتمنك ولا تخن من خانك  
 أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ﴿وقوله عز وجل﴾ (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم  
 فتنة) قيل هذا مما نزل في أبي لبابة وذلك لأن أمواله وأولاده كانت في بني قريظة فلذلك قال ما قال خوفاء عليهم  
 وقيل أنه عام في جميع الناس وذلك أنه لما كان الأقدام على الخيانة في الأمانة هو حب المال والولد نبيه الله  
 سبحانه وتعالى بقوله واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة على أنه يجب على العاقل أن يحذر من المضار المتولدة  
 من حب المال والولد لأن ذلك يشغل القلب ويصيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن وروى  
 البغوي بسنده عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي فقبله وقال أمانتهم مبعثرة مجبنة وانهم من  
 ريحان الله وأخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول انكم لتبخلون وتجنون  
 وتجهلون وانكم لمن ريحان الله قال الترمذي لا تعرف لعمر بن عبد العزيز سمعا عن خولة قوله لمن ريحان

(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا  
 الله) بان تعطلوا فرائضه  
 (والرسول) بان لا تستنوا  
 به (وتخونوا) جزم عطف  
 على لا تخونوا أي ولا تخونوا  
 (أماناتكم) فيما بينكم بان  
 لا تحفظوها (وأتم تعلمون)  
 تبعة ذلك وبالله أو وأتم  
 تعلمون انكم تخونون يعني  
 ان الخيانة توجد منكم عن  
 تعمد لا عن سهو أو أتم  
 علماء تعلمون حسن  
 الحسن وقبح التبعيض ومعنى  
 الخون النقص كما ان معنى  
 الايفاء التمام ومنه تخونه  
 اذا انتقصه ثم استعمل في  
 ضد الامانة والوفاء لانك  
 اذا خنت الرجل في شيء فقد  
 ادخلت عليه النقصان فيه  
 (واعلموا أنما أموالكم  
 وأولادكم فتنة) أي سبب  
 الوقوع في الفتنة وهي الأم  
 والعذاب أو محنة من الله  
 ليبلوكم كيف تحافظون  
 فيهم على حدوده

(وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَحْرُصُوا عَلَى ظَلَمِ ذَلِكَ وَتَزْهَدُوا فِي الدُّنْيَا وَلَا تَحْرُصُوا عَلَى جَمْعِ الْمَالِ وَحُبِّ الْوَالِدِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) نَصْرًا لِأَنَّهُ يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ بِالذَّلَالِ حَرْبَهُ وَالْإِسْلَامِ بِاعْزَازِ أَهْلِهِ أَوْ بَيَانًا وَظُهُورِ أَيْشِهِمْ أَمْرًا وَيُثَبِّتُ صَبْرَكُمْ وَأَثَارَكُمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ مِنْ قَوْلِهِمْ سَطَعَ الْفَرْقَانُ أَيُّ طَلَعَ الْفَجْرُ أَوْ مَخْرَجًا مِنْ الشَّهَاتِ وَشَرَحَ النَّصْرُ وَأُتِفِرْقَةُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ غَيْرِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ وَفَضْلًا وَمُزِيَّةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ) سَيِّئَاتِكُمْ (أَيُّ الصَّغَائِرِ) (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ذُنُوبَكُمْ أَيُّ الْكِبَائِرِ (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) عَلَى عِبَادِهِ (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا) لِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ذِكْرَهُ مَكْرًا قَرِيشَ بِهِ حِينَ كَانَ بِمَكَّةَ لِيُشْكَرَ نِعْمَةُ اللَّهِ فِي نَجَاتِهِ مِنْ مَكْرِهِمْ وَاسْتِيْلَانِهِ عَلَيْهِمْ وَالْمَعْنَى وَإِذْ كَرِهْتُمْ لِقَائَهُمْ بِكَ وَذَلِكَ أَنْ قَرِيشًا أَسَامَتِ الْأَنْصَارَ فَرَقُوا أَنْ يَتَّفِقُوا فِي أَمْرِهِ فَاجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ مُتَشَاوِرِينَ فِي أَمْرِهِ فَوَدَّخَلَّ عَلَيْهِمْ ابْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ وَقَالَ أَنَا شَيْخٌ مِنْ نَجْدٍ دَخَلْتُ مَكَّةَ فَسَمِعْتُ بِاجْتِمَاعِكُمْ فَارَدْتُ أَنْ أَحْضُرَكُمْ وَإِنْ تَعَدَمُوا مَنِي رَأَيْتُمْ أَنَا وَنَصَحْتُ فَقَالَ أَبُو الْبَحْثَرِيِّ رَأَيْتُمْ أَنَا أَنْ تَحْبَسُوهُ فِي بَيْتٍ وَتَسُدُّوا وَثَاقَهُ وَتَسُدُّوا بَابَهُ غَيْرَ كَوْنٍ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَتَرَبُّوهُ رَيْبَ الْمَنُونِ فَقَالَ ابْلِيسُ بِشَسِ الرَّأْيِ يَأْتِيكُمْ مِنْ يَمَانِكُمْ مِنْ قَوْمِهِ وَنَخْلَصَهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ فَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو رَأَيْتُمْ أَنَا أَنْ تَحْبَسُوهُ عَلَى بَعِيرٍ وَتَخْرُجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ فَلَا يُضْرِكُمْ مَا صَنَعُوا وَإِنْ وَقَعَ إِذَا غَابَ عَنْكُمْ وَاسْتَرْحَمْتُمْ مِنْهُ فَقَالَ ابْلِيسُ اللَّعِينُ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيِ تَعْمَدُونَ إِلَى رَجُلٍ قَدْ أَفْسَدَ أَحْلَامَكُمْ فَتَخْرُجُونَهُ إِلَى غَيْرِكُمْ فِيهِمْ سُدَّهُمْ أَلَمْ تَرَوْا إِلَى حَلَاوَةِ مَنْطِقِهِ وَطَلَاقَةِ لِسَانِهِ وَأَخْذِ الْقُلُوبِ بِمَا تَسْمَعُ مِنْ حَدِيثِهِ وَاللَّهُ لَأَنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ يَذْهَبُ وَيَسْتَمِيلُ قُلُوبَ قَوْمٍ آخَرِينَ ثُمَّ يَسِيرُ بِهِمْ إِلَيْكُمْ فَيُخْرِجُكُمْ

اللَّهُ أَيُّ مَنْ رَزَقَ اللَّهُ وَالرَّيْحَانَ فِي اللِّغَةِ الرَّزْقُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) يَعْنِي مَنْ أَدَّى الْأَمَانَةَ وَلَمْ يَخُنْ وَفِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ سَعَادَةَ الْآخِرَةِ وَهُوَ ثَوَابُ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَهُوَ الْمَالُ وَالْوَالِدُ وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ان تَتَّقُوا اللَّهَ) يَعْنِي بِطَاعَتِهِ وَتَرْكِ مَعَاصِيهِ (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) يَعْنِي يَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا وَتُوفِيقًا فِي قُلُوبِكُمْ تَفْرُقُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْفَرْقَانُ أَصْلُهُ الْفَرْقُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ لَكِنَّهُ أَبْلَغُ مِنْ أَصْلِهِ لِأَنَّهُ يَسْتَعْمَلُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْحُجَّةَ وَالشَّهَادَةَ قَالَ مُجَاهِدٌ يَجْعَلْ لَكُمْ مَخْرَجًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَقَالَ مُقَاتِلٌ مَخْرَجًا فِي الدِّينِ مِنَ الشَّهَاتِ وَقَالَ عِكْرَمَةُ نَجَاةٌ أَيُّ يَفْرُقُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَا تَخَافُونَ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ اسْحَقَ فَصَلَّيْنَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ يَظْهَرُ اللَّهُ بِهِ حَقُّكُمْ وَيُطْفِئُ بَاطِلًا مِنْ خَالِفِكُمْ وَقِيلَ يَفْرُقُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْكُفْرِ بِأَنْ يَظْهَرَ دِينَكُمْ وَيُعْلِمَهُ وَيُبْطِلُ الْكُفْرَ وَيُوهِنُهُ (وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) يَعْنِي وَيَمْحُ عَنْكُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) يَعْنِي وَيَسْتُرْ عَلَيْكُمْ بِأَنْ لَا يَفْضَحْكُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ بِكُمْ فَلَهُ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى غَيْرِكُمْ مِنْ خَلْقِهِ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَانْهَذَا وَعَدِ بِشَيْءٍ فِيهِ بِهِ قِيلَ أَنَّهُ يَتَّفَضَّلُ عَلَى الطَّائِعِينَ بِقَبُولِ الطَّاعَاتِ وَيَتَّفَضَّلُ عَلَى الْعَاصِينَ بِغَفْرِ السَّيِّئَاتِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنْ يَبْدُو الْفَضْلَ الْعَظِيمَ فَلَا يَطْلُبُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا) لِمَا ذَكَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَإِذْ كَرِهْتُمْ لِقَائَهُمْ وَإِذْ كَرِهْتُمْ لِقَائَهُمْ وَهَذِهِ الْوَاقِعَةُ كَانَتْ بِمَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يَهْجُرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالْمَعْنَى وَإِذْ كَرِهْتُمْ لِقَائَهُمْ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَانَ هَذَا الْمَكْرَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ النَّفْسِ يَرْتَمُونَ جَمِيعًا أَنْ قَرِيشًا فَرَقُوا لِمَا أَسَامَتِ الْأَنْصَارَ أَنْ يَتَّفِقُوا فِي أَمْرِهِمْ فَاجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ لِيَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِمْ فَوَدَّخَلَّ عَلَيْهِمْ ابْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ وَقَالَ أَنَا شَيْخٌ مِنْ نَجْدٍ دَخَلْتُ مَكَّةَ فَسَمِعْتُ بِاجْتِمَاعِكُمْ فَارَدْتُ أَنْ أَحْضُرَكُمْ وَإِنْ تَعَدَمُوا مَنِي رَأَيْتُمْ أَنَا وَنَصَحْتُ فَقَالَ أَبُو الْبَحْثَرِيِّ رَأَيْتُمْ أَنَا أَنْ تَحْبَسُوهُ فِي بَيْتٍ وَتَسُدُّوا وَثَاقَهُ وَتَسُدُّوا بَابَهُ غَيْرَ كَوْنٍ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَتَرَبُّوهُ رَيْبَ الْمَنُونِ فَقَالَ ابْلِيسُ بِشَسِ الرَّأْيِ يَأْتِيكُمْ مِنْ يَمَانِكُمْ مِنْ قَوْمِهِ وَنَخْلَصَهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ فَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو رَأَيْتُمْ أَنَا أَنْ تَحْبَسُوهُ عَلَى بَعِيرٍ وَتَخْرُجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ فَلَا يُضْرِكُمْ مَا صَنَعُوا وَإِنْ وَقَعَ إِذَا غَابَ عَنْكُمْ وَاسْتَرْحَمْتُمْ مِنْهُ فَقَالَ ابْلِيسُ اللَّعِينُ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيِ تَعْمَدُونَ إِلَى رَجُلٍ قَدْ أَفْسَدَ أَحْلَامَكُمْ فَتَخْرُجُونَهُ إِلَى غَيْرِكُمْ فِيهِمْ سُدَّهُمْ أَلَمْ تَرَوْا إِلَى حَلَاوَةِ مَنْطِقِهِ وَطَلَاقَةِ لِسَانِهِ وَأَخْذِ الْقُلُوبِ بِمَا تَسْمَعُ مِنْ حَدِيثِهِ وَاللَّهُ لَأَنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ يَذْهَبُ وَيَسْتَمِيلُ قُلُوبَ قَوْمٍ آخَرِينَ ثُمَّ يَسِيرُ بِهِمْ إِلَيْكُمْ فَيُخْرِجُكُمْ

وَتَخْرُجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ فَلَا يُضْرِكُمْ مَا صَنَعُوا وَاسْتَرْحَمْتُمْ فَقَالَ ابْلِيسُ بِشَسِ الرَّأْيِ يَأْتِيكُمْ مِنْ يَمَانِكُمْ مِنْ قَوْمِهِ وَنَخْلَصَهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ فَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو رَأَيْتُمْ أَنَا أَنْ تَحْبَسُوهُ عَلَى بَعِيرٍ وَتَخْرُجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ فَلَا يُضْرِكُمْ مَا صَنَعُوا وَإِنْ وَقَعَ إِذَا غَابَ عَنْكُمْ وَاسْتَرْحَمْتُمْ مِنْهُ فَقَالَ ابْلِيسُ اللَّعِينُ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيِ تَعْمَدُونَ إِلَى رَجُلٍ قَدْ أَفْسَدَ أَحْلَامَكُمْ فَتَخْرُجُونَهُ إِلَى غَيْرِكُمْ فِيهِمْ سُدَّهُمْ أَلَمْ تَرَوْا إِلَى حَلَاوَةِ مَنْطِقِهِ وَطَلَاقَةِ لِسَانِهِ وَأَخْذِ الْقُلُوبِ بِمَا تَسْمَعُ مِنْ حَدِيثِهِ وَاللَّهُ لَأَنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ يَذْهَبُ وَيَسْتَمِيلُ قُلُوبَ قَوْمٍ آخَرِينَ ثُمَّ يَسِيرُ بِهِمْ إِلَيْكُمْ فَيُخْرِجُكُمْ

الله سعيهم واقتصوا أثره  
 فابطل الله مكرهم (ليبتوك)  
 ليحبسوك ويوتقوك (أو  
 يقتلوك) بسيفوفهم (أو  
 يخرجوك) من مكة  
 (ويمكرون) ويخفون المكابد  
 له (ويمكر الله) ويخفي الله  
 ما عدلهم حتى ياتيهم بغتة  
 (والله خير الماكرين)  
 أي مكره أنفذ من مكر  
 غيره وأبلغ تأثيرا كان  
 عليه السلام يقرأ القرآن  
 ويذكر أخبار القرون  
 الماضية في قراءته فقال  
 النضر بن الحرث لو شئت  
 لقلت مثل هذا وهو الذي  
 جاء من بلاد فارس بنسخة  
 حديث رستم وأحاديث  
 العجم فزل (وإذا تتلى  
 عليهم آياتنا) أي القرآن  
 (قالوا قد سمعنا لولنا لقلنا  
 مثل هذا ان هذا الأساطير  
 الاولين) وهذا صلف منهم  
 ووقاحة لانهم دعوا الى أن  
 ياتوا بسورة واحدة من  
 مثل هذا القرآن فلم ياتوا به  
 (وإذا قالوا اللهم ان كان  
 هذا) أي القرآن (هو  
 الحق من عندك) هذا اسم  
 كان وهو فصل والحق خبر  
 كان روي ان النضر لما قال  
 ان هذا الأساطير الاولين  
 قال له النبي عليه السلام  
 ويحك هذا كلام الله فرفع  
 النضر رأسه الى السماء  
 وقال ان كان هذا هو الحق  
 من عندك (فامطر علينا

من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال أبو جهل والله لا شيرن عليكم برأي ما أرى غيره اني أرى ان  
 تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسطا فتيا ثم تعطى كل فتى سيفا صارما ثم يضربوه جميعا ضربة  
 رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحى من بني هاشم يقوون على حرب قريش  
 كاهوا وانهم اذا أرادوا ذلك قالوا العقل فتوذي قريش ديته فقال ابليس الاعين صدق هذا الفتى هو أجدكم  
 رأيا والقول ما قال لأرى غيره فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجتمعون عليه فأتى جبريل صلى الله عليه  
 وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأذن الله عز  
 وجل له عند ذلك بالخروج الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب أن يبيت في  
 مضجعه وقال له انشح يردني فانه لن يخاص اليك منهم أمر تكراهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فاخذ قبضة من تراب وأخذ الله عز وجل أبصارهم عنه فخرج وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ انا  
 جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من نور هو وأبو بكر وخلف عليا بمكة حتى  
 يؤدي عنه الودائع التي قبلها وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وأمانته قالوا بات المشركون يحرسون عليا  
 وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا اناروا اليه  
 ليقتلوه فأراه عليا فقيل له أين صاحبك قال لا أدري فاقتفوا أثره وأرسلوا في طلبه فلم يبلغوا الغار وأعلى  
 بابه نسج العنكبوت فقالوا الود دخله لم يكن لنسج العنكبوت على بابه أثر فكثرت في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة  
 فذلك قوله سبحانه وتعالى واذ يكر بك الذين كفروا وأصل المكر احتيال في خفية (ليبتوك) أي ليحبسوك  
 ويوتقوك لان كل من شد شيئا وأوثقه فقد أثبتته لانه لا يقدر على الحركة (أو يقتلوك) يعني كما أشار اليهم أبو  
 جهل (أو يخرجوك) يعني من مكة (ويمكرون) يعني ويحتالون ويبدرون في أمرك (ويمكر الله) يعني ويجازيهم  
 الله جزاء مكرهم فسمى الجزاء مكر الاله في مقابله وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو التدبير  
 وهو من الله تعالى التدبير بالحق والمعنى أنهم احتالوا في ابطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى  
 أظهره وقواه ونصره فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره (والله خير الماكرين) فان قلت كيف  
 قال الله سبحانه وتعالى والله خير الماكرين ولا خير في مكرهم قلت يحتمل أن يكون المراد والله أقوى الماكرين  
 فوضع خير موضع أقوى وفيه تشبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل أن يكون المراد ان مكرهم  
 فيه خير بزعمهم فقال سبحانه وتعالى في مقابله والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله  
 خير مطلقا ﴿قوله عز وجل﴾ (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لولنا لقلنا مثل هذا) نزلت في النضر بن  
 الحرث بن علقمة من بني عبد الدار وذلك انه كان يختلف الى أرض فارس والحيرة ويسمع أخبارهم عن رستم  
 واسفنديار وأحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤن التوراة والانجيل  
 ويركعون ويسجدون ويكفون فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد أوحى اليه وهو يقرأ ويصلي  
 فقال النضر بن الحرث قد سمعنا يعني مثل هذا الذي جاء به محمد لولنا لقلنا مثل هذا فقدمهم الله بدفعهم الحق  
 الذي لا شبهة فيه بادعائهم الباطل بقولهم لولنا لقلنا مثل هذا بعد التحدى وأبان عجزهم عن ذلك ولو قدروا  
 ما تخلفوا عنه وهم أهل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لولنا لقلنا مثل هذا (ان  
 هذا الأساطير الاولين) يعني أخبار الماضين ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وإذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق  
 من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) نزلت في النضر بن الحرث أيضا قال ابن عباس  
 لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية قال النضر بن الحرث لو شئت لقلت مثل هذا فقال  
 له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمد صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وأنا أقول الحق قال فان محمد صلى  
 الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله قال وأنا أقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان



بنوع آخر من جنس العذاب الايم فقتل يوم بدر صبرا وعن معاوية انه قال لرجل من سب ما جهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهد من قومي قومك قالوا الرسول الله عليه السلام حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولم يقلوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) اللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين أظهرهم غير مستقيم لانك بعثت رحمة للعالمين وسنته ان لا يعذب قوما عذاب استئصال مادام نبينهم بين أظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) هو في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفرون من الكفر لما عذبهم أو معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفرون وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين

كان هذا هو الحق يعني القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني ان كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من أمر التوحيد وادعاء النبوة وغير ذلك هو الحق أمطر علينا حجارة من السماء يعني كما أمطرتها على قوم لوط أو اتنا بعذاب أليم يعني مثل ما عذبت به الامم الماضية وفي النضر بن الحرث نزل سأل سائل بعذاب واقع قال عطاء لقد نزل في النضر بن الحرث بضع عشرة آية فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قريش صبراط عيمة بن عدى وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث وروى أنس بن مالك ان الذي قال ذلك أبو جهل (ق) عن أنس قال قال أبو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الآية فلما أخرجوه نزلت وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴿ قوله عز وجل (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) اختلفوا في معنى هذه الآية فقال محمد بن اسحق هذه الآية المتصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك أنهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفرو ولا يعذب أمة ونبينا معهما فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكركم جهالتهم وغررتهم واستفتاحهم على انفسهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ثم قال تعالى رد اعليهم وما لهم ألا يعذبهم الله وان كنت بين أظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال آخرون هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجاعة تاويلها وما كان الله ليعذبهم وانت يا محمد مقيم فيهم بين أظهرهم قالوا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقيت بقية من المسلمين يستغفرون فانزل الله عز وجل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج أولئك المسلمون من بين أظهر الكافرين أذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين آمنوا معه ويلحق بحيث أمر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله لهم وما لهم ألا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك أنهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك غفرانك وقال زيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدي معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أي لو استغفروا ولو كنتم لم يكونوا مستغفرين ولو أقرروا بالذنب واستغفروا والله لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعاء لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبد لا أعاقبك وانت تطيعني أي أطعني حتى لا أعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون أي يسمون يعني لو أساموا الماعذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية أنه يؤمن ويستغفر مثل أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن خزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون أي وفي اصلاهم من يستغفر وقيل في معنى الآية ان الكفار لما بالغوا وقالوا ان كان محمد محق في قوله فامطر علينا حجارة من السماء اخبر الله سبحانه وتعالى ان محمد الحق في قوله وانه مع ذلك لا يمطر على أعدائه ومنكري نبوته حجارة من السماء مادام بين أظهرهم وذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه اذا كانت اقامته مانعة من نزول العذاب بهم فكيف قال في غير هذه الآية قائلوهم يعذبهم الله بايدكم فالجواب ان المراد من العذاب الاول هو عذاب الاستئصال والمراد من العذاب الثاني وهو قوله سبحانه وتعالى يعذبهم الله بايدكم هو عذاب القتل والسبي والاسر وذلك دون عذاب الاستئصال قال أهل المعاني دات هذه الآية على أن الاستغفار أمان وسلامة من العذاب عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول

(وما لهم إلا يعذبهم الله) أي وما كان الله يعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم إلا يعذبهم الله (وهم يصدون عن المسجد الحرام) وكيف لا يعذبون وحالمهم أنهم (١٩٤) يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وأخراجهم رسول

الله والؤمنين من الصد  
وكانوا يقولون نحن ولادة  
البيت والحرم فصد من نشاء  
وتدخل من نشاء فقييل  
(وما كانوا أولياءه) وما  
استحقوا مع أشرا كههم  
وعداوتهم للدين أن  
يكونوا ولاية أمر الحرم  
(ان أولياءه الالمتقون)  
من المسلمين وقيل الضميران  
راجعان الى الله (ولكن  
أكثرهم لا يعلمون)  
ذلك كأنه استثنى من كان  
يعلم وهو يعاند أو أراد  
بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة  
العدم وما كان صلاتهم  
عند البيت الامكاء صغيرا  
كصوت المكاء وهو طائر  
مليح الصوت وهو فعال  
من مكاء كوا إذا صفر  
(وتصدية) وتصفيقا تفعلة  
من الصدى وذلك أنهم  
كانوا يطوفون بالبيت  
عراة وهم مشبكون بين  
أصابعهم يصفرون فيها  
ويصفقون وكانوا يفعلون  
نحو ذلك إذا قرأ رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في  
صلاته يخاطون عليه  
(فدوقوا العذاب) عذاب  
القتل والاسر يوم بدر  
(بما كنتم تكفرون)  
بسبب كفركم ونزل في  
المطعمين يوم بدر وكانوا

الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل على أمانيين لامتى وما كان الله يعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة أخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى (وما لهم إلا يعذبهم الله) يعني أي شئ يمنعهم من أن يعذبهم يعني بعد خروجك من بين أظهرهم لانه سبحانه وتعالى بين في الآية الاولى أنه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم بين أظهرهم وبين في هذه الآية أنه معذبهم ثم اختلفوا في هذا العذاب فقيل هو اقتل والاسر يوم بدر وقيل أراد به عذاب الآخرة وقيل أراد بالعذاب الاول عذاب الاستئصال وأراد بالعذاب الثاني العذاب بالسيف وقيل أراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الآخرة وقال الحسن الآية الاولى وهي قوله تعالى وما كان الله يعذبهم منسوخة بقوله وما لهم إلا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم فقال تعالى (وهم يصدون عن المسجد الحرام) يعني وهم يمنعون المؤمنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية (وما كانوا أولياءه) قال الحسن كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا أولياءه يعني ليسوا أولياء المسجد الحرام (ان أولياءه الالمتقون) يعني المؤمنين الذين يتقون الشرك (ولكن أكثرهم) يعني المشركين (لا يعلمون) ذلك قوله عز وجل (وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية) لما ذكر الله عز وجل ان الكفار ليسوا بأولياء للبيت الحرام ذكر عقبه السبب في ذلك وهو أن صلاتهم عنده كانت مكاء وتصدية والمكاء في اللغة الصغير يقال مكأ الطير بمكأ إذا صفر والمكاء اسم طير أبيض يكون بالحجاز له صغير وقيل هو طائر يألف للريف سمي بذلك لكثرة مكائه يعني صغيره والتصدية التصفيق وفي أصله واشتقاقه قولان أحدهما أنه من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل كالجبب للمتكلم ولا يرجع الى شئ الثاني قال أبو عبيدة أصله تصددة فابدات الياء من الدال قال الازهرى والمكاء والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله سبحانه وتعالى أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التي أمروا بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت \* صلاتهم التصدى والمكاء \* قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهنؤون به ويدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون فالمكاء جعل الاصابع في الشدق والتصدية الصغير وقال جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الامكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفرًا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قام رجلا ن عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخاطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلته وهم من بني عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع أذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس أصح لان الله سبحانه وتعالى سمي ذلك صلاة فان قلت كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة قلت أنهم يعتقدون ذلك المكاء والتصدية صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه آخر وهو أن من كان المكاء والتصدية صلته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبيرة التصدية صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد وهو النع وقوله سبحانه وتعالى (فدوقوا العذاب) يعني عذاب القتل والاسر في الدنيا وقيل يقال لهم في الآخرة فدوقوا العذاب (بما كنتم تكفرون) يعني بسبب كفركم في الدنيا قوله سبحانه وتعالى (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عبادة الكفار البدنية وهي المكاء والتصدية ذكر عقبها عبادتهم المالية التي

اثنى عشر رجلا وكاهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزور

(ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) أي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبيل الله

وتنقلب حسرة (ثم يغلبون) آخر الامر وهو من دلائل النبوة لانه اخبر عنه قبل وقوعه فكان كما اخبر (والذين كفروا) والكافرون منهم (الى جهنم يحشرون) لان منهم من أسلم وحسن اسلامه واللام في (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من الطيب) أي من الفريق الطيب من المؤمنين متعلقة بيحشرون ليميز حزة وعلى (ويجعل الخبيث) الفريق الخبيث (بعضه على بعض فيركه جميعا) فيجمعه (فيجعله في جهنم) أي الفريق الخبيث (اولئك) اشارة الى الفريق الخبيث (هم الخاسرون) أنفسهم وأموالهم (قل للذين كفروا) أي أبي سفيان وأصحابه (ان ينتهوا) عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام (يعفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وان يعودوا) لقتاله (فقد مضت سنت الاولين) بالاهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى أو معناه أن الكفار اذا انتهوا عن الكفر وأسلموا عفر لهم ما قد سلف من

لا جدوى لها في الآخرة وقال الكلبى ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبية ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن خزام وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزوا أسلم من هؤلاء العباس بن عبد المطلب عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن خزام وقال الحكم بن عتبة نزلت في أبي سفيان بن حرب حين أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية كل أوقية اثنان وأربعون مثقالا وقال ابن أزي استأجر أبو سفيان يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب وقيل استأجر يوم أحد ألفين من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما أصيب من أصيب من قريش يوم بدر ورجع أبو سفيان بعيره الى مكة مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش قد أصيب آباؤهم وأبناءؤهم وأخوانهم يوم بدر فكلوا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ففعلوا بما عسر قريش ان محمد اقد وتركه وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حرب به لعلنا ندرك منه نارا بمن أصيب منافقيهم نزلت ان الذين كفروا ينفون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله أي ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون أموالهم على أمثالهم من المشركين ليتقوا بهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (فسينفقونها) يعني أموالهم في ذلك الوجه (ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) يعني ما أنفقوا من أموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لان أموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يؤملون (والذين كفروا) يعني منهم لان فيهم من أسلم ولهذا قال والذين كفروا يعني من المنفقين أموالهم (الى جهنم يحشرون) يعني يساقون الى النار (ليميز الله الخبيث من الطيب) يعني ليفرق الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق المؤمنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال يميز أهل السعادة من أهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازى على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المؤمنين في سبيل الله (ويجعل الخبيث بعضه على بعض) يعني بعضه فوق بعض (فيركه جميعا) يعني فيجعله جميعا ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكم (فيجعله في جهنم) يعني الخبيث (أولئك) اشارة الى المنفقين في سبيل الشيطان أو الى الخبيث (هم الخاسرون) يعني أنهم خسروا الدنيا والآخرة لانهم اشتروا بأموالهم عقاب الآخرة قوله سبحانه وتعالى (قل) يعني قل يا محمد (للذين كفروا ان ينتهوا) يعني عن الشرك (يعفر لهم ما قد سلف) يعني ما قدم من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام (وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين) يعني في اهلاك أعدائه ونصر أوليائه ومعنى الآية ان هؤلاء الكفار ان انتهوا عن الكفر ودخلوا في دين الاسلام والتزموا شرائع غفر الله لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر وأصروا عليه فقد مضت سنة الاولين باهلاك أعدائه ونصر أنبيائه وأوليائه وأجمع العلماء على أن الاسلام يجب ما قبله واذا أسلم الكافر لم يلزمه شيء من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته أمه يعني بذلك أنه ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازي التوحيد لم يجز عن هدم ما قبله من كفر فارجو أن لا يجز عن هدم ما بعده من ذنب (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) قال ابن عباس يعني حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلاء ويكون الدين كله لله يعني تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا اله الا الله عليها فاقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم وإيها دعا وقال محمد بن اسحق في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة (ويكون الدين كله لله) يعني لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد

الكفر والمعاصي وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في أن المراد اذا أسلم يلزمه قضاء العبادات المتروكة (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الهان لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الدين كله لله) وبضم محل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده

لله خالص ليس فيه شرك ويخلع مادونه من الانداد والشركاء (فان اتهموا) يعني عن الشرك واقتان المؤمنين وايدائهم (فان الله بما يعملون بصير) يعني فان الله لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ونياتهم حتى يوصل اليهم ثوابهم (وان تولوا) يعني وان أعرضوا عن الايمان وأصروا على الكفر وعادوا الى قتال المؤمنين وايدائهم (فاعلموا) يعني أيها المؤمنون (ان الله مولاكم) يعني ان الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم (نعم المولى ونعم النصير) يعني ان الله سبحانه وتعالى هو نعم المولى فمن كان في حفظه ونصره وكفايته وكلايته فهو له نعم المولى ونعم النصير ﴿ قوله عز وجل (واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول) الغنم الفوز بالشيء يقال غنم غنم غنما فهو غانم واختلف العلماء هل الغنيمة والتي اسمان لمسمى واحداً أم يختلفان في التسمية فقال عطاء بن السائب الغنيمة ما ظهر المسامون عليه من أموال المشركين فاخذوه عنوة وأما الارض فهي في عوقال سفيان الثوري الغنيمة ما أصاب المسامون من مال الكفار عنوة بقتال وفيه الخمس وأربعة أخماسه لمن شهد الواقعة والتي عما صولحو عليه بغير قتال وليس فيه خمس فهو لمن سمي الله وقيل الغنيمة ما أخذ من أموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والتي عما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كالعشور والجزية وأموال الصلح والمهادنة وقيل ان التي والغنيمة معناهما واحد وهما اسمان لشيء واحد والصحيح أنهما يختلفان فالتي عما أخذ من أموال الكفار بغير ايجاب خيل ولا ركاب والغنيمة ما أخذ من أموالهم على سبيل القهر والغلبة بايجاب خيل عليه وركاب فذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية حكم الغنيمة فقال تعالى واعلموا ان ما غنمتم من شيء يعني من أي شيء كان حتى الخيط والمخيط فان لله خمسة وللرسول وقد ذكر أكثر المفسرين والفقهاء أن قوله الله افتتاح كلام على سبيل التبرك وانما أضافه لنفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه أن سهامه لله مفرد الان الدنيا والآخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء و ابراهيم النخعي قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد والغنيمة تقسم خمسة أخماس أربعة وأربعة أخماسها لمن قاتل عليها وأحرزها والخمس الباقى خمسة أصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال أبو العالية يقسم خمس الخمس على ستة أسهم سهم لله عز وجل فيصرف الى الكعبة والقول الاول أصح أي ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة أسهم سهم للرسول صلى الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعي وأحمد وروى الأعمش عن ابراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح وقال قتادة هو للخليفة وقال أبو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس فيقسم الخمس على الاربعه الاصناف المذكورين في الآية وهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ولذي القربى) يعني ان سهام من خمس الخمس لذوي القربى وهم أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعلي بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعي رحمه الله تعالى هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء وان كانوا اخوة ويدل عليه ما روى عن جبير بن مطعم قال جئت أنا وعثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقات يارسول الله اعطيت بني المطلب وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وفي رواية أعطيت بني المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئاً أخرجه البخاري وفي رواية أبي داود ان جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من الخمس في بني هاشم وبنو المطلب فقلت يارسول الله قسمت لآخواتنا بني المطلب ولم تعطنا شيئاً وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم

(فان اتهموا) عن الكفر وأسلموا (فان الله بما يعملون بصير) يبيهم على اسلامهم (وان تولوا) أعرضوا عن الايمان ولم ينتهوا (فاعلموا ان الله مولاكم) ناصركم ومعينكم فنقوا بولايته ونصرته (نعم المولى) لا يضيع من تولاه (ونعم النصير) لا يغلب مسن نصره والمخصوص بالمدح محذوف (واعلموا ان ما غنمتم) ما يعني الذي ولا يجوز أن يكتب الامفصولا اذ لو كتب موصولا لوجب أن تكون ما كافة وغنمتم صلته والعائد محذوف والتقدير الذي غنمتموه (من شيء) بيانه قيل حتى الخيط والمخيط (فان لله خمسة) والفاء انما دخلت لما في الذي من معنى المجازة وان وما عملت فيه في موضع رفع على أنه خبر مبني على تقديره فالحكم أن لله خمسة (والرسول ولذي القربى

و بنو المطلب شيء واحد وفي رواية النسائي قال لما كان يوم خيبر دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوى القربى في بني هاشم و بنى المطلب وترك بنى نوفل و بنى عبد شمس فانطلقت أنا و عثمان بن عفان حتى أتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لانكركم فضاهم للموضع الذى وضعك الله به منهم فما بال اخواننا بنى المطلب أعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا و بنو المطلب لانفترق في جاهلية و لا اسلام و انما نحن و هم شيء واحد و شبك بين أصابعه و اختلف أهل العلم في سهم ذوى القربى هل هو ثابت اليوم أم لا فذهب أكثرهم الى أنه ثابت فيعطى فقراؤهم و أغنياؤهم من خمس الخمس لذ كرمثل حظ الاثنيين و هو قول مالك و الشافعي و ذهب أبو حنيفة و أصحاب الرأي الى أنه غير ثابت قالوا سهم النبي صلى الله عليه وسلم و سهم ذوى القربى مردود في الخمس فيقسم خمس الغنيمة على ثلاثة أصناف اليتامى و المساكين و ابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوى القربى مع هذه الاصناف دون أغنياؤهم و حجة الجمهور ان الكتاب و السنة يدلان على ثبوت سهم ذوى القربى و كذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوى القربى و لا يفضلون فقيرا على غنى لان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله و كذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه و أحققه الشافعي بالمرث الذي يستحق باسم القرابة غير أنهم يعطون القريب و البعيد قال و يفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين و الانثى سهمًا و قوله سبحانه و تعالى (اليتامى) جمع يتيم يعنى و يعطى من خمس الخمس لليتامى و اليتيم الذى له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذى لأب له فيعطى مع الحاجة اليه (والمساكين) و هم أهل الفاقة و الحاجة من المسلمين (و ابن السبيل) و هو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنيمة و يقسم أربعة أخماسها الباقية بين الغائبين الذين شهدوا الواقعة و حازوا الغنيمة فيعطى للفارس ثلاثة أسهم سهم له و سهمان لفرسه و يعطى الرجل سهمًا واحدًا الماروى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل للفارس سهمين و للرجل سهمًا و في رواية نحوه باسقط لفظ النفل أخرجه البخارى و مسلم و في رواية أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم للرجل و لفرسه ثلاثة أسهم سهم ماله و سهمين لفرسه و هذا قول أكثر أهل العلم و اليه ذهب الثورى و الاوزاعى و مالك و ابن المبارك و الشافعي و احمد و اسحق و قال أبو حنيفة للفارس سهمان و للرجل سهم و يرضخ للبيد و النسوان و الصبيان اذا حضروا القتال و يقسم العقار الذى استولى عليه المسلمون كالمنقول و عند أبى حنيفة يتخير الامام فى العقار بين ان يقسمه بينهم و بين ان يجعله وقفًا على المصالح و ظاهر الآية يدل على انه لا فرق بين العقار و المنقول و من قتل من المسلمين مشركا فى القتال يستحق سلبه من رأس الغنيمة لما روى عن أبى قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلا له عليه بيعة فله سلبه أخرجه الترمذى و أخرجه البخارى و مسلم فى حديث طويل و السلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس و سلاح و الفرس الذى كان راكبه و يجوز للامام ان ينقل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء و بلاء يكون منهم فى الحرب ينحصر به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم أسوة الجماعة فى سائر الغنيمة (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل بعض من يبعث من سرايا لا نفسهم خاصة سوى عامة الجيش عن حبيب بن سامة الفهرى قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل الربع فى البداية و الثلث فى الرجعة أخرجه أبو داود و اختلف العلماء فى أن النفل من أين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو قول سعيد بن المسيب و به قال الشافعي و هذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر و برة من جنب بعير فقال أيها الناس انه لا يحل لى مما أفاء الله عليكم قدر هذه الا الخمس و الخمس مردود عليكم أخرجه النسائي و قال قوم هو من الاربعة الا خماس بعد افراز الخمس كسهام الغزاة و هو قول

و اليتامى و المساكين و ابن السبيل) فالخمس كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم على خمسة أسهم سهم لهم لرسول الله و سهم لذوى قرابته من بنى هاشم و بنى المطلب دون بنى عبد شمس و بنى نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة لقصة عثمان و جبير بن مطعم و ثلاثة أسهم لليتامى و المساكين و ابن السبيل و أما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته و كذلك سهم ذوى القربى و انما يعطون لفقراهم و لا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى و المساكين و ابن السبيل و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان على ستة لله و الرسول سهمًا و سهم لاقاربه فاجرى أبو بكر رضى الله عنه الخمس على ثلاثة و كذا عمرو بن بعده من الخلفاء رضى الله عنهم و معنى لله و الرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه

معطوف على بالله أي  
ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل  
(على عبدنا يوم الفرقان)  
يوم بدر (يوم التسيق  
الجمعان) الفريقان من  
المسلمين والكافرين  
والمراد ما أنزل عليه من  
الآيات والملائكة والفتح  
يومئذ وهو بدل من يوم  
الفرقان (والله على كل  
شيء قدير) يقدر على أن  
ينصر القليل على الكثير  
كما فعل بكم يوم بدر (اذ  
أنتم) بدل من يوم الفرقان  
والتقدير اذ كروا اذ  
أنتم (بالعدوة) شط الوادي  
وبالكسر فهما مكي وأبو  
عمرو (الدينا) القربى الى  
جهة المدينة تأنيث الادي  
(وهم بالعدوة القصوى)  
البعدي عن المدينة تأنيث  
الاقصى وكلتاهما فعلى من  
بنات الواو والقياس قلب  
الواوياء كالعليا تأنيث  
الاعلى وأما القصوى  
فكالقودى مجيئه على  
الاصل (والركب) أي العبر  
وهو جمع ركب في المعنى  
(أسفل منكم) نصب على  
الظرف أي مكانا أسفل  
من مكانكم يعني في أسفل  
الوادي بثلاثة أميال وهو  
مرفوع المحل لانه خبر  
المبتدأ (ولو تواعدتم) أنتم  
وأهل مكة وتواضعتم بينكم  
على مواعدتلقون فيه للقتال

أحمد واسحاق وذهب قوم الى أن النفل من رأس الغنيمة قبل التحميس كالسلب للقاتل وأما النبي وهو ما  
أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير إيجاب خيل ولا ركاب بان صالحهم على مال يؤدون به وكذلك الجزية  
وما أخذ من أموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة أو يموت أحد منهم في دار الاسلام ولا وارث له فهذا  
كله في مال النبي كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته وقال عمر ان الله سبحانه وتعالى قد  
خص رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا النبي بشيء لم يخص به أحد غيره ثم قرأ عمر وما أفاء الله على رسوله  
منهم الآية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وكان ينفق على اهله وعياله نفقة سنتهم من هذا  
المال ثم ما بقي يجعله يجعل مال الله في الكراع والسلاح واختلف أهل العلم في مصرف النبي بعد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للامة بعده وللإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه فيه قولان أحدهما انه  
للمقاتلة الذين أثبتت أسماؤهم في ديوان الجهاد لانهم القائمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم في ارباب العدو  
والقول الثاني انه لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف  
أهل العلم في تحميس النبي وقد ذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه الى أنه يخمس وخمسه لاهل الخس من  
الغنيمة على خمسة أسهم وأربعة أخماسه للمقاتلة والمصالح وذهب الاكثرون الى أنه لا يخمس بل يصرف  
جميعه مصرفا واحدا لجميع المسلمين فيه حق عن مالك بن أنس قال ذكر عمر يوم ما النبي فقال ما أنا أحق  
بهذا النبي منكم وما أحد منا أحق به من الآخر الا أنا على منازلنا من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله  
عليه وسلم الرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وحاجته أخرجه أبو داود وأخرج البغوي  
بسنده عنه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له في هذا النبي حق الا ما ملكت أيمانكم  
وقوله سبحانه وتعالى (ان كنتم آمنتم بالله) يعني واعلموا أيها المؤمنون ان خمس الغنيمة مصرف  
الى من ذكر في هذه الآية من الاصناف فاقطعوا عنه أطماعكم واقنعوا باربعة أخماس الغنيمة ان كنتم آمنتم  
بالله وصدقتم بوحدايته (وما أنزلنا على عبدنا) يعني وآمنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه  
اضافة تشرى وتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم والذي أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يستلونك عن  
الانفال الآية (يوم الفرقان) يعني يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم فرق الله عز وجل فيه بين  
الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) يعني جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول مشهد  
شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة  
أو سبع عشرة من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثمانمائة وبضعة عشر رجلا  
والمشركون ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأسرو منهم مثل ذلك  
(والله على كل شيء قدير) يعني على نصركم أيها المؤمنون مع قتلكم وكثرة أعدائكم قوله سبحانه وتعالى  
(اذ أنتم) أي اذ كروا نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين اذ أنتم (بالعدوة الدنيا) يعني بشفير الوادي  
الادي من المدينة والدنيا هنا تأنيث الادي (وهم) يعني المشركين (بالعدوة القصوى) يعني بشفير الوادي  
الاقصى من المدينة مما يلي مكة والقصوى تأنيث الاقصى (والركب أسفل منكم) يعني أباسفيان وأصحابه  
وهم عبر قريش التي خرجوا لاجلها وكانوا في موضع أسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة  
أميال من بدر (ولو تواعدتم) يعني أنتم والمشركون (لاختلفتم في الميعاد) وذلك ان المسلمين خرجوا  
ليأخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم أنتم  
والكفار على القتال لاختلفتم أنتم وهم لقتلكم وكثرة عدوكم (ولكن) يعني ولكن الله جمعكم على  
غير ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) يعني من نصر أوليائه وأعز دينه واهلك أعدائه وأعداء

(لاختلفتم في الميعاد) خالف بعضكم بعضا فنبطكم قتلتم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد ونبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول دينه  
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له (ولكن) جمع بينكم بلا ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا)

من اعزاز دينه واعلاء كلمته واللام تتعلق بمحذوف أي ليقضى الله أمرا كان ينبغي أن يفعل وهو نصر أولياءه وقهر أعدائه دبر ذلك قال الشيخ أبو منصور رحمه الله القضاء بمحمل الحكم أي ليحكم ما قد علم أنه يكون كائنا أوليت أمرا كان قد أراد وما أراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الاسلام وأهله وذل الكفر وخزبه ويتعلق بيقضى (إيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) حي نافع وأبو عمرو فالادغام لالتقاء المثامين والاظهار لان حركة الثاني غير لازمة لانك تقول في المستقبل يحيا والادغام أكثر استعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لاعتن مخالفة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان وقعة بدر من الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطها ولهذا ذكر فيها أمرا كثر الفر يقين وان العير كانت أسفل منهم مع أنهم قد علموا ذلك كله مشاهدة ليعلم الخلق أن النصر والغلبة لانكون بالكثره والاسباب بل بالله تعالى وذلك أن العدو القسوى التي أناخ

(١٩٩)

وكانت أرضا لأبأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يعيش فيها الا بتعب ومشقة وكان العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان ما كان (وان الله لسميع) لا قوا لهم (عليم) بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه (اذير يكهم الله) نصب باضمار اذ كرا وهو متعلق بقوله لسميع عليهم أي يعلم الصالح اذ يظلمهم في عينك (في منامك قليلا) أي في رؤياك وذلك ان الله تعالى أراه اياهم في رؤياه قليلا فاخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعا لهم على عدوهم (ولو أرا كهم كثير الفشلتم) نصب

دينه (إيهلك من هلك عن بينة) يعني لموت من مات عن بينة رآها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه (ويحيا من حي عن بينة) يعني ويعيش من عاش عن بينة رآها وعبرة شاهدتها وحجة قامت عليه وقال محمد بن اسحق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من آمن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هي الايمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بينة ويهتدي من اهتدى على بينة (وان الله لسميع عليم) يعني يسمع دعاءكم ويعلم نياتكم ولا تخفى عليه خافية قوله عز وجل (اذير يكهم الله) يعني واذا كر يا محمد نعمة الله عليك اذير يك المشركين (في منامك) يعني في نومك (قليلا) قال مجاهد أراه الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك وكان ذلك تثبيتا وقال محمد بن اسحق فكان ما أراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها على عدوهم فكف عنهم بها ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم وقيل لما أرى الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قر يش في منامه قليلا فاخبر بذلك أصحابه قالوا رؤى يا النبي صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجرأتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الاراة كانت في اليقظة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم (ولو أرا كهم كثير الفشلتم) يعني لجبنتم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو أرا كهم كثير اذ كرت ذلك لأصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم (ولتنازعتم في الامر) يعني اختلفتم في امر الاقدام عليهم أو الاجام عنهم وقيل معنى التنازع في الامر الاختلاف الذي تكون معه خصامة ومجادلة ومجازبة كل واحد الى ناحية والمعنى لا اضطرب أمركم واختلفت كلمتكم (ولكن الله سلم) يعني ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله سلمكم من الهزيمة والفشل (انه عليم بذات الصدور) يعني أنه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراءة والجبن والصبر والجزع وقال ابن عباس معناه أنه عليم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل (واذير يكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا) يعني ان الله سبحانه وتعالى قلل عدد المشركين في أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال ليتأكد في اليقظة ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وأخبر به أصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال أراهم سبعين قال أراهم مائة وكانوا ألفا (ويقللكم في أعينهم) حتى قال قائل منهم انما هم أكلة جزور قيل قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليحترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فبهتوا وبها وبها ووزان يبصروا الكثير قليلا بان يسترا الله بعضهم بسائر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال مالي لأرى هذين الديكين اربعة

الاقدام ولتنازعتم في الامر أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيهما من الجراءة والجبن والصبر والجزع (واذير يكموهم) الضمير ان مفعولان أي واذا يبصركم اياهم (اذ التقيتم) وقت اللقاء (في أعينكم قليلا) هو نصب على الحال وانما قللهم في أعينهم تصديقا لرؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعانيوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويشبوا وقال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة وكانوا ألفا (ويقللكم في أعينهم) حتى قال قائل منهم انما هم أكلة جزور قيل قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليحترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فبهتوا وبها وبها ووزان يبصروا الكثير قليلا بان يسترا الله بعضهم بسائر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال مالي لأرى هذين الديكين اربعة

آمنوا اذا لقيتم فئة) اذا  
 حاربتم جماعة من الكفار  
 وترك وصفها لان المؤمنين  
 ما كانوا يلقون الا الكفار  
 واللقاء اسم غالب للقتال  
 (فانبتوا) لقتالهم ولانفروا  
 (واذكروا الله كثيرا)  
 في مواطن الحرب  
 مستظهرين بذكره  
 مستنصرين به داعين له  
 على عدوكم اللهم اخذهم  
 اللهم اقطع دابرهم (اعلمكم  
 تفلحون) تظفرون بمرادكم  
 من النصر والثوبة وفيه  
 اشعار بان على العبد أن  
 لا يفترعن ذكره به أشغل  
 ما يكون قلبا وأكثر  
 ما يكون هما وان تكون  
 نفسه مجتمعة لذلك وان  
 كانت متوزعة عن غيره  
 (وأطيعوا الله ورسوله) في  
 الامر بالجهاد والثبات مع  
 العدو وغيرهما (ولانازعوا  
 فتفشلوا) فتجنبوا وهو  
 منصوب باضماران وبدل  
 عليه (وتذهب ربحكم)  
 أى دولتكم يقال هبت رياح  
 فلان اذا دالت له الدولة ونفذ  
 أمره شبت في نفوذ أمرها  
 وتمشيت بالريح وهبوا بها  
 وقيل لم يكن نصر قط الا  
 بريح يبعثها الله في الحديث  
 نصرت بالصبا وأهلك  
 عاد بالدبور (واصبروا) في  
 القتال مع العدو وغيره

ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل الآن اذ برز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى نستأصلهم انما  
 محمد وأصحابه أكلة جزور يعنى لقاتلهم في عينيه ثم قال فلا تقتلوهم واربطوهم في الحبال بقوله من القدرة التي  
 في نفسه والحكمة في تقليل المشركين في أعين المؤمنين تصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وتقوى بذلك  
 قلوب المؤمنين وتزداد جراتهم عليهم ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة في تقليل المؤمنين في أعين المشركين  
 لئلا يهربوا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتأهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور  
 المؤمنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت ذلك ممكن في القدرة الالهية فان الله  
 سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعجزة من خوارق العادات  
 فلا ينكر ذلك (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) يعنى أمرا كائنا من اعلاء كلمة الاسلام ونصرا أهله واذلال  
 كلمة الشرك وخذلان أهله فان قلت قد قال في الآية المتقدمة ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا وقال  
 في هذه الآية ليقضى الله أمرا كان مفعولا فاعنى هذا التكرار قلت المقصود من ذكره في الآية المتقدمة  
 ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه القهر والغلبة ليكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره في هذه الآية لانه تعالى قلل عدد الفر يقين في أعين بعضهم بعضا  
 للحكمة التي قضاها فلذلك قال ليقضى الله أمرا كان مفعولا (والى الله ترجع الامور) يعنى في الآخرة  
 فيجازى كل عامل على قدر عمله فالمحسن باحسانه والمسيء باسائه أو يغفر ﴿قوله تعالى﴾ (يا أيها الذين آمنوا  
 اذا لقيتم فئة) يعنى جماعة كافرة (فانبتوا) يعنى لقتالهم وهو أن يوطنوا أنفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا  
 يحدثوها بالتولى (واذكروا الله كثيرا) يعنى كونوا ذاكرين لله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم  
 وألسنتكم أمر الله عباده المؤمنين وأوليائه الصالحين بأن يذكروا في أشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو  
 وقتاله وفيه تنبيه على أن الانسان لا يجوز أن يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكروا  
 الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمعونة الله تعالى فامر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه النصر  
 على العدو عند اللقاء ثم قال تعالى (اعلمكم تفلحون) يعنى وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفر فان قلت  
 ظاهر الآية يوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم أنها نسخة لآية التحريف والتحيز قلت المراد من الثبات  
 هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجملة وآية التحريف والتحيز لا تنقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة بل  
 ربما كان الثبات لا يحصل الا بذلك التحريف والتحيز ثم قال تعالى مؤكدا لذلك (وأطيعوا الله ورسوله) يعنى  
 في أمر الجهاد والثبات عند لقاء العدو (ولانازعوا فتفشلوا) يعنى ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف  
 يوجب الفشل والضعف والجبن ﴿قوله تعالى﴾ (وتذهب ربحكم) يعنى قوتكم وقال مجاهد نصرتكم قال  
 وذهبت ربح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أحد وقال السدي جراتكم وجدكم وقال  
 مقاتل حدتكم وقال الاخفش وأبو عبيدة دولتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد تقول  
 العرب هبت ربح فلان اذا أقبل أمره على ما يريد وقال قتادة وابن زيد هي ربح النصر ولم يكن نصر قط الا  
 بريح يبعثها الله تعالى تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد  
 بالدبور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل من أول النهار آخر  
 القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر أخرجه أبو داود وقوله سبحانه وتعالى (واصبروا) يعنى  
 عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم (ان الله مع الصابرين) يعنى بالنصر والمعونة (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى  
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه التي لقي فيها العدو وانتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال ايها  
 الناس لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا قيمتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف  
 ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاخراب اهزمهم وانصرنا



ورثاء الناس) ها أهل مكة حين نفر والحياة العيرقاتهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت غيركم فأبى أبو جهل وقال حتى تقدم بدرنا ونشرب بها الخور وننحرجوا الجزور وتعزف علينا القيان ونظعم بها العرب فذلك (٢٠١) بترهم ورياؤها الناس باطعاهم

فوافوها فسقوا كؤوس  
المنايا مكان الخمر وناحت  
عليهم النوائح مكان القيان  
فنهاهم أن يكونوا مثلهم  
بطين طرين مرابين  
بأعمالهم وأن يكونوا من  
أهل التقوى والكآبة  
والخزن من خشية الله  
مخلصين أعمالهم لله والبطر  
ان تشغله كثرة النعمة عن  
شكرها (ويصدون عن  
سبيل الله) دين الله (والله  
بما يعملون محيط) وهو وعيد  
الشیطان أعمالهم وقال  
لا غالب لكم اليوم من  
الناس) واذا كراذرين  
لهم الشيطان أعمالهم  
التي عملوها في معاداة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
ووسوس اليهم انهم  
لا يغابون وغالب مبنى نحو  
لا رجل ولكم في موضع رفن  
خبر لا تقديره لا غالب كائن  
لكم (واني جار لكم) أي  
يحيركم وهمهم ان طاعة  
الشیطان مما يحيرهم  
(فلما نراة الفتان) فلما  
تلاقى الفريقان (نكص)  
الشیطان هاربا (على  
عقبه) أي رجوع القهقري  
(وقال اني بري منكم) أي  
رجعت عما ضمنت لكم  
من الامان روي ان ابليس

عليهم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنوا لقاء العدو فاد القيتموهم فاصبروا  
﴿ قوله عز وجل (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا) يعني نغرا وأشرأوقيل البطر الطغيان  
في النعمة وذلك أن النعم إذا كثرت من الله تعالى على العبد فان صرفها في المفاخرة على الاقران وكأثر بها  
أبناء الزمان وأنفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة الله وابتغاء  
مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها (ورثاء الناس)  
الرياء اظهر الجليل ليراه الناس مع ابطان القبيح والفرق بين الرياء والتفاني ان التفاني اظهر الایمان مع  
ابطان الكفر والرياء اظهر الطاعة مع ابطان المعصية (ويصدون عن سبيل الله) يعني ويمنعون الناس  
عن الدخول في دين الله نزلت هذه الآية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر وهم نغروا وبني فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها ونغرها تنجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي  
وعدتني به قال ابن عباس ان أباسفيان لما رأى انه قد أحرز غيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا  
عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجحها الله فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدر او كان في بدر  
موسم من مواسم العرب يجتمع لهم مها سوق في كل عام قال فنقيم عليها ثلاثا ونحرج الجزور ونظعم الطعام  
ونسقى الخور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا أبدأ فامضوا زاد غيره قال فلما وافوا  
بدر استقوا كؤوس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله عباده المؤمنين أن  
يكونوا مثلهم والمعنى لا يكونن أمركم أيها المؤمنون رياء وسمعة ولا لالتماس ما عند الناس ولكن أخلصوا  
لله عز وجل النية وقاتلوا حسبة في نصر دينكم وموازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا  
غيره ﴿ وقوله تعالى (والله بما يعملون محيط) فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن  
علمه شيء لانه محيط بأعمال العباد كلها فيجازي المحسنين ويعاقب المسيئين ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واذرين  
لهم الشيطان أعمالهم) يعني اذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم اذ زين الشيطان يريد ابليس للمشركين  
أعمالهم الخبيثة (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم) قال بعضهم كان تز بينه وسوسة ألقاها  
في قلوبهم من غير أن يتحول في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقه بن  
مالك بن جعشم وكان تز بينه أن قريش لما أجمعت على المسير الى بدر ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن  
الحرث من الخروب فكاد ذلك أن يشفيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي  
وكان من أشرف بني كنانة فقال أنا جار لكم من أن ياتيكم من كنانة شيء تكروهونه نغروا سراعا وقال ابن  
عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين مع رايته في صورة رجل من رجال بني مدلج سراقه بن مالك  
ابن جعشم فقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل عليه السلام الى  
ابليس لعنه الله فلما رآه وكانت يده في بدر جل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال  
الرجل يا سراقه أنت زعم انك جار لنا فقال اني أرى ما لاترون اني أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى  
الملائكة وقوله اني جار لكم يعني يحيركم من كنانة (فلما نراة الفتان) أي التقى الجمعان رأى ابليس الملائكة  
قد نزلوا من السماء فعلم عدو الله ابليس أنه لا طاقة له بهم (نكص على عقبه وقال اني بري منكم) يعني رجوع  
القهقري وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال السكابي لما التقى الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة  
سراقه بن مالك بن جعشم وهو أخذ بيد الحرث بن هشام فكص عدو الله ابليس على عقبه فقال له الحرث

(٢٦ - (خازن) - ثاني) تمثل لهم في صورة سراقه بن مالك بن جعشم في جند من الشياطين مع راية فلما رأى الملائكة  
تنزل فكص فقال له الحرث بن هشام أنتخذ لنا في هذه الحالة فقال

والله ما شعرت بمسيركم حتى  
بلغتني هزيمةكم فلما أسلموا  
علموا أنه الشيطان (انى  
أخاف الله) أى عقوبته  
(والله شديد العقاب)  
اذكروا (اذيقوا  
المنافقون) بالمدينة (والذين  
في قلوبهم مرض) هو من  
صفة المنافقين أو أريد  
والذين هم على حرف ليسوا  
بنايتي الاقدام فى الاسلام  
(غرهؤلاء دينهم) يعنون  
ان المسلمين اغتروا بدينهم  
فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة  
عشر الى زهاء ألف ثم قال  
جوابهم (ومن يتوكل  
على الله) بكل اليه أمره  
(فان الله عزيز)  
غالب يسلط القليل الضعيف على  
الكثير القوى (حكيم)  
لا يسوى بين وليه وعدوه  
(ولو ترى) ولو عاينت  
وشاهدت لان لو ترد  
المضارع الى معنى الماضى  
كما ترد ان الماضى الى معنى  
الاستقبال (اذ) نصب على  
الظرف (يتوفى الذين  
كفروا) يقبض ارواحهم  
(الملائكة) فاعل  
(يضربون) حال منهم  
(وجوههم) اذا أقبلوا  
(وأدبارهم) ظهورهم  
وأستاههم اذا أدبروا أو  
وجوههم عند الاقدام  
وأدبارهم عند الانهزام

افرار من غير قتال وجعل يمسكه فدفع فى صدره وانطلق فانهمز الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس  
سرقة فبلغ ذلك سرقة فقال بلغنى أنكم تقولون انى هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمةكم  
فقالوا أما أتيتنا فى يوم كذا وكذا اخلف لهم فلما أسلموا علموا أن ذلك كان شيطانا قال الحسن فى قوله (انى  
أرى مالانرون) قال رأى ابليس جبريل عليه السلام معتجرا يريد بمشى بين يدي النبى صلى الله عليه وسلم وفى  
يده اللجام يقود الفرس ماركب وقال قتادة قال ابليس انى أرى مالانرون وصدق وقال انى أخاف الله وكذب  
ما به مخافة الله ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة فأوردهم وأسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن أطاعه اذا  
التقى الحق والباطل أسامهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف أن يهلك فيمن هلك وقيل خاف أن يأخذه جبريل  
فيعرف حاله فلا يطيعوه وقيل معناه (انى أخاف الله) أعلم صدق وعده لا ويا أنه لانه كان على ثقة من أمر ربه  
وقيل لما رأى الملائكة قد نزلت من السماء خاف أن تكون القيامة (والله شديد العقاب) قيل معناه انى  
أخاف الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل ثم كلامه عند قوله انى أخاف الله  
وقوله تعالى والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله سبحانه وتعالى والله شديد العقاب لمن خالف الله  
وكفر به عن طلحة بن عبيد الله بن كرز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما روى الشيطان يوم ما هو فيه  
أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغبظ منه فى يوم عرفة وما ذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب  
العظام الا ما رأى يوم بدر فانه قدر أى جبريل يزع الملائكة أخرجه مالك فى الموطأ قوله ولا أدحر هو بالدال  
والحاء المهملتين من الدحور وهو الابعاد والطر مع الاهانة وقوله يزع الملائكة أى يكفهم ويحبسهم لثلاث  
يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذى يتقدم ويتأخر فى الصف ليصلحه فان قلت كيف يقدر ابليس  
على أن يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا قلت ان الله عز وجل أعطاه  
قوة وأقدره على ذلك كما أعطى الملائكة قوة وأقدرهم على أن يتشكوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة  
لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (اذيقوا المنافقون) يعنى من أهل المدينة  
(والذين فى قلوبهم مرض) أى شك وارتباب وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقولوا بالاسلام فى  
قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما  
نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا (غرهؤلاء دينهم) يعنى ان هؤلاء نفر قليلون يقاتلون أضعافهم  
فقد غرهم دينهم الاسلام على ذلك وحلهم على قتل أنفسهم رجاء الثواب فى الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر  
وقال مجاهد ان فئة من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن  
زمية بن الاسود بن المطلب وعلى بن أمية بن خنف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة  
وهم على الارتباب فحبسهم ارتبابهم فلما ساروا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غرهؤلاء دينهم ثم  
قال تعالى (ومن يتوكل على الله) يعنى ومن يسلم أمره الى الله ويثق بفضله ويعول على احسانه (فان الله)  
حافظه وناصره لانه (عزيز) لا يغلبه شئ (حكيم) فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الى أوليائه والعقاب الى  
أعدائه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) يعنى ولو عاينت يا محمد وشاهدت اذ  
تقبض الملائكة أرواح الذين كفروا وعند الموت لرأيت أرواحهم ومنظرا فظيعا وعدا باشديدا يناههم فى  
ذلك الوقت (يضربون وجوههم وأدبارهم) اختلفوا فى وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب  
الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة  
تضرب وجوههم وأدبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا أقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت  
الملائكة وجوههم بالسيوف واذا أولوا أدبارهم ضربت الملائكة أدبارهم وقال ابن جرير يجر يدهما قبل من

(وذوقوا) ويقولون لهم ذوقوا معطوف على يضربون (عذاب الحريق) أي مقدمة عذاب النار وذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به أو يقال لهم يوم القيامة ذوقوا جواب لو محذوف أي لرأيت أمر افظيعا (ذلك بما قدمت أيديكم) أي كسبت وهو رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وأن الله) عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين بسبب كفرهم ومعاصيهم وبأن الله (ليس بظلام للعبيد) لأن تعذيب الكفار من العدل وقيل ظلام للتكثير (٢٠٣) لاجل العبيد أولني أنواع الظلم

الكافي (كذاب الكاف في آل فرعون) في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه أي داوموا عليه (والذين من قبلهم) من قبل قريش أو من قبل آل فرعون (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون (بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب) والمعنى جروا على عادتهم في الكذب فاجرى عليهم مثل ما فعل بهم في التعذيب (ذلك) العذاب أو الانتقام (بأن الله لم يك مغفيرا) نعمته أنعمها على قوم حتى يغير وأما بانفسهم) بسبب أن الله لم يصحح في حكمته أن يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال نعم لم يكن لآل فرعون ومشركي مكة حال مرضية فيفسروها إلى حال مسخوطة لكن لما تغيرت الحال المرضية إلى المسخوطة تغيرت الحال المسخوطة إلى الأسخط

أجسادهم وأدير يعني يضربون جميع أجسادهم (وذوقوا عذاب الحريق) يعني وتقول لهم الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محمية بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هـ ذاب يوم القيامة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق (ذلك) يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق (بما قدمت أيديكم) يعني إنما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر والمعاصي فإن قلت اليد ليست محلا للكفر وإنما محله القلب لأن الكفر اعتقاد والاعتقاد محله القلب وظاهر الآية يقتضي أن فاعل هذا الكفر هي اليد وذلك ممنوع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لأن اليد آلة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فاليد كناية عن القدرة وقوله تعالى (وإن الله ليس بظلام للعبيد) يعني أنه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا من خلقه إلا بجرم اجترمه لأنه لا يظلم أحدا من خلقه وإنما نفي الظلم عن نفسه مع أنه يعذب الكافر على كفره والمعاصي على عصيانه لأنه يتصرف في ملكه كيف شاء ومن كان كذلك استحال نسبة الظلم إليه فلا يتوهم متوهم أنه سبحانه وتعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه عليه ظالم فلماذا قال الله سبحانه وتعالى وإن الله ليس بظلام للعبيد لا بهم في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف يشاء وقوله تعالى (كذاب آل فرعون) يعني أن عادة هؤلاء الكفار في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم فجوزي هؤلاء بالقتل والأسير يوم بدر كما جوزي آل فرعون بالأغراق وأصل الدأب في اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب في كذا وكذا يدأب يوم عليه ويتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دأبا لأن الإنسان يداوم على عادته ويواظب عليها قال ابن عباس معناه إن آل فرعون أيقنوا أن موسى عليه السلام نبي من الله تعالى فكذبوه فكذلك هؤلاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فانزل الله بهم عقوبته كما أنزل بالآل فرعون (والذين من قبلهم) يعني من قبل آل فرعون (كفروا بآيات الله) يعني أن عادة الأمم السالفة هو كفرهم بآيات الله (فأخذهم الله بذنوبهم) يعني بسبب كفرهم وذنوبهم (إن الله قوي) يعني في أخذه وانتقامه من كفر به وكذب رسوله (شديد العقاب) يعني لمن كفر به وكذب رسوله (ذلك بأن الله لم يك مغفرا نعمته أنعمها على قوم حتى يغير وأما بانفسهم) يعني إن الله سبحانه وتعالى أنعم على أهل مكة بأن أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم فقبوا هذه النعمة بأن تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وغيروا ما بانفسهم فسلبهم الله سبحانه وتعالى النعمة وأخذهم بالعقاب قال السدي نعمته الله هو محمد صلى الله عليه وسلم أنعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الله تعالى إلى الأنصار (وأن الله سميع) يعني لا قوال خلقه لا يخفى عليه شيء من كلامهم (عليهم) يعني بما في صدورهم من خير وشر فيجازي كل واحد على عمله (كذاب آل فرعون) يعني أن هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر وغيروا نعمته الله عليهم كصنيع آل فرعون (والذين من قبلهم) كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم) يعني أهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ فكذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف (وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين)

منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث إليهم بالآيات فكذبوه وسعوا في إراقة دمه غير واحاطم إلى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجاهم بالعذاب (وأن الله سميع) لما يقول مكذبوا الرسل (عليهم) بما يفعلون (كذاب آل فرعون) تكريرا للتأكيد ولأن في الأولى الأخذ بالذنوب بلا بيان ذلك وهناك بيان أن ذلك هو الأهلاك والاستئصال (والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم) وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وحقود الحق (فاهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون) بماه البحر (وكل) وكاهم من غرق القبط وقتلى قريش (كانوا ظالمين) أنفسهم بالكفر والمعاصي

يعني الاولين والآخرين فان قات ما الفائدة في تكرير هذه الآية مرة ثانية قلت فيها فوائد منها ان الكلام الثاني يجري مجرى لتفصيل للكلام الاول لان الآية الاولى لاولي فيها ذكر اخذهم وفي الآية الثانية ذكر اغراقهم فهذه تفسير للاولى الفائدة الثانية انه ذكر في الآية الاولى انهم كفروا بايات الله وفي الآية الثانية انهم كذبوا بايات ربهم ففي الآية الاولى اشارة الى انهم أنكروا آيات الله وحججوه وها في الآية الثانية اشارة الى انهم كذبوا بها مع حججهم لها وكفروا بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتأكيدي وفي قوله كذبوا بايات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وحججوا الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب ﴿قوله تعالى﴾ (ان شر الدواب عند الله) يعني في علمه وحكمه (الذين كفروا فهم لا يؤمنون) والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصرون على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الاشرف (الذين عاهدت منهم) قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وقيل هي للتبعيض لان المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤساء والاشراف ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بني قريظة ان لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد واعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم قالوا انسيناوا خطأ فاعاهدتهم الثانية فنقضوا العهد ايضا وقاتلوا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهم لا يتقون) يعني انهم لا يخافون الله في نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقن نقض العهد حتى يسكن الناس الى قوله ويتقون بكلامه فيبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد فهو من شر الدواب (فاما تتقنهم في الحرب) يعني فاما تجدن هؤلاء الذين نقضوا العهد وتظفرن بهم في الحرب (فشردهم من خلفهم) قال ابن عباس معناه فكمل بهم من وراءهم وقال سعيد بن جبيرة انذر بهم من خلفهم وأصل التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الآية انك اذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة واليمن (لعلمهم بذكرون) يعني لعل ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد (واما تخافن) يعني واما تعلمن يا محمد (من قوم) يعني معاهدين (خيانة) يعني نقض العهد بما يظهر لك منهم من آثار القدر كما ظهر من بني قريظة والنضير (فانبذ) أي فاطرح (اليهم) يعني عهدهم وارم به اليهم (على سواء) يعني على طريق ظاهر مستور يعني أعلمهم قبل حربك اياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهمون انك نقضت العهد ولا ينصب الحرب معهم (ان الله لا يحب الخائنين) يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حبيرو قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقترب حتى اذا انتفض العهد غزاهم فجاءه رجل على فرس أو برذون وهو يقول الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر فاذا هو عمرو بن عبسة فارس اليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده ولا يجلها حتى ينقض أمدها أو ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي عن سليم بن عامر نفسه بلا زيادة رجل من حبيرو عنده الله أكبر مرة واحدة وفيه جاء على دابة أو فرس وأما حكم الآية فقال أهل العلم اذا ظهرت آثار نقض العهد من هادنهم الامام من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتضح له من غير أمر مستفيض فينبذ يجب على الامام ان ينبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا بأسفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه فنهى يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب وأما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا

(الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أي أصروا على الكفر فلا يتوقع منهم الايمان (الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصرين الناكثون للعهود (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) في كل معاهدة (وهم لا يتقون) لا يخافون عاقبة الغدر ولا يباليون بما فيه من العار والنار (فاما تتقنهم في الحرب) فاما تصادقهم وتظفرن بهم (فشردهم من خلفهم) فغرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شرفقتة والذكية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحدا اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم. وقال الزجاج افعل بهم ما تفرق به جمعهم وتطرد به من عداهم (لعلمهم بذكرون) لعل المشركين من وراءهم يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نكتا بامارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطح اليهم العهد (على سواء) على استواء منك ومنهم في العلم بنقض العهد وهو حال من التابذ والتبؤذ اليهم

حاجة للإمام الى نبي العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرا الظهر ان وذلك على أربع فراسخ من مكة وقوله تعالى (ولا يحسبن) قرى بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا يحسبن يا محمد (الذين كفروا سبقوا) يعني فأتوا وانهم يوم بدر وقرى بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا يعني خاصوا من القتل والاسر يوم بدر (انهم لا يجزون) يعني انهم بهذا السبق لا يجزون الله من الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فاعلمه الله أنهم لا يجزونه ﴿قوله عز وجل (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الاعداد اتخذوا الشيء لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة أقوال أحمدها أنها جميع أنواع الاسلحة والآلات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم \* الثاني انها الحصون والمعقل الثالث الرمي وقد جاءت مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي ثلاثا أخرجه مسلم (خ) عن أبي أسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا القرى اذ اذ كذبوكم يعني غشوكم وفي رواية أكثر وكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية اذا كذبوكم فعليكم بالنبل (م) عن عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يجزأ أحدكم ان يلهو باسهمه (م) عن فقيم اللخمي قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وأنت شيخ كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه قال قلت وما ذلك قال سمعته يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا وقد عصى عن أبي نجیح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة في الجنة فبلغت يومئذ عشرة أسهم قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر وأخرجه النسائي والترمذي بمعناه وعندده قال عدل رقبة محررة وأخرجه أبو داود أيضا عن عقبة بن عامر بمعناه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل ليدخلن بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه محتسب في عمله الخبير والرامي به والممد به وفي رواية ومنبله فارموا واركبوا وان ترموا أحب الى من أن تركبوا كل طهو باطل ليس من اللهو محمود الا ثلاثة ناديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ورميه بقوسه أي نبله فانهم من الحق ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها وكفرها أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي مختصرا الى نبله (خ) عن سلمة بن الأكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضون بالقوس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسمعيل فان أباكم كان راميا رموا وأنا مع بني فلان فامسك أحد الفريقين بأيديهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي وأنت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا وأنا معكم كلكم \* القول الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو فكل ما هو آلة يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوة المأمور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي لا ينبغي كون غير الرمي من القوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله الندم توبة فهذا لا ينبغي اعتبار غيره بل يدل على ان هذا المذكور من أفضل المقصود وأجله فكذا ههنا يحمل معنى الآبة على الاستعداد للقتال في الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الآلات كالرمي بالنبل والنبش والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك مأمور به الا انه من فروض الكفاية ﴿وقوله تعالى (ومن رباط الخيل) يعني اقتناءها وربطها للغزو في سبيل الله والربط شد الفرس وغيره بالمكان للحفظ وسمى المكان الذي يخص باقامة حفظه فيه رباطا والمرابطة اقامة المسامين بالغور للحراسة فيها وربط الخيل للجهاد من أعظم ما يستعان به روى ان

و بالتاء وكسر السين غيرهم (الذين كفروا سبقوا) فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم (انهم لا يجزون) انهم لا يفوتون ولا يجدون طالهم عاجزا عن ادراكهم أنهم شامى أى لانهم وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل غير ان المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح فن قرأ بالتاء فالذين كفروا مفعول أول والثاني سبقوا ومن قرأ بالياء فالذين كفروا فاعل و سبقوا مفعول تقديره ان سبقوا حذف ان وان مخففة من الثقيلة أى انهم سبقوا قبدا مسددا للمفعولين أو يكون الفاعل مضمرا أى ولا يحسبن محمد الكافرين سابقين ومن ادعى تفرد حجة بالقرأة ففيه نظر لما ينما من عدم تفرد بها وعن الزهري انها نزات فيمن أفلت من فسل المشركين (وأعدوا) أيها المؤمنون (لهم) لنا قضى العهد أو لجميع الكفار (ما استطعتم من قوة) من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وفي الحديث الا ان القوة الرمي اقلها ثلاثا على المنبر وقيل هي الحصون (ومن رباط الخيل) هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله أو هو جمع رباط

رجال قال ابن سيرين ان فلانا وصي بثلاث ماله للحصون فقال ابن سيرين يشتري به الخيل ويربطها في سبيل  
الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعني الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل  
بالافنية للنسل وروى ان خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الاناث لقلة صهيلها وعن ابن  
محرز قال كانت الصحابة يستعجبون ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند الشنات والغارات وقيل  
ربط الفحول أولى من الاناث لانها أقوى على الكر والفر والعدو فكانت الماربة عليها أولى من الاناث  
وقيل ان لفظ الخيل عام فيتناول الفحول والاناث فاي ذلك ربطت به الغزاة كان في سبيل الله (ق) عن عروة  
ابن الجعد البارقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر  
والغنيمة (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة (خ)  
عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرساً في سبيل الله ايماناً بالله وتصديقاً بوعده  
فان شعبه ور به وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فاما الذي هي له أجر فرجل رباطها في سبيل  
الله زاد في رواية لاهل الاسلام فاطال لها في مرج أو روضة فاصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كان  
له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفاً وشرفين كانت له آثارها وأرواها حسنات ولو انها صرت  
بنهر فشربت منه ولم يردان يسقيها كان ذلك له حسنات فهي لذلك الرجل أجر ورجل رباطها تغنياً وتعففاً  
ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك الرجل ستر ورجل رباطها خراور ياء ونواء لاهل الاسلام  
فهي على ذلك وزر وستل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجرف قال ما أنزل على فيها شيء الا هذه الآية  
الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره الطيل الحبل الذي يشده به  
الفرس وقت الرعي والاستنان الجري والشرف الشوط الذي تجرى فيه الفرس وقوله تغنياً يعني استغناء  
بها عن الطلب لما في أيدي الناس أما حق ظهورها فهو أن يحمل عليها منقطعاً الى أهله وأما حق رقابها فقبيل  
أراد به الاحسان اليها وقيل أراد به الحمل عليها فعبء بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل الاسلام النواء المعادة  
يقال نأوت الرجل مناواة اذا عادته ﴿ وقوله تعالى (ترهبون به عدو الله وعدوكم) يعني تخوفون  
بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم يعني الكفار من أهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تحزنون به  
عدو الله وعدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون له مستكملون لجميع  
الاسلحة وآلات الحرب واعداد الخيل صر بوطه للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يهرب  
ذلك سبباً لدخول الكفار في الاسلام أو بذل الجزية للمسلمين ﴿ وقوله تعالى (وأخربن من دونهم) يعني  
وترهبون أخربن من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد هم بنو قريظة وقال السدي هم فارس وقال  
ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى (لا تعلمونهم) لانهم معكم يقولون بالسنتهم لا اله الا الله (الله يعلمهم)  
يعني انهم منافقون وأورد على هذا القول ان المنافقين لا يقاتلون لظاهرهم كلمة الاسلام فكيف يخوفون  
باعداد القوة ورباط الخيل وأجيب عن هذا الايراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلاتهم  
وأسلحتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان في ذلك اربابهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول  
الطبري قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك ان المؤمنين كانوا عاقلين بعد اوة قريظة وفارس لعلمهم بانهم  
مشركون ولانهم حارب للمؤمنين أما الجن فلا يعلمونهم الله يعلمهم يعني يعلم أحوالهم وأما كنهم دونكم  
ويعضد هذا القول ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان لا يخجل أحد في داره فرس  
عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجزري وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن صهيل الخيل يربح الجن  
﴿ وقوله سبحانه وتعالى (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله) قيل أراد به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو أمر

وميكال (ترهبون به) بما  
استطعتم (عدو الله  
وعدوكم) أي أهل مكة  
(وأخربن من دونهم)  
غيرهم وهم اليهود أو  
المنافقون أو أهل فارس أو  
كفرة الجن في الحديث ان  
الشيطان لا يقرب صاحب  
فرس ولا دار فيها فرس  
عتيق وروى ان صهيل  
الخيل يربح الجن (لا  
تعلمونهم) لا تعرفونهم  
بأعيانهم (الله يعلمهم وما  
تنفقوا من شيء في سبيل الله

عام في كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره (يوف اليكم) يعني أجره في الآخرة ويجعل لكم عوضه في الدنيا (وأتم لاتظلمون) يعني وأتم لاتنقصون من ثواب أعمالكم شيئا قوله تبارك وتعالى (وان جنحوا لا تظلموا) لما أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بأعداد القوة وما يرهب العدو أمرهم بعد ذلك أن يقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسألوه فقال تعالى وان جنحوا للسلم يعني مالوا الى السلم يعني الصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله تعالى فاجنح لها أي مل اليها يعني الى المصالحة روى عن الحسن وقتادة أن هذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تنضم من الامر بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان رأى الامام أن يصلح أعداءه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز أن يهادنهم سنة كاملة وان كانت القوة للمشركين جاز أن يهادنهم عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح أهل مكة مدة عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة وقوله تعالى (وتوكل على الله) يعني فوض أمرك الى الله فيما عداه مدته معهم ليكون عونك في جميع أحوالك (انه هو السميع) يعني لا قوا لهم (العليم) يعني باحوالهم وقوله عز وجل (وان يريدوا أن يخدعوك) يعني يغدروا بك قال مجاهد يعني يني قرينة والمعنى وان أرادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم (فان حسبك الله) يعني فان الله كافيك بنصره ومعوته (هو الذي أيدك بنصره) يعني هو الذي قواك وأعانك بنصره يوم بدر وفي سائر أيامك (وبالمؤمنين) يعني وأيدك بالمؤمنين يعني الانصار فان قلت اذا كان الله قد أيدته بنصره فاي حاجة الى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين قلت التأييد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون باسباب باطنة غير معلومة وباسباب ظاهرة معلومة فالذي يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذي أيدك بنصره لان أسبابه باطنة بغير وسائط معلومة وأما الذي يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان أسبابه ظاهرة بوسائط وهم المؤمنون والله سبحانه وتعالى هو مسبب الاسباب وهو الذي أقامهم لنصره ثم بين كيف أيدته بالمؤمنين فقال تعالى (وألف بين قلوبهم) لو أنفقت مافي الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) وذلك ان العرب كانت فيهم الحمية الشديدة والانفة العظيمة والانفس القوية والعصبية والانطواء على الضغينة من أدنى شيء حتى لو أن رجلا من قبيلة لطم لطمته واحدة قاتل عنه أهل قبيلته حتى يدركوا انارهم لا يكاد يأتلف منهم قلبان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وآمنوا به واتبعوه انقلبت تلك الحالة فاتلقت قلوبهم واستجمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وأبدلت تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفي الله وانفقوا على الطاعة وصاروا أنصارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعاونوا يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج وكانت بينهم في الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت المحبة والالفة وهذا مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فآغناكم الله بي وفي الآية دلائل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء وأراد ذلك لان تلك الالفة والمحبة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه سبحانه وتعالى ختم هذه الآية بقوله (انه عزيز حكيم) يعني أنه تعالى قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب وقوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبيرة أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت بالبصرة

جنح له واليه مال (للسلم) للصلح و بكسر السين أبو بكر وهو مؤث تأنيث ضدها وهو الحرب (فاجنح لها) فسل اليها (وتوكل على الله) ولا تخف من ابطانهم المكرفي جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم (انه هو السميع) لا قوا لك (العليم) باحوالك (وان يريدوا أن يخدعوك) يكرروا ويغدروا (فان حسبك الله) كافيك الله (هو الذي أيدك) قواك (بنصره وبالمؤمنين) جميعا وبالانصار (وألف بين قلوبهم) قلوب الاوس والخزرج بعد تعدادهم مائة وعشرين سنة (لو أنفقت مافي الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) أي بلغت عدوتهم مبلغا لو أنفق منفق في اصلاح ذات بينهم مافي الارض من الاموال لم يقدر عليه (ولكن الله ألف بينهم) بفضلهم ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته فاحدث بينهم التوادد والتحابب وأماط عنهم التباغض والتماقت (انه عزيز) يقهر من يخدعوك (حكيم) ينصر من يتبعوك (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك

أى كفاك الله وكفاك أتباعك من المؤمنين قيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت (يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال) (٢٠٨) التحريض المبالغة في الحث على الأمر من الحرص وهو أن ينهك المرض حتى يشرف على الموت

في غزوة بدر وقيل القتال على هذا القول أراد بقوله تعالى ومن اتبعك من المؤمنين يعني إلى غزوة بدر وقيل أراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار وتكون الآية نزلت بالمدينة وقيل أراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الآية يا أيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين قوله عز وجل (يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال) يعني حثهم على قتال عدوهم والتحريض في اللغة الحث على الشيء بكثرة التزير وتسهيل الخطب فيه كأنه في الأصل إزالة الحرص وهو الهلاك (ان يكن منكم عشرون) يعني رجلا (صابرون) يعني عند اللقاء محتسبين أنفسهم يغلبوا مائتين يعني من عدوهم وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الأمر فكانه تعالى قال ان يكن منكم عشرون فيصابروا وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على أن المراد بهذا الخبر الأمر قوله الآن خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الأمر فدل ذلك على أن الله سبحانه وتعالى أوجب أولا على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء (وان يكن منكم مائة) يعني صابرة (يغلبوا ألقام الذين كفروا) فخاله وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار ذلك (بانهم قوم لا يفقهون) يعني ان المشركين لا يقايلون لطلب ثواب وخوف عقاب انما يقايلون حية فاذا صدقتموهم في القتال فانهم لا يثبتون معكم (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله) (خ) عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم أن لا يفر واحد من عشرة ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الآية فكتب أن لا يفر مائة من مائتين وفي رواية أخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الآن خفف الله عنكم الآية فاما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله سبحانه وتعالى الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الآية الاولى وكان هذا الأمر يوم بدر فرض الله سبحانه وتعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقل ذلك على المؤمنين فنزلت الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون وعلم أن فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد للعشرة فان تكن منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فرد من العشرة إلى الاثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم أن يفر واقداما رجل فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر (والله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك قوله تعالى (ما كان لنبى أن تكون له أسرى) روى عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجىء بالأسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتقولون في هؤلاء فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأمن بهم لعل الله أن يتوب عليهم وخدمهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فدعهم نضرب أعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكن حزة من العباس فيضرب عنقه ومكنى من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثيرا الخطب فادخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نار فقال له العباس قطعت رجلك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ويشد قلوب رجال حتى تكون أشد

حتى يشرف على الموت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألقام الذين كفروا هذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا وغلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله وتأيدته (بانهم قوم لا يفقهون) بسبب ان الكفار قوم جهلة يقايلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهايم فيقتل ثباتهم ويهدمون لجهلهم - م بالله نصرته بخلاف من يقايل على بصيرة وهو رجو النصر من الله قيل كان عليهم - م أن لا يفر واو ثبت الواحد للعشرة ثم ثقل عليهم ذلك فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين بقوله (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) عاصم وحزرة (فان يكن منكم مائة صابرة) بالياء فيهما كوفي وافقه البصري في الاولى والمراد الضعف في البدن (يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) وتكرير مقاومة الجماعة لاكثرها مرتين قبل التخفيف وبعده

للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت اذا الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين والمائة من لاف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين (ما كان لنبى) ما صح له ولا استقام (أن تكون له أسرى) ان تكون بصرى



(حتى يشخن في الارض) الانحان كثرة القتل والمباغلة فيه من الشخانة وهي الغلظ والكثافة (٢٠٩) يعني حتى يذل الكفر باشاعة

القتل في أهله وبعز الاسلام بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل فاستشار النبي عليه السلام أبا بكر فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعن الله يتوب عليهم وخدمهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضي الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحزة من العباس ومكني من فلان لنسب له فلنضرب أعناقهم فقال عليه السلام مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم حيث قال ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر كمثل نوح حيث قال رب لا تذر علي الارض من الكافرين ديارا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ان شتم قتلتموهم وان شتم فادخموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد فلما أخذوا الفداء نزلت الآية (تر بدون عرض الدنيا) متاعها يعني الفداء سباه عرض القلة بقائه وسرعة فناءه (والله ير بد الآخرة)

من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر علي الارض من الكافرين ديارا ومثلك يا عبد الله بن رواحة كمثل موسى قال ربنا طمس علي أموالهم واشدد علي قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم أتم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الاسهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال فإرايتني في يوم أخوف أن تقع علي الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فاعد ان يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبأ كيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي علي أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة للشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل عليه ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يشخن في الارض الآية أخرج هذا الحديث الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوي وأخرج مسلم في أفراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما أسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الاسارى فقال أبو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم الي الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حزة من العباس فيضرب عنقه وتمكنتي من فلان نسب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديده فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبأ كيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي علي أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة للشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يشخن في الارض الى قوله فكأوا بما غنتم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم ذكره الجيديد في مسنده عن عمر بن الخطاب من أفراد مسلم بز يادة فيه أما تفسير الآية فقوله تعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى يعني ما كان ينبغي ولا يجب لنبي وقال أبو عبيدة معناه لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبي أن يجبس كافر اقدر عليه وصار في يده أسير للفداء والمن والاسرى جمع أسير وأسارى جمع الجمع (حتى يشخن في الارض) الانحان في كل شيء عبارة عن قوته وشده يقال انحنه المرض اذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبالغ في قتال المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك فله أن يقدم على الاسر فيأسر الاسارى (تر بدون عرض الدنيا) الخطاب لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني تر بدون أيها المؤمنون عرض الدنيا باخذكم الفداء من المشركين وانما سمي منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فانها دائمه لا انقطاع لها وقوله سبحانه وتعالى (والله ير بد الآخرة) يعني انه سبحانه وتعالى ير بدلكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لانها دائمه بلا زوال ولا انقطاع (والله عزيز) لا يقهر ولا يغلب (حكيم) يعني في تدبيره مصالح عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمؤمنون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه وتعالى في الاسارى فاما ما بعد

في عتاب الاولياء (لولا كتاب من الله) لولا حكم من الله (سبق) أن لا يعذب أحد على العمل بالاجتهاد وكان هذا الاجتهاد منهم لانهم نظر وا  
في ان استبقاهم ربما كان (٢١٠) سببا في اسلامهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد وخنق عليهم ان قتلهم أعز للاسلام

واما فداء جعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار ان شاؤا وقتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم وان شاؤا أعتقوهم قال الامام نضر الدين ان هذا الكلام يوهم ان قوله فاما من ابعد واما فداء يزيل حكم الآية التي نحن في تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتا الآيتين متوافقتان وكلتاها ما تدلان على أنه لا بد من تقديم الاثنان ثم بعده أخذ الفداء قال العلماء كان الفداء لكل أسير أربعين أوقية والاقية أربعون درهما فيكون مجموع ذلك ألفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل أسير أربعين ألف درهم **﴿فصل﴾** قد استدل بهذه الآية من يقدح في عصمة الانبياء وبيانه من وجوه الاول ان قوله ما كان لني أن تكون له أسرى صريح في النهي عن أخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فمالم يقتلوهم بل أسر وهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا يبكيان لاجل أخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان قوله سبحانه وتعالى ما كان لني أن تكون له أسرى حتى يشحن في الارض يدل على انه كان الاسر مشروعا ولكن بشرط الاثنان في الارض وقد حصل لان الصحابة رضی الله تعالى عنهم قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم وأسروا سبعين وليس من شرط الاثنان في الارض قتل جميع الناس فدللت الآية على جواز الاسر بعد الاثنان وقد حصل والجواب عن الوجه الثاني ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسامحة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت أن الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم فنقول لا نسلم ان أخذ الفداء كان محرما وما أقوله سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ففيه عتاب لطيف على أخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل على تحريم الفداء اذ لو كان حراما في علم الله لمنعه من أخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا يبكيان يحتمل أن يكون لاجل أن بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكي النبي صلى الله عليه وسلم خوفا وشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر وأخذ الفداء والله أعلم **﴿قوله عز وجل﴾** (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكانوا اذا أصابوا غنائم جعلوا للقر بان فكانت النار تنزل من السماء فتأكله فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في أخذ الغنائم والفداء فانزل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب أحد ممن شهد بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جرير لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هدهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا يأخذ قوما ففعلوا بجهالة لمسكم يعني لا صابكم بسبب ما أخذتم من الفداء قبل أن تؤمروا به عذاب عظيم قال محمد بن اسحق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر بدر الا وأحب الغنائم الا عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الاثنان في القتل أحب الي من استبقاه الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء ما نجمانه غير عمر وسعد بن معاذ **﴿قوله تعالى﴾** (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) يعني فقدأ حلت لكم الغنائم وأخذ الفداء فكلوا مما غنمتم حلالا

وأهيب لمن وراءهم أو ما كتب الله في اللوح أن لا يعذب أهل بدر أو كان لا يؤخذ قبل البيان والاعذار وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس كتاب مبتدأ ومن الله صفته أي لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة أخرى له وخبر المبتدأ محذوف أي لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود وسبق لا يجوز أن يكون خبرا لان لولا لا يظهر خبرها أبدا (لمسكم) لنا لكم وأصابكم (فيما أخذتم) من فداء الاسرى (عذاب عظيم) روى أن عمر رضی الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريظة منه وروى انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء ما نجمانه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثنان في

القتل أحب الي (فكلوا مما غنمتم) روى أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يدعوا أيديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء حلالا لانه من جملة الغنائم والفداء للتسيب والسبب محذوف ومعناه قد أحلت لكم الغنائم فكلوا (حلالا) مطلقا عن العتاب والعقاب من حل العقاب وهو نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكل حلالا (طيبا) لذبا هنيئا وحلالا بالشروع طيبا بالطبع

(واتقوا الله) فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه (ان الله غفور) لما فعلتم من قبل (رحيم) باحلال ما غنمتم (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) في ملكتكم كان أيديكم قابضة عليهم (من الاسرى) جمع أسير من (٢١١) الاسارى أبو عمر وجمع أسرى

(ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) خلوص ايمان وصحة نية (يؤتكم خيرا مما أخذتكم) من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يشيبكم في الآخرة (ويغفر لكم ما تقدمت عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قوله واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية) قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) نزلت في العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكانت نوبته يوم الواقعة ببدر فاراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيئا وبقيت العشرون أوقية معه فلما أسرا أخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أما شيء خرجت به لتسعين به علينا فلا أتركه لك وكلف فداء ابن أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تتركني أتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى الذهب الذي دفنته أم الفضل وقت خرجك من مكة وقات لها انى لأدرى ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقم يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال أخبرني به ربي قال العباس أشهد أنك صادق وأشهد أن لا اله الا الله وأنت عبده ورسوله لم يطلع عليه أحد الا الله وأمر ابن أخيه عقيل ونوفل بن الحرث فاسما فذلك قوله سبحانه وتعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم (من الاسرى) يعني الذين أسرتهم وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) يعني ايمانا وتصديقا (يؤتكم خيرا مما أخذتكم) يعني من الفداء (ويغفر لكم) يعني ما سلف منكم قبل الايمان (والله غفور) يعني لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) يعني باهل طاعته قال العباس فابداني الله خيرا مما أخذتني عشيرتي عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كبير أدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب ان لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أتظر المغفرة من ربي عز وجل وقوله تعالى (وان يريدوا) يعني الاسارى (خيانتك) يعني أن يكفروا بك (فقد خانوا الله) يعني فقد كفروا بالله (من قبل) وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك (فأمكن) يعني فأمكن الله المؤمنين (منهم) ببدر حتى قتلا منهم وأسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه يتمكن من كل احد يخونه أو ينقض عهده (والله اعلم) يعني بما في بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد (حكيم) يعني حكمه بأنه يجازي كلا بعمله الخير بالثواب والشكر بالعقاب) قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله) يعني ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني وهجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغاء رضوان الله وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني وبذلوا أنفسهم في سبيل الله يعني في طاعة الله وابتغاء رضوانه (والذين آووا ونصروا) يعني آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار (أولئك) يعني المهاجرين والانصار

حلالا طيبا روى انه لما نزلت الآية الاولى كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزلت فكوا وما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما على جميع الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم وذلك بان الله رأى ضعفنا وعجزنا فإلهنا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (واتقوا الله ان الله غفور رحيم) يعني وخافوا الله أن تعودوا وان تفعلوا شيئا من قبل أنفسكم قبل أن تؤمروا به واعملوا أن الله قد غفر لكم ما تقدمت عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قوله واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية) قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) نزلت في العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكانت نوبته يوم الواقعة ببدر فاراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيئا وبقيت العشرون أوقية معه فلما أسرا أخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أما شيء خرجت به لتسعين به علينا فلا أتركه لك وكلف فداء ابن أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تتركني أتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى الذهب الذي دفنته أم الفضل وقت خرجك من مكة وقات لها انى لأدرى ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقم يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال أخبرني به ربي قال العباس أشهد أنك صادق وأشهد أن لا اله الا الله وأنت عبده ورسوله لم يطلع عليه أحد الا الله وأمر ابن أخيه عقيل ونوفل بن الحرث فاسما فذلك قوله سبحانه وتعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم (من الاسرى) يعني الذين أسرتهم وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) يعني ايمانا وتصديقا (يؤتكم خيرا مما أخذتكم) يعني من الفداء (ويغفر لكم) يعني ما سلف منكم قبل الايمان (والله غفور) يعني لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) يعني باهل طاعته قال العباس فابداني الله خيرا مما أخذتني عشيرتي عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كبير أدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب ان لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أتظر المغفرة من ربي عز وجل وقوله تعالى (وان يريدوا) يعني الاسارى (خيانتك) يعني أن يكفروا بك (فقد خانوا الله) يعني فقد كفروا بالله (من قبل) وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك (فأمكن) يعني فأمكن الله المؤمنين (منهم) ببدر حتى قتلا منهم وأسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه يتمكن من كل احد يخونه أو ينقض عهده (والله اعلم) يعني بما في بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد (حكيم) يعني حكمه بأنه يجازي كلا بعمله الخير بالثواب والشكر بالعقاب) قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله) يعني ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني وهجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغاء رضوان الله وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني وبذلوا أنفسهم في سبيل الله يعني في طاعة الله وابتغاء رضوانه (والذين آووا ونصروا) يعني آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار (أولئك) يعني المهاجرين والانصار

وهاجروا) من مكة حبالة ورسوله (وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله) هم المهاجرون (والذين آووا ونصروا) اي آووه الى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الانصار (أولئك)

بعضهم أولياء بعض) أي يتولى بعضهم بعضاً في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوى القربايات حتى نسخ ذلك بقوله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل أراد به النصر والمعاونة (والذين آمنوا ولم يهاجروا) من مكة (مالكم من ولايتهم) من توليتهم في الميراث ولايتهم حزة وقيل هما واحد (من شئ حتى يهاجروا) فكان لا يرث المؤمن الذي لم يهاجر من آمن وهاجر ولما بقي للذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت

(بعضهم أولياء بعض) يعني في العون والنصر دون أقر بائهم من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة وكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون أقر بائهم وذوى ارحامهم وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قر يبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حينما كانوا فصار ذلك منسوخاً بقوله تعالى وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﷻ وقوله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا) يعني آمنوا وأقاموا بمكة (مالكم من ولايتهم من شئ) يعني من الميراث (حتى يهاجروا) يعني الى المدينة (وان استنصروكم في الدين) يعني ان استنصركم الذين آمنوا ولم يهاجروا (فعليكم النصر) يعني فعليكم نصرهم واعانتهم (الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد فلا تنصروهم عليهم (والله بما تعملون بصير) والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) يعني في النصر والمعاونة وذلك أن كفار قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعاً قال ابن عباس يعني في الميراث وهو أن يرث الكفار بعضهم من بعض (الأتفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير) قال ابن عباس الا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به وقال ابن جرير جرح الاتعاونوا وتناصروا وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض ثم قال سبحانه وتعالى الاتفعلوه وهو ان يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين تكن فتنة في الارض وفساد كبير فالفتنة في الارض هي قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) يعني لا شك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في نصر الدين (لهم مغفرة) يعني لذنوبهم (ورزق كريم) يعني في الجنة فان قلت ما معنى هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار لانه سبحانه وتعالى ذكر في الآية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضاً ثم ذكر في هذه الآية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشئ مرة بعد أخرى تدل على مزيد الاهتمام به فلماذا كررهم أولاً ثم أعاد ذكرهم ثانياً دل ذلك على تعظيم شأنهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الآية من وجوه المدح ثلاثة أنواع أحدها قوله أولئك هم المؤمنون حقا وهذا يفيد الحصر وقوله سبحانه وتعالى حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محققين في طريق الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق أهله وداره التي نشأ فيها وبذل النفس والمال كان مؤمناً حقا النوع الثاني قوله سبحانه وتعالى لهم مغفرة وتكبير لفظ المغفرة يدل على ان لهم مغفرة وأي مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم النوع الثالث قوله سبحانه وتعالى ورزق كريم فكل شئ شرف وعظم في بابيه قيل له كريم والمعنى ان لهم في الجنة رزقاً لا تلحقهم فيه غصاصة ولا تعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر أولاً الى المدينة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى أرض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم أصحاب الهجرة ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله في الآية الاولى أصحاب الهجرة الاولى وذكر في الثانية أصحاب الهجرة الثانية والله أعلم بمراده ﷻ وقوله سبحانه وتعالى (والذين آمنوا من بعد

لا يخرج من الايمان) وان استنصروكم) أي من أسلم ولم يهاجر (في الدين فعليكم النصر) أي ان وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم أن تنصروهم على الكافرين (الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يتدوون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك (والله بما تعملون بصير) تحذير عن تعدى حد الشرع (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات الموالاة بينهم ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وإيجاب مباحة ذنوبهم ومصارمتهم وان كانوا أقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضاً ثم قال (الا تفعلوه) أي الاتفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولى بعضهم بعضاً حتى في التوارث تفضيلاً لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم يجعلوا قرابة الكفار كقرابة (تكن فتنة في الارض وفساد كبير)

تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين لم يصيروا يدوا واحدة على الشرك كان الشرك (وهاجروا) ظاهره والفساد زائداً (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لاجل الدين والعقبى (لهم مغفرة ورزق كريم) لامنته فيه ولانغصص ولان تكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم مع الوعد الكريم والاولى للامر بالتواصل (والذين آمنوا من بعد

يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة (وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم) جعلهم منهم تفضيلاً وترغيباً (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) وأولوا القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (في كتاب الله) في حكمه وقسمته أو في اللوح أو في القرآن وهو آية المواريث وهو دليل لنا على توريت ذوى الارحام (ان الله بكل شئ عليم) فيقضى بين عباده بما شاء

(٢١٣)

عليه

من أحكامه قسم الناس أربعة أقسام قسم آمنوا وهاجروا وقسم آمنوا ونصروا وقسم آمنوا ولم يهاجروا وقسم كفروا ولم يؤمنوا

سورة التوبة مدنية وهي مائة وتسع وعشرون آية كوفي ومائة وثلاثون غيره

لها أسماء براءة التوبة المقتضية المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكحة المدممة

لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تنقش من النفاق أى تبرئ منه وتبخر عن أسرار المنافقين وتبخر عنها وتبخرها وتحفر عنها

وتفضحهم وتنكحهم وتشردهم وتخزهم وتدمدم عليهم وفي ترك التسمية في ابتدائها أقوال فعن علي

وابن عباس رضى الله عنهم ان بسم الله أمان وبراءة نزلت لرفع الامان وعن عثمان رضى الله عنه ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت عليه سورة أو آية قال اجعلوها في الموضع الذى يذكرك فيه كذا وكذا وتوفى رسول

الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها تشبه قصة الانفال لان فيها ذكر العزود وفي براءة تبتدأ بهما وكاتبان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهي سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال

وهاجروا وجاهدوا معكم) اختلفوا في قوله من بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به أهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه في الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة وبجواب عن هذا بان المراد منه الهجرة المحصورة من مكة الى المدينة فاما من كان من المؤمنين في بلديخاف على اظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه أن يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهار دينه وقوله تعالى (فاولئك منكم) يعنى انهم منكم وأتم منهم لکن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاوائل أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالهجرة لان الله سبحانه وتعالى ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا أن المهاجرين الاوائل أفضل وأشرف لما صح هذا الحاق وقوله تعالى (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض أى في الميراث فبين بهذه الآية ان سبب القرابة أقوى وأولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الآية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعنى في حكم الله وقيل أراد به في اللوح المحفوظ وقيل أراد به القرآن وهي ان قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن وتمسك أصحاب الامام أبى حنيفة بهذه الآية في توريت ذوى الارحام وأجاب عنه الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه بانها لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذى بينه في سورة النساء فصارت هذه الآية مقيدة بالاحكام التى ذكرها في سورة النساء من قسمة المواريث واعطاء أهل الفروض فروضهم وما تبق للعباسات وقوله سبحانه وتعالى (ان الله بكل شئ عليم) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة التوبة

وهي مدنية باجاءهم قال ابن الجوزى سوى آيتين في آخرها لقد جاءكم رسول من أنفسكم فانهم ما نزلنا بمكة وهي مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون آية وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف وأربعمائة وثمانون حرفاً وهذه السورة أسماء عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذان الاسمان مشهوران وهي المقتضية بذلك لانها تنقش من النفاق أى تبرئ منه وهي المبعثرة لانها تبخر عن أخبار المنافقين وتبخر عنها وتبخرها والفاضحة قاله ابن عباس لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهي المخزية لان فيها خزي المنافقين وهي المدممة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهي المشردة سميت بذلك لانها شردت جوع المنافقين وفرقتهم وهي المثيرة سميت بذلك لانها أثارت مخازي المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم عن سعيد بن جبيرة قالت لابن عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة ما زالت تقول ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى أحد الاذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت في بدر قالت سورة الحشر قال بل سورة بنى النضير أخرجاه في الصحيحين

فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حكمك على ان عمدت الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المثين فقررت بينهما ولم تكتب واسطر بسم الله

الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها تشبه قصة الانفال لان فيها ذكر العزود وفي براءة تبتدأ بهما وكاتبان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهي سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال

هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة (من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) من لا ابتداء الغاية متعلق  
بمحذوف وليس بصلة كإني قولك (٢١٤) برئت من الدين أي هذه براءة واصله من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما تقول

كتاب من فلان إلى فلان  
أو مبتدأ لتخصيصها بصفتها  
والخبر إلى الذين عاهدتم  
كقولك رجل من بني تميم  
في الدار والمعنى إن الله  
ورسوله قد برئنا من العهد  
الذي عاهدتم به المشركين  
وإنه منبوذ إليهم (فسيحوا  
في الأرض أربعة أشهر)  
فسبروا في الأرض كيف  
شتمت والسيح السبر على  
مهمل روى أنهم عاهدوا  
المشركين من أهل مكة  
 وغيرهم من العرب فنكثوا  
الإناس منهم وهم بنو ضمرة  
وبنو كنانة فنبدل العهد إلى  
الناكثين وأمر وأن  
يسيحوا في الأرض  
أربعة أشهر آمنين أي  
شأن لا يتعرض لهم وهي  
الأشهر الحرم في قوله فإذا  
انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا  
المشركين وذلك أصيانة  
الأشهر الحرم من القتل  
والقتال فيها وكان نزولها  
سنة تسع من الهجرة وفتح  
مكة سنة ثمان وكان الأمير  
فيها عتاب بن أسيد وأمر  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم أبابكر على موسم سنة  
تسع ثم أتبعه علياً ركب  
العضباء ليقرأها على أهل  
الموسم فقيل له لو بعثت بها

الرحمن الرحيم ووضعوه في السبع الطوال ما جعلكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم كثيراً ما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان  
يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكرونها كذا وكذا وإذا نزلت عليه الآية يقول ضعوا هذه  
الآية في السورة التي يذكرونها كذا وكذا وكانت الانفصال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر  
القرآن نزولاً وكانت قصتها شبيهة بقصتها وظننت أنها من قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها  
منها أو من غيرها من أجل ذلك قرنت بينهما ولم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعها في السبع الطوال  
أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما أن في الانفصال ذكر العهود  
وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابي يعنى علي بن أبي طالب لم  
لم تكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يابني إن براءة نزلت بالسيف وإن بسم الله الرحمن الرحيم أمان  
وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لأن التسمية رحمة والرحمة أمان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال  
المبرد لم تفتح هذه السورة الشر يفقه بسم الله الرحمن الرحيم لأن التسمية افتتاح للخير وأول هذه السورة  
وعيد ونقض عهد فلذلك لم تفتح بالتسمية وسئل أبي بن كعب عن هذا فقال إنها نزلت في آخر القرآن  
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر في كل سورة بكاتبه بسم الله الرحمن الرحيم ولم يامر في براءة بذلك  
فضمت إلى الانفصال لشبهها وقيل إن الصحابة اختلفوا في أن سورة الانفصال وسورة براءة هل هما سورة  
واحدة أم سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لأنهما نزلتا في القتال ومجموعهما معاً مائتان وخمس آيات  
فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين  
الصحابة تركوا بينهما فرجة تنيها على قول من يقول إنهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنيها  
على قول من يقول هما سورة واحدة أما التفسير فقوله تعالى (براءة من الله ورسوله) يعني هذه براءة من الله  
ورسوله وأصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان أبرأ براءة أي انقطعت بيننا العصمة ولم  
يبق بيننا علقه وقيل معناها التباعد عما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه  
وسلم إلى تبوك كان المنافقون يرجفون الأراجيف وجعل المشركون ينقضون عهوداً كانت بينهم وبين  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله سبحانه وتعالى وأما تخافن من  
قوم خيانة الآية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمر به ونبذ إليهم عهودهم قال الزجاج أي قد برى الله  
ورسوله من أعطاهم العهود والوفاء بها إذا نكثوا (إلى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب مع أصحاب  
النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم إلا أنه هو الذي عاقدهم  
وأصحابه بذلك راضون فكانهم هم عقدوا وعاهدوا وقوله سبحانه وتعالى (فسيحوا في الأرض) أي فسبروا  
في الأرض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحد من المشركين وأصل السياحة الضرب في الأرض  
والإتساع فيها والبعد عن مواضع العمارة قال ابن الأنباري قوله فسيحوا فيه مضمراً أي قل لهم فسيحوا  
وليس هذا من باب الأمر بل المقصود منه الإباحة والإطلاق والإعلام بحصول الأمان وزوال الخوف يعني  
سيحوا في الأرض وأتم آمنون من القتل والقتال (أربعة أشهر) يعني مدد أربع أشهر واختلف العلماء  
في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذين برى الله ورسوله إليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فقال مجاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه إلى

أربعة

إلى أبي بكر فقال لا يؤذي عنى الأرجل منى فلما دعا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أميراً ومأموراً قال مأموراً فلما كان قبيل التروية خطب أبو بكر وحثهم على مناسكهم وقام  
على يوم النحر عند جرة العقبة فقال يا أيها الناس إنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا بماذا أقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بربع أن

أربعة أشهر ومن كانت مدته أكثر حطه إلى أربعة أشهر ومن كان عهده بغير أجل معلوم محدود حده باربعة أشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث أدرك ويؤسر إلا أن يتوب ويرجع إلى الإيمان وقيل إن المقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا ويحتمطوا لأنفسهم ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة إلا الإسلام أو القتل فيصير هذا داعيهم إلى الدخول في الإسلام ولما ينسب المسلمون إلى الغدر ونكث العهد وكان ابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من ربيع الآخر فإما من لم يكن له عهد فإما أجله انسخ الأشهر الحرم وذلك خمسون يوماً قال الزهري الأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والحرم لأن هذه الآية نزلت في شوال والقول الأول أصوب وعليه الأكثر وقال السكبي إنما كانت الأربعة أشهر عهداً لمن كان له عهد دون الأربعة أشهر فإما من لم يكن له عهد فإما من كان عهده أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر بإتمام عهده بقوله تعالى فاتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم وقيل كان ابتداءها في العاشر من ذي القعدة وآخرها العاشر من ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في العاشر من ذي القعدة بسبب النسيء ثم صار في السنة المقبلة في العاشر من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الزمان قد استدار الحديث وقال الحسن أمر الله عز وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل إلا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم يكن لأحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر إلا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الأجل لجميعهم أربعة أشهر وأحل دماء جميعهم من أهل اليهود وغيرهم بعد انقضاء الأجل وقال محمد بن سحوق ومجاهد وغيرهما نزلت في أهل مكة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشاً عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منهم وأعاتتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

لاهم اني ناشد محمدا \* حلف أيينا وأبييه الاتلدا  
كنت لنا أباً وكنا ولدا \* نمت أسلمنا ولم نزرع يدا  
فانصر هداك الله نصراً أبدا \* وادع عباد الله يأتوا مددا  
فيهم رسول الله قد تجردا \* في فيلق كالبحر يجري مزبدا  
أبيض مثل الشمس بسمو صعدا \* ان شيم خطب وجهه ترابدا  
ان قريشاً أخلفوك الموعدا \* ونقضوا ميثاقك المؤكدا  
وزعموا ان لست تنجى أحدا \* وهم أذل وأقل عددا  
هم بيتونا بالخطيم هجدا \* وقتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانصرت ان لم أنصركم وتجهزوا إلى مكة ففتحهها سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحج فقبل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لأحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبا بكر في تلك السنة أميراً على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه أربعمائة من سورة براءة ليقراها على أهل الموسم ثم بعث بعده علياً على ناقته العضباء ليقراها على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله باني أنت وأمي أنزل في شأني شيء فقال لا ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا الأرجل من أهلي أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وانك معي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر أميراً على الحاج وعلي بن أبي طالب يؤذن براءة فلما كان

لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وان يتم إلى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك اننا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا واننا ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرمح وضرب بالسيوف والأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والحرم أو عشر من ذي الحجة والحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرماً لانهم أمنوا فيها وحرّم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لان ذوالحجة والحرم منها والجهور على اباحة القتال في الأشهر الحرم وان ذلك قد نسخ

قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم فأقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال يز يد بن تبيع سألنا عليا بأي شيء بعثت في الحج قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله أربع أشهر ولا يدخل الجنة إلا بنفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في حج ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (ق) عن أبي هريرة أن أبا بكر بعثه في الحج التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن براءة قال أبو هريرة فأذن معنا في أهل منى براءة أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ويوم الحج الأكبر الحج والحج والعمرة والحج والعمرة الحج الأكبر من أجل قول الناس للعمرة الحج الأصغر قال فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وأنزل الله في العام الذي نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين يأبها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الآية

فصل قد يتوهم متوهم أن في بعث علي بن أبي طالب براءة أول براءة عزل أبي بكر عن الإمارة وتفضيله على أبي بكر وذلك جهل من هذا المتوهم وبدل على أن أبا بكر لم يزل أميراً على الموسم في تلك السنة أول حديث أبي هريرة المتقدم أن أبا بكر بعثه في رهط يؤذنون في الناس الحديث وفي لفظ أبي داود والنسائي قال بعثني أبو بكر فيمن يؤذن في يوم النحر بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثني أبو بكر فيه دليل على أن أبا بكر كان هو الأمير على الناس وهو الذي أقام للناس حجهم وعامهم مناسكهم وأجاب العلماء عن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ليؤذن في الناس براءة بان عادة العرب جرت أن لا يتولى تقرير العهد ونقضه السيد القبيلة وكبيرها أو رجل من أقاربه وكان علي بن أبي طالب أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أبي بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذن عنه براءة إذ أذاعة هذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنا في عقد العهود ونقضها وقيل لما خص أبا بكر بتوليته على الموسم خص علياً بتبليغ هذه الرسالة تطيباً لقلبه ورعاية لجانبه وقيل إنما بعث علياً في هذه الرسالة حتى يصلى خلف أبي بكر ويكون جارياً مجرى التنبية على إمامة أبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر أميراً على الحاج وولاه الموسم وبعث علياً خلفه ليقرأ على الناس براءة فكان أبو بكر الإمام وعلي المؤتم وكان أبو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان أبو بكر المتولى أمر الموسم والأمير على الناس ولم يكن ذلك لعل ذلك على تقديم أبي بكر على علي وفضله عليه والله أعلم وقوله تعالى (واعلموا أنكم غير معجزى الله) يعني أن هذا الإمهال ليس اعجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تائب وقيل معناه فسيحوا في الأرض أربع أشهر عالمين أنكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم ويأخذكم لأنكم في ملكه وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه إنما أمهاتكم هذه المدة لانه لا يخاف الفوت ولا يعجزه شيء (وأن الله معجزى الكافرين) يعني بالقتل والعذاب في الآخرة قوله عز وجل (وأذان من الله ورسوله) الأذان في اللغة الإعلام ومنه الأذان للصلاة لانه إعلام بدخول وقتها والمعنى وإعلام صادر من الله ورسوله واصل (إلى الناس يوم الحج الأكبر) اختلفوا في يوم الحج الأكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة وبروى ذلك عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن علي بن أبي طالب قال سألت رسول

(واعلموا أنكم غير معجزى الله) لانفوتونه وان أمهاتكم (وأن الله معجزى الكافرين) من الله ورسوله إلى الناس) ارتفاعة كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والأذان بمعنى الأذان وهو الإعلام كما أن الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والأعطاء والفرق بين الجملة الأولى والثانية أن الأولى أخبار بنسب البراءة والثانية أخبار بوجود الإعلام بما ثبت وإنما علق البراءة بالذين عاهدوا من المشركين وعلق الأذان بالناس لأن البراءة محتضة بالمعاهدين والناس كثير منهم وأما الأذان فعام لجميع الناس من عاهدوا ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهد ومن لم ينكث (يوم الحج الأكبر) يوم عرفة لأن الوقوف بعرفة معظم أفعال الحج أو يوم النحر لأن فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمي ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر



(ان الله برى من المشركين) أى بان الله حذف صلاة الاذان تخفيفاً (ورسوله) عطف على المنوى فى برى وأعلى الابتداء وحذف الخبر أى  
ورسوله برى وقرئ بالنصب عطف على اسم ان والجر على الجوار وأعلى القسم (٢١٧) كقوله اعمر ك وحكى ان اعرابى يسمع

رجلا يقرؤها فقال ان كان  
الله بريثا من رسوله فانا  
منه برى فلبية الرجل الى  
عمر فحكى الاعرابى قراءته  
فغندها امر عمر بتعلم  
العربية (فان تبتم) من  
الكفر والغدر (فهو) أى  
التوبة (خير لكم) من  
الاصرار على الكفر (وان  
توليتهم) عن التوبة أو تبتم  
على التولى والاعراض عن  
الاسلام (فاعلموا انكم غير  
مجزى الله) غير سابقين  
الله ولا فائتين أخذه وعقابه  
(وبشر الذين كفروا  
بعذاب أليم) مكان بشارة  
المؤمنين بنعيم مقيم (الا  
الذين عاهدتم من المشركين  
استثناء من قوله فسيحوا  
فى الارض والمعنى براءة  
من الله ورسوله الى الذين  
عاهدتم من المشركين فقولوا  
لهم سيحوا الا الذين  
عاهدتم منهم (ثم لم ينقصوكم  
شيئاً) من شروط العهد أى  
وفوا بالعهد ولم ينقضوه  
وقرئ لم ينقصوكم أى عهدكم  
وهو أليق لكن المشهورة  
أباغ لانه فى مقابلة النمام  
(ولم يظاهروا عليكم  
أحداً) ولم يعاونوا عليكم  
عدواً (فأتوا اليهم عهدهم)  
فادوا اليهم تاماً كاملاً (الى  
مدتهم) الى تمام مدتهم

الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الا كبر فقال يوم النحر أخرجه الترمذى وقال يروى موقوفاً عليه وهو  
أصح وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجرات فى الحجفة التى حج فيها فقال أى  
يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الا كبر أخرجه أبو داود ويروى ذلك عن عبد الله بن أبى أوفى  
والغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبيرة والسدى وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج  
الا كبر أيام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الا كبر أيام منى كلها ان اليوم قد يطلق ويراد به  
الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجمل لان الحروب دامت فى تلك الايام ويطلق عليها يوم واحد وقال  
عبد الله بن الحرث بن نوفل يوم الحج الا كبر الذى حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين  
لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده  
فعظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين قال مجاهد الحج الا كبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقال  
الزهري والشعبي وعطاء الحج الا كبر الحج والحج الا صغر العمرة وانما قيل لها الا صغر لتقصان أعمالها عن  
الحج وقيل سمي الحج الا كبر لموافق حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة  
فودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر فى خطبته ان الزمان قد استدار وأبطل النسئ وجميع  
أحكام الجاهلية وقوله سبحانه وتعالى (ان الله برى من المشركين ورسوله) فيه حذف والتقدير واذان  
من الله ورسوله بان الله برى من المشركين وانما حذف الباء لدلالة الكلام عليها وفى رفع رسوله وجوه  
الاول انه رفع بالابتداء وخبره مضمرة والتقدير ان الله برى من المشركين ورسوله أيضاً برى والثانى تقديره  
برى والله ورسوله من المشركين الثالث ان الله فى محل الرفع بالابتداء وبرى وخبره ورسوله عطف على المبتدأ  
فان قلت لا فرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله برى من  
المشركين ورسوله فما فائدة هذا التكرار قلت المقصود من الآية الاولى البراءة من العهد ومن الآية الثانية  
البراءة التى هى نقيض المواالاتى الجارية بحرى الجزر والوعيد الذى يدل على صحة هذا الفرق انه قال فى أولها  
براءة من الله ورسوله الى معنى برى واليهم وفى الثانية برى عنهم وقوله تعالى (فان تبتم) يعنى فان رجعتم  
عن شرككم وكفركم (فهو خير لكم) يعنى من الإقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله فى التوبة  
والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار (وان توليتهم) يعنى أعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك  
(فاعلموا انكم غير مجزى الله) فيه وعيد عظيم واعلام لهم بان الله سبحانه وتعالى قادر على انزال العذاب  
بهم وهو قوله تعالى (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) يعنى فى الآخرة ولفظ البشارة هنا لما ورد على سبيل  
الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم وقوله سبحانه وتعالى (الا الذين عاهدتم من  
المشركين) هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين يعنى  
الامن عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة حتى من كنانة أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام  
عهدهم الى مدتهم وكان قد بقى من مدتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله تعالى  
(ثم لم ينقصوكم شيئاً) يعنى من عهدهم التى عاهدتموهم عليها (ولم يظاهروا) يعنى ولم يعاونوا (عليكم أحداً)  
يعنى من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا فى الارض لان الكلام  
خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا فى الارض  
الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم (فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم) والاستثناء يعنى الاستدراك كانه  
قيل لهم بعد ان أمر وافي الناكشين لكن الذين لم ينكثوا فأتوا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا

(٢٨ - (خازن) - ثانى) والاستثناء يعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان أمر وافي الناكشين لكن الذين لم ينكثوا فأتوا

اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجروا الوفى كالعادر

(ان الله يحب المتقين) يعني ان قضية التقوى ان لا يسوي بين الفريقين فانقوا الله في ذلك (فاذا انسلخ) مضى أو خرج (الاشهر الحرم) التي أبيع فيها لنا كثرين أن يسبحوا (فاقتلوا المشركين) الذين نقضواكم وظاهروا عليكم (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والاختذ الاسر (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد (واقعدوا لهم كل مرصد) كل عمر ومجتاز ترصدونهم به واتصابه على الظرف (فان تابوا) (٢١٨) عن الكفر (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فاطلقوا عنهم بعد

تجعلوا الوفي كالغادر (ان الله يحب المتقين) يعني ان قضية التقوى تقتضى ان لا يسوي بين القبيلتين يعني الوافي بالعهد والناكث له والغادر فيه <sup>قوله</sup> سبجانه وتعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) يعني فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحق هي شهور العهد سميت حرما لحرمة نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهدة أربعة أشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء الحرم وذلك خمسون يوما وقيل انما قيل لها حرم لان الله سبحانه وتعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه المدة وهي الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله سبحانه وتعالى قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر من الاشهر متصلا بما مضى أطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضرورة التي يكون معها انسلخ الاشهر الحرم (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) يعني في الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعني اقتلوهم في أى وقت وأى مكان وجدتموهم (وخذوهم) يعني وأسروهم (واحصروهم) أى واحبسوهم قال ابن عباس يريد ان تحصنوا فاحصروهم وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) يعني على كل طريق والمرصد الموضع الذي يقعد فيه للعدو من رصدت الشئ أرصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رسدا حتى تاخذوهم من أى وجه توجوهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها (فان تابوا) يعني من الشرك ورجعوا الى الايمان (وأقاموا الصلاة) يعني وأنموا أركان الصلاة المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة عليهم طيبة بأنفسهم (فخلوا سبيلهم) يعني الى الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم (ان الله غفور) يعني لمن تاب ورجع من الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة (رحيم) يعني باوليائه وأهل طاعته وقال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على أذى الاعداء <sup>قوله</sup> تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) يعني وان استأمنك يا محمد أحد من المشركين الذين أمرت بقتلهم وقتلهم بعد انسلخ الاشهر الحرم لسمع كلام الله الذي أنزل عليك وهو القرآن فاجره حتى يسمع كلام الله ويعرف بالله من الثواب ان آمن وماعاياه من العقاب ان أصر على الكفر (ثم أبلغه مآمنه) يعني ان لم يسلم أبلغه الى الموضع الذي يامن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله (ذلك بانهم قوم لا يعلمون) أى لا يعلمون دين الله وتوحيدهم فهم يحتاجون الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد أى لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال سبحانه وتعالى (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدي ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحق هم بنو خزيمه وبنو مدلج وبنو الدليل قبائل من بني بكر كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم أهل العهد من خزاعة (فاستقاموا لكم) يعني على العهد (فاستقيموا لهم) يعني ما أقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خراعة

الاسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تعرضوا لهم (ان الله غفور) يستر الكفر والغدر بالاسلام (رحيم) برفع القتل قبل الاداء بالالتزام (وان أحد من المشركين استجارك فاجره) أحد من تقع بفعل شرط مضمير يفسره الظاهر أى وان استجارك أحد استجارك والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه واستأمنك لسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن فآمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه) بعد ذلك (مآمنه) داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه دليل على ان المستأمن لا يؤذى وليس له الاقامة في دارنا ويمكن من العود (ذلك) أى الامر بالاجازة في قوله فاجره (بانهم قوم لا يعلمون) بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى

يسمعوا ويفهموا الحق (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) كيف استفهام في معنى الاستنكار فضرب أى مستنكر أن يثبت هؤلاء عهد فلا تطعموا في ذلك ولا تحذوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله (الا الذين عاهدتم) أى ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبني ضمرة فتر بصوا أمرهم ولا تقاتلوهم (فاستقاموا لكم) ولم يظهر منهم نكث أى فاقاموا على وفاء العهد (فاستقيموا لهم) على الوفاء وما شرطية أى فان استقاموا لكم فاستقيموا لهم

(ان الله يحب المتقين) يعني ان الترابص بهم من أعمال المتقين ( كيف وان يظهر واعليكم ) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أي كيف يكون لهم عهد وحاظهم انهم ان يظهر وا ( ٢١٩ ) عليكم أي يظهر وا بكم بعد ما سبق لهم من

تا كيد الايمان والمواثيق  
(لا يرقبوا فيكم الا) لا يراعوا  
حلفا ولا قرابة (ولا ذمة)  
عهدا (يرضونكم  
بافواههم) بالوعد بالايمان  
والوفاء بالعهد وهو كلام  
مبتدأ في وصف حالهم من  
مخالفة الظاهر الباطن  
ومقرر لاستبعاد الثبات منهم  
على العهد (وتأني  
قلوبهم) الايمان والوفاء  
بالعهد (وأكثرهم  
فاسقون) ناقضون العهد  
أو متمر دون في الكفر  
لامرورة تمنعهم عن الكذب  
ولاشتمال تردعهم عن  
النكت كما يوجد ذلك في  
بعض الكفرة من التفادي  
عنهما (اشتروا) استبدلوا  
(آيات الله) بالقرآن  
(ثمنا قليلا) عرضا يسيرا  
وهو اتباع الاهواء  
والشهوات (فصدوا عن  
سبيله) فعدلوا عنه وصرقوا  
غيرهم (انهم ساء ما كانوا  
يعملون) أي بش الصنيع  
صنيعهم (لا يرقبون في  
مؤمن الا ذمة) ولا  
تكرار لان الاول على  
الخصوص حيث قال فيكم  
والثاني على العموم لانه  
قال في مؤمن (وأولئك هم  
المعتدون) المجاوزون  
الغاية في الظلم والشرارة

فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما ان يسلموا واما ان  
يلحقوا بآبي بلادشاؤا فاسلموا بعد الاربعة الاشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم قبائل من بني  
بكر وهم خزيمه وبنو مدلج من ضمرة وبنو الدليل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن  
نقض العهد الا قريش وبنو الدليل من بني بكر فامر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وانما كان الصواب  
هذا القول لان هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشي  
قدمضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين  
ثم لم ينقضوكم شيئا كما نقضكم قريش ولم يظاهروا عليكم أحدا كما ظاهرت قريش بنى بكر على خزاعة وهم حلفاء  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (ان الله يحب المتقين) يعني أنه سبحانه وتعالى يحب الذين يوفون  
بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه ( كيف وان يظهر واعليكم ) قيل هذا مردود على الآية الاولى تقديره  
كيف يكون لهم عهد وان يظهر واعليكم (لا يرقبوا فيكم الا ذمة) وقال الاخفش معناه كيف لا تقتلونهم  
وهم ان يظهر واعليكم أي يظفروا بكم ويغلبوكم ويعلوا عليكم لا يرقبوا أي لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا  
وقيل معناه لا يراعوا فيكم الا قال ابن عباس يعني قرابة وقيل رحا وهذا معنى قول ابن عباس أيضا وقال قتادة  
الال الحلف وقال السدي هو العهد وكذلك الذمة وانما كرر للتأكيد واختلاف اللفظين وقال أبو مجلز  
ومجاهد الال هو الله عز وجل ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع مع كلام مسيامة الكذاب  
ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعني من الله وعلى هذا القول يكون معنى الآية لا يرقبون الله فيكم ولا  
يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة يعني ولا يحفظون عهدا (يرضونكم بافواههم وتأني قلوبهم) يعني يطيعونكم  
بالسنتهم بخلاف ما في قلوبهم (وأكثرهم فاسقون) فان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر  
أخبث وأقبح من الفسق فكيف وصفهم بالفسق في معرض الذم وما الفائدة في قوله وأكثرهم فاسقون مع  
ان الكفار كلهم فاسقون قلت قد يكون الكافر عدلا في دينه وقد يكون فاسقا حيث الفسق في دينه فالمراد  
بوصفهم بكونهم فاسقين أنهم نقضوا العهد بالغوا في العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون  
أبلغ في الذم وانما قال أكثرهم ولم يقل كلهم فاسقون لان منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه وأكثرهم نقضوا  
العهد فلهاذا قال سبحانه وتعالى وأكثرهم فاسقون وقوله تعالى (اشتروا بايات الله ثمنا قليلا) يعني استبدلوا  
بايات القرآن والايمان بهما عرضا قليلا من متاع الدنيا وذلك انهم نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب أكلة أطعمهم اياها أبو سفيان بن حرب قدمهم الله بذلك قال مجاهد  
أطعم أبو سفيان حلفاءه وترك حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (فصدوا عن سبيله) يعني منعوا الناس  
عن الدخول في دين الله قال ابن عباس وذلك ان أهل الطائف أمدهم بالاموال ليقوؤهم على حرب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعني من الشرك ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن  
الدخول في دين الاسلام (لا يرقبون في مؤمن الا ذمة) يعني ان هؤلاء المشركين لا يراعون في مؤمن  
عهدا ولا ذمة اذا قدروا عليه قتالوه فلا يتقوا أنهم عليهم كالم يبقوا عليكم اذا ظهر واعليكم (وأولئك هم  
المعتدون) يعني في نقض العهد قوله عز وجل (فان تابوا) يعني فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن  
نقض العهد الى الوفاء به (وأقاموا الصلوة) يعني المفروضه عليهم بجميع حدودها وأركانها وآتوا  
الزكاة يعني وبدلوا الزكاة المفروضه عليهم طيبة بها أنفسهم (فاخوانكم في الدين) يعني اذا فعلوا ذلك  
فهم اخوانكم في الدين لهم مالكم وعليهم ما عليكم (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) يعني ونبين حجج أدلتنا

(فان تابوا) عن الكفر (وأقاموا الصلوة وآتوا الزكاة فاخوانكم) فهم اخوانكم على حذف المبتدأ (في الدين) لاني النسب (ونفصل  
الآيات) ونبينها (لقوم يعلمون) يفهمون فيتفكرون فيها وهذا اعتراض كأنه قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم تحرر بضاعلي تأمل ما فصل

من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم) أي نقضوا العهد الموكدة بالآيمان (وطعنوا في دينكم) وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك أو زعماء قريش الذين هموا باخراج الرسول وقالوا اذا طعن الذي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة أئمة بهزتين كوفي (٢٢٠) وشامى الباقر بهزمة واحدة غير مدودة بعدها ياء مكسورة أصلها أئمة

لانها جمع امام كعماد وأعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة وأدغمت في الميم الاخرى فنحق الهمزتين أخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية ياء فكسرتها (انهم لا أيمان لهم) وانما أثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا أيمانهم لانه أراد أيمانهم التي أظهرها ثم قال لا أيمان لهم على الحقيقة وهو دليل لنا على أن يمين الكافر لا تكون يمينا ومعناه عند الشافعي رحمه الله انهم لا يوفون بها لان يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث لا ايمان شامى أي لا اسلام (لعلهم ينهون) متعلق بقاتلوا أئمة الكفر وما بينهما اعتراض أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم انتهاء هم عما هم عليه بعدما وجد منهم من العظام وهذا من غاية كرمه على المسيء ثم حرض على القتال فقال (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) التي حلفوها في

ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة وقال ابن مسعود أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يرك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وأبي أن يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله أبابكر ما كان أفقهه يعني بذلك ما ذكره أبو بكر في حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا أفرق بين شيئين جمع الله بينهما يعني الصلاة والزكاة (ق) عن أبي هريرة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخاف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها وفي رواية عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت ان الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (وان نكثوا أيمانهم) يعني وان نقضوا عهدهم (من بعد عهدهم) يعني من بعد ما عاهدوكم عليه أن لا يقاتلواكم ولا يظهروا عليكم أحدا من أعدائكم (وطعنوا في دينكم) يعني وعابوا دينكم الذي أتم عليه وقد حوا فيه وتلبوه وفي هذا دليل على ان الذي اذا طعن في دين الاسلام وعابه ظاهرا لا يبقى له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد كفار قريش وهو قوله تعالى (فقاتلوا أئمة الكفر) يعني رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وأبي جهل وابنه عكرمة وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول وقيل أراد جميع الكفار وانما ذكر الأئمة لانهم الرؤساء والقادة ففي قتالهم قتال الاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قاتل أهل هذه الآية بعد ولم يات أهلها ولعل حذيفة أراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فانهم أئمة الكفر في ذلك الزمان والله أعلم بمراده ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (انهم لا أيمان لهم) جمع بين أي لا عهد لهم وقيل معناه انهم لا وفاء لهم باليهود وقري لايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق وقيل هو من الامان أي اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم (لعلهم ينهون) أي لكي ينهوا عن الطعن في دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حرض المؤمنين على جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) يعني نقضوا عهدهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بني بكر على خراعة (وهووا باخراج الرسول) يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة (وهم بدؤكم) يعني بالقتال (أول مرة) يعني يوم بدر وذلك أنهم قالوا لا ننصرف حتى نستاصل محمد وأصحابه وقيل أراد به انهم بدؤوا بقتال خراعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتخشونهم) يعني أتخافونهم أيها المؤمنون فتركوا قتالهم (فأله أحق أن تخشوه) يعني في ترك القتال (ان كنتم مؤمنين) يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعديه

المعاهدة (وهووا باخراج الرسول) من مكة (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال والبادي قوله أظلم فإيمانكم من أن تقاتلوهم ويخفونهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليهم بما يوجب الحرض عليها من نكث العهد واخراج الرسول والبعد بالقتال من غير موجب (أتخشونهم) تو يبخ على الخشية منهم (فأله أحق أن تخشوه) بان تخشوه فقاتلوا أعداءه (ان كنتم مؤمنين) فإخشوه أي ان قضية الايمان الكامل أن لا يخشى المؤمن الا ربّه ولا يبالي بمن سواه ولما وخبهم الله على ترك القتال جردهم الامر به بقوله

(قاتلوهم) ووعدهم النصر لينتقل قلوبهم وتصح نياتهم بقوله (يعذبهم الله يا ايديكم) قتلا (ويخزهم) أسرا (وينصركم عليهم) يغلبكم عليهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) طائفة منهم وهم خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويذهب غيظ قلوبهم) لما القوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان دليلا على صحة نبوته (ويتوب الله على (٢٢١) من يشاء) ابتداء كلام واخبار بان

بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم كابي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وهي ترد على المعتزلة قوالم ان الله تعالى شاء ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم (والله اعلم) يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) في قبول التوبة (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أم منقطعة والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان أي لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي بطانة ممن الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم

قوله سبحانه وتعالى (قاتلوهم يعذبهم الله يا ايديكم) يريد بالتعذيب القتل يعني يقتلهم الله يا ايديكم فان قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله يا ايديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم عذاب الاستئصال يعني وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعا وأنت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم يعني الذين تقضوا العهد وبدؤا بالقتال فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقتال من قاتلهم أو نقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب الاستئصال يتعدى الى المذنب وغير المذنب والى المخالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب المخالف وقوله تعالى (ويخزهم) يعني ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم الذل والهوان (وينصركم عليهم) يعني بان يظفركم بهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعني ويرى عداة قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال تاذبه من خصمه ثم مكنته الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا للقوة اليقين وثبات الغزيمة قال مجاهد والسدي أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعانت قريش بنى بكر على خزاعة حتى قتلوا منهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بنى بكر حتى أخذوا ثأرهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ويذهب غيظ قلوبهم) يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بكر روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة أرفعوا السيف الا خزاعة من بنى بكر الى العصر ذكروه البغوى بغير سند ثم قال تعالى (ويتوب الله على من يشاء) هذا كلام مستأنف ليس له تعلق بالاول والمعنى ويهدي الله من يشاء الى الاسلام فممن عليه بالتوبة من الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام كما فعل بابي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وهوؤلاء كانوا من أئمة الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا (والله اعلم) يعني بسر اثار عبادته ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام (حكيم) يعني في جميع أفعاله قوله عز وجل (أم حسبتم أن تتركوا) هذا من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك أدخلت فيه أم لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ والمعنى أظنتم أيها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا يظهر الصادق من الكاذب (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أراد بالعلم المعلوم لان وجود الشيء يلزمه معلوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام فخر الدين الرازي ونقل الواحدى عن الزجاج أى العلم الذى يجازى عليه لانه انما يجازى على ما عملوا (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) قال الفراء الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم يفتشون اليهم أسرارهم وقال قتادة وليجة يعني خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطاء وأياء يعني لا تتخذوا المشركين أولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقال أبو عبيدة كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة من الولوج فوليجة الرجل من يختص به خيلة أمره دون الناس وقال الراغب الوليجة كل ما يتخذها الانسان معتمدا عليه وليس من قوالم فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذاهى المؤمنين عن موالاة المشركين وان يفتشوا اليهم أسرارهم (والله خبير بما تعملون) يعني من موالاة المشركين واخلاص العمل لله وحده قوله سبحانه وتعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مسجدا لله) يعني به المسجد الحرام وقريء مسجدا لله على الجمع والمراد به المسجد الحرام أيضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه الآية ان جماعة من رؤساء كفار قريش أسروا

والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنى العلم بنى المعلوم كقولك ما علم الله منى ما قيل في تريبه ما وجد ذلك منى والمعنى أحسبتم أن تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين (والله خبير بما تعملون) من خيرا أو شرفا يجازىكم عليه (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (أن يعمروا مسجدا لله) مسجد الله مكى وبصرى يعنى المسجد الحرام وانما جمع في القراءة بالجمع لانه قبلة المساجد وامامها

يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبرونهم بالشرك وجعل علي بن أبي طالب يوجع العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس مالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسنا فقيل له وهل لكم من محاسن قال نعم نحن أفضل منكم نحن نعمر المسجد الحرام ونحج الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الاسير فنزلت هذه الآية ما كان للمشركين أي ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله أوجب الله على المسلمين منعهم من ذلك لأن المساجد إنما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له أن يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين أحدهما أن المراد بالعمارة العمارة المعروفة من بناء المساجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني أن المراد بالعمارة دخول المسجد والتعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير إذن مسلم حتى لو دخل بغير إذن مسلم عزروا أن يدخل باذن لم يعزروا ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية من سوارى المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها **﴿﴾** وقوله تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر) يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين وقيل تقديره وهم شاهدون فلما حذف وهم نصب وقال ابن عباس شهدتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك أن كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للاصنام فلم يزدوا بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدي شهدتهم على أنفسهم بالكفر هو أن النصراني يستل من أنت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرک يقول مشرك وقال ابن عباس في رواية عنه شاهد بن علي رسولهم بالكفر لانه من أنفسهم (أولئك حبطت أعمالهم) يعني الاعمال التي عملوها في حال الكفر من أعمال البر مثل قرى الضيف ونسقي الحاج وفك العاني لانها لم تكن لله فلم يكن لها ثابرا مع الكفر (وفي النار هم خالدون) يعني من مات منهم على كفره **﴿﴾** قوله عز وجل (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) لما بين الله عز وجل أن الكافر ليس له أن يعمر مساجد الله بين في هذه الآية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من آمن بالله فان الايمان بالله شرط فيمن يعمر المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع أن يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الآخر يعني وآمن باليوم الآخر وأنه حق كائن لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء أجره انما يكون في الآخرة فمن أنكر الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا فان قلت لم يذكر الايمان برسول الله مع أن الايمان به شرط في صحة الايمان قلت ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الايمان بالله فان من آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برسول الله لان من جهته عرف الايمان بالله واليوم الآخر لانه هو الداعي الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى النبوة طلبا للرياسة والملك فاخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما ادعى الايمان بالله واليوم الآخر لالطلب الرياسة والملك فلذلك قال سبحانه وتعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وترك ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه تبارك وتعالى قال بعد الايمان بالله واليوم الآخر (واقام الصلاة وآتى الزكاة) وكان ذلك مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أقام الصلاة وآتى الزكاة فقد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم أن الاعتبار باقامة الصلاة وآتى الزكاة في عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد أقام الصلاة وآتى الزكاة لان عمارة المسجد انما تلزم لاقامة الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة المسجد الا اذا كان مؤدبا للزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المسجد نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه **﴿﴾** وقوله تعالى

ولان كل بقعة منه مسجد أو أريد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمرها جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمر والمسجد الحرام الذي هو صدر الجنس وهو أكد اذ طريقه طريق الكفاية كما تقول فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك (شاهدين على أنفسهم بالكفر) باعترافهم بعبادة الاصنام وهو خال من الواو في يعمرها والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متضادين عمارة متعبدا لله مع الكفر بالله وعبادته (أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) دائمون (انما يعمر مساجد الله) عمارتها ما استمر منها وفيها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها مما لم يقبل له المساجد من أحاديث الدنيا لانها بنيت للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم (من آمن بالله واليوم الآخر) ولم يذكر الايمان بالرسول عليه السلام لما علم ان الايمان بالله قرينة الايمان بالرسول لاقتراهما في الاذان والاقامة وكلمة الشهادة وغيرها وأدل عليه بقوله (واقام الصلوة وآتى الزكاة) وفي قوله

(ولم يخش الا الله) تنبيهه على الاخلاص والمراد الخشية في ابواب الدين بان لا يختر على رضا الله رضا غيره لتوقع محوف اذا المؤمن قد يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد (٢٢٣) نفى تلك الخشية عنهم (فغسى اولئك ان

يكونوا من المهتدين) تباعد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الاتفاف باعمالهم لان عسى كلمة اطماع والمعنى انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتد ابعاد الله دون من سواهم (اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لانهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما نزلت جوابا لقول العباس حين أسر

(ولم يخش الا الله) يعني ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك امر الله الخشية الناس (فغسى اولئك ان يكونوا من المهتدين) وعسى من الله واجب يعني واولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمن فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية اخرجها الترمذي وقال حديث حسن (ق) عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غد الى المسجد اوراق أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا اوراق النزل ما يهيا للضيف عند نزوله بالقوم (ق) عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجدا يتنقى به وجهه الله تعالى بنى الله له بيتا في الجنة وفي رواية بنى الله له في الجنة مثله وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان او كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة اخرجها الترمذي عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا يندكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة اخرجها النسائي قوله سبحانه وتعالى (اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) الآية (م) عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما بالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قتلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيه فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الى آخرها وقيل قال العباس حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج فانزل الله هذه الآية واخبر ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد مع نية خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن ابي طالب والعباس بن عبدالمطلب وطلحة بن ابي شيبه افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت بيدي مفاتيحه وقال العباس انا صاحب السقاية والقيام عليها وقال علي ما ادرى ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الآية اجعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهي سقى الحاج وكان العباس بن عبدالمطلب بيده سقاية الحاج وكان يلبها في الجاهلية فلما جاء الاسلام واسلم العباس اقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعني بناءه وتشيدته ومرمته (كمن آمن بالله واليوم الآخر) فيه حذف تقديره كايمن من آمن بالله واليوم الآخر (وجاهد في سبيل الله) أي وكجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر تقديره اجعلتم ساقى الحاج وعمار المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله (لا يستوون عند الله) يعني لا يستوى حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملا الا مع الايمان به (والله لا يهدي القوم الظالمين) (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال استسقى فقال يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه قال استسقى فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا ان تغلبوا لزلت حتى اضع الحبل على هذا يعني عاتقه (م) عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه اعرابي فقال مالي

وظلقت على رضى الله عنه يوبخه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم تذكر مساوينا وتدع محاسنا فقيل اولكم محاسن فقال نعمر المسجد ونسقى الحاج ونفك العاني وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيبة بالعمارة وعلي رضى الله عنه بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا

أرى بني عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ أمن حاجة بكم أم من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل إنما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فأتيناها ببناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة فقال أحسنتم أو أجلتكم كذا فاصنعوا فلا تريد تغيير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيذ تمر ينقع في الماء غدوة ويشرب عشاء أو ينقع عشاء ويشرب غدوة وهذا حلال فإن غلى وحض حرم قوله عز وجل (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) يعني ان من كان موصوفا بهذه الصفات يعني الايمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفوس كان أعظم درجة عند الله من افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وانما يذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الاطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الآخرة (وأولئك) يعني من هذه صفتهم (هم الفائزون) يعني بسعادة الدنيا والآخرة (يشترهم ربهم) يعني يجبرهم ربهم والبشارة الخبر السار الذي يفرح الانسان عند سماعه وتستبشر بشرة وجهه عند سماعه ذلك الخبر السار ثم ذكر الخبر الذي يشترهم به فقال تعالى (برحمة منه ورضوان) وهذا أعظم الدشارات لان الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) يعني أن نعيم الجنة دائم غير منقطع أبدا (خالدين فيها) يعني في الجنان وفي النعيم (أبدا) يعني لا انقطاع له (ان الله عنده أجر عظيم) يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء) قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطاحته وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة فمنهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون نشدك الله أن لا تضعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وأنزل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم وأولياءكم ألياء يعني بطانة وأصدقاء نقشون اليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حل هذه الآية على ترك الهجرة مشكل لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي من آخر القرآن نزولا والا قرب أن يقال ان الله سبحانه وتعالى لما أمر المؤمنين بالتبري من المشركين قالوا كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه فدكر الله أن يقاطع الرجل أهله وأقاربه في الدين واجبة فالؤمن لا يوالي الكافر وان كان أباه وأخاه وابنه وهو قوله تعالى (ان استحبوا الكفر على الايمان) يعني ان اختاروا الكفر وأقاموا عليه وتركوا الايمان بالله ورسوله (ومن يتوهم منكم فأولئك هم الظالمون) يعني ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله واختيار الكفار على المؤمنين ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا فانزل الله سبحانه وتعالى (قل) أي قل يا محمد هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ان كان آباؤكم وأبنائكم وأزواجكم وعشيرتكم وعشيرتكم وعشيرتكم) يعني اقترفتموها (عني) كسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) يعني بفراقكم لها (ومساكن ترضونها) يعني تستوطنونها راضين بسكنائها (أحب اليكم من الله ورسوله) يعني أحب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله (وجهاد في سبيله) فبين الله سبحانه وتعالى انه يجب تحمل جميع المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما وأخبر انه ان كانت رعاية هذه الصالح النبوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله (فتربصوا) أي فانتظروا (حتى يأتي الله بامر) يعني بقضائه وهذا أمر تهديد وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني الخارجين عن طاعته

والعمارة (وأولئك هم الفائزون) لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم (يشترهم ربهم) يشترهم حزمة (برحمة منه ورضوان وجنات) تنكير المبشر لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف (لهم فيها) في الجنات (نعيم مقيم) دائم (خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم) لا ينقطع لما أمر الله النبي عليه السلام بالهجرة جعل الرجل يقول لابنه ولاخيه ولقرابته انا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويحبه ومنهم من تتعلق به زوجته أو ولده فيقول تدعنا بلا شيء فنضيع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان) أي آثروه واختاروه (ومن يتوهم منكم) أي ومن يتول الكافرين (فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبنائكم وأزواجكم وعشيرتكم وأقاربكم وعشيرتكم أبو بكر (وأموال اقترفتوها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) فوات وقت نفاقها (ومساكن ترضونها أحب اليكم من

الله ورسوله وجاهد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامر) وهو عذاب عاجل أو عقاب آجل أو فتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) والآية تنهى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبيل اليقين اذ لا نجد عند أروع الناس ما يستحب له وفي



وفي هذا دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا قوله عز وجل (لقد نصركم الله) النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم (في مواطن كثيرة) يعني أما كن كثيرة والمراد بها غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم تسع عشرة غزوة زاد برودة في حديثه قاتل في ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة (ويوم حنين) يعني ونصركم الله في يوم حنين أيضا فاعلم الله سبحانه وتعالى انه هو الذي يتولى نصر المؤمنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحنين اسم واد قرب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذى المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار والافان من الطلقاء وقال عطاء كانوا ستة عشر ألفا وقال السكبي كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قاطوا وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النضري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن رقيش ان تغاب اليوم من قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكوا الى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكاهم الى أنفسهم وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب ان القاتل لذلك أبو بكر الصديق وحكي ابن جرير الطبري ان القاتل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعدلانه صلى الله عليه وسلم كان في جميع أحواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا الى غيره بل نظره الى ما يأتي من عند الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلصوا عن الدراري ثم تنادوا يا حجة السواد اذ كروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكرونا ان الطلقاء انجفوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هر بوا (ق) عن أبي اسحق قال جاء رجل الى البراء فقال أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة فقال أشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ماولى ولكنه انطلق اخفاء من الناس حسرا الى هذا الحى من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانوا رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحرث يقوده بغلته فنزل ودعاوا استنصر وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب اللهم أنزل نصرك زاد أبو خيثمة ثم صفهم قال البراء كنا والله اذا اجر البأس نتقى به وان الشجاع منا للذى يحاذى به يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن أبي اسحق قال قال رجل للبراء بن عازب يا أبا عمارة فررت يوم حنين قال لا والله ماولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حسرا ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبنى نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطون فأقبلوا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب يقوده فنزل ودعاوا استنصر وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم صفهم وروى شعبة عن أبي اسحق قال قال البراء ان هوازن كانوا قوما رماة ولما القيناهم حملنا عليهم فانهمزوا فقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهم فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر قوله ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذى لا درع عليه يقال اذا رمى القوم بأسهم الى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا اجر البأس يعنى اذا اشتد الحرب والبأس بالوحدة من تحت الشدة والخوف وقال السكبي كان حول رسول الله صلى الله عليه

دينه على الآباء والابناء والاموال والحظوظ (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) كوقعة بدر وقرية والنضير والحبيبية وخيبر وفتح مكة وقيل ان المواطن التي نصر الله فيها النبي عليه السلام والمؤمنين ثمانون موطننا ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها (ويوم) أى واذ كروا يوم (حنين) واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن تغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله عليه الصلاة والسلام

وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهم ساءوا الناس وقال غيره لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمه  
العباس بن عبد المطلب وابن عمه أبو سفيان بن الحرث وأيمن بن أم أيمن قتل يوم حنين بين يدي رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهذا أيمن أخو أسامة بن زيد لأمه أمهم بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته  
(م) عن العباس بن عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فترمت أنا وأبو سفيان  
ابن الحرث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له  
بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجزامي فلما التقى المسلمون والكفار ولي المسلمون مدبرين فطلق رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أكفها ارادة أن لا تسرع وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صيتا فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال  
فوالله لكان عطفهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا البيك لبيك قال فاقتتلوا والكفار  
والدعوة في الانصار بقولون يا معشر الانصار يا معشر الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بني الحرث بن الخزرج  
فقالوا يا بني الحرث بن الخزرج يا بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته  
كالمطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حي الوطيس قال ثم أخذ رسول الله  
صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت أنظر فاذا القتال  
على هيئته فيما أرى قال فوالله ما هو الا أن رماهم بحصياته فمازلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبراً قوله حي  
الوطيس أي اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقولها النبي صلى الله عليه وسلم من  
العرب وهي مما اقتضبه وأنشأه والوطيس في اللغة التنوير وقوله حدهم كليلاً يعني لا يقطع شيئاً (م) عن سلمة  
ابن الأكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيننا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الأرض ثم استقبل به وجوههم وقال شأهت الوجوه فما خلق الله منهم  
إنساناً الا ملا عينيه تراباً بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله بذلك وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين  
أخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبيرة أمداً الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة  
مسومين وروى أن رجلاً من بني نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل الباق والرجال عليهم  
ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بأيديهم فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فقال تلك الملائكة وروى أن رجلاً من المشركين قال يوم حنين لما التقينا وأصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب  
شاة أن كشفناهم فيينا نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال قتلنا عندنا رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شأهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمتنا  
وركبوا أكتافنا فكانت اباهاوا واختلفوا اهل قاتلت الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح أنهم تقابلوا  
يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مدداً وعونا وذكر البغوي أن الزهري قال بلغني أن شيبه بن عثمان قال  
استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن أبي طلحة وكانا  
قد قتلنا يوم أحد فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في نفسي فالتفت الى وضرب في صدري وقال  
أعينك بالله يا شيبه فارعدت فرأيتني فنظرت اليه وهو أحب الي من سمعي وبصري فقات أشهد أنك رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قد أطلعك الله على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى أتوا  
أوطاس وبها عيالهم وأموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الاشرعيين يقال له أبو عامر  
وأمره على الجيش فسار الى أوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون  
عيال المشركين وهرب أميرهم مالك بن عوف النصرى فأتى الطائف فتحصن بها وأخذ ماله وأهله فحين أخذ

وقتل أبو عامر أمير المسلمين قال الزهري أخبرني سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف صبي ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم وأتى الجعرانة فأحرم منها بعمره وقسم بها غنائم حنين وأوطاس وتآلف أناس منهم أبو سفيان ابن حرب والحرت بن هشام وسهيل بن عمرو والقرع بن حابس فأعطاهم (ق) عن أنس بن مالك إن ناسا من الانصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تنقطر من دماهم قال انس حدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من آدم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال له فقهاء الانصار اماذا ورأينا يا رسول الله لم يقولوا شيئا وأما أناس منا حديثه أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تنقطر من دماهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أعطى رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم أفلا ترضون ان تذهب الناس بالاموال وترجعوا الى رجالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قدر ضينا قال فانكم ستجدون بعدي أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال أنس فلم نصبر (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكأنهم وجدوا اذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا والله ورسوله آمن قال فمأنعكم أن تجيبوا رسول الله كلما قال شيئا قالوا والله ورسوله آمن قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا أو كذا أو كذا أن تذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبوا بالنبى الى رجالكم لولا الهجرة لكنت امرا من الانصار ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار (م) عن رافع بن خديج قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة ابن حصن والقرع ابن حابس كل انسان مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس ابن مرداس

أجعل نهبي ونهب العبيد \* د بين عينة والقرع

فما كان حصن ولا حابس \* يفوقان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما \* ومن يخفض اليوم لا يرفع

قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة (خ) عن المسور ومروان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد عليهم ما لهم وسببهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي من ترون وأحب الحديث الى أصدقه فاختروا احدي الطائفتين اما المال واما السبي وقد كنت استأنيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فاماتين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اذ عليهم الا احدي الطائفتين قالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فائى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين واني قد رأيت ان أرد اليهم سببهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك لهم فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لهم يا رسول الله فقال لهم في ذلك اننا لندرى من أذن منكم ممن لم ياذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه أنهم قد طيبوا وأذنا فهدا الذي بلغنا من سبي هوازن وأنزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في

(اذ) بدل من يوم (أعجبتكم كثيرتكم) فادرك المسلمون كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهز مواحني بلغ فاهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام دابته وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه آخذ بركابه فقال للعباس (٢٢٨) صح بالناس وكان صيدا فنادى يا أصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون لبيك

ليبك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب فرماه بهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشكى وأنت المستعان وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر (فلم تغن عنكم شيئا وضافت عليكم الارض بما رحبت) ما مصدرية والباء بمعنى مع أى مع رحبها وحقيقته ملتبسة برهباء على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أى ملتبسها والمعنى لم تجددوا موضعا لغراكم عن أعدائكم فكأنها ضافت عليكم (ثم وليتم مدبرين) ثم انهزمتم (ثم أنزل الله سكينته) رحمة التي سكنوا بها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنود الم ترورها) يعنى الملائكة وكانوا ثمانية آلاف أو خمسة آلاف أو ستة عشر ألفا (وعذب

مواطن كثيرة ويوم حنين) اذ أعجبتكم كثيرتكم) يعنى حين قاتم ان تغلب اليوم من قلة (فلم تغن عنكم) يعنى كثيرتكم (شيئا) يعنى ان الظفر بالعد وليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله ومعوته (وضافت عليكم الارض بما رحبت) يعنى بسعتها وفضائها (ثم وليتم مدبرين) يعنى منهزمين (ثم أنزل الله سكينته) يعنى بعد الهزيمة والسكينة الطمأنينة والامنة وهي فعيلة من السكون وذلك أن الانسان اذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحركا واذا أمن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن وقوله تعالى (على رسوله وعلى المؤمنين) انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب في هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر (وأنزل جنود الم ترورها) يعنى الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذييل المشركين وتجيئهم للقتال لان الملائكة لم تقابل الا يوم بدر (وعذب الذين كفروا) يعنى بالاسر والقتل وسبي العيال والاموال (وذلك جزاء الكافرين) يعنى في الدنيا ثم اذا أفضوا الى الآخرة كان لهم عذاب أشد من ذلك العذاب وأعظم (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) يعنى فيهديه الى الاسلام كما فعل بمن بقي من هوازن حيث أسلموا ووقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين فن عليهم وأطلق سببهم (والله غفور) ان تاب (رحيم) بعباده وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قيل أراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من أصناف الكفار وقيل بل أراد جميع أصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشيء القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشيء الخبيث وأراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لان نجاسة العين سموا نجسا على الذم لان الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم وقيل هم أنجاس العين كالقاب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ ويروي هذا عن الزيدية من الشيعة والقول الاول أصح وقال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضئون (فلا يقربوا المسجد الحرام) المراد منهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام وبقوا كدهذا قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام أراد به الحرم لانه أسرى به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هانئ قال العلماء وجلة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام \* أحدها الحرم فلا يجوز لكافر أن يدخله بحال ذميا كان أو مستأما الظاهر هذه الآية وبه قال الشافعي وأحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام في الحرم فلا ياذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه أو يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم \* القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة واليمن ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهمي ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي وقال ابن الكلابي حد الحجاز ما بين جبل طي وطريق العراق سمي حجاز لانه حجز بين تهمامة ونجد وقيل لانه حجز بين نجد والسراة وقيل لانه حجز بين نجد وتهمامة والشام قال الحرابي وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول أرض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيمون فيها أكثر مقام من المسافر وهو ثلاثة أيام (م) عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك

الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد فيها ذلك على من يشاء) وهم الذين أسلموا منهم (والله غفور) يستركفر العدو بالاسلام (رحيم) بنصر الولي بعد الانهزام (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أى ذو ونجس وهو مصدر يقال نجس نجسا وقد رقدرا لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجنبون النجاسات فهي ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها (فلا يقربوا المسجد الحرام) فلا

فيها الامسلا زاد في رواية لغير مسلم وأوصى فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر وأجلاههم عمر في خلافته وأجل لمن يقدم ناجرا ثلاثا عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب أخرجه مالك في الموطأ مسلا (م) عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد يشس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم قال سعيد بن عبد العزيز بجزيرة العرب ما بين الوادي الى أقصى اليمن الى تخوم العراق الى البحر وقال غيره حد جزيرة العرب من أقصى عدن الى ريف العراق في الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى أطراف الشام عرضا \* والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافر أن يقيم فيها بعهد وأمان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم وقوله تعالى (بعد عامهم هذا) يعني العام الذي حج فيه أبو بكر الصديق بالناس وفيه نادى على براءة وان لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة (وان خفتم عيلة) يعني فقرا وفاقه وذلك ان أهل مكة كانت معاشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون الى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف أهل مكة من الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وان خفتم عيلة (فسوف يغنيكم الله من فضله) قال عكرمة فاغناهم الله بان أنزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها (ان شاء) قيل انما شرط المشيئة في الغني المطلوب ليكون الانسان دائم التضرع والابتهاال الى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات وان يقطع العبد أمه من كل أحد الا من الله عز وجل فانه هو القادر على كل شيء وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم رعاية الادب كما في قوله تبارك وتعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين (ان الله عليم) يعني بما يصلحكم (حكيم) يعني أنه تعالى لا يفعل شيئا الا عن حكمة وصواب فن حكمته ان منع المشركين من دخول الحرم وأوجب الجزية والنذر والصغار على أهل الكتاب فقال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) قال مجاهد نزلت الا آية حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزاه بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت أول جزية أصابها أهل الاسلام وأول ذل أصاب أهل الكتاب بايدي المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين والمعنى قاتلوا أيها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فان قلت اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر الله عنهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قلت إيمانهم بالله ليس كإيمان المؤمنين وذلك ان اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس بمؤمن بالله وقيل من اعتقد أن عزيرا ابن الله وان المسيح ابن الله فليس بمؤمن بالله بل هو مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس بمؤمن بالله واليهود والنصارى يكذبون أكثر الانبياء فليسوا بمؤمنين بالله وأما إيمانهم باليوم الآخر فليس كإيمان المؤمنين وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون ان أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا يمتنعون ومن اعتقد ذلك فليس كإيمان المؤمنين وان زعم أنه مؤمن وقوله تعالى (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) يعني ولا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه أنهم لا يحرمون ما حرم الله في القرآن ولا ما حرم رسوله في السنة وقيل معناه لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوهما وأتوا باحكام من قبل أنفسهما (ولا يدينون دين الحق) يعني ولا يعتقدون صحة الاسلام الذي هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام وهو قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقيل معناه ولا يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم (من الذين أتوا

الله عنه على الموسم ويكون المراد من نهى القرابان النهى عن الحج والعمرة وهو مذهبنا ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وصائر المساجد عندنا وعند الشافعي رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره وقيل نهى المشركين أن يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تكبيرهم منه (وان خفتم عيلة) أي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارقاق والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضله) من الغنائم أو المطر والنبات أو من متاجر جميع الاسلام (ان شاء) هو تعليم لتعليق الامور بمشيئة الله تعالى لتقطع الآمال اليه (ان الله عليم) باحوالكم (حكيم) في تحقيق آمالكم أو عليم بمصالح العباد حكم فيما حكم وأراد ونزل في أهل الكتاب (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله) لان اليهود منفية والنصارى مثلية (ولا باليوم الآخر) لانهم فيه على خلاف ما يجب حيث يزعمون أن لا كل في الجنة ولا شرب (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة ولا يعلمون بما في التوراة والانجيل (ولا يدينون دين الحق) ولا يعتقدون دين الاسلام الذي

هو الحق يقال فلا بد من  
 بكذا اذا اتخذ دينه ومعتقده  
 (من الذين أتوا الكتاب)  
 بيان للذين قبله وأما  
 المجوس فلحقون بأهل  
 الكتاب في قبول الجزية  
 وكذا الترك والهنود  
 وغيرهما بخلاف مشركي  
 العرب لما روى الزهري  
 أن النبي عليه السلام  
 صالح عبدة الاوثان على  
 الجزية الامن كان من  
 العرب (حتى يعطوا  
 الجزية) الى أن يقبلوها  
 وسميت جزية لانه يجب  
 على أهلها أن يجزوه أي  
 يقضوه وهي جزاء على  
 الكفر على التحميل في  
 تذييل (عن بد) أي عن  
 يد موانية غير متعنة ولذا  
 قالوا أعطى بيده اذا اتقاد  
 وقالوا زرع يده عن الطاعة  
 أو حتى يعطوها عن يد الى  
 يد نقد غير نسيئة لا مبعوثا  
 على يد أحد ولكن عن  
 يد المعطى الى يد الآخذ  
 (وهم صاغرون) أي  
 تؤخذ منهم على الصغار  
 والذل وهو أن يأتي بها  
 بنفسه ماشيا غير راكب  
 ويسلمها وهو قائم والمسلم  
 جالس وان يتسل تلتلة  
 ويؤخذ بتليبيه ويقال  
 له أدا الجزية يا ذمي وان كان  
 يؤديها ويزخ في قفاه  
 وتسقط بالاسلام

(الكتاب) يعني أعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى (حتى يُعطوا الجزية) وهي ما يعطى المعاهد من أهل  
 الكتاب على عهده وهي الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاجترأ بها في حقن دماهم (عن يد)  
 يعني عن قهر وغلبة يقال لكل من أعطى شيئا كرها من غير طيب نفس أعطى عن يد وقال ابن عباس  
 يعطونها بايديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقد الانسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام  
 المسامين عليهم بقبولها منهم (وهم صاغرون) من الصغار وهو الذل والاهانة يعني يعطون الجزية وهم أذلاء  
 مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قائمون والقابض جالس وقال ابن عباس تؤخذ الجزية من  
 أحدهم وتوطأ عنقه وقال الكبي اذا أعطى يصفع قفاه وقيل هو ان يؤخذ بلحيته ويضرب في لحيته  
 ويقال له ادحق الله يا عدو الله وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه الصغار هو جريان أحكام المسلمين  
 عليهم

﴿فصل في بيان أحكام الآيات﴾ اجتمعت الاممة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم اليهود  
 والنصارى اذا لم يكونوا نواعر باواختلفوا في أهل الكتاب العرب وفي غير أهل الكتاب من كفار الجهم فذهب  
 الشافعي الى ان الجزية على الاديان لا على الانساب فتؤخذ من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجماء ولا تؤخذ  
 من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روى عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى أكيذر  
 دومة فاخذه فاتوا به فخن دمه وصالحه على الجزية أخرجه أبو داود وقال الشافعي وهو رجل من العرب  
 يقال انه من غسان وأخذ من أهل ذمة اليمين وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعي الى ان الجزية تؤخذ من  
 جميع الكفار الا المرتد وقال أبو حنيفة تؤخذ من أهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي الجهم ولا  
 تؤخذ من مشركي العرب وقال أبو يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من العجمي  
 كتابيا كان أو مشركا وأما المجوس فاتفقت الصحابة على جواز الاخذ منهم ويدل عليه ما روى عن بحالة بن  
 عبيدة ويقال عبدة لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر أخرجه البخاري عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب  
 ذكر المجوس فقال ما أدري كيف أصنع في أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف أشهد أني سمعت رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم يقول يقول سنواهم سنة أهل الكتاب أخرجه مالك في الموطأ عن ابن شهاب قال بلغني ان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس البحرين وان عمر أخذها من مجوس فارس وان  
 عثمان بن عفان أخذها من البربر أخرجه مالك في الموطأ وفي امتناع عمر من أخذ الجزية من المجوس حتى  
 شهد عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها منهم دليل على ان رأى الصحابة كان على انها لا تؤخذ  
 من كل مشرك وانما تؤخذ من أهل الكتاب واختلفوا في أن المجوس هل هم من أهل الكتاب فروى عن  
 علي بن أبي طالب أنه قال كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد أسرى على كتابهم فرفع من بين أظهرهم  
 واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومنا كحتم بخلاف أهل الكتاب وأما من دخل في دين اليهود والنصارى من  
 غيرهم من المشركين فينظر فان كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل فانهم يقرون بالجزية وتحمل  
 منا كحتمهم وذبائحهم وان كانوا دخلوا فيه بعد النسخ بجيء محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شرعهم بشرعيته  
 فانهم لا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومنا كحتمهم ومن شككنا في أمرهم هل دخلوا فيه بعد النسخ أو قبله  
 يقرون بالجزية تغليباً لحقن الدم ولا تحل ذبائحهم ومنا كحتمهم تغليباً للتحريم ومنهم نصارى العرب من  
 تنوخ وبهراء وبني تغلب أقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم وأما الصابئة والسامرة فسيبناهم سبيل أهل  
 الكتاب فهم في أهل الكتاب كاهل البدع في المسلمين وأما قدر الجزية فاقلهاد دينار ولا يجوز أن ينقص عنه  
 ويقبل الدينار من الغني والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روى عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم لما وجهه الى اليمن امره أن يأخذ من كل عالم أي محتمل ديناراً أو عدله من المعافرية ثياب تكون باليمن  
أخرجه أبوداود فالنبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يأخذ من كل محتمل وهو البالغ ديناراً ولم يفرق بين الغني  
والفقير والمتوسط وفيه دليل على أنه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وإنما تؤخذ من الأحرار البالغين  
وذهب قوم الى أن على كل موسر أربعين ديناراً وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير ديناراً وهو قول  
أصحاب الرأي ويدل عليه ما روى عن أسلم أن عمر بن الخطاب ضرب الجزية على أهل الذهب أربعين ديناراً  
وعلى أهل الورق أربعين درهماً مع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام أخرجه مالك في الموطأ قال  
أصحاب الشافعي أقل الجزية ديناراً لا يزيد على الدينار إلا بالتراضي فإذا رضى أهل الذمة بالزيادة ضرر بنا على  
المتوسط دينارين وعلى الغني أربعين ديناراً قال العلماء إنما قرأ أهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف أهل  
الشرك حرمة لأبائهم الذين انقروا على الدين من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وأيضا  
فإن بأيديهم كتباً قديمة فرمات فكروا فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فامهلوا لهذا  
المعنى وليس المقصود من أخذ الجزية من أهل الكتاب إقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن  
دمائهم وامهالهم رجاء أن يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بان يؤمنوا وصدقوا إذا رأوا محاسن الإسلام وقوة  
دلالاته وكثرة الداخلين فيه <sup>قوله عز وجل</sup> (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله)  
الآية لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة أن اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين  
الحق يئنه في هذه الآية فاخبر عنهم أنهم أثبتوا لله ولداً ومن جوز ذلك على الله فقد أشرك به لأنه لا فرق بين  
من يعبد صنماً وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا أنهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب  
أخذ الجزية منهم وابقائهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التي بأيديهم ولعلمهم بتفكيرون  
فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه روى سعيد بن جبيرة وعكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا  
كيف تنبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزير ابن الله فأنزل الله هذه الآية وقال عبيد بن عمير إنما  
قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال إن الله فقير ونحن أغنياء فعلى  
هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود أو واحد وإنما نسب ذلك الى اليهود في وقالت اليهود جريا  
على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب الخيل وإنما يركب فرساً واحداً  
منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحد منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس  
أنه قال إنما قالت اليهود ذلك من أجل أن عزير كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فاضاءوا  
التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا  
الله عزير وابتهل اليه أن يرد اليه التوراة فيبينها هو يصلي مبتهلاً الى الله عز وجل نزل نور من السماء فدخل  
جوفه فعادت اليه فاذن في قومه وقال يا قوم قد آتاني الله التوراة ووردها الي فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله  
ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه  
مثله فقالوا ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله وقال الكلباني ان تختصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني  
اسرائيل وقتل من قرأ التوراة كان عزير اذ ذاك صغيراً فلم يقتله لصغره فلم يرجع بنو اسرائيل الى بيت  
المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله لهم عزير ليحدثهم التوراة ويكون لهم آية بعد ما أماته الله  
مائة سنة قال فأتى ملكاً ببناء فيه ماء فشرب منه فمات له التوراة في صدره فلما أناهم قال أنا عزير فكذبوه وقالوا  
ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكاتبها لهم من صدره ثم ان رجلاً منهم قال ان أبي حدثني عن جدي ان  
التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى أخرجوها فاعراضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه

(وقالت اليهود) كلهم  
أو بعضهم (عزير ابن الله)  
مبتدأ وخبر كقوله المسيح  
ابن الله وعزير اسم  
عجمي ولعجمته وتعريفه  
امتنع صرفه ومن نون  
وهم عاصم وعلى فقد جعله  
عربياً (وقالت النصارى  
المسيح ابن الله)

ذلك قولهم بافواهم) أي  
قول لا يعضده برهان ولا  
يستند الى بيان فها هو الا  
لفظ يصفهون به فارغ عن  
معنى تحته كالألفاظ المهمة  
(يضاهون قول الذين  
كفروا من قبل) لا بد فيه  
من حذف مضاف تقديره  
يضاهي قولهم قولهم ثم  
حذف المضاف وأقيم الضمير  
المضاف اليه مقامه فانقلب  
مرفوعا يعني ان الذين كانوا  
في عهد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم من اليهود  
والنصارى يضاهي قولهم  
قول قدمائهم يعني أنه كفر  
قديم فيهم غير مستحدث  
أو الضمير للنصارى أي  
يضاهي قولهم المسيح ابن  
الله قول اليهود عزير ابن  
الله لانهم أقدم منهم  
يضاهون عاصم وأصل  
المضاهاة المشابهة والاكثر  
ترك الهمز واشتقاقه من  
قولهم امرأة ضيياء وهي  
التي أشبهت الرجال بانها  
لا تحيض كذا قاله الزجاج  
(قاتلهم الله) أي هم أحقاء  
بان يقال لهم هذا (أني  
يؤفكون) كيف يصرفون  
عن الحق بعد قيام الرهان  
(اتخذوا) أي أهل الكتاب  
(أخبارهم) تلمذهم  
(ورهبانهم) نساكهم  
(أربابا) آلهة (من دون  
الله

غادر حرافة فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب عزير الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى  
هذين القولين ان هذا القول كان فاشيا في اليهود جميعا ثم انه انقطع واندرس فاخبر الله تعالى به عنهم وأظهره  
عليهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل أصدق وأثبت من انكارهم وأما قول النصارى المسيح  
ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة يصلون  
الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص  
قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار  
مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمدا  
الى فرس كان يقاتل عليه فعرقه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم انه أتى الى النصارى  
فقالوا له من أنت قال أنا عدوكم بولص فقد نوديت من السماء أنه ليس لك توبة حتى تنصروا وقد نبت وأنتكم  
فادخلوه الكنيسة ونصروه وأدخلوه بيتا منهم لم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان  
الله قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عمدا الى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نستور والآخر  
يعقوب والآخر ملكان فعلم نستورا أن عيسى ومرسيم والاله ثلاثة وعلم يعقوب أن عيسى ليس بانسان  
ولكنه ابن الله وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في  
الخلوة وقال له أنت خالتي وادع الناس لماء عمتك وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رأيت  
عيسى في المنام وقد رضى عني وقال لكل واحد منهم اني سأذبح نفسي تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح  
نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والآخر الى ناحية أخرى وأظهر  
كل واحد منهم مقالته ودعا الناس اليها فتبعه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال  
فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله وقال الامام نضر الدين الرازي بعد أن حكى هذه الحكاية والاقرب  
عندي أن يقال لعله ذكر لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشرية كما ورد لفظ الخليل في حق ابراهيم على  
سبيل التشرية فبالغوا وفسروا اللفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم وفشاهدا المذهب  
الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال (ذلك قولهم بافواهم) يعني انهم يقولون  
ذلك القول بالاستنهم من غير علم يرجعون اليه قال أهل المعاني لم يذكروا الله قولنا بالافواه واللسن  
الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له (يضاهون) قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال  
مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون (قول الذين كفروا من قبل) قال قتادة والسدي معناه ضاهت  
النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه  
يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله وقال الحسن شبه الله  
كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال القتيبي يريد أن من كان في عصر  
النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قاله أولوهم (قاتلهم الله) قال ابن عباس لعنهم الله  
وقال بن جرير قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقابلة ولكنه بمعنى التعجب أي حق أن يقال لهم هذا  
القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله الله ما أعجب فعله (أني يؤفكون) يعني  
أني يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل واقامة الحجة بان الله واحد أحد فجعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك  
علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله سبحانه وتعالى لا يتعجب من شيء ولكن هذا الخطاب  
على عادة العرب في مخاطبتهم فالله سبحانه وتعالى عجب بنبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم  
على الباطل ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) يعني اتخذ اليهود  
والنصارى علماءهم وقراءهم والاحبار العلماء من اليهود والرهبان أصحاب الصوامع من النصارى أربابا من



دون الله يعني أنهم أطاعوه في معصية الله تعالى وذلك أنهم أحلوا لهم أشياء وحرموا عليهم أشياء من قبل أنفسهم فاطاعوه فيها فاتخذوهم كالآراء باب لأنهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الاطية عن علي بن حاتم قال أثبت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فنادى يا عدى اطرع عنك هذا الوثن وسمعت يقرأ في سورة براءة اتخذوا أحيارهم ورهبانهم آرباباً من دون الله قال أما أنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلووه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال عبد الله ابن المبارك وهل يدل الدين الاملوك و أحبار سوء ورهبانها

(والمسيح ابن مريم) يعني اتخذوه اهاوذاك لما اعتقدوا فيه البنوة والخلول اعتقدوا فيه الاطية (وما أمروا) يعني وما أمروا في الكتب القديمة المنزلة عليهم على السنة أنبيائهم (الايعبدوا اهاو احداً) لانه سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة لا غيره (لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) أي تعالى الله وتنزهه عن أن يكون له شريك في العبادة والاحكام وأن يكون له شريك في الاطية يستحق التعظيم والاجلال (يريدون) يعني يريدون ساء اليهود والنصارى (أن يظنوا نور الله بافواهم) يعني يريدون لاء ابطال دين الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه وقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي أمور أحدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التي ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانها القرآن العظيم الذي نزل عليه من عند الله فهو معجزته باقية على الابد دالة على صدقه وثالثها أن دينه الذي أمر به وهو دين الاسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والثناء عليه والالتقياد لامره ونهييه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبري من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة ودلائل واضحة في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمن أراد ابطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله سبحانه وتعالى وعده نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمن يدين النصر ولاء الكلمة واظهار الدين بقوله (ويا أي الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) يعني ويا أي الله الا أن يعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك الكافرون قوله عز وجل (هو الذي أرسل رسوله) يعني أن الله الذي يأتي الا أن يتم نوره هو الذي أرسل رسوله يعني محمد صلى الله عليه وسلم (باهدي) يعني بالقرآن الذي أنزله عليه وجعله هادياً اليه (ودين الحق) يعني دين الاسلام (ليظهره) يعني ليعليه (على الدين كله) يعني على سائر الاديان وقال ابن عباس الهاء في ليظهره عائدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شيء منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها وهو أن لا يعبد الله الا به وقال أبو هريرة والضحاك ذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى أهل دين الا دخلوا الاسلام ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة في حديث نزول عيسى عليه السلام قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ومهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا بر الا أدخله الله كلمة الاسلام اما عزير او بذل دليل اما ان يعزهم فيجعلهم من أهله فيعزوا به واما ان يدهم فيدينون له أخرجه البغوي بغير سند (م) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد الا للآلات والعزى فقلت يا رسول الله انى كنت أظن حين أنزل الله تعالى هو الذي أرسل رسوله باهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك ماشاء الله ثم بعث الله محمداً في كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين آباءهم قال الشافعي وقد أظهر الله دين رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان كلها ابان لكل من سمعه أنه الحق وما خالفه من الاديان باطل وقال وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الاميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين

حيث اطاعوه في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله كما يطاع الارباب في أوامرهم ونواهيهم (والمسيح ابن مريم) عطف على أحبارهم أي اتخذوه ربا حيث جعلوا ابن الله وما أمروا الا يعبدوا اها واحداً يجوز الوقف عليه لان ما بعده يصلح ابتداء ويصلح وصفاً واحداً (لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) تنزيه له عن الاشراك (يريدون أن يطفؤا نور الله بافواهم ويا أي الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيدوه ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق ليطفئه بنفخة أجرى ويا أي الله مجرى لا يريد الله ولذا وقع في مقابلة يريدون والا يقال كرهت أو أبغضت الا زيدا (هو الذي أرسل رسوله) محمد عليه السلام (باهدي) بالقرآن (ودين الحق) الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على أهل الاديان كلها أو ليظهر دين الحق على كل دين

حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل أهل الكتاب وسبي حتى دان بعضهم بالاسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليه حكمه فهذا هو ظهوره على الدين كله (ولو كره المشركون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان كثير من الاحبار والرهبان) قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى وفي قوله سبحانه وتعالى ان كثير ادليل على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم ياكلوا أموال الناس بالباطل ولعلمهم الذين كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن أخذ الاموال بالاكل في قوله تعالى (ليأكلون أموال الناس بالباطل) لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمى الشيء باسم ما هو أعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من أجله أكلوا أموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا يأخذون الرشام من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمساحة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بأيديهم كتبيا بحر فونها ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله ويأخذون بها ثمانا قليلا وهي الماء كل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في كتبهم لانهم كانوا يخافون لو آمنوا به وصرفوه لذهبت عنهم تلك الماء كل وقيل ان التوراة كانت مشتملة على آيات دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الاحبار والرهبان يذكرون في تاولها وجوها فاسدة باطلة ويحرفون معانيها طلبا للرياسة وأخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) يعنى ويمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام (والذين يكنزون الذهب والفضة) أصل الكنز في اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز مجموع واختلفوا في المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة فقيل هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان لان الله سبحانه وتعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدي نزلت في ما نهي الزكاة من المسلمين وذلك انه سبحانه وتعالى لما ذكركم في طريقة الاحبار والرهبان في الحرص على أخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكروا عيدهم من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى وصف أهل الكتاب بالحرص على أخذ أموال الناس بالباطل ثم ذكر بعده وعيدهم من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان من أهل الكتاب أو من المسلمين (خ) عن زيد بن وهب قال صررت بالريذة فاذا بانى ذر فقلت ما أنزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت أبا معاوية في هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الى عثمان ان أقدم المدينة ففقدتها فكثرت على الناس حتى كانوا لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تمنحيت فكنت قريبا فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمر على عبد حبشى لسمعت وأطعت واختاف العلماء في معنى الكنز فقيل هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد ذلك وروى عن ابن عمر انه قال له اعرابي أخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد ذلكها ويل له هذا كان قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرا للاموال أخرجته البخارى وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسئل عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة ورواه الطبرى بسنده عن ابن عمر قال كل ما أدبت زكاته فليس يكنزا وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكوي به صاحبه وان لم يكن مدفونا وروى عن علي بن أبي طالب قال أربعة آلاف فما فوقها كنز وما دونها نفقة وقيل الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه وروى الطبرى بسنده عن أبي امامة قال توفي رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى

(ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا ان كثير من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس) استعمار الاكل للاخذ (بالباطل) أى بالرشا في الاحكام (ويصدون) سفلتهم (عن سبيل الله) دينه (والذين يكنزون الذهب والفضة) يجوز أن يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين ذميتين فيهم أخذ الرشا وكنز الاموال والضن بهما من الاتفاق في سبيل الخير ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقةين ويقرن بينهم وبين المرتشين من أهل الكتاب تغليظا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس يكنزا وان كان باطنا وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو يكنزا وان كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة رضى الله عنهم كعبد الرحمن ابن عوف وطلحة يفتنون الاموال وبتصرفون فيها وما عابهم أحد من أعراف عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والافتناء مباح لا يذم صاحبه

الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في منزله ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا في أول  
الاسلام قبل أن تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال أخرجه لاحتياج غيره إليه فلما  
فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر  
ذلك على المسلمين فقال عمر أنا فرج عنكم فانطلق فقال يا بني الله انه كبر على أصحابك هذه الآية فقال ان الله لم  
يفرض الزكاة الا لتطيب ما بقى من أموالكم وانما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال  
له الا أخبرك بخير ما يكنز المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته واداء امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته  
أخرجه أبو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كأمع  
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه أنزلت في الذهب والفضة فلو علمنا أي  
المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضله لسان ذا كرو قلب شاكر وزوجة صالحة  
تعين المؤمن على إيمانه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الأقوال القول الاول وهو  
ما ذكرناه عن ابن عمر ان كل مال أدبت زكاته فليس يكنز ولا يحرم على صاحبه ا كتنازه وان كثروا ان كل  
مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وان قل اذا كان مما تجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد  
من الله الا أن يتفضل الله عز وجل عليه بعفو وغفرانه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له  
صفائح من نار فاحي عايبها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره كالمارديت أعيدت له في يوم كان  
مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله  
فالا بل قال ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها ومن حطبها حلها يوم ورودها الا اذا كان يوم القيامة بطح  
لها بقاع قرقر أو فرما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفافها وتعصبها بقواها كلما مر عليه أو لاهها  
رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى  
النار قيل يا رسول الله فالبقرة والغنم قال ولا صاحب بقرة ولا غنم لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها  
بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلعاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما مر  
عليه أو لاهها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى  
الجنة واما الى النار أخرجه مسلم بزيادة فيه قوله كالمارديت أعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت  
بضم الراء وفي بعضها ردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية الاولى هي رواية الجمهور قوله حلها هو بفتح  
اللام على المشهور وحكى اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوي من الارض الواسع الاملس  
والعقصاء هي الشاة المتتوية القرنين وانما استثنائها لانها لا تؤلم بنطحها وكذا الجلعاء وهي الشاة التي لا قرن  
لها وكذا العضباء وهي الشاة المكسورة القرن (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ بلهزمته يعني  
شذقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله  
هو خيرا لهم الآية الشجاع الحية والاقرع صفة له بطول العمر لان من طال عمره تمزق شعره وذهب وهي صفة  
أخبث الحيات والزبيبتان هما الذبدنان في الشدقين واللهمتان عظامان ناتئتان في اللحين تحت الاذنين  
وقوله تعالى (ولا ينفقونها في سبيل الله) يعني ولا يؤديون زكاتها وانما قال ولا ينفقونها ولم يقل ينفقونها  
لانه رد الكفاية الى المال المكنوز وهي أعيان الذهب والفضة وقيل رد الكفاية الى الفضة لانها أغلب أموال  
الناس (فبشرهم به) نذاب أليم) يعني الكافر بن الذين لا يؤديون زكاة أموالهم (ق) عن أبي ذر قال انتهيت  
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت

(ولا ينفقونها في سبيل الله)  
الضمير راجع الى المعنى لان  
كل واحد منهما ناداير ودرهم  
فهو كقوله وان طائفتان  
من المؤمنين اقتتلوا وأريد  
الكنوز والاموال أو معناه  
ولا ينفقونها والذهب كما أن  
معنى قوله  
فاني وقيار بها القريب  
وقيار كذلك وخصا بالذ كر  
من بين سائر الاموال لانها  
قانون القبول وأمان الاشياء  
وذ كر كنزها دليل على  
ماسواهما (فبشرهم  
بعذاب أليم) ومعنى قوله

يوم يحمي النار عليها فلما  
حذفت النار قيل يحمي  
لاتقال الامناد عن النار  
الى عليها كما تقول رفعت  
القصة الى الامير فان لم تذكر  
القصة قلت رفع الى الامير  
(فتكوى بها جباههم -  
وجنوبهم وظهورهم)  
وخصت هذه الاعضاء لانهم  
كانوا اذا ابصروا الفقير  
عبسوا واذا اصمهم وايه  
مجلس ازوروا عنه وتولوا  
باركانهم وولوه ظهورهم  
او معناه يكوون على  
الجهات الاربع مقاديمهم  
وما خبرهم وجنوبهم -  
(هذا ما كنزتم لانفسكم)  
يقال لهم هذا ما كنزتموه  
لتنفع به نفوسكم وما علمتم  
انكم كنزتموه لتستضربه  
انفسكم وهو توبيخ  
(فذوقوا ما كنتم تكفرون)  
أي وبال المال الذي كنتم  
تكفرونه او وبال كونكم  
كانزين (ان عدة الشهور  
عند الله اثنا عشر شهرا)  
من غير زيادة والمراد بيان  
ان احكام الشرع بتنتى على  
الشهور القمرية المحسوبة  
بالاهلة دون الشمسية (في  
كتاب) الله فيها اثبتة وأوجب  
من حكمه أو في اللوح (يوم  
خلق السموات والارض  
منها أربعة حرم) ثلاثة  
سرد ذو القعدة للقعود عند  
القتال وذو الحجة للحج

حتى جلست فلم أنقار حتى قت فقات يارسول الله فداك أبي وأمي من هم قال هم الا كثرون أموال الامن قال  
هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا  
غنم لا يؤدى زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقر ونها وتطوه باظلافها كلما نفدت  
آخرها عادت عليه أو لاها حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخارى في موضعين ﴿ وقوله تعالى  
(يوم يحمي عليها) يعنى على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة (في نار جهنم  
فتكوى بها جباههم) يعنى بالكنوز جباه كانزيها (وجنوبهم وظهورهم) قال ابن عباس لا يوضع دينار  
على دينار ولا درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته قال بعض العلماء انما  
خص هذه الاعضاء بالسكى من بين سائر الاعضاء لان الغنى صاحب المال اذا اتاه السائل فطلب منه شيئا تبدو  
منه آثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب وجهه ويكأح وتجتمع أسارى ووجهه فيتجدد جبينه ثم ان كرر  
السائل الطلب نأى بجانبه عنه ومال عن جهته وتركه جانبا ثم ان كرر الطلب وألح في السؤال ولاه ظهره  
واعرض عنه واستقبل جهة أخرى وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال على كراهية الاعطاء والبذل  
وهذا أب مانعى البر والاحسان وعادة البخلاء فلذلك خص هذه الاعضاء الثلاثة بالسكى يوم القيامة ﴿ وقوله  
سبحانه وتعالى (هذا ما كنزتم لانفسكم) أى يقال لهم ذلك يوم القيامة (فذوقوا ما كنتم تكفرون) أى  
فذوقوا عذاب ما كنزتم فى الدنيا من الاموال ومنعتم حق الله منها (ق) عن الاحنف بن قيس قال قدمت  
المدينة فيبدأ أنافى حلقة فيها ملامن قريش اذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم  
فقال بشر الكازين برضف يحمى عليه فى نار جهنم فيوضع على حامة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض  
كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حامة ثديه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فارأيت أحدا  
منهم يرجع اليه شيئا قال فادبر فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم  
فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيئا هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم أذكرها وزاد البخارى ١ قلت من هذا قالوا  
أبو ذر قال فقلت اليه فقلت ما شئ سمعتك تقول قبيل فقال ما قلت الا شيئا سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم  
﴿ قوله عز وجل (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) هي المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر  
وجادى الاولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه شهور السنة  
القمرية التي هي مبنية على سير القمر فى المنازل وهي شهور العرب التي يعتد بها المسلمون فى صيامهم  
ومواقيت حجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم وأيام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة  
الشمسية عبارة عن دور الشمس فى الفلك دورة مائة وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وبع يوم فتتقص  
السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الحج والصوم  
تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية من أجل النسيء الذى كانت العرب  
تفعله فى الجاهلية فكان يقع حجهم تارة فى وقته وتارة فى المحرم وتارة فى صفر وتارة فى غيره من الشهور فاعلم  
الله عز وجل ان عدة شهور سنة المسلمين التي يعتدون بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو  
قوله تبارك وتعالى ان عدة الشهور عند الله يعنى فى علمه وحكمه اثنا عشر شهرا (فى كتاب الله) يعنى فى اللوح  
المحفوظ الذى كتب الله فيه جميع أحوال الخلق وما يؤتون وما يذرون وقيل أراد بكتاب الله القرآن لان فيه  
آيات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل أراد بكتاب الله الحكيم الذى أوجبه وأمر عباده بالاخذ به (يوم  
خلق السموات والارض) يعنى أن هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض أن السنة اثنا عشر  
شهرا (منها) يعنى من الشهور (أربعة حرم) وهي رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متوالية  
وانما سميت حرم لان العرب فى الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان أحدهم لقي قاتل أبيه

وابنه وأخيه في هذه الأربعة الأشهر لم يهجه ولما جاء الإسلام لم يزد لها الاحرممة وتعظيمها لان الحسنات والطاعات فيها تتضاعف وكذلك السيئات أيضا أشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الأشهر الحرم (ذلك الدين القيم) يعني ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوي فالدين هنا يعني الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعني حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل أراد بالدين القيم الحكم الذي لا يغير ولا يبدل والقيم هنا يعني الدائم الذي لا يزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدد في صورههم ونحجهم وأعيادهم وبياعاتهم وأجل ديونهم وغير ذلك من سائر أحكام المسلمين المرتبة على الشهور (ق) عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جنادى وشعبان أى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسمية بغير اسمه فقال أليس ذوالحجة قلنا بلى قال أى باد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسمية بغير اسمه قال أليس البلد الحرام قلنا بلى قال فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسمية بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألافلا تترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا يبلغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يباغى أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال ألا هل بلغت الأهل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد ﴿ وقوله تعالى (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قيل الكناية في فيهن ترجع الى جميع الأشهر أى لا تظلموا أنفسكم في جميع أشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية ترجع الى الأشهر الحرم وهو قول أكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح أعظم أجر في الأشهر الحرم والظلم فيهن أعظم منه فيما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرم والغارة فيهن وقال محمد بن اسحق بن يسار لا تجعلوا حلالا حراما ولا حراما حلالا كفعل أهل الشرك وهو النسيء وقيل ان الانفس مجبولة بطبعتها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لاجرم أن الله خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبائح والمنكرات فربما تركها في باقى الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والأشهر الحرممة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصي في غيرها من الأشهر فهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الأشهر دون بعض بمزيد التعظيم وكذلك الامكنة أيضا وقوله سبحانه وتعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) يعني قاتلوا المشركين باجمعهم مجتمعين على قتالهم كما أنهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وناصروا على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدبروا ولا تنفشلوا ولا تنجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقابلة أعدائكم من المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم فقال قوم كان كبير احرامهم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الأشهر الحرم وفي غيرها وهذا قول قتادة وعطاء الخراساني والزهرى وسفيان الثوري قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بنخنين وثقيفا بالطائف وحاصره في شوال وبعض ذى القعدة وقال آخرون انه غير منسوخ قال ابن جرير حلف بالله عطاء بن أبى رباح ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم وما نسخت الآن يقاتلوا فيها (واعلموا أن الله مع المتقين) يعني بالنصر والمعونة على أعدائهم قوله سبحانه وتعالى (انما النسيء زيادة في الكفر) النسيء في اللغة عبارة عن التأخير في الوقت ومنه النسبة في البيع ومعنى النسيء المذكور في الآية هو تأخير شهر حرام الى شهر آخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة

وواحد فرد وهو رجب لترجييب العرب اياه أى لتعظيمه (ذلك الدين القيم) أى الدين المستقيم لا ما يفعله أهل الجاهلية يعنى أن تحريم الأربعة الأشهر هو الدين المستقيم ودين ابراهيم واسماعيل وكانت العرب تمسك به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسيء فغيروا (فلا تظلموا فيهن) فى الحرم أو فى الاثنى عشر (أنفسكم) بارتكاب المعاصي (وقاتلوا المشركين كافة) حال من الفاعل أو المفعول (كما يقاتلونكم كافة) جميعا (واعلموا أن الله مع المتقين) أى ناصر لهم حتى يهزمهم على التقوى بضمان النصرة لاهلها (انما النسيء) باطل مزلة مصدر نساءه اذا أخره وهو تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهر آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر (زيادة في الكفر) أى هذا الفعل منهم زيادة في كفرهم

الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامة معايش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة اشهر متواليه ور بما وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم الى الاشهر الحلال ففسوا يعني آخر واحريم شهر الى شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيستحلون المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تأخير تحريم صفر آخر وه الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فجوافي ذى الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذا باقي شهور السنة فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع المرة الثانية من ذى القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق نجمة شهر ذى الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر بمبى وأعلمهم ان أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث المتقدم وأمرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستأنف الايام واختافوا في أول من نسا النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد أول من نسا النسيء بنو مالك بن كنانة وكان يليه جنادة بن عوف بن أمية الكعبي وقال الكعبي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يقوم على الناس في الموسم فاذا هم الناس باصدر قام فخطب الناس فيقول لامر دلمما قضيت أنا الذي لأعاب ولا أجاب فيقول له المشركون ابيك ثم يسألونه أن ينسئهم شهراً يغيرون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال عقدوا أوتار القسي وركبوا الاسنة في الرماح وأغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القامس قال شاعرهم

\* وفي ناسي الشهر القامس \* وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس ان أول من نسى النسيء عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف والذي صح من حديث أبي هريرة وعائشة ان عمرو بن لحي أول من سبب السوائب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبة في النار فهذا ما ورد في تفسير النسيء الذي ذكره الله في قوله انما النسيء زيادة في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم أمروا بايقاع كل فعل في وقته من الاشهر الحرم ثم انهم بسبب اغراضهم الفاسدة أخره الى وقت آخر بسبب ذلك النسيء فاوقعوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم (يضل به الذين كفروا) قرئ بضل بفتح الياء وكسر الضاد ومعناه يضل بالنسيء الذين كفروا وقرئ بضل بضم الياء وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم أضلوهم وجاؤهم عليه وقرئ بضل به الذين كفروا بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يضل الله به الذين كفروا أو يضل به الشيطان الذين كفروا يتز بين ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا تابعتهم والآخذين بافعالهم وهذا الوجه أقوى الوجهين في تفسير قراءة من قرأ بضل بضم الياء وكسر الضاد (يجلونه عاما ويحرمونه عاما) يعني يحلون ذلك الانساء عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون الشهر المحرم عاما فيجعلونه حلالا ليغير واقبه ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما فلا يغيرون فيه (ليواطوا) يعني ليوافقوا (عدة ما حرم الله) يعني أنهم ما أحلوا شهرا من المحرم الا حرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا من الحرام لاجل أن يكون عدد الاشهر الحرم أربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد لافي الحكم كذلك قوله سبحانه وتعالى (فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل

(يضل) كوفي غير أبي بكر  
(به الذين كفروا) بالنسيء  
والضمير في (يجلونه عاما  
ويحرمونه عاما) للنسيء  
أى اذا أحلوا شهرا من  
الاشهر الحرم عاما رجعوا  
فحرموه في العام القابل  
(ليواطوا عدة ما حرم  
الله) ليوافقوا العدة التي  
هي الاربعة ولا يخالفوها  
وقد خالفوا التخصيص  
الذي هو أحد الواجبين  
واللام تتعاقب بيجلونه  
ويحرمونه أو بيجلونه  
فحسب وهو الظاهر  
(فيحلوا ما حرم الله) أى  
فيحلوا بما أطاة العدة  
وحدها من غير تخصيص  
ما حرم الله من القتال  
أو من ترك الاختصاص  
للالشهر بعينها (زين لهم  
سوء أعمالهم) زين  
الشيطان لهم ذلك فحسبوا  
أعمالهم القبيحة حسنة

(والله لا يهدي القوم الكافرين) حال اختيارهم الثبات على الباطل (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم أنفروا) أخرجوا (في سبيل الله اتناقلتم) تناقلتم وهو أصله إلا أن التاء أدغمت في التاء فصارت تاء ساكنة (٢٣٩) فدخلت ألف الوصل لتلايتها بألسنة أي

تباطؤتم (إلى الأرض ضمن معنى الميل والاختلال فعدى إلى أي ملتم إلى الدنيا وشبهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعه أي ملتم إلى الإقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك استنفرنا في وقت عسرة وحظ وقبظ مع بعد الشقة وكثرة العدو وفشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الأورى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) بدل الآخرة (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة) في جنب الآخرة (الاقبال الانفروا) إلى الحرب (يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضره شيئاً) سخط عظيم على المتأقلمين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوماً آخرين خيراً منهم وأطوع وأنه غنى عنهم في نصرته فإنه لا يقدح ثناقلهم فيها شيئاً وقيل الضمير في ولا تضره للرسول عليه السلام لأن الله وعده أن يعصمه من الناس وإن

(والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني أنه سبحانه وتعالى لا يرشد من هو كافر أئيم لما سبق له في الأزل أنه من أهل النار ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله اتناقلتم إلى الأرض) نزلت هذه الآية في الحث على غزوة تبوك وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزوروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحرحين طابت الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الأورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حربه شديدة واستقبل سفره بعباد ومفاوز وعدداً كثيراً وجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتناقلوا فانزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم يعني قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفروا في سبيل الله أي أخرجوا إلى الجهاد يقال استنفر الامام الناس إذا حثهم على الخروج إلى الجهاد ودعاهم إليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وإذا استنفرتم فأنفروا والأسم النفي اناقلتم أي تناقلتم وتباطؤتم عن الخروج إلى الغزوة إلى الأرض يعني لزمتم أرضكم ومساكنكم وإنما استثقل ذلك الغزوة وشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحروب والمسافة والحاجة إلى كثرة الاستعداد من العدد وال زاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيراً فاستثقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله تعالى بقوله (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) يعني أرضيتم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعتها من نعيم الآخرة (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) يعني ان لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينفد عن قليل ونيعم الآخرة باق على الابد فلماذا السبب كان متاع الدنيا قليلاً بالنسبة إلى نعيم الآخرة وفي الآية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله سبحانه وتعالى نص على ان تناقلهم عن الجهاد أمر منكرو فلو لم يكن الجهاد واجباً لما عاتبهم على ذلك التناقل ويؤكده هذا الوعيد المذكور الآية الآتية وهي قوله تعالى (الأنفروا) يعني ان لم تنفروا أي المؤمنون إلى ما استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه (يعذبكم عذاباً أليماً) يعني في الآخرة لان العذاب الأليم لا يكون إلا في الآخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا قال نجاد بن نقيع سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من أحياء العرب فتناقلوا فامسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (ويستبدل قوماً غيركم) يعني خيراً منكم وأطوع قال سعيد بن جبيرة أبناء فارس وقيل هم أهل اليمن نبه سبحانه وتعالى على انه قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه إلى الخروج إلى حيث استنفروا حصلت النصره بهم ووقع أجرهم على الله عز وجل وان تناقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصره بغيرهم وحصلت العتبي لهم لتلايتهم وهموا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل الا بهم وهو قوله تعالى (ولا تضره شيئاً) قيل الضمير راجع إلى الله تعالى يعني ولا تضره الله شيئاً لأنه غنى عن العالمين وانما تضررون أنفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ولا تضره محمد صلى الله عليه وسلم شيئاً فان الله ناصره على أعدائه ولا يخذله (والله على كل شيء قدير) يعني انه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصر نبيه ويعز دينه قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلانسخ قوله عز وجل (الأنفروا فقد نصره الله) يعني الانصروا محمد صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون هذا خطاب لمن

ينصره وعده كائن لا محالة (والله على كل شيء) من التبديل والتعذيب غيرهما (قديراً ان نصره فقد نصره الله) الانصره في نصره من نصره حين لم يكن معه الارجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت

تناقل عن الخروج معه الى تبوك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه واعلاء كرامته اعانوه ولم يعينوه وانه قد نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد (اذ اخرجهم الذين كفروا) يعني انه تعالى نصره في الوقت الذي اخرجهم فيه كفار مكة من مكة حين مكروا به وارادوا قتله (ثاني اثنين) يعني هو واحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر (اذهما في الغار) يعني اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر في الغار والغار ثقب عظيم يكون في الجبل وهذا الغار في جبل ثور وهو قريب من مكة (اذ يقول اصاحبه لا تخزن) يعني يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق لا تخزن وذلك ان ابا بكر خاف من الطلب ان يعلموا مكانهم فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخزن (ان الله معنا) يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل اهل الارض جميعا في هذه الآية غير ابي بكر وقال الحسن بن الفضل من قال ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر انت صاحب علي الحوض وصاحب في الغار اخرجهم الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن ابي بكر الصديق قال نظرت الى اقدم المشركين ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه ابصرنا تحت قدميه فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محيي الدين النوري معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله سبحانه وتعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهي من اجل مناقبه والفضيلة من اوجه منها اللفظ الدال على ان الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقة اهله وماله ورياسته في طاعة الله ووطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمة النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روى عن عمر بن الخطاب انه ذكر عنده ابو بكر فقال وددت ان عملي كما عمل به يوم واحد من ايامه وليلة واحدة من ليلاته امانته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهى اليه قال والله لا تدخله حتى ادخل قبلك فان كان فيه شيء اصابني دونك فدخله فكنته ووجد في جانبه ثقباً فشق ازاره وسدها به وبقى منها ثقبان فالقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الحجر ولم يتحرك مخافة ان ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا ابا بكر فقال لدغت فداك ابي وامى فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم اتقض عليه وكان سبب موته واما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا تؤدى الزكاة فقال لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقات يا خليفة رسول الله تائف الناس وارفق بهم فقال لي ايجابا في الجاهلية خوار في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين ايتنا وان اخرجني في جامع الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال البغوي وروى انه حين اطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا ابا بكر فقال اذ كر اطلب فامشى خلفك واذ كر الرصد فامشى بين يديك فلما انتهيا الى الغار قال مالك يا رسول الله حتى استبرئ الغار فدخل فاستبرأه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال له ان اقتل فانار رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة

﴿ذ كرسيا في حديث الهجرة وهو من افراد البخارى﴾

عن عائشة قالت لم اعقل ابوى قط الا وهما يدبران الدين ولم يمر علينا يوم الا ياتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعتش - يا فلما ابتلى المسلمون خرج ابو بكر مهاجرا نحو ارض الحبشة حتى اذا بلغ برك

(اذ اخرجهم الذين كفروا) اسند الاخراج الى الكفار لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه (ثاني اثنين) احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله وابو بكر واتصبا به على الحال (اذهما) بدل من اذ اخرجهم (في الغار) هو ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذ يقول) بدل ثان (اصاحبه لا تخزن ان الله معنا) بالنصرة والحفظ قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله جامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فعملوا يترددون حول الغار ولا يفتنون قد اخذ الله ابصارهم عن وقالوا من انكر محبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة



الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا أبابكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد أن أسبح في  
 الأرض فأعبد ربّي فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبابكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم  
 وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانالك جارفار جمع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل  
 معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشرف قر يش فقال لهم ان أبابكر لا يخرج مثله ولا يخرج  
 أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم  
 تكذب قر يش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فانفذت قر يش جوار ابن الدغنة وأمنوا بأبابكر وقالوا ابن الدغنة  
 مرأبأب بكر فليعبد ربّه في داره وليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فاننا نخشى ان يفتن  
 نساءنا وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربّه في داره ولا يستعلن بصلاته  
 ولا يقرأ في غيره داره ثم بد الابي بكر فابتنى مسجداً بقضاء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذ  
 عليه نساء المشركين وابناؤهم وهم يحبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلاً لا يبكاء لايملك عينيه اذا  
 قرأ القرآن فافزع ذلك أشرف قر يش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا  
 أجرتنا بأب بكر بجوارك على أن يعبد ربّه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بقضاء داره فاعلن بالصلاة  
 والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وابناءنا فانه فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربّه في داره فعل  
 وان أبي الان يعلن بذلك فسله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نحفرك ولسنا مقرين لابي بكر  
 الاستعلان قالت عائشة فاتي ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاهدت لك عليه فاما أن تقتصر على  
 ذلك واما أن ترجع الى ذمتي فاني لأحب أن تسمع العرب اني أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر فاني  
 أرد اليك جوارك وأرضي بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم  
 للمسلمين اني رأيت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة  
 ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجوا ذلك باني أنت وأمّي قال نعم فبس أبو بكر نفسه  
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلق راحلتين كاتتا عنده من ورق السمرو وهو الخبط أربعة  
 أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوماني بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل  
 هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن ياتين فيها فقال أبو بكر فداء له أبي وأمّي والله ما جاء به  
 في هذه الساعة الا أمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله  
 عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهالك باني أنت وأمّي يا رسول الله قال فاني قد أذن  
 لي في الخروج قال أبو بكر الصحبة باني أنت وأمّي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو  
 بكر فذهب باني أنت وأمّي يا رسول الله احدي راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتمن قالت عائشة  
 فجهزناهما أحث الجهاز وصنعناهما مسفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به  
 فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بفار في جبل نور  
 فكمنافيه ثلاث ليال بيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما  
 بسحر فيصبح مع قر يش بمكة كبات فلا يسمع أمر ايكاد ان به الا وعاه حتى ياتهم ما يخبر ذلك حين يختلط  
 الظلام ويرعى عليهم ما عاصر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهم حتى تذهب ساعة من  
 العشاء فيبيتان في رسل حتى ينق بهم ما عاصر بن فهيرة بغاس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث  
 واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الدليل وهو من بني عبد بن عدي هادي اخريتا  
 واخر يت الماهر بالهداية قد غمس حلقا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قر يش فامناه

فدفعاليه راحلتيهما واعداه غارثور بعد ثلاث ليال فانما صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن  
 فهيرة والدليل الدبلي فاخذ بهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فاخبرني عبد  
 الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقه بن مالك بن جعشم ان اباة اخبره انه سمع سراقه بن مالك بن  
 جعشم يقول جاء نار رسول كفار قریش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد  
 منهم المن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدج أقبل رجل منهم حتى قام علينا  
 ونحن جالوس فقال يا سراقه اني قد رأيت آتيا سودا بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقه فعرفت أنهم  
 هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا يتفنون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس  
 ساعة ثم فت فدخلت فامرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها على وأخذت رمحي  
 فخرجت به من ظهر البيت فخطت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي  
 حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقممت وأهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام  
 فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصبت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت  
 قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت بد فرسي في الارض حتى  
 بلغت الركتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تك تد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذ لا تريد مها عثان  
 ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي  
 حتى جثتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم اخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم  
 يرزأني ولم يسألاني الا أن قالوا اخف عنا ما استطعت فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فامر عامر بن فهيرة  
 فكتب في رقعة من أدبهم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فاخبرني عروة بن الزبير ان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجار اقالين من الشام فكسا الزبير  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حرا الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما اطالوا  
 انتظارهم فلما أروا الى بيوتهم وفي رجل من يهود على ظهر أطم من أطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول  
 الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبسطين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر العرب  
 هذا جدكم الذي تنتظرونه قال فنار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة  
 فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر  
 للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أبو بكر حتى ظلل عاياه  
 بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو  
 ابن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي  
 فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مر بد اللقمة لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 الغلامين فساومهما بالمر بدلية فخذنه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فاني رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ان يقبله منهما هبة حتى اتباعه منهما ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في  
 بنيانه ويقول

هذا الجمال لاجال خير • هذا أبر ربنا وأظهر

ويقول اللهم ان الاجر اجر الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت أخرجه البخاري بطوله \* شرح غريب ألفاظ الحديث قوله لم أعقل أبوي الا وهما يدينان الدين يعني أنهما كانا ينقادان الى الطاعة وبرك النعماد بفتح الباء من برك وكسر الغين المجمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قليب ماء لبني ثعلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان أحدهما انه لقوة سعة وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شيء حتى المعدوم الذي يتعذر كسبه على غيره والقول الثاني انه يملك الشيء المعدوم المتعذر ان لا يقدر عليه ففيه وصفه بالاحسان والكرم والكل ما يشغل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بأمر العيال واقرء الضيف ونواب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضاء الحقوق لمن يقصده أنالك جارأي حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان اظهار الخفي وقوله فينقذ النساء عليه يعني يزدجن عليه والذمة العهد والامان واخفارها نقضها واللاية الجبل والحرة الارض التي تعلوها حجارة سود يقال افعل الشيء على رسلك بكسر الراء أي على هيئتك والراحلة البعير القوي على الحمل والسير والظهيره وقت شدة الحر والنطاق جبل أو نحوه تشدبه المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف طرفا من أعلاه الى أسفله لثلا يصل الى الارض وقولها تقف لئن يقال تقف الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلاج بتخفيف الدال سير أول الليل وبتشديد هاء سيراخره والمنحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء وسكون السين هو اللبن يقال نعق الراعي بالغنم اذا دعاهما لتجتمع اليه والغلس ظلام آخر الليل والخريت تقدم شرحه في الحديث وهو الماهر بالهداية وأراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد غمست حلقا يقال غمست فلان حلقا في آل فلان اذا أخذ بنصيب من عهدهم وحلقهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع من الارض يقال قرب الفرس يقرب تقر بيا اذا دعا عدو ادون الاسراع والكنانة هي الجعبة التي تجعل فيها السهام والازلام القداح التي كانوا يستقسمون بها عند طلب الحوامج كالفال والعنان الغبار يقال مارزأت فلانا شيئا أي ما أصبت منه شيئا والمراد أنهم لم ياخذوا منه شيئا وقوله أو في أي أشرف واطلع والاطم البناء المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر الياء أي هم ذو ثياب بياض والمريد الموضع يوضع فيه الثمر كالبيدر وقوله هذا الجمال هو بالحاء المهملة يعني هذا الحمل والمحمول من اللبن أبر عند الله وأظهر وأبقى ذخر أو أدوم منفعة في الآخرة لاجمال خيبر يعني ما يحمل من خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحمل الذي نحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد أفضل عند الله مما يحمل من خيبر وقد روى هذا الجمال بالجمع من التجمل والرواية الاولى أشهر وأكثر والله أعلم قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أرسل الله سبحانه وتعالى زوجا من حمام حتى باضتا في أسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل أنت يمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخلنا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت في بعض التفاسير شعرا وقد نسب الى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهو قوله

قال النبي ولم يجزع بوقرني \* ونحن في سدف في ظلمة الغار

لا تخش شيئا فان الله ثالثنا \* وقد تكفل لي منه باظهار

وانما كيد من تخشى بواذره \* كيد الشياطين قد كادت لكفار

والله مهلكهم طرا بما صنعوا \* وجاعل المنتهى منهم الى النار

وقوله سبحانه وتعالى (فانزل الله سكينته عليه) يعني فانزل الله الطمأنينة والسكون على رسوله محمد صلى

فانزل الله سكينته) ما أتى في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه (عليه) على النبي صلى الله عليه وسلم أو على أبي بكر لانه كان يخاف وكان عليه السلام ساكن القلب

الله عليه وسلم وقال ابن عباس على أبي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك  
 (فصل) في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل سيدي أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه  
 منها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا على باطن أبي بكر الصديق في سره  
 واعلانه وأنه من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين فاختر صحبتته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ومنها  
 ان هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى فخص الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم أبا بكر دون غيره من أهله  
 وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف أبي بكر وفضله على غيره ومنها ان الله سبحانه وتعالى عاتب أهل  
 الارض بقوله تعالى الاتصروا وقد نصره الله سوى أبي بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها ان سيدنا  
 أبا بكر رضي الله تعالى عنه لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازما له وهذا  
 دليل على صدق محبته وصحة صحبته له ومنها ما أنسته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي هذا  
 دليل على فضله ومنها ان الله سبحانه وتعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه وتعالى ثاني  
 اثنين اذ هما في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لابي بكر رضي الله تعالى عنه وقد ذكر بعض العلماء ان أبا بكر كان  
 ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر الاحوال ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان  
 بالله فكان أبو بكر أول من آمن ثم دعاه أبو بكر الى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير  
 فآمنوا على يدي أبي بكر ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في  
 موقف من غزواته الا وأبو بكر معه في ذلك الموقف ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة  
 فكان ثانيه ومنها انه تانيه في تربته صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على فضل أبي بكر الصديق ومنها ان الله  
 سبحانه وتعالى نص على صحبة أبي بكر دون غيره بقوله سبحانه وتعالى اذ يقول اصاحبه لا تحزن ومنها ان الله  
 سبحانه وتعالى كان ثانياهما ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره ومنها انزال السكينة على أبي بكر  
 واختصاصه بهادليل على فضله والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (وأيدته بجنود لم تروها) يعني وأيد النبي صلى  
 الله عليه وسلم بانزال الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل ألقى الرعب في قلوب  
 الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي أعانه بالملائكة يوم بدر فاخبر الله سبحانه وتعالى انه نصره وصرف  
 عنه كيده لاعداء وهو في الغار في حالة القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر (وجعل كلمة الذين كفروا  
 السفلى) يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيامة (وكلمة الله هي العليا والله عزير حكيم) قال ابن عباس  
 هي كلمة لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيامة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قادرين وهافيا  
 بينهم من الكيد للنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله هي ما وعد من النصر والظفر بهم فكان ما وعد  
 الله سبحانه وتعالى حقاً وصدقاً قوله سبحانه وتعالى (انفروا خفافاً وثقالاً) يعني انفروا على الصفة التي يخف  
 عليكم الجهاد بها وعلى الصفة التي يثقل عليكم فيها وهذا ان الوصفان يدخل تحتها أقسام كثيرة فلهذا  
 اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شبابا وشيوخا وقال ابن  
 عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال أبو صالح خفافا من المال يعني فقراء وثقالا  
 يعني أغنياء وقال ابن زيد الخفيف الذي لا ضيعة له والثقل الذي له الضيعة بكرة أن يدع ضعيفته ويروي عن  
 ابن عباس قال خفافاً أهل اليسرة من المال وثقالاً أهل العسرة وقيل خفافا يعني من السلاح مقلين منه  
 وثقالا يعني مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل أصحاء ومرضى وقيل عزابا ومثاهلين وقيل  
 خفافا من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعني مسرعين في الخروج الى الغز وساعة  
 سماع النفي وثقالا يعني بعد التروي فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخله  
 تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني على أي حال كنتم فيهما فان قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل أحد

(وأيدته بجنود لم تروها) هم  
 الملائكة صرفوا وجوه  
 الكفار وأبصارهم عن أن  
 يروه وأيدته بالملائكة يوم  
 بدر والاحزاب وحسين  
 (وجعل كلمة الذين  
 كفروا) أي دعوتهم الى  
 الكفر (السفلى) وكلمة  
 الله) دعوته الى الاسلام  
 (هي) فصل (العليا)  
 وكلمة الله بالنصب يعقوب  
 بالعطف والرفع على  
 الاستئناف أوجه اذ هي  
 لم تنزل كانت عالية (والله  
 عزير) يعز بنصره أهل  
 كلمته (حكيم) بذل أهل  
 الشرك بحكمته (انفروا  
 خفافا) في النصور  
 لنشاطكم له (وثقالا) عنه  
 لمشقتة عليكم أو خفافا لقلة  
 عيالكم وثقالا لكثرتها  
 أو خفافا من السلاح وثقالا  
 منه أو ركبانا ومشاة أو  
 شبابا وشيوخا أو مهازيل  
 وسبانا أو صحاحا ومرضا

(وجاهدوا باموالكم وانفسكم) ايجاب للجهاد بهما ان أمكن أو باحدهما على حسب الحال والحاجة (في سبيل الله ذلكم) الجهاد (خير لكم) من تركه (ان كنتم تعلمون) كون ذلك خيرا فبادروا اليه ونزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين (لو كان عرضا) هو ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يا كل منه البر والفاجر أي لو كان (٢٤٥) مادعوا اليه مغنما (قريبا) سهل المأخذ

(وسفرا قاصدا) وسطا  
مقاربا والقاصد والقصد  
المعتدل (لا تبعوك)  
لوافقوك في الخروج  
(ولكن بعدت عليهم  
الشقة) المسافة الشاقة  
الشاقة (وسيحلفون بالله  
لو استطعنا لخرجنا معكم)  
من دلائل النبوة لانه أخبر  
بما سيكون بعد القبول  
فقالوا كما أخبرو بالله  
متعلق بسيحلفون أو  
هو من جملة كلامهم والقول  
مراد في الوجهين أي  
سيحلفون يعني المتخلفين  
عند رجوعك من غزوة  
تبوك معتذرين يقولون  
بالله لو استطعنا لخرجنا معكم  
أوسيحلفون بالله يقولون  
لو استطعنا وقوله لخرجنا  
سد مسد جوابي القسم ولو  
جميعا ومعنى الاستطاعة  
استطاعة العدة أو استطاعة  
الابدان كأنهم تمارضوا  
(يهلكون أنفسهم) بدل  
من سيجلفون أو حال منه  
أي مهلكين والمعنى أنهم  
يهلكونها بالخلف  
الكاذب أو حال من لخرجنا  
أي لخرجنا معكم وان  
أهلكنا أنفسنا وأقيناها

حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فامعنى هذا الامر قلت من العلماء من جمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية وقال السدي نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية ومنهم من حمل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان أبا أيوب الانصاري شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخاف عن غزوة غزاها المسلمون بعده فقيل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفر واخفاوا وثقالا ولا أجدي الا خفيفا وثقيلا وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقل فان لم يمكنني الحرب كثرت السواد أو حفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو وكنت واليا على حصن فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزوة فقلت يا عم أنت معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا لانه من يحبه يتلوه والصحيح هو القول الاول انها منسوخة وأن الجهاد من فرض الكفريات ويدل عليه ان هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك وان النبي صلى الله عليه وسلم لم خلف في المدينة في تلك الغزاة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد من فرض الكفريات ليس على الاعيان والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله) فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثاني أن من كان له مال وهو مريض أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بما له بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو وبماله فيكون مجاهدا بما له دون نفسه (ذلكم) يعني ذلكم الجهاد (خير لكم) يعني من القعود والتشاقل عنه وقيل معناه ان الجهاد خير حاصل لكم نوابه (ان كنتم تعلمون) يعني ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قوله عز وجل (لو كان عرضا قريبا) فيه اضمات تقديره لو كان ما تدعوههم اليه عرضا يعني غنيمة سهلة قربة التناول والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا وما عرضها يقال الدنيا عرض حاضر يا كل منه البر والفاجر (وسفرا قاصدا) يعني سهلا قريبا (لا تبعوك) يعني لخرجوا معك (ولكن بعدت عليهم الشقة) أي المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان سلاوكها ومعنى الآية لو كان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لا تبعوك طمعا في تلك المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزور الروم لاجرم انهم تخلفوا لهذا السبب ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم انه اذا رجع النبي عليه السلام من هذا الجهاد يحلفون بالله وهو قوله تعالى (وسيحلفون بالله) يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة (لو استطعنا لخرجنا معكم) يعني الى هذه الغزوة (يهلكون أنفسهم) يعني بسبب هذه الايمان الكاذبة والنفاق وفيه دليل على أن الأيمان الكاذبة تهلك صاحبها (والله يعلم انهم لكانوا كاذبون) يعني في ايمانهم وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا يستطيعون الخروج قوله عز وجل (عفا الله عنك لم أذنت لهم) قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل عاتب الله به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أي في اذنه لمن أذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لغزور الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنك هؤلاء المنافقين استأذنوك في ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن ميمون الاودي اثنتان فعلهما

في التهلكة بما نعملها على المسير في تلك الشقة (والله يعلم انهم لكانوا كاذبون) فيما يقولون (عفا الله عنك) كناية عن الرلة لان العفو مرادف لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الانبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الانبياء عليهم السلام (لم أذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مال ذلك اذنت لهم في القعود عن الغزوة حين استأذنوك واعتلوا بك بعلمهم وهلا استأذنت بالاذن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشيء فيهما اذنه للمنافقين وأخذه الفداء من أسارى بدر فعاتبه الله كما  
تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأه بالعفو قبل أن يعيره بالذنب  
﴿فصل﴾ استدلل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء وبيانه من وجهين أحدهما انه  
سبحانه وتعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سابقه الذنب الوجه الثاني انه سبحانه وتعالى قال لم أذنت  
لهم وهذا استفهام معناه الانكار والجواب عن الاول اننا لانسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك بوجوب صدور  
الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظماله عفا  
الله عنك ما صنعت في أمرى رضى الله عنك ما جوابك عن كلامى وعافاك الله وغفر لك كل هذه الالفاظ في  
ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به قال على بن الجهم يخاطب المتوكل  
عفا الله عنك الاحرمة \* تعود بفضلك ان أبعده \* ألم تر عبدا عدا طوره  
ومولى عفاور شيدا هدى \* أفلنى أقالك من لم يزل \* يقيل ويصرف عنك الردى  
والجواب عن الثاني أنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله لم أذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما أن يكون قد صدر  
عنه ذنب في هذه الواقعة أو لافان كان قد صدر عنه ذنب قد كر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله عفا الله عنك  
يدل على حصول العفو و بعد حصول العفو يستحيل أن يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه ذنب  
امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان الانكار يمتنع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضي عياض في كتابه  
الشفاء في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم انه أمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى  
نهى فيعد معصية ولا عده تعالى عليه معصية بل لم يعده أهـ ل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال  
نظوي به وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا وقد كان له أن يفعله ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه  
وحى فكيف وقد قال الله سبحانه وتعالى له فأذن ان شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه من  
سرهم أنه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله  
عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط أى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما  
يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لا يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أى لم يلزمك ذنب قال  
الداودي انها تكرمته وقال مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندي ان معناه  
عفاك الله وقيل معناه أدام الله لك العفو لم أذنت لهم يعنى في التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى  
والاكمل لاسما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا (حتى يقين لك الذين صدقوا) يعنى في  
اعتذارهم (وتعلم الكاذبين) يعنى فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف  
المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة ﴿ قوله سبحانه وتعالى (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن  
يجاهدوا باموالهم وأنفسهم) أى فى ان يجاهدوا وانما حسن هذا الخذف لظهوره (والله عليهم بالمتقين)  
يعنى الذين يتقون مخالفتهم ويسارعون الى طاعته (انما يستأذنك) يعنى في التخلف عن الجهاد معك يا محمد  
من غير عذر (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) وهم المنافقون لقوله (وارتابت قلوبهم) يعنى شكت  
قلوبهم فى الايمان وانما أضاف الشك والارتياب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان أيضا فاذا دخله الشك  
كان ذلك نفاقا (فهم فى ريبهم يترددون) يعنى أن المنافقين متحبرون لامع الكفار ولا مع المؤمنين وقد  
اختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية ف قيل انها منسوخة بالآية التى فى سورة النور وهى قوله  
سبحانه وتعالى ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنونك لبعض شأنهم فاذن  
لمن شئت منهم واستغفر لهم الله وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون  
الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استئذان فاذا عرض لاحدهم عذر استأذن فى التخلف فكان رسول الله

(حتى يقين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) يقين لك الصادق في العذر من الكاذب فيه وقيل شيئا ان فعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفدية من الاسارى فعاتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للانبياء عليهم السلام لانه عليه السلام انما فعل ذلك بالاجتهاد وانما عوتب مع ان له ذلك لتركه الا فضل وهم يعاتبون على ترك الا فضل (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنونك فى ان يجاهدوا (باموالهم وأنفسهم والله عليهم بالمتقين) عدة لهم باجزل الثواب (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (وارتابت قلوبهم) شكوا فى دينهم واضطربوا فى عقيدتهم (فهم فى ريبهم يترددون) يتحبرون لان التردد يدن المتحبر كما أن الثبات يدن المستبصر

(ولو أرادوا الخروج لاعدوا له) للخروج أو للجهاد (عدة) أهبة لانهم كانوا مياسير ولما كان ولو أرادوا الخروج معطيها معنى نفى خروجهم واستعدادهم للغزو وقيل (ولكن كره الله انبعاثهم) نهوضهم للخروج كأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكره الله انبعاثهم (فثبطهم) فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والتثبيط التوقيف عن الامر بالتهديد فيه (وقيل اعدوا) أى قال بعضهم لبعض أو قاله الرسول عليه السلام غضبا عليهم أو قاله الشيطان بالسوسة (مع) (القاعدین) هو ذم لهم والحق بالنساء (٢٤٧)

والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود في البيوت (لو خرجوا فيكم ما زادوكم) بخر وجههم معكم (الا خبالا) الا فسادا وشرأ والاستثناء متصل لان المعنى ما زادوكم شيئا الا خبالا والاستثناء المنقطع أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذکر وقوع الاستثناء من الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعبءه (ولا وضعوا خلالكم) واسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا أسرع وأوضعه أنا والمعنى ولا وضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الركاب أسرع من الماشي وخطفي المصحف ولا أوضعوها زيادة الاف لان الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول

صلى الله عليه وسلم مخبرا في الاذن لهم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنون في التخلف من غير عذر فغيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر (ولو أرادوا الخروج) يعني الى الغزو معكم (لاعدوا له عدة) تهيؤا له باعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح (ولكن كره الله انبعاثهم) يعني خروجهم الى الغزو معكم (فثبطهم) يعني منعهم وحبسهم عن الخروج معكم والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصرفهم عنه وههنا يتوجه سؤال وهو ان خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم إما أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في اذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السؤال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى أخبر عن تلك المفسدة بقوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا بئى فلم عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم فنقول انه صلى الله عليه وسلم أذن لهم قبل تمام الفحص واكمال التأمل والتدبر في حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم أذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه أذن لهم قبل أن يوحى اليه في أمرهم بالقعود (وقيل اعدوا مع القاعدین) معناه انهم لما استأذنوه في القعود قيل لهم اعدوا مع القاعدین وهم النساء والصبيان والمرضى وأهل الاعذار ثم اختلفوا في القائل من هو فقيل قال بعضهم البعض اعدوا مع القاعدین وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استأذنوه في القعود فقال لهم اعدوا مع القاعدین فاغتموا ذلك وقعدوا وقيل ان القائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى بان أتى في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد ﴿ ثم بين سبحانه وتعالى ما في خروجهم من المفساد فقال تعالى (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) يعني لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الغزو ما زادوكم الا فسادا وشرأ أصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافساد وايقاع الجبن والفشل بين المؤمنين تهويل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم (ولا وضعوا خلالكم) يعني ولا أسرعوا فيكم وساروا بينكم بالقاء النخيمة والاحاديث الكاذبة فيكم (يبغونكم الفتنة) يعني يطلبون لكم ما تفتنون به وذلك أنهم يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاعة لكم بهم وانكم ستهمز مون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي نجبن وقيل معناه يطلبون العيب والشر (وفيكم سماعون لهم) قال مجاهد يعني وفيكم عيون لهم يؤدون اليهم اخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك أنهم يلقون اليهم أنواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها منهم فان قلت كيف يجوز أن يكون في المؤمنين الخالصين من يسمع ويطيع للمنافقين قلت يحتمل أن يكون بعض المؤمنين لهم أقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم فاذا قالوا قولار بما أثر ذلك القول في قلوب صفة المؤمنين في بعض الاحوال (والله اعلم بالظالمين) وهذا عيد وتهديد للمنافقين الذين يقولون الفتن والشبهات بين المؤمنين وقوله سبحانه وتعالى (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) يعني لقد طلبوا صد

القرآن وقد بقي من تلك الافاثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحها ألفا أخرى ونحوه أو لا اذبحنه (يبغونكم) كحال من الضمير في أوضعوها (الفتنة) أى يطلبون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نيائكم في مغزائكم (وفيكم سماعون لهم) أى نماون حديثكم فينقلونه اليهم (والله اعلم بالظالمين) بالمنافقين (لقد ابتغوا الفتنة) بصد الناس أو بان يفتكوا به عليه السلام ليلة العقبة أو بالرجوع يوم أحد (من قبل) من قبل غزوة تبوك

(وقلبوا لك الامور) ودبروا لك الحيل والمكايد وزورا والآراء في ابطال أمرك (حتى جاء الحق) وهو تأييدك ونصرتك (وظهر أمر الله) وغلب دينه وعلا شرعه (وهم كارهون) أي على رغم منهم (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني) ولا توقعني في الفتنة وهي الأثم بان لا تأذن لي فإني ان تخلفت بغير اذنك أئمت أو لا تلقني في الهلكة فإني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجدي بن قيس المنافق قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني بينات (٢٤٨) الا صفر يعني نساء الروم ولكني أعينك بمالي فأتركي (ألفي الفتنة سقطوا) يعني ان

الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) الآن لان أسباب الاحاطة معهم أو هي تحيط بهم يوم القيامة (ان تصبك) في بعض الغزوات (حسنة) ظفر وغنيمة (نسوهم) وان تصبك مصيبة (نكبة) وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم أحد (يقولوا قد أخذنا أمرنا) الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم (من قبل) من قبل ما وقع (ويتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم (وهم فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) أي قضى من خير أو شر (هو مولانا) أي الذي يتولانا وتولاه (وعلى الله فليتكول المؤمنون) وحق المؤمنون أن لا يتكولوا على غير الله (قل هل تر بصون بنا) تنتظرون بنا (الا احدى الحسين) وهما النصر والشهادة (ونحن تر بصون بكم) احدى السوايين اما (أن يصيبكم الله بعذاب من

أصحابك يا محمد عن الدين وردهم الى الكفر وتخذيّل الناس عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن أبي بن سلول يوم أحد حين انصرف باصحابه عنكم (وقلبوا لك الامور) يعني وأجالوا فيك وفي أمرك وفي ابطال دينك الرأي وبالغوا في تخذيّل الناس عنك وقصدهم تشييت أمرك (حتى جاء الحق) يعني النصر والظفر (وظهر أمر الله وهم كارهون) يعني ذلك قوله عز وجل (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني) نزلت في الجدي بن قيس وكان من المنافقين وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجدي بن قيس يا أبا وهب هل لك في جلا دني الا صفر يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفاء فقال الجدي رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بحب النساء واني أخشى ان رأيت بنات بني الا صفر ان لأصبر عنهن ائذن لي في القعود ولا تفتني بهن وأعينك بمالي قال ابن عباس اعتل الجدي بن قيس ولم تكن له علة الا النفاق فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم يعني من المنافقين من يقول ائذن لي يعني في التخلف والقعود في المدينة ولا تفتني يعني بينات الا صفر وهم الروم (ألفي الفتنة سقطوا) يعني انهم وقعو في الفتنة العظيمة وهي النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) يعني يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها قوله سبحانه وتعالى (ان تصبك حسنة نسوهم) يعني ان تصبك يا محمد حسنة من نصر وغنيمة تحزن المنافقين (وان تصبك مصيبة) يعني من هزيمة أو شدة (يقولوا) يعني المنافقين (قد أخذنا أمرنا) يعني أخذنا أمرنا بالجد والحزم في القعود عن الغزو (من قبل) يعني من قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) يعني مسرورين لما نالك من المصيبة وسلامتهم منها (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) يعني قل يا محمد طوؤا الذين يفرحون بما يصيبك من المصائب والمكروه لن يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه في اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر أحد أن يدفع عن نفسه مكر وهانزل به أو يجلب لنفسه نفعاً اراده لم يقدر له (هو مولانا) يعني ان الله سبحانه وتعالى هو ناصرنا وحافظنا وهو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة (وعلى الله فليتكول المؤمنون) يعني في جميع أمورهم (قل هل تر بصون بنا) يعني قل يا محمد طوؤا المنافقين هل تنتظرون بنا أيها المنافقون (الا احدى الحسينين) يعني اما النصر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما أن يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة والاجر العظيم في الآخرة واما أن يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى ويبدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفي رواية تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرج به الا جهاد في سبيلي وإيماناً بي وتصديقاً برسلي فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة أخرجاه في الصحاحين وقوله سبحانه وتعالى (ونحن تر بصون بكم) يعني ونحن تنتظرون بكم احدى السوايين (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) يعني فيهلككم كما هلك من كان قبلكم من الامم الخالية (أو بايدينا) يعني أو يصيبكم بايدي المؤمنين بان يظفروا بكم ويظهرنا عليكم (فتر بصوا انامكم متر بصون) قال الحسن فتر بصوا مواعيد الشيطان انام تر بصون مواعيد الله من اظهار دينه واستئصال من خالفه (قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً)

عنده) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو) بعذاب (بايدينا) وهو القتل على الكفر (فتر بصوا) بنامنا كرنا (انامكم متر بصون) ما هو عاقبتكم (قل أنفقوا) في وجوه البر (طوعاً أو كرهاً) طائعين أو مكرهين نصب على الحال كرها حزة وعلى وهو أمر في معنى الخبر ومعناه

٢ هكذا هو بالنصب فيما يدين من النسخ ولعله بالرفع فلتنظر الرواية اه مصححه



(ان يتقبل منكم) أنفقتم طوعاً وكرها ونحوه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله أسبغى بنا وأحسنى لاملومة \* لدينا ولا مقلية ان تغلت  
 أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت الينا وأحسنت وقد جاز عكسه في قولك رحم الله زيد أو معنى عدم القبول  
 انه عليه السلام يرد هاء عليهم ولا يقبلها ولا يثيبها الله وقوله طوعاً أي من غير الزام من الله ورسوله وكرهاً أي ملزمين وسمى الزاماً كراهياً لانهم  
 منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقاً عليهم كالأكره (انكم) تعليل لرد انفاقهم (٢٤٩) (كنتم قوماً فاسقين) متمردين

عائين (وما منعهم أن تقبل  
 منهم نفقاتهم) وبالياء حزة  
 وعلى (الأنهم كفروا)  
 أنهم فاعل منع وهم وأن  
 تقبل مفعولاه أي وما  
 منعهم قبول نفقاتهم الا  
 كفرهم (بالله ورسوله ولا  
 يؤتون الصلاة الا وهم  
 كسالى) جمع كسلان (ولا  
 ينفقون الا وهم كارهون)  
 لانهم لا يريدون بهما وجه  
 الله تعالى وصفهم بالطوع في  
 قوله طوعاً وسلبه عنهم  
 ههنا لان المراد بطوعهم  
 أنهم يبدلون من غير الزام  
 من رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أو من رؤسائهم  
 وما طوعهم ذلك الاعن  
 كراهة واضطرار لاعن  
 رغبة واختيار فلا نجيبك  
 أموالهم ولا أولادهم انما  
 الله يريد ليعذبهم بها في الحياة  
 الدنيا) الاعجاب بالشيء أن  
 تسر به سرور راض به  
 متعجب من حسنه والمعنى  
 فلا تستحسن ما أتوا من  
 زينة الدنيا فان الله انما  
 أعطاهم ما أعطاهم  
 ليعذبهم بالمصائب فيها أو  
 بالانفاق منه في أبواب الخير

نزلت في الجد بن قيس المنافق وذلك أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود عنه وقال أنا أعطيتكم  
 مالي فانزل الله عز وجل رد اعليه قل أي قل يا محمد هذا المنافق وأمثاله في النفاق أنفقوا طوعاً وكرهاً يعني  
 أنفقوا طائعين من قبل أنفسكم أو مكرهين بالانفاق بالزام الله ورسوله اياكم بالانفاق (لن يتقبل منكم) لان  
 هذا الانفاق انما وقع لغير الله وهذه الآية وان كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من أنفق  
 ماله لغير وجه الله بل أنفق ياء وسمعة فانه لا يقبل منه ﴿ ثم علل سبب منع القبول بقوله (انكم) أي لانكم  
 (كنتم قوماً فاسقين) والمراد بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما منعهم أن تقبل منهم  
 نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله ورسوله) أي المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله ورسوله (ولا يؤتون  
 الصلاة الا وهم كسالى) جمع كسلان يعني متشاقلين في الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها  
 ثواباً ولا يخافون على تركها عقاباً فلذلك ذمهم مع فعلها (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم كانوا يعتقدون  
 الانفاق في سبيل الله مغرماً ومنع ذلك الانفاق مغناً (فلا تجيبك) يا محمد (أموالهم ولا أولادهم) هذا  
 الخطاب وان كان مختصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم الا أن المراد به جميع المؤمنين والمعنى فلا تجيبوا باموال  
 المنافقين وأولادهم والاعجاب السرور بالشيء مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد أنه ليس لغيره مثله وهذا  
 يدل على استغراق النفس بذلك الشيء ويكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فينبغي للانسان أن لا يجيب  
 بشيء من أمور الدنيا ولذاتها فان العباد اذا كان من الله عز وجل في استدراج كثير ماله وولده فيكثر اعجاباً به ماله  
 وولده فيبطر ويكفر نعمة الله عليه ولهذا قال سبحانه وتعالى (انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا)  
 فان قلت كيف يكون المال والولد عذاباً في الدنيا وفيها مال اللذة والسرور في الدنيا قلت قال مجاهد وقتادة  
 في الآية تقديم وتأخير وتقديرها فلا تجيبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في  
 الآخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذاباً في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلها فاذا  
 حصل ازاد التعب وتحمل المشاق في حفظهما ويزداد الحزن والغم بسبب المصائب الواقعة فيهما فعلى هذا  
 القول لا حاجة الى التقديم والتأخير في نظم الآية وأورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل أحد  
 من بني آدم مؤمنهم وكافرهم فافائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا وأجيب عن هذا الايراد  
 بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو أن المؤمن قد علم أنه مخلوق للآخرة وأنه يثاب  
 بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذاباً في الدنيا وأما المنافق فانه لا يعتقد كون الآخرة  
 له وان ليس فيها ثواب فبقي ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذاباً عليه  
 في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار أن المال والولد عذاب على المنافقين في الدنيا دون المؤمنين وقيل ان تعذيبهم  
 هم في الدنيا أخذوا كآفة منهم والنفقة في سبيل الله غير مثابين على ذلك وربما قتل الولد في الغزو فلا يثاب  
 الوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب في جمع وحفظه والكراهة في انفاقه والحسرة على  
 تخليفه عند من لا يحمدونه ثم يقدم في الآخرة على ملك لا يعذره (وتزهق أنفسهم) يعني وتخرج أنفسهم (وهم  
 كفرون) والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عقابتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة قوله عز وجل

(٢٢ - (خازن) - ثاني) وهم كارهون له أو بنهب أموالهم وسبي أولادهم أو بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها  
 وكل هذا عذاب وتزهق أنفسهم وهم كفرون وتخرج أرواحهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على بطلان القول بالاصح لانه  
 أخذ برأى اعطاء الاموال والاولاد لهم للتعذيب والامانة على الكفر وعلى ارادة الله تعالى المعاصي لان ارادة العذاب بارادة ما يعذب عليه  
 وكذا ارادة الامانة على الكفر

(ويخلفون بالله أنهم لمنكم) ان جلة المسامين (وما هم منكم ولكنهم قوم بفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام  
 تقية (لويجدون ملجأ) مكانا يلجئون اليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أو غيراها (أو مدخلا) أو نفقا يندسون  
 فيه وهو مفتعل من الدخول (٢٥٠) (لولوا اليه) لاقبلوا نحوه (وهم بجمعون) يسرعون اسرا عالا يردهم شيء من الفرس

الجوح (ومنهم) ومن  
 المنافقين (من يلمزك في  
 الصدقات) يعيبك في  
 قسمة الصدقات ويطعن  
 عليك (فان أعطوا منها  
 رضوا وان لم يعطوا منها اذا  
 هم يسخطون) اذا المفاجأة  
 أي وان لم يعطوا منها فاجوا  
 السخط وصفهم بان  
 رضاهم وسخطهم لانفسهم  
 لالدين وما فيه صلاح أهله  
 لانه عليه السلام استعطف  
 قلوب أهل مكة يومئذ  
 بتوفير الغنائم عليهم  
 فضجر المنافقون منه (ولو  
 أنهم رضوا ما آتاهم الله  
 ورسوله وقلوا حسبنا الله  
 سيؤتينا الله من فضله  
 ورسوله انا الى الله راغبون)  
 جواب لو محذوف تقديره  
 ولو أنهم رضوا لكان خيرا  
 لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما  
 أصابهم به الرسول من  
 الغنيمة وطابت به نفوسهم  
 وان قل نصيبهم وقالوا  
 كفانا فضل الله وصنعه  
 وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا  
 غنيمة أخرى فيؤتينا  
 رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم أكثر مما آتانا اليوم  
 انا الى الله في أن يغفنا  
 ويحولنا فضله لراغبون ثم

(ويخلفون بالله) يعني المنافقين (انهم لمنكم) يعني على دينكم وملتكم (وما هم منكم) يعني أنهم كاذبون  
 في أيمانهم (ولكنهم قوم بفرقون) يعني أنهم يخافون أن تظهروا على ما هم عليه من النفاق (لويجدون  
 ملجأ) يعني حوزا وحصنا ومعقلا يلجئون اليه وقيل لو وجدوا مهربا يهربوا اليه وقيل لو وجدوا قوميا آمنون  
 عندهم على أنفسهم منكم لصاروا اليهم ولقار قومكم (أو مغارات) يعني غيراها في الجبال جمع مغارة وهو  
 الموضع الذي يغور فيه الانسان أي يستتر (أو مدخلا) يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في  
 الارض كنفق اليربوع وقال الحسن وجهه يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم (لولوا اليه)  
 والمعنى أنهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة أو على أحد هذه الوجوه الثلاثة وهي شر الامكنة وأضيقتها لولوا اليه  
 أي لرجعوا اليه وتحرزوا فيه (وهم بجمعون) يعني وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى أن المنافقين لشدة  
 بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا منكم الى أحد هذه الامكنة لصاروا اليه  
 لشدة بغضهم اياكم **قوله** سبحانه وتعالى (ومنهم من يلمزك في الصدقات) نزلت في ذي الخويصرة التميمي  
 واسمه حرقوص بن زهير وهو أصل الخوارج (ق) عن أبي سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم وهو يقسم فبأناه ذوا الخويصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وبلك من يعدل اذالم اعدل وفي رواية قد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب  
 ان دن لي فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم  
 وصيامه مع صيامهم زاد في رواية يقرؤ القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الدين وفي رواية من الاسلام كما  
 يمرق السهم من الرمية وقال الكافي قال رجل من المنافقين يقال له أبو الجواز لم تقسم بالسوية فنزلت هذه  
 الآية وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو  
 يقسم ذهابا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك ان تعدل فاعدلت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم  
 وبلك فمن ذاعل بعدى وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من أحب ولا يؤثرها الا من يهواه  
 فانزل الله سبحانه وتعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات يعني ومن المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات  
 وفي تفريقها ويطعن عليك في أمرها يقال همزه ولززه بمعنى واحد أي عابه (فان أعطوا منها) يعني من  
 الصدقات (رضوا) يعني رضوا عنك في قسمتها (وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) يعني وان لم تعطهم منها  
 عابوا عليك وسخطوا (ولو أنهم رضوا) يعني ولو أن المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا  
 (ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله) أي كافينا الله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) يعني ما نحتاج  
 اليه (انا الى الله راغبون) يعني في أن يوسع علينا من فضله فيغنيننا عن الصدقة وعن غيرها من أموال الناس  
 وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم وأعود عليهم قوله عز وجل (انما الصدقات للفقراء والمساكين)  
 الآية اعلم أن المنافقين لما مزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز وجل في  
 هذه الآية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله  
 عليه وسلم منها شيء ولم يأخذ لنفسه منها شيئا فلم يلمزونه ويعيبون عليه فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات  
 عن زياد بن الحرث الصدائي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه رجل فقال أعطني من  
 الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو

بين مواضعها التي توضع فيها فقال (انما الصدقات للفقراء والمساكين) قصر جنس الصدقات على الاصناف  
 المعدودة أي هي مختصة بهم لا تتجاوز الى غيرهم كأنه قيل انما هي لهم لا لغيرهم كقولك انما الخلافة لقريش  
 فيحتمل أن تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها كما هو مذهبنا وعن حذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين  
 جزأها

فجزأثمانية أجزاء فان كنت من تلك الاجزاء أعطيتك حقلك أخرجه أبو داود  
 (فصل في بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل) المسئلة الاولى في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكاة على  
 الاغنياء وصرافها الى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه الوجه الاول أن المال محبوب بالطبع وسببه  
 ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبه لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال  
 محبوبا بالطبع فاذا استغرق القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات  
 المقربة الى الله عز وجل فاقتضت الحكمة الالهية ايجاب الزكاة في ذلك المال الذي هو سبب البعد عن الله  
 فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه الوجه الثاني ان كثرة المال توجب قسوة القلب  
 وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فوجب الله سبحانه وتعالى الزكاة ليقل ذلك المال الذي هو سبب  
 لقسوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكليف البدنية غير شاقة  
 على العبد واخراج المال مشق على النفس فوجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليمتحنوا باخراج الزكاة  
 أصحاب الاموال ليميز بذلك المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع أن المال  
 مال الله والاغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله سبحانه وتعالى خزانه الذين هم اغنياء بدفع طائفة  
 من ماله الى عياله فيثيب العبد المؤمن المطيع المسارع الى امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد  
 العاصي المانع لعياله من ماله (ق) عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم  
 الامين الذي ينفذ ور بما قال يعطى ما أمر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي أمر له به  
 أحد المتصدقين الوجه الخامس ان الفقراء بما تعلق قلوبهم بالاموال التي بأيدي الاغنياء فوجب الله  
 عز وجل نصيبا للفقراء في ذلك المال تطيبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال الفاضل عن حاجة الانسان  
 الاصلية اذا أمسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال فامر بدفع الزكاة الى الفقراء حتى لا يصير  
 ذلك المال معطلا بالكلية (المسئلة الثانية) الآية تدل على انه لاحق لاحد في الصدقات الا هؤلاء  
 الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلمتي انما تفيدان الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فكلما ان للاثبات  
 وكلما للنفى فعند اجتماعهما يفيدان الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل ذلك على ان الصدقات  
 لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية (المسئلة الثالثة) في بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقراء  
 والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خروجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء في الفرق بين الفقير  
 والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهرى الفقير لذي لا يسأل والمسكين السائل وقال  
 ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من أنقى نفسه وثيابه ولا يقدر  
 على شيء يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال  
 الشافعي رضي الله تعالى عنه الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمانا كان أو غير زمن والمسكين من له  
 مال أو حرفة ولكن لا تقع منه موقع الكفاية سائلا كان أو غير سائل فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير  
 وقال أبو حنيفة وأصحاب الرأي الفقير أحسن حالا من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير  
 والمسكين حجة الشافعي ومن وافقه ان الله سبحانه وتعالى حكم بصرف الصدقات الى هؤلاء الاصناف  
 الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فلولم تكن حاجتهم أشد من  
 حاجة المساكين لما بدأ بهم وأصل الفقير المكسور الفقار قال البيهقي

لمارأي لبس النور تطايرت \* رفع القوادم كالفقير الاعزل

قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا أن الفقير انما سمي فقيرا زمانته وحاجته  
 الشديدة وتمنعه الزمانته من التقاب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال  
 اللهم احبني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة رواه الترمذي من حديث

أنس فلو كان المسكين أسوأ حالا من الفقير لما تعود من الفقر وسأل المسكنة فثبت بهذا أن المسكين أحسن حالا من الفقير ولأن الله سبحانه وتعالى قال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لأن السفينة من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولأن الغني والفقير ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا أن الفقير أسوأ حالا من المسكين ونجدة أبي حنيفة ومن وافقه على أن المسكين أسوأ حالا من الفقير قوله أو مسكينا ذامتر به ووصف المسكين بكونه ذامتر به وهو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة ولأن الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين أشد حاجة من غيره لما جعلها له واحتج أيضا بقول الراعي أما الفقير الذي كانت حاجته وفق العيال فلم يترك له سبب واحتج أيضا بقول الأصمعي وأبي عمرو بن العلاء أن الفقير الذي له ما ياكل والمسكين الذي لا شيء له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل إن كل محتاج إلى شيء فهو مفقر إليه وإن كان غنيا عن غيره قال الله سبحانه وتعالى أتم الفقراء إلى الله فأثبت لهم اسم الفقر مع وجود المال والجواب عن هذه الخجج أما قوله أو مسكينا ذامتر به فهو حجة لمذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه لأنه قيد المسكين المذكور هنا بكونه ذامتر به فدل على أنه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة واللام يبقى لهذا القيد فائدة والجواب عن جعل الكفارات للمسكين أنه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي أنه ذكر الفقير وحده فكل فقير أفرد بالاسم جازا إطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به وأما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وبالجملة إن الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعفته نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى أخرجه النسائي وأبو داود وله في رواية أخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله بن عدي بن الحيار قال أخبرني رجلان أنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقات فسألاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرآنا جلدين فقال إن شئنا أعطيتكما ولا حظ فيهما لغني ولا لقوي مكتسب أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الشافعي ولفظه إن رجلين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن الصدقة فقال إن شئنا أعطيتكما ولا حظ فيهما لغني ولا لذي قوة مكتسب واختلف العلماء في حد الغني الذي يمنع من أخذ الصدقة فقالوا كثرون حده أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال أصحاب الرأي حده أن يملك مائتي درهم وقال قوم من مالك حسين درهما أو قيمتها لا تحل له الصدقة لما روى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسئله في وجهه خوش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما يعنيه قال خسون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك وأحمد واسحق وقالوا لا يجوز أن يعطى الرجل أكثر من حسين درهما من الزكاة وقيل أر بعين درهما لما روى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة وقية فقد ألحف أخرجه أبو داود وكانت الأوقية في ذلك الزمان أر بعين درهما الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى (والعاملين عليها) وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من أهلها ووضعها في جبهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر أجور أعمالهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء وهذا قول ابن عمرو به قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد إلا أن الشافعي يقول هو أجره عمل ثم قدر بقدر العمل والصحيح أن الهاشمي والمطلب لا يجوز أن يكون عاملا على الصدقات لما روى عن أبي رافع

أنهم قالوا في أي صنف منها وضعتها أجزاءك وعند الشافعي رحمه الله لا بد من صرفها إلى الأصناف وهو المروى عن عكرمة ثم الفقير الذي لا يسأل لأن عنده ما يكفيه للحال والمسكين الذي يسأل لأنه لا يجد شيئا فهو أضعف حالا منه وعند الشافعي رحمه الله على العكس (والعاملين عليها) هم السعاة الذين يقبضونها

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فاراد أبو رافع أن يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وإن مولى القوم منهم أخرجه الترمذي والنسائي في الصنف الرابع قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) وهم قسمان قسم مسامون وقسم كفار فاقسم المسامون فقسمان القسم الأول هم قوم من أشرف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كما أعطى عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي فهو لاء أساموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم أساموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام وهم أشرف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تألف القومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام أن يعطي أمثال هؤلاء من خمس خمس الغنيمة والفيء من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات أيضا القسم الثاني من مؤلفة المسامون هم قوم من المسامون يكونون بازاء قوم كفار في موضع لا تبلغهم جيوش المسامون الا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بازاءهم من المسامون لا يجاهدونهم لضعف نيتهم أو لضعف حالهم فيجوز للامام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من مانعي الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روى ان عدي بن حاتم جاء أبا بكر بثلاثمائة من الابل من صدقات قومه فاعطاه أبو بكر منها ثلاثين بعيرا وأما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم أو يرجي اسلامهم فيجوز للامام أن يعطي من يخاف شره أو يرجو اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله الى الاسلام أما اليوم فقد أعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك وأغناه عن ان يتألف عليه أحد من المشركين فلا يعطى مشرك تألفا بحال وقد قال بهذا كثير من أهل العلم ورأوا أن المؤلفة منقطة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي واسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وأبي ثور وقال أحمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك ﴿ الصنف الخامس ﴾ قوله سبحانه وتعالى (وفي الرقاب) قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب أقوال الأول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو قول أكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد ويدل عليه أيضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم القول الثاني وهو مذهب مالك وأحمد واسحق ان سهم الرقاب موضوع لعتق الرقاب فيشتري به عبيد ويعتقون ويدل عليه ما روى عن ابن عباس انه قال لا بأس أن يعتق الرجل من الزكاة القول الثالث وهو قول أبي حنيفة وأصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولا كمن يعطى منها في عتق رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضي التبعية القول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشتري به عبيد من صلو او صاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال أصحابنا الاحوط في سهم الرقاب أن يدفع الى السيد باذن المكاتب ويدل عليه انه سبحانه وتعالى أثبت الصدقات للاصناف الاربع المتقدمة بلام الملك فقال انما الصدقات للفقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهي أن الاصناف الاربع المتقدمة ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤوا أما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخلص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا ابن السبيل

(والمؤلفة قلوبهم) على الاسلام أشرف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على ان يساموا وقوم منهم أساموا فيعطيهم تقريراهم على الاسلام (وفي الرقاب) هم المكاتبون يعانون منها

الديون (وفي سبيل الله)  
فقراء الغزاة أو الحجج  
المنقطع بهم (وابن السبيل)  
المسافر المنقطع عن ماله  
وعدل عن اللام الى في  
في الاربعة الاخيرة للابدان  
بأنهم أرسخ في استحقاق  
التصدق عليهم عن سبق  
ذكره لان في اللوعاء فنبه  
على أنهم احق بان توضع  
فيهم الصدقات و يجعلوا  
مظنة لها وتكرير في في  
قوله في سبيل الله وابن  
السبيل فيه فضل وترجيح  
لهذين على الرقاب  
والغارمين وانما وقعت  
هذه الآية في تضاعيف  
ذكر المناقين ليدل بكون  
هذه الاصناف مصارف  
الصدقات خاصة دون غيرهم  
على أنهم ليسوا منهم حسبا  
لا طماعهم واشعارا بانهم  
بعداء عنها وعن مصارفها  
فالمهم وما لها وما سلطهم  
على التكلم فيها وان  
قاسمها وسهم المؤلفات  
قلوبهم سقط باجماع الصحابة  
في صدر خلافة أبي بكر  
رضي الله عنه لان الله اعز  
الاسلام واغنى عنهم والحكم  
متى ثبت معتولا لمعنى  
خاص يرتفع وينتهي  
بذهاب ذلك المعنى  
(فريضة من الله) في معنى  
المصدر المؤكدر لان قوله  
انما الصدقات للفقراء

فيصرف اليه ما يحتاج اليه في سفره الى بلوغ غرضه \* الصنف السادس قوله سبحانه وتعالى (والغارمين)  
أصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق على النفس وسمى الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا  
المديون وهم قسبان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذ لم يكن  
لهم مال بني ديونهم فان كان عندهم وفاء فلا يعطون وقسم ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون  
من مال الصدقات ما يقضون به ديونهم وان كانوا اغنياء لما روى عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغازي في سبيل الله او لاعامل عليها او لغارم او لرجل اسير اعانة او لرجل  
كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدي المسكين للغني أخرجه أبو داود ومرسلان عطاء بن يسار لم  
يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر بن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن  
النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه امامن كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات شيئا \* الصنف  
السابع قوله تعالى (وفي سبيل الله) يعني وفي النفقة في سبيل الله وأراد به الغزاة فلهم سهم من مال  
الصدقات فيعطون اذا أرادوا الخروج الى الغزاة وما يستعينون به على أمر الجهاد من النفقة والكسوة  
والسائح والجولة فيعطون ذلك وان كانوا اغنياء لما تقدم من حديث عطاء وأبي سعيد الخدري ولا يعطى  
من سهم سبيل الله لمن أراد الحج عند بدأ كثير أهل العلم وقال قوم يجوز أن يصرّف سهم سبيل الله الى الحج  
يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان  
اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا أجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه  
الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي سبيل الله عام في  
الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه \* الصنف الثامن  
قوله سبحانه وتعالى (وابن السبيل) يعني المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن  
السبيل لملازمته الطريق قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتني وليدا \* الى ان شئت واكتهلت لداقي

فكل مر يد سفر امباحا ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره يعطى من الصدقات ما يكفيه لمؤنة سفره سواء  
كان له مال في البلد الذي يقصده أو لم يكن له مال وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن  
السبيل هو الحاج المنقطع وقوله تعالى (فريضة من الله) يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الآية  
فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشياء فريضة (والله اعلم) يعني بمصالح عباده (حكيم) يعني فيما  
فرض لهم لا يدخل في تدبيره وحكمه نقض ولا خلل (المسئلة الرابعة) في أحكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق  
العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء هي الزكاة المفروضة بدليل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة  
واختلفوا في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها كلها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء  
الى أنه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقي وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي قال  
يجب أن يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين ساهم ثمانية أقسام قسمة على السواء  
لان سهم المؤلفات ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة  
لا يجوز أن تصرف الى أقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة أو أكثر فلو تفاوت بين أولئك الثلاثة جاز فان  
لم يجد من بعض الاصناف الا واحد ادفع حصة ذلك الصنف اليه ما لم يخرج من حد الاستحقاق فان انتهت  
حاجته وفضل شيء رده الى الباقي وذهب جماعة من العلماء الى أنه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه  
الاصناف أو الى شخص واحد منهم جاز لان الله سبحانه وتعالى انما سمي هذه لاصناف الثمانية اعلاما منه  
أن الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا يجابا منه لقسمتها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال  
سعيد بن جبيرة وعطاء واليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي وأحمد بن حنبل قال أحمد بن حنبل يجوز

أن يضعها في صنف واحد وتفرقها أولى وقال ابراهيم النخعي ان كان المال كثيرا يحتمل الاجزاء قسمه على الاصناف وان كان قليلا وضعه في صنف واحد وقال مالك يتعرجى موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من أهل الخلة والحاجة فان رأى الخلة في الفقراء في عام قدمهم وان رآها في صنف آخر في عام حوّلها اليهم وكل من دفع اليه شيئا من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل أدنى اسم الغني فلا يعطى بعده شيئا وان كان محترفا لكانه لا يجد آله حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آله حرفته فالاعتبار عند الامام الشافعي رضي الله عنه ما يدفع الحاجة من غير حد وقال أحمد بن حنبل لا يعطى الفقيرا أكثر من خمسين درهما وقال أبو حنيفة أكره أن يعطى رجلا واحدا من الزكاة مائتي درهم فان أعطيته أجزاء فان أعطى من يظنه فقيرا فبان انه غني فهل يجزى فيه قولان ولا يجوز أن يعطى صدقته ان تازمه نفقته وبه قال مالك والثوري وأحمد وقال أبو حنيفة والشافعي لا يعطى والداوان علا ولا ولداوان سفلا ولا زوجة ويعطى من عداهم وتحرم الصدقة على ذوى القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شيء لقوله صلى الله عليه وسلم انا آل بيت لا تحل لنا الصدقة وقال أبو حنيفة تحرم على بنى هاشم ولا تحرم على بنى المطلب دليلنا قوله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب شيء واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وتحرم الصدقة على موالى بنى هاشم وبنى المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال مالك لا تحرم واختلفوا في نقل الصدقة من بلد المال الى بلد آخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه أكثر أهل العلم لتعلق قلوب فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لما عذوا عنهم ان الله سبحانه وتعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين وانفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد آخر وأداه الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكى عن عمر بن عبد العزيز انه رد صدقة حملت من خراسان الى الشام فردّها الى مكانها من خراسان والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فاننا نخاف أن يباغوا منا فقولون فيقع بنا فقال الجلاس ابن سويد وهو من المنافقين بل نقول ماشئنا ثم نأتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فاما محمد أذن أى يسمع كل ما يقال له ويقبله وقيل معنى هو أذن أى ذأذن سامعة وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان أذن ثم نأثر الشعر أجر العينين أسفع الخدين مشوه الخلق وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان يتم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين ف قيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد أذن فمن حدثه شيئا صدقه فنقول ماشئنا ثم نأتيه ونحلف له فيصدقنا فانزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو أذن انه ليس بعيد غور بل هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فاجاب الله سبحانه وتعالى عنه بقوله (قل أذن خير لكم) يعنى هب انه أذن لكنه أذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقرى أذن خير من فوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) يعنى انه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالباء والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله هو نقيض الكفر فلا يتعدى الالباء فيقال آمنت بالله والايمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الالبالام ومنه قوله تعالى أنؤمن لك وقوله آمنتهم (ورحمة) أى هو رحمة (للذين آمنوا منكم) وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنون فبين الله سبحانه وتعالى كذبهم بقوله انه رحمة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين وقيل فى كونه صلى الله عليه وسلم رحمة لانه يجرى أحكام

(ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) والاذن الرجل الذى يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمى بالجارحة التى هى آلة السماع كأن جلته أذن سامعة واذا يؤم له هو قولهم فيه هو أذن قصدوا به المذمة وأنه من أهل سلامة القلوب والفرقة ففسره الله تعالى بما هو مدح له وثناء عليه فقال (قل أذن خير لكم) كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن ويجوز أن يريد هو أذن فى الخبر والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن فى غير ذلك ثم فسر كونه أذن خير بانه (يؤمن بالله) أى يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة (ويؤمن للمؤمنين) ويقبل من المؤمنين الخالصين المهاجرين والانصار وعدى فعل الايمان بالباء الى الله لانه قصد به التصديق بالله الذى هو ضد الكفر به والى المؤمنين باللام لانه قصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقهم صادقين عنده ألا ترى الى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف يبنى عن الباء (ورحمة) بالعطف على أذن ورحمة

حزة عطف على خير أى هو أذن خير وأذن رحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله (للذين آمنوا منكم) أى وهو رحمة للذين آمنوا منكم أى أظهر وا

الإيمان أيها المنافقون حيث يقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين أو هو رحمة للمؤمنون حيث استنقذهم من الكفر إلى الإيمان ويشفع لهم في الآخرة بإيمانهم في الدنيا (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) في الدارين (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الخطاب (٢٥٦) للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم

فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعتدروهم ويرضوا عنهم فقبل لهم (والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين) أي إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من أرضيت الله ورسوله بالطاعة والوفاق وإنما وجد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا في حكم شيء واحد كقولك أحسان زيد واجاله رفعني أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك (ألم يعلموا أنه) أن الأمر والشان (من يحادد الله ورسوله) يجاوز الحد بالخلاف وهي مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق (فإن له) على حذف الخبر أي فحق أن له (نار جهنم) خالد فيها ذلك الحزى العظيم يحذر المنافقون (خير بمعنى الأمر أي ليحذر المنافقون) أن تنزل عليهم سورة) تنزل بالتخفيف مكى وبصرى (تنبئهم بما في قلوبهم) من الكفر والنفاق والضماير للمنافقين لأن السورة إذا نزلت في

الناس على الظاهر ولا ينقب عن أحوالهم ولا يهتك أسرارهم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) يعني في الآخرة قوله عز وجل (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلوس بن سويد ووديع بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الجير وكان عندهم غلام من الأنصار اسمه عامر بن قيس فحرقوه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله إن ما يقول محمد حق وأتم شر من الجير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم فسأهم فأنكروا وحلفوا إن عامرا كذاب وحلف عامر أنهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوه يعتذرون ويحلفون فانزل الله هذه الآية والمعنى يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم عنهم من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ورسوله أحق أن يرضوه) اختلفوا في معنى هذا الضمير إلى ماذا يعود فقيل الضمير عائذ على الله تعالى لأن في رضا الله رضا رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة والاختلاف وقيل يجوز أن يكون المراد يرضوهما فافا كتفى يذكر أحدهما عن الآخر وقيل معناه والله أحق أن يرضوه وكذلك رسوله (إن كانوا مؤمنين) يعني إن كان هؤلاء المنافقون مصدقين بوعد الله ووعيده في الآخرة قوله سبحانه وتعالى (ألم يعلموا) قال أهل المعاني ألم تعلم خطاب لمن علم شيئا ثم نفسه أو أنكروه فيقال له ألم تعلم أنه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون إليه خاطب المنافقين بقوله ألم يعلموا يعني من شرائع الدين التي علمهم رسولنا (أنه من يحادد الله ورسوله) يعني أنه من يخالف الله ورسوله وأصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد يقال حد فلان فلانا إذا صار في غير حده وخالفه في أمره وقيل معنى يحادد الله ورسوله أي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله (فإن له نار جهنم) أي فحق أن له نار جهنم (خالد فيها) يعني على الدوام (ذلك الحزى العظيم) يعني ذلك الخلود في نار جهنم هو الفضيحة العظيمة قوله عز وجل (يحذر المنافقون) يعني يخشى المنافقون (أن تنزل عليهم سورة) يعني على المؤمنين (تنبئهم) يعني تخبر المؤمنين (بما في قلوبهم) يعني بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك إن المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القرآن في شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة يعني أنها فضحت المنافقين وبعثرت عن أخبارهم وأثارها وأسفرت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس أنزل الله ذلك سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذلك كالأسماء رحمة منه على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لأن أولادهم كانوا مؤمنين (قل استهزؤا) أمر تهديد فهو كقوله أعمالوا ما شئتم (إن الله مخرج) أي مظهر (ما تحذرون) والمعنى إن الله سبحانه وتعالى يظهر إلى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا الرسول صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوأ به إذا علاها وتنكر واليه في ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد أضمره وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوههم واحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود

معناهم فهي نازلة عليهم دليله قل استهزؤا أو الأولان للمؤمنين والثالث للمنافقين وضح ذلك لأن المعنى يقود اليه (قل استهزؤا) أمر تهديد (إن الله مخرج ما تحذرون) مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون اظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحى فيهم وفي استهزؤهم بالاسلام وأهله حتى قال بعضهم وددت أنى قدمت جلدت مائة وأنه لا ينزل فينا شيء فضعنا



(واثن سألهم ليقولن انما  
 كنا نخوض ونلعب) يننا  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 يسير في غزوة تبوك وركب  
 من المنافقين يسرون بين  
 يديه فقالوا انظروا الى هذا  
 الرجل يريد أن يفتح  
 قصور الشام وحصونها  
 هيات هيات فاطلع الله نبيه  
 على ذلك فقال احبسوا  
 على الركب فاناهم فقال قاتم  
 كذا وكذا فقالوا يا نبي الله  
 لا والله ما كنا في شيء من  
 أمرك ولا من أمر أصحابك  
 ولكن كنا في شيء مما يخوض  
 فيه الركب ليقصر بعضنا  
 على بعض السفر أي واثن  
 سألهم وقات لهم لم قاتم ذلك  
 لقالوا انما كنا نخوض  
 ونلعب (قل) يا محمد (أبالله  
 وآياته ورسوله كنتم  
 تستهزؤن) لم يعبا باعتذارهم  
 لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا  
 كأنهم معترفون باستهزائهم  
 وبانه موجود فيهم حتى  
 ونحو باخطائهم موقع  
 الاستهزاء حيث جعل  
 المستهزأ به يلى حرف التقرير  
 وذلك انما يستقيم بعد  
 ثبوت الاستهزاء  
 (لا تعتذروا) لا تشتموا  
 باعتذار انكم الكاذبة فانها  
 لا تنفعكم بعد ظهور سرهم  
 (قد كفرتم) قد أظهرتم  
 كفركم باستهزائكم (بعد  
 ايمانكم) بعد اظهركم الايمان

ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضر بها حذيفة  
 حتى نجاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحد يا رسول الله  
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عددهم كلهم فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من  
 يقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة (م) عن  
 قيس بن عباد قال قلت لعمار أ رأيت قتالكم أ رأيت يومه فان الرأي يخطئ ويصيب أم عهدا عهدا اليكم  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهد به الى الناس  
 كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في أمي قال شعبة وأحسبه قال حدثني حذيفة قال  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجردون ريحا حتى يلج  
 الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة جراح من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم  
 قوله سبحانه وتعالى (واثن سألهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) الآية وسبب نزولها على ما قال  
 زيد بن أسلم أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا أ رغبتنا بطونا وأ كذبنا  
 السنة وأجبنا عند اللقاء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق ولا خبرن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله  
 ابن عمر فنظرت اليه يعني الى المنافق متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما  
 كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يزيد به قال  
 محمد بن اسحق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو ودبعة بن ثابت أخو أمية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال  
 قتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجوه هذا  
 الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيات هيات فاطلع الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال  
 نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب فاناهم فقال قاتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض  
 ونلعب فانزل الله فيهم ما تسمعون وقال الكافي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة  
 تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان منهم يستهزؤن بالقرآن والرسول والثالث يضحك قيل  
 كانوا يقولون ان محمد يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما بعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمد  
 يزعم انه أنزل في أصحابنا قرآن انما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا  
 على الركب فدعاهم وقال لهم قاتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ومعنى الآية واثن سأل يا محمد  
 هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض  
 في الكلام كما يفعله الركب يقطعون الطريق باللعب والحديث وأصل الخوض الدخول في مائع كالماء مع  
 الطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول مع تلويث وأذى (قل) أي قل يا محمد هؤلاء  
 المنافقين (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) فيه توبيخ وتقريع للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف  
 تقدمون على ارتكاب الاستهزاء بالله يعني بفرائض الله وده وأحكامه والمراد بآياته كتابه ورسوله محمد  
 صلى الله عليه وسلم فيحتمل أن المنافقين لما قالوا كيف يقدر محمد على أخذ حصون الشام قال بعض المسلمين  
 الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح في قدرة الله وانما ذكره واذلك على طريق  
 الاستهزاء قوله عز وجل (لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) يعني قل هؤلاء المنافقين لا تعتذروا وبالباطل  
 ومعنى الاعتذار محو أثر الموجدة من قلب المعتذر اليه وقيل معنى العذر قطع اللائمة عن الجاني قد كفرتم بعد  
 ايمانكم يعني أن الاستهزاء بالله كفر والاقدام عليه يوجب الكفر فلذلك قال سبحانه وتعالى لا تعتذروا وقد  
 كفرتم بعد ايمانكم فان قلت ان المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم قلت معناه

(ان نعت عن طائفة منكم) بتو بتهم واخلاصهم الايمان بعد النفاق (نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق غير ثابتين منه  
ان يعف تعذب طائفة غير (٢٥٨) عاصم (المنافقون والمنافقات) الرجال المنافقون كانوا ثلثمائة والنساء المنافقات مائة

أظهرتم الكفر بعدما كنتم قد أظهرتم الايمان وذلك أن المنافقين كانوا يكتُمون الكفر ويظهرون الايمان  
فما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين  
بعد ان كنتم عندهم مؤمنين وقوله سبحانه وتعالى (ان نعت عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين)  
ذكر المفسرون أن الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والاثنان طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على  
الواحد فلهذا أطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحق الذي عني عنه رجل واحد وهو مخاشن بن  
جيرا الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان يمشي بجانبهم وينكر بعض ما يسمع  
فكان ذنبه أخف فلما نزلت الآية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم اني لا ازال أسـ مع آية تقرأ  
أعني بها تشعرونها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفائي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا  
كفنت أنا دفنت فاصيب يوم القيامة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرعته قوله سبحانه وتعالى (المنافقون  
والمنافقات بعضهم من بعض) يعني انهم على أمر واحد ودين واحد مجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثة  
كما يقول الانسان لغيره أنا منك وأنت مني أي أمرنا واحد لا مباينة فيه (يا مروان بالمنكر) يعني يا امر بعضهم  
بعض بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم (وينهون عن المعروف) يعني عن الايمان  
والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم (ويقبضون أيديهم) يعني عن الاتفاق في سبيل الله تعالى وفي  
كل خير (نسوا الله فانساهم) هذا الكلام لا يمكن اجراؤه على ظاهره لانه لو جئنا على النسيان الحقيقي لم  
يستحقوا ذمنا عليه لان النسيان ليس في وسع البشر دفعه وايضا فان النسيان في حق الله محال فلا بد من  
التأويل وقد ذكرنا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا أمره حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بان صيرهم  
بمنزلة المنسى من ثوابه ورحمته فخرج على مزاجه الكلام فهو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه  
الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فبين ذكرهم بالرحمة والاحسان  
فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيئا لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم من  
توفيقه وهدايتهم في الدنيا ومن رحمته في العقبى (ان المنافقين هم الفاسقون) يعني هم الخارجون عن الطاعة  
(وعدا لله المنافقين والمنافقات والكفار) يقال وعده بالخير وعداؤه بالشر وعيد أفلوعد يكون في الخبر  
والشر (نار جهنم خالدين فيها) فيه حذف تقديره يصلونها خالدين يعني مقيمين فيها (هي حسبهم) يعني هي  
كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة (ولعنهم الله) يعني وأبعدهم من رحمته  
وطردهم عن بابه (ولهم عذاب مقيم) أي دائم لا ينقطع فان قلت قوله خالدين فيها بمعنى ولهم عذاب مقيم  
وهذا تكرار فمعناه قلت ليس ذلك تكرارا او بيان الفرق من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع آخر من  
العذاب المقيم سوى الصلي بالنار ولقائل أن يقول هذا التأويل مشكل لانه سبحانه وتعالى قال في النار هي  
حسبهم وذلك يمنع من ضم شيء آخر الى عذاب النار وأجيب عن هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم في  
الايلام ولا يمنع أن يحصل نوع آخر من العذاب من غير جنس النار كالزهرير ونحوه ويكون ذلك زيادة في  
عذابهم الوجه الثاني أن العذاب المقيم هو العذاب المجل لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع  
المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقيم بقوله سبحانه وتعالى (كالذين  
من قبلكم) هذا رجوع عن الغيبة الى خطاب الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كفعال الذين  
من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض  
الأيدي عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عدوهم عن طاعة الله واتباع أمره لاجل  
طلب الدنيا بمن قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بانهم كانوا أشد من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر أموالا

وسبعين (بعضهم من بعض) أي كأنهم نفس واحدة وفيه نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قوتهم ويخافون بالله انهم لمنكم وتقرر لبقوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال (يا مروان بالمنكر) بالكفر والعصيان (وينهون عن المعروف) عن الطاعة والايمان (ويقبضون أيديهم) شحابا لمبار والصدقات والاتفاق في سبيل الله (نسوا الله) تركوا أمره أو أغفلوا ذكره (فانساهم) فتركهم من رحمته وفضله (ان المنافقين هم الفاسقون) هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلجأ بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف به المنافقون حين بالغ في ذمهم (وعدا لله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود فيها (هي) أي النار (حسبهم) فيه دلالة على عظم عذابها وانه بحيث لا يزداد عليه (ولعنهم الله) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين (ولهم عذاب مقيم) دائم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر

وأولادا المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدأ من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على أسه ارهم الكاف في (كالذين من قبلكم

كانوا أشد منكم قوة وأكثراً موالواً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) محلهما رفع أي أتم  
مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم (٢٥٩)

أي تلذذوا بما لاذ الدنيا  
والخلاق النصب مشتق  
من الخلق وهو التقدير أي  
ما خلق للإنسان بمعنى قدر  
من خير (وخضم) في  
الباطل (كالذي خاضوا)  
كالفوج الذي خاضوا أو  
كالخوض الذي خاضوا  
والخوض الدخول في الباطل  
واللهو وإنما قدم فاستمتعوا  
بخلاقهم وقوله كما استمتع  
الذين من قبلكم بخلاقهم  
مغن عنه ليندم الأولين  
بالاستمتاع بما أو توأم  
حظوظ الدنيا والتهائم  
بشهواتهم الفانية عن النظر  
في العاقبة وطلب الفلاح في  
الآخرة ثم شبه بعد ذلك  
حال المخاطبين بحالهم  
(أولئك حبطت أعمالهم  
في الدنيا والآخرة في مقابل  
قوله وآتينا أجره في الدنيا  
وأنه في الآخرة لمن الصالحين  
(وأولئك هم الخاسرون)  
ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال  
(ألم ياتهم نبأ الذين من قبلهم  
قوم نوح) هو بدل من  
الذين (وعاد وثمود وقوم  
إبراهيم وأصحاب مدين)  
وأهل مدين وهم قوم  
شعيب (والمؤتفكات)  
مدائن قوم لوط وائتفا كهن  
انقلاب أحوالهن عن الخير

وأولاداً فقال تعالى (كانوا أشد منكم قوة) يعني بطشاً ومنعة (وأكثر موالواً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم)  
يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بما عوضوا عن الآخرة والخلاق النصب وهو ما خلق  
الله للإنسان وقدر له من خير كما يقال قسم له (فاستمتعتم بخلاقكم) وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم أيها  
المنافقون والكافرون بخلاقكم (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) فإن قلت ما الفائدة في ذكر  
الاستمتاع بالخلاق في حق الأولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانياً إعادة ذكره في حق الأولين ثالثاً  
قلت فأنذته أنه يندم الأولين بالاستمتاع بما أو توأم من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركهم النظر  
فيما يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع إلى  
ذكر حال الأولين ثالثاً وهذا كما تريد أن تبكت بعض الظلمة على قبح ظلمه فتقول له أنت مثل فرعون كان يقتل  
بغير حق ويعذب بغير جرم فانت تفعل مثل ما كان يفعل فالتسكير به هنا للتأكييد وتقبيح فعلهم وفعل من  
شابههم في فعلهم ﴿وقوله تعالى (وخضم كالذي خاضوا) معطوف على ما قبله ومستند إليه يعني وسلكتم في  
فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسوله والاستهزاء بالمومنين (أولئك  
حبطت أعمالهم) يعني بطلت أعمالهم (في الدنيا والآخرة) يعني إن أعمالهم لا تنفعهم في الدنيا ولا في  
الآخرة بل يعاقبون عليها (وأولئك هم الخاسرون) والمعنى أنه كما بطلت أعمال الكفار الماضين وخسروا  
تبطل أعمالكم أيها المنافقون وتخسرون (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتهم قلنا يا رسول الله  
اليهود والنصارى قال فن ﴿وقوله تعالى (ألم ياتهم) رجع من الخطاب إلى الغيبة يعني ألم يات هؤلاء  
المنافقين والكفار وهو استهزاء بمعنى التقرير أي قد أتاهم (نبأ) يعني خبر (الذين من قبلهم) يعني الأمم  
الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف أهلكتناهم حين خالفوا أمرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى (قوم  
نوح) يعني أنهم أهلכו وبالطوفان (وعاد) أهلكو بالريح العقيم (وثمود) أهلكو بالرجفة (وقوم  
إبراهيم) أهلكو بسلب النعمة وكان هلاك نمرود ببيعوضة (وأصحاب مدين) وهم قوم شعيب أهلكو  
بعذاب يوم الظلة (والمؤتفكات) يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها وهي مدائن قوم لوط وإنما ذكر  
الله سبحانه وتعالى هذه الطوائف الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك  
قريب من أرض العرب فكانوا يعمرون عابهم ويعرفون أخبارهم (أتتهم رسلهم بالبينات) يعني بالمعجزات  
الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا كما فعلتم أيها المنافقون والكفار  
فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتجمل لكم النعمة كما عجلت لهم (فما كان الله ليظلمهم) يعني بتجميل  
العقوبة لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني إن الذين استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم أنفسهم  
﴿قوله عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) لما وصف الله المنافقين بالأعمال الخبيثة  
والأحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما أعد لهم من أنواع الوعيد في الدنيا والآخرة عقبه بذكر أوصاف  
المؤمنين وأعمالهم الحسنة وما أعد لهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة فقال تعالى  
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يعني الموالاة في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة فإن  
قلت أنه سبحانه وتعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض  
فما الفائدة في ذلك قلت لما كان نفاق الاتباع وكفرهم إنما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والأكابر

إلى الشر (أتتهم رسلهم بالبينات) فما كان الله ليظلمهم) فما صح منه أن يظلمهم بأهلكتهم لانه حكيم فلا يعاقبهم بغير جرم (ولكن كانوا  
أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الرسل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) في التناصر والتراحم

وحصل بمقتضى الطبيعة أيضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد  
الله وتوفيقه وهدايتيه لا بمقتضى الطبيعة وهو النفس وصفهم بان بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين  
الفر يقين وظهرت الفائدة ﴿٢٦٠﴾ وقوله سبحانه وتعالى (يا مرون بالعرفون) يعنى بالايمان بالله ورسوله  
واتباع أمره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة (وينهون عن المنكر) يعنى عن الشرك  
والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده  
(ويقيمون الصلاة) يعنى الصلاة المفروضة ويتمون أركانها وحدودها (ويؤتون الزكاة) يعنى الواجبة  
عليهم وهو في مقابلة ويقضون أيديهم (ويطيعون الله ورسوله) يعنى فيما يأمرهم به وهو في مقابلة نسوا  
الله فنسيهم (أولئك) يعنى المؤمنين والمؤمنات الموصوفين بهذه الصفات (سيرحهم الله) لما ذكر الله ما  
وعده بالمنافقين من العذاب في نار جهنم ذكر ما وعد به المؤمنين والمؤمنات من الرحمة والرضوان وما أعد  
لهم في الجنان والسين في قوله سيرحهم الله للمبالغة والتوكيد (ان الله عزير حكيم) وهذا يوجب المبالغة في  
الترغيب والترهيب لان العزيز هو الذى لا يمتنع عليه شئ أرادته فهو قادر على إيصال الرحمة لمن أراد إيصال  
العقوبة لمن أراد والحكيم هو الذى يدبر عبادته على ما يقتضيه العدل والانصاف (وعد الله المؤمنين  
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) لما ذكر الله في الآيات المتقدمة وعيد المنافقين وما  
أعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية ما وعد به المؤمنين من الخير والثواب والمراد  
بالجنات التى تجرى من تحتها الأنهار البساتين التى يتعير فى حسن الناطر لانه سبحانه وتعالى قال ومساكن  
طيبة فى جنات عدن والمعطوف يجب أن يكون مغاير للمعطوف عليه فتكون مساكنهم فى جنات عدن  
ومناظرهم الجنات التى هى البساتين فتكون جنات عدن هى المساكن التى يسكنونها والجنات الأخرى  
البساتين التى يتزهون فيها فهذه فائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما (ومساكن  
طيبة) يعنى ومنازل يسكنونها طيبة (فى جنات عدن) يعنى فى بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا  
أقام به روى الطبرى بسنده عن عمران بن حصين وأبى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه  
الآية ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصر من أولوة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوقه حراء فى كل  
دار سبعون بيتا من زمر دة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على  
كل فراش زوجة من الحور العين وفى رواية فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام وفى  
كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله أجمع وروى بسنده  
عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعنى دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب  
بشر وهى مسكنه ولا يسكنها معه من بنى آدم غير ثلاثة النبیین والصدیقین والشهداء يقول الله عز وجل طوبى  
لمن دخلك هكذا رواه الطبرى فان صحت هذه الرواية فلا بد من تاولها فقول الله عدن داره يعنى دار الله وهو من  
أب حذف المضاف تقديره عدن دار أصفياء الله التى أعدها لوليائه وأهل طاعته والمقر بين من عباده عن  
أبى موسى الأشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب  
آيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم الأرداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن أخرجه  
البخارى ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعنى وسطها وقال عبد الله بن عمر بن العاص  
ان فى الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والبروج له خمسة آلاف باب لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد  
وقال عطاء بن السائب عدن نهر فى الجنة خيامه على حافتيه وقال مقاتل والكلى عدن أعلى درجة فى الجنة  
فها عين التسليم والجنان حوطا محدقة بها وهى مغطاة من حين خلقها الله حتى ينزلها أهلها وهم الأنبياء  
والصدیقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهدرج طيبة من

(يامرون بالمعروف)  
بالطاعة والايمان (وينهون  
عن المنكر) عن الشرك  
والعصيان (ويقيمون  
الصلاة ويؤتون الزكاة  
ويطيعون الله ورسوله  
أولئك سيرحهم الله) السين  
مفيدة وجود الرحمة لا محالة  
فهى تؤكد الوعد كما  
تؤكد الوعيد فى سائق  
منك يوما (ان الله عزير)  
على غالب كل شئ قادر  
عليه فهو يقدر على الثواب  
والعقاب (حكيم) واضح  
كلا موضعه (وعد الله  
المؤمنين والمؤمنات جنات  
تجرى من تحتها الأنهار  
خالدين فيها ومساكن  
طيبة) يطيب فيها العيش  
وعن الحسن رحمه الله  
قصورا من اللؤلؤ والياقوت  
الأحمر والزبرجد (فى جنات  
عدن) هو علم بدليل قوله  
جنات عدن التى وعد  
الرحمن وقد عرفت ان  
الذى والتى وضعا لوصف  
المعارف بالجل وهى مدينة  
فى الجنة

(ورضوان من الله) وشئ من رضوان الله (أ كبر) من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة (ذلك) اشارة الى ما وعدوا الى الرضوان (هو الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا (يا أيها النبي جاهد الكفار) (٢٦١) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) في الجهادين

تحت العرش فتدخل عليهم كسبان المسك الابيض قال الامام نخر الدين الرازي حاصل هذا الكلام ان في جنات عدن قولين أحدهما أنه اسم علم لموضع معين في الجنة وهذه الاخبار والآثار تقوى هذا القول قال صاحب الكشاف وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثاني أنه صفة للجنة قال الازهرى عدن ماخوذ من قولك عدن بالمكان اذا أقام به يمدن عدو نأف بهذا الاشتقاق قالوا الجنة كلها جنات عدن وقوله سبحانه وتعالى (ورضوان من الله أ كبر) يعني ان رضوان الله الذي ينزله عليهم أ كبر من كل ما سلف ذكره من نعيم الجنة (ذلك هو الفوز العظيم) اشارة الى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان (ق) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يدك فيقول هل رضيتم فيقولون وما التنا لرضي ياربنا وقد أعطيتنا ما لم نعط أحدا من خلقك فيقول ألا اعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط بعده عليكم أبدا وقوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار) يعني بالسيف والمحاربة والقتال (والمنافقين) يعني وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لظهاره الاسلام فقال ابن عباس أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك أيضا وقال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلمه فان لم يستطع فليتكفهر في وجهه وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم يعني اذا تعاطوا أسبابها وهذا القول فيه بعد لان اقامة الحدود واجبة على من لبس بمنافق فلا يكون لهذا تعلق بالنفاق وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى أسباب الحدود فتنقام عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الطبري وأولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل آخر وقد دلت الدلائل المنفصلة أن الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجية عليهم تارة وبترك الرفق بهم تارة وبالانتهاز تارة وهذا هو قول ابن مسعود (واغلظ عليهم) يعني شدد عليهم بالجهاد والارهاب (وما أواهم جهنم وبئس المصير) يعني أن جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم اليها فان فت كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بين أظهر أصحابه مع علمهم ومجاهلهم قلت انما أمر الله عز وجل نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقتال من أظهر كلمة الكفر وأقام على اظهارها فاما من تكلم بالكفر في السر فاذا اطلع عليه أنكره ورجع عنه وقال اني مسلم فانه يحكم باسلامه في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وان كان معتقدا غير ذلك في الباطن لان الله سبحانه وتعالى أمر باجواء الاحكام على الظواهر فلذلك أجري النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم ووكّل سرايرهم الى الله سبحانه وتعالى لانه العالم باحوالهم وهو يجازيهم في الآخرة بما يستحقون وقوله عز وجل (يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فقال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد اقبل هو وابن امرأته مصعب بن قباء فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا فنحن شرمن حرننا هذه التي نحن عليها فقال مصعب أما والله يا عدو الله لا خبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت أن ينزل في القرآن أو أن تصيبني قارعة أو أن أخط بخطيئته فانيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اقبلت أو الجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا

عليهم) في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها (وما أواهم جهنم وبئس المصير) جهنم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسبهم مع من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناه هم وهم ساداتنا فنحن شرمن الجير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس أجل والله ان محمد صادق وأنت شرمن الجير وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره خلف بالله ما قال فرجع عامريده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل (يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) يعني ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شرمن الجير وهي استهزاؤهم فقال الجلاس يا رسول الله

والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد اسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وفيه دلالة على ان الايمان والاسلام واحد لانه قال وكفروا بعد اسلامهم

مخافة أن أخط بخطيئته أو تصيني قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس قلت ما قال مصعب  
 خلف ما قال فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الآيه وروى عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس كان رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم جالساً في ظل شجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعين الشيطان فاذا جاء فلا  
 تكلموه فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشقني أنت وأصحابك  
 فانطلق الرجل فجاء بصحابه خلفه وبالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما  
 قالوا ثم نعمهم جميعاً الى آخر الآيه وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار  
 وكانت جهينة حلفاء الانصار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن أبي ابن سلول للاوس انصروا وأخاكم  
 فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمعنا كلبك يا كلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعمز منها  
 الا ذل فسمي بهما رجل من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فاساله خلف بالله ما قاله فانزل الله  
 هذه الآيه هذه روايات الطبري وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك ان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك قد كرم المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس  
 لئن كان محمد صادقاً لئن شرم من الجير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه عامر بن قيس  
 فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفوا  
 عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فخلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر ثم قام  
 عامر فخلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال اللهم أنزل علي  
 نبيك تصديق الصادق منافق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل  
 أن يتفرق بهذه الآيه حتى بلغ فان تبوءوا بك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله أسمع الله قد عرض  
 علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وأما أستغفر الله وأتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ذلك منه فتاب وحسنت توبته فذلك قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر  
 وكفروا بعد اسلامهم يعني أظهرها كلمة الكفر بعد اسلامهم وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه  
 وسلم فقيل هي كلمة الجلاس بن سويد لئن كان محمد صادقاً لئن شرم من الجير وقيل هي كلمة عبد الله بن أبي  
 ابن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعمز منها الا ذل وستاتي القصة في موضعها في سورة المنافقين ان  
 شاء الله تعالى قوله سبحانه وتعالى (وهو بما لم ينالوا) قال مجاهد هم الجلاس بقتل الذي سمع مقالته  
 خشية ان يفسبها عليه وقيل هم عبد الله بن أبي ابن سلول وكان همه قوله لئن رجعنا الى المدينة فلم ينله وقيل  
 هم اثنا عشر رجلاً من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا على العقبة وقت رجوعه من  
 تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فاخبره وأمره ان يرسل اليهم من يضرب وجوهه واحلهم فارس  
 حذيفة لذلك وقال السدي قال المنافقون اذ ارجعنا الى المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي ابن سلول تاجاً  
 فلم يصلوا اليه (وما تقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) يعني وما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم شيئاً الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله والمعنى ان المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر  
 النبي صلى الله عليه وسلم أن تقموا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فنقموا أشرا و بطرا وقال ابن قتيبة معناه  
 ليس ينقمون شيئاً ولا يتعرفون الا الصنع وهذا كقول الشاعر

ما تقم الناس من أمية \* الا أنهم يحلمون ان غضبوا

وهذا ليس مما ينقم وإنما اراد ان الناس لا ينقمون عليهم شيئاً فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم \* بهن فلول من قراع الكتائب

أي ليس فيهم عيب قال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش فلما قدم

(وهو بما لم ينالوا) من  
 قتل محمد عليه السلام أو  
 قتل عامر لده على الجلاس  
 وقيل أرادوا أن يتوجوا  
 ابن أبي وان لم يرض رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم (وما  
 تقموا) وما أنكروا وما  
 عابوا (الا أن أغناهم الله  
 ورسوله من فضله) وذلك  
 انهم كانوا حين قدم رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم  
 المدينة في ضنك من العيش  
 لا يركبون الخيل ولا  
 يحوزون الغنيمة فأثروا  
 بالغنائم وقتل للجلاس  
 مولى عامر رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم بديته اثني  
 عشر ألفاً فاستغنى

(فان يتوبوا) عن النفاق (يك) الثواب (خير لهم) وهي الآية التي تاب عندها (٢٦٣) الجلاس (وان يتولوا) يصروا على النفاق

(يعذبهم الله عذابا ليماني الدنيا والآخرة) بالقتيل والنار (وما لهم في الارض من ولي ولا نصير) ينصرونهم من العذاب (ومنهم من عاهد الله) روى ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لانطقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لا اعطين كل ذي حق حقه فدعاه فاتخذ غنما فمات كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثير ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاختنا الصدقات فاستقبلها ما الناس بصدقاتهم ومررنا بثعلبة فسألناه الصدقة فقال ما هذه الاجزية وقال ارجعنا حتى ارى رأيت فلما رجعنا قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقبض رسول الله صلى الله

النبي صلى الله عليه وسلم استغفوا بالغنائم فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى فامر له النبي صلى الله عليه وسلم بدية فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن أبي دية فاخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال عكرمة ان مولى لبني عدى قتل رجلا من الانصار فقضى له النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر الفا وفيه نزلت وما تقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله (فان يتوبوا يك خيرا لهم) يعني فان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يك ذلك خيرا لهم في العاجل والآجل (وان يتولوا) يعني وان يعرضوا عن الايمان والتوبة ويصروا على النفاق والكفر (يعذبهم الله عذابا ليماني الدنيا) يعني بالخزي والاذلال (والآخرة) أي ويعذبهم في الآخرة بالنار (وما لهم في الارض من ولي ولا نصير) يعني وليس لهم أحد يمنعهم من عذاب الله أو ينصرهم في الدنيا والآخرة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ومنهم من عاهد الله ان اتانا من فضله لنصدقن) الآية روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي امامة الباهلي قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمالك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لا اعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فمات كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتحنى عنها ونزل واديا من اوديتها وهي تنمي كما ينمي الدود فكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعدت عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعدت عن المدينة أيضا حتى صار لا يشهد الجمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج فتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكروه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فانزل الله سبحانه وتعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهمينة وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف ياخذان وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بني سليم فخذوا صدقاتهم ما خرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الاجزية ما هذه الاجزية انطلقا حتى تفرغتم عودا الى فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار أسنان ابله فعزها للصدقة ثم استقبلها ما بها فلما رأياها قال ما هذه عليك قال خذها فان نفسي بذلك طيبة فرأى الناس وأخذ الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه الاجزية ما هذه الاجزية اذ هبا حتى أرى رأيت قال فاقبل لافلاما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل ان يتكلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثم دعا السلمي بخير فاخبراه بالذي صنع ثعلبة فانزل الله سبحانه وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله ان اتانا من فضله لنصدقن الآية الى قوله سبحانه وتعالى وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أتى ان يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة رجعا الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أبا بكر فقال اقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانالا أقبلا فقبض أبو بكر ولم يقبلها منه فلما ولي عمر اتاه فقال اقبل صدقتي

عليه وسلم فجاء بها الى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ووجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافة فلم يقبلها واهلك في زمن عثمان رضي الله عنه (لئن اتانا من فضله) أي المال (لنصدقن) لنخرج من الصدقة والاصل لنصدقن ولكن التاء أدغمت في الصاد اقربها منها

فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فان لا أقبلها منك فلم يقبلها ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان وأخرجه الطبري أيضا بسنده قال بهض العلماء انه لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله سبحانه وتعالى منه من قبوله ما منده بمجازاة له على اخلافه ما عاهد الله عليه واهانة له على قوله انما هي جزية أو أخت الجزية فلما صدر هذا القول من ردت صدقته عليه اهانة له وليعتبر ذيره به فلا يتمتع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى أنها واجبة عليه وانه يثاب على اخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة أتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه واتصدقت منه ووصلت القرابة فمات ابن عم له فورث منه ما لا فلم يف بمعاهد الله عليه فانزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملا قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلاجه وقال ابن السائب ان حاطب ابن أبي بلتعة كان له مال بالشام فابطأ عليه فجهد لذلك جهدا شديدا خلف بالله لئن آتاني الله من فضله يعني ذلك المال لا صدقن منه ولا صلن فلما آتاه ذلك المال لم يف بمعاهد الله عليه فنزلت هذه الآية حاصلة ان ظاهر الآية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه من فضله ليعملن فيه أفعال الخير والبر والصدقة فلما آتاه الله من فضله ما سأل لم يف بمعاهد الله عليه ومعنى الآية ومن المنافقين من أعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بان يوسع علينا في الرزق لنصدقن يعني لنصدقن ولنخرجن من ذلك المال صدقته (ولسكونن من الصالحين) يعني ولنعملن في ذلك المال ما يعمله أهل الصلاح باموالهم من صلاة الارحام والانتفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة وايصالها الى أهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله ولسكونن من الصالحين اشارة الى كل ما يفعله أهل الصلاح على الاطلاق من جميع أعمال البر والطاعة (فلما آتاهم من فضله بخلاجه) يعني فلما رزقهم الله لم يفعلوا من أعمال البر شيئا (وتولوا) يعني عاهدوا الله عليه (وهم معرضون) يعني عن العهد (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) يعني فاعقبهم الله نفاقا بان سيرهم منافقين يقال أعقبت فلانا دامة اذا صارت عاقبة أمره الى ذلك وقيل معناه انه سبحانه وتعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم (الي يوم يلقونه) يعني انه سبحانه وتعالى حرّمهم التوبة الى يوم القيامة فيوافقونه على النفاق فيجازيهم عليه (بما أخلفوا الله ما وعده) يعني الصدقة والانتفاق في سبيله (وبما كانوا يكذبون) يعني في قولهم لنصدقن ولسكونن من الصالحين عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اتّمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصلة منهم كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد أخلف واذا خاصم فجر قال الشيخ محي الدين النووي هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشکلا من حيث ان هذه الخصال قد توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك وقد أجمع العلماء على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلف في النار فان اخوة يوسف عليهم السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف وبعض العلماء بعض هذا أو كله قال الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكالا ولكن اختلف العلماء في معناه فالذي قاله المحققون والاكثر وهو الصحيح المختار ان معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها يشبه المنافقين في هذه الخصال ويتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافة وهذا وجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وأتمنه وخاصة وعاهده من الناس لأنه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخاديين في الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه

(ولسكونن من الصالحين)  
 باخراج الصدقة (فلما آتاهم  
 من فضله) أعطاهم الله المال  
 وتولوا مذاهم (بخلاجه)  
 منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد  
 (وتولوا) عن طاعة الله  
 (وهم معرضون) مصرون  
 على الاعراض (فاعقبهم  
 نفاقا في قلوبهم) قاورتهم  
 البخل نفاقا كما في قلوبهم  
 لانه كان سبب فيه (الي يوم  
 يلقونه) أي جزاء فعلهم وهو  
 يوم القيامة (بما أخلفوا الله  
 ما وعده) وما كانوا  
 يكذبون) بسبب اخلافهم  
 ما وعدهم الله من الصدق  
 والصلاح وكونهم كاذبين  
 ومنه جعل خلف الوعد ثلاث  
 النفاق



وسلم كان منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبية عليه فاما من ندر ذلك منه فليس ذلك حاصل فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا في إيمانهم فكذبوا أو آمنوا على دينهم فخانوا أو وعدوا في أمر الدين ونصره فآخفوا أو جروا في خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ورجع إليه الحسن البصري بعد ان كان على خلافه وهو مروي عن ابن عباس وابن عمرو ورواه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض واليه مال أكثرنا ثمنا وحكي الخطابي قول آخر ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه الخصال وحكي أيضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشبه اشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يفعلون كذا والله أعلم وقال الامام نضر الدين الرازي ظاهر هذه الآية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان يبالي في الاحتراز عنه فاذا عاهد الله في أمر فليجتهد في الوفاء به ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (ألم يعلموا) يعني هؤلاء المنافقين (ان الله يعلم سرهم) يعني ما تنطوي عليه صدورهم من النفاق (ونجواهم) يعني ويعلم ما يفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى هو الخفي من الكلام يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع أحوالهم لا يخفي عليه شيء منها (وان الله علام الغيوب) وهذا مبالغة في العلم يعني ان الله عالم بجميع الاشياء فكيف تخفي عليه أحوالهم ﷺ قوله عز وجل (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) الآية (ق) عن أبي مسعود البدرى قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا امرأه وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الاجهدهم الآية وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف درهم جئتك باربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وأمست أربعة آلاف لعمري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدى الجعاني بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت لي ثمنى أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمست أحدهما لعمري وأنتك بالآخر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل وان كان أحب أن يذكر نفسه ليعطى من الصدقة فانزل الله سبحانه وتعالى الذين يلمزون يمسبون المطوعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى في الصدقات والتطوع التنفل بما ليس بواجب عليه (والذين لا يجدون الاجهدهم) يعني أبا عقيل الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة أهل الحجاز وبالفتح لغيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي يأتي به فيتصدق به أكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذي يأتي به فيتصدق به لان الغنى أخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذي أخرج القليل انما أخرج عن ضعف وجهه وقد يؤثر المحتاج الى المال غيره رجاء ما عند الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (فيسخرون منهم) يعني ان المنافقين كانوا يستهزئون بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يعيرون الفقير الذي يتصدق بالقليل ويقولون انه لفقير محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل من برجوا عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود لئلا

يتناجون به فيما بينهم - م من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدير منعها (وان الله علام الغيوب) فلا يخفي عليه شيء (الذين) محله النصب أو الرفع على الذم أو الجر على البدل من الضمير في سرهم ونجواهم (يذرون المطوعين) يعيبون المطوعين المتبرعين (من المؤمنين في الصدقات) متعلق بيلمزون روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فافترضت ربي أربعة وأمست أربعة لعمري فقال عليه السلام يبارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله حتى صولحت تماضرا مرته عن ربع الثمن على الثمانين ألفا وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر (والذين) عطف على المطوعين (لا يجدون الاجهدهم) طاقتهم وعن نافع جهدهم وهما واحد وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع من تمر فقال بت لي ثمنى أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعمري وجئت بصاع فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى

(سخر الله منهم) جازاهم على سخر بهم وهو خبر غير دعاء (ولهم عذاب أليم) مؤول ولما سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابييه في مرضه نزل (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) وقد مر أن هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل ان يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فان يغفر الله لهم) والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية اذ لو استغفر لهم مدة حياته ان يغفر الله لهم لانهم كفار والله لا يغفر ان كفر به والمعنى وان بالغت في الاستغفار فلن يغفر الله لهم وقد وردت الاخبار بذلك

(٢٦٦)

السبعين من بين سائر الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل مادون الثلاث والكثير الثلاث فما فوقها وأدنى الكثير الثلاث وليس لاقصاه غاية والعدد أيضا نوعان شفع وتروا أول الاشفاع اثنان وأول الاوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجع الكثير من النوعين لان فيها أوتار ثلاثة واشفاعا ثلاثة والعشرة كمال الحساب لان ما جاوز العشرة فهو اضافة الآحاد الى العشرة كقولك اثنا عشر وثلاثة عشر الى العشرين والعشرون تكرر العشرة مرتين والثلاثون تكرر بها ثلاث مرات وكذلك الى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكالاحساب والكثرة منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاه جاز ان يكون تخصيص

ذلك الثواب الموعود به وقوله سبحانه وتعالى (سخر الله منهم) يعني انه سبحانه وتعالى جازاهم على سخر بهم ثم وصف ذلك وهو قوله تعالى (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة وقوله سبحانه وتعالى (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وهذا كلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر فلن يغفر الله لهم وانما خص سبحانه وتعالى السبعين من العدد بالذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حذرة رضي الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولان آحاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم السيارة سبع فهدى الخصى الله تبارك وتعالى السبعين بالذكر للمبالغة في اليأس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قدر خص لي فسا يزيدن على السبعين لعل الله أن يغفر لهم فانزل الله سبحانه وتعالى سوا عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ق) ابن عمر قال لما توفي عبد الله يعني ابن أبي ابن ساول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسأز يد على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم وقوله سبحانه وتعالى (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله) يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك عفوهم وترك المغفرة لهم من أجل انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني والله لا يوفق للايمان به ورسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله وقوله عز وجل (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) يعني فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعني بعده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلف فهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه فمن تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك وأقاموا بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أمرهم بالخروج الى الجهاد فاختروا والتمسوا مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى (وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله) والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى

السبعين من بين سائر الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل مادون الثلاث والكثير الثلاث فما فوقها وأدنى الكثير الثلاث وليس لاقصاه غاية والعدد أيضا نوعان شفع وتروا أول الاشفاع اثنان وأول الاوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجع الكثير من النوعين لان فيها أوتار ثلاثة واشفاعا ثلاثة والعشرة كمال الحساب لان ما جاوز العشرة فهو اضافة الآحاد الى العشرة كقولك اثنا عشر وثلاثة عشر الى العشرين والعشرون تكرر العشرة مرتين والثلاثون تكرر بها ثلاث مرات وكذلك الى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكالاحساب والكثرة منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاه جاز ان يكون تخصيص

السبعين لهذا المعنى والله أعلم (ذلك) اشارة الى اليأس من المغفرة (بانهم) بسبب انهم (كفروا بالله ورسوله) ايشار ولاغفران للكافرين (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الخارجين عن الايمان ماداموا مختارين للكفر والطغيان (فرح المخلفون) المنافقون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) مخالفة له وهو مفعول له أو حال أي قعدوا والمخالفة أو مخالفتهم له (وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله) أي لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فيهم من المؤمنين

من باعث الايمان وداعى الايقان (وقالوا لا تنفروا في الحر) قال بعضهم لبعض اوقالوا للمؤمنين تشبيطا (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوق وقع بسبب ذلك التصون في مشقة (٢٦٧) الابد كان أجهل من كل جاهل

(فليضحكوا قليلا ولا يبكوا كثيرا) أي فيضحكون قليلا على فرحهم بتخلفهم في الدنيا ويكون كثيرا جزاء في العقبى الا أنه أخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان أهل النفاق يكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دم مع ولا يكتبون بنوم (جزء بما كانوا يكسبون) من النفاق (فان رجعت الله) أي ردك من تبوك وانما قال (الى طائفة منهم) لان منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة بعد غزوة تبوك (فقبلن تخرجوا معي أبدا) وبسكون الياء جزاء وعلى وأبو بكر (ولن تقاتلوا معي عدوا) معي حفص (انكم رضيتم بالعودة أول مرة) أول ما دعيتم الى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) مع من تخلف بعد وسأل ابن عبد الله بن أبي وكان مؤمنا ان يكفن النبي صلى الله عليه وسلم أباه في قبصه ويصلى عليه فقبل فاعترض عمر رضي الله عنه في ذلك فقال عليه السلام ذلك لا ينفعه وكنتم أرجوان

ايثار الراحة والعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال وهو قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لا تنفروا في الحر) وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله سبحانه وتعالى (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) يعني قل يا محمد هؤلاء الذين اختاروا الراحة والعود خلافا عن الجهاد في الحر ان نار جهنم التي هي موعدهم في الآخرة أشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفروا في الحر فقال الله عز وجل قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فامر الله تعالى بالخروج (فليضحكوا قليلا) يعني فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا الفانية بمقعدهم خلفه (وايبكوا كثيرا) يعني مكان ضحكهم في الدنيا وهذا وان ورد بصيغة الامر الا أن معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول أعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكائهم في الآخرة لان الدنيا فانية والآخرة باقية والمنقطع الفاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل (جزء بما كانوا يكسبون) يعني أن ذلك البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم وأعمالهم الخبيثة في الدنيا (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وروى البغوي بسنده عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا أن تبكوا فتبكوا فان أهل النار يكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتفرغ العيون فلوان سفنا أجزيت فيها لجرت قوله سبحانه وتعالى (فان رجعت الله) يعني فان ردك الله يا محمد من غزاتك هذه (الى طائفة منهم) يعني الى المتخلفين عنك وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل أصحاب الاعذار (فاستأذنوك للخروج) يعني فاستأذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحققت نفاقهم في الخروج معك الى غزوة أخرى (فقبلن تخرجوا معي أبدا) يعني فقبل يا محمد هؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم ان تخرجوا معي أبدا لا الى غزوة ولا الى سفر (ولن تقاتلوا معي عدوا انكم) يعني لانكم (رضيتم بالعودة أول مرة) يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) يعني مع المتخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع المخالفين يقال صاحبه خالفه اذا كان مخالفا كثيرا الخلاف وفي الآية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله سبحانه وتعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وهو مشعر باظهار نفاقهم وذنوبهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات قوله عز وجل (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) الآية قال قتادة بعث عبد الله بن أبي ابن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه قال فيها عمر عن ذلك فانا نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال أهلك حب اليهود فقال يا نبي الله اني لم أبعث اليك لتؤنبنني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وسأله قبيصة ان يكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفنه في قبصه صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فانزل الله سبحانه وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية (خ) عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ليصلى عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله انصلي على ابن أبي ابن سلول وقد قال يوم كذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أخر عنى

يؤمن به ألف من قومه فنزل (ولا تصل على أحد منهم) من المنافقين يعني صلاة الجنازة روى انه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرك بثوب النبي صلى الله عليه وسلم (مات) صفة لاحد (أبدا) ظر فالتصل وكان عليه السلام اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فقيل

يا عمر فاسأ كثر عليه قال اني خيرت فاخترت لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فضلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون قال ففجبت بعد من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله أعلم وأخرجه الترمذي وزاد فيه فاصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى (و) عن جابر قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن أبي بعدما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبته ونفت فيه من ريقه وألبسه قميصه والله أعلم قال وكان كساعبا ساقيصا قال سفيان وقال أبو هريرة وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان فقال له ابن عبد الله يا رسول الله ألبس عبد الله قميصك الذي يلي جلدك قال سفيان فيرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس عبد الله قميصه مكافأة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر أتى بالاسارى وأتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قيصا فوجدوا قيص عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي ألبسه

﴿فصل﴾ وقد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق صورة اختلاف في الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم أنه لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول أتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه وأن يصلى عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه وفي حديث عمر ابن الخطاب من افراد البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى له ليصلى عليه وفي حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه بعدما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبته ونفت عليه من ريقه وألبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله أعلم أنه صلى الله عليه وسلم ولا كما في حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ثانيا بعدما أدخل حفرته فاخرجه منها ونزع عنه القميص الذي أعطاه وكفن فيه لينفت عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم ألبسه قميصه بيده الكريمة فعل هذا كله بعبد الله بن أبي تطيبا القاب ابنه عبد الله فإنه كان صحابيا مسامحا مخلصا وأما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عادته في مرضه وأنه سأله أن يستغفر له وأن يعطيه قميصه وأن يصلى عليه فاعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفت في جلده ودلاه في حفرته فهذه جل من القول ظاهرها الترتيب وما المراد بهذا الترتيب الا توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفت في جلده ودلاه في قبره جملة منقطعة عما قبلها يعني أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعدما أعطاه القميص وبعد أن صلى عليه والله أعلم وقال القرطبي في شرح صحيح مسلم له ان عبد الله بن أبي بن سلول كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير أن الاسلام غلب عليه فنافق وكان رأسا في المنافقين وأعظمهم نفاقا وأشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روى عن ابن عباس أنهم كانوا ثلثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبد الله يعني ولد عبد الله بن أبي من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما وأكثرهم عبادة وأشرفهم صدرا وكان أبر الناس بابيه ومع ذلك فقد قال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك لتعلم أني من أبر الناس بابي وان أمرتني أن أتيتك برأسه فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نعفو عنه وكان من أحرص الناس على اسلام أبيه وعلى أن ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم بشيء ولذلك لما مات أبو سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته فاعطاه وسأله أن يصلى عليه فضلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبد الله واسعا قاله ولطلبته وفول عمر تصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليه يحتمل أن يكون قبل نزول ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ويظهر من هذا السياق أن عمر وقع

في خاطره ان الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث الذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وهذا انثا ويلان فيهما بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله أعلم أن البخاري ذكر هذا الحديث من رواية بن عباس وساقه سياقة هي أبين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصلي عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى أنزلت عليه الآيتان من براءة قال القرطبي وهذا مساق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شيء من الاشكال المتقدم فهو الاولي وقوله صلى الله عليه وسلم سأز يد على السبعين وعد بالزيادة وهو مخالف لما في حديث ابن عباس عن بن عمر فان فيه لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت وهذا تقييد لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا وتقييد بعضها بعضا فلذلك قال لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت فقد علم أنه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم أني خيرت مشكلا مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الآية التي فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال أن النهي عنه استغفاره لمن تحقق موته على الكفر والشرك وأما استغفاره لاولئك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم أنه لا يقع ولا ينفع وغايته وان وقع كان تطييبا للقلوب الاحياء من قراياتهم فانفصل الاستغفار المنهي عنه من الخير فيه وارفع الاشكال بحمد الله والله أعلم وقال الشيخ محيي الدين النووي انما أعطاه قيصة ليكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا وقد سأل ذلك فاجابه اليه وقيل بل أعطاه مكافاة لعبد الله بن أبي المنافق الميت لانه ألبس العباس حين أسرى يوم بدر قيصة في الحديث بيان مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له وقابله بالحسنى وألبسه قيصة كفنا وصلينا عليه واستغفر له قال الله سبحانه وتعالى وانك لعلى خاق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب أن يكافئه بها ويروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كام فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يغني عنه قيصة وصلاتي من الله والله اني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه فيروى أنه أسلم ألف من قومه لما رآه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ولا تنقم على قبرة) يعني لا تنقم عليه ولا تنقل دفته من قوطم قام فلان بامر فلان اذا كفاه أمره وناب عنه فيه (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وهذا تعليل لسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية ماصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها فان قلت الفسق أدنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا دخل تحته الفسق وغيره فالفائدة في وصفه بكونه فاسقا بعد ما وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بان يؤدي الامانة ولا يضر لاحد سوا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضمار السوء للغير وهذا أمر مستقبح عند كل أحد ولما كان المنافقون بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله سبحانه وتعالى بكونهم فاسقين بعد أن وصفهم بالكفر ﴿ قوله تعالى (ولا تنجسك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بهافي الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كفرون) الكلام على هذه الآية في مقامين ١ المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه أن تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل أو لا وتأكده وارادة أن يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وأن يعتقد ان العمل به مهم وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه وهو ان أشد الاشياء جذا بالقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد أخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التأييد والمبالغة في التحذير

(ولا تنقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) تعليل للنهي أي أنهم ليسوا باهل للصلاة عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله (ولا تنجسك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بهافي الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كفرون) التكرير للمبالغة والتأكيد وان يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يعتقد أنه مهم ولان كل آية في فرقة غير الفرقة الاخرى

(واذا أنزلت سورة) يجوز أن يراد سورة بتمامها وأن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كاهه وعلى بعضه (أن آمنوا بالله) بأن آمنوا أو هي ان المفسرة (وجاهدوا مع رسوله استأذنتك أولو الطول منهم) ذو والفضل والسعة (وقالوا ذرنا نحن مع القاعد بن) مع الذين لهم عذر في التخلف كالمرضى والزمنى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالم) أى النساء جمع خالفة (وطبع على قلوبهم) ختم عليها لاختيارهم الكفر والنفاق (فهم لا يفقهون) مافى الجهاد من الفوز والسعادة ومافى التخلف من الهلاك والشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم) أى ان تخلف هؤلاء فقد نهض الى الغزوة من هو خير منهم (وأولئك لهم الخيرات) تناول منافع الدارين لا طلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (وأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدون فيها ذلك الفوز العظيم) قوله أعد دليل على أنها مخلوقة (وجاء

من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام به وقيل أيضا انما كرر هذا المعنى لانه أراد بالآية الاولى قوما من المنافقين كان لهم أموال وأولاد عند نزولها وبالآية الاخرى أقواما آخرين منهم \* المقام الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت في الالفاظ في هاتين الآيتين وذلك انه قال سبحانه وتعالى في الآية الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الآية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للاتفاق لشدة المحبة للأموال والأولاد فحسن العطف عليه بالفاء في قوله فلا تعجبك وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فهذا أتى بحرف الواو وقال سبحانه وتعالى في الآية الاولى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم وأسقط حرف لا هنا فقال سبحانه وتعالى وأولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيد فيدل على أنهم كانوا محبين بكثرة الاموال والأولاد وكان إعجابهم بأولادهم أكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين قال سبحانه وتعالى في الآية الاولى انما يريد الله ليذهبهم بحرف اللام وقال سبحانه وتعالى هنا ان يعذبهم بحرف أن والفائدة فيه التنبيه على أن التعليل في أحكام الله محال وانه أينما ورد حرف اللام فعناه أن كقوله سبحانه وتعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله ومعناه وما أمروا الا بان يعبدوا الله وقال تبارك وتعالى في الآية الاولى في الحياة الدنيا وقال تعالى هنا في الدنيا والفائدة في اسقاط لفظه الحياة التنبيه على أن الحياة الدنيا بلغت في الخسة الى حيث انها لا تستحق أن تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصاد عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيها على كمال دناءتها فهذه جل في ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ قوله عز وجل (واذا أنزلت سورة) يحتمل أن يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل أن يراد جميع السورة فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمن والامر بالجهاد (أن) أى بان (آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله) فان قلت كيف يامرهم بالايمن مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل ان الامر بالايمن يتوجه على كل أحد في كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى ان اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمن على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد أصلا فكانه قيل للمنافقين الواجب عليكم أن تؤمنوا بالله وأولادكم وجاهدوا مع رسوله ما نياحتي يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع عليكم نفعها في الدنيا والآخرة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (استأذنتك أولو الطول منهم) قال ابن عباس يعنى أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء المنافقين وكبرائهم وفي تخصيص أولى الطول بالذ كر قولان أحدهما ان الدم لهم ألزم لكونهم قادرين على أهبة السفر والجهاد والقول الثاني انما خص أولى الطول بالذ كر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان (وقالوا) يعنى أولى الطول (ذرنا نحن مع القاعد بن) يعنى في البيوت مع النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالم) قيل الخوالم النساء اللواتي يتخلفن في البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بأن يكونوا في تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالم جمع خالفة وهم أدنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) يعنى وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون مراد الله في الامر بالجهاد ﴿ قوله سبحانه وتعالى (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم) أى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هم خير منهم يعنى الرسول والمؤمنين (وأولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمه في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة (وأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بالمطالب ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدون فيها ذلك الفوز العظيم) قوله أعد دليل على أنها مخلوقة (وجاء

المعتذرون من الاعراب ليؤذن لهم) يعني وجاء المعتذر ون من اعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزوة قال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاعا عن انفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طي على حلائبا واولادنا ومواسينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ابأني الله من اخباركم وسيغني الله عنكم وقيل هم نفر من بني غفار رهط خفاف بن ايماء بن رحضة وقيل هم من أسد وغطفان وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا واعتذروا به والمعتذر من يرى ان له عذرا ولا عذره وقيل ان الاصل في هذا اللفظ أنهم قصروا ولم يبالوا فيما اعتذروا به والمعتذر من يرى ان له عذرا ولا عذره وقيل ان الاصل في هذا اللفظ عند النحاة المعتذرون أدغمت التاء في الذال اقرب مخرجهم او الاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه و يقال اعتذرا اذا أتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد

ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر \* يعني فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذي هو التقصير يقال عذرت عذيرا اذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا المعنى يحتمل أنهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعده (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على أنهم ليسوا كاذبين ويروى عن أبي عمرو بن العلاء انه لما قيل له هذا الكلام قال ان قومنا كفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعتذرون وتخلف آخرون لا لعذرو ولا شبهة عذرا على الله تعالى فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين ما جاؤا وما اعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله يعني في ادعائهم الايمان (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) يعني في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وانما قال منهم لانه سبحانه وتعالى علم أن منهم من سيؤمن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين أصروا على الكفر والنفاق وما تواعا عليه ﴿ قوله عز وجل (ليس على الضعفاء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا باعذار باطلة عقبه بذكر أصحاب الاعذار الحقيقية الصحيحة وعذرهم وأخبر أن فرض الجهاد عنهم ساقط فقال سبحانه وتعالى ليس على الضعفاء والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنساء ومن خلق في أصل الخليقة ضعيفا نحيفا ويدل على ان هؤلاء الاصناف هم الضعفاء ان الله سبحانه وتعالى عطف عليهم المرضي فقال سبحانه وتعالى (ولا على المرضى) والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضي فيدخل فيهم أهل العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنع من التمكن من الجهاد والسفر للغزو (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) يعني الفقراء العاجزين عن أهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر لان العاجز عن نفقة الغزو ومعدور (حرج) أي ليس على هؤلاء الاصناف الثلاثة حرج أي في التخلف عن الغزو وقال الامام نضر الدين الرازي ليس في الآية انه يحرم عليهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة اما بحفظ متاعهم أو بتكثير سوادهم بشرط أن لا يجعل نفسه كالأروبالاعليهم فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو شرط معين وهو قوله سبحانه وتعالى (اذا نصحو الله ورسوله) ومعناه أنهم اذا أقاموا في البلد احترزوا عن افشاء الاراجيف واثارة الفتن وسعوا في ايصال الخير الى أهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم وأخلصوا الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جلة هذه الامور تجري مجرى النصح لله ورسوله (ماعلى المحسنين من سبيل) أي ليس على من أحسن فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن الجهاد بعذر قد أباحه

المعتذرون من الاعراب  
ليؤذن لهم) هو من عذر  
في الامر اذا قصر فيه وتواني  
وحقيقته أن يوهم ان له  
عذرا فيما فعل ولا عذره أو  
المعتذرون بادغام التاء في  
الذال ونقل حركتها الى  
العين وهم الذين يعتذرون  
بالباطل قيل هم أسد  
وغطفان قالوا ان لنا عيالا  
وان بنا جهدا فاذن لنا في  
التخلف (وقعد الذين  
كذبوا الله ورسوله)  
منافقون الاعراب الذين لم  
يجيئوا ولم يعتذروا فظهر  
بذلك انهم كذبوا الله  
ورسوله في ادعائهم الايمان  
(سيصيب الذين كفروا  
منهم) من الاعراب (عذاب  
أليم) في الدنيا بالقتل  
وفي الآخرة بالنار (ليس  
على الضعفاء) الهرمي  
والزمني (ولا على المرضى  
ولا على الذين لا يجدون  
ما ينفقون) هم الفقراء  
من مزينه وجهينة و بنى  
عذره (حرج) ثم وضيق  
في التأخر (اذا نصحو الله  
ورسوله) بان آمنوا في  
السروا العلن وأطاعوا كما  
يفعل الناصح بصاحبه (ما  
على المحسنين) المعتذرين  
الناصحين (من سبيل)

أى لاجتراح عليهم ولا طر بق للعتاب عليهم (والله غفور) بغفر تخلفهم (رحيم) بهم (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) لتعطيهم الجولة  
(قلت) حال من الكاف في أتوك (٢٧٢) وقد قبله مضمرة أى اذا ما أتوك قائلا (لا أجد ما أحكمكم عليه تولوا) هو جواب اذا

(وأعينهم - تفيض من  
الدمع) أى تسيل كقولك  
تفيض دمعاً وهو أبلغ من  
تفيض دمعاً لأن العين  
جعلت كأن كهادمع فائض  
وم - من للبيان كقولك  
أفديك من رجل ومحمل  
الجار والمجرور والنصب على  
التمييز ويجوز أن يكون  
قلت لا أجد استئنافاً كأنه  
قيل اذا ما أتوك لتحملهم  
تولوا فليل ما لهم تولوا  
با كين فليل قلت لا أجد  
ما أحكمكم عليه إلا أنه وسط  
بين الشرط والجزاء  
كالاغراض (حزناً) مفعول  
له (الايجدوا ما ينفقون)  
لئلا يجدوا ما ينفقون ومحملة  
نصب على أنه مفعول له  
وناصبه خزنا والمستعملون  
أبو موسى الأشعري  
وأصحابه أو البكاؤون وهم  
سنة نفر من الانصار (انما  
السبيل على الذين  
يستأذنونك) في التخلف  
(وهم أغنياء) وقوله  
(رضوا) استئناف كأنه  
قيل ما باطم استأذنوناهم  
أغنياء فليل رضوا (بان  
يكونوا مع الخوالم) أى  
بالانتظام في جملة الخوالم  
(وطبع الله على قلوبهم  
فهم لا يعلمون يعتذرون

الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سدد باحسانه طريق العقاب عن نفسه ويستنبط من  
قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله مخلصاً من قلبه ليس عليه  
سبيل في نفسه وماله الا ما أباحه الشرع بدليل منفصل (والله غفور) يعنى لمن تخلف عن الجهاد بعد زاهر  
أباحه الشرع (رحيم) يعنى انه تعالى رحيم بجميع عباده قال قتادة نزلت هذه الآية في عائذ بن عمرو  
وأصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن أم مكتوم وكان ضريباً البصر ولما ذكر الله عز وجل هذه  
الاقسام الثلاثة من المعتذرين أتبعه بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى (ولا على الذين اذا ما أتوك) يعنى ولا  
حرج ولا اثم في التخلف عنك على الذين اذا ما أتوك (لتحملهم) يعنى يسألونك الجملان ليبلغوا الى غزوة عدوك  
وعدوهم والجهاد معك يا محمد قال ابن اسحق نزلت في البكائين وكانوا سبعة ونقل الطبري عن محمد بن كعب  
وغيره قالوا جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا أجد ما أحكمكم عليه فأنزل  
الله هذه الآية وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي بن عمير ومن بني مازن  
ابن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا بلي ومن بني المعلى سامان بن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن بن  
زيد وهو الذي تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بني سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزني وقال  
البعغوي هم سبعة نفر من البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الانصاري وعلبة بن  
زيد الانصاري وسالم بن عمير وعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل المزني قال أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل قد نذرتنا الى الخروج معك فاجلنا فقال لا أجد ما أحكمكم عليه وقال مجاهد  
هم بنو مقرن من مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزلت في العرباض بن  
سارية ومحتمل أنها نزلت في كل من ذكر قال ابن عباس سألوه أن يحملهم على الدواب وقيل بل سألوه أن يحملهم  
على الخفاف المرقوعة والنعال المنصوفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحكمكم عليه فولوا وهم  
يبكون ولذلك سموا البكائين فذلك قوله سبحانه وتعالى (قلت لا أجد ما أحكمكم عليه تولوا وأعينهم تفيض  
من الدمع) قال صاحب الكشاف هو كقولك تفيض دمعاً وهو أبلغ من تفيض دمعاً لأن العين جعلت كأن  
كهادمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل (حزناً) اي ينفقون) يعنى على أنفسهم في  
الجهاد (انما السبيل) لما قال الله سبحانه وتعالى ما على المحسنين من سبيل قال تعالى في حق من يعتذروا ولا  
عذر له انما السبيل يعنى انما توجه الطريق بالعقوبة (على الذين يستأذنونك) يا محمد في التخلف عنك  
والجهاد معك (وهم أغنياء) يعنى قادرين على الخروج معك (رضوا بان يكونوا مع الخوالم) يعنى رضوا  
بالدعاء والضعف والانتظام في جملة الخوالم وهم النساء والصبيان والعمود معهم (وطبع الله على قلوبهم) يعنى  
ختم عليها (فهم لا يعلمون) ما في الجهاد من الخير في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فالفوز بالغنمة والظفر  
بالعدو وأما في الآخرة فالثواب والنعيم الدائم الذي لا ينقطع ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (يعتذرون اليكم اذا  
رجعتم اليهم) يعنى يعتذروا هؤلاء المنافقون المتخلفون عنك يا محمد اليك وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له  
صلى الله عليه وسلم ويحتمل أنهم اعتذروا اليه والى المؤمنين فلما قال تعالى يعتذرون اليكم يعنى بالاعتذار  
الباطلة الكاذبة اذا رجعت اليهم يعنى من سفرهم (قل) أى قل لهم يا محمد (لا تعتذروا) قال البغوي روى أن  
المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا (لن تؤمن لكم)  
يعنى لن تصدقكم فيما اعتذرت به (قد نبأنا الله من أخباركم) يعنى قد أخبرنا الله فيما سلف من أخباركم

(اليكم) يقيمون لانفسهم عذراً باطلا (اذا رجعت اليهم) من هذه السفرة (قل لا تعتذروا) (وسبى)

بالباطل (لن تؤمن لكم) ان تصدقكم وهو علة للنهي عن الاعتذار لان الغرض ان المعتذر يصدق فيما يعتذر به (قد نبأنا الله من أخباركم)

علة لاتفاء تصديفهم لانه تعالى اذا أوحى الى رسوله الاعلام بأخبارهم وما في ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديفهم في معاذيرهم



(وسيرى الله عملكم ورسوله) أتتوبون أم تثبتون على كفركم (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) أى تردون اليه وهو عالم كل سر وعلانية  
(فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم على حسب ذلك (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) لتتركوهم ولا توبخوهم  
(فاعرضوا عنهم) فاعطوهم طلبتهم (انهم رجس) تعليل لترك معانبتهم (٢٧٣) أى ان المعاتبه لا تنفع فيهم ولا تصاحبهم لانهم

أرجاس لاسـبيل الى  
تطهيرهم (وماؤاهم جهنم)  
ومصيرهم--م النار يعنى  
وكفتم--م النار عتابا  
وتوب يخافوا فلا تسكفوا  
عتابهم (جزاء بما كانوا  
يكسبون) أى يجزون  
جزاء كسبهم (يحلفون  
لكم لتعرضوا عنهم) أى  
غرضهم بالحلف بالله طلب  
رضاكم لينفعهم ذلك فى  
ديناهم (فان تعرضوا عنهم  
فان الله لا يرضى عن القوم  
الفاستقين) أى فان رضاكم  
وحدكم لا ينفعهم اذا كان  
الله ساخطا عليهم وكانوا  
عرضة لعاجل عقوبته  
وأجلها وانما قيل ذلك  
لئلا يتوهم ان رضا المؤمنين  
يقتضى رضا الله عنهم  
(الاعراب) أهل البدو  
(أشد كفرا ونفاقا) من  
أهل الحضرة لجفائهم  
وقسوتهم وبعدهم عن  
العلم والعلماء (وأجدد  
ان لا يعاموا) وأحق بان لا  
يعاموا (حدود ما أنزل الله  
على رسوله) يعنى حدود  
الدين وما أنزل الله من  
الشرائع والاحكام ومنه  
قوله عليه السلام ان الجفاء

(وسيرى الله عملكم ورسوله) يعنى فى المستأنف أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه وقيل يحتمل أنهم وعدوا  
بان ينصروا المؤمنين فى المستقبل فلماذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفنون بما قلتم أم لا (ثم تردون الى عالم  
الغيب والشهادة فينبئكم) يعنى فيخبركم (بما كنتم تعملون) لانه هو المطلع على ما فى ضمائرهم من الخيانة  
والكذب واخلاف الوعد قوله عز وجل (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم) يعنى اذا رجعتم من  
سفركم اليهم يعنى الى المتخلفين بالمدينة من المنافقين (لتعرضوا عنهم) يعنى لتصفحوا عنهم ولا توبخوهم ولا  
توبخوهم بسبب تخافهم (فاعرضوا عنهم) يعنى فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق وقيل يريد ترك  
الكلام يعنى لانكم موهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم ولا  
تكلموهم قال أهل المعاني ان هؤلاء المنافقين طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقتضى ثم ذكر  
العلة فى سبب الاعراض عنهم فقال تعالى (انهم رجس) يعنى أن بواطنهم خبيثة نجسة وأعمالهم قبيحة  
(وماؤاهم) يعنى مسكنهم فى الآخرة (جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) يعنى من الاعمال الخبيثة فى الدنيا  
قال ابن عباس نزلت فى الجدين قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال  
النبي صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت فى عبد الله بن أبى حلف ناسى صلى الله  
عليه وسلم بالله الذى لا اله الا هو أنه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرضى عنه  
فانزل الله عز وجل هذه الآية والتى بعدها (يحلفون لكم لتعرضوا عنهم) يعنى يحلف لكم هؤلاء المنافقون  
لتعرضوا عنهم (فان تعرضوا عنهم) يعنى فان رضيت عنهم أيها المؤمنون بما حلفوا لكم وقبلتم عندهم (فان  
الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) يعنى أنه سبحانه وتعالى يعلم ما فى قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى  
عنهم أبداً وقوله سبحانه وتعالى (الاعراب أشد كفرا ونفاقا) نزلت فى سكان البادية يعنى ان أهل  
البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضرة قال أهل اللغة يقال رجل عربى اذا كان نسبه فى العرب ووجهه  
العرب ورجل أعرابى اذا كان بدوياً يطلب مساقط الغيث والكلاب ويجمع الاعرابى على الاعراب  
والاعراب يفن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب فالاعرابى اذا  
قيل له يا عربى فرح بذلك والعربى اذا قيل له يا أعرابى غضب والعرب أفضل من الاعراب لان المهاجرين  
والانصار وعلماؤهم من العرب والسبب فى كون الاعراب أشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء  
وسماع القرآن والسنن والمواعظ وهو قوله سبحانه وتعالى (وأجدد) يعنى وأخلق وأحرى (الأياموا)  
يعنى بان لا يعاموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) يعنى الفرائض والسنن والاحكام (والله عليم) يعنى بما فى  
قلوب عباده (حكيم) فمافرض من فرائضه وأحكامه (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً) يعنى لا يرجو  
على انفاقه ثواباً ولا يخاف على امساكه عقاباً ما ينفق خوفاً ويرى المغرم التزام ما لا يلزم والمعنى ان من  
الاعراب من يعتقد أن الذى ينفق فى سبيل الله غرامة لانه لا ينفق ذلك الا خوفاً من المسلمين أو مراعاة لهم  
ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وثوابه (ويتر بص) يعنى وينتظر (بكم الدوائر) يعنى بالدوائر تقرب الزمان  
وصروفه التى تأتى مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رباب يعنى تقرب الزمان فموت الرسول وتظهر  
المشركون (عليهم دائرة السوء) يعنى بل يتقرب عليهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن بهم ولا يرون فى

(٣٥ - خازن) - ثانى) والقسوة فى الفدادين يعنى الاكراه لانهم يفدون أى يصيحون فى حروثهم والقديد الصياح (والله  
عليم) باحوالهم (حكيم) فى امهالهم (ومن الاعراب ما يتخذ ما ينفق) أى يتصدق (مغرماً) غرامة وخسرانا لانه لا ينفق الا تقيته من  
المسلمين ورياء لوجه الله وابتغاء الثوبة عنده (ويتر بص بكم الدوائر) أى دوائر الزمان وتبدل الاحوال بدور الايام لتذهب غلبتكم  
عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) أى عليهم بدور المصائب والحروب التى يتوقعون وقوعها فى المسلمين السوء

محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودينه إلا ما يسوءهم (والله سميع) يعني لا قوا لهم (علم) يعني بما يخفون في ضائرهم من النفاق والغش وإرادة السوء للمؤمنين نزات هذه الآية في اعراب أسد وغطفان وتميم ثم استثنى الله عز وجل فقال تبارك وتعالى (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال السكبي هم أسلم وغفار وجهينة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتم ان كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر ابن صعصعة فقال رجل خابوا وخسر وا قال نعم هم خير من بني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية أن الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انما تابعتك سراق الحجج من أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ان كان أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة خيرا من بني تميم وبني عامر وأسد وغطفان قال خابوا وخسر وا قال نعم (ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم في رواية له أما اني لم أقلها لكن الله قالها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قر يش والانصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار موالى لبس لهم مولى دون الله ورسوله ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) جمع قربات أي يطلب ما ينفق القربية إلى الله تعالى (وصلوات الرسول) يعني ويرغبون في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى (ألا انها قربت لهم) يحتمل أن يعود الضمير في انها إلى صلوات الرسول ويحتمل أن يعود إلى الانفاق وكلاهما قربت لهم عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمؤمن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله سبحانه وتعالى أكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله تعالى ألا وبحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها قربت لهم (سيدخلهم الله في رحمته) وهذه النعمة هي أقصى مرادهم (ان الله غفور) للمؤمنين المنفقين في سبيله (رحيم) يعني بهم حيث وفقهم لهذه الطاعة ﷺ قوله سبحانه وتعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) اختلف العلماء في السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجاعة هم الذين صلوا إلى القبليتين وقال عطاء بن أبي رباح هم أهل بدر وقال الشعبي هم أهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم سبق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حميد بن زياد قلت يومنا محمد بن كعب القرظي ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم وأردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم وأوجب لهم الجنة في كتابه فقلت له في أي موضع أوجب لهم الجنة فقال سبحانه الله ألا تقرأ والسابقون الاولون إلى آخر الآية فأوجب الله الجنة لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط في التابعين شرط وهو ان يتبعوهم في أعمالهم الحسنة دون السيئة قال حميد فكانت لم أقرأ هذه الآية قط واختلف العلماء في أول الناس اسلاما بعد اتفاهم على ان خديجة أول الخلق اسلاما وأول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض العلماء أول من آمن بعد خديجة علي بن أبي طالب وهذا قول جابر بن عبد الله ثم اختلفوا في سنة وقت اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقيل كان بالغوا والصحيح أنه لم يكن بالغوا وقت اسلامه وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة أبو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة بن الزبير أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي بن أبي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله

لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة (علم) بما يضمرونه (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق) في الجهاد والصدقات (قربات) أسبابا للقربة (عند الله) وهو مفعول ثان ليتخذ (وصلوات الرسول) أي دعاءه لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى (ألا انها) أي النفقة أو صلوات الرسول (قربة لهم) قربة نافع وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصدق لرجائه على طريق الاستئناف مع حوفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك (سيدخلهم الله في رحمته) جنته وما في السنين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها (ان الله غفور) يستر عيب الخلق (رحيم) يقبل جهد المقل (والسابقون) مبتدأ (الاولون) صفة لهم (من المهاجرين) تبين لهم وهم الذين صلوا إلى القبليتين أو الذين شهدوا بدر أو بيعة الرضوان (والانصار) عطف على المهاجرين أي ومن الانصار وهم أهل بيعة العقبة

تعالى عنهم فهو لاء الاربعة سباق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحق فلما أسلم أبو بكر أظهر اسلامه ودعا الناس الى الله ورسوله وكان رجلا محبباً سهلاً وكان أنسب قریش لقریش وأعلمها بما كان فيها وكان رجلاً تاجراً وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من قومه فأسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطاحنة بن عبيد الله فجاءهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا على يده وصالوا معه فكان هؤلاء النفر الثمانية أول من سبق الناس الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام وأما السابقون من الانصار فهم الذين يبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي العقبة الاولى ٢ وكانوا ستة نفر أسعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن الجحان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رباب ثم أصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلاً ثم أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلاً منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام وأبو جابر وسعد بن عباد وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهو لاء سباق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى أهل المدينة يعلمهم القرآن فأسلم على يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من أهل المدينة وذلك قبل أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ان الله سبحانه وتعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا سبقوا فبقى اللفظ مجملاً فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار ووصفهم بكونهم مهاجرين وانصاراً وجب صرف اللفظ المجمع اليه وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه أيضاً ان الهجرة طاعة عظيمة مرتبة عالية من حيث ان الهجرة أمر شاق على النفس لفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصره فانها مرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وآووه وواسوه وآووا أصحابه وواسوه فلذلك أثنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ﴿ قوله تعالى ﴾ (والذين اتبعوهم باحسان) قيل هم بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاءهم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترجون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم (ق) عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو ان احداً وفي رواية أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أراد بالقرن في الحديث الاول أصحابه والقرن الامه من الناس يقارن بعضهم بعضاً واختلفوا في مدته من الزمان فقيل من عشر سنين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين سنة والمد المذكور في الحديث الثاني هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو أن أحداً عمل مهما قدر عليه من أعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير التافه من أعمال الصحابة وانفاقهم لانهم أنفقوا وبذلوا المجهود في وقت الحاجة وقوله سبحانه وتعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه) يعني رضي الله عن أعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليها من الثواب وهذا اللفظ عام يدخل فيه كل الصحابة (وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (ومن حولكم من الاعراب منافقون) ذكر جماعة من المفسرين المتأخرين كالبلغوي والواحدي وابن الجوزي انهم من اعراب مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هؤلاء الاعراب منافقون وما ذرورة مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا هؤلاء القبائل ومدحهم فان صح نقل المفسر بن فيحمل قوله سبحانه وتعالى (ومن حولكم من الاعراب منافقون

الاولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين (والذين اتبعوهم باحسان) من المهاجرين والانصار فكانوا سائر الصحابة وقيل هم الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة والخبر (رضي الله عنهم) بأعمالهم الحسنة (ورضوا عنه) بما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدينية (وأعد لهم) عطف على رضي (جنات تجري تحتها الانهار) من تحتها مكي (خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) ومن حولكم (يعني حول بلدتكم وهي المدينة) (من الاعراب منافقون) وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها

٢ قوله ستة نفر المعدود هنا خمسة والسادس عقبة بن عامر كما في المواهب وقوله في الهامش سبعة تبع فيه الكشاف وهو مخالف لما في المواهب وما هنا اه

(ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم والمبتدأ منافقون ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت  
ومن أهل المدينة قوم (مردوا) (٢٧٦) على النفاق) أي ظهر وأفبه على أن مردوا صفة موصوف محذوف وعلى الوجه الأول

على القليل لأن لفظة من للتبعض ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الأكثر والأغلب وبهذا يمكن  
الجمع بين قول المفسرين ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأما الطبري فإنه أطلق القول ولم يعين أحدا من  
القبائل المذكورة بل قال في تفسيره هذه الآية من القوم الذين حول مدينتكم أيها المؤمنون من الأعراب  
منافقون ومن أهل مدينتكم أيضا أمثالهم أقوام منافقون وقال البغوي (ومن أهل المدينة) من الأوس  
والخزرج منافقون (مردوا على النفاق) فيه تقديم وتأخير تقديره ومن حولكم من الأعراب ومن أهل  
المدينة منافقون مردوا على النفاق يعني من نوا عليه يقال مرد فلان على ربه إذا عتا وتجر ومنه الشيطان  
المارد وتورد في معصيته أي مرن وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها قال ابن اسحق لجوافيه وأبو غيره وقال  
ابن زيد أقاموا عليه ولم يتوبوا معه (لا تعلمهم) يعني أنهم بلغوا في النفاق إلى حيث أنك لا تعلمهم يا محمد مع صفاء  
خاطرهم وإطلاعك على الأسرار (نحن نعلمهم) يعني لكن نحن نعلمهم لأنه لا تخفى علينا خافية وإن دقت  
(سنعذبهم مرتين) اختلف المفسرون في العذاب الأول مع اتفاقهم على أن العذاب الثاني هو عذاب القبر  
بدليل قوله (ثم يردون إلى عذاب عظيم) وهو عذاب النار في الآخرة فثبت بهذا أنه سبحانه وتعالى يعذب  
المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الآخرة أما المرة الأولى وهي التي اختلفوا فيها  
فقال السكبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج  
يا فلان فانك منافق اخرج من المسجد أناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الأول والثاني هو عذاب القبر فان  
صح هذا القول فيحتمل أن يكون بعد أن أعلمه الله حالهم وسماهم له لأن الله سبحانه وتعالى قال لا تعلمهم نحن  
نعلمهم ثم بعد ذلك أعلمهم وقال مجاهد هذا العذاب الأول هو القتل والسبي وهذا القول ضعيف لأن أحكام  
الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية أخرى أنهم عذبوا بالجوع  
مرتين وقال قتادة المرة الأولى هي الديلة في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بأنها اخرج من نار تظهر في  
أكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الأولى هي المصائب في الأموال  
والأولاد في الدنيا والآخرة عذاب القبر وقال ابن عباس الأولى إقامة الحدود عليهم في الدنيا والآخرة عذاب  
القبر وقال ابن اسحق الأولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والآخرة  
عذاب القبر وقيل أحدهما ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم والآخرة عذاب القبر  
وقيل الأولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والآخرة احراقهم بنار جهنم وهو قوله سبحانه وتعالى ثم  
يردون إلى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم يخلدون فيه قوله عز وجل (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) فيه قولان  
أحدهما أنهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم وأخلصوا وخرجوا هذا القول أن قوله تعالى وآخرون عطف  
على قوله ومن حولكم من الأعراب منافقون والعطف موهم وبعضه ما نقله الطبري عن ابن عباس أنه قال  
هم الأعراب والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين أنها نزلت في جماعة من المسلمين من أهل المدينة تخلفوا  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون في عددهم فروى  
عن ابن عباس أنهم كانوا عشرة منهم أبو لبابة وروى عنه أنهم كانوا خمسة أحدهم أبو لبابة وقال سعيد بن جبير  
وزيد بن أسلم كانوا ثمانية أحدهم أبو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة أحدهم أبو لبابة وقيل كانوا ثلاثة  
أبو لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك أنهم كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا أن نكون من الضلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه  
وسلم وأصحابه في الجهاد واللا واء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا

لا يخلو من أن يكون كلاما  
مبتدأ أو صفة لمنافقون  
فصل بينها وبينه بمعطوف  
على خبره وادل على  
مهارتهم فيه بقوله  
(لا تعلمهم) أي يخفون  
عليك مع فطنتك وصدق  
فراستك لفرط تنوهم في  
تحمي ما يشكك في  
أمرهم ثم قال (نحن  
نعلمهم) أي لا يعلمهم إلا الله  
ولا يطلع على سرهم غيره  
لانهم يبطنون الكفر في  
سويداء قلوبهم وبرزون  
لك ظاهرا كظاهر  
المخلصين من المؤمنين  
(سنعذبهم مرتين) هما  
القتل وعذاب القبر أو  
الفضيحة وعذاب القبر أو  
أخذ الصدقات من أموالهم  
ونهبك أبدانهم (ثم يردون  
إلى عذاب عظيم) أي  
عذاب النار (وآخرون)  
أي قوم آخرون سوى  
الذكورين (اعترفوا  
بذنوبهم) أي لم يعتدروا  
من تخلفهم بالمعاذير  
الكاذبة كغيرهم ولكن  
اعترفوا على أنفسهم بأنهم  
بش ما فعلوا نادمين وكانوا  
عشرة فسبعة منهم لما  
بلغهم ما نزل في المتخلفين  
أوثقوا أنفسهم على سوارى  
المسجد فقدم رسول الله

صلى الله عليه وسلم قد دخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر والله  
لأنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقال وأنا أقسم أن لأحلهم حتى أومر فيهم فزلت

والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعدنا  
 فربطوا أنفسهم في سوارى المسجد فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم مر بهم فرآهم فقال من هؤلاء فقالوا  
 هؤلاء الذين تخاضوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضى عنهم  
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أمر بطلاقهم رغبوا عني  
 وتخلفوا عن الغزومع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الآية فإرساء رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم  
 فاطلقهم وعذرهم فلما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خافتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا  
 واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فانزل الله خذ من أموالهم  
 صدقة تطهرهم الآية وقال قوم نزلت هذه الآية في أبي لبابة خاصة واختلفوا في ذنبه الذي تاب منه فقال مجاهد  
 نزلت في أبي لبابة حين قال لبي قريظة ان نزام على حكمه فهو الذبح وأشار الى حلقه فنقدم على ذلك وربط  
 نفسه بسارية وقال والله لأحل نفسي ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فكث سبعة  
 أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله هذه الآية فقبل له قد تيب عليك فقال والله لأحل  
 نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده  
 فقال أبو لبابة يا رسول الله ان من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أخلع من مالي كله  
 صدقة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يحزبك الثلث يا أبا لبابة قالوا جميعا فاخذ رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ثلث أموالهم وترك لهم الثلثين لان الله سبحانه وتعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم  
 لان لفظه من تقتضى التبعض وقال الحسن وقتادة وهؤلاء أسوي الثلاثة الذين تخلفوا وسيأتي خبرهم وأما  
 تفسير الآية فقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال أهل المعاني الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشيء  
 ومعناه انهم أقروا بذنوبهم وفيه دققة وهي أنهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين  
 ولكن اعترفوا على أنفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة  
 أم لا قلت مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضي من الذنب  
 والعزم على تركه في المستقبل يكون ذلك الاعتراف والندم توبة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (خلطوا  
 عملا صالحا وآخر سيئا) قيل أراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيء هو تخلفهم  
 عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم الى سائر الغزوات والسيء هو تخلفهم عنه في غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح يعم جميع أعمال  
 البر والطاعة والسيء ما كان ضده فعلى هذا تكون الآية في حق جميع المسلمين والحل على العموم أولى  
 وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى الطبري عن  
 أبي عثمان قال ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الامة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فان قلت قد  
 جعل كل واحد من العمل الصالح والسيء مخلوطا فالمخلوط به قلت ان الخلط عبارة عن الجمع المطلق  
 فاما قولك خلطته فانهما يحسن في الموضوع الذي يمتزج كل واحد من الخليطين بالآخر ويتغير به عن صفته  
 الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن وخلطت الماء باللبن فتتوب الواو عن الباء فيكون معنى الآية على  
 هذا خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ذكره غالب المفسرين وأنكره الامام نجر الدين الرازي وقال اللائق بهذا  
 الموضوع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيء اذا حصل معا تقي كل واحد منهما على حاله كما هو  
 مذهبان فان عندنا القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم  
 والعقاب فقوله سبحانه وتعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فيه تنبيه على نفي القول بالمحاطبة وانه بقي كل  
 واحد منهما كما كان من غير أن يتأثر أحدهما بالآخر فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدى العرب تقول

فاطلقهم فقالوا يا رسول الله  
 هذه أموالنا التي خلفتنا  
 عنك فتصدق بها وطهرنا  
 فقال ما أمرت أن آخذ  
 من أموالكم شيئا فنزل خذ  
 من أموالهم صدقة  
 (خلطوا عملا صالحا)  
 خروجا الى الجهاد (وآخر  
 سيئا) تخلف عنه أو التوبة  
 والاثم وهو من قولهم بعث  
 الشاة شاة ودرهما أي شاة  
 بدرهم قالوا وبمعنى الباء  
 لان الواو للجمع والباء  
 للالصاق فيتناسبان أو  
 المعنى خلط كل واحد منهما  
 بالآخر فكل واحد منهما  
 مخلوط ومخلوط به كقولك  
 خلطت الماء واللبن تريد  
 خلطت كل واحد منهما  
 بصاحبه بخلاف قولك  
 خلطت الماء باللبن لانك  
 جعلت الماء مخلوطا باللبن  
 مخلوطا به واذا قلت بالواو  
 فقد جعلت الماء واللبن  
 مخلوطين ومخلوطا بهما  
 كأنك قلت خلطت الماء  
 باللبن واللبن بالماء

خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن كما تقول جمع زيدا وعمرا ولو اوفى الآية أحسن من الباء لانه أريد  
 معنى الجمع لاحقيقة الخلط ألا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسبي كما يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع  
 بينهما ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (عسى الله أن يتوب عليهم) قال ابن عباس وجهور المفسر بن عسى من الله  
 واجب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى فعسى الله أن يأتي بالفتح وقد فعل ذلك وقال أهل المعاني لفظه عسى  
 هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه أبعده من الاتكال والاهمال وقيل ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل  
 كل ما يفعله على سبيل التفضيل والتطول والاحسان فذكر لفظه عسى التي هي للترجي والطمع حتى يكون  
 العبد بين الترجي والاشفاق ولكن هو الى نيل ما يرجوه منه أقرب لانه ختم الآية بقوله (ان الله غفور  
 رحيم) وهذا يفيد انجاز الوعد ﴿ قوله سبحانه وتعالى (خدم من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها) قال  
 ابن عباس لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وصاحبيه انطلق أبو لبابة وصاحبه فاتوا بأموالهم  
 الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ أموالنا وتصديقها عنا وصل علينا يريدون استغفر لنا وطهرنا  
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آخذ شيئا منها حتى أمر به فانزل الله عز وجل خدم من أموالهم صدقة  
 الآية وهذا قول زيد بن أسلم وسعيد بن جبيرة وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد بهذه  
 الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هؤلاء الذين تابوا وذلك انهم بذلوا أموالهم صدقة فوجب الله سبحانه  
 وتعالى أخذها وصار ذلك معتبرا في كمال توبتهم لتكون جارية مجرى الكفارة وأصحاب هذا القول يقولون  
 ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو  
 وحسن اسلامهم وبذلوا الزكاة أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منهم وقال  
 بعضهم ان الآية كلام مبتدأ والمقصود منها ايجاب أخذها من الاغنياء ودفعها الى الفقراء وهذا قول أكثر  
 الفقهاء واستدلوا بها على ايجاب أخذ الزكاة أما حجة أصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الآيات لا بد وان  
 تكون منتظمة متناسبة فلو جملناها على أخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها  
 ولان جهور المفسرين ذكر وفي سبب نزولها انها نزلت في شأن التائبين وأما أصحاب القول الاخير فانهم  
 قالوا المناسبة حاصلة أيضا على هذا التقدير وذلك أنهم لما تابوا وأخلصوا وأقروا أن السبب الموجب للتخلف  
 هو حب المال أمروا باخراج الزكاة التي هي طهرة فلما أخرجوها علمت صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع من  
 خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد أخذ منهم ثلث أموالهم  
 قلنا لا يمنع هذا صحة ما قلناه لانهم رضوا ببذل الثلث من أموالهم فلان يكونوا راضين باخراج الزكاة أولى ثم  
 في هذه الآية أحكام الاول قوله سبحانه وتعالى خدم من أموالهم صدقة الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم أي  
 خذ يا محمد من أموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها منهم أيام حياته ثم أخذها من بعده الأئمة  
 فيجوز للامام أو نائبه ان يأخذ الزكاة من الاغنياء ويدفعها الى الفقراء الحكم الثاني قوله من أموالهم ولفظة  
 من تقتضى التبعض وهذا البعض المأخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القرآن فلم يبق الا الصدقة التي بين  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها ووصفتها في أخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله خدم من أموالهم صدقة  
 يفيد العموم فتجب الزكاة في جميع المال حتى في الديون وفي مال البر كالحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم  
 ان الزكاة انما وجبت لكونها طهرة من الآثام وصدور الآثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي  
 فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول أبي حنيفة ثم أجاب أصحاب الشافعي بأنه لا يلزم  
 من اتقاء سبب معين اتقاء الحكم مطلقا ولا علماء في قوله سبحانه وتعالى تطهرهم أقوال الاول أن معناه  
 خذ يا محمد من أموالهم صدقة فانك تطهرهم بأخذها من دنس الآثام القول الثاني أن يكون تطهرهم  
 متعلقا بالصدقة تقديره خدم من أموالهم صدقة فانها طهرة لهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء ان

(عسى الله أن يتوب عليهم  
 ان الله غفور رحيم) ولم  
 يذكر توبتهم لانه ذكر  
 اعترافهم بذنوبهم وهو  
 دليل على التوبة (خذ  
 من أموالهم صدقة) كفارة  
 لذنوبهم وقيل هي الزكاة  
 (تطهرهم عن الذنوب  
 وهو صفة لصدقة والتاء  
 للخطاب أو لغيبة المؤنث  
 والتاء في (وتزكيتهم)  
 للخطاب لا محالة (بها)  
 بالصدقة والتزكية مبالغة  
 في التطهير وزيادة فيه  
 أو بمعنى الانماء والبركة في  
 المال

الصدقة من أوساخ الناس فإذا أخذ الصدقة فقد اندفعت تلك الأوساخ وكان ذلك الاندفاع جارياً مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله سبحانه وتعالى وتزكيتهم بها منقطعاً عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من أموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيتهم أنت بها القول الثالث أن يجعل التاء في قوله تطهرهم وتزكيتهم ضميراً للمخاطب ويكون المعنى تطهرهم أنت يا محمد بأخذها منهم وتزكيتهم أنت بواسطة تلك الصدقة القول الرابع أن معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيتهم بمعنى ترفع منازلهم عن منازل المنافقين إلى منازل الأبرار المخلصين وقيل معنى وتزكيتهم أي تنمي أموالهم ببركة أخذها منهم الحكم الخامس قوله سبحانه (وصل عليهم) يعني ادع لهم واستغفر لهم لأن أصل الصلاة في اللغة الدعاء قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه السنة للإمام إذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق فيقول آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وقال بعضهم يجب على الإمام أن يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الإمام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي وقال بعضهم يستحب أن يقول اللهم صل على فلان ويدل عليه ما روى عن عبد الله بن أبي أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فاتاه أبي بصدقة فقال اللهم صل على آل أبي أوفى أخرجه في الصحيحين و وقوله سبحانه وتعالى (ان صلواتك على الجمع) (سكن لهم) يعني أن دعائك رحمة لهم وقال ابن عباس طمأنينة لهم وقيل إن الله قد قبل منهم و وقال أبو عبيدة تثبت لقلوبهم وقيل إن السكن ما سكنت إليه النفس والمعنى أن صلواتك توجب سكون نفوسهم اليها والمعنى أن الله قد قبل توبتهم أو قبل زكاتهم (والله سميع) يعني لا قوا لهم أو لدعائهم (عليم) يعني بنياتهم (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) هذه صيغة استفهام إلا أن المقصود منه التقرير فبشر الله عز وجل هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية ألم يعلم هؤلاء الذين تابوا أن الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل إن المراد بهذه الآية غير التائبين ترغيباً لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك أنه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معناباً لا يكلمون ولا يجالسون فبابهم اليوم فانزل الله هذه الآية ترغيباً لهم في التوبة وقوله سبحانه وتعالى عن عباده قيل لا فرق بين عباده ومن عباده إذا فرق بين قولك أخذت هذا العلم عنك أو منك وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضوع أبلغ لأن فيه تبشيراً بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها و وقوله سبحانه وتعالى (وياخذ الصدقات) يعني يقبلها ويثيب عليها وإنما ذكر لفظاً لاخذاً ترغيباً في بذل الصدقة وإعطائها الفقراء وقيل معنى أخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها أسند الأخذ إلى نفسه وإن كان الفقيراً والسائل هو الأخذ لها وفي هذا تعظيم أمر الصدقات ونشر يفها وإن الله سبحانه وتعالى يقبلها من عبده المتصدق (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يرى في أحدكم فلوه أو فضيله لفظ مسلم وفي البخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يرى في أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وأخرجه الترمذي ولفظه إن الله سبحانه وتعالى يقبل الصدقة يأخذها بيمينه فيربها لصاحبها كما يرى في أحدكم فلوه حتى اللقمة لتصير مثل جبل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه وتعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويحق الله الربا ويربي الصدقات وقوله من كسب طيباً حلالاً وكرايماً والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وإن الله سبحانه وتعالى قد قبلها من المعطي لأن من عادة الفقير أو

(وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها (ان صلواتك) صلواتك كوفي غير أبي بكر قيل الصلاة أكثر من الصلوات لأنها للجنس (سكن لهم) يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم (والله سميع) لدعائهم أو سميع لا عترفهم بذنوبهم ودعائهم (عليم) بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم (ألم يعلموا) المراد المتوب عليهم أي ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) إذا صح (وياخذ الصدقات) ويقبلها إذا صدرت على خلوص النية وهو لا تخصيص أي إن ذلك ليس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها

ووجوهه اليه (وأن الله هو التواب) كثير قبول التوبة (الرحيم) بعفو الحربة ٧ (وقل) طولاء التائبين (اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أي فإن عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم أو غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روى أنه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بلا مس معنالا يكلمون ولا يجالسون فمالهم فزلت وقوله تعالى فسيري الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة (وستردون الى عالم الغيب) ما يغيب عن الناس (والشهادة) ما يشاهدونه (فينبئكم بما كنتم تعملون) نبيته تذكير ومجازاة عليه (وآخرون من جنون لا امر الله) بغير همز مدني وكوفي غير أبي بكر من جنون غيرهم من أرجيته وأرجائه إذا أخرته ومنه المرجئة أي وآخرون من المتخلفين موقوفون الى أن يظهر أمر الله فيهم (أما بعد بهم) ان أصرروا ولم يتوبوا (وأما يتوب عليهم) ان تابوا وهم ثلاثة (٢٨٠) كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع تخلفوا عن غزوة

السائل أخذ الصدقة بكفه اليمين فكان المتصدق قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فتربو أي تكبر يقال رما الشيء يربو إذا زاد وكبر والفلو بضم الفاء وفتحها الغتان المهر أول ما يولد والفصيل ولد الناقة الى أن ينفصل عنها ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (وأن الله هو التواب الرحيم) تا كيد لقوله سبحانه وتعالى ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم بان الله هو التواب الرحيم ﴿ قوله عز وجل (وقل) أي قل يا محمد طولاء التائبين (اعملوا) يعني لله بطاعته وأداء فرائضه (فسيري الله عملكم) فيه ترغيب عظيم للطيبين ووعيد عظيم للذنبين فكانه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله تعالى يرى أعمالكم ويجازيكم عليها (ورسوله والمؤمنون) يعني ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أعمالكم أيضا مارؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فباطلاع الله ايام على أعمالكم وأما رؤية المؤمنين فيما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض المذنبين (وستردون الى عالم الغيب والشهادة) يعنى وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سرهم وعلايتهم ولا يخفى عليه شيء من بواطنكم وظواهركم (فينبئكم) أي فيخبركم (بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من خيرا وشرا فيجازيكم على أعمالكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وآخرون من جنون) أي مؤخرون والارجاء التأخير (لا امر الله) يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى قسم المتخلفين على ثلاثة أقسام أولهم المنافقون وهم الذين سر دواعي النفاق واستقرواعليه والقسم الثاني التائبون وهم الذين سار عوا الى التوبة بعد ما اعترفوا بذنوبهم وهم أبو لبابة وأصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون الى أن يحكم الله تعالى فيهم وهم المراد بقوله وآخرون من جنون لا امر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث ان القسم الثاني سار عوا الى التوبة فقبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسار عوا الى التوبة فاخر الله أمرهم نزلت هذه الآية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وستأتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك انهم لم يبالغوا في التلوية والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه فوقعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من أهل بدر فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم يقول عسى الله أن يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله سبحانه وتعالى (أما بعد بهم وأما يتوب عليهم) يعني أن أمرهم الى الله تعالى ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم وان شاء غفر لهم وعفا عنهم (والله عليم) يعني بما في قلوبهم (حكيم) يعني بما يقضى عليهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا) نزلت في جماعة من

تبوك وهم الذين ذكروا في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا (والله عليم) برجائهم (حكيم) في ارجائهم وأما للشك وهو راجع الى العباد أي خافوا عليهم العذاب وأرجوا لهم الرحمة وروى أنه عليه السلام أمر أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شدا أنفسهم على السواري واطهار الجزع والغم فلما علموا أن أحد الاينظر اليهم فوضوا أمرهم الى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرجهم الله (والذين اتخذوا مسجدا) تقديره ومنهم الذين اتخذوا الذين بغيروا ومدني وشامي وهو مبتدأ خبره محذوف أي جازيناهم روى أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجدا قباء بعثوا الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم أن ياتهم فاتاهم فصلى فيه فسدتهم اخوانهم بنو غنم ابن عوف وقالوا بنى مسجدا ونزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشام وهو الذي قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنيانا مسجدا الذي العلة والحاجة ونحن نحب أن تصلى لنا فيه فقال انى على جناح سفر واذ اقدمنا من تبوك ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سأله ان يبان المسجد فنزلت عليه فقال لو حشى قاتل حزة ومعن بن عدى وغيرهما انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة بلقي فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام (ضارا) مفعول له وكذا ما بعد أي مضارة لآخوانهم أصحاب مسجد قباء (وكفرا) وتقوية للنفاق



المنافقين بنوا مسجد ايضارون به مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من أهل النفاق وديعة بن ثابت وخدام  
ابن خالد ومن داره أخرج هذا المسجد وعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير  
وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة بن الأذعر ونبتل بن الحرث وبيجاد بن عثمان وبجرج بنوا  
هذا المسجد ضرار يعني مضارة للمؤمنين وكفرا يعني ليكفروا فيه بالله ورسوله (وتفرقوا بين المؤمنين)  
لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلى فيه بعضهم فيؤدى ذلك الى الاختلاف  
وافتراق الكلمة وكان يصلى بهم فيه مجمع بن جارية وكان شايا يقرأ القرآن ولم يدبر ما أرادوا بينائه فلما فرغوا  
من بنائه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله اننا قد بنينا مسجدا  
لدى العلة والحاجة والليله المطيرة والليله الشاتية واننا نحب أن تأتينا وتصلى فيه وتدعو بالبركة فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر ولو قد منا ان شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا فيه <sup>و</sup> وقوله سبحانه  
وتعالى (وارصاد المن حارب الله ورسوله) يعني انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر وبنوه ارساد اي  
انتظار او اعداد المن حارب الله ورسوله (من قبل) يعني من قبل بناء هذا المسجد وهو أبو عامر الراهب والد  
حنظلة غسيل الملائكة وكان أبو عامر قد تهرب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله  
عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر ما هذا الدين الذي جئت به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية  
دين ابراهيم فقال أبو عامر فانا عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها اقال أبو عامر بلى ولكنك  
أدخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال أبو  
عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماه الناس أبا عامر  
الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه وسلم لا أجد قوم يقاتلونك الا قاتلتك  
معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يشس أبو عامر وخرج هاربا الى الشام وأرسل الى  
المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا الى مسجد افانى ذاهب الى قيصر ملك الروم فأتى  
بجند من الروم فاخرج محمد أو أصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قباء فذلك قوله سبحانه وتعالى  
وارصاد اي عنى انتظار المن حارب الله ورسوله يعني أبا عامر الفاسق ليصلى فيه اذا رجع من الشام من قبل  
يعنى ان أبا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار (وليحلفن) يعني الذين بنوا المسجد  
(ان أردنا) يعني ما أردنا بينائنا (الاحسنى) يعني الا الفعلة الحسنى وهى الرفق بالمسلمين والتوسعة  
على أهل الضعف والحجز عن الصلاة في مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم (والله يشهد انهم  
لكاذبون) يعني في قلوبهم وحلقهم روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل بذي  
أوان وهو موضع قريب من المدينة فأتاه المنافقون وسألوه ان يأتى مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه  
ويأتيهم فأنزل الله هذه الآية وأخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
مالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله  
فاهدموه وأحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك  
أنظرونى حتى أخرج اليكم بنار فدخل أهله فاخذ من سعف النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا  
المسجد وفيه أهله فاحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك  
الموضع كناسة تاتى فيها الجيف والنتن والقمامة ومات أبو عامر الراهب بالشام غريبا وحيدا وروى بنى  
عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء أتوا عمر بن الخطاب فى خلافته فسألوه ان ياذن لمجمع بن جارية ان  
يؤمهم فى مسجدهم فقال لا و نعمة عين أليس هو امام مسجد الضرار قال مجمع يا أمير المؤمنين لا تجلس على  
فوالله لقد صليت فيه وأنا لا أعلم ما أضمر وأعليه ولو علمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا

(وتفرقوا بين المؤمنين)  
لانهم كانوا يصلون محققين  
فى مسجد قباء فارادوا أن  
يتفرقوا عنه وتختلف كلهم  
(وارصاد المن) واعداد  
لاجل من (حارب الله  
ورسوله) وهو الراهب  
أعدوه له ليصلى فيه ويظهر  
على رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وقيل كل مسجد بنى  
مباهاة أو رياء أو سمعة أو  
لغرض سوى ابتغاء وجه  
الله أو بمال غير طيب فهو  
لاحق بمسجد الضرار (من  
قبل) متعلق بحارب أى من  
قبل بناء هذا المسجد يعنى  
يوم الخندق (وليحلفن)  
كاذبين (ان أردنا الا  
الحسنى) ما أردنا بيناء هذا  
المسجد الا الخصلة الحسنى  
وهى الصلاة وذكر الله  
والتوسعة على المصلين  
(والله يشهد انهم لكاذبون)  
فى حلقهم

شيوحا لا يقرؤن فصليت بهم ولا أحسب إلا أنهم يتقربون إلى الله ولم أعلم ما في أنفسهم فعذرهم فصدقهم  
وأمره بالصلاة في مسجد قباء قال عطاء لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار أمر المسلمين ان يبنوا  
المساجد وأمرهم ان لا يبنوا في موضع واحد مسجدين يضاران أحدهما الآخر وقوله سبحانه وتعالى (لاتقم  
فيه أبدا) قال ابن عباس معناه لاتصل فيه أبدا منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي في مسجد  
الضرار (لمسجد أسس على التقوى) اللام فيه لام الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله مسجد أسس يعني  
بنى أصله ووضع أساسه على التقوى يعني على تقوى الله عز وجل (من أول يوم) يعني من أول يوم بنى ووضع  
أساسه كان ذلك البناء على التقوى (أحق أن تقوم فيه) يعني مصليا واختلفوا في المسجد الذي أسس على  
التقوى فقال عمرو بن زيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد  
المدينة ويدل عليه ما روى عن أبي سعيد الخدري قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت  
بعض نسائه فقلت يا رسول الله أي المسجدين أسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصي فضرب به  
الارض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة أخرجه مسلم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي (ق) عن عبد الله بن زيد قال  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة عن أم سلمة ان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال ان قوائم منبري هذا رواتب في الجنة أخرجه النسائي قوله رواتب يعني ثواب يقال رتب  
بالمكان اذا قام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبيرة وقناة انه مسجد قباء  
ويدل عليه سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ويدل  
على أنهم أهل قباء ما روى عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا  
والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث  
غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول من رواية أبي داود والترمذي موقوفا على أبي هريرة وراه البغوي  
من طريق أبي داود مرفوعا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه  
رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية وعمما يدل على  
فضل مسجد قباء ما روى عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قباء أو يأتي قباء راكبا وماشيا  
زاد في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء كل سبت  
راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفتحه أخرجه الرواية الاولى والزيادة البخاري ومسلم وأخرج الرواية الثانية  
البخاري عن سهل ابن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد  
قباء فيصلي فيه كان له كعدل عمرة أخرجه النسائي عن أسد بن ظهير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في  
مسجد قباء كعمرة أخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) يعني من  
الاحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول أكثر المفسرين قال عطاء ولما كانوا يستنجون بالماء  
ولا ينامون بالليل على الجنابة وروى الطبري بسنده عن عويم بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء اني أسمع الله عز وجل قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فما هذا الطهور قالوا  
يا رسول الله ما نعمل شيئا الا أن جيراننا من اليهود رأيناهم يغسلون أديبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا  
وعن قناة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء ان الله سبحانه وتعالى قد أحسن عليكم  
الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا اننا نغسل عنائنا من الغائط والبول وقال الامام غفر الدين الرازي المراد من هذه  
الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول أن التطهر من الذنوب هو المؤثر في  
القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني أن الله سبحانه وتعالى وصف أصحاب مسجد

(لاتقم فيه أبدا)  
للصلاة (لمسجد أسس  
على التقوى) اللام  
للابتداء وأسس نعمته  
وهو مسجد قباء أسسه  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وصلى فيه أيام مقامه  
بقباء وهي يوم الاثنين  
والثلاثاء والاربعاء  
والخميس وخرج يوم الجمعة  
أو مسجد رسول الله صلى  
الله عليه وسلم بالمدينة (من  
أول يوم) من أيام وجوده  
قيل القياس فيه مذلانه  
لابتداء الغاية في الزمان  
ومن لابتداء الغاية في  
المكان والجواب ان من  
عام في الزمان والمكان  
(أحق أن تقوم فيه) مصليا  
(فيه رجال يحبون أن  
يتطهروا)

والله يحب المطهرين) قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم معه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقالوا مؤمنون أتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون أتم ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد آتاني عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الا سجدنا لثلاثة ثم نتبع الا سجدنا للماء فتلا النبي عليه السلام رجال يحبون أن يتطهروا قيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء ومعنى محبة الله اياهم أنه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب

(٢٨٣)

بمحبوته (أفن أسس بنيانه) وضع أساس ما يبنيه (على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه والمعنى أفن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمسك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى والشفا الجرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي ينحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا واهلها هار وهو المتصدع الذي أشفي على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل تخلف من خالف

الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء يعني أهل قباء بالضد من صفاتهم وما ذاك الا لكونهم مرتين من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الباطنية الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لها اثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصي وقيل يحتمل أنه محمول على كلا الأمرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء (والله يحب المطهرين) فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضاعنهم بما اختاروه لانفسهم من المداومة على محبة الطهارة قوله سبحانه وتعالى (أفن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) يعني طلب بنيانه المسجد الذي بناه تقوى الله ورضوانه والمعنى أن الباني لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه (خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) الشفا هو الشفير وشفا كل شيء حرفه ومنه يقال أشفي على كذا اذا دنا منه وقرب أن يقع فيه والجرف المكان الذي أكل الماء تحته فهو الى السقوط قريب وقال أبو عبيد الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فينحفر بالماء فيبقى واهيا هار أي هار وهو الساقط فهو من هار يهور فهو هار وقيل من هار يهار اذا تهدم وسقط وهو الذي تداعى بعضه في أثر بعض كما يهار الرمل والشيء الرخو (فانهار به) يعني سقط بالباني (في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) والمعنى أن بناه هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم فيهور باهله فيها وهذا مثل ضرب به الله تعالى للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قباء ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى المثل أفن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس دينه على أضعف القواعد وأقوالها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل بناء على غير أساس ثابت وهو شفا جرف هار واذا كان كذلك كان أسرع الى السقوط في نار جهنم ولان الباني الاول قصد بنيانه تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه أشرف البناء والباني الثاني قصد بنيانه الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناؤه أخس البناء وكانت عاقبته الى نار جهنم قال ابن عباس صيرهم نفاقهم الى النار وقال قتادة والله ماتناهي بناؤهم حتى وقع في النار ولقد ذكرنا أنه حفرت بقعة منه فرؤى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة) يعني شكوا ونفاقا (في قلوبهم) والمعنى أن ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببناء مسجدهم فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غما وخزا وبغض الرسول صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة في قلوبهم وقيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنون في بناءه كما حجب العجل الى بني اسرائيل فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لا ي سبب أمر بتخريبه وقال السدي لا يزال

وألفه ليس بالف فاعل انما هي عينه وأصله هور فقايت الفالتحركاتها وانفتاح ما قبلها ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنهه أمره أفن أسس بنيانه أم من أسس بنيانه شامى ونافع جرف شامى وجزة ويحيى هار بالامالة أبو عمرو وجزة في رواية ويحيى (فانهار به في نار جهنم) فطاح به الباطل في نار جهنم ولما جعل الجرف الهار مجازا عن الباطل رشح المجاز في بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف هار من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهو في قمرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار (والله لا يهدي القوم الظالمين) لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) لا يزال هدمه سبب شك ونفاقهم على شكهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم

(الأن تقطع قلوبهم) شامى وحزرة وحفص أى تقطع غيرهم تقطع أى الآن تقطع قلوبهم قطعاً وتفرق أجزاء فحينئذ يسألون عنه وأما مادامت سالمة مجتمعمة فالريبة باقية فمما يمكنه ثم يجوز أن يكون ذكر التقطع تصوير الحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أوفى (٢٨٤) القبور أوفى النار أومعناه الآن يتوبون أوفى تقطعها قلوبهم ندماً وأسفاً على نقر يطهم

هدم بنيانهم ريبة أى حرارة وغيطانى قلوبهم (الأن تقطع قلوبهم) أى تجعل قلوبهم قطعاً وتفرق أجزاء أما بالسيف وأما بالموت والمعنى أن هذه الريبة باقية فى قلوبهم إلى أن يموتوا عليها (والله أعلم) يعنى بأحوالهم وأحوال جميع عبادهم (حكيم) يعنى فيما حكم به عليهم ﴿ قوله عز وجل (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبه وكانوا سبعين رجلاً قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً واشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فمالنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا تقبل ولا نستقبل فتزات ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال أهل المعانى لا يجوز أن يشتري الله شيئاً هو له فى الحقيقة لان المشتري إنما يشتري ما لا يملك والاشياء ملك لله عز وجل ولهذا قال الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقنا اياها لكن جرى هذا مجرى التلطف فى الدعاء الى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن اذا قاتل فى سبيل الله حتى يقتل أو أنفق ماله فى سبيل الله عوضه الله الجنة فى الآخرة جزاء بما فعل فى الدنيا جعل ذلك استبدالاً واشترافاً فهذا معنى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والمراد باشتراء الاموال انفاقها فى سبيل الله وفى جميع وجوه البر والطاعة (يقاتلون فى سبيل الله) هذا تفسير لتلك المبايعه وقيل فيه معنى الامر أى قاتلوا فى سبيل الله (فيقتلون ويقتلون) يعنى فيقتلون أعداء الله ويقتلون فى طاعة الله وسبيله (وعدا عليه حقا) يعنى ذلك الوعد بان لهم الجنة وعدا على الله حقا (فى التوراة والانجيل والقرآن) يعنى ان هذا الوعد الذى وعده الله تعالى للمجاهدين فى سبيله قد أثبتته فى التوراة والانجيل كما أثبتته فى القرآن وفيه دليل على أن الامر بالجهاد موجود فى جميع الشرائع ومكتوب على جميع أهل الملل (ومن أوفى بعهد من الله) يعنى لأحد أوفى بالعهد من الله (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) يعنى فاستبشروا أيها المؤمنون بهذا البيع الذى بايعتم الله به (وذلك) يعنى هذا البيع (هو الفوز العظيم) لانه راجح فى الآخرة قال عمر بن الخطاب ان الله بايعك وجعل الصفتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعته ببيعة بايع الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا فاشترى الجنة ببعضها وقال قتادة ثامنهم فأعلى لهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (التائبون) قال الفراء استؤنف لفظ التائبون بالرفع لتمام الآية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمرة والمعنى التائبون الى آخره لهم الجنة أيضاً وان لم يجاهدوا غير معاندين ولا قاصدين لترك الجهاد وهذا وجه حسن فكانه وعد بالجنة جميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا لاؤل كان الوعد بالجنة خاصاً بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعنى المؤمنين المدكورين فى قوله ان الله اشترى وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى التائبون يعنى الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وقيل التائبون من جميع المعاصى لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم أن التوبة المقبولة إنما تحصل بامور أربعة أولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها فى المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص فى توبته (العابدون) يعنى المطيعين

(والله أعلم) بعزائمهم (حكيم) فى جزاء جرائمهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) مثل الله انابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيله بالشراء وروى تاجرهم فأعلى لهم الثمن وعن الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقها ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابى وهو يقرؤها فقال بيع والله مرجح لانقيله ولا نستقيله نخرج الى الغزو واستشهد (يقاتلون فى سبيل الله) بيان محل التسليم (فيقتلون ويقتلون) أى تارة يقتلون العدو وطورا يقتلهم العدو فيقتلون ويقتلون حمزة وعلى (وعدا عليه) مصدر أى وعدهم بذلك وعدا (حقا) صفة أخبر بان هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت قد أثبتته (فى التوراة والانجيل والقرآن) وهو دليل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدها عليه ثم قال (ومن أوفى بعهد من الله) لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكريم منافك كيف باكرم الا كرمين ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن منه وأبلغ (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فافرحوا غايه الفرح فانكم تبيعون فانيا بياق (وذلك هو الفوز العظيم) قال الصادق ليس لابداكم عن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المدكورين أو هو مبتدأ خبره (العابدون) أى الذين عبدوا الله

لله

عليه الكرم منافك كيف باكرم الا كرمين ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن منه وأبلغ (فاستبشروا

ببيعكم الذى بايعتم به) فافرحوا غايه الفرح فانكم تبيعون فانيا بياق (وذلك هو الفوز العظيم) قال الصادق ليس لابداكم عن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المدكورين أو هو مبتدأ خبره (العابدون) أى الذين عبدوا الله

وحده وأخلصوا له العبادة  
وما بعده خبر بعد خبر أي  
التائبون من الكفر على  
الحقيقة الجامعون لهذه  
الخصال وعن الحسن  
هم الذين تابوا من الشرك  
وتبرؤا من النفاق  
(الحامدون) على نعمة  
الاسلام (السائحون)  
الصائمون لقوله عليه  
السلام سياحة أمتي  
الصيام أو طلبة العلم لانهم  
يسبحون في الارض  
يطلبونه في مظانه أو  
السائرون في الارض  
للاعتبار (الراكون  
الساجدون) المحافظون  
على الصلوات (الأمرون  
بالمعروف) بالايمن  
والمعرفة والطاعة  
(والناهون عن المنكر)  
عن الشرك والمعاصي  
ودخلت الواو للاشعار بان  
السبعة عقد تام أو للتباعد  
بين الامر والنهي كما في  
قوله نبيات وأبكارا  
(والحافظون لحدود الله)  
أوامره ونواهيه أو معالم  
الشرع (وبشر المؤمنين)  
المتصفين بهذه الصفات  
وهم عليه السلام ان  
يستغفروا لابي طالب  
فنزل (ما كان للنبي  
والذين آمنوا ان يستغفروا  
للمشركين ولو كانوا  
أولى قربي) أي ماصح  
له الاستغفار في حكم الله

لله الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين أتوا بالعبادة على أقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهي  
أن تكون العبادة خالصة لله تعالى (الحامدون) يعني الذين يحمدون الله تعالى على كل حال في السراء  
والضراء روى البغوي بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من بدى إلى الجنة يوم  
القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون الله ويقومون بشكره على جميع  
نعمه دنيا وأخرى (السائحون) قال ابن مسعود وابن عباس هم الصائمون قال سفيان بن عيينة انما سمي  
الصائم سائحاً لتركه اللذات كاهام من المطعم والمشرب والنكاح وقال الازهرى قيل للصائم سائح لان الذي  
يسبح في الارض متعبداً لآدمه فكان ممسكاً عن الاكل وكذلك الصائم ممسك عن الاكل وقيل أصل  
السياحة استمرار الذهاب في الارض كالماء الذي يسبح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي وقال  
عطاء السائحون هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله وبدل عليه ما روى عن عثمان بن مظعون قال قلت يا رسول  
الله ائذن لي في السياحة فقال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ذكره البغوي بغير سند وقال عكرمة  
السائحون هم طلبة العلم لانهم ينتقلون من بلد إلى بلد في طلبه وقيل ان السياحة لها أثر عظيم في تهذيب  
النفس وتحسين أخلاقها لان السائح لا بد أن يلقى أنواعاً من الضر والبؤس ولا بد له من الصبر عليها و يلقى  
العلماء والصالحين في سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه من بركتهم ويرى العجائب وآثار قدرة الله تعالى  
فيتفكر في ذلك فيدله على وحدانية الله سبحانه وتعالى وعظيم قدرته (الراكون الساجدون) يعني  
المصايين وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لانهما معظم أركانها وبهما يتميز المصلي من غير المصلي بخلاف  
حالة القيام والوقوف لانهما حالة المصلي وغيره (الأمرون بالمعروف) يعني يأمرون الناس بالايمن بالله وحده  
(والناهون عن المنكر) يعني عن الشرك بالله وقيل انهم يأمرون الناس بالحق في أديانهم واتباع الرشد  
والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل قول وفعل نهى الله عباده عنه وأنهى عنه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال الحسن أما انهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتى كانوا من أهله ولم ينهوا عن المنكر حتى  
اتهموا عنه وأما دخول الواو في والناهون عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله سبحانه  
وتعالى وثامنهم كلبهم وقوله تعالى في صفة الجنة وفتحت أبوابها وقيل فيه وجه آخر وهو ان الموصوفين  
بهذه الصفات الست هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله تعالى التائبون  
إلى قوله الساجدون مبتدأ أخبره الأمرون يعني هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر (والحافظون  
لحدود الله) قال ابن عباس يعني القائمين بطاعة الله وقال الحسن المحافظون لقراض الله وهم أهل الوفاء  
ببيعة الله وقيل هم المؤدنون لقراض الله المنتهون إلى أمره ونهيه فلا يضيعون شيئاً من العمل الذي ألزمهم به  
ولا يرتكبون منيهاهم عنه (وبشر المؤمنين) يعني بشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله به اذا فوا الله  
تعالى بعهد فانه موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الافعال  
التسع وهو قوله تعالى التائبون إلى آخر الآية بان له الجنة وان لم يغز ﴿ قوله عز وجل ( ما كان للنبي  
والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي) الآية واختلف أهل التفسير في سبب نزول  
هذه الآية فقال قوم نزلت في شأن أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم والهدى وذلك ان النبي صلى  
الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك وبدل على ذلك ما روى عن سعيد بن المسيب  
عن أبيه المسيب بن حزن قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده  
أباجهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال أي عم قل لاله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبوجهل  
وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه  
ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم أنا على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لاله الا الله

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا استغفرن لك ما لم أنه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وأنزل الله في أبي طالب انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء أخرجاه في الصحيحين فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية في شأن أبي طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة أول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من آخر القرآن نزولا قلت الذي نزل في أبي طالب قوله تعالى انك لا تهدي من أحببت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استغفرن لك ما لم أنه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له في بعض الاوقات الى أن نزلت هذه الآية فمنع من الاستغفار والله أعلم مراده وأسرار كتابه (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه عند الموت قل لا اله الا الله أشهدك بها يوم القيامة فاني فانزل الله انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء الآية وفي رواية قال لو لا تعبيرني قريش يقولون انما جعله على ذلك الجزع لا قررت بها عينك فانزل الله الآية (ق) عن أبي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعنه تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه تغلي منه أم دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارة نعليه (ق) عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما أغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو في ضحضاح من نار ولو لا أنا لك كان في الدرك الاسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك أبو طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من نار فاخرجته الى ضحضاح وقال أبو هريرة بر يده لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة أتى قبر أمه آمنة فوقف حتى حيت الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وروى الطبري بسنده عن بر يده ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قالوا كثر ظني انه قال قبر أمه فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انارأينا ما صنعت قال اني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي فارتوي با كيا كثر من يومئذ وحكى ابن الجوزي عن بر يده قال ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر أمه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما أبكاك قال مررت بقبر أمي فصليت ركعتين ثم استأذنت ربي أن أستغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربي أن أستغفر لها فزجرت زجرا فابكاني ثم دعا براحلته فركبها فاسار الاهنية حتى قامت الناقة لتقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى الآية (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في ان أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا استغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لاييه فانزل الله هذه الآية وروى الطبري بسنده عنه قال ذكر لنا أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان من آباءنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العاني ويوفي بالذم أفلا تستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله لا استغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لاييه فانزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ثم عذر الله ابراهيم فقال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لاييه الا عن موعدة وعدها لايه الآية عن علي بن أبي طالب قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له أنتستغفر لابويك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لاييه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية أخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن وأخرجه الطبري وقال فيه فانزل الله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لاييه الا عن موعدة وعدها لايه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه الآية ومعنى

الآية ما كان ينبغي للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز أن يطلب منه ما لا يفعله ففيه النهي عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولى قربي لأن النهي عن الاستغفار للمشركين عام فيستوي فيه القريب والبعيد ﴿ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى﴾ (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) يعني تبين لهم أنهم ماتوا على الشرك فهم من أصحاب الجحيم وأيضاً فقد قال تبارك وتعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به والله تعالى لا يخلف وعده ﴿أما قوله سبحانه وتعالى﴾ (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) فعناه وما كان طلب إبراهيم لأبيه المغفرة من الله إلا من أجل موعدة وعدها إبراهيم إياه أن يستغفر له رجاء سلامه قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما أنزل الله خبراً عن إبراهيم أنه قال سلام عليك سأستغفر لك ربي سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت أنتستغفر لأبيك وهما مشركان فقال أولم يستغفر إبراهيم لأبيه فابت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فأنزل الله عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى قوله لا يقول إبراهيم لأبيه لا استغفرن لك يعني إن إبراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار لأنه إنما استغفر لأبيه وهو مشرك لما كان الموعد الذي وعده أن يسلم (فلماتبين له أنه عدو لله تبرأ منه) فعلى هذا الطاء في إياه راجعة إلى إبراهيم والوعد كان من أبيه وذلك إن أبا إبراهيم وعد إبراهيم أن يسلم فقال إبراهيم سأستغفر لك ربي يعني إذا أسأمت وقيل إن الطاء راجعة إلى الأب وذلك إن إبراهيم وعداً بأبيه أن يستغفر له رجاء سلامه ويؤكده هذا قوله سأستغفر لك ربي ويدل عليه أيضاً قراءة الحسن وعدها أباه بالباء الموحدة فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعني فلما ظهر لإبراهيم وبان له أن أباه عدو لله يعني بموته على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى إبراهيم أن أباه عدو له فبرأ منه وقيل لما تبين له في الآخرة أنه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يابقي إبراهيم عليه السلام أباه أزر يوم القيامة وعلى وجه أزر قرة وغبرة فيقول إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لأعصيك فيقول إبراهيم يارب أنك وعدتني إن لا تخزيني يوم يبعثون فأخزيتني أخزيتني من أبي فيقول الله تبارك وتعالى إنى حرمت الجنة على الكافر إن ثم يقال يا إبراهيم مات تحت رجايك فينظر فإذا هو بذبح متلطح فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار أخرجه البخاري زاد غيره فبرأ منه والقررة غبرة يعاها سواد والذبح نذال مججمة ثم ياء مشناة من تحت ثم خاء مججمة هو ذكر الضباع والانتى ذبحة ﴿وقوله تبارك وتعالى﴾ (إن إبراهيم لأواه حلیم) جاء في الحديث إن الأواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الأواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الأواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الأواه الموقن وقال كعب الأحبار هو الذي يكثر التأوه وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول أوه من النار قبل أن لا ينفع أوه وقال عقبه بن عامر الأواه الكثير الذي كره الله عز وجل وقال سعيد بن جبيرة هو المسبح وعنه أنه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار وقال أبو عبيدة هو المتأوه شفاو فر قال المتضرع أيقانا ولزوم الطاعة وقال الزجاج انتظم في قول أبي عبيدة جميع ما قيل في الأواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت تنفس الصعداء والفعل منه أوه وهو قول الرجل عن شدة خوفه وحزنه أوه والسبب فيه أن عند الحزن تحمي الروح داخل القلب ويشد حرها فالإنسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة وأما الحلیم فعناه ظاهر وهو الصفوح عمن سبه أو أتاه بمكروه ثم يقابله بالاحسان والالطف كما فعل إبراهيم بأبيه حين قال له إن لم تنته لأرجنك فاجابه إبراهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي وقال ابن عباس الحلیم السيد وإنما وصف الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهما شدة الرقة والخوف والهزل والشفقة على عباد الله ليبين سبحانه وتعالى أنه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرأ من أبيه لما ظهر له أصراره على الكفر فاقتدوا

وحكمته (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) من بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك ثم ذكر عن إبراهيم فقال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) أي وعداً بأبيه أن يسلم أو هو وعداً بأبيه أن يستغفر وهو قوله لا استغفرن لك دليله قراءة الحسن وعدها أباه ومعنى استغفارة سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم أو سؤاله اعطاء الإسلام الذي به يغفر له (فلما تبين) من جهة الوحي (له) لإبراهيم (أنه) إن أباه (عدو لله) بان يموت كافراً وانقطع رجاءه عنه (تبرأ منه) وقطع استغفاره (إن إبراهيم لأواه) هو المتأوه شفاو وفرقا ومعناه أنه لفرط ترجمه ورقته كان يتعطف على أبيه الكافر (حلیم) هو الصبور على البلاء الصفوح عن أذى لأنه كان يستغفر لأبيه وهو يقول لأرجنك

به أتم في هذه الحالة أيضا وقوله سبحانه وتعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) أي ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا يؤخذ به عبادة الذين هداهم للاسلام ولا يخذلهم الا اذا قدموا عليه بعد بيان حظره وعلمهم بانه واجب الاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا وهذا بيان لعذر من حاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف (ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض والمحيطون به وما بين ذلك من شيء) يعني انه سبحانه وتعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيها مما عبيده وملكه يحكم فيهم بما يشاء (بحي ويميت) يعني انه تعالى يحيي من يشاء على الايمان ويميت عليه ويحيي من يشاء على الكفر ويميت عليه لا اعتراض لاحد عليه في حكمه وعبيده (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) يعني انه تعالى هو وليكم وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم ﴿ قوله عز وجل (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار) الآية تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبي صلى الله عليه وسلم عدم مؤاخذته باذنه للمنافقين بالتخلف في غزوة تبوك وهو كقوله سبحانه وتعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لانه ذنب يوجب عقابا وقال أصحاب المعاني هو مفتاح كلام التبرك كقوله سبحانه وتعالى فان الله خسه ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشرىف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان الله خسه وللرسول فهو تشرىف له وأما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت في وقت شديد دور بما وقع في قلوب بعضهم انا لا تقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفاهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره اما من باب الصغار واما من باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد العظيمة التي حصلت لهم في ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوا من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم في الدين وانهم قد باغوا الى الرتبة التي لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم (الذين اتبعوه) في تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين ألفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل (في ساعة العسرة) يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة

(وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) أي ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا يؤخذ به عبادة الذين هداهم للاسلام ولا يخذلهم الا اذا قدموا عليه بعد بيان حظره وعلمهم بانه واجب الاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا وهذا بيان لعذر من حاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف (ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض والمحيطون به وما بين ذلك من شيء) يعني انه سبحانه وتعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيها مما عبيده وملكه يحكم فيهم بما يشاء (بحي ويميت) يعني انه تعالى يحيي من يشاء على الايمان ويميت عليه ويحيي من يشاء على الكفر ويميت عليه لا اعتراض لاحد عليه في حكمه وعبيده (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) يعني انه تعالى هو وليكم وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم ﴿ قوله عز وجل (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار) الآية تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبي صلى الله عليه وسلم عدم مؤاخذته باذنه للمنافقين بالتخلف في غزوة تبوك وهو كقوله سبحانه وتعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لانه ذنب يوجب عقابا وقال أصحاب المعاني هو مفتاح كلام التبرك كقوله سبحانه وتعالى فان الله خسه ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشرىف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان الله خسه وللرسول فهو تشرىف له وأما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت في وقت شديد دور بما وقع في قلوب بعضهم انا لا تقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفاهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره اما من باب الصغار واما من باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد العظيمة التي حصلت لهم في ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوا من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم في الدين وانهم قد باغوا الى الرتبة التي لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم (الذين اتبعوه) في تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين ألفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل (في ساعة العسرة) يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة



العسرة والجيش الذي سار فيه يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء قال الحسن  
كان العسرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك  
وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون وماء معهم الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا  
بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلا كها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه و يعطيها صاحبه ثم يشرب عليها  
جوعته من الماء ويفعل صاحبه كذلك حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فضوامع النبي صلى الله  
عليه وسلم على صدقهم و يقينهم رضي الله عنهم وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لى تبوك في قيظ شديد فزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينصر  
بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى  
يظن ان رقبة ستقطع فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في الدعاء خير افادع الله  
قال أنجب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجع حتى أرسل الله سبحانه فطرت فلثوا ما معهم من  
الاولعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجد ما جاوزت العسكرة أسنده الطبري عن عمر رضي الله عنه قوله تعالى (من بعد ما كاد تزيغ  
قلوب فريق منهم) يعني من بعد ما قارب أن تميل قلوب بعضهم عن الحق من أجل المشقة والشدة التي نالتهم  
والزيغ في اللغة الميل وقيل هم بعضهم أن يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم  
لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ما خطر في قلوبهم فاجل ذلك قال تعالى (ثم تاب عليهم) يعني انه  
سبحانه وتعالى علم اخلاص نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الابابة والتوبة فان قلت قد ذكر التوبة أولاً ثم  
ذكرها ثانياً فافائدة التكرار قلت انه سبحانه وتعالى ذكر التوبة أولاً قبل ذكر الذنب تفضلاً منه وتطييباً  
لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفه بذكر التوبة مرة أخرى تعظيماً لشأنهم وليعلموا أنه سبحانه وتعالى  
قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم اتبعه بقوله (انه بهم رؤوف رحيم) تأكيده لذلك ومعنى الرؤوف في صفة الله  
تعالى أنه الرفيق بعباده لانه لم يحمله من العبادات وبين الرؤوف والرحيم فرق لطيف وان  
تقاربا في المعنى قال الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرأفة تكون مع الكراهة  
قوله سبحانه وتعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على  
النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا فائدة هذا العطف بيان قبول توبتهم وهم كعب بن  
مالك وهلال بن أمية ومرة بن الربيع وكلهم من الانصار وهم المرادون بقوله سبحانه وتعالى وآخرون  
مخرجون لامر الله وفي معنى خلفوا قولان أحدهما أنهم خلفوا عن توبة أبي لبابة وأصحابه وذلك انه لم  
يخضعوا كما خضع أبو لبابة وأصحابه فتاب الله على أبي لبابة وأصحابه وأخر أمر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب  
عليهم بعد ذلك والقول الثاني أنهم تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فيها وأما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى عن ابن شهاب الزهري قال أخبرني عبد الرحمن بن  
عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب وكان قائداً لكعب من بنيه حين عمى قال وكان أعلم قومه  
وأوعاهم لاحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن مالك بن كعب  
يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال لم أتخلف عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط لاني غزوة تبوك غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدنا  
تخلف عنها إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم  
وبين عدوهم على غير ميعاد وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توائفنا على  
الاسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكرك في الناس منها وكان من خبري حين تخلفت  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك

عسرة من الظهر يعتقب  
العسرة على بعير واحد ومن  
الزاد تزودوا التمر المدود  
والشعير المسوس والاهالة  
الزنيحة وبلغت بهم الشدة  
حتى اقتسم التمرة اثنان  
وربما مصها الجماعة ليشرىوا  
عليها الماء ومن الماء حتى  
نحروا الابل وعصروا  
كرشها وشربوه في شدة  
زمان من حمارة القيظ  
ومن الجذب والقحط (من  
بعد ما كاد تزيغ قلوب  
فريق منهم) عن الثبات  
على الايمان أو عن اتباع  
الرسول في تلك الغزوة  
والخروج معه وفي كاد ضمير  
الشأن والجملة بعده في  
موضع النصب وهو كقولهم  
ليس خلق الله مثله أي ليس  
شأن خلق الله مثله يزيغ  
جزرة وحفص (ثم تاب  
عليهم) تكرر للتوكيد  
(انه بهم رؤوف رحيم وعلى  
الثلاثة) أي وتاب على  
الثلاثة وهم كعب بن مالك  
ومرة بن الربيع وهلال  
ابن أمية وهو عطف على النبي  
(الذين خلفوا) عن الغزو

الغزوة والله ما جعت قبلها راحلتين قط حتى جعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا وري بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حشد يد واستقبل سفر ابيد او مفازا واستقبل عدوا كثيرا جلالا للمسلمين امرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فاخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الاظن أن ذلك سيخفي له ما لم ينزل فيه وحى من الله عز وجل وغزار رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فاما اليها أصعر فجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدولكي أن تجهز معهم فارجع ولم أقض شيئا فاقول في نفسي أنا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل يتبادى بي حتى استمر بالناس الجدد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا فلم يزل ذلك يتبادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ففهممت أن أرتحل فادركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اداخرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بحزني أني لا أرى لي أسوة الا رجلا مغمو صاعليه في النفاة أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكري رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفه فقال له معاذ ابن جبل بشس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبينها هو كذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فاذا هو أبو خيثمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لزمه المنافقون قال كعب فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني بشي فطفقت أتذكر الكذب وأقول ثم أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم قادمنا زاح عنى الباطل حتى عرفت اني لن أنجو منه بشي أبدا فاجعت صدقه فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمنا وكان اذا قدم من سفره بدأ بالسجدة فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويخلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله عز وجل حتى جئت فلما اسلمت تبسم تبسم الغضب ثم قال لي تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قال قلت يا رسول الله اني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت اني سأخرج من سخطه بعد ان قد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت ان حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه اني لا رجوفيه عقي الله وفي رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقامت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا القدم عزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذرت اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي هذا أحدمي قالوا نعم لقيه معك رجلا ن قالوا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا سرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي قال قد كروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدر افضيهما أسوة قال فضيت حين ذكر وهما لي ونهبي رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا بها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الاس أو قال تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الارض فاهي بالارض التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحبنا فاستكنا وقعدا في بيوتهما بكيان وأما أنا فكنت أشب

القوم وأجلدهم فكنت أخرج فاشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلى فربما منه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتي نظر الى واذا التفت نحوه أعرض عني حتى اذا طال على ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة أشدك بالله هل تعلم اني أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاصت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينما أنا مشى في سوق المدينة اذا نبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له الى حتى جاءنى فدفع الى كتابا من ملك غسان وكنت كاتباً فقرأته فاذا فيه أمابعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بداره وان ولا مضبعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذه أياض من البلاء فتيممت بها التنوير فسجرت حتى اذا مضت أربعون من الحسين واستلبت الوحى واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعزل امرأتك قال فقلت أطلقها أم ماذا أفعل قال لا بل اعتزلها ولا تقر بها قال وأرسل الى صاحبي مثل ذلك قال فقلت لا امرأتى الحق باهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر قال فجاءت امرأه هلال بن أمية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تذكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقر بنك فقالت انه والله ما به حركة الى شىء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدري نبي ما يقول لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وانارجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكم لى لنا خمسة من ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التى ذكر الله عز وجل عناد ضاقت على نفسى وضافت على الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سماع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت انه قد جاء فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الى فرسا وسعى ساع من أسلم قبلى وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعته لى ثوبى فكسوتهما اياه ببشارته والله ما أملك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتأم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلقانى الناس فوجافوا جباهن ثوبى بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صاحبنى وهنأنى والله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا يلبسها طلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أم من عندك يا رسول الله أم من عند الله فقال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سراسر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قر قال وكان عرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتى أن انخاع من مالى صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فانى أمسك سهمى الذى يخير قال وقلت يا رسول الله ان الله انما أتجاني بالصدق وان من توبتى أن لا أحدث الا صداقا بقيت قال فوالله ما علمت ان أحد من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلانى الله والله

ما نعدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجوا أن يحفظنى الله فيما  
 بقى قال فانزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى  
 بلغ انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله  
 وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد ان هدى للإسلام أعظم في نفسى  
 من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يكون كذبتة فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل  
 قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم  
 اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماؤاهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم  
 لتعرضوا عنهم فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا أيها الثلاثة عن  
 أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله تعالى فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا  
 وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه أمرنا ممن حلف له وانما تنذر اليه فقبل  
 منه وفي رواية ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامى وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين  
 غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فامن شئ أهم الى من أن أموت فلا  
 يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس بتلك المنزلة فلا  
 يكلمنى أحد منهم ولا يصلى على ولا يسلم على قال وأنزل الله عز وجل تو بقنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين  
 بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة في شأني  
 معتنية بامرئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب بن مالك قالت أفلا أرسل اليه  
 فابشره قال اذا محطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 صلاة الفجر آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا أخرجه البخارى ومسلم في شرح غريب هذا  
 الحدت قوله حين تواترنا على الاسلام التواتر تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة الجبل أو الناقة  
 القويان على الجمل والسفر وقوله وري غيرها يقال وري عن الشئ اذا أخفاه وأظهر غيره والمفازة البرية  
 القفراء سميت بذلك تفاقولا بالفوز والنجاة منها قوله فجلا هو بالتخفيف يعنى كشف لهم مقصدهم وأظهره  
 لهم والاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر قوله فانا اليها أصعر هو بالعين المهملة أى أميل والصعر الميل قوله  
 وتفارط الغزو أى تباعد ما بينى وبين الجيش من المسافة وطفق مثل جعل والمغموص المعيب المشار اليه  
 بالعيب يقال فلان ينظر في عطفه اذا كان مجببا بنفسه ويقال زال به السراب يزول اذا ظهر شخص الانسان  
 خيالا فبه من بعد والسراب هو ما يظهر للانسان في البرية في وقت الهاجرة كأنه ماء والمبيض بكسر اليا  
 لا بس البياض قوله كن أباخيشمة معناه أنت أبوخيشمة وقيل معناه اللهم اجعله أباخيشمة أى لتوجد يا هذا  
 الشخص أباخيشمة حقيقة قوله الذى لزمه المنافقون يعنى عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى  
 وطنه قوله حضرني بنى البث أشد الحزن كأنه لشده يظهر قوله زاح عنى الباطل أى زال وذهب عنى  
 وأجعت صدقه أى عزمت عليه لقد أعطيت جدلا أى فصاحة وقوة فى الكلام بحيث أخرج عن عهدة  
 ما أردت بما أشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد وهو الغضبان قوله قاز الوابؤن بونى أى بلومونى أشد  
 اللوم قوله حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فما هى بالارض التى أعرف معناه تغير على كل شئ من الارض  
 وتوحشت على وصارت كأنها أرض لا أعرفها وقوله فاما صاحبى فاستكنا بعتى خضعا وسكنا قوله تسورت  
 حائط أبى قتادة أى علوته وصعدت سورته وهو أعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من الجهم والروم  
 والمضيعة مفعلة من الضياع والاطراح قوله فتممت بها التنور فسجرت به أى فقصدت بالصحيفة التى أرسل

بها ملك غسان فاحرقها في التنور وسلع جبل بالمدينة معروف وقوله وانطلقت انا مبعنى أقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه امارات الفرح والسرور قوله انخلع من مالى أى اخرج منه جميعه واتصدق به كما يخلع الانسان قيصره قوله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث أحسن مما أبلاني البلاء والابتلاء يكون فى الخير وفى الشر واذا أطلق كان فى الشر غالباً اذا أريد به الخير قيد به كما قيد هنا بقوله أحسن مما أبلاني أى أنعم على قوله أن لا أكون كذبتة هكذا هو فى جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال بعض العلماء لفظة لازادة ومعناه أن أكون كذبتة وقوله فاهلك هو بكسر اللام وار جاؤه أمر ناتأخيره وقوله فى الرواية الاخرى يحطمكم الناس أى يطؤكم ويزدحجون عليكم وأصل الوطاء الكسر وقوله سائر الليل يعنى باقى الليل وقوله وآذن بتوبة الله علينا أى علم والأذان الاعلام والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) يعنى بما اتسعت وان رحب سعة المكان والمعنى أنه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعاً (وضاقت عليهم أنفسهم) يعنى من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم (وظنوا) يعنى وأيقنوا وعلموا (أن لا ملجأ) يعنى لا مفرج ولا مفر (من الله الا اليه) ولا عاصم من عذابه الا هو (ثم تاب عليهم) فيه اضمار وحذف تقديره وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه فرجهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الحذف للدلالة الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تأ كيد لقبول توبتهم لانه قد ذكر توبتهم فى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لانه تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار أى وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا ﴿ وقوله تعالى ﴾ (ليتوبوا) معناه ان الله سبحانه وتعالى تاب عليهم فى الماضى ليكون ذلك داعياً لهم الى التوبة فى المستقبل فيرجعوا ويذابوا وعلبها وقيل ان أصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالتهم الاولى يعنى الى عادتهم فى الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك (ان الله هو التواب) يعنى على عباده (الرحيم) بهم وفيه دليل على أن قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شئ ﴿ قوله عز وجل ﴾ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) يعنى فى مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (وكونوا مع الصادقين) يعنى مع من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا فى البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن جبيرة مع الصادقين يعنى مع أبى بكر وعمر وقال ابن جرير مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا فى الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا وبالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الآية تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدى الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد فى الحديث وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح فى جد ولا هزل ولا أن يعدأ حدكم صاحبه شيئاً لا يجره اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروى أن أبى بكر الصديق احتج بهذه الآية على الانصار فى يوم السقيفة وذلك أن الانصار قالوا اميراً منكم أمير فقال أبو بكر يا معشر الانصار ان الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون من هم قالت الانصار انتم هم فقال أبو بكر ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فامركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم نحن الامراء وأتم الوزراء وقيل مع بمعنى من والمعنى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (ما كان لاهل المدينة) يعنى لساكنى المدينة من المهاجرين والانصار (ومن حولهم من الاعراب) يعنى سكان البوادي من مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار وقيل هو عام فى كل الاعراب لان اللفظ عام وحمله على العموم أولى (أن يتخلفوا عن رسول الله) يعنى اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهى أى ليس لهم أن يتخلفوا عن

(حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) برحبها أى مع سعتها وهو مثل للحيرة فى أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكاناً يقرون فيه قلقاً وجزعاً (وضاقت عليهم أنفسهم) أى قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لانها خرجت من فرط الوحشة والغم (وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه) وعلموا أن لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره (ثم تاب عليهم) بعد خمسين يوماً (ليتوبوا) ليكونوا من جملة التوابين (ان الله هو التواب الرحيم) عن أبى بكر الوراق أنه قال التوبة النصوح أن تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) فى ايمانهم دون المنافقين أو مع الذين لم يتخلفوا أو مع الذين صدقوا فى دين الله نية وقولا وعملا والآية تدل على أن الاجماع حجة لانه أمر بالكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) المراد بهذا النهى النهى رخص هؤلاء بالذكروا ان استوى كل الناس فى ذلك لقرابهم منه ولا يخفى عليهم خروجه

(ولا يرغبوا) ولأن يضنوا (بأنفسهم عن نفسه) عما يصيب نفسه أي لا يختاروا بقاء أنفسهم على نفسه في الشدائد بل أمر وأبان بصحبوه في البأساء والضراء ويلقوا أنفسهم بين يديه في كل شدة (ذلك) النهي عن التخلف (بأنهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا نخصة) مجاعة (في سبيل (٢٩٤) الله) في الجهاد (ولا يطؤون موطئا) ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم

وأخفاف رواجلهم وأرجلهم (يعيظ الكفار) يغضهم ويضيق صدورهم (ولا ينالون من عدونيا) ولا يصيبون منهم إصابة يقتل أو أسرا أو جرح أو كسر أو هزيمة (الا كتب لهم به عمل صالح) عن ابن عباس رضي الله عنهما لكل روعة سبعون ألف حسنة يقال نال منه إذا رزاه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وفيه دليل على أن من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وعود ومشى وكلام وغير ذلك وعلى أن المدد يشارك الجيش في الغنيمة بعد انقضاء الحرب لان وطء ديارهم مما يغنيهم وقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدم بعد تقضى الحرب والموطئ امام صدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فغنى يغني الكفار يغنيهم وطؤه (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي أنهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم (ولا ينفقون نفقة) في سبيل الله (صغيرة) ولو تمرة (ولا كبيرة) مثل

رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يرغبوا) يعني ولأن يرغبوا (بأنفسهم عن نفسه) يعني ليس لهم أن يكرهوا لأنفسهم ما يختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لأنفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبة والجهاد معه في حال الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بأنفسهم أن يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة التعب (ذلك بأنهم لا يصيبهم) في سفرهم وغزواتهم (ظمأ) أي عطش (ولا نصب) أي تعب (ولا نخصة) يعني مجاعة شديدة (في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يعيظ الكفار) يعني ولا يضعون قدما على الأرض يكون ذلك القدم سببا لعيب الكفار وغمهم وخزيم (ولا ينالون من عدونيا) يعني أسرا أو قتلا أو هزيمة أو غنيمة أو نحو ذلك قليلا كان أو كثيرا (الا كتب لهم به عمل صالح) يعني الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه لهم وقبله منهم (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني ان الله سبحانه وتعالى لا يبدع محسنا من خلقه قد أحسن في عمله وأطاعه فيما أمره به أو نهاه عنه أن يجازيه على إحسانه وعمله الصالح وفي الآية دليل على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وعوده ومشيه وحر كته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله ومن قصد معصية الله كان قيامه وعوده ومشيه وحر كته وسكونه كلها سيئات الآن يغفرها الله بفضلها وكرمه واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد أن يتخلف عنه الا بعدد ما غيره من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد يقولون في هذه الآية انها لأول هذه الامة وآخرها فعلى هذا تكون هذه الآية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان أهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل وأباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدى عن عطية أنه قال وما كان لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وأمرهم قال هذا هو الصحيح لانه لا تتعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا اذا أمر وكذا غيره من الأئمة والولاة قالوا اذا ندبوا أو عينوا الا نالوا وسوغنا للمندوب أن يتقاعد ولم يختص بذلك بعض دون بعض لأدى ذلك الى تعطيل الجهاد والله أعلم وقوله عز وجل (ولا ينفقون) يعني في سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) يعني تمرة فادونها أو أكثر منها حتى علاقة سوط (ولا يقطعون واديا) يعني ولا يجاوزون في مسيرهم واديا مقبلين أو مدبرين فيه (الا كتب لهم) يعني كتب الله لهم آثارهم وخطاهم ونفقاتهم (ليجزئهم الله) يعني يجازيهم (أحسن ما كانوا يعملون) قال الواحدى معناه باحسن ما كانوا يعملون وقال الامام نضر الدين الرازى فيه وجهان الأول أن الاحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والمندوب والمباح فالله سبحانه وتعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثانى أن الاحسن صفة للجزاء أى يجزيهم جزاء هو احسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب وفي الآية دليل على فضل الجهاد وانه من أحسن أعمال العباد (ق) عن سهل بن سعد الساعدى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما عليها وفي رواية وما فيها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمّن الله ان خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلى واما نأبى وتصدىقا برسلى فهو على من أن

ما أنفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أى أرضا في ذهابهم ومجئهم وهو كل منفرج ادخله

بين جبال وآكام يكون منفذ السبيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودى وقد شاع في الاستعمال بمعنى الارض (الا كتب لهم) من الانفاق وقطع الوادى (ليجزئهم الله) متعلق بكتب أى أثبت في صحائفهم لاجل الجزاء (أحسن ما كانوا يعملون) أى يجزيهم

أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمته والذي نفس محمد بيده ما من كام يكام في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كام لونه لون دم وريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قدمت خلاف سرية تغزوني سبيل الله أبدأ ولكن لأجد سعة فاجلهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لو ددت أن أغزوني سبيل الله فاقتل ثم أغز وفاقتل ثم أغز وفاقتل لفظ مسلم ولبخاري بمعناه (ق) عن أبي سعيد الخدري قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعب يعبد الله وفي رواية يتقى الله ويدع الناس عن شره (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسان في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وره ورثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنة (خ) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما غبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار (م) عن أبي مسعود الأنصاري البدرى قال جاء رجل بناقة مخطومة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقة كلها مخطومة عن خريم بن فانك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى ناقة في سبيل الله كتب الله له سبع مائة ضعف أخرج الترمذي والنسائي قوله سبحانه وتعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) الآية قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله قال الناس من المناقبة ين هالك من تخلف فزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس أنها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجدت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويقبلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم فانزل الله عز وجل الآية يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عشائرهم وحذر قلوبهم أن يفعلوا فعلهم اذارجعوا اليهم فذلك قوله سبحانه وتعالى ولينذروا قومهم اذارجعوا اليهم وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم ويتفقون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا أن نفعله وأخبرنا عما نقول لعشائرنا اذا انطلقنا اليهم فيأمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله وبيعتهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا اذا أتوا قومهم نادوا ان من أسلم فهو منا ويندرونهم حتى ان الرجل ليفارق أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من أمر الدين وأن ينذروا قومهم اذارجعوا اليهم ويدعوهم إلى الاسلام وينذروهم النار ويبدروهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفا ومن الخطب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم تحرجا وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) يتتبعون الخير وقد طائفة (ليتفقوا في الدين) ليسمعوا ما أنزل الله (ولينذروا قومهم) من الناس (اذارجعوا اليهم لعلمهم محذرون) وقال ابن عباس ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصابة يعني السرايا ولا يسرون الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد ينزل في بعضهم قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد أنزل على نبيكم من بعدكم قرآنا وقد تعلمناه فمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم وتبع السرايا أخرى فذلك قوله سبحانه وتعالى ليتفقوا في الدين بقول ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذارجعت اليهم لعلمهم

على كل واحد جزاء أحسن عمل كان لهم فيلحق مادونه به توفير الأجرهم (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) اللام لتأكيد النفي أي أن نفي الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح للأفضاء إلى المفسدة (فلولا نفر) حين لم يكن نفي الكافة فهلا نفر (من كل فرقة منهم طائفة) أي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفي (ليتفقوا في الدين) ليتكفوا الفقه فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها (ولينذروا قومهم) وليجعلوا أمرهم إلى التفقه وانذار قومهم وارشادهم (دون الأغراض الخبيثة من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس لعلمهم محذرون) ما يجب اجتنابه وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تسوك بعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد اتسق المؤمنون عن آخرهم إلى النفي وانقطعوا جميعا عن التفقه في الدين فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى سائرهم

يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبري وأما تفسير الآية فيمكن أن يقال انها من بقية أحكام الجهاد ويمكن أن يقال انها كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد فعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزوة لم يتخلف عنه الا منافق أو صاحب عذر فلما بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شيء من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزوة وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الآية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز لهم أن ينفروا بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب أن ينقسموا قسمين فطائفة يكونون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة ينفرون الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين لان الاحكام والشرايع كانت تتجدد شيئا بعد شيء فالما لزمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظون ما نزل من الاحكام وما تجدد من الشرايع فاذا قدم الغزاة أخبروهم بذلك فيكون معني الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فاولا يعني فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة للجهاد وقعد طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذ رجعوا اليهم من غزوهم لعلمهم يحذرون يعني مخالفة أمر الله وأمر رسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل ان التفقه صفة للطائفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بماير بهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذ رجعوا اليهم ومعنى ذلك أن الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله لهم على أعدائهم وأن الله ير يداء اعداء دينه وتقوية نبيه صلى الله عليه وسلم وان الفتنة القليلة قد غلبت جمعا كثيرا فاذا رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار أنذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظفر لهم لعلمهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق وأورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعد تفقها في الدين ويمكن أن يجب عنه بانهم اذا علموا أن الله هو ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان ذلك زيادة في إيمانهم فيكون ذلك فقها في الدين وأما الاحتمال الثاني وهو أن يقال ان هذه الآية كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فاصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية والمعنى هلا نفر من كل فرقة طائفة وقع بطائفة ليتفقهوا في الدين ويبلغوا ذلك الى النافرين لينذروا قومهم اذ رجعوا اليهم لعلمهم يحذرون يعني ناس الله وتقمته اذا خالفوا أمره وفي الآية دليل على أنه يجب أن يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم بهذا القصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين أعمالا الآية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما أنا قاسم ويعطى الله ولم يزل أمر هذه الامة مستقيا حتى تقوم الساعة وحتى يأتي أمر الله (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد أخرجه الترمذي وأصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه فقاها اذا صار فقيها وقيل الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم وفي الاصطلاح الفقه عبارة عن العلم باحكام الشرائع وأحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة أحكام الطهارة وأحكام الصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم

يتفقهون حتى لا ينقطعوا  
عن التفقه الذي هو الجهاد  
الاكبر اذا الجهاد بالحجاج  
أعظم اثر من الجهاد  
بالنصال والضمير في  
ليتفقهوا للفرق الباقية بعد  
الطوائف النافرة من بينهم  
ولينذروا قومهم ولينذروا  
الفرق الباقية قومهم  
النافرين اذ رجعوا اليهم  
بما حصلوا في أيام غيبتهم  
من العلوم وعلى الاول  
الضمير للطائفة النافرة الى  
المدينة للتفقه



طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي وغيره وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة اذا صار له مال يجب في مثله الزكاة وعلم أحكام الحج اذا وجب عليه وأما فرض الكفاية من الفقه فهو أن يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى يبلغ درجة الفتيان سقط الفرض عن الباقيين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم أخرجه الترمذي مع زيادة فيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة أخرجه الترمذي عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة أخرجه أبو داود والآية المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف في حكمها أو ما ليس بمسوخ والسنة القائمة هي المستمرة الدائمة التي العمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في أمضاها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم يدعى عظيما في ملكوت السموات وأخرجه الترمذي موقوفا وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه طلب العلم أفضل من صلاة النافلة ﴿ قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أمر وابتقال الاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا مكان الشام والشام أقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلونهم من الكفار العرب فقاتلهم حتى فرغوا منهم فامر وابتقال أهل الكتاب وجهادهم حتى يومنوا أو يعطوا الجزية عن يد ونقل عن بعض العلماء انه قال نزلت هذه الآية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله سبحانه وتعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ لانه سبحانه وتعالى لما أمرهم بقتال المشركين كافة أرشدهم الطريق الاصبوا الاصلح وهو أن يبدؤا بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابد فالابد وهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أول اقومه ثم انتقل منهم الى قتال سائر العرب ثم انتقل الى قتال أهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل الى غزوة الروم في الشام فكان فتح الشام في زمن الصحابة ثم انتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك الى سائر الامصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الابد ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (واجدوا فيكم غلظة) يعني شدة وقوة وشجاعة وغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم (واعلموا أن الله مع المتقين) يعني بالعون والنصرة ﴿ قوله عز وجل (واذا ما أنزلت سورة فنهم من يقول أيكم زادته هذه آياتنا) يعني واذا أنزل الله سورة من سور القرآن فن المنافقين من يقول يعني يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه يعني السورة إيماناً يعني تصديقاً يقيناً وانما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض المؤمنين فقال الله سبحانه وتعالى (فاما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) يعني تصديقاً يقيناً وقر به من الله ومعنى الزيادة ضم شيء الى آخر من جنسه مما هو في صفته فالمؤمنون اذا قرءوا بنزل سورة من القرآن عن ثقة واعترفوا انهم امنوا عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف إيماناً وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الايمان في أول سورة الانفال (وهم يستبشرون) يعني أن المؤمنين يفرحون بنزل القرآن شيئاً بعد شيء لانهم كلما نزل ازدادوا إيماناً وذلك بوجوب مزيد الثواب في الآخرة وكان يحصل الزيادة في الايمان

(يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم) يقر بون منكم (من الكفار) القتال واجب مع جميع الكفرة قريتهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب أوجب وقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشام والشام أقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية ان يقاتلوا من ولهم (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وعنفة في القتال (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والغلبة (واذا ما أنزلت سورة) ماصلة مؤكدة (فهم) فن المنافقين (من يقول) بعضهم لبعض (أيكم زادته) هذه السورة (إيماناً) انكاراً واستهزاء بالمؤمنين وأيكم مرفوع بالابتداء وقيل هو قول المؤمنين للحدث والتنبيه (فاما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) يقينا وثباتاً أو خشية أو إيماناً بالسورة لانهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلاً (وهم يستبشرون) يعنون زيادة التكليف بشارة التشریف

رجسهم) كفرا مضموما الى كفرهم (وماتوا وهم كافرون) هو اخبار عن اصرارهم عليه الى الموت (أو لا يرون) يعني المنافقين وبالتاء حزة خطاب للمؤمنين (أنهم يفتنون) يتلون بالقحط والمرض وغيرهما (في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون) عن نفاقهم (ولا هم يذكرون) لا يعتبرون أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوبون بما يرون من دولة الاسلام ولا هم يذكرون بما يقع بهم من الاضطلام (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكار الوحي وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لننصرف فانا لانصبر على استماعه ويفلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو اذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين أشار بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ان قتم من حضرته عليه السلام (ثم انصرفوا) عن حضرة النبي عليه السلام مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن فهم القرآن (بانهم) بسبب انهم لا يفقهون) لا يتدبرون حتى يفقهوا (لقد جاءكم رسول) محمد عليه السلام

بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو قوله سبحانه وتعالى (وأما الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق سمي الشك في الدين مرضا لانه فساد في القلب يحتاج الى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج (فزادتهم) يعني السورة من القرآن (رجسا الى رجسهم) يعني كفرا الى كفرهم وذلك أنهم كلما نحدوا نزول سورة أو استهزؤا بها ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول وسمى الكفر رجسا لانه أقبح الاشياء وأصل الرجس في اللغة الشيء المستقذر (وماتوا) يعني هؤلاء المنافقين (وهم كافرون) يعني وهم جاحدون لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الآية الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه ويقول تعالوا حتى تزداد ايمانا وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ان الايمان يبدو لمعة بيضاء في القلب وكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لمعة سوداء في القلب وكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أولايرون) قرئ ترون بالتاء على خطاب المؤمنين وقرئ بالياء على أنه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله في قلوبهم مرض (أنهم يفتنون) يعني يتلون (في كل عام مرة أو مرتين) يعني بالامراض والشدة وقيل بالقحط والجذب وقيل بالغزو والجهاد وقيل انهم يفتضحون باظهار نفاقهم وقيل انهم ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين (ثم لا يتوبون) يعني من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله (ولا هم يذكرون) يعني ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين (واذا ما أنزلت سورة) يعني فيها عيب المنافقين وتوخيهم (نظر بعضهم الى بعض) يريدون بذلك الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة (هل يراكم من أحد) يعني هل أحد من المؤمنين يراكم ان قتم من مجلسكم فان لم يره أحد خرجوا من المسجد وان علموا أن أحد يراهم من المؤمنين أقاموا ولبثوا على تلك الحال (ثم انصرفوا) يعني عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون (صرف الله قلوبهم) يعني عن الايمان وقال الزجاج أضلهم الله مجازاة لهم على فعلهم (بانهم قوم لا يفقهون) يعني لا يفقهون عن الله دينه ولا شيئا فيه نفهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) هذا خطاب للعرب يعني لقد جاءكم أيها العرب رسول من أنفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكر البغوي باسناد الثعالب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح كنه نكاح أهل الاسلام قال قتادة جعله الله من أنفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء في تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعني من مضرها وريعتها ويمانها فاما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان واليه تنسب قريش وهو منهم وأما نسبه الى عرب اليمن وهم القحاطنة فان آمنه لها نسب في الانصار وان كانت من قريش والانصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبأ على هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم ترغيب العرب في نصره والايمان به فانه ثم شرفهم بشرفه وعزتهم بعزته ونفخهم بنفخه وهو من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرأ ابن عباس والزهرى من أنفسكم بفتح الفاء ومعناه انه من أشرفكم وأفضلكم (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من

(عزیز علیہ ما عنتم) شدید علیہ شاق لكونه بعضا منكم عنتم ولقاءكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب (حريص عليكم) على ايمانكم (بالؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان تولوا) فان عرضوا عن الايمان بك وناصروك (فقل حسبي الله) فاستعن بالله وفوض اليه أمورك فهو كافيك معرفتهم وناصرك عليهم (لا اله الا هو عليه توكلت) فوضت أمري اليه (وهو رب العرش) هو أعظم خلق الله خلق مطافا لاهل السماء وقبلة للدعاء (العظيم) بالجر وقرى بالرفع على نعت الرب جل وعز عن أبي آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية (سورة يونس عليه السلام) مائة وتسع آيات مكية ولذا ما بعدها الى سورة النور ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الر) ونحوه مما لجزءه وعلى وأبو عمرو وهو تعدد للحروف على طريق التعدي (تلك آيات الكتاب) إشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة

القرن الذي كنت منه (م) عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قر يشامن كنانة واصطفى من قر يش بن هاشم واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ان قر يشا جلسوا يتذاكرون أحسابهم بينهم فقالوا مثلك كمثل نخلة في كدبة من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقتهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا أخرجه الترمذي وقيل ان قوله سبحانه وتعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عام فمله على العموم أولى فيكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم أيها الناس رسول من أنفسكم يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (عزیز علیہ ما عنتم) أي شدید علیہ عنتم یعنی مکروہکم وقیل یشق علیہ ضلالکم (حريص عليكم) یعنی حريص على ايمانكم وايصال الخير اليكم وقال قتادة حريص على هدايتكم وان يهديكم الله (بالؤمنين رؤف رحيم) یعنی أنه صلى الله عليه وسلم رؤف بالمطيعين رحيم بالمدنبيين (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيا قال الحسن بن الفضل لم يجمع الله سبحانه وتعالى لاحد من أنبيائه بين اسمين من اسمائه الا النبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيا وقال سبحانه وتعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (فان تولوا) يعني فان عرض هؤلاء الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصروك للحرب (فقل حسبي الله) يعني يكفيني الله وينصرني عليكم (لا اله الا هو عليه توكلت) يعني لا على غيره وبه وثقت (وهو رب العرش العظيم) انما خص سبحانه وتعالى العرش بالذكور لانه أعظم المخلوقات فيدخل مادونه في الذكور فيكون المعنى فهو رب العرش العظيم فادونه أو يكون خصه بالذكور كما يقال بيت الله روي عن أبي بن كعب أنه قال هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة آخر القرآن نزولا وفي رواية عنه قال أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر الآيتين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام﴾

نزلت بمكة الا ثلاث آيات وهي قوله سبحانه وتعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك الى آخر الثلاث آيات قاله ابن عباس وبه قال قتادة وفي رواية أخرى عن ابن عباس ان فيها من المدنى قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الآية وقال مقاتل هي مكية الايتين وهي قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته والى تليها وهي مائة وتسع آيات وألف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (الر) قال ابن عباس والضحاك معناه أنا الله أرى وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه الرحمن ون حروف الرحن مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتادة الراسم من أسماء القرآن وقيل هي اسم للسورة وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما فيه كفاية (تلك آيات الكتاب) المراد من لفظ تلك الإشارة الى الآيات الموجودة في هذه السورة ويكون التقدير تلك الآيات هي آيات الكتاب وهو القرآن الذي أنزله الله اليك يا محمد وذلك ان الله عز وجل وعده أن ينزل عليه كتابا لا يحوه الماء ولا غيره الدهور وقيل ان لفظة تلك للإشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن والمعنى ان تلك الآيات هي آيات الكتاب الحكيم وفي قول آخر ان المراد بآيات الكتاب الكتب التي قبل





(وقدره) وقدر القمر أي وقدر مسيره (منازل) أو قدره ذامنازل كقوله والقمر قدرناه منازل (لتعلموا عدد السنين) أي عدد السنين والشهور فكتفي بالسنين لاشتمالها على الشهور (والحساب) وحساب الآجال والمواقيت المقدره بالسنين والشهور (ما خلق الله ذلك) المذكور (الا) ملتبسا (بالحق) (٣٠٢) الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا (يفصل الآيات) مكى وبصرى وحفص

خص الشمس بالضياء لانها أقوى وأكمل من النور وخص القمر بالنور لانه أضعف من الضياء ولانهما لوتساو باليعرف الليل من النهار فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكمل وأقوى من النور المختص بالقمر (وقدره منازل) قيل الضمير في وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدرهما منازل أو قدر لسيرهما منازل لا يجاوزانها في السير ولا يقصران عنها وانما وحد الضمير في وقدره للايجاز أو كتنفى بذكر أحدهما دون الآخر فهو كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل الضمير في وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر في المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتمدة في الشرع مبنية على رؤية الالهة والسنة المعتمدة في الشرع هي السنة القمرية لالشمسية ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهي الشرطين والبطين والثريا والدبران والطفعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجهة والزبرة والصرفة والعواء والسمالك والغفر والزباني والاكيل والقلب والشولة والنعام والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر وهي مقسومة على اثني عشر برجاً وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلاث منزل و ينزل القمر كل ليلة منزلاً منها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستمر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعاً وعشرين اختفى ليلة واحدة (لتعلموا عدد السنين) يعني قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين ووقت دخولها وانقضائها (والحساب) يعني وتعلموا حساب الشهور والايام والساعات ونقصانها وزيادتها (ما خلق الله ذلك الا بالحق) يعني للحق واطهار قدرته ودلائل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا (يفصل الآيات لقوم يعلمون) يعني بين دلائل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته (ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون) تقدم تفسير هذه الآية في نظائرها (ان الذين لا يرجون لقاءنا) يعني لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون بالشواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلاناً بمعنى لا يخافه ومنه قوله سبحانه وتعالى مالكم لا ترجون لله وقاراً ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي \* اذا سعته النحل لم يرج لسعها \* أي لم يخفها والرجاء يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لا يطمعون في ثوابنا (ورضوا بالحياة الدنيا) يعني اختاروها وعملوا في طلبها فهم راضون بزينة الدنيا وزخرفها (واطماناً نوابها) يعني وسكنوا اليها مطمئنين فيها وهذه الطمانينة التي حصلت في قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها زالت عن قلوبهم والوجل والخوف فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم (والذين هم عن آياتنا غافلون) قيل المراد بالآيات أدلة التوحيد وقال ابن عباس عن آياتنا يعني عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن غافلون أي معرضون (أولئك ماواه النار) بما كانوا يكسبون) يعني من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم ليمتحنهم بالصراط الى الجنة يجعل لهم نوراً يمشون به وقال قتادة بلغنا أن المؤمن اذا خرج من قبره بصوره عمله في صورة حسنة فيقول له من أنت فيقول أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً الى الجنة

و بالنون غيرهم (لقوم يعلمون) فينتفعون بالتأمل فيها (ان في اختلاف الليل والنهار في محيىء كل واحد منهما خلف الآخر أو في اختلاف لونيها) وما خلق الله في السموات والارض من الخلائق (لايات لقوم يتقون) خصهم بالذكر لانهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر الى النظر (ان الذين لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه أصلاً ولا يخطر ونه بياهم لغفلتهم عن التفطن للحقائق أو لا يؤمنون حسن لقاءنا كما يؤمله السعداء أو لا يخافون سوء لقاءنا الذي يجب أن يخاف (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي (واطماناً نوابها) وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديداً وأملوا بعيداً (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يتفكرون فيها ولا وقف عليه لان خبران (أولئك ماواه النار) فالتك مبتدأ وماواه مبتدأ ثان

والكافر

والنار خبره والجملة خير أولئك والباء في (بما كانوا يكسبون) يتعلق بمحذوف دل عليه

الكلام وهو جوزوا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم ليمتحنهم) يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق

السيدي المؤدى الى الثواب ولذا جعل

(تجرى من تحتهم الانهار) بيان له وتفسيرا اذ التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها او يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عمك (٣٠٣) فيكون له نور او قاء الى الجنة والكافر

اذ اخرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عمك فينطق به حتى يدخله النار وهذا دليل على أن الايمان المجرد منج حيث قال بايمانهم ولم يضم اليه العمل الصالح (في جنات النعيم) متعلق بتجرى أو حال من الانهار (دعواهم فيها سبحانك اللهم) أي دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك أي يدعون الله بقولهم سبحانك اللهم تلذذا بذكره لاعبادته (وتحيتهم فيها سلام) أي يحيي بعضهم بعضا بالسلام أو هي تحية الملائكة اياهم وأضيف المصدر الى المفعول أو تحية الله لهم (وآخر دعواهم) وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح (أن الحمد لله رب العالمين) أن يقولوا الحمد لله رب العالمين ان مخففة من الثقيلة وأصله انه الحمد لله رب العالمين والضمير للشأن قيل أول كلامهم التسبيح وآخره التمجيد فيبتدؤن بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بالشكر والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما أرادوا (ولو يمجل الله الناس الشراستجاء لهم

والكافر بالاضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز أن يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصائص واطائف وبصائر ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز أن يكون المعنى ويشبههم على الهداية وقيل معناه بايمانهم يهديهم بهم لدينه أي تصديقهم هدايمهم (تجرى من تحتهم الانهار) يعني بين أيديهم بنظرون اليها من أعالي أسرتهم وقصورهم فهو كقولهم سبحانه وتعالى قد جعل ربك تحتك سر يالم يردبه أنه تحتها وهي قاعدة عليه بل أراد بين أيديها وقيل تجرى باسرها (في جنات النعيم) يعني ذلك لهم في جنات النعيم (دعواهم فيها) أي قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء أي دعاؤهم فيها (سبحانك اللهم) وهي كلمة تنزيه لله تعالى من كل سوء ونقيصة قال أهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيأتونهم في الوقت بما يشتهون على الموأد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة في كل صحفة لون من الطعام لا يشبهه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والثناء عليه بما هو أهله وفي هذا الذكر والتحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء وشرح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أي يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا وقوله سبحانه وتعالى (وتحيتهم فيها سلام) يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تأتيهم الملائكة من عندهم بالسلام (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) قد ذكرنا أن جماعة من المفسرين حلوا التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب الأكل والمشروب وانهم اذا اشتبهوا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموأد عند ذلك وقال الزجاج أعلم الله ان أهل الجنة يبتدؤن بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث قوله سبحانه وتعالى (ولو يمجل الله للناس الشر) يعني ولو يمجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر بما لهم فيه ضرورة ومكرهه في نفس أو مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لا هله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله وولده بما يكره أن يستجاب له فيه (استجاءهم بالخير) يعني كاستجاءهم بالخير وكما يحبون أن يمجل لهم اجابة دعائهم بالخير (لقضى اليهم أجالهم) يعنى لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته والاستجاء طلب العجالة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤال يقول لو أجابهم الله اذا دعوه بالشر الذي يستجاءون به استجاءهم بالخير لقضى اليهم أجالهم يعني لفرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر وقيل ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يمجل الله للكافرين العذاب كما يجمل لهم خير الدنيا من المال والولد ليجل قضاء آجالهم وهلكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله

بالخير) أصله ولو يمجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم والمراد أهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء أي ولو عجلناهم الشر الذي دعوا به كما يجمل لهم الخير ونجيتهم اليه (لقضى اليهم أجالهم) لا ميتوا واهلكوا لقضى اليهم أجالهم شامى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل

(فندرا الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم) شركهم وضلالهم (يعمهمون) يترددون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو يجعل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا يجعل لهم الشر ولا تقضى اليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فتمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاماً للحجة عليهم (واذا مس الانسان) (٣٠٤) أصابه والمراد به الكافر (الضر دعانا) أي دعا الله لازالته (لجنبه) في موضع الحال بدليل عطف

سبحانه وتعالى (فندرا الذين لا يرجون لقاءنا) يعني فنذر الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت (في طغيانهم) يعني في تمردهم وعتوهم (يعمهمون) يعني يترددون (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذت عندك عهداً ان تخلفني فأنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما رجل من المساهين سبيته أو لعنته أو جلده فاجعلها له صلاة وزكاة وقرية تقر به بها اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة ﴿قوله عز وجل (واذا مس الانسان الضر) أي الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الآية الكافر (دعانا لجنبه) أي على جنبه مضطجعا (أوقائماً) يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينفك عن احدي هذه الحالات الثلاث والمعنى ان الضرور لا يزال داعياً في جميع حالاته الى أن ينكشف ضره سواء كان مضطجعا أو قاعداً أو قائماً وقال الزجاج وجاز أن يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه أو مسه قاعداً أو مسه قائماً وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعاء الى هذه الاحوال أقرب من ذكر الضر (فلما كشفنا عنه ضره) يعني فلما أزلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعنا عنه (ضره) يعني على طريقته الاولى قبل مس الضر (كأن لم يدعنا) فيه حذف تقديره كانه لم يدعنا وإنما أسقط الضمير على سبيل التخفيف (الى ضره) والمعنى انه استمر على حاله الاولى قبل أن يمس الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقر (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) يعني مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله سبحانه وتعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين هو الشيطان وذلك باقدار الله اياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد في كل شيء وإنما سمي الكافر مسرفاً لانه أتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام وأتلف ماله وضيعه في البحار والسواب وما كانوا ينفقونه على الاصنام وسدتها يعني خدامها وقال ابن جريج في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كما زين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم وبيان مقصود الآية ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فاذا مسه الضر أقبل على الدعاء والتضرع في جميع حالاته مجتهداً في الدعاء طالباً من الله ازالة ما نزل به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه أعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه أولاً وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين فأما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابراً عند البلاء شاكراً لله عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء في جميع أوقات الراحة والرفاهية وههنا مقام أعلى من هذا وهو ان المؤمن اذا ابتلى ببلية أو نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضياً بقضاء الله غير معرض بالقلب عنه بل يكون شاكراً لله عز وجل في جميع أحواله وليعلم العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق حكيم في جميع أفعاله وله التصرف في خلقه بما يشاء ويعلم انه ان أبقاه على تلك المحنة فهو عدل وان أزالها عنه فهو فضل ﴿قوله سبحانه وتعالى (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يعني أهلكنا الامم الماضية من قبلكم بخوف بذلك كفار مكة (لما ظلموا) يعني لما أشركوا (وجاءتهم رسالهم بالبينات) يعني فكذبوهم (وما كانوا يؤمنوا) يعني هذه الامم برسالهم ويصدقوهم بما جاؤا به من عند الله (كذلك نجزي القوم المجرمين) يعني كما أهلكنا

الحالين أي (أوقاعداً أو قائماً) عليه أي دعانا مضطجعا وقائماً ذكر هذه الاحوال ان الضر لا يزال داعياً لا يفترعن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالته كلها كان مضطجعا جزاء عن النهوض أو قاعداً لا يقدر على القيام أو قائماً لا يطيق المشي (فلما كشفنا عنه ضره) أزلنا ما به (مركاناً لم يدعنا الى ضره) أي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به والاصل كانه لم يدعنا نحفف وحذف ضمير الشأن (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) للمجاوزين الحد في الكفر زين الشيطان بوسوسته (ما كانوا يعملون) من الاعراض عن الذكر واتباع الكفر (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يا أهل مكة (لما ظلموا) أشركوا وهو ظرف لاهلكوا والواو في (وجاءتهم رسالهم) للحال أي ظلموا بالتكذيب

وقد جاءتهم رسالهم (بالبينات) بالمعجزات (وما كانوا يؤمنوا) ان بقوا ولم يهلكوا لان الله علم منهم أنهم يصرون الامم على كفرهم وهو عطف على ظلموا واعتراض واللام لتأكيد النفي يعني ان السبب في اهلاكم تكذيبهم للرسول وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان أزموا الحجة بيعة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك (نجزي القوم المجرمين) وهو وعيد لاهل مكة على



اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم خلافة في الارض من بعدهم) الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم  
وسلم أي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكناها (لننظر كيف تعملون) أي لننظر أعمالكم خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب  
عملكم وكيف في محل النص بتعملون لا بنظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدم عليه عامله والمعنى أنتم بمنظر منا فانظروا كيف  
تعملون أبا اعتبار بماضيكم أم الاغترار بما فيكم قال عليه السلام الدنيا (٣٠٥) حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها

فناظر كيف تعملون (واذا  
تتلى عليهم آياتنا بينات)  
حال (قال الذين لا يرجون  
لقاءنا) لما غاظهم ما في  
القرآن من ذم عبادة  
الوثان والوعيد لاهل  
الطغيان (انت بقرآن غير  
هذا) ليس فيه ما يغيظنا  
من ذلك نتبعك (أو بدله)  
بان تجعل مكان آية عذاب  
آية رحمة وتسقط ذكرا لآلهة  
وذم عبادتها فأمر بان  
يجب عن التبديل لانه  
داخل تحت قدرة الانسان  
وهو أن يضع مكان آية  
عذاب آية رحمة وأن يسقط  
ذكرا لآلهة بقوله (قل  
ما يكون لي) ما محل لي  
(أن أبدله من تلقاء نفسي)  
من قبل نفسي (ان أتبع الا  
ما يوحى الي) لا أتبع الا  
وحي الله من غير زيادة ولا  
نقصان ولا تبديل لان الذي  
أتيت به من عند الله لا من  
عندي فأبدله (اني أخاف  
ان عصيت ربي) بالتبديل  
من عند نفسي (عذاب  
يوم عظيم) أي يوم  
القيامة وأما الاتيان بقرآن

الامم الخالية لما كذبوا رسالهم كذلك نهلككم أيها المشركون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم  
(ثم جعلناكم خلافة في الارض من بعدهم) الخطاب لاهل مكة الذين أرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه  
وسلم والمعنى ثم جعلناكم أيها الناس خلفاء في الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم (لننظر كيف  
تعملون) يعني خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب أعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم يريد لنا خيرا أو عمالكم وهو  
يعلم ما يكون قبل أن يكون قال أهل المعاني معنى النظر هو طلب العلم وما يكون منهم ليجاز بهم بحسبه كقوله تبارك  
للعبد لانه سبحانه وتعالى يعامل العبادة معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجاز بهم بحسبه كقوله تبارك  
وتعالى ايبأولكم أيكم أحسن عملا ذكره الواحدى والرازى (م) عن أنى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فننظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واحذروا  
فتنة النساء أخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء ﴿ قوله سبحانه  
وتعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعني واذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذي أنزلناه اليك  
يا محمد بينات يعني واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك (قال الذين لا يرجون لقاءنا) يعني قال هؤلاء  
المشركون الذين لا يخافون عذابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا  
للبعث فانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا (انت بقرآن غير هذا أو بدله) قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال  
مقاتل هم خمسة نفر عبيد الله بن أمية المخزومى والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن أبى  
قيس العاصرى والعاص بن عامر بن هشام قال هؤلاء للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد أن تؤمن بك  
فأت بقرآن غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزل الله عليك فقل أنت  
من عند نفسك أو بدله فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلالا حراما قال الامام  
غفر الدين الرازى اعلم أن اقدم الكفار على هذا الالتماس محتمل وجهين أحدهما أنهم ذكروا ذلك  
على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قوهم لوجئتنا بقرآن غير هذا القرآن أو بدله لا منابك ورضهم  
السخرية والاستهزاء الثانى أن يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا  
انه كان كاذبا في قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله انت بقرآن غير هذا أو بدله محتمل أن  
يأتى بقرآن آخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون الامع وجوده وهو أن يبدل بعض آياته بغيرها  
كما طلبوه ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يجيبهم بقوله (قل) أي قل يا محمد هؤلاء  
(ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي) يعني ان هذا الذى طلبتموه من التبديل ليس الى وما ينبغى لي أن  
أغيره من قبل نفسي ولم أمر به (ان أتبع الا ما يوحى الي) يعني فيما أمركم به وأنها لكم عنه وما أخبركم الا  
ما يخبرني الله به وان الذى أتيتكم به هو من عند الله لا من عندي (اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم)  
أي قل لهم يا محمد انى أخشى من الله ان خالفت أمره أو غيرت أحكام كتابه أو بدله فبعصيته بذلك أن يعذبني  
بعذاب عظيم في يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ﴿ قوله سبحانه وتعالى (قل) أي قل يا محمد هؤلاء

( ٣٩ - (خازن) - ثانى )  
آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه الا أنهم كانوا لا يعترفون بالعجز  
ويقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ولا محتمل أن يريدوا بقوله انت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي لقوله انى أخاف ان عصيت ربي  
عذاب يوم عظيم ورضهم في هذا الاقتراح الكيد اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فاندل مكانه  
آخر واما اقتراح التبديل فلاختيار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما أن يهلكه الله فينجو منه أو لا يهلكه فيسخر وامنه فيجعلوا التبديل  
حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله (قل)

المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله (لوشاء الله ماتلونه عليكم) يعني لو شاء الله لم ينزل على هذا القرآن ولم يأمرني بقراءة عليكم (ولا أدراكم به) قال ابن عباس ولا أدراكم الله به ولا أعلمكم به (فقد لبثت فيكم غمراً من قبله) يعني فقد مكثت فيكم قبل أن يوحى إلى هذا القرآن مدة أربعين سنة لم آتكم بشيء ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبغثه وعلموا أحواله وأنه كان أمياً لم يطلع كتاباً ولا تعلم من أحد مدة عمره قبل الوحي وذلك أربعون سنة ثم بعد الأربعين جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الأحكام والآداب ومكارم الأخلاق والفصاحة والبلاغة ما أعجز البلغاء والفصحاء عن معارضته فكل من له عقل سليم وفهم ناقب يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحي من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله (أفلا تعقلون) يعني ان هذا القرآن من عند الله أوحاه لي لا من قبل نفسي (ق) عن ابن عباس قال أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فكث ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى إليه وأقام بالمدينة عشر او توفى وهو ابن خمس وستين سنة أخرجاه في الصحيحين (ق) عن عائشة قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة أخرجاه في الصحيحين (م) عن أنس قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين أخرجه مسلم (ق) عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال سمعت أنس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالفصير أزهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم ليس بجعد قطط ولا سبط رجل أنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشر او توفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء أخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النوروي وورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احداها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي أصحها وأشهرها رواها مسلم من حديث أنس وعائشة وابن عباس وانفق العلماء على ان أصحها ثلاث وستون سنة وتالوا الباقي عليه فرواية ستين سنة اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمس متأولة أيضاً بانها حصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت يعني صوت الهااتف من الملائكة ويرى الضوء يعني نور الملائكة أو نور آيات الله حتى رأى الملك بعينه وشافه بالوحي من الله عز وجل وقوله ليس بالابيض الامهق المراد به الشديد البياض كلون الجص وهو كرمه المنظور بما توهم الناظر أنه برص والمراد انه كان أزهر اللون بين البياض والحرة قوله عز وجل (فن أظلم ممن افترى على الله كذباً) يعني فزعم أن له شريكاً وولداً والمعنى اني لم أفتر على الله كذباً ولم أكذب عليه في قولي ان هذا القرآن من عند الله وأتم قد افترىتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكاً وولداً والله تعالى منزّه عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان أحد في الدنيا أظلم على نفسه مني من حيث اني افتريته على الله ولما كان هذا القرآن من عند الله أوحاه لي ووجب أن يقال ليس أحد في الدنيا أجهل ولا أظلم على نفسه منكم من حيث انكم أنكرتم أن يكون هذا القرآن من عند الله فقد كذبتم بآياته وهو قوله تعالى (أو كذب بآياته) يعني بجحد بكون القرآن من عند الله وأنكر دلائل التوحيد (انه لا يفلح الجرمون) يعني المشركين وهذا وعيد وتأكيدهما سبق (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم) يعني ويعبد هؤلاء

يعنى ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واظهاره أمراً عجيباً خارجاً عن العادات وهو ان يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتاباً فصيحاً يغلب كل كلام فصيح ويعلو على كل منشور ومنظوم مشحوناً بعلوم الأصول والفروع والاخبار عن الغيوب التي لا يعلمها الا الله (ولا أدراكم به) ولا أعلمكم الله بالقرآن على لساني (فقد لبثت فيكم عمر من قبله) من قبل نزول القرآن أي فقد دأقت فيما بينكم أربعين سنة ولم تعرفوني متعاطياً شيئاً من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت موصوفاً بعلم وبيان فتهموني باختراعه (أفلا تعقلون) فتعلموا انه ليس الامن عند الله لا من مثلي وهذا جواب عما سدوه تحت قوله انت بقراءة غير هذا من اضافة الافتراء اليه (فن أظلم ممن افترى على الله كذباً) يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله في أنه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاقداً بما أضافوه اليه من الافتراء (أو كذب بآياته) بالقرآن فيه بيان ان الكاذب على الله والكذب بآياته في الكفر سواء (انه لا يفلح الجرمون) ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم

بالله جهداً يمانهم لا يبعث الله من يموت أو يوم القيامة ان يكن بعث ونشور (قل أنتبؤون الله بما لا يعلم) أتخبرونه بكونهم شفعاؤنا عند الله وهو انباء بما ليس معلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شياً وقوله (في السموات ولا في الارض) تأكيداً لئلا يفهم ان ما لم يوجد فيهما فهو معدوم (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزه ذاته عن ان يكون له شريك وبالنسبة جزرة وعلى وما موصولة ومصدرية أي عن الشركاء الذين تشركونهم به أو عن اشراكهم (وما كان الناس الا امة واحدة) حنفاء متفقة على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هايبيل أو بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافر بين ديارا (فاختلفوا) فصاروا مللاً (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهو تأخير الحكم عنهم الى يوم القيامة (لقضى بينهم) عاجلاً (فيما فيه يختلفون) فيما اختلفوا فيه ولم يزل الحق من المبطل وسبق كلمته لحكمة وهي ان هذه الدار دار

المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان عصوها وتركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجاد لا تضر ولا تنفع وان العبادة عظيمة فلا تليق الا بمن يضر وينفع ويحيي ويميت وهذه الاصنام جاد وحجارة لا تضر ولا تنفع (ويقولون هؤلاء) يعني الاصنام التي يعبدونها (شفعاؤنا عند الله) قال أهل المعاني توهموا ان عبادتها أشد في تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا السنا باهل أن نعبد الله ولا تكن نستغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شفاعة لنا عند الله ومنه قوله سبحانه وتعالى اخبار عنهم ما نعبدكم الا ليقر بونا الى الله زانين وفي هذه الشفاعة قولان أحدهما انهم يزعمون انها تشفع لهم في الآخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس والثاني انها تشفع لهم في الدنيا في اصلاح معاشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعنا بعد الموت (قل) أي قل لهم يا محمد (أنتبؤون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض) يعني أتخبرون الله ان له شريكاً ولا يعلم الله لنفسه شريكاً في السموات ولا في الارض وهذا على طريق الالزام والمقصود نفي علم الله بذلك الشفيع وأنه لا وجود له البتة لانه لو كان موجوداً لعلمه الله وحيث لم يكن معلوماً لله وجب أن لا يكون موجوداً ومثل هذا مشهور في العرف فان الانسان اذا أراد نفي شيء حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني مقصوده انه ما حصل ذلك الشيء منه قط ولا وقع (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى أن يكون له شريك في السموات والارض ولا يعلمه شيء قوله سبحانه وتعالى (وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا) يعني فتنفروا الى مؤمن وكافر يعني كانوا جميعاً على الدين الحق وهو دين الاسلام وبدل على ذلك ان آدم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام الى ان قتل قابيل هايبيل ثم اختلفوا وقيل بهو اعلى ذلك الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا فبعث الله نوحاً وقيل انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي فعلى هذا القول يكون المراد من الناس في قوله وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس امة واحدة يعني في الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقديره انه لا مطمع في أن يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا اولاً على الكفر وانما أسلم بعضهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس امة واحدة وليس في الآية ما يدل على أي دين كانوا من ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه انهم كانوا في اول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث فطرة الاسلام ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعني انه سبحانه وتعالى جعل لكل امة أجلاً وقضى بذلك في سابق الازل قال الكافي هي امهال هذه الامة وانه لا يهلكهم بالعذاب (لقضى بينهم) يعني بتزول العذاب وتعجيل العقوبة للكافرين وكان ذلك فصلاً بينهم (فيما فيه يختلفون) وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكمه الله انه لا يقضى عليهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون يوم القيامة لقضى بينهم في الدنيا فادخل المؤمنين الجنة بايمانهم وادخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله انه لا يؤخذ أحد الا بعد اقامة الحجج عليه وقيل الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولولا رحمتي لعجل لهم العقوبة في الدنيا ولكن آخرهم برحمتي الى يوم القيامة ثم يقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا (ويقولون) يعني كفار مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) يعني هل انزل على محمد ما نتق برحمة عليه من الآيات (قل) أي قل لهم يا محمد (انما الغيب لله) يعني ان الذي سألتموه هو من الغيب وانما الغيب

(فاتظروا) نزول ما اقترحتموه (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات (واذا أذقنا الناس) أهل مكة (رحمة) خصاوسعة (من بعد ضراء مستهم) (٣٠٨) يعنى القحط والجوع (اذا لهم مكر فى آياتنا) أى مكر وابتاء بدفعها وانكارها

روى انه تعالى سلب القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلم ارحمهم طفقوا بطغنون فى آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه فاذا الاولى للشرط والثانية جوابها وهى للمفاجأة وهو كقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون أى وان تصبهم سيئة فنتوا واذا أذقنا الناس رحمة مكرها والمكر اخفاء الكيد وطيبة من الجارية المذكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطهم حتى أحسوا بسوء أثرها فبهم وانما قال (قل الله أسرع مكرًا) ولم يصفهم بسرعة المكر لان كلمة المفاجأة دلت على ذلك كأنه قال واذا ارحناهم من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء (ان رسلنا) يعنى الحفظة (يكتبون ما نمكرون) اعلام بان ما تظنونه خافيا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وبالباء سهل (هو الذى يسيركم فى البر والبحر)

لله لا يعلم أحد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم أحد منى نزول الآية الا هو (فاتظروا) يعنى نزولها (انى معكم من المنتظرين) وقيل معناه فاتظروا فضاء الله بيننا باظهار الحق على المبطل انى معكم من المنتظرين ﴿ قوله عز وجل (واذا أذقنا الناس رحمة) يعنى رضاء ونعمة (من بعد ضراء مستهم) يعنى من بعد شدة وبلاء ضربق فى اهبش أصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله سبحانه وتعالى حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله سبحانه وتعالى رحمهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى أخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضرفلم تعظوا بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله سبحانه وتعالى (اذا لهم مكر فى آياتنا) قال مجاهد أى تكذيب واستنزاع وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقىنا بنوء كذا وكذا وابدل على صحة هذا القول ما روى عن زيد بن خالد الجهنى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادى مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب أخرجاه فى الصحيحين قوله على أثر سماء كانت من الليل أى مطر كان قد وقع فى الليل وسمى المطر سماء لانه يقطر من السماء والانواء عند العرب هى منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يعتقدون فى الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر أو ريح كما يزعم المتجمعون أيضا فمن العرب من يجعل ذلك التأثير للطالع لانه ناء أى ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب فنفى النبي عليه السلام صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التأثير وأما من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة وأما من أسند ذلك الى العادة التى يجوز انحرافها فقد كرهه قوم وحرمه قوم ومنهم من تأول الكفر بكفر نعمة الله والله أعلم وسمى تكذيبهم بآيات الله مكر لان المكر عبارة عن صرف الشئ عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يمتثلون فى دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من المفسد (قل الله أسرع مكرًا) أى قل لهم يا محمد لله أعجل عقوبة وأشد أخذًا وأقدر على الجزاء وان عذابه فى هلاككم أسرع اليكم مما يأتى منكم فى دفع الحق ولما قابلو نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر أشد منه وهو امها لهم الى يوم القيامة (ان رسلنا يكتبون ما نمكرون) يعنى الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم الاعمال القبيحة السيئة الى يوم القيامة حتى يفتضحوا بها ويجزون على مكرهم ﴿ قوله تعالى (هو الذى يسيركم فى البر والبحر) يعنى هو الله الذى يسيركم يعنى يحمىكم فى البر على ظهور الدواب وفى البحر على الفلك وقيل معناه هو الله الهادى لكم فى السير فى البر والبحر طمبا للمعاش أو هو المهيء لكم أسباب السير فى البر والبحر (حتى اذا كنتم فى الفلك) يعنى السفن ولفظة الفلك تطلق على الواحد والجمع وتقديرهما مختلفان فان أريد بها الواحد كان كبناء قفل وان أريد بها الجمع كان كبناء أسد والمراد بها هنا الجمع لقوله تعالى (وجرى بهم) يعنى وجرت السفن بركابها فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليحجبهم منها ويستدعى منهم مزيد الانكار والتوبيخ وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم منزلة الخبر عن الغائب وكل من أقام الغائب مقام المخاطب حسن منه ان يردده الى الغائب وقيل ان الالتفات فى الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس من فصيح كلام العرب (بريح طيبة) يعنى وجرت السفن بريح طيبة ساكنة (وفرحوها) يعنى وفرح ركبان تلك الفلك

يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالارجل والدواب والفلك الجارية فى البحار أو يخلق فيكم السير بنشركم شامى بتلك (حتى اذا كنتم فى الفلك) أى السفن (وجرى بهم) أى السفن (بهم) بمن فيها رجوع من الخطاب الى الغيبة للمبالغة (بريح طيبة) ائنة الهيوب لا عاصفة ولا ضعيفة (وفرحوها) بتلك الريح لئلا ينها واستقامتها

(جاءتها) أي الفلك أو الريح الطيبة أي تلقمها (ريح عاصف) ذات عصف أي شديدة الهبوب (وجاءهم الموج) هو ماء اعلا على الماء (من كل مكان) من البحر أو من جميع أمكنة الموج (وظنوا أنهم أحيط بهم) أهل كوا جعل احاطة العدو بالخي مثلاً في الاهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ مع غيره يقولون (لئن أنجيتنا من هذه) الاهوال أو من هذه الريح (لتكونن من الشاكرين) لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك ولم يجعل الكون في الفلك (٣٠٩)

مضمون الجملة الشرطية

الواقعة بعد حتى بما في

حيزها كأنه قيل يسيركم حتى

إذا وقعت هذه الحادثة

وكان كيت وكيت من مجيء

الريح العاصف وتراكم

الامواج والظن والهلاك

والدعاء بالانجاء وجواب

إذا جاءتها ودعوا بديل من

طنوا الان دعاءهم من لوازم

ظنهم للهلاك فهو ملتبس به

(فلما أنجاهم إذا هم يبغون

في الارض) يفسدون فيها

(بغير الحق) باطلاً أي مبطلين

(بأيها الناس انما بغيكم

على أنفسكم) أي ظلمكم

يرجع اليكم كقوله من

عمل صالحاً فلنفسه ومن

أساء فعليها (متاع الحياة

الدنيا) حفص أي تمتعون

متاع الحياة الدنيا وعلى

أنفسكم خبر بغيكم غيره

بالرفع على انه خبر بغيكم

وعلى أنفسكم صلته كقوله

فبني عليهم ومعناه انما

بغيكم على أمثالكم أو هو خبر

ومتاع خبر بعد خبراً ومتاع

خبر مبتدأ مضمراً أي هو متاع

الحياة الدنيا وفي الحديث

أسرع الخير ثواباً صلة

بتلك الريح الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرّة العظيمة بذلك (جاءت الريح عاصف) قيل ان الضمير في جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح عاصف شديدة فأقربتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع الى الفلك يعني جاءت الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصف الريح شتدت وأصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه أراد به ذات عصف أو لاجل ان لفظ الريح قديد كر (وجاءهم الموج من كل مكان) يعني وجاء ركبان السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلامن غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (وظنوا أنهم أحيط بهم) يعني وظنوا ان الهلاك قد أحاط بهم وأحدق وقيل المراد من الظن اليقين أي وأيقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه (دعوا الله مخلصين له الدين) يعني انهم أخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا أحدا سواه من آلهتهم وقيل في معنى هذا الاخلاص العلم الحقيقي لا الاخلاص الايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضرر وبلاء أخلصوا الله الدعاء (لئن أنجيتنا) أي قائلين لئن أنجيتنا يا ربنا (من هذه) يعني من هذه الشدائد التي نحن فيها وهي الريح العاصفة والامواج الشديدة (لتكونن من الشاكرين) يعني من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من هذه الشدة (فلما أنجاهم) يعني فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من الشدة التي كانوا فيها (إذا هم يبغون في الارض بغير الحق) يعني انهم أخلفوا الله ما وعدوه وبغوا في الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما أمر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها وأصل البغي مجاوزة الحد قال صاحب المفردات البغي على ضربين أحدهما مجرود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل أو الى الشبهة قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسالمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني قريظة (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) يعني ان وبال بغيكم راجع عليكم (متاع الحياة الدنيا) قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بغي بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لزيد الآخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم لا يتبها ان يبغى بعضكم على بعض الأيما قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها في سرعة انقضائها والبغي من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بغي جبل على جبل لاندك الباغى وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعراً وكان المأمون يمثل به فقال

يا صاحب البغي ان البغي مصرعة \* فارجع غير مقال المرء أعدله

فلو بغي جبل يوماً على جبل \* لاندك منه أعاليه وأسفله

وقوله سبحانه وتعالى (ثم اليانامر جمعكم) يعني يوم القيامة (فنبئكم) أي فنخبركم (بما كنتم تعملون)

يعنى في الدنيا من البغي والمعاصي فنجاز يكملها قوله عز وجل (انما مثل الحياة الدنيا) يعني في فناءها

الرحم وأعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يجهلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله

عنهما ولو بغي جبل على جبل لاندك الباغى وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على

أنفسكم ولا يحق المكر السيء الا باهله ومن نكث فأنما ينكث على نفسه (ثم اليانامر جمعكم فنبئكم بما كنتم تعملون) فنخبركم به ونجاز يكمل عليه (انما مثل الحياة الدنيا

كما أنزلناه من السماء من السحاب (فاختلط به) بالماء (نبات الأرض) أي فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً (مماياً كل الناس) يعني الحبوب والثمار والبقول (والانعام) يعني الحشيش (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) زيتها بالسبات واختلاف ألوانه (وازينت) وتزينت به وهو أصله وأدغمت التاء في الزى وهو كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا خدت الثياب الفاخرة من كل لون فاكنتها تزينت بها من ألوان الزين (وظن أهلها) أهل الأرض (أنهم قادرون عليها) متمكنون من نعمتها بحصول ثمرتها رافعون لغلتها (أناها امرناً) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمهم واستيقانهم أنه قد سلم (ليلاً ونهاراً) جعلنا زرعها (حصيداً) شبيهاً بما يحصل من الزرع في قطعه واستنصاله (كان لم تغن) كان لم يغن زرعها أي لم يلبث حذف المضاف في هذه المواضع لابد منه يستقيم المعنى (٣١٠) (بالامس) هو مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن آفة (كذلك تفصل الآيات لقوه

يتفكرون) فينتفعون بضرب الامثال وهذا من التشبيه المركب شبيهت حال الدنيا في مرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيقه والتفنيه على حكمة التشبيه أن الحياة صفوها شبيبتها وكدرها شبيبتها كما أن صفو الماء في أعلى الاناء قال ألم تر أن العمر كاس سلاقة فآوله صفوا آخره كدر وحقيقته تزين جنة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين فالطينة الطيبة تنبت بساتين الانسور يا حين الروح وزهرة الزهد وكرم الكرم وحبوب الحب وحدائق الحقيقة وشقائق

وزواها (كما أنزلناه من السماء) يعني المطر (فاختلط به) أي بالمطر (نبات الأرض) قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون (مماياً كل الناس) يعني من الحبوب والثمار (والانعام) يعني ومماياً كل الانعام من الحشيش ونحوه (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) يعني حسنها ونضارتها وبهجتها وأظهرت ألوان زهرها من أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من الزهور (وازينت) أي وتزينت (وظن أهلها) يعني أهل تلك الأرض (أنهم قادرون عليها) يعني على جدادها وقطافها وحصادها رد الكناية إلى الأرض والمراد بالنبات إذ كان مفهوماً وقيل رده إلى الثمرة والغلة وقيل إلى الزينة (أناها امرناً) أي قضاؤها بأهلها (ليلاً ونهاراً) يعني في الليل أو النهار (جعلنا حصيداً) يعني محسودة مقطوعة (كان لم تغن بالامس) يعني كأن لم تكن تلك الاشجار والنبات والزروع نابتة قائمة على ظهر الأرض وأصله من غنى فلان بالمكان إذا أقام به وهو مثل ضرب به الله سبحانه وتعالى للمتشبهين بالدنيا الراغبين في زهرتها وحسنها وذلك أنه تعالى لما قال يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا أتبعه بهذا المثل لمن بغي في الأرض وتجبر فيها وركن إلى الدنيا وأعرض عن الآخرة لان النبات في أول بروزه من الأرض ومبدأ خروجه يكون ضعيفاً فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوى وحسن واكتسى كمال الرواق والزينة وهو المراد من قوله حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشيء وجعلت الأرض آخذة زخرفها على التشبيه بالعروس إذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمره وخصرة وصفرة وبياض ولا شك أن الأرض متى كانت على هذه الصفة فإنه يفرح بها أصحابها ويعظم رجاؤه في الانتفاع بها وبما فيها ثم إن الله سبحانه وتعالى أرسل على هذه الأرض صاعقة أو برداً أو ريحاً فجعلها حصيداً كان لم تكن من قبل قال قتادة إن المتشبه بالدنيا ياتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس منه ولان المتمسك بالدنيا إذا نال منها بغيته أناه الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل أن يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك لان الزرع إذا انتهى وتكامل في الحسنى إلى الغاية القصوى أنه آفة تلتف بالكلية ثم إن الله سبحانه وتعالى قادر على اعادته كما كان أول مرة فضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ليدل على أن من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادر على اعادة الاموات أحياء في الآخرة ليجازيهم على أعمالهم فيثيب الطائع ويعاقب العاصي (كذلك تفصل الآيات لقوم يتفكرون) يعني

الطريقة والخبيثة تخرج خلاف الخلف وتمام الهم وشوك الشرك وشيخ الشح وحطب العطب ولعاع اللعب ثم كما يدعوه معاده كما يحيى للعرج حصاده فتزايله الحياة مغترا كما يهيج النبات مصفراً فتغيب جثته في الرمس كأن لم تغن بالامس إلى أن يعود ربيع البعث وموعد العرض والبحث وكذلك حال الدنيا كالماء ينفع قليلاً ويهلك كثيراً ولا بد من ترك ما زاد كما لا بد من أخذ الزاد وأخذ المال لا ينجل من زله كما أن خائض الماء لا ينجو من بله وجمعه وامساكه تلف صاحبه واهلاكه فإدوان النصاب بضحاح ماء يجاوز بلا احتناء والنصاب كنه حائل بين المجتاز والجواز إلى المفاض لا يمكن الا بقطرة وهي الزكاة وعمارتها بذل الصلوات فتختل القنطرة غرقه أمواج القناطر المقنطرة وعن هذا قال عليه السلام الزكاة قنطرة الاسلام وكذا المال يساعد الاوغاد دون الاجاد كما أن الماء يجتمع في الوهاد دون النجاد وكذلك المال لا يجتمع الا بكد البخيل كما أن الماء لا يجتمع الا بسد المسيل ثم يفتى ويتلف ولا يبقى كالماء في الكف

(والله يدعو الى دار السلام) هي الجنة اضافة الى اسمه تعظيما لها والسلام السلامة لان (٣١١) أهلها سالمون من كل مكروه وقيل

لفشو السلام بينهم وتسليم  
الملائكة عليهم الا قبلا  
سلاما سلاما (ويهدى من  
يشاء) ويوفق من يشاء  
(الى صراط مستقيم) الى  
الاسلام أو طريق السنة  
فالدعوة عامة على لسان  
رسول الله بالدلالة والهداية  
خاصة من لطف المرسل  
بالتوفيق والعناية والمعنى  
يدعو العباد كلهم الى دار  
السلام ولا يدخلها الا  
المهديون (للذين أحسنوا)  
آمنوا بالله ورسوله  
(الحسنى) المثوبة الحسنى  
وهي الجنة (وزيادة) رؤية  
الرب عز وجل كذا عن  
أبي بكر وحذيفة وابن  
عباس وأبي موسى  
الاشعري وعبادة بن  
الصامت رضى الله عنهم  
وفي بعض التفاسير أجمع  
المفسرون على أن الزيادة  
النظر الى الله تعالى وعن  
صهيب أن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال اذا دخل  
أهل الجنة الجنة يقول الله  
تبارك وتعالى أتر يدون  
شيئا أز يدكم فيقولون ألم  
تبيض وجوهنا لم تدخلنا  
الجنة وتنجننا من النار قال  
فيرفع الحجاب فينظرون الى  
الله تعالى فما أعطوا شيئا  
أحب اليهم من النظر الى  
رهبهم ثم تلا ذلك بن أحسنوا

كما يذالك مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكروا واعتبر ليكون ذلك  
سبباً مما جبال زال الشك والشبهة من القلوب ٥ قوله سبحانه وتعالى (والله يدعو الى دار السلام) لما ذكر الله  
زهرة الحياة الدنيا وأنها فانية زائلة لا محالة دعا الى داره دار السلام قال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى  
هذا السلام اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه أنه سبحانه وتعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء  
والتغير وقيل أنه سبحانه وتعالى يوصف بالسلام لان الخلق سالمون من ظلمه وقيل أنه تعالى يوصف بالسلام  
بمعنى ذى السلام أى لا يقدر على تخليص العاجزين من المكاره والآفات الا هو وقيل دار السلام اسم  
للجنة وهو جمع سلامة والمعنى أن من دخلها فقد سلم من جميع الآفات كالموت والمرض والمصائب والحزن  
والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لان الله سبحانه وتعالى يسلم على أهلها وتسلم الملائكة  
عليهم قيل ان من كمال رجة الله وجوده وكرمه على عباده أن دعاهم الى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل  
على أن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو الا الى عظيم ولا يصف  
الاعظيما وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجنة في آيات كثيرة من كتابه (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم)  
يعنى والله يهدى من يشاء من خلقه الى صراطه المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة أو لا اظهار للحجة  
وخص بالدعوة ثانياً استغناء عن الخلق واظهار القدرة فخصت المغيرة بين الدعوتين (خ) عن جابر  
قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب  
يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثلاً فاضربوا له مثلاً فقالوا مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً  
فن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا  
أولها يفقهها فان العين نائمة والقلب يقظان فقال بعضهم الدار الجنة والداعي محمد فن أطاع محمد فقد أطاع  
الله ومن عصى محمد فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقال انى رأيت في المنام كأن جبريل عليه السلام عند رأسى وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه  
اضرب له مثلاً وعن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلاً صراطاً  
مستقيماً على كنى الصراط دار ان لهما أبواب مفتحة على الابواب ستور وداع يدعو على رأس الصراط  
وداع يدعو فوقه والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم والابواب التي على كنى  
الصراط حدود الله فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستور الذى يدعو من فوقه واعطى ربه أخرجه  
الترمذى وقال حديث حسن غريب ٥ قوله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى) قال ابن عباس للذين  
شهدوا أن لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين أحسنوا عبادة الله في الدنيا من خلقه وأطاعوه فيما أمرهم  
به ونهاهم عنه الحسنى قال ابن الانبارى الحسنى في اللغة تأنيث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة  
المحبوبة والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين أحسنوا المثوبة الحسنى (وزيادة) اختلف المفسرون  
في معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على أقوال القول الاول أن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر الى وجه  
الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق وحذيفة وأبو موسى الاشعري وعبادة بن  
الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحك ومقاتل والسندي ويدل على صحة هذا القول المنقول والمعقول  
أما المنقول فما روى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول  
الله تبارك وتعالى أتر يدون شيئا أز يدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا لم تدخلنا الجنة وتنجننا من النار قال  
فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الآية  
للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي صلى

الحسنى وزيادة والمحب من صاحب الكشاف أنه ذكر هذا الحديث لانه قوله وقال انه حديث مدفوع مع أنه مدفوع قد أورد صاحب  
المصابيح في الصحاح وقيل زيادة المحبة في قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان

الله عليه وسلم في قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله الكرم وعن أبي بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه وتعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله الكرم وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله وعن أبي موسى الأشعري قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى أهل الجنة مناديا ينادى هل أنجزكم الله ما وعدكم به فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعها أبو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكروه بمعناه وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله لهم هل بقي من حاكم شيء لم تعطوه قال فيتعجل لهم عز وجل قال فيصغر عندهم كل شيء أعطوه ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة هي النظر الى وجه ربهم فهذه الاخبار والآثار قد دلت على أن المراد بهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تبارك وتعالى وأما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت الى المعهود السابق وهو الجنة في قوله سبحانه وتعالى والله يدعوا الى دار السلام فثبت بهذا ان المراد من لفظة الحسنى هي الجنة واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمرامغاير الكل ما في الجنة من النعيم والا لزم التكرار واذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وعمائيو كذلك قوله سبحانه وتعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة فثبت لأهل الجنة أمرين أحدهما النظارة وهو حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى وآيات القرآن يفسر بعضها بعضا فوجب حمل الحسنى على الجنة ونيعمها وحمل الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وقالت المعتزلة لا يجوز حمل هذه الزيادة على الرؤية لان الدلائل العقلية دلت على ان رؤية الله سبحانه وتعالى ممتنعة ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيدي عليه ورؤية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه ولان جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة على غير الرؤية فاتفق ما قلتم أجاب أصحابنا عن هذه الاعتراضات بان الدلائل العقلية قد دلت على إمكان وقوع رؤية الله تعالى في الآخرة واذا لم يوجد في العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الاحاديث الصحيحة باثبات الرؤية وجب المصير اليها واجراءها على ظواهرها من غير تشبيه ولا احاطة وأجيب عن قولهم ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيدي عليه بان المزيدي عليه اذا كان بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه واذا لم يكن بمقدار معين وجب أن تكون الزيادة مخالفة له فالمدكور في الآية لفظ الحسنى وهي الجنة ونيعمها غير مقدر بقدر معين فوجب ان الزيادة عليها تكون شيئا مغايرا لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية وأجيب عن قولهم ولان جماعة من المفسرين حملوا الزيادة على غير الرؤية بانه معارض بقول جماعة من المفسرين بان الزيادة هي الرؤية والمثبت مقدم على النافي والله أعلم القول الثاني في معنى هذه الزيادة ما روى عن علي بن أبي طالب انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة ابواب القول الثالث ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة والى سبعمائة قال ابن عباس هو مثل قوله سبحانه وتعالى ولدين امرئ يقول بحزبهم بعملهم ويزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة وقوله سبحانه وتعالى (ولا يرهق وجوههم) يعني ولا يعشى وجوه أهل الجنة (قتر) أي كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه (ولا ذلة) يعني ولا هو ان قال ابن أبي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) يعني

(ولا يرهق وجوههم) ولا يعشى وجوههم (قتر) غيرة فيها سواد (ولا ذلة) ولا أثره وان والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق أهل النار (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)



والذين كسبوا) عطف على الذين أحسنوا أي وللذين كسبوا (السيئات) فنون الشرك (جزاء سيئة بمثلها) الباء زائدة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أو التقدير جزاء سيئة مقدره بمثلها (وترهقهم ذلة) ذل وهو ان (ما لهم من الله) من عقابه (من عاصم) أي لا يعصمهم أحد من سخطه وعقابه (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلمًا) أي جعل عليها (٣١٣) غطاء من سواد الليل أي هم سود الوجوه وقطعا جمع قطعة وهو مفهول ثان لا غشيت قطعاً مكي وعلى من قوله بقطع من الليل وعلى هذه القراءة مظلماً صفة لقطع وعلى الأول حال من الليل والعامل فيه أغشيت لان من الليل صفة لقطعاً فكان افضاؤه الى الموصوف كفضائه الى الصفة أو معنى الفعل في من الليل (أولئك أصحاب النار) أي أصحاب النار (أولئك خالدون) أي الكفار وغيرهم (جميعاً) حال (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم (أنتم) أي كذب الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه (فزيلنا) ففرقنا (بينهم) وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا (وقال شركاؤكم) من عبده من دون الله من أولى العقل أو الاصنام ينقطعها الله عز وجل (ما كنتم آياتا تعبدون) أي كنتم آياتنا من عبادة الله عز وجل (ما كنتم آياتا تعبدون) أي كنتم آياتنا من عبادة الله عز وجل (ما كنتم آياتا تعبدون) أي كنتم آياتنا من عبادة الله عز وجل

ان هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم أصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها أبداً قوله سبحانه وتعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) اعلم انه لما شرح الله سبحانه وتعالى أحوال المحسنين وما أشد لهم من الكرامة شرح في هذه الآية حال من أقدم على السيئات والمراد بهم الكفار فقال سبحانه وتعالى والذين كسبوا السيئات يعني والذين هملوا السيئات والمراد بها الكفر والمعاصي جزاء سيئة بمثلها يعني فالهم جزاء السيئة التي عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات لان الحسنات يضاعف ثوابها العام لها من الواحدة الى العشرة الى السبع مائة الى أضعاف كثيرة وذلك تفضلاً منه وتكرماً وأما السيئات فإنه يجازى عابها بمثلها عدلاً منه سبحانه وتعالى (وترهقهم ذلة) قال ابن عباس يغشاهم ذل وشدة وقيل يغشاهم ذل وهو ان لعقاب الله اياهم (ما لهم من الله من عاصم) يعني ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذا نزل بهم (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلمًا) يعني كأنما ألبيت وجوههم سواداً من الليل المظلم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) قوله سبحانه وتعالى (ويوم نحشرهم جميعاً) الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى ويوم تجمع الخلائق جميعاً لتوقف الحساب وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أي الزموا مكانكم وانبتوا فيه حتى تستلوا وفي هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين (أنتم وشركاؤكم) يعني أنتم أيها المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله (فزيلنا بينهم) يعني ففرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا فان قلت قوله سبحانه وتعالى فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضي بعد قوله ثم نقول للذين أشركوا وهو منتظر في المستقبل فما وجه قلت السبب فيه ان الذي حكم الله فيه بأنه سيكون صار كالكاثر الآن قوله (وقال شركاؤهم) يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما ما هم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيباً من أموالهم وأولادهم سبحانه وتعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء في هذا الخطاب (ما كنتم آياتا تعبدون) تبرأ المعبدون من العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام وهي جادار روح فيها ولا عقل لها قلت يحتمل ان الله سبحانه وتعالى خاق لها في ذلك اليوم من الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام فان قلت اذا أحياهم الله في ذلك اليوم فهل يفنيهم أو يبقيهم قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شيء من أفعاله وأحوال القيامة غير معلومة الاما دل عليه الدليل من كتاب أو سنة فان قلت ان الاصنام قد أنكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها قلت قد تقدمت هذه المسئلة وجوابها في تفسير سورة الانعام ونقول هنا قال مجاهد تكون في يوم القيامة ساعة تكون فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدوننا فيقولون والله اياكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة (فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين) والمعنى قد علم الله وكفى به شهيداً انما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن عبادتكم آياتاً من دون الله الا غافلين ما نشعر بذلك أم قوله سبحانه وتعالى (هنالك تباوكل نفس ما أسلفت) فهو كالتملة لآية المتقدمة والمعنى في ذلك المقام أو ذلك الموقف أو ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان وفي قوله تباوكل نفس ما أسلفت وها معنيان أحدهما

(٤٠ - (خازن) - ثاني) ان تتخذوا لله أنداداً فاطعموهم وهو قوله ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة هؤلاء اياكم الى قوله بل كانوا يعبدون الجن (فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم) أي كفى بالله شهيداً وهو تمييز (ان كنا عن عبادتكم لغافلين) ان محفقة من الثقلية واللام فارقة بينها وبين النافية (هنالك) في ذلك المكان أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تباوكل نفس) تخبرو وتذوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أقبیح أم حسن أنافع أم ضار أم مقبول أم مردود وقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت

(٤٠ - (خازن) - ثاني) ان تتخذوا لله أنداداً فاطعموهم وهو قوله ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة هؤلاء اياكم الى قوله بل كانوا يعبدون الجن (فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم) أي كفى بالله شهيداً وهو تمييز (ان كنا عن عبادتكم لغافلين) ان محفقة من الثقلية واللام فارقة بينها وبين النافية (هنالك) في ذلك المكان أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تباوكل نفس) تخبرو وتذوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أقبیح أم حسن أنافع أم ضار أم مقبول أم مردود وقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت

تتلو حزة وعلى أي تتبع ما أسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة والنار وتقرأ في صحيفتها ما قدمت من خيراً وشراً كما عن الاخش  
(وردوا الى الله مولاهم الحق) ربهم الصادق في ربه بو بيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لرب بو بيته حقيقة أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم  
العدل الذي لا يظلم أحداً (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء لله أو بطل عنهم ما كانوا يخلقون من الكذب  
وشفاعة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أم من يملك السمع والابصار) من يستطيع خلقهما وتسويتهما  
على الحد الذي سوا باعياه من الفطرة (٣١٤) الجببية أو من يحميها من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما الطيفان

يؤذيها أدنى شيء (ومن  
يخرج الحي من الميت  
ويخرج الميت من الحي)  
أي الحيوان والفرخ والزرع  
والمؤمن والعالم من النطفة  
والبيضة والحب والكافر  
والجاهل وعكسها (ومن  
يدبر الأمر) ومن يلي  
تدبير أمر العالم كله جاء  
بالعموم بعد الخصوص  
(فسـ يقولون الله  
فسيجيئونك عند سؤالك  
ان القادر على هذه هو  
الله (فقل أفلاتتقون)  
الشرك في العبودية اذا  
اعترفتم بالربوبية (فذاكم  
الله) أي من هذه قدرته  
هو الله (ربكم الحق)  
الثابت ربو بيته ثبانا  
لا ريب فيه لمن حقق  
النظر (فماذا بعد الحق  
الا الضلال) أي لا واسطة  
بين الحق والضلال فمن  
تخطى الحق وقع في الضلال  
(فأني تصرفون) عن الحق  
الى الضلال وعن التوحيد  
الى الشرك (كذلك)

انه من تلاه اذا تبعه أي تتبع كل نفس ما أسلفت لان العمل هو الذي يهدي النفس الى الثواب أو العقاب  
الثاني أن يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرأ صحيفتها عملها من خيراً وشراً وقريء تبلو بالتاء المثناة والباء  
الموحدة ومعناه تخبر وتعلم البلو الاختبار ومعناه اختبارها ما أسلفت يعني أنه ان قدم خيراً أو شراً قدم عليه  
وجوزى به (وردوا الى الله مولاهم الحق) الرد عبارة عن صرف الشيء الى الموضوع الذي جاء منه والمعنى وردوا  
الى ما يظهر لهم من الله الذي هو مالكم ومتولى أمرهم فان قلت قد قال الله سبحانه وتعالى في آية أخرى وأن  
الكافرين لا مولى لهم فما الفرق قلت المولى في اللغة يطلق على المالك و يطلق على الناصر فعني المولى هنا  
المالك ومعنى المولى هناك الناصر فصل الفرق بين الآيتين (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) يعني وبطل  
وذهب ما كانوا يكذبون فيه في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا قوله عز وجل (قل من يرزقكم  
من السماء والارض) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعني المطر والارض يعني النبات  
(أم من يملك السمع والابصار) يعني ومن أعطاكم هذه الحواس التي تسمعون بها وتبصرون بها (ومن  
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) يعني انه تعالى يخرج الانسان حيًا من النطفة وهي ميتة  
وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحي ويخرج البيضة الميتة من الطائر الحي  
وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول أقرب الى الحقيقة (ومن يدبر  
الأمر) يعني ان مدبر أمر السموات وما فيها ومدبر أمر الارض وما فيها هو الله تعالى وذلك قوله (فسيقولون  
الله) يعني أنهم يعترفون أن فاعل هذه الاشياء هو الله واذ كانوا يقولون بذلك (فقل) أي قل لهم يا محمد  
(أفلاتتقون) يعني أفلاتتخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التي لا تنصر ولا تنفع ولا تصد على شيء  
من هذه الامور (فذاكم الله ربكم الحق) يعني فذاكم الذي يفعل هذه الاشياء ويقدر عليها هو الله ربكم  
الحق الذي يستحق العبادة لاهذه الاصنام (فماذا بعد الحق الا الضلال) يعني اذا ثبت بهذه البراهين  
الواضحة والدلائل القطيعة ان الله هو الحق وجب أن يكون ما سواه ضلالاً وباطلاً (فأني تصرفون)  
يعني اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستخرون العدول عن الحق الى الضلال الباطل  
(كذلك) أي كما ثبت أنه ليس بعد الحق الى الضلال (حققت) أي وجبت (كلمت ربك) في الازل  
(على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) قيل المراد بكلمة الله قضاؤه عليهم في اللوح المحفوظ انهم لا يؤمنون  
وقضاؤه لا يرد ولا يدافع (قل هل من شركائكم) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم يعني هذه  
الاصنام التي تزعمون انها آلهة (من يبدأ الخلق) يعني من يقدر على ان يبتدئ الخلق على غير مثال سبق (ثم  
يعيده) أي ثم يعيده بعد الموت كهيشته أول مرة وهذا السؤال استفهام انكار (قل) أي قل أنت يا محمد (الله  
يبدأ الخلق ثم يعيده) يعني ان الله هو القادر على ابتداء الخلق واعادته (فأني تؤفكون) يعني فاني تصرفون

مثل ذلك الحق (حققت كلمت ربك) كلمات شامية ومدني أي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم تصرفون عن  
عن الحق فكذلك حققت كلمت ربك (على الذين فسقوا) تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه (أنهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة  
أي حق عاينهم اتفاء الايمان أو حق عليهم كلمة الله أن ايمانهم غير كائن أو أراد بالكلية العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل أي لانهم لا  
يؤمنون (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) انما ذكر ثم يعيده وهم غير مقرين بالاعادة لانه لظهور برهانها جعل أمر مساهما  
على أن فيهم من يقر بالاعادة ويحتمل اعادة غير البشر كاعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أمر نبيه بان  
ينوب عنهم في الجواب يعني أنهم لا تدعهم مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم (فأني تؤفكون) فكيف تصرفون عن قصد السبيل

(قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق) يرشده إليه (قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي) يقال هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شري بمعنى اشترى ومنه قراءة حزة على أمن لا يهدي بمعنى يهتدى لا يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكى وشامى وورش بانضمام الهاء فتحة أبو عمرو ووبكسر الهاء وفتح الياء عاصم غير يحيى والاصل يهتدى وهى قراءة عبد الله فادغمت التاء فى الدال وفتحت الهاء بحركة التاء (٣١٥) او كسرت لالتقاء الساكنين

عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الأمر الواضح وعدلوا عنه إلى غيره (قل) أى قل يا محمد (هل من شركائكم من يهدي إلى الحق) يعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على أن يرشد إلى الحق فاذا قالوا لا بلدهم من ذلك (قل) أى قل لهم أنت يا محمد (الله يهدي للحق) يعنى أن الله هو الذى يرشد إلى الحق لا غيره (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم لا يهدي إلا أن يهدي) يعنى ان الله هو الذى يهدي إلى الحق فهو أحق بالاتباع لاهذه الاصنام التى لا يهدي إلا أن تهدي فان قلت الاصنام جاد لا تتصور هدايتها ولا أن تهدي فكيف قال إلا أن يهدي قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوهاً الأولى أن معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان إلى مكان فىكون المعنى أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان آخر إلا أن تحمل وتنقل فبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الاصنام الوجه الثانى أن ذكر الهداية فى حق الاصنام على وجه المجاز وذلك أن المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عن يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الأمر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل أن يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدي إلى الحق رؤساء الكفر والضلالة فإله سبحانه وتعالى هدى الخلق إلى الدين بما أظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته وأما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله إلى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته أولى من اتباع غيره ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (فألكم كيف تحكمون) قال الزجاج فألكم كلام تام كأنه قيل لهم أى شئ لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على أى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شرى كما قيل معناه بشما حكمتم اذ جعلتم لله شرى كما من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية (وما يتبع أكثرهم الاظنا) يعنى وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم فى شك منه وريبة وقيل المراد بالاكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الرؤساء (ان الظن لا يغنى من الحق شيئاً) يعنى ان الشك لا يغنى عن اليقين شيئاً ولا يقوم مقامه وقيل فى الآية ان قولهم ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول يعنى انها لا تدفع عنهم من عذاب الله شيئاً (ان الله عليم بما يفعلون) يعنى من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين ﴿وقوله تعالى﴾ (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) يعنى وما كان ينبغى لهذا القرآن ان يختلق ويفتعل لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شئ يمكن أن يفترى به على الله لان المفترى هو الذى يأتى به البشر وذلك أن كفار مكة زعموا أن محمد صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل أن هذا القرآن وحى أنزله الله عليه وأنه مبرأ عن الافتراء والكذب وأنه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى ثم ذكر سبحانه وتعالى ما يؤكده هذا بقوله (ولكن تصديق الذى بين يديه) يعنى ولكن الله أنزل هذا القرآن مصدقاً لما قبله من الكتب التى أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل وتقرى بهذا أن محمد صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن بالباطل حيث تزعمون

أنهم أتوا الله (وما يتبع أكثرهم) فى قولهم للاصنام انها آلهة وانها تشفع عند الله والمراد بالاكثر الجميع (الاظنا) بغير دليل وهو افتداهم باسلافهم ظناً منهم أنهم مصيبون (ان الظن لا يغنى من الحق) وهو العلم (شيئاً) فى موضع المصدر أى اغناء (ان الله عليم بما يفعلون) من اتباع الظن وترك الحق (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) أى افتراء من دون الله والمعنى وما صح بالاستقام أن يكون مثله فى علو أمره وعجزه مفترى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ما تقدم من الكتب المنزلة

أنهم أتوا الله (وما يتبع أكثرهم) فى قولهم للاصنام انها آلهة وانها تشفع عند الله والمراد بالاكثر الجميع (الاظنا) بغير دليل وهو افتداهم باسلافهم ظناً منهم أنهم مصيبون (ان الظن لا يغنى من الحق) وهو العلم (شيئاً) فى موضع المصدر أى اغناء (ان الله عليم بما يفعلون) من اتباع الظن وترك الحق (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) أى افتراء من دون الله والمعنى وما صح بالاستقام أن يكون مثله فى علو أمره وعجزه مفترى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ما تقدم من الكتب المنزلة

(وتفصيل الكتاب) وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم (لاريب فيه من رب العالمين) داخل في خبر الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً منتفياً عنه الريب كائناً من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقاً من رب العالمين وتفصيلاً منه لاريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقاً بتصديق وتفصيل ويكون لاريب فيه اعتراضاً كما تقول زيد لاشك فيه كريمة (أم يقولون افتراء) بل أي يقولون اختلقه (٣١٦) (قل) ان كان الامر كما تزعمون (فاتوا) أتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) أي

شبيهة به في البلاغة وحسن النظم فاتم مثلي في العربية (وادعو من استطعتم من دون الله) أي وادعو من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين) أنه افتراء (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وما ياتهم تاويله) بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن في بديهته السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويفقوا على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع في وما ياتهم تاويله أنهم كذبوا به على البديهية قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليداً للآباء وكذبوه بعد التدبر تمرداً وعناداً قدمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدي

العظيم المجزوف فيه أخبار الاواين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولولم يكن كذلك لقد حو افيه لعداوة أهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه أحد من أهل الكتاب علم بذلك أن ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما في التوراة والانجيل مع القطع بأنه ما علم ما فيها فثبت بذلك أنه وحى من الله أنزله عليه وأنه مصدق لما بين يديه وأنه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى قوله ولكن تصديق الذي بين يديه يعني من أخبار الغيوب الآتية فانها جاءت على وفق ما أخبر (وتفصيل الكتاب) يعني وتبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والاحكام (لاريب فيه من رب العالمين) يعني أن هذا القرآن لاشك فيه أنه من رب العالمين وأنه ليس مفترى على الله وأنه لا يقدر أحد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله سبحانه وتعالى (أم يقولون افتراء) يعني أم يقول هؤلاء المشركون افتري محمد هذا القرآن واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل أم بمعنى الواو أي ويقولون افتراء (قل) أي قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون (فاتوا بسورة مثله) يعني بسورة شبيهة به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فاتم عرب مثلي في الفصاحة والبلاغة فان فات قال الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة فاتوا بسورة من مثله وقال سبحانه وتعالى هنا فاتوا بسورة مثله فافادة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم أمياً لم يقرأ ولم يكتب وأتى بهذا القرآن العظيم كان مجزاً في نفسه فقيل لهم فاتوا بسورة من مثله يعني من انسان أي مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراءة وأما قوله سبحانه وتعالى فاتوا بسورة مثله أي فاتوا بسورة تساوى سور القرآن في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله فاتوا بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله (وادعو من استطعتم من دون الله) يعني وادعوا للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه (ان كنتم صادقين) يعني في قولكم ان محمداً افتراء ثم قال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يعني القرآن أي كذبوا بما لم يعلموه قال عطاء يربيدانه ايس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب وغيرها مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل انهم لما سمعوا ما في القرآن من القصص واخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوا قبل ذلك أنكروها والجهلهم فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر أحد على استيعابها وتحصيلها (ولما ياتهم تاويله) يعني انهم كذبوا به ولم ياتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القرآن به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما تؤول اليه عاقبة أمرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلاً ولا علموه تاويله فلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم تاويله (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعني كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذب الامم الماضية أنبياءهم فيما وعدوهم به (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك تكون عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل أن يكون

وجو بواقواهم في المعارضة وعرفوا معجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسداً (كذلك) مثل ذلك التكذيب (كذب) ان الذين من قبلهم) يعني كفار الامم الماضية كذبوا رسالهم قبل النظر في معجزاتهم وقبل تدبرها عناداً وتقليداً للآباء ويجوز أن يكون معنى ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب أي عاقبته حتى يبين لهم أهو كذب أم صدق يعني أنه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمهم ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمهم وبلوغه حد الاعجاز وقيل أن يجربوا أخباره بالغيبيات وصدقوه وكذبوه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)

ومنهم من يؤمن به) بالنبي أو بالقرآن أى يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند بالكذب (ومنهم من لا يؤمن به) لا يصدق به ويشك فيه أو يكون للاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وربك أعلم بالفسدين) بالمعاندن أو المصريين (وان كذبوك) وان تواعلي تكذيبك ويشت من اجابتهم (فقل لى عملى) جزاء عملى (ولكم عملكم) جزاء أعمالكم (أتم بريثون مما عمل وأنابرى مما تعملون) فكل مؤاخذ بعمله (ومنهم من يستمعون اليك) ومنهم ناس (٣١٧) يستمعون اليك اذا قرأت القرآن

وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعنون ولا يقبلون فهم كالصم (أفانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) أ تسمع أنك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صمهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صاخه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الامر (ومنهم من ينظر اليك) ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون (أفانت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون) أنت حسبانك تقدر على هداية العمى ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذى له فى قلبه بصيرة قد يحدث وأما العمى مع الحق فجهد البلاء يعنى انهم فى اليأس من أن يقبلوا وصدقوا كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر (ان الله لا يظلم الناس شيئاً) ولكن الناس أنفسهم

الخطاب لكل فرد من الناس والامنى فانظر أيها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر أن تفعل مثل فعله ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ومنهم من يؤمن به) يعنى ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقرآن (ومنهم من لا يؤمن به) لعلم الله السابق فيه أنه لا يؤمن (وربك أعلم بالفسدين) يعنى الذين لا يؤمنون (وان كذبوك) يعنى وان كذبك قومك يا محمد (فقل لى عملى) أى فقل لهم (لى عملى) يعنى الطاعة وجزاء ثوابها (ولكم عملكم) يعنى الشرك وجزاء عقابه (أتم بريثون مما عمل وأنابرى مما تعملون) قيل المراد منه الزجر والرجوع وقال مقاتل والسكبي هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الامام نجر الدين الرازى وهو بعيد لان شرط النسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بافعاله وثمرات أفعاله من الثواب والعقاب وآية القتال مارفعت شيئاً من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا ﴿ قوله تعالى ﴾ (ومنهم) يعنى ومن هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) يعنى باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم ذلك لشدة بغضهم وعداوتهم لك (أفانت تسمع الصم) يعنى كما أنك لا تقدر على اسماع الصم فكذلك لا تقدر على اسماع من أصم الله سمع قلبه (ولو كانوا لا يعقلون) يعنى ان الله سبحانه وتعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم بمنزلة الجهال اذا لم ينتفعوا بما لم يسمعوا وهم أيضاً كالصم الذين لا يعقلون شيئاً ولا يفهمونه لعدم التوفيق (ومنهم من ينظر اليك) يعنى بابصارهم الظاهرة (أفانت تهدى العمى) يريد عمى القلوب (ولو كانوا لا يبصرون) لان الله أعمى بصائر قلوبهم فلا يبصرون شيئاً من الهدى وفى هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدى من سلبته البصر ولا تقدر ان توفى للايمان من حكمت عليه أن لا يؤمن (ان الله لا يظلم الناس شيئاً) ولكن الناس أنفسهم يظلمون) قال العلماء لما حكم الله عز وجل على أهل الشقوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فيهم أخبر فى هذه الآية أن تقدير الشقاوة عليهم ما كان ظلماً منه لانه يتصرف فى ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف فى ملكه لا يكون ظالماً وانما قال ولكن الناس أنفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (ويوم نحشرهم) يعنى واذكر يا محمد يوم نجمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب وأصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكانهم (كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) يعنى كانوا لم يلبثوا فى الدنيا الا قدر ساعة من النهار وقيل معناه كانوا لم يلبثوا فى قبورهم الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول أولى لان حال المؤمن والكافر سواء فى عدم المعرفة بمقدار لبثهم فى القبور الى وقت الحشر فتعين جملة على أمر يختص بحال الكافر وهو انهم لما لم ينتفعوا باعمارهم فى الدنيا استقلوا بها والمؤمن لما انتفع بعمره فى الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم فى الدنيا انهم لما ضيعوا أعمارهم فى طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوا وقيل انهم لما شاهدوا أهوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم فى الدنيا لان مقامهم فى الدنيا فى جنب مقامهم فى الآخرة قليل جدا (يتعارفون بينهم) يعنى

يظلمون) ولكن الناس حزة وعلى أى لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جادا وهم أحياء (ويوم نحشرهم) وبالياء حفص (كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا وفى قبورهم طول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم كان لم يلبثوا حال من هم أى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة وكان مخففة من الثقلية واسمها محذوف أى كأنهم و يتعارفون بينهم حال بعد حال أو مستأنف على تقديرهم يتعارفون بينهم

(قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) على ارادة القول أى يتعارفون بينهم فأولئك الذين كذبوا بقاء الله على حسرانهم والمعنى أنهم وصعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم (واما نرينك بعض الذي نعدهم) (٣١٨) من العذاب (أو تتوفينك) قبل عذابهم (فالينا صرحهم) جواب توفينك

وجواب نرينك محذوف  
أى واما نرينك بعض  
الذى نعدهم في الدنيا  
فذلك أو تتوفينك قبل  
أن نرينك فنحن نرينك  
في الآخرة (ثم الله شهيد  
على ما يفعلون) ذكرت  
الشهادة والمراد مقتضاها  
وهو العقاب كأنه قيل ثم الله  
معاقب على ما يفعلون وقيل  
ثم هنا معنى الواو (والكل  
أمة رسول) يبعث اليهم  
لينبئهم على التوحيد  
و يدعوهم الى دين  
الحق (فاذا جاء رسو لهم)  
بالبينات فكذبوه ولم  
يتبعوه (قضى بينهم) بين  
النبي ومكذبيه (بالقسط)  
بالعدل فانجى الرسول  
وعذب المكذبين أو لكل  
أمة من الامم يوم القيامة  
رسول تنسب اليه وتدعى  
به فاذا جاء رسو لهم الموقف  
ليشهد عليهم بالكفر والايان  
قضى بينهم بالقسط وهم  
لا يظلمون) لا يعذب أحد  
بغير ذنبه ولما قال واما  
نرينك بعض الذى  
نعدهم أى من العذاب  
استعجلوا لما وعدوا من  
العذاب نزل (ويقولون  
متى هذا الوعد) أى وعد

يعرف بعضهم بعضا إذا خرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم إذا عاينوا أهوال يوم القيامة وفي بعض الآثار ان الانسان يوم القيامة يعرف من يحبه ولا يقدر أن يكلمه هيبة وخشية وقيل ان أحوال يوم القيامة مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا طول ما يعاينون في ذلك اليوم (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) يعنى أن من باع آخرته الباقية بدنياه الفانية قد خسر لانه آثر الفانى على الباقي (وما كانوا مهتدين) يعنى الى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الخسار (واما نرينك) يعنى يا محمد (بعض الذى نعدهم) يعنى ما نعدهم به من العذاب في الدنيا فذلك (أو تتوفينك) قبل أن نرينك ذلك الوعد في الدنيا فانك ستراه في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (فالينا صرحهم) يعنى في الآخرة وفيه دليل على أن الله يرى رسوله صلى الله عليه وسلم أنواعا من عذاب الكافرين وذلمهم وخزيهم في حال حياته في الدنيا وقد أراه ذلك في يوم بدر وغيره من الايام وسيره ما أعد لهم من العذاب في الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم (ثم الله شهيد على ما يفعلون) فيه وعيد وتهديد لهم يعنى انه سبحانه وتعالى شاهد على أفعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة ﴿قوله عز وجل﴾ (ولكل أمة رسول) لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حال الانبياء مع أممهم كذلك فقال تعالى ولكل أمة يعنى قد دخلت وتقدمت قبلكم رسول يعنى مبعوثا اليهم يدعوهم الى الله والى طاعته والايان به (فاذا جاء رسو لهم) في هذا الكلام اضمار تقديره فاذا جاءهم رسو لهم وبلغهم ما أرسل به اليهم فكذبوه قوم وصدقهم آخرون (قضى بينهم بالقسط) يعنى حكم بينهم بالعدل وفي وقت هذا القضاء والحكم بينهم قولان أحدهما أنه في الدنيا وذلك أن الله سبحانه وتعالى أرسل الى كل أمة رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجج وازالة العذر فاذا كذبوا رسولهم وخالفوا أمر الله قضي بينهم وبين رسولهم في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي رسولهم والمؤمنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لان قبل مجي الرسول لا يكون ثواب ولا عقاب القول الثاني ان وقت القضاء في الآخرة وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمن والكافر والطائع والعاصي جى بالرسول لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار العدل وهو قوله تعالى (وهم لا يظلمون) يعنى من جزاء أعمالهم شيئا ولكن يجازى كل أحد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم (ويقولون) يعنى هؤلاء الكفار (متى هذا الوعد) يعنى الذى تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد (ان كنتم صادقين) يعنى فيما تعدونا به وانما قالوا بلفظ الجمع لان كل أمة قالت لرسولها كذلك أو يكون المعنى ان كنتم صادقين أنت واتباعك يا محمد أو ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم (قل) أى قل لهم يا محمد (لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا) يعنى لا أملك لنفسى دفع ضرا أو جلب نفع ولا أقدر على ذلك (الا ماشاء الله) يعنى أن أقدر عليه أو أملكه والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واظهار النصر للاولياء وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه الا الله فتعين الوقت الى الله سبحانه وتعالى بحسب مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذى وقته الله لحدوث هذه الاشياء فانه يحدث لا محالة وهو قوله سبحانه وتعالى (لكل أمة أجل) أى مدة مضروبة ووقت معين (اذا جاء أجلهم) يعنى اذا انقضت مدة أعمارهم (فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعنى لا يتأخرون عن ذلك الاجل الذى أجل لهم ولا يستقدمونه (قل) أى قل يا محمد

العذاب (ان كنتم صادقين) أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبي والمؤمنين (قل) يا محمد (لا أملك لنفسى ضرا) هؤلاء  
من مرض أو فقر (ولا نفعا) من صحة أو عنى (الا ماشاء الله) استثناء منقطع أى ولكن ماشاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر  
وجلب العذاب (لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح  
فاذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلوا (قل)

أرأيتم ان أنا كم عذابه) الذي تستعجلونه (بيانا) نصب على الظرف أى وقت ييات وهو الليل وأنتم ساهون تأمنون لا تشعرون (أونها) وأتم مشغلون بطلب المعاش والكسب (ماذا يستعجل منه المجرمون) أى من العذاب والمعنى ان العذاب مكرهه موجب للنفور فأى شئ تستعجلون منه وليس شئ منه بوجب الاستعجال والاستفهام فى ماذا يتعلق بارأيتم لان المعنى أخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه ولم يقل ماذا يستعجلون منه لانه أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام أو ماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط نحو ان أتيتك ماذا (٣١٩) تطعنى ثم تتعلق الجملة بارأيتم أو

(أثم اذا ما وقع) العذاب  
(أمتم به) جواب الشرط  
وماذا يستعجل منه المجرمون  
اعتراض والمعنى ان أنا كم  
عذابه أمتم به بعد وقوعه  
حين لا ينفعكم الايمان  
ودخول حرف الاستفهام  
على ثم كدخوله على الواو  
والفاء فى أفامن أهل  
القرى أو أمن أهل القرى  
(الآن) على ارادة  
القول أى قيل لهم اذ  
أمنا بعد وقوع العذاب  
الآن أمتم به (وقد كنتم  
به تستعجلون) أى بالعذاب  
تكديبا واستهزاء الآن  
بجذف الهمزة التى بعد  
اللام والقاء حركتها على  
اللام نافع (ثم قيل للذين  
ظلموا) عطف على قيل  
المضمر قبل الآن (ذوقوا  
عذاب الخلد) أى الدوام  
(هل تجزون الا بما كنتم  
تكسبون) من الشرك  
والتكذيب (ويستنبؤنك)  
ويستخبرونك فيقولون  
(أحق هو) وهو استفهام

لهؤلاء المشركين من قومك (أرأيتم ان أنا كم عذابه بيانا) يعنى ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل  
والسبب فيه ان الانسان فى الليل لا يكون الا فى البيت غالبا جعل الله هذه اللفظة كناية عن الليل (أونها)  
يعنى فى النهار (ماذا يستعجل منه المجرمون) يعنى ما الذى يستعجلون من نزول العذاب وقد وقعوا فيه  
وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون نزول العذاب كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو  
الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو اتنا بعذاب أليم فاجابهم الله سبحانه وتعالى بقوله ماذا  
يستعجل منه المجرمون يعنى أى شئ يعلم المجرمون ما يطلبون ويستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا  
قييحا ماذا جنيت على نفسك (أثم اذا ما وقع) يعنى اذا ما نزل العذاب ووقع (أمتم به) يعنى أمتم بالله وقت  
نزول العذاب وهو وقت اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على  
ثم للتوبيخ والتقرير (الآن) فيه اضرار تقديره يقال لهم الآن تؤمنون أى حين وقع العذاب (وقد  
كنتم به تستعجلون) يعنى تكديبا واستهزاء (ثم قيل للذين ظلموا) يعنى ظلموا أنفسهم بسبب شركهم  
وكفرهم بالله (ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) يعنى فى الدنيا من الاعمال قوله  
سبحانه وتعالى (ويستنبؤنك أحق هو) يعنى ويستخبرونك يا محمد أحق ما عذابه من نزول العذاب  
وقيام الساعة (قل اى وربى) أى قل لهم يا محمد نعم وربى (انه لحق) يعنى ان الذى أعدكم به حق لا شك فيه  
(وما أتم بمجزيين) يعنى بفائتين من العذاب لان من عجز عن شئ فقد فاته (ولو أن لكل نفس ظلمت)  
يعنى أشركت (مافى الارض) يعنى من شئ (لافتدت به) يعنى يوم القيامة والافتداء يعنى البذل لما ينجو به  
من العذاب الا أنه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه (وأسرروا الندامة) يعنى يوم القيامة وانما جاء بلفظ  
الماضى والقيامة من الامور المستقبلة لان احوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها  
كالماضى والاسرار يكون بمعنى الاخفاء وبمعنى الاظهار فهو من الازداد فلهذا اختصوا فى قوله وأسروا  
الندامة فقال أبو صبيدة معناه وأظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه أخفوا  
يعنى أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتعييرهم لهم (لمارأوا العذاب)  
يعنى حين عاينوا العذاب وأبصروه (وقضى بينهم بالقسط) يعنى وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمن  
والكافر وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيؤخذ للمظلوم  
من الظالم وهو قوله سبحانه وتعالى (وهم لا يظلمون) يعنى فى الحكم لهم وعليهم بان يخفف من عذاب  
الظالم ويشدد فى عذاب الظالم (ألا ان لله مافى السموات والارض) يعنى ان كل شئ فى السموات والارض  
لله ملك له لا يشركه فيه غيره فليس للكافر شئ يفتدى به من عذاب الله يوم القيامة لان الاشياء كلها لله  
وهو أيضاً ملك لله فكيف يفتدى من هو مملوك لغيره بشئ لا يملكه (ألا ان وعد الله حق) يعنى ما وعد

على جهة الانكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود (قل) يا محمد (اى وربى) نعم والله (انه لحق) ان العذاب كائن لا محالة (وما أتم بمجزيين)  
بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة (ولو أن لكل نفس ظلمت) كفرت وأشركت وهو صفة لنفس أى ولو أن لكل نفس ظالمة (مافى  
الارض) فى الدنيا اليوم من خزاينها وأموالها (لافتدت به) جعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا يعنى فداه (وأسرروا الندامة  
لمارأوا العذاب) وأظهروها من قلوبهم أسرا لئلا يظهرها وأخفوها عن النطق لشدة الامر فاسر من الازداد (وقضى بينهم بالقسط) بين  
الظالمين والمظلومين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظالم (وهم لا يظلمون) ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله بقوله (ألا ان لله مافى السموات  
والارض) فكيف يقبل الفداء وانه الميثب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق لقوله (ألا ان وعد الله) بالثواب أو بالعذاب (حق)

كان (ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت) هو القادر على الاحياء والامانة لا يقدر عليهم ما غيره (واليه ترجعون) والى حسابته وجزائه المرجع فيخاف ويرجى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم) أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد (٣٢٠)

الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطائع وعقاب العاصي حق لا شك فيه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني حقيقة ذلك (هو يحيى ويميت) يعني الذي يملك ما في السموات والارض قادر على الاحياء والامانة لا يتعذر عليه شيء مما أراد (واليه ترجعون) يعني بعد الموت للجزاء ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم) قيل أراد بالناس قريشا وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري قد جاءكم موعظة من ربكم يعني القرآن والوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة ما يدعوا الى الصلاح بطريق الرغبة والرغبة والقرآن داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق (وشفاء لما في الصدور) يعني ان القرآن ذو شفاء لما في القلوب من داء الجهل وذلك لان داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن وأمراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه الوعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو اعز موضع في بدن الانسان لكان القلب فيه (وهدي) يعني وهو هدى من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) يعني واعدة على المؤمنين لانهم هم الذين اتفقوا بالقرآن دون غيرهم (قل بفضل الله وبرحمته) الباء في بفضل الله متعلقة بمضمرة استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءكم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعنى الافضال ويكون معنى الآية على هذا يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهو القرآن بافضال الله عليكم ورحمته بكم وارادته الخير لكم ﴿ثم قال سبحانه وتعالى﴾ (فبذلك فليفرحوا) أشار بذلك الى القرآن لان المراد بالموعظة والشفاء القرآن فترك اللفظ وأشار الى المعنى وقيل فبذلك فليفرحوا اشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والانهام فليفرحوا قال الواحدى الفاء في قوله تعالى فليفرحوا زائدة كقول الشاعر: فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي فالفاء في قوله فاجزعي زائدة وقال صاحب الكشاف في معنى الآية بفضل الله ورحمته فليفرحوا فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لعنى الشرط فكأنه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوصا بالفرح فانه لا مفرح به أحق منهما والفرح لذة في القلب بادراك المحبوب المشتهى يقال فرحت بكذا اذا أدركت المأمول ولذلك أكثر ما يستعمل الفرح في اللذات البدنية الدنياوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الآية ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته أي ما آتاهم الله من المواعظ وشفاء الصدور وتلج اليقين بالايمان وسكون النفس اليه (هو خير مما يجمعون) يعني من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب أهل المعاني في هذه الآية وامام مذهب المفسرين فغير هذا فان ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزينه في قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنين فعلى هذا الباء في بفضل الله تتعلق بمحذوف يفسره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله ورحمته (قل) أي قل يا محمد لكفار مكة (أو أرى أنتم ما أنزل الله لكم من رزق) يعني من زرع وضرع وغيرهما وعبر عما في الارض بالانزال لان جميع ما في الارض من خير ورزق فأنما هو من بركات السماء (جعلتم منه) يعني من ذلك الرزق (حراما وحلالا) يعني ما حرموه على أنفسهم في الجاهلية من الحرث والانهام كالبحيرة والسائبة والوصيلة

من موعظة وتنبه على التوحيد والموعظة التي تدعو الى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب فما في القرآن من الاوامر والنواهي داع الى كل مرغوب وزاجر عن كل مرهوب اذا الامر يقتضى حسن المأمور به فيكون مرغوبا وهو يقتضى النهي عن ضده وهو قبيح وعلى هذا في النهي (وشفاء لما في الصدور) أي صدوركم من العقائد الفاسدة (وهدي) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) لمن آمن به منكم (قل) يا محمد بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا أصل الكلام بفضل الله ورحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوصا بالفرح أو بفضل الله ورحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والاسلام

في الحديث من هداه الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكها الفاقة كتب الله الفقر بين والحاوي عيبيه الى يوم يلقاهم وقرأ الآية (هو خير مما يجمعون) وبالتاء شامى فلنفرحوا بعقوب (قل أرايتم) أخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) ما منصوب بانزل أو بارأيتم أي أخبروني (جعلتم منه حراما وحلالا) فبمضمومه وقتلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله ما في بطون هذه



الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من الارض وكن لما نيطت أسبابها بالسماء نحو المطر الذي تنبت الارض  
النبات والشمس التي بها النضج وينع الثمار اضيف انزالها الى السماء (قل الله اذن لكم) متعلق بآيتهم وقل تكرر ير للتوكيد والمعنى  
أخبروني الله اذن لكم في التحليل والتحرير فاتهم تفعلون ذلك باذنه (أم (٣٢١) على الله تفترون) أم أتم تكذبون

على الله في نسبة ذلك اليه  
أو الهمة للانكار وأم  
منقطعة بمعنى بل أتفترون  
على الله تقريراً للافتراء  
والآية زاجرة عن التجوز فيما  
يسئل من الاحكام وباعثة  
على وجوب الاحتياط فيه  
وأن لا يقول أحد في شيء  
جائز أو غير جائز الا بعد ايقان  
واتقان والا فهو مفتر على  
الديان (وماظن الذين  
يفترون على الله الكذب)  
ينسبون ذلك اليه (يوم  
القيامة) منصوب بالظن  
وهو ظن واقع فيه أي  
شيء ظن المفترين في ذلك  
اليوم ما يصنع بهم وهو يوم  
الجزاء بالاحسان والاساءة  
وهو وعيد عظيم حيث أبهم  
أمره (ان الله لذو فضل  
على الناس) حيث أنعم  
عليهم بالعقل ورحمهم  
بالوحي وتعليم الحلال  
والحرام (ولكن أكثرهم  
لا يشكرون) هذه النعمة  
ولا يتبعون ما هدوا اليه  
(وما تكون في شأن)  
بأنانية والخطاب للنبي  
صلى الله عليه وسلم والشأن  
الامر (وما تتلومنه) من  
التزليل كأنه قيل وما تتلو  
من التنزيل (من قرآن)

والحامي قال الضحاك وهو قوله سبحانه وتعالى وجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والانعام نصيباً (قل الله اذن  
لكم) يعني قل لهم يا محمد الله اذن لكم في هذا التحريم والتحليل (أم على الله تفترون) يعني بل أتم كاذبون  
على الله في ادعائكم ان الله أمرنا بهذا (وماظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) يعني اذا قوه  
يوم القيامة يحسبون أنه لا يؤاخذهم ولا يجازيهم على أعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقرير  
والوعيد العظيم لمن يفترى على الله الكذب (ان الله لذو فضل على الناس) يعني ببعثة الرسل وانزال الكتب  
ليبين الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان  
﴿ قوله سبحانه وتعالى (وما تكون في شأن وما تتلومنه من قرآن) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده  
والشأن الخطب والحال والامر الذي يفتق ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور والجمع  
الشؤون تقول العرب ما شأن فلان أي حاله والشأن اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدراً اذا  
كان معناه القصد والذي في هذه الآية يجوز أن يكون المراد به الاسم قال ابن عباس معناه وما تكون يا محمد  
في شأن يريد من أعمال البر وقال الحسن في شأن من شؤون الدنيا وحوائجك ويجوز أن يكون المراد منه القصد  
يعني قصد الشيء وما تتلومنه من قرآن اختلافه وفي الضمير في منه الى ماذا يعود فقيل يعود الى الشأن اذ تلاوة  
القرآن شأن من شؤون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم شأنه فعلى هذا يكون داخل تحت قوله تعالى  
وما تكون في شأن الا انه سبحانه وتعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى القرآن لانه قد  
تقدم ذكره في قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا يكون المعنى وما تتلومنه من القرآن من قرآن  
يعني من سورة وشيء منه لان لفظ القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع الى الله والمعنى  
وما تتلومنه من الله من قرآن نازل عليك وأما قوله سبحانه وتعالى (ولا تعملون من عمل) فانه خطاب للنبي صلى الله  
عليه وسلم وأتمه داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم أنه اذا خطب رئيس قوم وكبيرهم كان القوم  
داخلين في ذلك الخطاب ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ولا تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على أنهم  
داخلون في الخطابين الاوولين ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (الا كنا عليكم شهودا) يعني شاهدين لأعمالكم وذلك  
لان الله سبحانه وتعالى شاهد على كل شيء وعالم بكل شيء لانه لا يحدث ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل  
ما يدخل في الوجود من أحوال العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وهو شاهد عليه (اذ  
تفيضون فيه) يعني أن الله سبحانه وتعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون في ذلك العمل والافاضة  
الدخول في العمل على جهة الانتصاب اليه والانبساط فيه وقال ابن الأنباري معناه اذ تدفعون فيه وتنسبون  
في ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج تنشر ون فيه يقال أفاض القوم في الحديث اذا انشروا  
فيه (وما يعزب عن ربك) يعني وما يبعد ويغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شيء لانه عالم به وشاهد عاينه  
وأصل العزوب البعدي يقال منه كلام عازب اذا كان بعيد المطلب (من مثقال ذرة) يعني وزن ذرة والمثقال  
الوزن والذرة النملة الصغيرة الجراء وهي خفيفة الوزن جدا (في الارض ولا في السماء) فان قلت لم قدم ذكر  
الارض على السماء هنا وقد ذكر السماء على الارض في سورة سبأ وما فائدة ذلك قلت كان حق السماء  
أن يقدم على الارض كما في سورة سبأ الا أنه تعالى لما ذكر في هذه الآية شهادته على أهل الارض  
وأحوالهم وأعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السماء في هذا الموضوع

(٤١ - (خازن) - ثاني) لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكرك تفضيم له او من الله عز وجل (ولا تعملون)  
أتم جميعاً (من عمل) أي عمل (الا كنا عليكم شهودا) شاهدين رقباء نحصى عليكم (اذ تفيضون فيه) تخوضون من أفاض في الامر اذا  
اندفع فيه (ما يعزب عن ربك) وما يبعد وما يغيب بكسر الهمزة على حيث كان (من مثقال ذرة) وزن نملة صغيرة (في الارض ولا في السماء)

هذه الفائدة (ولأصغر من ذلك) يعني من الذرة (ولأكبر) يعني منها (الافى كتاب مبین) یعنی فی اللوح المحفوظ ﴿ قوله سبحانه وتعالى (الان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اعلم أننا نحتاج أولافى تفسير هذه الآية أن نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي فنقول اختلف العلماء فمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس فى هذه الآية هم الذين يذكروا الله ودينهم ويروى الطبرى بسنده عن سعيد بن جبیر مر سلا قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال هم الذين اذاروا ذكرا لله وقال ابن زيد هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون فى الله ويدل على ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لانا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير ارحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية الان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أخرجه أبو داود عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى أخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء أخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن أبى مالك الاشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبيد اليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقر بهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفى ناحية القوم اعرابى فمنا على ركبته ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرأيت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ فقام الرحمن يفرع الناس ولا يفرعون ويخاف الناس ولا يخافون وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى ان أولياءى من عبادى الذين يذكرون بذكرى أو اذكروهم هكذا ذكره البغوى بغير سند وروى الطبرى بسنده عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعلمنا نجيبهم قال هم قوم تحابوا فى الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا ان الحسد مذموم والغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحاسد يتمنى زوال ما على المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هى أن يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التى هى على المغبوط من غير زوال عنه وقال أبو بكر الاصم أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه وأصل الولي من الولى وهو القرب والنصرة فولى الله هو الذى يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب فى معرفة نور جلال الله فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالثناء على الله وان تحرك تحرك فى طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقرب به الى الله لا يفتقر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة أولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله واهيه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولى الذين آمنوا وقال المتكلمون ولى الله من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبنى على الدليل ويكون آتيا بالأعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو أن الايمان مبنى على جمع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو أن يتقى العبد كل ما نهى الله عنه وقوله سبحانه وتعالى لا خوف عليهم يعنى فى الآخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعنى على شئ فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) رفعهما حزة على الابتداء والخبر (الافى كتاب مبین) يعنى اللوح المحفوظ ونصبهما غيره على نفي الجنس وقدمت الارض على السماء هنا وفى سبأ قدمت السموات لان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية (الان أولياء الله) هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة أو هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان الذى آتاهم فتولوا القيام بحقه والرجة خلقه أو هم المتحابون فى الله على غير ارحام بينهم ولا أموال يتعاطونها أو هم المؤمنون المتقون بدليل الآية الثانية (لا خوف عليهم) اذا خاف الناس (ولا هم يحزنون) اذا حزن الناس

قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما يحصل لهم في الآخرة لان الدنيا لا تخلو من هم وغم وأنكاد  
 وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان العبد بهذه  
 الحالة فلا يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لان مقام الولاية المعرفة منعه من أن يخاف أو يحزن ﴿١﴾ وأما  
 قوله سبحانه وتعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فقد تقدم تفسيره وأنه صفة لا ولياء الله ﴿٢﴾ وقوله سبحانه  
 وتعالى (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) اختلفوا في هذه البشرى فروى عن عبادة بن الصامت  
 قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة  
 يراها المؤمن أو ترى له أخرجه الترمذي وله عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم  
 البشرى في الحياة الدنيا قال ما سألتني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال ما سألتني  
 عنها أحد غيرك منذ أنزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال الترمذي حديث حسن (خ) عن  
 أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدى من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال  
 الرؤيا الصالحة (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا  
 المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة لفظ البخاري واسلم اذا اقترب الزمان لم  
 تكذب رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة  
 والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تخزي من الشيطان ورؤيا يما يحدث المرء نفسه قال  
 بعض العلماء ووجه هذا القول اننا اذا قلنا قوله تبارك وتعالى لهم البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة فظاهر  
 هذا النص يقتضي أن لا تحصل هذه الحالة الا لهم وذلك لان ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح  
 بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفة ومن المعلوم أن  
 معرفة الله في القلب لا تنفيذ الا الحق والصدق فاذا رأى الولي رؤيا ورؤيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من  
 الله عز وجل لهذا الولي قال الخطابي في هذه الاحاديث توكيد لا امر الرؤيا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزءا من  
 أجزاء النبوة في حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم في منامهم كما يوحى اليهم في  
 اليقظة قال الخطابي قال بعض العلماء معنى الحديث أن الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لانها جزء من النبوة  
 وقال الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة أقام النبي صلى الله عليه وسلم  
 في النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك بستة شهور يرى في المنام الوحي فهي جزء من  
 ستة واربعين جزءا وقيل ان المنام لعل أن يكون فيه اخبار بغيب وهو أحد مراتب النبوة وهو يسير في  
 جانب النبوة لانه لا يجوز أن يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يشرع الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر  
 بغيب أبدا فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر جزءا من النبوة لانه نبي واذا وقع ذلك  
 لاحد في المنام يكون صدقا والله أعلم وقيل في تفسير الآية أن المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هي الشفاء الحسن  
 وفي الآخرة الجنة ويدل على ذلك ما روى عن أبي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرايت الرجل  
 يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين  
 النووي قال العلماء معنى هذه البشرى المجهلة له بالخير وهي دلائل للبشرى المؤخرة له في الآخرة بقوله بشراكم  
 اليوم جنات تجري من تحتها الانهار وهذه البشرى المجهلة دليل على رضا الله عنه ومحبتة له ونحيبه الى الخلق  
 كما قال ثم يوضع له القبول في الارض هذا كله اذا حمده الناس من غير تعرض منه لخدمهم والافالتعرض مذموم  
 قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلأ نور افيض من ذلك النور الذي في  
 قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيصعبه الناس ويثنون عليه فتلك عاجل بشرى بمحبة الله  
 له ورضوانه عليه وقال الزهري وقتادة في تفسير البشرى هي نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت ويدل

(الذين آمنوا) منصوب  
 باضمار أعني أولانه صفة  
 لا ولياء أو مرفوع على أنه  
 خبر مبتدأ محذوف أي  
 هم الذين آمنوا (وكانوا  
 يتقون) الشرك والمعاصي  
 (لهم البشرى في الحياة  
 الدنيا) ما بشر الله به  
 المؤمنين المتقين في غير  
 موضع من كتابه وعن  
 النبي صلى الله عليه وسلم  
 هي الرؤيا الصالحة يراها  
 المسلم أو ترى له وعنه عليه  
 السلام ذهبت النبوة  
 وبقيت المبشرات والرؤيا  
 الصالحة جزء من ستة  
 واربعين جزءا من النبوة  
 وهذا ان مدة الوحي ثلاث  
 وعشرون سنة وكان في  
 ستة أشهر منها يؤمر في  
 النوم بالانذار وستة أشهر  
 عن ثلاث وعشرين سنة  
 جزء من ستة واربعين  
 جزءا وهي محبة الناس له  
 والدكر الحسن أو لهم  
 البشرى عند الزرع بان  
 يرى مكانه في الجنة (وفي  
 الآخرة) هي الجنة

(لا تبدل لكلمات الله) لانغير لافواله ولا اخلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم وكلمات  
الجلتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق أبلغ وتسكت (ولا يحزنك قولهم) تكذيبهم  
وتهديدهم وتشاورهم في تدبيرهلاكك (٣٢٤) وابطال أمرك (ان العزة) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل مالي لا آخذن فقيل ان

العزة (لله) ان الغلبة  
والقهر في ملكه لا يملك  
أحد شيئاً منها الا لهم ولا غيرهم  
فهو يغلبهم وينصرهم عليهم  
كتب الله لا غابن أنا ورسلي  
اننا لننصر رسلنا أو به يتعزز  
كل عزيز فهو بعزك ودينك  
وأهلك والوقف لازم على  
قولهم لئلا يصيران العزة  
مقول الكفار (جميعاً هو  
السميع) لما يقولون (العليم)  
بما يدبرون ويهزمون  
عليه وهو مكافئهم بذلك  
(ألا ان الله في السموات ومن  
في الارض) يعني العقلاء  
وهم الملائكة والثقلان  
وخصهم ليؤذن ان هؤلاء  
اذا كانوا وفي ملكته  
ولا يصلح أحد منهم  
للربوبية ولا أن يكون  
شريكاً له فيها فما وراءهم  
مما لا يعقل أحق أن لا  
يكون له ندا وشر يكاً (وما  
يتبع الذين يدعون من  
دون الله شركاء) مانافية  
أي وما يتبعون حقيقة  
الشركاء وان كانوا  
بسمونها شركاء لان شركة  
الله في الربوبية محال (ان  
يتبعون الا الظن) الاظنهم  
أنهم شركاء الله (وان هم  
الايخراصون) يحزرون

عليه قوله سبحانه وتعالى تنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون  
وقال عطاء عن ابن عباس البشري في الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالمشارة وفي الآخرة بعد خروج  
نفس المؤمن يعرج بها الى الله تعالى ويشير برضوان الله تعالى وقال الحسن هي ما بشر الله به المؤمنين في كتابه  
من جنته وكريم نوابه ويدل عليه قوله تعالى (لا تبدل لكلمات الله) يعني لا خلف لوعده الذي وعده  
أولياءه وأهل طاعته في كتابه وعلى السنة رسوله ولا تغيير لذلك الوعد (ذلك هو الفوز العظيم) يعني ما  
وعدهم به في الآخرة (ولا يحزنك قولهم) يقول الله لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد قول هؤلاء  
المشركين لك ولا ينعك تخويفهم اياك (ان العزة لله جميعاً) يعني ان القهر والغلبة والقدرة لله جميعاً هو  
المنفرد بها دون غيره وهو ناصرهم والمنتقم لك منهم وقال سعيد بن المسيب ان العزة لله جميعاً فيعزم من  
يشاء وهذا كما قال سبحانه وتعالى في آية أخرى والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولا منافاة بين الآيتين فان عزة  
الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين باعزاز الله اياهم فنبت بذلك أن العزة لله جميعاً وهو الذي يعزم من  
يشاء ويذل من يشاء وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فاخبار الله سبحانه  
وتعالى أن جميع ذلك لله وفي ملكه فهو قادر على أن يساهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز (هو السميع)  
لا قوالكم ودعائكم (العليم) بجميع أحوالكم لا تخفي عليه خافية ﴿قوله سبحانه وتعالى (لان الله من في  
السموات ومن في الارض) الأكمة تنبيه معناه أنه لا ملك لاحد في السموات ولا في الارض الا الله عز وجل  
فهو يملك من في السموات ومن في الارض فان قلت قال سبحانه وتعالى في الآية التي قبل هذه ألا ان الله مافي  
السموات بلفظة ما وقال سبحانه وتعالى في هذه الآية بلفظة من فما فائدة ذلك قلت ان لفظه ما يدل على ما لا  
يعقل ولفظة من يدل على من يعقل فجموع الآيتين يدل على أن الله عز وجل يملك جميع من في السموات  
ومن في الارض من العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل ان لفظه من لمن يعقل فيكون المراد بمن  
في السموات الملائكة العقلاء ومن في الارض الانس والجن وهم العقلاء أيضاً وانما خصهم بالذكر لشرفهم  
واذا كان هؤلاء العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق الاولى أن يكونوا في ملكه اذا  
ثبت هذا فتكون الاصنام التي يعبدونها المشركون أيضاً في ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحا  
في جعل الاصنام شركاء لله معبودة دونه (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) لفظه ما استفهامية  
معناه وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود تقييح فعلهم يعني انهم ليسوا على شيء لانهم  
يعبدونها على أنها شركاء لله تشفع لهم وليس الامر على ما يظنون وهو قوله سبحانه وتعالى (ان يتبعون  
الا الظن) يعني ان فعلهم ذلك ظن منهم أنها تشفع لهم وأما تقر بهم الى الله وذلك ظن منهم لاحقيقه (وان  
هم الايخراصون) يعني ان هم الا يكذبون ﴿قوله عز وجل (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا وفيه والنهار  
مبصراً) يعني هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل لراحة لتسكنوا وفيه ولا يزال التعب والكلال بالسكون  
فيه وأصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصراً وجعل النهار مضيقاً لتهدوا فيه لحوادثكم وأسباب  
معايشكم وأضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوماً من كلام  
العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما يفهمونه قال جرير

ويقدرون أن يكونوا شركاء تقديراً باطلاً واستفهامية أي وأي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى  
الاول يتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء فافتصر على أحد هما للدلالة والمخوف مفعول بيدعون أو موصولة  
معطوفة على من كأنه قيل والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاء وهم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده  
بقوله (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا وفيه) أي جعل لكم الليل مظلماً لتستريحوا وفيه من تعب التردد في النهار (والنهار مبصراً) مضيقاً

لتبصر وفيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم (ان في ذلك آيات لقوم يسمعون) سماع مذ كرمعبر (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) تنزيه له عن اتخاذ الولد ومعجيب من كلمتهم الحقاء (هو الغنى) علة لنفي الولد لانه انما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به أو فقير ليستعين به أو ذليل ليتشرف به والكل أمانة الحاجة فن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منفيا ولا ان الولد (٣٢٥) بعض الوالد في استدعي أن يكون مركبا

وكل مركب يمكن وكل يمكن يحتاج الى الغير فكان حادنا فاستحال القديم أن يكون له ولد (له مافي السموات ومافي الارض) ملكا ولا يجتمع البنوة معه (ان عندكم من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقاها أن تتعاق بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكابا لسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موزكاه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفي عنهم الرهان جعلهم غير عالمين فقال (أتقولون على الله مالا تعلمون) أتقولون على الله مالا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب (لا يفلحون) باضافة الولد اليه (لا يفلحون) لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة (متاع في الدنيا) أي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا حيث يقيمون به رياستهم في الكفر ومناصبه النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به (ثم ينامر جمعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد) المخلد (بما كانوا يكفرون) بكفرهم (واتل عليهم) واقرأ عليهم (نبا نوح) واقرأ عليهم

لقد امتنا يا أم غيلان في السرى \* نعمت وماليل المطى بنا ثم فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما غنى نفسه وانه لم يكن نائما هو ولا بعيره وهذا من باب نقل الاسم من المسبب الى السبب قال قطرب تقول العرب أظلم الليل وأبصر النهار بمعنى صار ذا ظلمة ودأ ضياء قوله تعالى (ان في ذلك آيات لقوم يسمعون) يعني يسمعون سمع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه الاشياء كلها هو الاله المعبود والمنفرد بالوحدانية في الوجود (قالوا) يعني المشركين (اتخذ الله ولدا) يعني به قولهم الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد (هو الغنى) يعني انه سبحانه وتعالى هو الغنى عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغنى المطلق وجميع الاشياء محتاجة اليه وهو غنى عنها (له مافي السموات ومافي الارض) يعني انه مالك مافي السموات ومافي الارض وكلهم عبيده وفي قبضته وتصرفه وهو محمد ثمهم وخالقهم ولما نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال سبحانه وتعالى (ان عندكم من سلطان بهذا) يعني انه لا حجة عندكم على هذا القول البتة ثم بالغ في الانكار عليهم بقوله تعالى (أتقولون على الله مالا تعلمون) يعني أتقولون على الله قولاً لا تعلمون حقيقة وصحته وتضيفون اليه مالا يجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) أي قل يا محمد هؤلاء الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويؤمنون أن له ولدا (لا يفلحون) يعني لا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف نام يعني قوله لا يفلحون ثم ابتداء فقال تعالى (متاع في الدنيا) وفيه اضرار تقديره لهم متاع في الدنيا يمتعون به مدة أعمارهم وانقضاء آجالهم في الدنيا وهي أيام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى (ثم ينامر جمعهم) يعني بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد) بما كانوا يكفرون يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا من نعمه الله عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله قوله سبحانه وتعالى (واتل عليهم نبا نوح) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة بمن سلف من الانبياء وتساوية له ليخفف عليه ما يليق من أذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح أول الامم هلاكا وأعظمهم كفرا ووجودا ذكر الله قصتهم وانه أهل الكفر بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال سبحانه وتعالى واتل عليهم نبا نوح يعني واقرا على قومك يا محمد خبر قوم نوح (اذ قال لقومه يا قوم) وهم بنو قابيل (ان كان كبير) يعني ثقل (عليكم مقامي) يعني فيكم (وتذ كبرى بايات الله) يعني ووعظي اباكم بايات الله وقيل معناه ان كان ثقل وشق عليكم طول مقامي فيكم وذلك انه عليه الصلاة والسلام أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بايات الله وهو قوله وتذ كبرى بايات الله يعني ووعظي بايات الله وحججه وبياناته فعزمتم على قتلي وطردي (فعلى الله توكلت) يعني فهو حسي وثقتي (فأجمعوا أمرهم) يعني فأحكموا أمرهم واعزموا عليه قال الفراء

خبره مع قومه والوقف عليه لازم اذ لو وصل اصاب اذ ظرفا لقوله واتل بل التقدير واذ كر (اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبير عليكم) عظم وثقل كقوله وانها الكبيرة الاعلى الخاشعين (مقامي) مكاني يعني نفسه كقوله ولئن خاف مقام ربه جنتان أي خاف ربه أو قيامي ومكني بين أظهرهم ألف سنة الا خمسين عاما ومقامي (وتذ كبرى بايات الله) لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا (فعلى الله توكلت) أي فوضت أمري اليه (فأجمعوا أمرهم) من أجمع الامر اذ انواه وعزم عليه

(وشركاءكم) الواو بمعنى مع اي فاجعوا أمركم مع شركاءكم (ثم لا يكن أمركم عليكم غممة) أي غمما عليكم وهما والنم والضممة كالكرب  
والكربة أو ملتصبا في خفية وانغممة السترة من غمها اذا ستره ومنها الحديث لا غممة في فرائض الله أي لا تستروا لكن بجاهر بها والمعنى ولا يكن  
قصدهم الى هلاك مستورا عليكم ولكن مكشوف مشهورا بجاهر وتنبى به (ثم اقضوا الى) ذلك الامر الذي تريدون في أي أدوا الى ما هو حق  
عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه أو اصنعوا ما يمكنكم (ولا تنظروا) ولا تمهلوني (فان توليتهم) فان عرضتم عن تكبري ونصحي  
(فما سألتكم من أجر) فواجب (٣٢٦) التولى أو فاسألتكم من أجر ففاتي ذلك بتوليتكم (ان أجرى الاعلى الله) وهو الثواب

الذي يثيبني به في الآخرة  
أي ما نصحتكم الله لا  
لغرض من أغراض الدنيا  
وفيه دلالة منع أخذ الأجر  
على تعلم القرآن والعلم  
الديني (وأمرت أن أكون  
من المسلمين) من المستسلمين  
لاوامره ونواهيه أن أجرى  
بالفتح مدني وشامي وأبو  
عمرو وحفص (فكذبوه)  
فدأموا على تكذيبه  
(فنجيناها) من الفرق  
(ومن معه في الفلك  
وجعلناهم خلائف)  
يخلفون الهاالكين بالفرق  
في السفينة (وأغرقنا الذين  
كذبوا بآياتنا فانظر كيف  
كان عاقبة المنذرين) هو  
تعظيم لما جرى عليهم  
وتحذير لمن أنذرهم رسول  
الله صلى الله عليه وسلم عن  
مثله وتسليته (ثم بعثنا من  
بعده) من بعد نوح عليه  
السلام (رسلا الى قومهم)  
أي هودا وصالحا و ابراهيم  
ولوطا وشعبيا (فخاؤهم  
باليينات) بالحجج الواضحة

الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر وقال ابن الانباري المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير  
لاندعوا من أمركم شيئا الا حضرتموه (وشركاءكم) يعني وادعوا شركاءكم يعني آلهتكم فاستعينوا بها  
لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانما حتمهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم  
انها تضر وتنفع مع اعتقادهم انهم جاد لا تضر ولا تنفع فهو كالتبكيك والتوبيخ لهم (ثم لا يكن أمركم  
عليكم غممة) يعني لا يكن أمركم عليكم خفيا مبهما ولو لم يكن أمركم ظاهرا منكم ككشفهم من قولهم غم  
الهلالة فهو مغموم وادخفي والتبس على الناس (ثم اقضوا) ثم امضوا (الى) بما في أنفسكم من مكرهه وما  
توعدوني به من قتل وطرردوافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم اقضوا  
ما أتم قاضون (ولا تنظروا) أي ولا تؤخروني ولا تمهلوني بعد اعلامكم ايأى ما أتم عليه وهذا الكلام  
من نوح عليه السلام على طريق التجهيز لهم أخبر الله عز وجل عن نوح عليه السلام انه كان قد بلغ القاية  
في التوكل على الله وانه كان واثقا بنصره اياه غير خائف من كيدهم عاما منه بانهم وآطتهم اس لم نفع ولا  
ضروا ن مكرهم لا يصل اليه (فان توليتهم) يعني فان عرضتم عن قولي وقبول نصحي (فما سألتكم من أجر)  
يعنى من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم ياخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيئا كان أقوى تأثيرا في  
النفوس (ان أجرى الاعلى الله) أي ما تولى جزائي على تبليغ الرسالة الاعلى الله (وأمرت أن أكون من  
المسلمين) يعني انى أمرت بدين الاسلام وأناماض فيه غير تارك له واءقبتموه أنهم لم تقبلوه وقيل معناه  
وأمرت أن أكون من المستسلمين لامر الله ولكل مكرهه يصل الى منكم لاجل هذه الدعوة (فكذبوه) يعني  
فكذبوا نوحا عليه السلام (فنجيناها ومن معه في الفلك) يعني في السفينة (وجعلناهم خلائف) يعني وجعلنا  
الذين نجيناهم معه في الفلك سكان الارض بعد الهاالكين (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان  
عاقبة المنذرين) أي فانظر يا محمد أو يا أيها الانسان كيف كان آخر أمر من أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ولم  
يقبلوا ذلك (ثم بعثنا من بعده) يعني من بعد نوح (رسلا الى قومهم) لم يسم هنا من كان بعد نوح من الرسل  
وقد كان بعد نوح هودا وصالح وغيرهم من الرسل (فخاؤهم بالينات) يعني بالدلالات الواضحات والمبهمات  
الباهرات التي تدل على صدقهم (فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا به من قبل) يعني ان أولئك الاقوام والامم التي  
جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب ولم زجرهم ما جاءتهم به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه  
من الكفر والتكذيب (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يعني مثل اغراق قوم نوح بسبب تكذيبهم  
نوحا كذلك نختم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم في التكذيب قوله عز وجل (ثم بعثنا من بعدهم)  
يعنى من بعد الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه) يعني أشرف قومه (بآياتنا فاستكبروا) يعني عن  
الايمان بما جاء به موسى وهرون (وكانوا قوما مجرمين) يعني مستكسبين للآثم (فلما جاءهم الحق من عندنا)

المثبتة لدعواهم (فما كانوا يؤمنوا) فاصروا على الكفر بعد المجيء (بما كذبوا به من قبل) من قبل مجيئهم  
يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبة بالحق فواقع فصل بين حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم أحد  
(كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع نختم (على قلوب المعتدين) المجاوزين الحد في التكذيب (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد الرسل (موسى  
وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وأعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبليغها  
ويتعظموا عن قبولها (وكانوا قوما مجرمين) كفارا ذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردها (فلما جاءهم الحق من  
عندنا) فلما عرفوا أنه هو الحق وانه من عند الله

(قالوا) لحبهم الشهوات (ان هذا لسحر مبين) وهم يعلمون أن الحق أبعثني من السحر (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) هو انكار  
ومقولهم محذوف أي هذا سحر ثم استأنف انكار سحر آخر فقال (أسحر هذا) خبر ومبتدأ (ولا يفلح الساحرون) أي لا يظفر (قالوا  
أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام أو عبادة فرعون (٣٢٧) (وتكون لكما الكبرياء)

أي الملك لان الملوك  
موصوفون بالكبرياء  
والعظمة والعلو (في  
الارض) أرض مصر  
(وما نحن لكما مؤمنين)  
بصدقين فيما جئنا به ويكون  
جاد ويحيي (وقال فرعون  
اتوني بكل ساحر علم)  
سحار حرة وعلى (فلما جاء  
السحرة قال لهم موسى ألقوا  
ما أتم ملقون فلما ألقوا قال  
موسى ما جئتم به السحر)  
ماموصولة واقعة مبتدأ أو  
جئتم به صلتها والسحر خبر  
أي الذي جئتم به هو السحر  
لا الذي سماه فرعون  
وقومه سحرا من آيات الله  
آ السحر بعد وقف أبو  
عمر وعلى الاستفهام فعلى  
هذه القراءة ما استفهامية  
أي أي شيء جئتم أهو  
السحر (ان الله سيبطله)  
يظهر بطلانه (ان الله  
لا يصلح عمل المفسدين)  
لا يثبت بل يدمره (ويحق  
الله الحق) ويثبت (بكلماته)  
باوامره وقضاياه أو يظهر  
الاسلام بعداته بالنصرة  
(ولو كره المجرمون)  
ذلك (فما آمن لموسى)  
في أول أمره (الاذرية  
من قومه على خوف من

يعني فلما جاء فرعون وقومه الحق الذي جاء به موسى من عند الله (قالوا ان هذا لسحر مبين) يعني ان هذا  
الذي جاء به موسى سحر مبين يعرفه كل أحد (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) فيه حذف  
تقديره أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر أسحر هذا حذف السحر الاول ا كتفاء بدلالة الكلام عليه ثم  
قال أسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعني أنه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال (ولا يفلح  
الساحرون) يعني حاصل السحر نمويه وتخيل وصاحب ذلك لا يفلح أبد (قالوا) يعني قال قوم فرعون لموسى  
(أجئتنا لتلفتنا) يعني لتصرفنا وتلوينا (عما وجدنا عليه آباءنا) يعني من الدين (وتكون لكما الكبرياء)  
يعني الملك والسلطان (في الارض) يعني في أرض مصر والخطاب لموسى وهرون قال الزجاج سمى الملك  
كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا (وما نحن لكما مؤمنين) يعني بصدقين (وقال فرعون اتوني بكل  
ساحر علم) يعني ان فرعون أراد أن يعارض معجزة موسى بأنواع من التليس ليظهر أن ما أتى به موسى  
سحر (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أتم ملقون) انما أمرهم موسى بالقاء ما معهم من الحبال  
والعصى التي فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان ما أتوا به فاسد (فلما ألقوا) يعني ما معهم  
من الحبال والعصى (قال موسى ما جئتم به السحر) يعني الذي جئتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل  
التوبيخ لهم (ان الله سيبطله) يعني يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) يعني  
لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه (ويحق الله الحق) يعني ويظهر الله الحق ويقويه ويعليه (بكلماته) يعني  
بوعده الصادق لموسى أنه يظهره وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى أنه يغلب السحرة (ولو كره المجرمون)  
قوله سبحانه وتعالى (فما آمن لموسى الاذرية من قومه) لما ذكر الله عز وجل ما أتى به موسى عليه السلام  
من المعجزات العظيمة الباهرة أخبر الله سبحانه وتعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن لموسى الاذرية  
من قومه وانما ذكر الله عز وجل هذا تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان كثير الاهتمام بايمان قومه  
وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان به واستمرارهم على الكفر والتكذيب فيبين الله سبحانه وتعالى ان  
له اسوة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الذي جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان أمرا عظيما ومع  
ذلك فما آمن معه الاذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد  
به التصغير وقلة العدد واختلفوا في هاء الكناية في قومه فقيل انها راجعة الى موسى وأراد بهم قوم موسى  
وهم بنو اسرائيل الذين كانوا معه بمصر من أولاده قال مجاهد هم أولاد يعقوب الذين أرسل اليهم موسى هلك  
الآباء وبقى الابناء وقيل هم قوم نجو من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما أمر بقتل أبناء بني اسرائيل  
كانت المرأة في بني اسرائيل اذا ولدت ابنا وهتته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشوا بين القبط فلما كان اليوم  
الذي غلب موسى فيه السحرة آمنوا به وقال ابن عباس ذرية من قومه يعني من بني اسرائيل وقيل انها راجعة  
الى فرعون يعني الاذرية من قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون  
آمنوا منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وامرأة خازنه وما شطته قال الفراء سمو اذرية لان  
آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون وأمها منهم من بني اسرائيل فكان الرجل يتبع أمه وأخواله في الايمان  
وذلك كما يقال لا ولد فارس الذين دخلوا الى اليمن الانبياء لان أمهاتهم من غير جنس الآباء (على  
خوف من فرعون وملأهم) الملاء الاشراف فعلى هذا يكون معنى الآية على خوف من فرعون ومن

فرعون) الاطائفة من ذراري بني اسرائيل كأنه قيل الأولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة  
من أبنائهم مع الخوف والضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن من آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وما شطته والضمير في (وملأهم) يرجع الى  
فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضراً ولانه ذوا أصحاب يأثمرون

له أو إلى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشرف بنى اسرائيل لانهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم  
دليله قوله ( أن يفتنهم ) يريد أن يعذبهم فرعون ( وان فرعون لعال في الارض ) لغالب فيها قاهر ( وانه لمن المرفين ) في الظلم والفساد وفي  
الكبر والعتو بادعائه الربوبية ( ٣٢٨ ) ( وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله ) صدقتم به وبآياته ( فعليه توكلوا ) فاليه

أشرفهم وهم ملا الذرية لانه كان آباؤهم من القبط وأمهااتهم من بنى اسرائيل وقيل أراد بالاملا فرعون  
وانما قال سبحانه وتعالى وملئهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفخيم له ( أن يفتنهم ) أي يصر فهم  
ويصد هم عن الايمان وانما قال أن يفتنهم ولم يقل أن يفتنوهم لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين  
لامره ( وان فرعون لعال في الارض ) يعني انه لغالب قهار متكبر فيها ( وانه لمن المرفين ) يعني من  
المجاوزين الحد لانه كان عبداً فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبنى اسرائيل ( وقال موسى )  
يعني لقومه ( يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ) يعني فبه فثقوا ولامره فسلموا فانه ناصر أوليائه ومهلك  
أعدائه ( ان كنتم مسلمين ) يعني ان كنتم مستسلمين لامره قيل انما أعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله  
ان كنتم آمنتم بالله لارادة ان كنتم موصوفين بالايمان القلبي وبالاسلام الظاهري ودلت الآية على ان  
التوكل على الله والتفويض لامره من كمال الايمان وان كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره  
( فقالوا ) يعني قال قوم موسى مجيبين له ( على الله توكلنا ) يعني عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا  
( ربنا لا تجعلنا فتنه للقوم الظالمين ) يعني لا تظهرهم علينا ولا نهلكنا بذنوبهم فيظنوا اننا لم نكن على الحق  
فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما  
عذبوا ويظنوا أنهم خير منا فيفتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا ( ونجنا برحمتك من القوم  
الكافرين ) يعني وخلصنا برحمتك من أيدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم  
ويستعملونهم في الاعمال الشاقة قوله عز وجل ( وأوحينا إلى موسى وأخيه هرون أن تبوأ لقومكما  
بمصر بيوتا ) يعني اتخذ القوم كما بمصر بيوتا للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذ مباءة أي وطنا  
والمعنى اجعل بمصر لقومكما بيوتا يرجعون اليها للصلاة والعبادة ( واجعلوا بيوتكم قبلة ) اختلف أهل  
التفسير في معنى هذه البيوت والقبلة فهم من قال أراد بالبيوت المساجد التي يصلى فيها وفسروا القبلة  
بالجانب الذي يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل  
الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا في هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها الا  
أنه قد نقل عن ابن عباس أنه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهرون وهو قول مجاهد أيضا قال ابن عباس  
قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع القراعة فاذن الله لهم أن يصلوا في بيوتهم وأن  
يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل أراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون  
معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أي مقابلة يعني يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة تصلون  
اليها فان قلت انه سبحانه وتعالى خص موسى وهرون بالخطاب في أول الآية بقوله سبحانه وتعالى وأوحينا  
الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما انهم هم هذا الخطاب فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه  
قلت انه سبحانه وتعالى أمر موسى وهرون بان يتبوأ لقومهما بيوتا للعبادة وذلك مما يخص به الانبياء فخفا  
بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة ثم بالخطاب الجميع فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة  
( وأقيموا الصلاة ) يعني في بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه من بنى اسرائيل من فرعون وقومه  
اذا صلوا في الكنائس والبيع الجامعة أن يؤذوهم فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يصلوا في بيوتهم خفية  
من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما أرسل  
موسى أمر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فأمرها أن يتخذوا مساجد في بيوتهم

أسندوا أمركم في العصمة  
من فرعون ( ان كنتم  
مسلمين ) شرط في التوكل  
الاسلام وهو أن يسلموا  
نفوسهم لله أي يجعلوها له  
سائلة خالصة لاحتيا لشيطان  
فيها لان التوكل لا يكون مع  
التخليط ( فقالوا على الله  
توكلنا ) انما قالوا ذلك لان  
القوم كانوا مخلصين لاجرم  
أن الله قبل توكلهم وأجاب  
دعاءهم ونجاهم وأهلك من  
كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء  
في أرضه فن أراد أن  
يصلح للتوكل على ربه فعليه  
برفض التخليط الى الاخلاص  
( ربنا لا تجعلنا فتنه للقوم  
الظالمين ) موضع فتنة لهم أي  
عذاب يعذبوننا ويفتنوننا  
عن ديننا أي يضلوننا  
والفائن المضى عن الحق  
( ونجنا برحمتك من القوم  
الكافرين ) أي من تذبذبهم  
وتسخيرهم ( وأوحينا الى  
موسى وأخيه أن تبوأ  
لقومكما بمصر بيوتا ) تبوأ  
المكان اتخذ مباءة كقوله  
توطنه اذا اتخذ وطنا  
والمعنى اجعلوا بمصر بيوتا  
من بيوت مباءة لقومكما  
ومرجعا يرجعون اليه  
للعبادة والصلاة فيه ( واجعلوا

بيوتكم قبلة ) أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في أول  
الامر مأثورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في أول  
الاسلام بمكة ( وأقيموا الصلاة ) في بيوتكم حتى تأمنوا ( وبشئ المؤمنين ) يا موسى نبي الخطاب أولاً ثم جمع ثم وحد آخر الان اختيار مواضع



العبادة مما يفوض الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على الجمهور وخص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيما لها  
 والمبشر بها (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاذينة) هو ما يتزين به من لباس أو حلى أو فرش أو أثاث أو غير ذلك (وأموالا)  
 أي تقدا ونعما وضيعة (في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) ليضلوا الناس (٣٢٩) عن طاعتك كوفي ولا وقف على

الدنيا لان قوله ليضلوا  
 متعلق بآتيت وربنا تكرار  
 الاول لللاحاح في التضرع  
 قال الشيخ أبو منصور  
 رحمه الله اذا علم منهم أنهم  
 يضلون الناس عن سبيله  
 آتاهم ما آتاهم ليضلوا  
 عن سبيله وهو كقوله انما  
 نملي لهم ليزدادوا انما  
 فتكون الآية حجة على  
 المعتزلة (ربنا طمس على  
 أموالهم) أي اهلكها  
 وأذهب آثارها لانهم  
 يستعينون بنعمتك على  
 معصيتك والطمس المحو  
 والهلاك قيل صارت  
 دراهمهم ودنانيرهم حجارة  
 كهيا آتاهم منقوشة وقيل  
 وسائر أموالهم كذلك  
 (واشدد على قلوبهم) اطبع  
 على قلوبهم واجعلها قاسية  
 (فلا يؤمنوا) جواب الدعاء  
 الذي هو اشدد (حتى يروا  
 العذاب الاليم) الى ان يروا  
 العذاب الاليم وكان كذلك  
 فانهم لم يؤمنوا الى الغرق  
 وكان ذلك ايمان بأس فلم  
 يقبل وانما دعاء عليهم بهذا  
 لما أس من ايمانهم وعلم  
 بالوحى انهم لا يؤمنون فاما  
 قبل ان يعلم بانهم لا يؤمنون  
 فلا يسع له أن يدعو بهذا

ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما أرسل موسى وهرون وأظهرهما على فرعون  
 أمرهم باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله سبحانه وتعالى  
 (وبشر المؤمنين) يعني بانه لا يصل اليهم مكرود ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون  
 وملاذينة وأموال في الحياة الدنيا) لما أتى موسى عليه السلام بالمعجزات الباهرات ورأى أن القوم  
 مصررون على الكفر والعناد والانكار لما جاء به أخذ في الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر  
 أو لا سبب اقدامه على الجرائم التي كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم  
 وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها لاجرم ان موسى لما أخذ في الدعاء قدم هذه المقالة فقال ربنا انك آتيت  
 فرعون وملاذينة وأموال في الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والغلمان وأثاث  
 البيت الفاخر والاشياء الجميلة والمال ما زاد على هذه الاشياء من الصامت ونحوه ثم قال تبارك وتعالى (ربنا  
 ليضلوا عن سبيلك) اختلفوا في هذه اللام فقال الفراء هي لام كي فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه  
 الاموال سببا لضلالتهم لانهم بطروا وطغوا في الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما هي لما  
 يؤل اليه الامر والمعنى انك آتيت فرعون وملاذينة في الحياة الدنيا فاضلوا فعلى هذا هي لام العاقبة يعني  
 فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانباري هي لام الدعاء وهي لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتح بها  
 الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك (ربنا طمس على أموالهم) الطمس ازالة اثر  
 الشيء بالمحو ومعنى طمس على أموالهم ازل صورها وهياكلها وقال مجاهد اهلكها وقال أكثر المفسرين  
 امسحها وغيرها عن هيتها قال قتادة بلغنا ان أموالهم وحرثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال  
 محمد بن كعب القرظي صارت صورهم حجارة وكان الرجل مع أهله في فراشه فصار الحجرين والمرأة قائمة تخبز  
 فصارت حجر او هذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالسخ وقال ابن  
 عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيتها صحاحا وانصافا وثلاثا وقيل ان عمر بن عبد  
 العزيز دعا بحجر يطع فيها شيء من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة منقوشة والجوزة مشقوقة وهي حجارة  
 وقال السدي مسخ الله أموالهم حجارة النخل والتمر والدقيق والاطعمة وهذا الطمس هو أحد الآيات  
 التسع التي أوتىها موسى عليه السلام (واشدد على قلوبهم) يعني اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى  
 لا تلين ولا تنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدى  
 وهذا دليل على ان الله سبحانه وتعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولو لذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا  
 السؤال (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) يعني الغرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس في رواية أخرى  
 عنه قال موسى قبل أن يأتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله  
 له دعاءه فخل بين فرعون وبين الايمان حتى أدركه الغرق فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء انما دعاء عليهم  
 موسى بهذا الدعاء لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله سبحانه وتعالى كتب  
 عليهم في الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم (قال) الله عز وجل اوسى وهرون (قد  
 أجبت دعوتكما) انما نسب الدعاء اليهما وان داعي هو موسى وحده لان هرون عليه السلام كان يؤمن  
 والتأمين دعاء لانه طلب وسؤال أيضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى في الدعاء فلذلك قال

(٤٢ - (خازن) - ناني)

الدعاء لانه أرسل اليهم ليدعوهم الى الايمان وهو يدل على ان الدعاء على الغير بالموت على  
 الكفر لا يكون كفرا (قال قد أجبت دعوتكما) قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمن فثبت ان التأمين دعاء فكان  
 اخفاؤه أولى والمعنى ان دعاء كما مستجاب وما طلبتها كائن ولا كمن في وقته

(فاستقيا) فآتت على ما أنما عليه من الدعوة والتبليغ (ولاتبعان سبيل الذين لا يعلمون) ولا تبتعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق  
الاجابة وحكمة الامهال فقد كان بين الدعاء والاجابة أربعون سنة ولا تبتعان بتخفيف النون وكسر هاء الالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية  
شامى وخطأ بعضهم لان النون (٢٣٠) الخفيفة واجبة السكون وقيل هو اخبار عما يكونان عليه وليس بنهي أو هو حال

تعالى قد أجبت دعوتكما (فاستقيا) يعنى على تبليغ الرسالة وامضيا الامر الى أن يأتيهم العذاب  
(ولاتبعان سبيل الذين لا يعلمون) يعنى ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدى فان وعدى لاخاف  
فيه ووعدى نازل بفرعون وقومه فلا تستهجن لاقيل كان بين دعاء موسى عليه السلام وبين الاجابة أربعون  
سنة قال الامام نجر الدين الرازى واعلم ان هذا النهى لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهرون كما أن قوله  
ان اشركت ليحبطن عمالك لا يدل على صدور الشرك منه <sup>منه</sup> قوله عز وجل (وجاوزنا بيني اسرائيل البحر)  
أى وقطعنا بيني اسرائيل البحر وعبرناهم اياه حتى جاوزوه وعبروه (فانبعهم فرعون وجنوده) يعنى لحقهم  
وأدركهم (بغيا وعدوا) أى ظلموا وعدوا وانا وقيل البنى طلب الاستعلاء بغير حق والعدو والظلم وقيل بغيا فى  
القول وعدوا فى الفعل قال أهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع  
موسى من مصر وهم ستمائة ألف وذلك انه لما أجاب الله دعاء موسى وهرون أمرهما بالخروج بيني اسرائيل  
من مصر فى الوقت الذى أمرهما أن يخرجاه فيهم ويسر لهم أسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما  
سمع بخروجهم ومفارقتهم مملكته خرج بجنوده فى طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى ابن المخلص والمخرج البحر  
أمامنا وفرعون وراءنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فوحي الله سبحانه وتعالى الى موسى أن اضرب  
بعصاك البحر فضر به فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف الله عن وجه الارض وأيبس لهم البحر  
فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه فى عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى سائر  
الالوان وكان مقدمهم جبريل وكان على فرس أنقى وديق وميكائيل بسوقهم حتى لا يشد منهم أحد فلما  
خرج آخر بنى اسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ربح الاثنى لم يملك فرعون من أمره  
شياً فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم أولهم بالخروج التطم البحر عليهم فلما  
أدرك فرعون الغرق أتى بكامة الاخلاص ظن ان من انما تنجيه من الهلاك وهو قوله تعالى (حتى اذا أدركه  
الغرق قال) يعنى فرعون (آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) قال ابن عباس لم  
يقبل الله ايمانه عند نزول العذاب به وقد كان فى مهل قال العلماء ايمانه غير مقبول وذلك أن الايمان والتوبة  
عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبولين وبدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لمارأوا باسنا وقيل انه  
قال هذه الكامة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله تعالى  
والاعتراف له بالربوبية لاجرم لم ينفعه ما قال فى ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين  
لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى فلهذا قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل فلم ينفعه ذلك  
لحصول الشك فى ايمانه ولم يرجع فرعون الى الايمان والتوبة حين أغلق بابها بحضور الموت ومعاينة  
الملائكة قيل له (آلان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) يعنى آلان تتوب وقد أضعت التوبة فى  
وقتها وآثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل  
الملائكة وقيل ان القائل لذلك هو الله تعالى عرف فرعون قبض صنعه وما كان عليه من الفساد فى الارض  
وبدل على هذا القول قوله سبحانه وتعالى فالיום تنجيك بيدك والقول الاول أشهر ويعضده ما روى عن  
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما غرق الله فرعون قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت  
به بنو اسرائيل قال جبريل يا محمد فلورأيتنى وأنا آخذ من حال البحر فادسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحمة

رتقده فاستقيا غير  
متبعين (وجاوزنا بيني  
اسرائيل البحر) هو دليل  
لنأى على خلد فى الافعال  
(فانبعهم فرعون وجنوده)  
فلحقهم يقال تبعته حتى  
أتبعته (بغيا) تطاولا  
(وعدوا) ظلموا واتصبا  
على الحال أو على المفعول  
له (حتى اذا أدركه الغرق)  
ولا وقف عليه لان (قال  
آمنت) جواب اذا (انه)  
جزء وعلى على الاستئناف  
بدل من آمنت وبالفتح  
غيرهما على حذف الباء التى  
هى صلة الايمان (لا اله الا  
الذى آمنت به بنو اسرائيل  
وأنا من المسلمين) وفيه  
دليل على ان الايمان  
والاسلام واحد حيث قال  
آمنت ثم قال وأنا من المسلمين  
كرر فرعون المعنى الواحد  
ثلاث مرات فى ثلاث  
عبارات حرصا على القبول  
ثم لم يقبل به حيث أخطأ  
وقته وكانت المرة الواحدة  
تصكفى فى حالة الاختيار  
(آلان) أن تؤمن بالساعة فى  
وقت الاضطرار حين أدركك  
الغرق وأيست من نفسك  
قيل قال ذلك حين أجه

الغرق والعامل فيه أن تؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) من الضالين المضلين عن الايمان روى ان جبريل أخرجه  
عليه السلام أنه بفتيا ما قول الامير فى عبد رجل نشأ فى ماله ونعمته فكفر بنعمته ومجد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فيه يقول أبو  
العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق فى البحر فلما أجه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه

أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وفي رواية أخرى عنه عن عدى بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أن جبريل عليه السلام جعل يدس في فرعون الطين خشية أن يقول لا اله الا الله فيرجه الله أو خشية أن يرجه الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

﴿فصل في الكلام على هذا الحديث﴾ لأنه في الظاهر مشكل فيحتاج الى بيان وايضاح فتقول قد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس ففي الطريق الاول عن ابن زيد بن جدعان وهو وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فإنه كان شيخا نبيا لصدوقا ولا كنهه كان سبيء الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه وانما يخشى من حديثه اذا لم يتابع عليه أو خالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لان في الطريق الآخر شعبة عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخاري ورواه أيضا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به أو خولف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان لهذا الحديث أصلا وان رواه ثقات ليس فيهم متهم وان كان فيهم من هو سبيء الحفظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت ففي الحديث الثاني شك في رفعه لأنه قال فيه ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ليس بشك في رفعه انما هو جزم بان أحد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن السائب أو عدى بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه أحدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث وقوله من حال البحر أرى من طين البحر كما في الرواية الاخرى

﴿فصل﴾ ووجه اشكاله ما اعترض به الامام غفر الدين الرازي في تفسيره فقال هل يصح أن جبريل أخذ يملأه بالطين لثلاثين يوما غضبا عليه والجواب الاقرب أنه لا يصح لان في تلك الحالة امان يقال التكليف هل كان ثابتا أم لا فان كان ثابتا لا يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وعلى كل طاعة وان كان التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فينتد لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة وأيضا لو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وأيضا كيف يليق بحلال الله ان يأمر جبريل بان يمنعه من الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله فهذا يبطله قول جبريل وما تنزل الا بأمر ربك فهذا وجه الاشكال الذي أورده الامام على هذا الحديث في كلام أكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد وأما قول الامام ان التكليف هل كان ثابتا في تلك الحالة أم لا فان كان ثابتا لم يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على أصل المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله وان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهذا قول أهل السنة المثبتين للقدر فانهم يقولون ان الله يحول بين الكافر والايمان ويبدل على ذلك قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله تعالى وقالوا اقلوبنا غلظ بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة فان خبر الله سبحانه وتعالى انه قلب أفئدتهم مثل تركهم الايمان به أول مرة وهكذا فعل بفرعون منه من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان أولا فدس الطين في فم فرعون من جنس الطبع والخبث على القلب ومنع الايمان وصون الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طائفة من المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين بخلق الافعال من اعترف أيضا ان الله سبحانه وتعالى يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه ان يضل به ويطبع على قلبه ويمنعه من الايمان فاما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب فان غاية ما يقال فيه ان الله سبحانه وتعالى منع فرعون من الايمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره السابق

ورده للايمان لما جاءه وأما فعل جبريل من دس الطين في فيه فأنما فعل ذلك بأمر الله لا من تلقاء نفسه فاما قول الامام لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا يجب عليه ما يجب علينا وأما اذا كان جبريل انما يفعل ما أمره الله به والله سبحانه وتعالى هو الذي منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لأمر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة من لم يمنه الله بل قد حكم عليه وأخبر عنه أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل عليه السلام اما أن يتصرف بأمر الله فلا يفعله الا بأمر الله به واما ان يفعل ما يشاء من تلقاء نفسه لا بأمر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما أمر به ويحرم عليه فعل ما نهى عنه والله سبحانه وتعالى لم يخبرانه أمره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملائكة مكلفين كتكليفنا وقوله وان كان التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فينبغي ان يبقى لهذا الذي ينسب الى جبريل فائدة جوابه أن يقال ان للناس في تكميل افعال الله قولين أحدهما أن أفعاله لا تعقل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال أصلا وقد زال الاشكال والقول الثاني ان أفعاله تبارك وتعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فعلها وكذا وأمره ونواهيها غاية محمودة لا جلالها أمر بها ونهى عنها وعلى هذا التقدير قد يقال كما قال فرعون آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وقد علم جبريل انه من حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه دس الطين في فيه لتحقق معاينته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له وانه وان كان قاطنا في وقت لا ينفعه دس الطين في فيه تحقيقا لهذا المنع والفائدة فيه تجميل ما قد قضى عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا يبقى للرجة فيه منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى عليه السلام لما دعاه به بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند رؤية العذاب غير نافع أجاب الله دعاءه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الفرق استجمل جبريل قدس الطين في فيه ليأس من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتتحقق اجابة الدعوة التي وعد الله موسى بقوله قد أجيت دعوتكم كما فيكون سعي جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله أنه يفعله فينكون سعي جبريل في مرضاة الله سبحانه وتعالى منفذ لما أمر به وقدره وقضاه على فرعون وأما قوله لو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر جوابه ما تقدم من ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وجبريل انما يتصرف بأمر الله ولا يفعل الا ما أمره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما أمره الله به ونفذه فأنما رضى بالامر لا بالأمور به فأى كفر يكون هنا وأيضا فان الرضا بالكفر انما يكون كفرا في حقنا لا مأمورا وبإذاته بحسب الامكان فاذا أقرنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفرا في حقنا لمخالفتنا ما أمرنا به واما من ايس مأمورا كما مرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يأمره به فانه اذا نفذ ما أمر به لم يكن راضيا بالكفر ولا يكون كفرا في حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لم يمس الطين في في فرعون كان ساخطا لكفره غير راض به والله سبحانه وتعالى خالق افعال العباد خيرا وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية أمر جبريل مع فرعون أن يكون منفذا لقضاء الله وقدره في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بجلال الله أن يأمر جبريل بان يمنعه من الايمان جوابه ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وأما قوله وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله جوابه انما فعل ذلك بأمر الله منفذ الامر الله والله اعلم بمراده وأسراره كتابه ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (فاليوم نجيبك ببدنك) أي نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع قال أهل التفسير لما أغرق الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه فقالت بنو اسرائيل مامات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمتهم عندهم وما حصل في قلوبهم من

(فاليوم نجيبك) نلقيك  
بنجوة من الارض فرماه  
الماء الى الساحل كأنه نور  
(بيدك) في موضع  
الحال أي في الحال التي  
لا روح فيك وانما أنت  
بدن أو بيدك كما لا سويها  
لم ينقص منه شيء ولم يتغير أو  
عريانا است الابدنا من  
غير لباس أو بدرعك  
وكانت له درع من ذهب  
يعرف بها وقرأ أبو حنيفة  
رضي الله عنه ببدنك  
وهو مثل قولهم هو باحرامه  
أي ببدنك كله وافيا باجزائه  
أو بدرعك لانه ظاهر  
بينها

(لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في أنفسهم ان فرعون أعظم شأننا من ان يفرق وقيل أخبرهم موسى به لا كما فلم يصدقوه فالتقاء الله على الساحل حتى عينوه وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته وان ما كان يدعيه من الربوبية محال وانه ما كان عاينه من عظيم الملك (٣٣٣) آل أمره الى ما ترون لعصيانه ربه

الرعب لاجله فامر الله عز وجل البحر فالتقى فرعون على الساحل أحر قصيما كأنه ثور فرآه بنو اسرائيل فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا ومعنى قوله بيدك يعني تلقيك وأنت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء كأنه قيل له تنجيك ولكن هذه النجاة إنما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل أراد بالبدن الدرع وكان فرعون درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما سأروه في درعه ذلك عرفوه (لتكون لمن خلفك آية) بمعنى عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت أبدا فآظمه الله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت تنزل الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والذلة ملقى على الارض لا يهابه أحد (وان كثير من الناس عن آياتنا الغافلون) قوله عز وجل (واقعدوا بنو اسرائيل مبوا صدق) يعني أسكنناهم مكان صدق وأنزلناهم منزل صدق بعد خز وجهم من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى أنزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشيء اذا كان كاملا صالحا لا بد أن يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان الذي بوؤا قولنا أحدهما انه مصر فيكون المراد ان الله أورت بني اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه أرض الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) يعني فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وكفر به بعضهم بنجيا وحسدا فعلى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعالم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم العلم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعالم وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب مجاز مشهور وفي كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونبوته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بنجيا وحسدا وايقروا بالبقاء الرياسة لهم فآمن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني ان اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم آمن به طائفة وكفر به آخرون وقوله تعالى (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني من أمرك وأمر نبوتك في الدنيا فيدخل من آمن بك الجنة ومن كفر بك ونجى نبوتك النار قوله سبحانه وتعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك) الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال النقيضين عند الانسان لوجودا مرتين أو لعدم الامارة والشك ضرب من الجهل وهو أخص منه فكل شك جهل وايس كل جهل شك فاذا قيل فلان شك في هذا الامر فعناه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب أو خلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في شك انه للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد في شك مما أنزلنا اليك يعني من حقيقة ما أخبرناك به وأنزلناه يعني القرآن (فاستل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) يعني علماء أهل

علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجه شبهة أن يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وأداته أو بما حثه العلماء فسل علماء أهل الكتاب فانهم من الاحاطة بصحة ما أنزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه

علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجه شبهة أن يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وأداته أو بما حثه العلماء فسل علماء أهل الكتاب فانهم من الاحاطة بصحة ما أنزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه

الكتاب يخبروك أنك مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وأنت نبي يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه  
ههنا سؤال واعتراض وهو أن يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أنزل عليه أو في نبوته حتى يسأل أهل  
الكتاب عن ذلك وإذا كان شاكافي نبوة نفسه كان غيره أولى بالشك منه قلت الجواب عن هذا السؤال  
والاعتراض ما قاله القاضي عياض في كتابه الشفاء فإنه أورد هذا السؤال ثم قال احذر ثبت الله قلبك أن  
يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما  
أوحى إليه فإنه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى  
الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصري وحكى عن قتادة أنه قال بلغنا أن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا ثم كلام القاضي عياض رحمه الله ثم اختلفوا  
في معنى الآية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين أحدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر  
والمراد به غيره فهو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك ومعالم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت  
ان المراد به غيره ومن أمثلة العرب \* اياك أعني واسمى يا جاره \* فعلى هذا يكون معنى الآية قل يا محمد  
يا أيها الانسان الشاك ان كنت في شك مما أنزلنا إليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسئل الذين  
يقرؤون الكتاب يخبروك بصحته وبدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى في آخر هذه السورة قل يا أيها الناس  
ان كنتم في شك من دنى الآية فبين أن المذكور في هذه الآية على سبيل الرمز هو المذكور في تلك الآية على  
سبيل التصريح وأيضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكافي نبوته كان غيره أولى بالشك في نبوته وهذا  
يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل ان الله سبحانه وتعالى علم أن النبي صلى الله عليه وسلم  
لم يشك قط فيكون المراد بهذا التمهيج فإنه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام يقول لا أشك يا رب ولا  
أسأل أهل الكتاب بل أكتفي بما أنزلت على من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى  
الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وهذا وجه  
حسن لكن فيه بعد وهو أن يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخل في هذا الخطاب كان الاعتراض  
موجودا والسؤال وارد وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في شك للنبي ومعناه وما أنت في شك مما أنزلنا  
إليك حتى تسأل فلا تسأل واثن سألت لآزددت بيقينا والقول الثاني أن هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله  
عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا في زمنه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مؤمنون  
وفرقة على الضم من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون في أمره الشاكون فيه فخاطبهم الله عز وجل بهذا  
الخطاب فقال تمجدو تعالي فان كنت أيها الانسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد صلى الله  
عليه وسلم فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحد الله الضمير في قوله فان كنت وهو يريد الجمع  
لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد في الآية انسانا بعينه بل  
أراد الجمع واختلفوا في المسؤول عنه في قوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون  
من أهل التفسيرهم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه لانهم هم الموثوق باخبارهم  
وقيل المراد كل أهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لان المقصود من هذا السؤال الاخبار بصحة نبوة محمد  
صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم صفته ونعته فاذا أخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول أصح وقال  
الضحاك يعني أهل التقوى وأهل الايمان من أهل الكتاب ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم (لقد جاءك  
الحق من ربك) هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره أقسم لقد جاءك الحق اليقين  
من الخبر بانك رسول الله حقا وأن أهل الكتاب يعلمون صحة ذلك (فلا تكونن من الممترين) يعني من  
الشاكين في صحة ما أنزلنا إليك (ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله) يعني بدلائله وبراهينه الواضحة

(لقد جاءك الحق من ربك) أي ثبت عندك  
بالآيات الواضحة والبراهين  
اللاشعة أن ما أتاك هو الحق  
الذي لا مجال فيه للشك  
(فلا تكونن من الممترين)  
الشاكين ولا وقف عليه  
للعطف (ولا تكونن  
من الذين كذبوا بايات  
الله

(فتكون من الخاسرين) أي فابت وددم على ما أنت عليه من انتفاء المزية عنك والتكذيب بآيات الله وهو على طريق التهميش والاطباب كقوله فلا تكونن ظهير للكافرين ولا يصدقك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لأشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق أو خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أي وإن كنتم في شك مما أنزلنا إليكم كقوله وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً والخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب إذا عز أخوك فهن أو أن للنفي أي فما كنت في شك فسل أي ولا تأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقيناً كما زداد إبراهيم عليه السلام بمعاينة أحياء الموتى فان قلت انما يجيء ان للنفي إذا كان بعده الاكفولة ان الكافرون الا في غرور قلت ذلك غير لازم الا ترى الى قوله (٣٣٥) ان أمسكهم من أحد من بعده

فان للنفي وليس بعده الا (ان الذين حقت عليهم كلمات ربك) ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفاراً وقوله لأملأن جهنم الآية ولا وقف على (لا يؤمنون) لان (ولوجاءتهم كل آية) تتعلق بما قبلها (حتى يروا العذاب الاليم) أي عند اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم أو عند القيامة ولا يقبل منهم (فلولا كانت قرية آمنت) قرية آمنت) فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكتها تابت عن الكفر وأخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما أخر فرعون الى أن أخذ بحتفه (فنفخها إيمانها) بان تقبل الله إيمانها بما بوقوعه في وقت الاختيار الا قوم يونس استثناء منقطع أي ولكن قوم

(فتكون من الخاسرين) يعني الذين خسروا أنفسهم واعلم أن هذا كله على ما تقدم من أن ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من عنده شك وارتباب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله فثبت بهذا أن المراد به غيره والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ان الذين حقت عليهم) يعني وجبت عليهم (كلمات ربك) يعني حكم ربك وهو قوله سبحانه وتعالى خالقت هؤلاء النار والابالي وقال فتادة سقط ربك وقيل لعن ربك وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الازل (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) فانهم لا يؤمنون بها (حتى يروا العذاب الاليم) حينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله سبحانه وتعالى قد حكم عليهم وصرّفهم عن الايمان فلا ينفعهم شيء ﴿ قوله سبحانه وتعالى (فلولا) يعني فهلا (كانت قرية) وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان الاستفهام معنى الحجة والمراد هل كانت قرية (آمنت) يعني عند معاينة العذاب (فنفخها إيمانها) يعني في حال اليأس (الاقوم يونس) هذا الاستثناء منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم آمنوا فنفعهم إيمانهم في ذلك الوقت وهو قوله (لما آمنوا) يعني لما أخلصوا الايمان (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) يعني الى وقت انقضاء آجالهم واختافوا في قوم يونس هل رأوا العذاب عياناً أم لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فآمنوا وقال الآخرون انهم رأوا العذاب عياناً بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع أو اذا قرب وقوعه ﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾

على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبيرة وروى عنهم قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية نينوى من أرض الموصل وكانوا أهل كفر وشرك فارسل الله سبحانه وتعالى اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقبل له أخبرهم أن العذاب مصعبهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انما نجرب عليه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا أن العذاب مصعبكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال ابن عباس ان العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلاثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبيرة غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غماً سودها ثلاثي خن دخاناً شديداً فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا باطلاك فطلبوا نبيهم يونس عليه السلام فلم يجدوه فقذف الله سبحانه وتعالى في قلبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بانفسهم ونساءهم وصبياهم ودوابهم وابسوا المسوخ

يونس أو متصل والجملة في معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى اهل الكفة الا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضباً فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوخ وكفوا عن عبادة الأصنام ورجعوا الى الصعيد بانفسهم ونساءهم وصبياهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها فن بعض وأظهروا الايمان والتوبة فرجعهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى أن الرجل كان يقلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا المنازل بهم العذاب الى شيخ من بقية عاماتهم فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي لا اله الا أنت فقالوا هاهنا كشف الله عنهم وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منا واجل اعمل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله

لا يختلفون فيه أخبر عن  
كمال قدرته ونفوذ مشيئته  
انه لو شاء لآمن من من في  
الارض كلهم ولكنه شاء  
ان يؤمن به من علم منه  
اختيار الايمان به وشاء  
الكفر من علم انه يختار  
الكفر ولا يؤمن به وقول  
المعترلة المراد بالمشيئة  
مشيئة القدر والالقاء  
أي لو خلق فيهم الايمان  
جبرالآمنوا لكن قد شاء  
ان يؤمنوا اختيارا فلم  
يؤمنوا دليله (أفأنت  
تسكرة الناس حتى يكونوا  
مؤمنين) أي ليس اليك  
مشيئة الاكراه والجبر في  
الايمان انما ذلك الى فاسد  
لان الايمان فعل العبد  
وفعله ما يحصل بقدرته ولا  
يتحقق ذلك بدون  
الاختيار وتاويله عندنا  
ان الله تعالى اطفالوا أعظاهم  
لآمنوا كلهم عن اختيار  
ولكن علم منهم أنهم  
لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك  
وهو التوفيق والاستفهام في  
أفأنت بمعنى النبي أي لا تملك  
أنت يا محمد أن تكرههم  
على الايمان لانه يكون  
بالتصديق والافرار ولا  
يمكن الاكراه على التصديق  
(وما كان لنفس أن  
تؤمنن الا باذن الله)  
بمشيئته أو بقضائه أو

وأظهروا الاسلام والتوبة وفرقوا بين كل والددة وولدها من الناس والدواب فخن البعض خن  
الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعلمت الاصوات وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا آمنا  
بما جاء به يونس وناوبوا الى الله وأخلصوا النية فرجهم بهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم منازلهم من  
العذاب بعدما نزلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من تو بتهم ان ترادوا  
المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل يأتي الى الحجر وقد وضع أساس بنيانه عليه فيقلعه فيرده وروي الطبري  
بسنده عن أبي الجلد خيلان قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد  
نزل بنا العذاب فاترى قال قولوا يا حي حين لا حي ويا حي الموتى ويا حي لا اله الا أنت فقالوا ها فكشف الله  
عنهم العذاب وتمعوا الى حين وقال الفصيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت  
أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله قال وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا  
فقبل له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذابا وكان من كذب ولا يينة له قتل فانصرف  
عنهم مغاضبا فالتقمه الحوت وسأتاني القصة في سورة والصفات ان شاء الله تعالى فان قلت كيف كشف  
العذاب عن قوم يونس بعدما نزل بهم وقبل تو بتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل توبته  
قلت أجاب العلماء عن هذا باجوبة احدى ان ذلك كان خاصا بقوم يونس والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد  
الجواب الثاني ان فرعون ما آمن الا بعد ما باشر العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وقوم يونس دنا منهم  
العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية الجواب الثالث ان الله عز  
وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل تو بتهم بخلاف فرعون فانه ما صدق في ايمانه ولا أخلص فلم يقبل منه  
ايمانه والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) يقول الله عز وجل لئيه  
محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك يا محمد لآمن بك وصدقك من في الارض كلهم جميعا ولكن لم يشأن  
يصدقك ويؤمن بك الا من سبقت له السعادة في الازل قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان  
يحرص ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله عز وجل انه لا يؤمن به الا من سبقت له من  
الله السعادة في الذكر الاول ولم يضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول وفي هذا نسبية للنبي صلى الله  
عليه وسلم لانه كان حر يصاعلى ايمانهم كلهم فاخبره الله انه لا يؤمن به الا من سبقت له العناية الازلية فلا تعب  
نفسك على ايمانهم وهو قوله سبحانه وتعالى (أفأنت تسكرة الناس حتى يكونوا مؤمنين) يعني ليس ايمانهم  
اليك حتى تكرههم عليه أو تحرص عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشيتنا وقضائنا وقدرنا ليس ذلك  
لاحد سوانا (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) يعني وما كان ينبغي لنفس خلقها الله تعالى أن تؤمن  
وتصدق الا بقضاء الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله وهو الهادي المضل وقال ابن عباس معنى باذن الله بامر  
الله وقال عطاء بمشيئة الله قوله تعالى (ويجعل) قرى بالنون على سبيل التعظيم أي ونجعل نحن وقرى  
بالياء ومعناه ويجعل الله (الرجس) يعني العذاب وقال ابن عباس يعني السخط (على الذين لا يعقلون) يعني  
لا يفهمون عن الله أمره ونهيه قوله عز وجل (قل انظروا) أي قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين يسألونك  
الآيات انظروا يعني انظروا باقلوبكم نظرا اعتبارا وتفكرا وتدبرا (ماذا في السموات والارض) يعني ماذا خلق  
الله في السموات والارض من الآيات الدالة على وحدانيته في السموات الشمس والقمر وهما دليلان  
على النهار والليل والنجوم مسخرها طاعة وغاربه وانزال المطر من السماء وفي الارض الجبال والبحار  
والمعادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك آية دالة على وحدانية الله تعالى وانه خالقها كما قال الشاعر  
وفي كل شيء له آية \* تدل على انه واحد

(وما

بتوفيقه ونسهيته أو بعلمه (ويجعل الرجس) أي العذاب أو السخط أو الشيطان أي ويساط  
الشيطان (على الذين لا يعقلون) لا يتفهمون بعقولهم ويجعل حجادو يحيي (قل انظروا) نظرا استدلال واعتبار (ماذا في السموات والارض)



من الآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار (وما تفي الآيات) مانافية (والنذر) والرسل المنذرون أو الانذارات  
(عن قوم لا يؤمنون) لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون (فهل ينتظرون) (٣٣٧) الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم)

(وما تفي الآيات والنذر) يعني الرسل (عن قوم لا يؤمنون) وهذا في حق أقوام علم الله أنهم لا يؤمنون لما سبق لهم في الازل من الشقاء (فهل ينتظرون) يعني مشركي مكة (الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم) يعني من مضى من قبلهم من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمى العذاب أياما والنعم أياما كقوله تعالى وذكركم بأيام الله والمعنى فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد الا يوما يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة أهل كنعانهم جميعا فان كانوا ينتظرون ذلك العذاب (فقل فانتظروا) يعني قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب (اني معكم من المنتظرين) يعني هلاكم قال الربيع بن أنس خوفهم عذابه ونقمته ثم أخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم أنجى الله رسوله والذين آمنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى (ثم تنجي رسلا والذين آمنوا) يعني من العذاب والهلاك (كذلك) حقا علينا تنجي المؤمنين) يعني كما أنجينا رسلا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك تنجيك يا محمد والذين آمنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخلص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب وأجيب عن هذا بانه حق واجب من حيث الوعد والحكم لانه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شيئا <sup>قوله سبحانه وتعالى</sup> (قل يا أيها الناس) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد هؤلاء الذين أرسلتك اليهم فشكوا في أمرك ولم يؤمنوا بك (ان كنتم في شك من ديني) يعني الذي أدعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم في أمره صلى الله عليه وسلم لما رأى الآيات التي كانت تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل له الاضطراب والشك فقال ان كنتم في شك من ديني الذي أدعوكم اليه فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وانتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما ينبغي لكم أن تشكوا في عبادتكم هذه الاصنام التي لا أصل لها البتة فان أصرتم على ما أتم عليه (فلا تعبدون من دون الله) يعني هذه الاوثان واما رجب تقديم هذا النفي لان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا تليق لاجس الاشياء وهي الحجارة التي لا تنفع لمن عبدها ولا تضر ان تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضرر وهو قادر على الامانة والاحياء وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) والحكمة في وصف الله سبحانه وتعالى في هذا المقام بهذه الصفة ان المراد ان الذي يستحق العبادة فاعبده انما هو الذي خلقكم اولاً ولم تكونوا شيئا ثم يميتكم ثانياً يميتكم بعد الموت ثالثاً كتنفى بذك الوفاة تنبيهاً على الباقي وقيل لما كان الموت أشد الاشياء على النفس ذكر في هذا المقام ليكون أقوى في الزجر والردع وقيل انهم لما استهجوا بطلب العذاب أجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذي هو قادر على اهلاككم ونصري عليكم (وأمرت أن أكون من المؤمنين) يعني وأمرت بي أن أكون من المصدقين بما جاء من عنده قيل لما ذكر العبادة وهي من أعمال الجوارح أتبعها بذك الايمان لانه من أعمال القلوب (وان أقم وجهك للدين حنيفاً) الواو في قوله وان أقم واو عطف معناه وأمرت ان أقيم وجهي يعني أقم نفسك على دين الاسلام حنيفاً يعني مستقيماً عليه غير معوج عنه الى دين آخر وفي معناه أقم عملك على الدين الحنيفي وقيل أراد بقوله وان أقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيفي غير مائل عنه (ولا تكونن من المشركين) يعني ولا تكونن ممن يشرك في عبادة به غيره فيهلك وقيل النهي عن عبادة الاوثان قد تقدم في الآية المتقدمة فوجب حمل هذا النهي على معنى زائد وهو أن من عرف العز وجل وعرف جميع أسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغي له أن يلتفت الى غيره بالكيفية هذا هو الذي تسميه أصحاب القلوب بالشرك الخفي (ولاندع من

يعني وقائع الله فيهم كما يقال أيام العرب لوقائعها (قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم تنجي رسلا) معطوف على كلام محذوف يدل عليه الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم تنجي رسلا على حكاية الاحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن آمن معهم (كذلك حقا علينا تنجي المؤمنين) أي مثل ذلك الانجاء تنجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض أي وحق ذلك علينا حقا ينجي بالتخفيف على وحفص (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) وصحته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه ثم وصف دينه فقال (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أي الاصنام (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) يميتكم وصفه بالتسوية ليريهام انه الحقيقي بان يخاف ويتقى ويعبسدون ما لا يقدر على شيء (وأمرت أن أكون من المؤمنين) أي بان أكون يعني ان الله أمرني بذلك ببارك في من العقل وبما أوحى

(٤٣ - (خازن) - ثاني) في كتابه (وان أقم وجهك للدين) أي وأوحى الى أن أقم ليشا كل قوله أمرت أي استقم مقبلاً بوجهك على ما أمرك الله أو استقم اليه ولا تتيمز اولاً شاملاً (حنيفاً) حالاً من الدين أو الوجه (ولا تكونن من المشركين) ولا ندع من

دون الله ما لا ينفعك) ان دعوته (ولا يضرك) ان خذلته (فان فعلت) فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكفى عنه بالفعل  
 ايجارا (فانك اذا من الظالمين) اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم  
 أعظم من الشرك (وان يمسك الله) يصيبك (بضر) مرض (فلا كاشف له) لذلك الضر (الاهو) الا الله (وان يردك بخير) عافية (فلا  
 راد لفضله) فلا راد لمراده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده) قطع مهنده الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة الا اليه والاعتماد الاعليه  
 (وهو الغفور) المكفر بالبلاء (۳۳۸) (الرحيم) المعافي بالعطاء اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها

لا تنفع ولا تضر ان الله هو  
 الضار النافع الذي ان  
 أصابك بضر لم يقدر على  
 كشفه الا هو وحده دون  
 كل أحد فكيف بالجماد  
 الذي لا شعور به وكذا  
 ان أرادك بخير لم يرد أحد  
 ما يريدك من الفضل  
 والاحسان فكيف  
 بالاوثنان وهو الحقيق اذا  
 بان توجه اليه العبادة دونها  
 وهو أبلغ من قوله ان  
 أرادني الله بضر هل هن  
 كاشفات ضره أو أرادني  
 برحمة هل هن ممسكات  
 رحمته وانما ذكر المس في  
 أحدهما والارادة في الآخر  
 كأنه أراد أن يذكر  
 الامرين الارادة والاصابة  
 في كل واحد من الضر  
 والخير وانه لا راد لما يريد  
 منهما ولا من يزل لما يصيب  
 به منهما فاوجز الكلام بان  
 ذكر المس وهو الاصابة في  
 أحدهما والارادة في الآخر  
 ليبدل بما ذكر على ما ترك  
 على انه قد ذكر الاصابة  
 بالخير في قوله يصيب به من

دون الله ما لا ينفعك) يعني ان عبدته ودعوته (ولا يضرك) يعني ان تركت عبادته (فان فعلت) يعني  
 ما نهيتك عنه فعبدت غيره أو طلبت النفع ودفع الضر من غيري (فانك اذا من الظالمين) يعني لنفسك  
 لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به  
 غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيئا البته فيكون المعنى ولا تدع أيها الانسان من دون الله  
 ما لا ينفعك الآية قوله تعالى (وان يمسك الله بضر) يعني وان يصيبك الله بشدة وبلاء (فلا كاشف له)  
 يعني لذلك الضر الذي أنزله بك (الاهو) يعني لا غيره (وان يردك بخير) يعني بسعة ورخاء (فلا راد لفضله)  
 يعني فلا دافع لرزقه (يصيب به) يعني بكل واحد من الضر والخير (من يشاء من عباده) قيل انه سبحانه  
 وتعالى لما ذكر الاوثان و بين انها لا تقدر على نفع ولا ضر بين تعالى انه هو القادر على ذلك كله وان جميع  
 الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه هو القادر على كل شيء وانه ذو الجود والكرم والرحمة  
 ولهذا المعنى ختم الآية بقوله (وهو الغفور الرحيم) وفي الآية لطيفة أخرى وهي ان الله سبحانه وتعالى رجح  
 جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر اساس الضر بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على  
 انه سبحانه وتعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من النفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد  
 لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر أحد على ردها لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده  
 وعضده بقوله وهو الغفور يعني السائر لذنوب عباده الرحيم يعني بهم قوله سبحانه وتعالى (قل يا أيها الناس  
 قد جاءكم الحق من ربكم) يعني القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله  
 عز وجل (فن اهتدي فانما يهتدي لنفسه) لان نفع ذلك يرجع اليه (ومن ضل فانما يضل عليها) أي على  
 نفسه لان وبالرابع اليه فن حكم الله بالاهتداء في الازل اتفق ومن حكم عليه بالاضلال ضل ولم ينتفع بشئ  
 أبدا (وما أناع عليكم بوكيل) يعني وما أناع عليكم بحفيظ أحفظ عليكم أعمالكم قال ابن عباس هذه الآية  
 منسوخة بآية السيف (واتبع ما يوحى اليك) يعني الامر الذي يوحى الله اليك يا محمد (واصبر) يعني على  
 أذى من خالفك من كفار مكة وهم قومك (حتى يحكم الله) يعني ينصرك عليهم باظهار دينك (وهو خير  
 الحاكمين) يعني انه سبحانه وتعالى حكم بنصر نبيه واطهار دينه وبقتل المشركين وأخذ الجزية من أهل  
 الكتاب وفيها ذلم وصغارهم والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام﴾

وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس انها  
 مكية غير آية وهي قوله سبحانه وتعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وعن قتادة نحوه وقال مة ال هي مكية الا  
 قوله سبحانه وتعالى فأعلمك نارك بعض ما يوحى اليك وقوله أولئك يؤمنون به وقوله سبحانه وتعالى ان  
 الحسنات يذهبن السيئات وهي مائة وثلاث وعشرون آية وألف وستائة كلمة وتسعة آلاف وخمسة وستة

يشاء من عباده (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (قد جاءكم الحق) القرآن أو الرسول (من ربكم فن اهتدي) انما اهتدي  
 واتبع الحق (فانما يهتدي لنفسه) فانفع باختياره لنفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن أثر الضلال بضر الا نفسه ودل اللام وعلى على  
 معنى النفع والضرر (وما أناع عليكم بوكيل) بحفيظهم وكول الى أمرهم انما أنابشرو ونذير (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على تكذيبهم وايدانهم  
 (حتى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم. والغلبة (وهو خير الحاكمين) لانه اطاع على السرار فلا يراجح الى بينة وشهود ﴿سورة هود عليه السلام  
 مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية﴾

(الكتاب) أي هذا كتاب فهو خبر مبتدأ محذوف (أحكمت آياته) صفة له أي نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم (ثم فصات) كما تفصل القلائد بانفراد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة أو فصل فيها ما يحتاج إليه العباد أي بين وخلص وليس معنى ثم التراخي في الوقت ولكن في الحال (من لدن حكيم خبير) صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لاحكامت وفصلت أي من عنده احكامها وتفصيلها (ألا تعبدوا الا الله) مفعول له أي لئلا تعبدوا أو أن مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا تعبدوا الا الله أو أمركم أن لا تعبدوا الا الله (انتي لكم نذير وبشير) أي من الله (وأن استغفروا بكم) أي أمركم بالتوحيد والاستغفار (ثم توبوا اليه) أي استغفروه من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة (بمتعكم متاعا حسنا) يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة

وستون حرفا عن ابن عباس قال قال أبو بكر يا رسول الله قد شئت قال شيتني هود والوقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية غيره قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيتني هود وأخواتها الحاققة والواقعة وعم يتساءلون وهه أناك حديث الغاشية قال بعض العلماء سبب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة في الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله أعلم بما راد رسول الله صلى الله عليه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل (الكتاب أحكمت آياته) قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كما نسخت هي الكتب والشرائع (ثم فصلت) يعني بينت وقال الحسن أحكمت آياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفي رواية عنه بالعكس قال أحكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل أحكمها الله فليس فيها تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت آياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت آياته سورة سورة وقيل ان آيات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد وأحوال القيامة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والخبار عن الغيبات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وسم في قوله ثم فصلت ليست هي التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل فان قلت كيف عم الآيات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه آيات محكمات قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فعني الاحكام العام هنا انه لا يتطرق الى آياته التناقض والفساد كاحكام البناء فان هذا الكتاب نسخ جميع الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه آيات محكمات ان بعض آياته منسوخة نسخها آيات منه أيضا لم ينسخها غيره وقيل أحكمت آياته أي معظم آياته محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى السكل على البعض لان الحكم للغالب وجرى السكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول أكلت طعاما زيدا وإنما أكلت بعضه وقوله تعالى (من لدن حكيم) يعني أحكمت آيات الكتاب من عند حكيم في جميع أفعاله (خير) يعني بأحوال عبادته وما يصلحهم (ألا تعبدوا الا الله) هذا مفعول له معناه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلق الابداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في دين الاسلام (انتي لكم منه) أي قل لهم يا محمد انني لكم من عند الله (نذير) ينذركم عقابه ان تبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه (وبشير) يعني وأبشر بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله وأطاع وأخلص العمل لله وحده (وأن استغفروا بكم ثم توبوا اليه) اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك أو معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا بكم اسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفراء ثم هنا معنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فقد كرهما للتأكيد (بمتعكم متاعا حسنا) يعني انكم اذا فعلتم ما أمرتم به من الاستغفار والتوبة وأخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا وأسباب الرزق ما تعيشون به في أمن وسعة وخير قال بعضهم المتاع الحسن هو الرضا بالميسور والصبر على المقدور (الى أجل مسمى) يعني بمتعكم متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم فان قلت قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل في بعض أوقانه حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قوله سبحانه وتعالى بمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى قلت وأما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه في

مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة (الى أجل مسمى) الى أن يتوفاكم

سجن في الدنيا حتى يفضى الى ذلك المعدله وأما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من العذاب الاليم الدائم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضى الى ما أعد الله له في الآخرة وأما ما يضيّق على الرجل المؤمن في بعض الاوقات فانه ذلك لرفع الدرجات وتكفير السيئات وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع أحواله في عيشة حسنة لانه راض عن الله في جميع أحواله ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ( ويؤت كل ذي فضل فضله ) أي ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة قال أبو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا زادت حسناته ودرجاته في الجنة لان الدرجات تكون على قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشرة واحدة و بقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلبت آحاده اعشاره وقيل معنى الآية من عمل لله وفقه الله في المستقبل اطاعته ( وان تولوا ) يعني وان أعرضوا عما جئتم به من الهدى ( فاني أخاف عليكم ) أي فقل لهم يا محمد اني أخاف عليكم ( عذاب يوم كبير ) يعني عذاب النار في الآخرة ( الى الله مرجعكم ) يعني في الآخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته ( وهو على كل شيء قدير ) يعني من ايصال الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الآخرة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ( ألا انهم يثنون صدورهم ) قال ابن عباس نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فنزلت ألا انهم يثنون صدورهم يعني يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة من ثبت الثوب اذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثني صدره وظهره وطاقأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يخنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكروه وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم أي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثبتت عناني ( ليستخفوا منه ) يعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا ( ألا حين يستغشون ثيابهم ) يعني يغطون رؤسهم بثيابهم ( يعلم ما يسرون وما يعلنون ) ومعنى الآية على ما قاله الازهرى ان الذين أضمر واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفي علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما أخرجه البخاري في افراده عن محمد بن عياش بن جعفر الخزومي أنه سمع ابن عباس يقرأ ألا انهم يثنون صدورهم قال فسأله عنها فقال كان أناس يستعجمون أن يتخلوا فيفضوا الى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ( وما من دابة في الارض ) الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض وأطلق لفظ الدابة على كل ذي أربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الآدمي وغيره من جميع الحيوانات ( الاعلى الله رزقها ) يعني هو المتكفل برزقها فضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من أي من الله رزقها وقال مجاهد ما جاءها من رزق فن الله ور بمالم يرزقها فموت جوعا ( ويعلم مستقرها ومستودعها ) قال ابن عباس مستقرها المكان الذي نأوى اليه في ليل أو نهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها أرحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل

( وان تولوا ) وان تتولوا  
( فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ) هو يوم القيامة  
( الى الله مرجعكم ) رجوعكم  
( وهو على كل شيء قدير )  
فكان قادرا على اعادتكم  
( ألا انهم يثنون صدورهم )  
يزورون عن الحق  
وينحرفون عنه لان من أقبل على الشيء استقبله بصدرة ومن ازور عنه وانحرف ثني عنه صدره وطوى عنه كشحه ( ليستخفوا منه ) ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنون على ازورهم ( ألا حين يستغشون ثيابهم ) يتغطون بها أي يربدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة الاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ( يعلم ما يسرون وما يعلنون ) أي لاتفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يربدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم وثفاقهم غير نافع عنده قيل نزلت في المنافقين ( انه عليم بذات الصدور ) بما فيها ( وما من دابة في الارض الاعلى الله رزقها ) فضلا لا وجوبا ( ويعلم مستقرها ) مكانه من الارض ومسكنه ( ومستودعها ) حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة المستقر

المستقر الجنة والنار والمستودع القبر ( كل في كتاب مبين ) أى كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها  
 ﴿ قوله عز وجل ( وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ) يعنى قبل خلق  
 السموات والارض قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها باهية فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح  
 فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمرة ان الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء ثم  
 خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما خاق وما هو خاق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم  
 ان ذلك الكتاب سجع الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن  
 قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء على أى شئ كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش  
 كان قبل أن يخلق الله السموات والارض ثم قبض الله قبضة من صفاء الماء ثم قبح القبضة فارتفع دخان ثم  
 قضاهن سبع سموات فى يومين ثم أخذ سبحانه وتعالى طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها  
 ثم خلق الاقوات فى يومين والسموات فى يومين والارض فى يومين ثم فرغ آخر الخلق فى اليوم السابع قال  
 بعض العلماء وفى خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء ما يدل على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن  
 له أساس على أرض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء فهذا  
 يدل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي  
 بالباب فأتى ناس من بني تميم فقالوا اقبلوا البشرى يا بني تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل  
 عليه ناس من أهل اليمن فقالوا البشرى يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا  
 جئنا لنتفقه فى الدين ولنسألك عن أول هذا الامر ما كان قال كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شئ قبله  
 وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب فى الذكركل شئ ثم أتانى رجل فقال يا عمران أدرك  
 ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطاها فاذا السراب يقطع دونها وأيم الله لو ددت أنها ذهبت ولم أقم عن أبي رزين  
 العقيلي قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان فى عماما فوقه هواء وما تحته هواء  
 وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذى وقال قال أجدير يد بالعماء أنه ليس معه شئ قال أبو بكر البيهقي فى  
 كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شئ قبله يعنى لا الماء ولا العرش ولا  
 غيرهما وقوله وكان عرشه على الماء يعنى وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب فى الذكركل شئ وقوله  
 فى عماما وجدته فى كتاب عماما مفيدا بالمدفان كان فى الاصل ممدودا فعناه سبحانه رقيق ويريد بقوله فى عماما  
 أى فوق سحاب مدبره وعاليه عليه كما قال سبحانه وتعالى أأمنتم من فى السماء يعنى من فوق السماء وقال  
 تعالى لا صلبنكم فى جذوع النخل يعنى على جذوعها وقوله ما فوقه هواء أى ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله  
 وما تحته هواء أى ما تحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك العمى مقصور والعمى اذا كان مقصورا فعناه  
 لاشئ ثابت لانه مما عمى عن الخلق لكونه غير شئ فكأنه قال فى جوابه كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شئ  
 غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء أى ليس فوق العمى الذى هو لاشئ موجود هواء ولا تحته هواء لان  
 ذلك اذا كان غير شئ فليس يثبت له هواء بوجه والله أعلم وقال الهروى صاحب الغر يبين قال بعض أهل  
 العلم معناه أين كان عرش ربنا حذف المضاف اختصارا كقوله واسأل القرية ويدل على ذلك قوله سبحانه  
 وتعالى وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقي وقال ابن الأثير العماء فى اللغة السحاب الرقيق وقيل  
 الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد فى الحديث من حذف مضاف تقديره أين كان عرش ربنا حذف ويدل على  
 هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكى عن بعضهم فى العمى المقصور أنه قال هو كل أمر لا يدركه  
 الفطن وقال الازهرى قال أبو عبيد انما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم والافلاندرى  
 كيف كان ذلك العماء قال الازهرى فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال

( كل فى كتاب مبين ) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها فى اللوح يعنى ذكرها مكتوب فيه مبين ( وهو الذى خلق السموات والارض ) وما بينهما ( فى ستة أيام ) من الاحد الى الجمعة تعليما للتأني ( وكان عرشه على الماء ) أى فوقه يعنى ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض الا الماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض قيل بدأ بخلق ياقوتة خضراء فنظر اليها باهية فصارت ماء ثم خلق ريحاً فاقر الماء على متنها ثم وضع عرشه على الماء وفى وقوف العرش على الماء أعظم اعتبار لاهل الافكار

(ليبلوكم) أي خلق السموات والارض وما بينهما للمتحن فهما ولم يخلق هذه الاشياء لانفسها (أيكم حسن عملا) أكثر شكرا وعنه عليه السلام أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة لله فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما شبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم أي ليفعل بكم ما يفعل المبلى لحوالكم كيف تعملون (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) أشار بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاداجعله سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره ساحر حزة وعلى يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (ولئن أخرنا عنهم العذاب) عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر (الى امة) الى جماعة من الاوقات (معدودة) معلومة أو قلائل (٣٤٢) والمعنى الى حين معلوم (ليقولن ما يحبس) ما يمنع من النزول استجبالا له على وجه

التكذيب والاستهزاء (اليوم يأتيهم) العذاب (ليس) العذاب (مصرفا عنهم) ويوم منصوب بمصرفا أي ليس العذاب مصرفا عنهم يوم يأتيهم (وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا يستهزؤن) العذاب الذي كانوا يستهزؤن واما وضع يستهزؤن موضع يستهزؤن لان استهزاءهم كان على وجه الاستهزاء (ولئن أذقنا الانسان) هو للجنس (منارحة) نعمة من صحة وأمن وجدة واللام في لئن لتوطئة القسم (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم (انه ليؤس) شديد اليأس من أن يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوقة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه (كفور) عظيم الكفران لما سلفه من الثقل في

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب لله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفي رواية فرغ الله من المقادير وأمر الدنيا قبل أن يخلق السموات والارض وكان عرشه على الماء بخمسين ألف سنة قوله فرغ ربدأ تمام خلق المقادير لأنه كان مشغولا بفرغ منه لان الله سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن فانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وقوله سبحانه وتعالى (ليبلوكم) يعني ليختبركم وهو أعلم بكم منكم (أيكم أحسن عملا) يعني بطاعة الله وأورع عن محارم الله (ولئن قلت) يعني ولئن قلت يا محمد طهؤلاء الكفار من قومك (انكم مبعوثون من بعد الموت) يعني للحساب والجزاء (ليقولن الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين) يعنون القرآن (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة) يعني الى أجل محدود وأصل الامة في اللغة الجماعة من الناس فكانه قال سبحانه وتعالى الى انقراض امة ومحجي امة أخرى (ليقولن ما يحبس) يعني أي شيء يحبس العذاب وانما يقولون ذلك استجبالا بالعذاب واستهزاء يعنون أنه ليس بشيء قال الله عز وجل (اليوم يأتيهم) يعني العذاب (ليس مصرفا عنهم) أي لا يصرفه عنهم شيء (وحاق بهم ما كانوا يستهزؤن) يعني ونزل بهم وبالاستهزاء بهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولئن أذقنا الانسان منارحة) يعني رخاء وسعة في الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا (ثم نزعناها منه) يعني سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب فأجتاحتها وذهبت به (انه ليؤس كفور) يعني يظل قانظا من رحمة الله آيسا من كل خير كفورا أي مجودا لنعمتنا عليه أولا قليل الشكر لربه قال بعضهم يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من أمن وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحد ها فان نزعنا عنك فينبغي لك أن تصبر ولا تياس من رحمة الله فانه العواد على عباده بالخير وهو قوله سبحانه وتعالى (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) يعني ولئن نحن أنعمنا على الانسان وبسطنا عليه من العيش (ليقولن) يعني الذي أصابه الخير والسعة (ذهب السيئات عنى) يعني ذهب الشدائد والعسر والضيق وانما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجراءة عليه لانه لم يصف الاشياء كلها الى الله وانما أضافها الى العوائد فلها ذمه الله تعالى فقال (انه لفرح خور) أي انه أشرب طر والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهي والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهى عنه ﴿ ثم استثنى فقال تبارك وتعالى (الا الذين صبروا و عملوا الصالحات) قال الفراء هذا الاستثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا و عملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكرواعليها (أولئك) يعني من هذه صفتهم (لهم مغفرة) يعني لذنوبهم (وأجر كبير) يعني الجنة ﴿ قوله عز وجل (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى

نعمة الله نساء له (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذي ناله (ليقولن ذهب السيئات عنى) أي المصائب التي ساءتني (انه لفرح) أشرب طر (خور) على الناس بما أذقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (الا الذين صبروا) في المحنة والبلاء (و عملوا الصالحات) وشكروا في النعمة والرخاء (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) يعني الجنة كانوا يقترحون عليه آيات نعمتنا لالاسترشاد لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في ارشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتقدون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فبيحه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) أي املك تترك أن

ضيق عارض غير ثابت لانه عليه السلام كان أفسح الناس صدرا ولانه أشكل بتارك (أن يقولوا) مخافة أن يقولوا (لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) هلا أنزل عليه ما اقترحن من الكنز لنفقته والملائكة لتصدقه ولم أنزل عليه مالا نريده ولا نقترحه (انما أنت نذير) أي ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحى اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ان ردوا أوتهاونوا (والله على كل شيء وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفهمهم واستهزأهم (أم يقولون) أم منقطعة (افتراه) الضمير لما يوحى اليك (قل فاتوا بعشر سور) تحداهم أو لا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخبر في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) في الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهابا الى مماثلة

اليك ربك ان تبلغه الى من أمرك ان تبلغ ذلك اليه (وضائق به صدرك) يعني ويضيق صدرك بما يوحى اليك فلا تبليغه اياهم وذلك ان كفار مكة قالوا انت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يترك ذكر آلهتهم ظاهر افأنزل الله عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية وأجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لا خطأ ولا عمد ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أنزل الله عليه الى أمته ولم يكن منه شيا وأجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والانداز ولا يترك بعض ما أوحى اليه لقول أحد لان تجوز ذلك يؤدي الى الشك في أداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من أرسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيئا آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء في ذلك أجوبة أحدها قال ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا مما يوحى اليه اشفاقا من موجدة أحد وغضبه ولكن الله تعالى أكد على رسوله صلى الله عليه وسلم في متابعة البلاغ من الله سبحانه وتعالى كما قال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية الثانية ان هذا من حثه سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريضه على أداء ما أنزله اليه والله سبحانه وتعالى من وراء ذلك في عصمته مما يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزؤون بالقرآن ويضحكون منه وتمهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقى اليهم مالا يقبلونه ويستهزؤون به فامر الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما أوحى اليه وأن لا يلتفت الى استهزأهم وأن تحمل هذا الضرر أهون من كتم شيء من الوحي والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم أن كل واحد من طرفي الفعل والترك مشتق على ضرر عظيم ثم علم أن الضرر في باب الترك أعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله سبحانه وتعالى مع علمه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا من الوحي هيجبه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزأهم وردهم الى قبول قوله بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك أي لعلك تترك ان تلقيه اليهم مخافة ردهم واستهزأهم به وضائق به صدرك أي بان تتلوه عليهم (أن يقولوا) يعني مخافة ان يقولوا (لولا أنزل عليه كنز) يعني يستغنى به وينفقه (أو جاء معه ملك) يعني يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية المخزومي والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا في قولك بأنك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شيء وأنت عزيز عندهم مع أنك فقير فها أنزل عليك ما تستغنى به أنت وأصحابك وهلا أنزل عليك ما كما يشهدك بالرسالة فتزول الشبهة في أمرك فأخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عز وجل (انما أنت نذير) تنذر بالعقاب لمن خالفك وعصى أمرك وتبشر بالثواب لمن أطاعك وآمن بك وصدقك (والله على كل شيء وكيل) يعني انه سبحانه وتعالى حافظ يحفظ أقوالهم وأعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله سبحانه وتعالى (أم يقولون افتراه) يعني بل يقول كفار مكة اختلقه يعني ما أوحى اليه من القرآن (قل) أي قل لهم يا محمد (فاتوا بعشر سور مثله مفتريات) لما قالوا له افتريت هذا القرآن واخترتته من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وأرخص لهم العنان وفاوضهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هبوا اني اخترتته من عند نفسي ولم يوح الى شيء وان الامر كما قلتم وأتم عرب مثلي من أهل الفصاحة وفرسان البلاغة وأصحاب اللسان فاتوا أنتم بكلام مثل هذا الكلام الذي جئتكم به مخلق من عند أنفسكم فانكم تقدرون على مثل ما أقدر عليه من الكلام فلهذا قال سبحانه

كل واحدة منها له (مفتريات) صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واخترتته من عند نفسك وليس من عند الله أرخص معهم العنان وقال هبوا اني اخترتته من عند نفسي فاتوا أنتم أيضا بكلام مثله مخلق من عند أنفسكم فاتم عرب فصحاء مثلي

(وادعوا من استطعتم من دون الله) الى المعاونة على المعارضة (ان كنتم صادقين) انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو) أى أنزل

(٣٤٤)

متبسما بما لا يعلمه الا الله من نظم مجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا

هند ذلك أن لا اله الا الله وحده وأن توحيد ه واجب والاشراك به ظلم عظيم وانما جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل لان الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يحدونهم اولان الخطاب للمشركين والضمير في فان لم يستجيبوا لمن استطعتم أى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على المعارضة لعالمهم بالمجز عنه فاعلموا انما أنزل بعلم الله أى باذنه أو بامر (فهل أتم مسلمون) متبعون للاسلام بعد هذه الحجّة القاطعة ومن جعل الخطاب للمسلمين فعناه فآبثوا على العلم الذى أتم عليه وازدادوا يقينا على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد فهل أتم مسلمون مخلصون (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) نوصل اليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة

وتعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات في مقابلة قولهم افتراء فان قلت قد تحداهم بان أتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشرة أعجز فأتوا بعشر سور مثله ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وانه تحداهم أو لا بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس وأنكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت أولا قال ومعنى قوله في سورة يونس فأتوا بسورة مثله يعنى مثله في الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد وقوله في سورة هود فأتوا بعشر سور مثله يعنى في مجرد الفصاحة والبلاغة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد فلما تحداهم بهذا الكلام أمره بان يقول لهم (وادعوا من استطعتم من دون الله) حتى يعينوكم على ذلك (ان كنتم صادقين) يعنى في قولكم انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) اعلم انه لما اشتملت الآية المتقدمة على أمرين وخطابين أحدهما أمر وخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات والثانى أمر وخطاب للكفار وهو قوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله ثم أتبعه بقوله تبارك وتعالى فان لم يستجيبوا لكم احتمال أن يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا في المعارضة لمجزهم عنها واحتمل أن يكون المراد أن من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار في المعارضة فلهذا السبب اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين أحدهما أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله سبحانه وتعالى انبيه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فيادعوتهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه (فاعلموا انما أنزل بعلم الله) يعنى فآبثوا على العلم الذى أتم عليه وازدادوا يقينا وثباتا لانهم كانوا عالمين بانه منزل من عند الله وقيل الخطاب في قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبي صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم القول الثانى ان قوله سبحانه وتعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه سبحانه وتعالى لما قال في الآية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله عز وجل في هذه الآية فان لم يستجيبوا لكم أيها الكفار ولم يعينوكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وانه ليس مفترى على الله بل هو أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم (وأن لا اله الا هو) يعنى الذى أنزل القرآن هو الله الذى لا اله الا هو لا من تدعون من دونه (فهل أتم مسلمون) فيه معنى الامر أى أسلموا وأخلصوا لله العباد وان حملنا معنى الآية على انه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل أتم مسلمون الترغيب أى دوما على ما أتم عليه من الاسلام ﴿ قوله عز وجل ﴾ (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) يعنى بعمله الذى يعمل من أعمال البر نزلت في كل من عمل عملا يتغنى به غير الله عز وجل (نوف اليهم أعمالهم فيها) يعنى أجور أعمالهم التى عملوها لطلب الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم المكارة في الدنيا ونحو ذلك (وهم فيها لا يبخسون) يعنى انهم لا ينقصون من أجور أعمالهم التى عملوها لطلب الدنيا بل يعطون أجور أعمالهم كاملة موفرة (أو تلك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) يعنى وبطل ما عملوا في الدنيا من أعمال البر (وباطل ما كانوا يعملون) لانه لغير الله واختلف المفسرون في المعنى بهذه الآية فروى قتادة عن أنس أنها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملا صالحا في غير تقوى يعنى من أهل الشرك أعطى على ذلك أجر في الدنيا وهو ان يصل رجاء أو يعطى سائلا أو برحم مضطرا أو نحو هذا من أعمال البر فيعجل الله ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه المكارة في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب وبدل

والرزق وهم الكفار أو المنافقون (أو تلك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) وحبط في الآخرة على ما صنعوه أو صديعهم أى لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما أرادوا به الدنيا وقد وفى اليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أى



على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله أو تلك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار الآية وهذه حالة الكافر في الآخرة وقيل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لأنهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة وقيل إن حمل الآية على العموم أولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه صفته والمؤمن الذي يأتي بالطاعات وأعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد في هذه الآية هم أهل الرياء وهذا القول مشكل لأن قوله سبحانه وتعالى أو تلك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار لا يليق بحال المؤمن إذا قلنا إن تلك الأعمال الفاسدة والأفعال الباطلة لما كانت لغير الله استحق فاعلمها الوعيد الشديد وهو عذاب النار ويدل على هذا ما روى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه أخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علماً غير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علماً مما يتنفي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرض من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ربحها أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعودوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعود منه جهنم كل يوم ألف مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المرأون بأعمالهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال البغوي وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء أخرجه بغير سند والرياء هو أن يظهر الإنسان الأعمال الصالحة ليحمده الناس عليها وليتقدموا فيه الصالح أولئك قصده بالعبادة فهذا العمل هو الذي لغير الله تعودوا بالله من الخذلان قال البغوي وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وأرادته الآخرة غالبية فيجازي بحسناته في الدنيا ويشاب عليها في الآخرة وروينا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يشاب عليها الرزق في الدنيا ويجزي بها في الآخرة وأما الكافر فيطمع بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيراً أخرجه البغوي بغير سند قوله سبحانه وتعالى (أمن كان على بينة من ربه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة فقال سبحانه وتعالى أمن كان على بينة من ربه أي كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة إلا النار وإنما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه أمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمن هو في ضلالة وكفر والمراد بالبينة الدين الذي أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة اليقين يعني أنه على يقين من ربه أنه على الحق (ويتلوه شاهد منه) يعني ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وإبراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر المفسرين أنه جبريل عليه السلام يريد أن جبريل يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه وقال الحسن وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن محمد بن الحنفية قال قلت لأبي يعنى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنت التالي قال وما تعنى بالتالي قلت قوله سبحانه وتعالى ويتلوه شاهد منه قال وددت أني هو ولكن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول إن اللسان لما كان يعرب عما في الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لأن اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو مالك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لأن أعجازه وبلاغته وحسن نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولأنه أعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه

كان عملهم في نفسه باطلا  
لأنه لم يعمل لغرض صحيح  
والعمل الباطل لا ثواب له  
(أمن كان على بينة من ربه)  
أمن كان يريد الحياة الدنيا  
كمن كان على بينة من ربه  
أي لا يعقبونهم في المنزلة  
ولا يقار بونهم يعني إن بين  
الفريقين تبايناً بيناً وأراد  
بهم من آمن من اليهود كعبد  
الله بن سلام وغيره كان على  
بينته من ربه أي على  
برهان من الله وبيان إن  
دين الإسلام حق وهو  
دليل العقل (ويتلوه)  
ويتبع ذلك البرهان  
(شاهد) يشهد بصحته  
وهو القرآن (منه) من  
الله أو من القرآن فقد مر  
ذكره آنفاً

وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله قال علي بن ابي طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الآية والآيتان فقال له رجل وانت أي آية نزلت فيك فقال علي ما تقر الآية التي في هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد على بن ابي طالب وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد تشرىف هذا الشاهد وهو على لانصالة بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعني الانجيل وهو اختيار الفراء والمعنى ان الانجيل يتلوا القرآن في التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القرآن وقوله سبحانه وتعالى (ومن قبله) يعني ومن قبل نزول القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وسلم (كتاب موسى) يعني التوراة (امام ورجة) يعني انه كان اماما لهم يرجعون اليه في أمور الدين والاحكام والشرايع وكونه رجة لانه الهادي من الضلال وذلك سبب حصول الرحمة ﴿ وقوله تعالى (أولئك يؤمنون به) يعني أن الذين وصفهم الله بانهم على بينة من ربهم هم المشار اليهم بقوله أولئك يؤمنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومن يكفر به) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (من الأحزاب) يعني من جميع الكفار وأصحاب الاديان المختلفة فتدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وغيرهم والأحزاب الفرق الذين تجزوا وتجمعوا على مخالفة الانبياء (فالنار موعده) يعني في الآخرة روى البغوي بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة ولا يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به الا كان من أصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغتني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله عز وجل حتى بلغني هذا الحديث لا يسمع بي أحد من هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت أين هذا في كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى الى قوله سبحانه وتعالى ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده قال فالأحزاب أهل الملل كلها ﴿ ثم قال سبحانه وتعالى (فلاتك في مرتبة منه انه الحق من ربك) فيه قولان أحدهما ان معناه فلاتك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى أم يقولون افتراه والقول الثاني أنه راجع الى قوله ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده يعني فلاتك في شك من ان النار موعده من كفر من الأحزاب والخطاب في قوله فلاتك في مرتبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعني لا يصدقون بما أوحينا اليك أو من ان موعده الكفار النار قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يعني أي الناس أشد تعديا من اختلاق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا أو ولدا وفي الآية دلائل على أن الكذب على الله من أعظم أنواع الظلم لان قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ورد في معرض المبالغة (أولئك) يعني المفترين على الله الكذب (يعرضون على ربهم) يعني يوم القيامة فيسألهم عن أعمالهم في الدنيا (ويقولون الأشهاد) يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الأشهاد الخلق كلهم (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) يعني في الدنيا وهذه الفضيحة تكون في الآخرة لكل من كذب على الله (الألعنة الله على الظالمين) يعني يقول الله ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحمة (ق) عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف بالبيت اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنبا كذا

(ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة أي ويتلو ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام (امام) كتابا مؤتمنا به في الدين قدوة فيه (ورجوة) ونعمة عظيمة على المنزل اليهم وهما حالان (أولئك) أي من كان على بينة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به) بالقرآن (من الأحزاب) يعني أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده) مصيره ومورده (فلاتك في مرتبة) شك (منه) من القرآن أو من الموعده (انه الحق من ربك) ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم) يعرضون في الموقف وتعرض أعمالهم (ويقولون الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) ويشهد عليهم الأشهاد من الملائكة والنبیین بانهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولدا وشريكا (الألعنة الله على الظالمين) الكاذبين على ربهم والأشهاد جمع شاهد كصاحب وصاحب أو شهيد كشره وأشرف

(الذين يصدون عن سبيل الله) يصدون الناس عن دينه (ويبغونها عوجا) يصدونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد (وهم بالآخرة هم كافرون) هم الثانية لنا كيد كفرهم بالآخر (٣٤٧) واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا)

أى ما كانوا (مجزين في الأرض) بمجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد انظارهم وتأخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الشهداء (يضاعف لهم العذاب) لانهم أضلوا الناس عن دين الله يضاعف مكى وشامى (ما كانوا يستطيعون السمع) أى استماع الحق وما كانوا يبصرون الحق (أولئك الذين خسروا أنفسهم) حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله (وضل عنهم) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها (لاجرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون) بالصد والصدود وفى لاجرم أقوال أحدها أن لاردل كلام سابق أى ليس الامر كما زعموا ومعنى جرم كسب وفاعله مضمروا أنهم فى الآخرة فى محل نصب والتقدير كسب قولهم خسروا أنفسهم فى الآخرة وبأنها أن لاجرم كاتان

وكذا فيقول أعرف رب أعرف مرتين فيقول سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسابه وفى رواية ثم تطوى صحيفة حسناته وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد وفى رواية فينادى بهم على رؤس الأشهاد من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألأعنة الله على الظالمين قوله سبحانه وتعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى ألأعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعنى يمنعون الناس من الدخول فى دين الله الذى هو دين الاسلام (ويبغونها عوجا) يعنى ويطلبون القاء الشبهات فى قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام (وهم بالآخرة هم كافرون) يعنى وهم مع صدقهم عن سبيل الله يصدون البعث بعد الموت وينكرونها (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (لم يكونوا مجزين فى الأرض) قال ابن عباس يعنى سابقين وقيل هار بين وقيل فائتين فى الأرض والمعنى أنهم لا يجزون الله إذا أرادهم بالعذاب والانتقام منهم ولكنهم فى قبضته وما لى لا يتقدرون على الامتناع منه إذا طلبهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) يعنى وما كان لهم من أولياء المشركين من أنصار يمنعونهم من دون الله إذا أراد بهم سوءاً أو عذاباً (يضاعف لهم العذاب) يعنى فى الآخرة يضاعف لهم العذاب بسبب صدقهم عن سبيل الله وإنكارهم البعث بعد الموت (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) قال قتادة صموا عن سماع الحق فلا يسمعون خيراً فينتفعون به ولا يبصرون خيراً فيأخذون به وقال ابن عباس أخبر الله سبحانه وتعالى أنه أهلك بين أهل الشرك وبين طاعته فى الدنيا والآخرة ما فى الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهى طاعته وما كانوا يبصرون وأما فى الآخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة أبصارهم (أولئك الذين خسروا أنفسهم) يعنى ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعنى وبطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله وادعاهم أن الملائكة والاصنام تشفع لهم (لاجرم) يعنى حقا وقال الفراء لا محالة (انهم فى الآخرة هم الاخسرون) لانهم باعوا منازلهم فى الجنة واشتروا عوضها منازل فى النار وهذا هو الخسران المبين ﴿ قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) لماذا كرا الله عز وجل أحوال الكفار فى الدنيا وخسرانهم فى الآخرة أتبعه بذكر أحوال المؤمنين فى الدنيا وربحهم فى الآخرة والاختبات فى اللغة هو الخشوع والخضوع وطمانينة القلب وانقضاء الاختبات يتعدى بالى وباللام فاذا قلت أختبت فلان الى كذا فعناه اطمأن اليه واذا قلت أختبت له فعناه خشع وخضع له فقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع أعمال الجوارح وقوله وأخبتوا اشارة الى أعمال القلوب وهى الخشوع والخشوع لله عز وجل يعنى ان هذه الاعمال الصالحة لاتنفع فى الآخرة الا بحصول أعمال القلب وهى الخشوع والخشوع فاذا فسرنا الاختبات بالطمأنينة كان معنى الكلام أنهم يأتون بالاعمال الصالحة مطمئنين الى صدق وعد الله بالشواب والجزاء على تلك الاعمال أو يكونون مطمئنين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاختبات بالخشوع والخشوع كان معناه أنهم يأتون بالاعمال الصالحة خائفين وجلين أن لاتكون مقبولة وهو الخشوع والخشوع (أولئك) يعنى الذين هذه صفتهم (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أخبر عن حالهم فى الآخرة بانهم من أهل الجنة التى لا انقطاع لنعيمها ولا زوال ﴿ قوله سبحانه وتعالى (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) لماذا كرا الله سبحانه وتعالى أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق ومن الصمم عن سماعه وذكر أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانتقاد للطاعة

ركبتا فصار معناه حقا وان فى موضع رفع بانه فاعل لحق أى حق خسروا أنفسهم وثالثها أن معناه لا محالة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهى الأرض المظلمة (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع

(هل يستويان) يعني الفر يقين (مثلا) تشبها وهو نطلب على التمييز (أفلا نذكرون) فتنفعون بضرب المثل (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه  
أني لكم نذير مبين) أي باني والمعنى أرسلناه ملتبساً بهذا الكلام وهو قوله أني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان  
والمعنى على الكسر وبكسر الالف شامى ونافع وعاصم وحزرة على ارادة القول (أن لا تعبدوا الا الله) أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير  
(أني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه (فقال الملا الذين كفروا من قومه) يريد الاشراف  
لانهم يملئون القلوب هيبة (٣٤٨) والمجالس أهبة ولانهم ملؤا بالاحلام والآراء الصائبة (ما نراك الا بشرا مثلنا)

ضرب لهم مثلا فقال تبارك وتعالى مثل الفر يقين يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالأعمى وهو  
الذي لا يهتدى لرشده والاصم وهو الذي لا يسمع شيئا البتة والبصير وهو الذي يبصر الاشياء على ماهيتها  
والسميع وهو الذي يسمع الاصوات ويحجب الداعي فمثل المؤمنين كمثل الذي يسمع ويبصر وهو الكامل  
في نفسه ومثل الكافر كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في نفسه (هل يستويان مثلا) قال الفراء  
لم يقل هل يستويان لأن الأعمى والاصم في حيز كأنهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع في حيز  
كأنهما واحد وهما من وصف المؤمن (أفلا تذكرون) يعني فتتعظون قوله عز وجل (ولقد أرسلنا  
نوحا إلى قومه أني لكم نذير مبين) يعني أن نوحا عليه السلام قال لقومه حين أرسله الله اليهم أني لكم أيها  
القوم نذير مبين يعني بين النذارة وأخوف بالعقاب من خالف أمر الله وعبد غيره وهو قوله سبحانه وتعالى  
(أن لا تعبدوا الا الله أني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) يعني مؤلم موجه قال ابن عباس بعث نوح بعد  
أربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره ألفا وخمسين  
سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومبكت  
بدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة  
وخمسين سنة (فقال الملا الذين كفروا من قومه) يعني الاشراف والرؤساء من قوم نوح (ما نراك) يانوح  
(الابشرا مثلنا) يعني آدميا مثلنا لا فضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمنع اشتهاره الى  
حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم  
لان من حق الرسول أن يباشر الامة بالدعوة الى الله تعالى باقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المحجة  
الدالة على صدقه ولا يتأتى ذلك الا من آحاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وأرسله الى  
عباده ثم قال سبحانه وتعالى اخبارا عن قوم نوح (وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) يعني  
سفلتنا والراذل الذين من كل شيء قيل هم الحاكمة والاساكفة وأصحاب الصنائع الخبيثة وانما قالوا ذلك  
جهلا منهم أيضا لان الرفعة في الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالشرف ولا بالمال والمناصب العالية بل  
للفقراء الخاملين وهم أتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنائعهم اذا حسنت سيرتهم في الدين (بادي الرأي) يعني  
انهم اتبعوك في أول الرأي من غير تثبت وتفكر في أمرك ولو تفكر واما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الرأي يعني  
اتبعوك ظاهرا من غير أن يتفكروا باطنا (وما نرى لكم علينا من فضل) يعني بالمال والشرف والجاه وهذا  
القول أيضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة لا بالشرف والرياسة (بل نظنكم  
كاذبين) قيل الخطاب لنوح ومن آمن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ  
الجمع للواحد على سبيل التعظيم (قال) يعني نوحا (يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي) يعني على بيان  
ويقين من ربي بالذي أنذرتكم به (وآتاني رحمة من عنده) يعني هديا ومعرفة ونبوة (فعميت عليكم)

أراد انه كان ينبغي أن  
يكون ملكا أو ملكا  
(وما نراك اتبعك الا الذين  
هم أراذلنا) أخساؤنا جمع  
الراذل (بادي) وبالهمزة  
أبو عمرو (الرأي)  
وبغير همز أبو عمرو وأي  
اتبعوك ظاهر الرأي أو  
أول الرأي من بدا يبدو  
اذا ظهر أو بدأ يبدأ اذا  
فعل الشيء أو لا واتصاه  
على الظرف أصله وقت  
حدوث ظاهر رأيهم أو  
أول رأيهم فحذف ذلك  
وأقيم المضاف اليه مقامه  
أرادوا أن اتباعهم لك شيء  
عن لهم بديهة من غير روية  
ونظروا لو تفكروا ما اتبعوك  
وانما استرذلو المؤمنين  
لفقرهم وتأخرهم في  
الاسباب الدنيوية لانهم  
كانوا جهالا ما كانوا  
يعلمون الا ظاهرا من  
الحياة الدنيا فكان  
الاشراف عندهم من له جاه  
ومال كما ترى أكثر المتسمين  
بالاسلام يعتقدون ذلك  
ويننون عليه اكرامهم

واهاتهم واقدزل عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرب أحد من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه (وما نرى لكم  
علينا من فضل) في مال ورأي عنوان نوحا وأتباعه (بل نظنكم كاذبين) أي نوحا في الدعوة ومتبعيه في الاجابة والتصديق يعني تواطأتم على  
الدعوة والاجابة تسيبيا للرياسة (قال يا قوم أرايتم) أخبروني (ان كنت على بينة) برهان (من ربي) وشاهد منه يشهد بصحة دعواي  
(وآتاني رحمة من عنده) يعني النبوة (فعميت عليكم) أي خفيت فعميت حجة وعلى وحفص أي أخفيت أي فعميت عليكم البينة فلم تهتدتم  
كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد وحقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الأعمى لا يهتدى ولا يهتدى غيره

(أنزلكموها) أي الرحمة (وأتم لها كارهون) لأن يدونها والواو دخلت هنا تمة للميم وعن أبي عمر واسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن الاخلصة خفيفة فظنها الراوي سكونا وهو لحن لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر (و يا قوم لا أسئلكم عليه) على تبليغ الرسالة لانه مدلول قوله اني لكم نذير (مالا) أجزايشقل عليكم ان أدبتم (٣٤٩) أو على ان أيتتم (ان أجرى) مدني وشامي

وأبو عمرو وحفص  
(الاعلى الله وما أنا بطارد  
الذين آمنوا) جواب  
لم حين سألوهم طردهم  
ليؤمنوا به أنفة من  
المجالسة معهم (انهم ملاقوا  
رهم) فيشكونني اليه  
ان طردتهم (ولكني  
أراكم قوما تجهلون)  
تسافهون على المؤمنين  
وتدعونهم أراذل أو  
تجهلون لقاء ربكم وأنهم  
خير منكم (و يا قوم من  
ينصرتني من الله) من  
يمنعني من انتقامه (ان  
طردتهم أفلا تذكرون)  
تتعظون (ولا أقول لكم  
عندي خزائن الله) فادعي  
فضلا عليكم بالغنى حتى  
تجحدوا فضلي بقولكم  
وما نرى لكم علينا من فضل  
(ولأعلم الغيب) حتى أطلع  
على ما في نفوس أتباعي  
وضمائر قلوبهم وهو  
معطوف على عندي  
خزائن أي لا أقول عندي  
خزائن الله ولا أقول أنا أعلم  
الغيب (ولا أقول اني ملك)  
حتى تقبلوا لى ما أنت الا  
بشر مثلنا (ولا أقول  
ل الذين تزدري أعينكم)

يعنى خفيت وأبست عليكم (أنزلكموها) اهلاء عائدة على الرحمة والمعنى أنزلكم أيها القوم قبول الرحمة  
يعنى أنا لا نقدر أن نلزمكم ذلك من عند أنفسنا (وأتم لها كارهون) وهذا استفهام معناه الانكار أي  
لا أقدر على ذلك والذي أقدر عليه أن أدعوكم الى الله وليس لى أن أضطركم الى ذلك قال قتادة والله  
لو استطاع نبي الله لالزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك (و يا قوم لا أسألكم عليه مالا) يعنى لا أسألكم ولا أطلب  
منكم على تبليغ الرسالة جعلنا (ان أجرى الاعلى الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) وذلك انهم طلبوا من نوح  
أن يطرد الذين آمنوا وهم الارذلون في زعمهم فقال ما يجوز لى ذلك لانهم يعتقدون (انهم ملاقوا رهم) فلا  
أطردهم (ولكني أراكم قوما تجهلون) يعنى عظمة الله ووحدايته وربوبيته وقيل معناه أنكم تجهلون  
ان هؤلاء المؤمنون خير منكم (و يا قوم من ينصرتني من الله ان طردتهم) يعنى من يمنعني من عذاب الله ان  
طردتهم عنى لانهم مؤمنون مخلصون (أفلا تذكرون) يعنى فتتعظون (ولا أقول لكم عندي خزائن الله)  
هذا عطف على قوله لا أسئلكم عليه مالا والمعنى لا أسألكم عليه مالا ولا أقول لكم عندي خزائن الله يعنى التي  
لا يفنيها شيء فادعوكم الى اتباعي عليها لا عطيتكم منها وقال ابن الانباري الخزائن هنا بمعنى غيوب الله وما هو  
منطوع عن الخلق وانما وجب أن يكون هذا جوابا من نوح عليه السلام لهم لانهم قالوا وما نراك اتبعك الا  
الذين هم أراذل لنا بادي الرأي وادعوا أن المؤمنين انما اتبعوه في ظاهر ما يرى منهم وهم في الحقيقة غير متبعين  
له فقال مجيبا لهم ولا أقول لكم عندي خزائن الله التي لا يعلم منها ما ينطوى عليه عباده وما يظهر منه الا هو وانما  
قيل للغيوب خزائن لغموضها عن الناس واستتارها عنهم والقول الاول أولى ليحصل الفرق بين قوله ولا  
أقول لكم عندي خزائن الله وبين قوله (ولأعلم الغيب) يعنى ولا أدعي علم ما يغيب عنى مما يسرونه في نفوسهم  
فسبيلي قبول ايمانهم في الظاهر ولا يعلم ما في ضمائرهم الا الله (ولا أقول اني ملك) وهذا جواب لقولهم  
ما نراك الا بشرا مثلنا أي لا ادعي اني من الملائكة بل أنا بشر مثلكم أدعوكم الى الله وأبلغكم ما أرسلت به  
اليكم **فصل** استدلل بعضهم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الانبياء قال لان نوحا عليه السلام قال  
ولا أقول اني ملك لان الانسان اذا قال أنا لا ادعي كذا وكذا لا يحسن الا اذا كان ذلك الشيء أشرف وأفضل  
من أحوال ذلك القائل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب أن يكون الملك أفضل منه والجواب ان  
نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة في مقابلة قوهم ما نراك الا بشرا مثلنا كما كان في ظنهم ان الرسل لا  
يكونون من البشر انما يكونون من الملائكة فاعلمهم ان هذا ظن باطل وأن الرسل الى البشر انما يكونون  
من البشر فلما قال سبحانه وتعالى ولا أقول اني ملك ولم يرد ان درجة الملائكة أفضل من درجة الانبياء  
والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (ولا أقول للذين تزدري أعينكم) يعنى تحتقر وتستصغروا أعينكم يعنى  
المؤمنين وذلك لما قالوا انهم أراذل لنا من الرذالة وهي الخسة (ان يؤتوهم الله خيرا) يعنى توفيقا وهداية وإيمانا  
وأجرا (الله أعلم بما في أنفسهم) يعنى من الخير والشر (انى اذ المن الظالمين) يعنى ان طردتهم مكذبا لظاهرهم  
ومبطلا لإيمانهم يعنى انى ان فعلت هذا فإكون قد ظلمتهم وأنا لا أفعله فما أنا من الظالمين (قالوا  
يا نوح قد جادلتنا) يعنى خاصمتنا (فأكثر جدالنا) يعنى خصومتنا (فأتنا بما تعدنا) يعنى  
من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعنى فى دعواك انك رسول من الله الينا (قال انما يأتيكم به الله

ولأحكم على من استرذاتم من المؤمنين لفقرهم (ان يؤتوهم الله خيرا) فى الدنيا والآخرة لانه عليه مساعدة لكم ونزول اعلى هو اكم (الله أعلم  
بما فى أنفسهم) من صدق الاعتقاد وانما على قبول ظاهرا اقرارهم اذ لا أطلع على خفى أسرارهم (انى اذ المن الظالمين) ان قلت شيئا من ذلك  
والازدراء افتعال من ذرى عليه اذا عابه وأصله تزدري فابدلت التاء دالا (قالوا يا نوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فأكثر جدالنا فأتنا بما  
تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) فى وعدك (قال انما يأتيكم به الله

ان شاء) أي ليس الايمان بالعذاب الى وانما هو الى من كفرتم به (وما أتم بمجزي بن) أي لم تقدر واعي الهرب منه (ولا ينفعكم نصحي) هو اعلام ووضع النقي ليقني والرشد ليقني والكني أي نصحي مدني وأبو عمرو ٧ (ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أي يضلكم وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثاني مقدم في الحكم لما عرف تقديره ان كان الله يريد أن يغويكم لا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم وهو دليل بين لنا (٣٥٠) في ارادة المعاصي (هور بكم) فيتصرف فيكم على قضية ارادته (واليه ترجعون)

فيجازيكم على اعمالكم (أم يقولون افتراه) بل يقولون افتراه (قل ان افتريته فعلى اجرامى) أي ان صح أنى افتريته فعلى عقوبة اجرامى أي افترائى يقال أجرم الرجل اذا أذنب (وأنا بريء) أي ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى (مما تجرمون) من اجرامكم في اسناد الافتراء الى فلاوجه لاعراضكم ومعاداتكم (وأوحى الى نوح أنه ان يؤمن من قومك الا من قد آمن) افلاظ من ايمانهم وأنه غير متوقع وفيه دليل على أن للايمان حكم التجدد كانه قال ان الذى آمن يؤمن فى حادث الوقت وعلى ذلك تخرج الزيادة التى ذكرت فى الايمان بالقرآن (فلا تبئس بما كانوا يفعلون) فلا تحزن بئس مستكين والابتاس افتعال مسن البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وابتائك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك (واصنع الفلك باعيننا) هو فى موضع الحال أى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبس باعيننا كأن لله معه اعياننا كآؤه من أن يزيع فى صنعه عن الصواب (ووحينا) وأنا نوحى اليك ونأهيك كيف تصنع عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه أن يصنعها مثل جوجوا الطير (ولانخطبني فى الذين ظلموا) ولا تدعنى فى شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (انهم مغرقون) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل الى كفه (واصنع الفلك) حكاية حال ماضية

ان شاء) يعنى قال نوح لقومه حين استجملوه بانزال العذاب ان ذلك ليس الى انما هو الى الله ينزله متى شاء وعلى من يشاء ان أراد انزال العذاب بكم (وما أتم بمجزي بن) يعنى وما أتم بفائتين ان أراد الله نزول العذاب بكم (ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم) يعنى ولا ينفعكم انذارى وتحذيرى اياكم عقوبته ونزول العذاب بكم (ان كان الله يريد أن يغويكم) يعنى يضلكم وقيل بهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لان الاغواء يؤدى الى الهلاك (هور بكم) يعنى انه سبحانه وتعالى هو يملككم فلا تقدررون على الخروج من سلطانه (واليه ترجعون) يعنى فى الآخرة فيجازيكم باعمالكم (أم يقولون افتراه) أى اختلقه وجاء به من عند نفسه والضمير يعود الى الوحي الذى جاءهم به (قل ان افتريته) أى اختلقته (فعل اجرامى) أى اثم اجرامى والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها يقال جرم وأجرم بمعنى أنها اكتسب الذنب واقتطعه (وأنا بريء مما تجرمون) يعنى من الكفر والتكذيب واكثر المفسرين على أن هذا من محاوره نوح قومه فهمى من قصة نوح عليه السلام وقال مقاتل أم يقولون يعنى المشركين من كفار مكة افتراه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الآية معترضة فى قصة نوح ثم رجع الى القصة فقال سبحانه وتعالى (وأوحى الى نوح أنه ان يؤمن من قومك الا من قد آمن) قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضر بون نوح حتى يسقط فيلقونه فى لبدو يلقونه فى بيت يظنون انه قد مات فيخرج فى اليوم الثانى ويدعوهم الى الله و يروى ان شيخا منهم جاء متمكنا على عصاه ومعه ابنه فقال يا بنى لا يفر منك هذا الشيخ المجنون فقال يا أبت أمكنى من العصا فأخذها من أيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شججه شجحة منكورة فأوحى الله اليه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (فلا تبئس) يعنى فلا تحزن عليهم فانى مهلكهم (بما كانوا يفعلون) يعنى بسبب كفرهم وأفعالهم فيئندد عانوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافر بن ديار اوحى محمد بن اسحق عن عبد الله بن عمير الميلى انه بلغه انهم كانوا يبسطون نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون حتى تمادوا فى المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو ينتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتى قرن الا كان أنحس من الذى قبله ولقد كان يأتى القرن الآخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنوننا فلا يقبلون منه شيئا فشق نوح الى الله عز وجل فقال رب انى دعوت قومى ايلانهار الآيات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافر بن ديار اوحى الله سبحانه وتعالى اليه (واصنع الفلك) يعنى السفينة والفلك لفظ يطلق على الواحد والجمع (بأعيننا) قال ابن عباس بمرأى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا (ووحينا) يعنى بأمرنا (ولانخطبني فى الذين ظلموا انهم مغرقون) يعنى بالطوفان والمعنى ولانخطبني فى امهال الكفار فانى قد حكمت باغراقهم وقيل ولانخطبني فى ابنك كعبان وامرأيتك واعلة فانهما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل أتى نوحا فقال له ان ربك يأمرك أن تصنع الفلك فقال كيف أصنعها ولست نجار فقال ان ربك يقول اصنع فانك باعيننا فأخذ القوم وجعل ينجر ولا يخطى فصنعها مثل جوجوا الطير وهو قوله سبحانه وتعالى (واصنع الفلك) يعنى كما أمره الله سبحانه وتعالى قال

اهل أعدائك (واصنع الفلك باعيننا) هو فى موضع الحال أى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبس باعيننا كأن لله معه اعياننا كآؤه من أن يزيع فى صنعه عن الصواب (ووحينا) وأنا نوحى اليك ونأهيك كيف تصنع عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه أن يصنعها مثل جوجوا الطير (ولانخطبني فى الذين ظلموا) ولا تدعنى فى شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (انهم مغرقون) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل الى كفه (واصنع الفلك) حكاية حال ماضية

(وكلم امر عليه ملا من قومه سخر وامنه) من عمله السفينة وكان يعملها في برية في ابعده موضع من الماء فكانوا يتضاكون منه ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان تسخروا (٣٥١) منا فاننا نسخر منكم) عند رؤية

الهلك (كما تسخرون) منا عند رؤية الفلك روى ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع أو ألفا ومائتي ذراع وعرضها خمسون ذراعا أو ستمائة ذراع وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وجعل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب نوح ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وجعل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزا بين الرجال والنساء (فسوف تعلمون من يأتيه) من في محل نصب بتعلمون أي فسوف تعلمون الذي يأتيه (عذاب يخزيه) ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق (ويحل عليه) وينزل عليه (عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة (حتى) هي التي يبتدأ بعدها الكلام ادخات على الجملة من الشرط والجزاء وهي غاية لقوله ويصنع الفلك أي وكان يصنعها الى أن جاء وقت الموعد

أهل السير لما أمر الله سبحانه وتعالى نوحا بعمل السفينة قبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ القار وكل ما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل قومه يرون به وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة وأقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولد قال البغوي وزعم أهل التوراة ان الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وان يطليه بالقار من داخله وخارجه وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاث طباق سفلى ووسطى وعلوية وأن يجعل فيه كوى فصنه نوح كما أمره الله سبحانه وتعالى وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة في سنتين فكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فجعل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى وجعل معه ما يحتاج اليه من الزاد وغيره قال قتادة وكان بابها في عرضها وروى عن الحسن انه كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والقول الاول أشهر وهو ان طولها ثلثمائة ذراع وقال زيد بن أسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل نوح عليه السلام السفينة في ثلاثين سنة وروى انها ثلاثة طباق الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى للاناس والطبقة العليا للطير فلما كثرت ارواث الدواب أوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح عليه السلام أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقع منه الفأر فاقبلوا على الروث فاكلوه فلما أفسد الفأر في السفينة جعل يقرضها ويقرض حبالها وأوحى الله سبحانه وتعالى اليه أن اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة وهي القطعة والقط فاقبلوا على الفأر فاكلوه كراهة قوله سبحانه وتعالى (وكلم امر عليه ملا من قومه) أي جماعة من قومه (سخر وامنه) يعني استهزأ به وذلك انهم قالوا ان هذا الذي كان يزعم انه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح ماذا تصنع قال اصنع بيتا بمشي على الماء فضحكوا منه (قل) يعني نوحا قومه (ان تسخروا منا فاننا نسخر منكم كما تسخرون) يعني ان تستجهلونا في صنعنا فاننا نستجهلكم لبتعريضكم لما يوجب سخط الله وعذابه فان قلت السخرية لانليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا منا فاننا نسخر منكم كما تسخرون قلت انما سمي هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله سبحانه وتعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى ان انا زى غيب سخر يتكم بنا اذا نزل بكم العذاب وهو قوله تعالى (فسوف تعلمون) يعني فسيترون (من يأتيه) يعني أي يأتيه نحن أو أتم (عذاب يخزيه) يعني يهينه (ويحل عليه عذاب مقيم) يعني في الآخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهو الغرق والمراد بالعذاب الثاني عذاب الآخرة وهو عذاب النار الذي لا انقطاع له قوله عز وجل (حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور) يعني وغلى والقور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسي معرب لا تعرف له العرب اسما غير هذا فان ذلك جاء في القرآن بهذا اللفظ فخطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جاء هكذا بكل لفظ عربي وعجمي وقيل ان لفظ التنور أصله أعجمي فتكلمت به العرب فصارعوا بيما مثل الديباج ونحوه واختلفوا في المراد بهذا التنور فقال عكرمة والزهري هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء قد فار على وجه الارض فاركب السفينة فعلى هذا يكون قد جعل فوران التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال على فار التنور أي طلع الفجر ونور الصبح شبه نور الصبح بخروج النار من التنور وقال الحسن ومجاهد

وما بينهما من الكلام حال من يصنع أي يصنعها والحال انه كلم امر عليه ملا من قومه سخر وامنه وجواب كلما سخر واو قال استثناف على تقدير سؤال سائل أو قال جواب وسخر وا بدل من مر أو صفة للا (اذا جاء أمرنا) عذابنا (وفار التنور) هو كناية عن اشتداد الامر وصعوبته وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان من نجر لحواء فصار الى نوح عليه السلام وقيل التنور وجه الارض

والشعبي ان التنور هو الذي يجز فيه وهو قول أكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس أيضا وهذا القول أصح  
 لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان جملة على الحقيقة أولى ولفظ التنور حقيقة في اسم الموضع الذي يجز  
 فيه فوجب حمل اللفظ عليه فان قلت الالف واللام في لفظ التنور للعهد وليس هنا معهود سابق عند السامع  
 فوجب جملة على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رأيت الماء يشتد نبوعه و يقوى فانج بنفسك ومن معك  
 قلت لا يبعد أن يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت  
 حوائج تجز فيه ثم صار الى نوح وقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك واختلفوا في  
 موضع التنور فقال مجاهد نبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته وكان ذلك في ناحية الكوفة وكان  
 الشعبي يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبي اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة  
 وكان التنور على بين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران التنور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل  
 كان ذلك التنور تنورا آدم وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند قال  
 والفوران الغليان (قلنا اجل فيها) يعني قلنا نوح اجل في السفينة (من كل زوجين اثنين) الزوجان كل اثنين  
 لا يستغني أحدهما عن الآخر كالدكر والانثى يقال لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكر  
 وأنثى فحشر الله سبحانه وتعالى اليه الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه في  
 كل جنس منها فيقع الذكور في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة (وأهلك) أي واجل  
 أهلك ولدك وعيالك (الامن سبق عليه القول) يعني باهلك وأراد به امرأته واولادها وولده كنعان (ومن  
 آمن) يعني واجل معك من آمن من قومك (وما آمن معه الا قليل) اختلفوا في عدد من حمل نوح معه في  
 السفينة فقال قتادة وابن جرير ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة  
 بنين له وهم سام وحام ويافث ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوحا وبنيه وثلاث كنانة له وقال محمد بن  
 اسحق كانوا عشرة سوى نساءهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة نفر آمنوا بنوح وأزواجهم جميعا  
 وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا أحدهم  
 جرحهم قال الطبري والصواب من القول في ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما آمن معه الا قليل فوصفهم الله  
 سبحانه وتعالى بانقله ولم يحدد عددا بمقدار فلا ينبغي ان يجاوز في ذلك حد الله سبحانه وتعالى اذ لم يرد ذلك في  
 كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه جسد آدم عليه السلام فجعله  
 معترض بين الرجال والنساء وقصد نوح جميع الدواب والطير ليعملها قال ابن عباس أول ما حمل نوح الدرّة  
 وآخر ما حمل الحمار فلما أراد أن يدخل الحمار أدخل صدره فتعلق ابليس بذنبه فلم تنتقل رجلاه وجعل نوح  
 يقول له ويحك ادخل فينفض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زات على لسانه  
 فلما قالها نوح خلى سبيل الحمار فدخل الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ماذا أدخلك على يا عدو الله  
 قال لم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله قال لا بد من أن تحماني معك فكان فيما  
 يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوي وقال الامام غفر الدين الرازي وأما الذي يروى ان ابليس دخل  
 السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم ناري أو هو آت فكيف يفر من الفرق وأيضا فان كتاب الله لم يدل  
 على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالأولى ترك الخوض فيه قال البغوي وروى عن بعضهم ان الحية والعقرب أتيا  
 نوحا عليه السلام فقالتا اجلنا معك فقال انك سبب البلاء فلا اجلكما فقالتا اجلنا فنحن نضمن لك أن لا نضر  
 أحدا ذكرك فن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم تضرا وقال الحسن لم يحمل نوح معه  
 في السفينة الا ما يلد ويبيض وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم

(قلنا اجل فيها) في السفينة  
 (من كل زوجين اثنين)  
 تفسيره في سورة المؤمنين  
 (وأهلك الا من سبق  
 عليه القول) عطف على  
 اثنين وكذا (ومن آمن)  
 أي واجل أهلك والمؤمنين  
 من غيرهم واستثنى من  
 أهله من سبق عليه القول  
 انه من أهل النار وما سبق  
 عليه القول بذلك الا لعلم  
 بانه يختار الكفر بتقديره  
 وارادته جل خالق العباد  
 عن أن يقع في الكون  
 خلاف ما أراد (وما آمن  
 معه الا قليل) نوح  
 وأهله وبنوه الثلاثة عليه  
 السلام كانوا ثمانية ونساؤهم  
 وقيل كانوا عشرة خمسة  
 رجال وخمس نساء وقيل  
 كانوا اثنين وسبعين رجلا  
 ونساء وأولاد نوح سام  
 وحام ويافث ونساؤهم  
 فالجميع ثمانية وسبعون  
 نصفهم رجال ونصفهم نساء



(وقال اركبوا فيها بسم الله مجرىها ومرساها) بسم الله متصل بركبوا حالاً من الواو أى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت احراقها وقت ارسائها امالان المجرى والمرسى للوقت واما لانهم امصدران كالأجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ويجوز أن يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة برأسها غير متعاقبة بما قبلها وهى مبتدأ وخبر يعنى ان نوحاً عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله أى بسم الله اجراً ورساءً وهاو كان اذا أراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا أراد ان ترسو قال بسم الله فرست مجرىها بفتح الميم وكسر الراء من جرى امام صدره وقت حزة وعلى وحفص و بضم الميم وكسر الراء أبو عمر و والباقوت بضم الميم وفتح الراء (ان ربي لغفور) لمن آمن منهم (رحيم) حيث خلصهم (وهى تجرى بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم أى السفينة تجرى وهم فيها (فى موج كالجبال) يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر ومرة وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة فى خلاله شبه كل موجة منه بالجبل فى تراكمها

(٣٥٣)

وارتفاعها (ونادى نوح ابنه) كنعان وقيل يام والجمهور على انه ابنه الصلبى وقيل كان ابن امرأته (وكان فى معزل) عن أبيه وعن السفينة مفعول من عزله عنه اذا انحأه وأبعده أو فى معزل عن دين أبيه (يانى) بفتح الياء عاصم اقتصاراً عليه من الالف المبدلة من ياء الانصاف من قولك يانبا غيره بكسر الياء اقتصاراً عليه من ياء الاضافة (اركب معنا) فى السفينة أى اسلم واركب (ولا تكن مع الكافرين قال سآوى) الجأ (الى جبل يعصمى من الماء) يمنعنى من الغرق (قال لا عاصم اليوم من أمر الله الامن رحم) الراحم وهو الله تعالى أولاً

يحمل منها شيئاً قوله سبحانه وتعالى (وقال اركبوا فيها) يعنى وقال نوح لمن حمل معه اركبوا فى السفينة (بسم الله مجرىها ومرساها ان ربي لغفور رحيم) يعنى بسم الله اجراً ورساءً وهاو قال الضحاك كان نوح اذا أراد ان تجرى السفينة قال بسم الله فتجى وكان اذا أراد ان ترسو يعنى تقف قال بسم الله فترسو أى تقف وهى ذات اعليم من الله لعباده أنه من أراد امرأ فلا ينبغي له أن يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سبباً للنجاح والفلاح فى سائر الامور (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال) الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح شبهه سبحانه وتعالى بالجبال فى عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالسيرة ارسل الله المطر اربعين يوماً ليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وجرفنا الارض عيوننا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعنى صار الماء نصفين نصفان من السماء ونصفان من الارض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطولاً اربعين ذراعاً وقيل خمسة عشر ذراعاً حتى أغرق كل شئ وروى انه لما كثرت المياه فى السكك خافت أم صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فالحقها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما باغ الماء الى رقبته ارتفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فاغرقهما فلورحم الله منهم أحد الرحم أم الصبي (ونادى نوح ابنه) يعنى كنعان وكان كافراً (وكان فى معزل) يعنى عن نوح لم يركب معه (يانى اركب معنا) يعنى فى السفينة (ولا تكن مع الكافرين) يعنى فتهلك معهم (قال) يعنى قال كنعان (سآوى) يعنى سألتجى وأصير (الى جبل يعصمى) يعنى يمنعنى (من الماء قال) يعنى قال له نوح (لا عاصم) يعنى لا مانع (اليوم من أمر الله) يعنى من عذابه (الامن رحم) يعنى الامن رحمه الله فينجيه من الغرق (وحال بينهما الموج فكان من الغرقين) يعنى كنعان (وقيل) يعنى بعد ما تناهى الطوفان وأغرق الله قوم نوح (يا أرض ابلعى ماءك) أى اشر بيه (ويا سماء اقلعى) أى أمسكى (وغيض الماء) أى نقص ونضب يقال غاض الماء اذا نقص وذهب (وقضى الامر) يعنى وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح (واستوت) يعنى واستقرت السفينة (على الجودى) وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وقيل بعدا) يعنى هلاكاً (للقوم الظالمين) قال العلماء بالسيرة استقرت السفينة بعث نوح الغراب

(٤٥ - (خازن) - ثانى)

عاصم اليوم من الطوفان الامن رحم الله أى لا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصماً من الماء قال له لا يعصمك اليوم معصم قط من جبل ونحوه سوى معصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة أو هو استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن (وحال بينهما الموج) بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه (فكان من الغرقين) فصار أو فـ كان فى علم الله (وقيل يا أرض ابلعى ماءك) انشقى وتشربى والبلع النشف (ويا سماء اقلعى) أمسكى (وغيض الماء) نقص من غاضه اذا نقصه وهو لازم ومتعد (وقضى الامر) وانجز ما وعد الله نوحاً من اهلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة بعد ان طافت الارض كلها ستة أشهر (على الجودى) وهو جبل بالموصل (وقيل بعدا للقوم الظالمين) أى سحقوا القوم نوح الذين غرقوا يقال بعد بعدا وبعدا اذا أرادوا البعد البعيد من حيث اهلاك والموت ولذلك خص بدعاء السوء والنظر فى هذه الآية من أربع جهات من جهة علم البيان

وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والسكناية وما يتصل بها فنقول ان الله تعالى لما أراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان تقطع طوفان السماء فانقطع وأن نغيض الماء النازل من السماء فغيض وأن نقضى أمر نوح وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه فقضى وأن نسوي السفينة على الجودي فاستوت وأبقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالامر الذي لا يتأتى منه لكمال هيئته العريان وتشبيه تكوين المراد بالامر الحزم الناقد في تكون المقصود تصوير الاقتدار العظيم وان السموات والارض منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير متمتع لارادته فيها تغييرا وتبدلا كأنها عقلاء يميزون قد عرفوه حق معرفته وأحاطوا علمها بجوب الانقياد لامره والاذعان لحكمه وتحتم بذل الجهود عليهم في تحصيل مراده ثم بنى على تشبيه هذا نظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب للحماد وهو يا أرض ويا أسماء ثم قال مخاطبا لهما يا أرض ويا أسماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغو الماء في الارض البلع الذي هو اعمال الجازبة في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي ثم استعار الماء للغذاء تشبيها له بالغذاء لتقوى الارض بالماء في الانبات كتنقوى الآكل بالطعام ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالارض كاتصال الملك بالملك ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم التأتى ثم قال وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعد اولم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضى الامر وسوى السفينة وقال بعد اكمال لم يصرح بقائل يا أرض ويا أسماء لو كان في كل واحد من ذلك لسبيل السكناية وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها واحد لا يشارك في فعله فلا يذهب الوهم الى أن يقول غيره يا أرض ابلعي ماءك ويا أسماء اقلعي ولا أن يكون الغائص والقاضي والمسوي غيره ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكي (٣٥٤) مسلكهم في تكذيب الرسل ظالما لانفسهم اظهرا المكان السخط وأن ذلك

العذاب الشديد ما كان الا لظلمهم \* ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها وذلك انه اختيار يادون أخوانها لكونها أكثر استعمالا ولذا اتها على بعد المنادى الذي يستدعيه

ليأتية بنجر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجاءها بالطين فعلم نوح ان الماء قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فاندلك لا يألف البيوت وطوق الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعا لها بالامان فن ثم نال البيوت وروى أن نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر وصرت بالبيت الحرام وقد رفعه الله من الغرق وبقى موضعه فطافت السفينة به سبعا وأودع الحجر الاسود جبل أبي قبيس وهبط نوح ومن معه في السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح عليه السلام وأمر جميع من معه بصيامه شكر الله تعالى وبنوا قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهي أول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينجح أحد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل الى حجزته وسبب نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج

مقام اظهار العظمة والملكوت وابداء العزة والجبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن لاجل بالهاون به ولم يقل يا أرضي لزيادة النهاون اذا الاضافة تستدعي القرب ولم يقل يايتها الارض للاختصار واختير لفظ الارض والسماء لكونهما أخف وأدور واختير ابلعي على ابتلي لكونه أخصر وللتجانس بينه وبين اقلعي وقيل اقلعي ولم يقل عن المطر وكذا لم يقل يا أرض ابلعي إماءك فبلعت ويا أسماء اقلعي فاقلت اختصارا واختير غيظ على غيظ وقيل الماء دون أن يقول ماء الطوفان والامر ولم يقل أمر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على الجودي أي أقرت على نحو قيل وغيض اعتبار البناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجرى بهم ارادة للمطابقة ثم قيل بعد اللقوم ولم يقل لي بعد القوم طلبا للتأكيد مع الاختصار هذا من حيث النظر الى تركيب الكلام وأما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل يا أرض ابلعي ويا أسماء اقلعي ولم يقل ابلعي يا أرض وأقلعي يا أسماء جريا على مقتضى الكلام فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتكمن الامر الوارد عقبيه في نفس المنادى قصد بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم أمر الارض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ثم أتبع وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذ بحجزتها ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله وقضى الامر أي أنجز الموعد ومن اهلك الكفرة وانجاء نوح ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبر \* ومن جهة الفصاحة المعنوية وهي كما ترى نظم للمعاني لطيف وتأية لها ملخصة مبينة لان عقيد يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق الى المرتاد ومن جهة الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى عريية مستعملة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسلة على الاسلات كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل في الخلاوة وكالفسيم في الرقة ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية ولله درشان التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته الا أدرك لطائف لاتسع الحصر ولا تظن الآية مقصورة على المذكور فاعلم المترى أكثر من المسطور

(ونادى نوح ربه فقال رب) نداؤه ربه دعاؤه وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله (ان ابنى من أهلى) أى بعض أهلى  
لانه كان ابنه من صلبه أو كان ربه باله فهو بعض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد (٣٥٥) تعده فهو الحق الثابت الذى لا شك فى

انجازته والوفاء به وقد وعدتني  
أن تنجى أهلى فما بال ولدى  
(وأنت أحكم الحاكمين)  
أى أعلم الحكام وأعد لهم  
اذلا فضل الحاكم على غيره  
الابالعلم والعدل ورب  
غويق فى الجهل والجور  
من متقلدى الحكومة فى  
زمانك قد لقب أفضى  
القضاة ومعناه أحكم  
الحاكمين فاعتبر واستعبر  
(قال يانوح انه ليس من  
أهلك) تم عمل لا تتفاء  
كونه من أهله بقوله (انه  
عمل غير صالح) وفيه  
ايدان بان قرابة الدين  
غامرة لقرابة النسب وان  
نسبك فى دينك وان كان  
حبشيا وكنت قرشيا  
اصيقتك ومن لم يكن على  
دينك وان كان أمس  
أقاربك رحما فهو أبعد  
بعيد منك وجعلت ذاته  
عملا غير صالح مبالغة فى  
ذمه كقولها فانما هى  
اقبال وادبار أو التقدير  
أنه ذو عمل وفيه اشعار  
بانه انما أنجى من أنجى من  
أهله لصالحهم لانهم أهله  
وهذا لما اتقى عنه الصالح  
لم تنفعه أبوته عمل غير صالح  
على قال الشيخ أبو منصور  
رحمه الله كان عند نوح

لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فعمله عوج بن عنق من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك فان قلت كيف  
اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغوا الحلم من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف  
بذنوب غيرهم قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل أعقم أرحام نساءهم أربعين سنة فلم يولد لهم ولد  
تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوى لانه يرد عليه اغراق جميع الدواب والهوام والطيرو وغير ذلك من الحيوان  
ويرد على ذلك أيضا هلاك أطفال الامم الكافرة مع آباؤهم غير قوم نوح والجواب الشافى عن هذا كله  
ان الله سبحانه وتعالى متصرف فى خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عما يفعل  
وهم يسألون ﴿ قوله عز وجل (ونادى نوح ربه) أى دعاه وسأله (فقال رب ان ابنى من أهلى) يعنى  
وقد وعدتني أن تنجيني وأهلى (وان وعدك الحق) يعنى الصدق الذى لا خلف فيه (وأنت أحكم الحاكمين)  
يعنى انك حكمت لقوم بالنعاة وحكمت على قوم بالهلاك قال يعنى قال الله تعالى (يانوح انه) يعنى هذا الابن  
الذى سألتني نجاته (ليس من أهلك) اختلف علماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح اصلبه أم لا فقال  
الحسن ومجاهد كان ولد حدث من غير نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه ليس من أهلك وقال محمد بن جعفر  
الباقر كان ابن امرأة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من أهلى ولم يقل منى وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد  
ابن جبير والضحاك وأكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان  
ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة هذا نقل الجمهور المصحح عن ابن عباس أنه قال ما بغت امرأة نبي قط ولان  
الله سبحانه وتعالى نص عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه ونوح صلى الله عليه وسلم أيضا نص عليه  
بقوله يانبي اركب معنا وهذا نص فى الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز  
وانما خالف هذا الظاهر من خائفه لانه استبعد أن يكون ولد نبي كافر وهذا خطأ من قاله لان الله سبحانه  
وتعالى خلق خلقه فريق فى الجنة وهم المؤمنون وفريق فى السهير وهم الكفار والله سبحانه وتعالى يخرج  
الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق فى ذلك بين الانبياء وغيرهم فان الله سبحانه وتعالى أخرج  
قاييل من صلب آدم عليه السلام وهونى وكان قاييل كافرا وأخرج ابراهيم من صلب آزر وهونى وكان آزر  
كافرا فكذلك أخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهونى فهو المتصرف فى خلقه كيف يشاء فان قلت  
فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأله النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين  
ديارا قلت قد ذكر بعضهم أن نوحا عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير  
أنه يعلم كفره انما حمله على أن ناداه رقة الابوة ولعله اذا رأى تلك الاحوال أن يسلم فينجيه الله بذلك من  
الغرق فاجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من أهلك يعنى أنه ليس من أهل دينك لان أهل الرجل من يجمعه  
واياهم نسب أو دين أو ما يجرى مجراهما ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب فى كثير من الاحكام بين  
المسلم والكافر قال الله سبحانه وتعالى لنوح انه ليس من أهلك (انه عمل غير صالح) قرأ الكسائى ويعقوب  
عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه أنه عمل الشرك والكفر  
والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقون من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين وغير بضم  
الراء ومعناه أن سؤالك اياى أن أنجيه من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعد ما حكم عليه  
بالهلاك بعيد فلماذا قال سبحانه وتعالى انه عمل غير صالح ويجوز أن يعود الضمير فى أنه على ابن نوح أيضا  
ويكون التقدير على هذه القراءة ان ابك ذو عمل أو صاحب عمل غير صالح خذف المضاف كما قالت الخنساء

عليه السلام ان ابنه كان على دينه لانه كان ينافق والالا يحتمل أن يقول ابني من أهلى ويسأله نجاته وقد سبق منه النهى عن سؤال مثله  
بقوله ولا تخاطبني فى الذين ظلموا منهم مغرقون فكان يسأله على الظاهر الذى عنده كما كان أهل النفاق يظهر ووافقا لتبيننا عليه السلام  
ويضمر ون الخلاف له ولم يعلم بذلك حتى أطلع الله عليه وقوله ليس من أهلك أى من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة فى السر

والظاهر (فلاتسألن) اجترأ بالكسرة عن الياء كوفي تسألني بصري تسألني مدني تسألن شامي فحذف الياء واجترأ بالكسرة والنون تون التأكيد تسألن مكى (ماليس لك به علم) بجواز مسئلته (انى أعظك أن تكون من الجاهلين) هو كما هي رسولنا بقوله فلاتكونن من الجاهلين (قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ماليس لي به علم) أى من أن أطلب منك فى المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدياً بأدبك وانعاظاً بعظمتك (والاتفغلى) ما فرط منى (بتعحية منأ أو بسلامه من الغرق) (وبركات عليك) هى الخيرات النامية وهى فى حقه بكثرة ذريته وأتباعه فقد جعل أكثر الانبياء من ذريته وأئمة الدين فى القرون الباقية من نسله (وعلى أمم من معك) من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معهم فى السفينة لانهم كانوا اجاعات أو قيل لهم أمم لان الامم تشعب منهم أو لابتداء الغاية أى على أمم ناشئة من معك وهى الامم الى آخر الدهر وهو الوجه (وأمم) رفع بالابتداء (سـنمتهم) فى الدنيا بالسعة فى الرزق والخفض فى العيش صفة والخبر محذوف تقديره ومن معك أمم سـنمتهم وانما حذف لان من معك يدل عليه (ثم يمسه مناعذاب اليم) أى فى الآخرة والمعنى أن السلام منا وبركات عليك وعلى أمم مؤمنين يفتنون من معك ومن معك أمم تمتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام أباً الانبياء والخلق

بعد الطوفان منه ومن كان معه فى السفينة وعن محمد بن كعب دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجل بعدها وهى من (أنباء الغيب نوحها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) اخبار أى تلك القصة بهض أنباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) الوقت أو من قبل إيحائى اليك واخبارك بها

\* فانما هى اقبال وادبار \* قال الواحدى وهذا قول ابى اسحق يعنى الزجاج وأبى بكر بن الانبارى وأبى على الفارسى قال أبو على ويجوز أن يكون ابن نوح عملاً غير صالح فجعلت نفسه ذلك العمل لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان اذا كثرت منه فعلى هذا الحذف (فلاتسألن ماليس لك به علم) وذلك أن نوحاً عليه السلام سأل به انجاء ولده من الغرق وهو من كمال شفقة الوالد على ولده وهو لا يعلم أن ذلك محذور لا صرار ولده على الكفر فنهاه الله سبحانه وتعالى عن مثل هذه المسألة وأعلمه أن ذلك لا يجوز فكان المعنى فلاتسألني ماليس لك به علم بجواز مسئلته (انى أعظك) يعنى أنهاك (أن تكون من الجاهلين) يعنى لمثل هذا السؤال (قال) يعنى قال نوح (رب انى أعوذ بك) يعنى ألتجأ اليك وأعتذر اليك (أن أسألك ماليس لي به علم) يعنى انك أنت علام الغيوب وأنا لا أعلم ما غاب عنى فاعتذر اليك من مسئلتى ماليس لي به علم (والاتفغلى) يعنى جهلى واقدمى على سؤال ماليس لي به علم (وترجئى) يعنى برجتك التى وسعت كل شئ (أكن من الخاسرين)

فصل وقد استدلل بهذه الآيات من لا يرى عصمة الانبياء \* وبيانه أن قوله انه عمل غير صالح المراد منه السؤال وهو محذور فلما نهاه عنه بقوله فلاتسألني ماليس لك به علم وقوله سبحانه وتعالى انى أعظك أن تكون من الجاهلين يدل على أن ذلك السؤال كان جهلاً ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه والجواب أن الله عز وجل كان قد وعد نوحاً عليه السلام بان ينجيهم وأهله فاخذ نوح ظاهر اللفظ واتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك فى وعد الله سبحانه وتعالى فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله ماليس له به علم وبين له أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح وأعلمه الله سبحانه وتعالى أنه مفرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدمه على سؤاله به فيما لم يؤذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فلجأ الى ربه عز وجل وخشع له وعاذبه وسأله المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار سيئات المقر بين وليس فى الآيات ما يقتضى صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله واقدمه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى قيل يا نوح اهبط ﴾ أى أنزل من السفينة أو من الجبل الى الارض (بسلام) أى بامن وسلامة (منا وبركات عليك) البركة هى ثبوت الخير ونماؤد وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا أن الله سبحانه وتعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيامة فكل العالم من ذرية أولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه فى السفينة غيرهم (وعلى أمم من معك) يعنى وعلى ذرية أمم من كانوا معك فى السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون نجي من بعدك من ذرية أولادك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظى دخل فى هذا كل مؤمن الى يوم القيامة (وأمم سـنمتهم) هذا ابتداء كلام أى وأمم كافرة يحدثون بعدك سـنمتهم يعنى فى الدنيا الى منتهى آجالهم (ثم يمسه مناعذاب اليم) يعنى فى الآخرة (تلك من أنباء الغيب) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى أن هذه القصة التى أخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبر قوميه من أنباء الغيب يعنى من أخبار الغيب (نوحها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) يعنى من قبل نزول القرآن عليك فان قلت ان قصة نوح كانت مشهورة

معروفة ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجل بعدها وهى من (أنباء الغيب نوحها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) اخبار أى تلك القصة بهض أنباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) الوقت أو من قبل إيحائى اليك واخبارك بها

(فصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولن كذبك نحو ما كان لنوح واقومه (ان العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة (للمتقين) عن الشرك (والى عاد أخاهم) واحدا منهم واتصبا للعطف على أرسلنا نوحا أى وأرسلنا الى عاد أخاهم (هودا) عطف بيان (قال يا قوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من غيره) بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على اللفظ (ان أنتم المفترون) تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء (يا قوم لا أسئلكم عليه اجرا ان أجرى الاعلى الذى فطرنى) ما من رسول الا واجهه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شئ منها لم تنفع (أفلا تعقلون) اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شئ أنفى للتهمة من ذلك (ويا قوم استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره (يرسل السماء) أى المطر (عليكم مدرارا) حال أى كثيرة (٣٥٧) الدرور (ويزدكم قوة الى قوتكم) انما

قصد اسمائهم الى الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شئ الى الماء وكانوا مدلين بما أتوا من شدة البطش والقوة وقيل أراد القوة بالمال أو على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نساءهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والاولاد على الايمان والاستغفار وعن الحسن ابن على رضى الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج قال له بعض حجابيه انى رجل ذو مال ولا يولدلى عامنى شيأ لعل الله يرزقنى ولدا فقال الحسن عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر فى يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية

معروفة فى العالم فكيف قال ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل أن يكون كانوا يعبدونها مجتمعة فنزل القرآن بتفصيلها وبيانها وجواب آخر وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت أمته فصح قوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل نزول القرآن بها (فصبر) يا محمد على أذى مشركى قومك كما صبر نوح على أذى قومه (ان العاقبة) يعنى النصر والظفر على الاعداء والفوز بالسعادة الاخرى (للمتقين) يعنى للمؤمنين قوله عز وجل (والى عاد) يعنى وأرسلنا الى عاد (أخاهم هودا) يعنى أخاهم فى النسب لافى الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) يعنى وحدوا الله ولا تشركوا معه شيأ فى العبادة (مالكم من غيره) يعنى أنه تعالى هو الهكم لاهذه الاصنام التى تعبدونها فانها خجارة لا تنضر ولا تنفع (ان أنتم المفترون) يعنى ما أنتم الا كاذبون فى عبادتكم غيره (يا قوم لا أسئلكم عليه) يعنى على تبليغ الرسالة (أجرا) يعنى جعلنا أخذنا منكم (ان أجرى) يعنى ما أتوا به (الاعلى الذى فطرنى) يعنى خلقنى فانه هو الذى يرزقنى فى الدنيا ويشينى فى الآخرة (أفلا تعقلون) يعنى فتتعظون (ويا قوم استغفروا ربكم) أى آمنوا به فلا تستغفروا به يعنى الايمان لانه هو المطوب أولا (ثم توبوا اليه) يعنى من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم (يرسل السماء عليكم مدرارا) يعنى ينزل المطر عليكم متتابعا مرة بعد مرة فى أوقات الحاجة له وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فامسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وحطت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه السلام أنهم ان آمنوا بالله وصدقوه أرسل الله اليهم المطر فاحياهم بلادهم كما كانت أول مرة (ويزدكم قوة الى قوتكم) يعنى شدة مع شدتكم وقيل معناه انكم ان آمنتم يقومكم بالاموال والاولاد وذلك انه سبحانه وتعالى أعقم أرحام نساءهم فلم تلد فقال لهم هود عليه السلام ان آمنتم أرسل الله المطر فتزدادون مالا ويعيد أرحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون قوة فى الدين الى قوة الابدان (ولا تتولوا مجرمين) يعنى ولا تعرضوا عن قبول قولى ونصيحى حال كونكم مشركين (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أى براهان وحجة واضحة على صحة ما نقول (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) يعنى وما نترك عبادة آلهتنا لاجل قولك (وما نحن لك بمؤمنين) يعنى بمصدقين (ان نقول الاعتراك بعض آلهتنا بسوء) يعنى أنك يا هود استتعاطى ماتعاطاه من مخالفتنا وسب آلهتنا الا أن بعض آلهتنا أصابك بخبل وحنون لانك سببتهم فاتقموا منكم بذلك ولا نحمل أمرك الاعلى هذا (قال) يعنى قال هود مجيبا لهم (انى أشهد الله) يعنى على نفسى (واشهدوا) يعنى واشهدوا وأنتم أيضا على (انى برىء

فقال هلا سألته ثم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويزدكم بالاموال وبنين (ولا تتولوا) ولا تعرضوا عنى وعماد دعوتكم اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم وانماكم (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) كذب منهم وبخود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع قوت آياته الحصر (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) هو حال من الضمير فى تاركى آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطاله من الاجابة (ان نقول الاعتراك بعض آلهتنا بسوء) ان حرف نبي فنفي جميع القول الاقولا واحدا وهو قولهم اعتراك أصابك بعض آلهتنا بسوء بخنون وخبل وتقدير ما نقول قولا لاهذه المقالة أى قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء (قال انى أشهد الله واشهدوا انى برىء

عما تشركون من دونه أي من أشرككم آلهة من دونه والمعنى اني أشهد الله اني بري مما تشركون واشهدوا انتم ايضا اني بري من ذلك وجي به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على اني لأحبك تهكبا به واستهانة بحاله (فكيدوني جميعها) انتم وآلهتكم (ثم لا تنظرون) لانهم لا ينظرون فاني لأبالي بكم وبكيدكم ولا أخاف معرفتكم وان تعاوتم علي وكيف تضرنني آلهتكم وما هي الاجاد لا يضروا ولا ينفع وكيف (٣٥٨) تنتقم مني اذ انلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي (اني توكلت

على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) أي مالكتها ولما ذكر توكله على الله وثقت به بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربه بيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكه وتحت قهره وسلطانه والاخذ بالناصية تمثيل لذلك (ان ربي على صراط مستقيم) ان ربي على الحق لا يعدل عنه أو ان ربي يدل على صراط مستقيم (فان تولوا) يعني تتولوا بمعنى تعرضوا عن الايمان بما أرسلت به اليكم (فان تولوا) يعني اني لم يقع مني تقصير في تبليغ ما أرسلت به اليكم انما التقصير منكم في قبول ذلك (ويستخلف ربي قوما غيركم) يعني انكم ان عرضتم عن الايمان وقبول ما أرسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم أطوع منكم يوحدهونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستئصال فهو وعيد وتهديد (ولا تضرونه شيئا) يعني بتوليكم انما تضرون انفسكم بذلك وقيل لانقصونه شيئا اذا أهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء (ان ربي على كل شيء حفيظ) يعني انه سبحانه وتعالى حافظ لكل شيء فيحفظني من أن تنالوني بسوء قوله سبحانه وتعالى (ولما جاء أمرنا) يعني باهلا كههم وعذابهم (نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة منا) وذلك ان العذاب اذا نزل قديم المؤمن والكافر فلما أنجى الله المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه (ونجيناهم من عذاب غليظ) يعني الرجح التي أهلكت بها عاد وذلك ان الله سبحانه وتعالى أرسل على عاد ريحا شديدة غليظة سبع ليال وثمانية أيام حسوما وهي الايام النحسات فاهلكتهم جميعا وأنجى الله المؤمنين جميعا فلم تضرم شيئا وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة وهذا هو الصحيح لعصل الفرق بين العذابين والمعنى انه تعالى كما أنجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظا لانه أعظم من عذاب الدنيا (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد رده الى القبيلة وفيه اشارة

عما تشركون من دونه يعني هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها (فكيدوني جميعا) يعني احتالوا في كيدي وضري انتم وأصنامكم التي تعتقدون انها تضروا وتنفع فانها لا تضروا ولا تنفع (ثم لا تنظرون) يعني ثم لا ينظرون وهذا فيه معجزة عظيمة هو دعائه السلام وذلك انه كان وحيدا في قومه ف قال لهم هذه المقالة ولم يهتفهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقت به بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله تعالى (اني توكلت على الله ربي وربكم) يعني انه فوض أمره الى الله واعتمد عليه (ما من دابة) يعني تدب على الارض ويدخل في هذا جميع بني آدم والحيوان لانهم يدبون على الارض (الاهو آخذ بناصيتها) يعني انه تعالى هو مالكتها والقادر عليها وهو يقهرها لان من أخذت بناصيته فقد قهرته والناصية مقدمة الرأس وسمى الشعر الذي عليه ناصية للمجاورة قيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم فاذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره يقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا أسروا أسيرا وأرادوا اطلاقه جزوا ناصيته ليمنوا وعليه ويعتقدوا بذلك فخر اعليه فطابهم الله سبحانه وتعالى بما يعرفون من كلامهم (ان ربي على صراط مستقيم) يعني ان ربي وان كان قادرا وانتم في قبضته كالعبد الذليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه وقيل معناه ان دين ربي هو الصراط المستقيم وقيل فيه اشارة تقديره ان ربي يحملك على صراط مستقيم (فان تولوا) يعني تتولوا بمعنى تعرضوا عن الايمان بما أرسلت به اليكم (فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم) يعني اني لم يقع مني تقصير في تبليغ ما أرسلت به اليكم انما التقصير منكم في قبول ذلك (ويستخلف ربي قوما غيركم) يعني انكم ان عرضتم عن الايمان وقبول ما أرسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم أطوع منكم يوحدهونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستئصال فهو وعيد وتهديد (ولا تضرونه شيئا) يعني بتوليكم انما تضرون انفسكم بذلك وقيل لانقصونه شيئا اذا أهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء (ان ربي على كل شيء حفيظ) يعني انه سبحانه وتعالى حافظ لكل شيء فيحفظني من أن تنالوني بسوء قوله سبحانه وتعالى (ولما جاء أمرنا) يعني باهلا كههم وعذابهم (نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة منا) وذلك ان العذاب اذا نزل قديم المؤمن والكافر فلما أنجى الله المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه (ونجيناهم من عذاب غليظ) يعني الرجح التي أهلكت بها عاد وذلك ان الله سبحانه وتعالى أرسل على عاد ريحا شديدة غليظة سبع ليال وثمانية أيام حسوما وهي الايام النحسات فاهلكتهم جميعا وأنجى الله المؤمنين جميعا فلم تضرم شيئا وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة وهذا هو الصحيح لعصل الفرق بين العذابين والمعنى انه تعالى كما أنجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظا لانه أعظم من عذاب الدنيا (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد رده الى القبيلة وفيه اشارة

أعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم أو من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت الاشياء مفتقرة الى حفظه عن المضار لم يضرم مثله مثلكم (ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة منا) أي بفضل منا لا بعامهم أو بالايمان الذي أنعمنا عليهم (ونجيناهم من عذاب غليظ) وتكرار نجينا للتأكيد والثانية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه (وتلك عاد) اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيد حوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف ووصف أحوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لانهم اذا عصوا رسوله فقد عصوا جميع رسل الله لان فرق بين أحد من رسله

(وأتبعوا أمر كل جبار عنيد) يريدو رؤساءهم وديعاتهم الى تكذيب الرسل لانهم الذين يجبرون الناس على الامور ويعادون ربهم  
ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين (ألا  
ان عادا كفروا بهم الأبعد العاد) تكرار الأمام النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وبعث على الاعتبار بهم والخدر من مثل  
حالمهم والدعاء ببعدها بعد هلاكهم وهود دعاء باهلاك للدلالة على انهم كانوا مستأهلين له (قوم هود) عطف بيان لعاد وفيه فائدة لان عاد اعادان  
الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم (والى نمودأخاهم) (٣٥٩) صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم

من الغيرة هو أنشأكم  
من الارض) لم ينشئكم منها  
الا هو وانشاؤهم منها خلق  
آدم من التراب ثم خلقهم  
من آدم (واستعمركم فيها)  
وجعلكم عمارها واراد منكم

عمارتها واستغفركم من العمر  
أى أطال أعماركم فيها وكانت  
أعمارهم من ثلثائة الى  
ألف وكان ملوك فارس  
قد أكثروا من حفر الانهار  
وغرس الاشجار وعمروا  
الاعمار الطوال مع ما فيهم  
من الظلم فسأل نبي من  
أنبياء عزماتهم ربه عن سبب  
تعميرهم فوحي الله اليه  
انهم عمروا بلادى فعاش  
فيها عبادى (فاستغفروه)  
فاسأله مغفرته بالايمن  
(ثم توبوا اليه ان ربي  
قريب) داني الرحمة  
(مجيب) لمن دعاه (قالوا  
يا صالح قد كنت فينا) فيما  
بيننا (مرجوا قبل هذا)  
للسيادة والمشاورة في الامور  
أو كئنا رجوان تدخل في  
ديننا وتوافقنا على

الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله تعالى سجدا  
بآيات ربهم يعنى المعجزات التي أتى بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعنى هودا وحده وانما أتى به بلفظ الجمع  
امال التعظيم أولان من كذب برسول فقد كذب كل الرسل (وأتبعوا أمر كل جبار عنيد) يعنى ان السفلة منهم  
وأتبعوا الرؤساء والمراد من الجبار الرفيع في نفسه المتمرد على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه  
(وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة) يعنى أردفوا لعنة تتبعهم وتلاحقهم وتنصرف معهم واللعنة الطرد والابعاد من  
رحمة الله (ويوم القيامة) يعنى وفي يوم القيامة أيضا تتبعهم اللعنة كما تتبعهم في الدنيا ثم ذكر سبحانه وتعالى  
السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال سبحانه وتعالى (ألا ان عادا كفروا ربهم) أى كفروا برهم  
(ألا بعد العاد) يعنى هلا كاهم وقيل بعدا عن الرحمة فان قلت اللعنة معناها الابعاد والهلاك فالفائدة  
في قوله ألا بعد العاد لان الثاني هو الاول بعينه قلت الفائدة فيه ان التكرار بعبارتين مختلفتين يدل على  
نهاية التأكيدهم كانوا مستحقين له (قوم هود) عطف بيان لعاد فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فما  
الفائدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين عاد الاولى القديمة التي هم قوم هود وعادا الثانية وهم  
ارم ذات العماد وهم العماليق فاتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب آخر وهو ان المبالغة في  
التنصيص تدل على تقوية التأكيدهم قوله عز وجل (والى نمودأخاهم صالحا) يعنى وأرسلنا الى نمود وهم  
سكان الحجر أخاهم صالحا يعنى في النسب لاني الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) أى وحدوا الله وخصوه بالعبادة  
(مالك من الغيرة) يعنى هو الهكم المستحق للعبادة لانه الاصنام ثم ذكر سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على  
وحدانيته وكمال قدرته فقال تعالى (هو أنشأكم من الارض) يعنى انه هو ابتداء خلقكم من الارض وذلك أنهم  
من نبي آدم وآدم خلق من الارض (واستعمركم فيها) يعنى وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك أطال  
أعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثائة سنة الى ألف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد أعماركم من  
العمرى أى جعلها لكم ما عشتم (فاستغفروه) يعنى من ذنوبكم (ثم توبوا اليه) يعنى من الشرك (ان ربي  
قريب) يعنى من المؤمنين (مجيب) لدعائهم (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) يعنى قبل هذا  
القول الذي جئت به والمعنى انا كئنا رجوان تكون فينا سيديا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم  
ويعنى فقيرهم وقيل معناه انا كئنا نطمع أن تعود الى ديننا فلما أظهر دعاءهم الى الله وعاب الاصنام انقطع  
رجاؤهم منه (أنتها أن نعبد ما يعبد آباؤنا) يعنى الآلهة (وانتالفي شك مما تدعونا اليه) يعنى من عبادة الله  
(مريب) يعنى انا مرتابون في قولك من أرابه اذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس ووقوعها في التهمة  
(قال) يعنى قال صالح مجيبا لقومه (يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي) يعنى على يقين وبرهان (وآتاني  
منه رحمة) يعنى نبوة وحكمة (فمن ينصرتني من الله) أى فمن ينصرتني من عذاب الله (ان عصيته) يعنى ان

ما نحن عليه (أنتها أن نعبد ما يعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (وانتالفي شك مما تدعونا اليه) من التوحيد (مريب) موقع في الريبة  
من أرابه اذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي) يعنى نبوة أتى  
بحرف الشك مع انه على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا انى على بينة من ربي وأنتي نبي على الحقيقة  
وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في أوامره (فمن ينصرتني من الله) فمن ينصرتني من عذاب الله (ان عصيته) في تبليغ رسالته ومنعكم عن

(فما تزدونني) بقولكم أنها ما أن نعبد ما يعبد آباؤنا (غير تخسير) بنسبتكم إياي إلى الخسار أو بنسبتي إياكم إلى الخسران (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل ولكم متعلق بآية حالاً منها متقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (فندروها تاكل في أرض الله) أي ليس عليكم رزقها مع أن لكم نفعها (ولانتموهابسوء) عقر أو عقر (فياخذكم عذاب قريب) عاجل (فوقروها) يوم الاربعاء (فقال) صالح (تمتعوا) استمتعوا بالعيش (في داركم) في بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أي

(٣٦٠)

خالفت أمره (فما تزدونني غير تخسير) قال ابن عباس معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الحسن بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فما تزدونني غير تخسير وإنما المعنى فما تزدونني بما تقولون الانسبتني إلى الخسارة (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) وذلك ان قومه طلبوا أن يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك أشاروا إليها فدعا الله عز وجل فخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشرة أيام ثم ولدت فصيلا يشبهها وقوله ناقة الله إضافة تشريف كبيت الله وعباد الله فكانت هذه الناقة لهم آية ومعجزة دالة على صدق صالح عليه السلام (فندروها تاكل) يعني من العشب والنبات (في أرض الله) يعني فليس عليكم مؤنتها (ولانتموهابسوء) يعني يعقر (فياخذكم) يعني ان قتلتموها (عذاب قريب) يعني في الدنيا (فوقروها) يعني نخالفوا أمر ربهم ففوقروها (فقال) يعني فذال لهم صالح (تمتعوا) يعني عيشوا (في داركم) أي في بلدكم (ثلاثة أيام) يعني ثم تهلكون (ذلك) يعني العذاب الذي أوعدهم به بعد ثلاثة أيام (وعد غير مكذوب) أي هو غير كذب روي أنه قال لهم ياتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة فكان كما قال وأنا هم العذاب وفي اليوم الرابع وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاء أمرنا) يعني العذاب (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) أي بنعمة منا بان هديناهم إلى الإيمان فأمنوا (ومن خزى يومئذ) يعني ونجيناهم من عذاب يومئذ سمي خزى لأن فيه خزى الكافرين (ان ربك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان ربك يا محمد (هو القوي) يعني هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين (العزيز) يعني القاهر الذي لا يغلبه شيء ثم أخبر عن عذاب قوم صالح فقال سبحانه وتعالى (وأخذ الذين ظالموا) يعني أنفسهم بالكفر (الصيحة) وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل أنهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) يعني صرعى هلكى (كان لم يغنوا فيها) يعني كان لم يقيموا فيها تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غنيت بالمكان إذا أتيت به وأقت به (ألا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعد ثمود) وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة في تفسير سورة الاعراف وقوله عز وجل (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) أراد بالرسول الملائكة واختلفوا في عا. دهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر ملكا وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة أملاك وقال السدي كانوا أحد عشر ملكا على صور الغمامان الحسان الوجوه وقول ابن عباس هو الاول لان أقل الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الأقل وما بعده غير مقطوع به بالبشرى يعني بالبشارة بأسحق وبيعة وقيل باهلاك قوم لوط (قالوا اسلاما)

وعد غير مكذوب) أي غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به أو وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمفعول (فلما جاء أمرنا) بالعذاب أو عذابنا (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) قال الشيخ رحمه الله هذا يدل على ان من نجى إنما نجى برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام لا يدخل أحد الجنة الا برحمة الله (ومن خزى يومئذ) بإضافة الخزي إلى اليوم وافتحها اليوم بالإضافة وفتحتها مدني وعلى لأنه مضاف إلى اذ وهو مبني وظروف الزمان اذا أضيف إلى الاسماء المهمة والافعال الماضية بذيت واكتسبت البناء من المضاف إليه كقوله \* على حين عانت المشيب على الصبا \* والواو للعطف وتقديره ونجيناهم من خزى يومئذ أي من ذلهم وفضيحتهم ولا

يعني

خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وجاز أن ير بد يومئذ يوم

القيامة كقصر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة (ان ربك هو القوي) القادر على تنجية أوليائه (العزيز) الغالب باهلاك أعدائه (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) أي صيحة جبريل عليه السلام (فأصبحوا في ديارهم) منازلهم (جاثمين) ميتين (كان لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها (ألا ان ثمودا كفروا ربهم) ثمود حزة وحفص (ألا بعد ثمود) على العرف للذهاب إلى الحى أو الاب الأكبر ومنعه للتعريف والتأنيب بمعنى القبيحة (ولقد جاءت رسلنا) جبريل وميكائيل واسرافيل أو جبريل مع أحد عشر ملكا (إبراهيم بالبشرى) هي البشارة بالولد أو بهلاك قوم لوط والاول أظهر (قالوا اسلاما) سامنا عليك



يعني ان الملائكة سلموا اسلاما (قال) يعني لهم ابراهيم (سلام) أي عليكم أو أمركم سلام (فالبث أن جاء  
بجمل حنيذ) يعني مشويا والمخوذ هو المشوي على الحجارة المحماة في حفرة من الارض وهو من فعل أهل  
البادية وكان سمي ناسيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم  
عليه السلام خمس عشرة ليلة لم يات به ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا يأكل الا معه فلما جاءت الملائكة  
رأى أضيافا لم ير مثلهم قط فجعل قراهم وجاءهم بهجلا سمين مشوي (فلما رأى أيديهم) يعني أيدي الاضياف  
(لاتصل اليه) يعني الى الجمل المشوي (نكرهم) يعني أنكرهم وأنكر حالهم وإنما أنكر حالهم لامتناعهم  
من الطعام (وأوجس منهم خيفة) يعني ووقع في قلبه خوف منهم والوجس هو رعب القلب وإنما خاف  
ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لأنه كان ينزل ناحية من الناس يخاف أن ينزلوا به مكر وهالامتناعهم من  
طعامه ولم يعرف أنهم ملائكة وقيل ان ابراهيم عرف أنهم ملائكة وإنما خاف أن يكونوا نزلوا بعذاب قومه  
نخاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه السلام لم يعرف أنهم ملائكة في أول الامر ويدل على صحة هذا أنه  
عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف أنهم ملائكة لما خافهم فلما رأى الملائكة لا ياكلون ولا يشربون  
ولأنه خافهم ولو عرف أنهم ملائكة لما خافهم فلما رأى الملائكة خوف ابراهيم عليه السلام (قالوا لا تخف)  
يا ابراهيم (انا) ملائكة الله (أرسلنا الى قوم لوط وامراته) يعني سارة زوجة ابراهيم وهي ابنة هاران بن  
ناحورا وهي ابنة عم ابراهيم (قائمة) يعني من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة في خدمة الرسل  
وابراهيم جالس معهم (فضحكت) أصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس واظهار الاسنان  
عنده سميت مقدمات الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور المجرد وفي التعجب المجرد أيضا وللعلماء في  
تفسير هذا الضحك قولان أحدهما أنه الضحك المعروف وعليه أكثر المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا  
الضحك فقال السدي لما قرب ابراهيم الطعام الى أضيافه فلم ياكلوا وخاف ابراهيم منهم فقال ألتا كلون  
فقالوا انا لانا كل طعاما الا نحن قال فان له ثمنا قالوا ومائنه قال تدكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره  
فنظر جبريل الى ميكائيل وقال حق لهذا أن يتخذ به خيلا فلما رأى ابراهيم وسارة أيديهم لاتصل اليه  
ضحكت سارة وقالت يا عجبا لضيافنا نخدمهم بانفسنا نكرمة لهم وهم لا ياكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت  
من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو فيما بين  
خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها عن ابراهيم وذلك انها خافت لخوفه حين قالوا  
لا تخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا بالبشارة وقال ابن عباس ووهب ضحكت تعجبا من أن يكون  
ها ولد على كبر سنها وسن زوجها فاهلي هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فبشرناها باسمحق  
فضحكت يعني تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم اضمم اليك ابن أخيك لوط فان العذاب نازل بقومه  
فلما جاءت الرسل وبشرت بعد ابراهيم سارة بذلك وضحكت لموافقة ما ظنت القول الثاني في معنى قوله  
فضحكت قال عكرمة ومجاهد أي حاضت في الوقت وأنكر بعض أهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال  
حاضت ليس ذلك تفسيرا لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضحكت بمعنى حاضت وإنما ذكر  
ذلك تنصيحا لها فان جعل ذلك أمارة لما بشرت به فيضها في الوقت لتعلم أن حملها ليس بمنكر لان المرأة  
مادامت تحيض فانها تحمل وقال الفراء ضحكت بمعنى حاضت لم تسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس بشئ  
ضحكت بمعنى حاضت وقال ابن الانباري قد أنكر الفراء وأبو عبيدة أن يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد  
عرفه غيرهم وأنشد

تضحك الضبع لقتلي هذيل \* وترى الدب بها يستهل

قال أراد أنها تحيض فرحا وقال الليث في هذه الآية فضحكت أي طمئت وحكى الازهرى عن بعضهم في قوله

(سلاما قال سلام) أمركم  
سلام سلم حزة وعلى بمعنى  
السلام (فالبث أن جاء  
بجمل) فالبث في الجمل به  
بل عجل فيه أو فالبث بحبيته  
والعجل ولد البقرة وكان  
مال ابراهيم البقر (حنيذ)  
مشوي بالحجارة المحماة  
(فلما رأى أيديهم لاتصل  
اليه نكرهم) نكروا وأنكر  
بمعنى وكانت عاداتهم أنه اذا  
مس من يطرقهم طعامهم  
أمنوه والاخافوه والظاهر  
أنه أحس بانهم ملائكة  
ونكرهم لأنه تخوف أن  
يكون نزولهم لامرأ نكره  
الله عليه أولت عذيب قومه  
دليله قوله (وأوجس منهم  
خيفة) أي أضرر منهم خوفا  
(قالوا لا تخف انا أرسلنا  
الى قوم لوط) بالعذاب وإنما  
يقال هذا لمن عرفهم ولم  
يعرف فيم أرسلوا وإنما  
قالوا لا تخف لانهم رأوا أثر  
الخوف والتغير في وجهه  
(وامراته قائمة) وراء الستر  
تسمع تحاورهم أو على  
رؤسهم تخدمهم (فضحكت)  
سرورا بزوال الخيفة أو  
بهلاك أهل الخبائث أو  
من غفلة قوم لوط مع قرب  
العذاب أو خاضت

(فبشرناها باسحق) ونحت بالبشارة لان النساء أعظم سرورا بالولد من الرجال ولانه لم يكن لها ولد وكان لابراهيم ولد وهو اسمعيل (ومن وراء اسحق) ومن بعده (يعقوب) بالنصب شامى وحزوة وحفص بفعل مضمر دل عليه فبشرناها أى فبشرناها باسحق ووهبنا لها يعقوب من امره واسحق وبالرفع غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول فى الدار زيد (قالت يا ويلتا) الالف مبدلة من ياء الاضافة وقرأ الحسن يا ويلتى بالياء على الاصل (أالدوانا عجوز) ابنة تسعين سنة (وهذا بعلى شيخا) ابن مائة وعشرين سنة هذا مبتدا وبعلى خبره وشيخا حال والعامل معنى الاشارة التى دلت (٣٦٢) عليه ذاء ومعنى التنبيه الذى دل عليه هذا (ان هذا الشئ عجيب) أن يولد لمن هرب من وهو

استبعاد من حيث العادة (قالوا أتعجبين من أمر الله) قدرته وحكمته وانما أنكرت الملائكة تعجبها لانها كانت فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادة فكان عليها أن تتوفر ولا يزددها ما يزددها سائر النساء الناشئات فى غير بيت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أرادوا أن هذه أمثالها مما بكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وهو كلام مستأنف عال به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب لان أمثال هذه الرحمة والبركة متكررة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكلامهم

فضحكت أى حاضت قال ويقال أصله من ضحك الطاعة اذا انشقت قال وقال الاخطل فيه بمعنى الحيض نضحك الضبع من دماء سليم \* اذ رأته على الحرب تمور وقال فى المحكم ضحكت المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى فضحكت فبشرناها باسحق وضحكت الارنب ضحكا بمعنى حاضت حياض قال وضحك الارنب فوق الصفا \* كمثل دم الخوف يوم اللقا بمعنى الحيض فيما زعم بعضهم وأجاب عن هذا من أنكرا أن يكون الضحك بمعنى الحيض قال كان ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند كشرها علم انها تحيض وانما أراد الشاعر تكشرا لاكل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها حياضا وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى فتهمز بعضها على بعض فجعل هز يزهاضحكا وقيل لانها تسر بهم فجعل سرورها ضحكا فان قلت أى القولين أصح فى معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين محتمل فى معنى الضحك فالله أعلم أى ذلك كان ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) يعنى ومن بعد اسحق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها أى ضربت وجهها وهو من صنع النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا (قالت يا ويلتا) نداء ندبة وأصلها يا ويلتا وهى كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا عجبا (أالدوانا عجوز) وكانت بنت تسعين سنة فى قول ابن اسحق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة (وهذا بعلى) يعنى زوجى والبعل هو المستعلى على غيره ولما كان زوج المرأة مستعليا عليها قائما بامرها سمي بعلا لذلك (شيخا) وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين فى قول محمد بن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين الولادة والبشارة سنة (ان هذا الشئ عجيب) لم تنكر قدرة الله سبحانه وتعالى وانما تعجبت من كون الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يولد لهما (قالوا) يعنى قالت الملائكة لسارة (أتعجبين من أمر الله) معناه لا تعجبين من ذلك فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ فاذا أراد شيئا كان سر يعا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) يعنى بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على أن أزواج الرجل من أهل بيته (انه جيد) يعنى هو المحمود الذى يحمده على أفعاله كلها وهو المستحق لان يحمده فى السراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال (مجيد) ومعناه المنيع الذى لا يرام وقال الخطائى المجيد الواسع الكرم وأصل المجيد فى كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروح) يعنى الفزع والخوف الذى حصل له عند امتناع الملائكة من الاكل (وجاءته البشرى) يعنى زال عنه الخوف بسبب البشرى التى جاءته وهى البشارة بالولد (بجادلنا) فيه اضمارة تقديره أخذ يجادلنا وأجعل يجادلنا ويخاصمنا وقيل معناه يكلمنا ويسألنا (فى قوم لوط) لان العبد لا يقدر أن يخاصم ربه وقال جمهور

من ولد ابراهيم وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص (انه جيد) محمود بتجميل النعم (مجيد) المفسرين ظاهر الكرم بتأجيل النعم (فلما ذهب عن ابراهيم الروح) الفزع وهو ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيفه (وجاءته البشرى) بالولد (بجادلنا فى قوم لوط) أى لما طمأن قلبه بعد الخوف وملى سرور بسبب البشرى فرغ للمجادلة وجواب لما محذوف تقديره أقبل يجادلنا أو يجادلنا جواب لما وانما سجي به مضار على الحكاية الحال والمعنى يجادل رسولنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انما هلكوا أهل هذه القرية فقال رأيتم لو كان فيها خمسون مؤمنا أهلها لكانوا الاقال فاربعون قالوا الاقال فثلاثون قالوا الاحتى بلغ العشرة قالوا الاقال رأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم أهلها لكانوا الاقال فثلاثون قالوا الاحتى بلغ العشرة قالوا الاقال رأيتم ان كان فيها



يا قوم هؤلاء بنائي) فتزوجوهن أراد أن يبق أضيافه بيناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائز في ذلك الوقت كما جاز في  
 الابتداء في هذه الأمة فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة أبي لهب وأبي العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان  
 مطاعان فآراد لوط أن يزوجهما (٣٦٤) ابنتيه (هن أظهر لكم) أحل هؤلاء مبتدأ أو بناتي عطف بيان وهن فصل وأظهر خبر

المبتدأ أو بناتي خبر وهن  
 أظهر مبتدأ وخبر (فاتقوا  
 الله) بإيثارهن عليهم (ولا  
 تخزون) ولا تهينوني ولا  
 تفضحوني من الخزي أو  
 ولا تخجلوني من الخزية  
 وهي الحياء وبالياء أبو  
 عمرو في لوصل (في ضيفي)  
 في حق ضيفي فإنه إذا  
 خزي ضيف الرجل أو جاره  
 فقد خزي الرجل وذلك  
 من عراقة الكرم واصله  
 المرءة (أليس منكم رجل  
 رشيد) أي رجل واحد  
 يهتدى إلى طريق الحق  
 وفعل الجليل والكف عن  
 السوء (قالوا لقد علمت  
 مالنا في بناتك من حق)  
 حاجة لان نكاح الابنات  
 أمر خارج عن مذهبنا  
 فذهبنا إتيان الذكران  
 (وانك لتعلم ما تريد) عنوا  
 إتيان الذكور وما لهم فيه  
 من الشهوة (قال لو أن لي  
 بكم قوة أو آوى إلى ركن  
 شديد) جواب لو محذوف  
 أي لفعلت بكم ولست نعت  
 والمعنى لو قويت عليكم  
 بنفسى أو آويت إلى قوى  
 أستند اليه وأمنع به

انهم غلمان من بنى آدم (يا قوم هؤلاء بناتي) يعني ازوجكم ايهاهن وفي أضيافه بيناته قيل انه كان في ذلك الوقت  
 وفي تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام  
 وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة أراد بيناته نساء قومه وأضافهن إلى نفسه لان كل نبي أبواته وهو كالوالد لهم  
 وهذا القول هو الصحيح وأشبهه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين وليستا  
 بكافيتين للجماعة وليس من المرءة أن يعرض الرجل بناته على أعدائه ليزوجهن ايهاهن فكيف يليق ذلك  
 بمنصب الانبياء أن يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لا على سبيل  
 التحقيق ﴿ وفي قوله (هن أظهر لكم) سؤال وهو ان يقال ان قوله هن أظهر لكم من باب أفعل التفضيل  
 فيقتضى أن يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهر او معلوم أنه محرم فاسد نجس لا طهارة فيه البتة فكيف  
 قال هن أظهر لكم والجواب عن هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله ذلك خير نزل أم شجرة الزقوم ومعلوم  
 ان شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أحد أعل هبل قال الله أعلى وأجل اذ لا مماثلة  
 بين الله عز وجل والصم وانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا انظر كثيرة ﴿ وقوله (فاتقوا الله) يعني  
 خافوه وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان (ولا تخزون في ضيفي) يعني ولا تسوؤني في أضيافى  
 ولا تفضحوني معهم (أليس منكم رجل رشيد) أي صالح سيد عاقل وقال عكرمة رجل يقول لا اله الا الله  
 وقال محمد بن اسحق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح (قالوا لقد  
 علمت مالنا في بناتك من حق) يعني ليس لنا بهن حاجة ولا لنا بهن شهوة وقيل معناها ليست بناتك لنا  
 بازواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناها مالنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا إلى نكاحهن بشرط الايمان  
 ولا تريد ذلك (وانك لتعلم ما تريد) يعني من إتيان الرجال في أديارهم فعند ذلك (قال) لوط عليه السلام (لو أن  
 لي بكم قوة) أي لو انى أقدر أن أتقوى عليكم (أو آوى إلى ركن شديد) يعني أو انضم إلى عشيرة بمنعوني  
 منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم أو لو وجدت عشيرة لانضمت اليهم قال أبو هريرة  
 ما بعث الله نبيا بعده الا في منعة من عشيرته (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم برحم  
 الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد ولولبت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لاجبته قال الشيخ  
 محي الدين النووي رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فإنه أشد الأركان وأقواها وأمنعها ومعنى  
 الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على أضيافه ولم تكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد  
 حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في تلك الحال لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسى أو آوى إلى عشيرة تمنع لمنعتكم  
 وقصد لوط اظهار العذر عند أضيافه وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقى الحديث فيما يتعلق  
 بيوسف عليه السلام يأتي في موضعه من سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس وأهل التفسير أغلق  
 لوط بابيه والملائكة معه في الدار وجعل يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الدار  
 فلما رأته الملائكة مالت لوط بسببهم (قالوا يا لوط) ركنك شديد (انارسل ربك ان يصلوا اليك) يعني بمكروه  
 فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام به عز وجل في عقوبتهم فأذن له  
 فتحول إلى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من درمنظوم وهو راق الثنايا أجلى الجبين

فيحمنى منكم فشب القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته روى أنه أغلق بابيه حين جازوا جعل يرادهم ما حكي  
 وراسه  
 الله عنه ويجادلهم فتدور والجدار فلما رأته الملائكة مالت لوط من الكرب (قالوا يا لوط) ان ركنك لشديد (انارسل ربك) فافتح الباب  
 ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام به في عقوبتهم فأذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم  
 كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما مسحرة (لوط) ١١١

جلاة موفحة التي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدر و اعلى ضرره (فأسر) بالوصل مجازي من سرى (بأهلك بقطع من الليل) طائفة منه أو نصفه (ولا يلتفت منكم أحد) بقلبه الى ما خلف أو لا ينظر الى ما وراءه أو لا يتخلف منكم أحد (الامر أنك) مستثنى من فأسر بأهلك وبالرفع مكى وأبو عمر وعلى البدل من أحد وفي اخر اجها مع أهله روايتان (٢٦٥) روى أنه أخرجهام معهم وأمر أن لا

يلتفت منهم أحد الا هي فلما  
سمعت هدة العذاب  
التفتت وقالت يا قوماه  
فأدر كها حجر فقتلها  
وروى أنه أمر بان يخلفها  
مع قومها فان هواها اليهم  
فلم يسر بها واختلاف  
القراءتين لاختلاف  
الروايتين (انه مصيها ما  
أصابهم) أي ان الامر  
وروى أنه قال لهم متى موعد  
هـ لا لهم قالوا (ان  
موعدهم الصبح) فقال  
أريد أسرع من ذلك  
فقالوا (أليس الصبح  
يقرب فلما جاء أمرنا جعلنا  
عليها سافلها) جعل جبريل  
عليه السلام جناحه في  
أسفلها أي أسفل قراها ثم  
رفعها الى السماء حتى سمع  
اهل السماء نباح الكلاب  
وصياح الديكة ثم قلبها  
عليهم واتبعوا الحجارة من  
فوفهم وذلك قوله (وأطرنا  
عليها حجارة من سجيل)  
هي كلمة معربة من سنك كل  
بدليل قوله حجارة من طين  
(منضود) نعت لسجيل أي  
متتابع أو مجموع معد للعذاب  
(مسومة) نعت لحجارة أي  
معلمة للعذاب قيل مكتوب

ورأسه حبك مثل المرجان كأنه كالثلج بيضا وقدماه الى الخصرة فضرب بجناحيه وجوههم فطمس أعينهم  
وأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء في بيت  
لوط أسحر أقوام في الارض قد سحر وناو جعلوا يقولون يا لوط كما أنت حتى تصبح وستري ما تلقى منا غدا يوعدونه  
بذلك (فأسر بأهلك) يعني ببيتك (بقطع من الليل) قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية  
الليل وقال قتادة بعد مضي أوله وقيل انه السحر الأول (ولا يلتفت منكم أحد) يعني ولا يلتفت منكم أحد الى  
ورائه ولا ينظر الى خلفه (الامر أنك) فانها من الملتفات فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله سبحانه  
وتعالى (انه مصيها ما أصابهم) فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا (ان موعدهم الصبح) قال لوط انه بعيد  
أريد أسرع من ذلك فقالوا له (أليس الصبح يقرب) فلما خرج لوط من قريته أخذ أهله معه وأمرهم أن  
لا يلتفت منهم أحد فقبلوا منه الامر أنه فانها لما سمعت هدة العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت  
واقوماه فاخذتها حجارة فاهلكتني معهم (فلما جاء أمرنا) يعني أمرنا بالعذاب (جعلنا عاليها سافلها) وذلك  
ان جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قري قوم لوط وهي خمس مدائن أكبرها سدوم وهي المؤتفكات  
المدكورة في سورة براءة ويقال كان فيها أربع مائة ألف وقيل أربعة آلاف ألف فرجع جبريل المدائن كلها  
حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها  
(وأطرنا عليها) يعني على شذاها ومن كان خارجا عنها من مسافرينها وقيل بعد ما قلبها أمطر عليهم (حجارة  
من سجيل) قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة معناه سنك كل فارسي معرب لان العرب اذا تكلمت بشئ من  
الفارسي صار لغة للعرب ولا يضاف الى الفارسي مثل قوله سندس واستبرق ونحو ذلك فكل هذه الفاظ  
فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها في الفاظهم فصارت عربية قال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله  
في موضع آخر حجارة من طين وقال مجاهد وأطاحر وأخرها طين وقال الحسن أصل الحجارة طين فشدت وقال  
الضحاك يعني الآجر وقيل السجيل اسم سماء الدنيا وقيل هو جبل في سماء الدنيا (منضود) قال ابن عباس  
متتابع يتبع بعضها بعنما مفعول من النضد وهو وضع الشئ بعضه فوق بعض (مسومة عند ربك) صفة  
للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حجر على  
هيئة الجزع وقال الحسن والسدي كانت مختومة عليها أمثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا عليها أي على كل  
حجر اسم صاحبه الذي يرمى به (وما هي) يعني تلك الحجارة (من الظالمين) يعني مشركي مكة (ببعيد) قال  
قتادة وعكرمة يعني ظالم هذه الامة والله ما أجاز الله منها ظالم بعده وفي بعض الآثار ما من ظالم الا وهو  
بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذا قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل  
الحرم فوجد الحجر معلقا في السماء أربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه  
قوله عز وجل (والى مدين) يعني وأرسلنا الى مدين (أخاهم شعيبا) مدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه  
السلام ثم صار اسم القبيلة من أولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير  
وأرسلنا الى أهل مدين فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) يعني  
وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤن بالاهم فالاهم ولما كانت

على كل واحد اسم من يرمى به (عند ربك) في خزائنه أو في حكمه (وما هي من الظالمين ببعيد) بشئ بعيد وفيه وعيد لاهل مكة فان جبريل  
عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ظالمى أمتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة والضمير  
للقري أي هي قريته من ظالمى مكة يمرون بها في مسائرهم (والى مدين أخاهم شعيبا) هو اسم مدينتهم أو اسم جدهم مدين بن ابراهيم أي  
وأرسلنا شعيبا الى ساكنى مدين أو الى بنى مدين (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره

ولا تنقصوا المكيال) أي المكيال بالمكيال (والميزان) والموزون بالميزان (اني أراكم بخير) بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون (واني أخاف عليكم عذاب يوم محبط) مهلك من قوله وأحبط ثمره وأصله من احاطة العدو والمراد عذاب الاستئصال في الدنيا أو عذاب الآخرة (وياقوم أوفوا المكيال والميزان) أتموهما (بالقسط) بالعدل نهوا أولاً عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال (٣٦٦) والميزان ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول كزيادة الترغيب فيه ووجيء

به مقيد بالقسط أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) البخس النقص كانوا ينقصون من أثمان ما يشتررون من الأشياء فنهوا عن ذلك (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) العثى والعيث أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل البخس والتطفيف عثياً منهم في الأرض (بقيت الله) ما بقي لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا نعم بقية الله خير للكفرة أيضاً لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف إلا أن فائدتها تظهر مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانعماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للإيمان ونسبته على جلالة شأنه أو المراد ان كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به

الدعوة إلى توحيد الله وعبادته أهم الأشياء قال شعيب اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم بعد الدعوة إلى التوحيد شرع فيباهم فيه ولما كان المعتاد من أهل مدين البخس في الكيل والوزن دعاهم إلى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن فقال (ولا تنقصوا المكيال والميزان) النقص في الكيل والوزن على وجهين أحدهما أن يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصاً والوجه الآخر هو استيفاء الكيل والوزن لانفسهم زائد عن حقهم فيكون نقصاً في مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلهداهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان (اني أراكم بخير) قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحصول النقمة ان لم يتوبوا ولم يؤمنوا وهو قوله (واني أخاف عليكم عذاب يوم محبط) يعني محبط بكم فيهلككم جميعاً وهو عذاب الاستئصال في الدنيا أو حذرهم عذاب الآخرة ومنه قوله سبحانه وتعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين (وياقوم أوفوا المكيال والميزان) أي أتموهما ولا تطففوا فيهما (بالقسط) أي بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال (ولا تبخسوا الناس) أي ولا تنقصوا الناس (أشياءهم) يعني أموالهم فان قلت قد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة أوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال أوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس أشياءهم وهذا عين ما تقدم فالفائدة في هذا التكرار قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع منه إلى المبالغة في التأكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بانئاً كيد فلماذا كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن التنقيص وقوله أوفوا المكيال والميزان أمر بإيفاء العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولقائل ان يقول النهي ضد الامر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن التنقيص ولا يامر بإيفاء الكيل والوزن فلماذا جمع بينهما فهو كقولك صل رحلك ولا تقطعها فتريد المبالغة في الامر والنهي وأما قوله ثانياً ولا تبخسوا الناس أشياءهم فليس بتكرير أيضاً لانه سبحانه وتعالى لما خصص النهي عن التنقيص والامر بإيفاء الحق في الكيل والوزن عمم الحكم في جميع الأشياء التي يجب ايفاء الحق فيها فيدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فائدة التكرار والله أعلم ﴿قوله سبحانه وتعالى (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) يعني بتنقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم (بقيت الله خير لكم) قال ابن عباس يعني ما بقي الله لكم الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما بقاه لكم من الثواب في الآخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بما قلت لكم وأمرنكم به ونهيتكم عنه (وما أنا عليكم بحفيظ) يعني احفظ أعمالكم قال بعضهم انما قال لهم شعيب ذلك لانه لم يؤمر بقتالهم (قالوا يا شعيب أصلونك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا) يعني من الأصنام (أو أن نفعل في أموالنا منشاء) يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا يأمرون به فيرونه يصلي فيستهزؤن به ويقولون هذه المقالة

أياكم (وما أنا عليكم بحفيظ) لنعمة عليكم فاحفظوها بترك البخس (قالوا يا شعيب أصلونك) وبالتوحيد كوفي وقال غير أبي بكر (تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا وأن نفعل في أموالنا منشاء) كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له ما نستفيد بهذا فكان يقول انها تأمر بالمحاسن وتنهى عن القبائح فقالوا له على وجه الاستهزاء أصلونك تأمرك أن تترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا وأن تترك التسط في أموالنا منشاء من ايفاء ونقص وجزان تكون الصلوات أمرة مجازاً كما سماها الله تعالى ناهية مجازاً

**(انك لانت الحليم الرشيد)** أي السفيه الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء وأوانك حليم رشيد عندنا واست تفعل بنا ما يقتضيه حالك (قال) يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه (من لدنه (رزقا حسنا) يعني النبوة (٣٦٧) والرسالة أو مالا حلالا من غير

بخس وتطيف وجواب  
أرايتم محذوف أي أخبروني  
ان كنت على حجة واضحة  
من ربي وكنت نبيا على  
الحقيقة أضح لي أن  
لا آمركم بترك عبادة  
الأوثان والكف عن المعاصي  
والانبياء لا يبعثون الا لذلك  
يقال خالفني فلان الى كذا  
اذا قصده وأنت مول عنه  
وخالفني عنه اذا ولي عنه وأنت  
قاصده ويلقاك الرجل  
صادرا عن الماء فتسأله  
عن صاحبه فيقول خالفني  
الى الماء يريد انه قد ذهب  
اليه واردا وأنا ذاهب عنه  
صادرا ومنه قوله (وما أريد  
أن أخالفكم الى ما أنها كم  
عنه) يعني أن أسبقكم الى  
شهوأتكم التي نهيتكم عنها  
لاستبهادونكم (ان أريد  
الاصلاح) ما أريد الا  
أن أصلحكم بموعظتي  
ونصيحتي وأمرى بالمعروف  
ونهي عن المنكر  
(ما استطعت) ظرف أي  
مدة استطاعتي للاصلاح  
ومادمت متمكنا منه لا ألو  
فيه جهدا (وما توفيتي الا  
بالله) وما كوني موقفا  
لاصابة الحق فيما آتني  
وأذرا لا معوته وتأييده  
(عليه توكلت) اعتمدت

وقال الاعمش أقرءتكم لان الصلاة تطاق على القراءة والدعاء وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني أدينك  
يا أمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ذلك انهم كانوا يذبحون الدراهم والدنانير  
فكان شعيب عليه السلام ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه محرم عليهم وانما ذكر الصلاة لانها من أعظم  
شعائر الدين (انك لانت الحليم الرشيد) قال ابن عباس أرادوا السفيه الغاوي لان العرب قد تصف الشيء  
بضده فيقولون للديع سليم وللغلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء  
والسخرية وقيل معناه انك لانت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه من الصحة ومعناه انك يا شعيب  
فينا حليم رشيد فلا يحمد بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم (قال) يعني قال لهم شعيب (يا قوم أرايتم  
ان كنت على بينة من ربي) يعني على بصيرة وهداية وبيان (ورزقني منه رزقا حسنا) يعني حلالا قيل كان  
شعيب كثير المال الحلال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة  
وجواب ان الشرطية محذوف تقديره أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال والهداية  
والمعرفة والنبوة فهل يسعني مع هذه النعمة أن أخون في وحيه أو أن أخالف أمره أو أتبع الضلال أو  
أبخس الناس أشياءهم وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد  
والمعنى فكيف يابق بالحليم الرشيد أن يخالف أمر ربه وله عليه نعم كثيرة ﴿وقوله﴾ (وما أريد أن أخالفكم  
الى ما أنها كم عنه) قال صاحب الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه  
اذا ولي عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء  
يريد انه قد ذهب اليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنها كم عنه أي أن  
أسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبهادونكم قال الامام نضر الدين الرازي وتحقيق الكلام فيه  
ان القوم اعترفوا فيها بأنه حليم رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل يحتمل صاحبه على اختيار  
الطريق الاصلح فكانت عليه السلام قال لهم لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا ان الذي اخترته لنفسى  
هو اصبوب الطرق وأصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البخس والنقصان فأنما مواظب عليها غير تارك  
لها فاعلموا ان هذه الطريقة خير الطرق وأشرفها الا ما أتم عليه وقال الزجاج معناه أني استأنتها كم عن شئ  
وأدخل فيه انما أختار لكم ما أختار لنفسى وقال ابن الانباري بين ان الذي يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله  
وترك البخس والتطيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوي الا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم (ان أريد)  
يعني ما أريد فيما أمركم به وأنها كم عنه (الاصلاح) يعني فيما بيني وبينكم (ما استطعت) يعني ما استطعت  
الاصلاح وهو الاصلاح والابلاغ والانداز فقط ولا أستطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدي من  
يشاء ويضل من يشاء (وما توفيتي الا بالله) التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك  
الا الله تعالى فلذلك قال تعالى وما توفيتي الا بالله (عليه توكلت) يعني على الله اعتمدت في جميع أموري (واليه  
أنيب) يعني واليه أرجع فيما ينزل من النوائب وقيل اليه أرجع في معادى روى أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه ﴿وقوله تعالى﴾ (و يا قوم  
لا يجر منكم شقاقى) أي لا يحملنكم خلافا وعدواني (أن يصيبكم) يعني عذاب العاجلة على كفركم وأفعالكم  
الخبثية (مثل ما أصاب قوم نوح) يعني الغرق (أو قوم هود) يعني الريح التي أهلكتهم (أو قوم صالح)  
يعني ما أصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا (وما قوم لوط منكم ببعيد) وذلك انهم كانوا احديثي عهد

(واليه أنيب) أرجع في السراء والضراء جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين ومنه قوله (ويا قوم لا يجر منكم شقاقى أن  
يصيبكم) أي لا يكسبنكم خلافا واصابة العذاب (مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح) وهو الغرق والريح والرجفة (وما قوم لوط  
منكم ببعيد) في الزمان فهم أقرب الهالكين منكم أو في المكان فنارهم قريبة منكم أو فيما يستحق به

الهلاك وهو الكفر والمساوى وسوى في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكور والمؤث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والتهيب ونحوهما (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربك رحيم) يغفر لاهل الجفاء من المؤمنين (ودود يحب) اهل الوفاء من الصالحين (قالوا يا شعيب ما نفقة كثير مما تقول) أي لانفهم صحة ما تقول والافكيد لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء (وانا انراك فينا ضعيفا) لا قوة لك ولا عز فيما ينسأ فلا تقدر على الامتناع (٣٦٨) من ان أردنا بك مكردها (ولولا رهطك لرجناك) ولو عشيرتك لقتلناك بالرجم

وهو شرقية وكان رهطه من اهل ملتهم فلذلك أظهروا الميل اليهم والاكرام لهم (وما أنت علينا بعزيز) أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل وزفك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا وقد دل ابناء ضميره حرف النبي على أن الكلام واقع في الفاعل لافي الفعل كانه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك (قال) في جوابهم (يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب وانما قال أرهطى أعز عليكم من الله والكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه لان تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله وحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله الاترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع

بهملا كهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط و بلادهم قريبة من بلادهم (واستغفروا ربكم) يعني من عبادة الاصنام (ثم توبوا اليه) يعني من البخس والنقصان في الكيل والوزن (ان ربك رحيم) يعني بعباده اذ اتابوا واستغفروا (ودود) قال ابن عباس الودود المحب لعباده المؤمنين فهو من قوهم وددت الرجل أوده اذا أحبته وقيل يحتمل أن يكون ودود فعول بمعنى مفعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه اليهم وقال الخليلي هو الواد لا هل طاعته أي الراضى عنهم باعمالهم والمحسن اليهم لاجلها والمادح لهم بها وقال أبو سليمان الخطابي وقد يكون معناه من تودد الى خلقه (قالوا يا شعيب ما نفقة كثير مما تقول) يعني ما نفهم ما تدعوننا اليه وذلك ان الله سبحانه وتعالى ختم على قلوبهم فصارت لا تسمع ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا في الظاهر يسمعون ويفهمون (وانا انراك فينا ضعيفا) قال ابن عباس وقتادة كان أعمى قال الزجاج ويقال ان جبر كانوا يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وأبوروق ومقاتل يعني ذليلا قال أبو روق ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا أعمى ولا نبيابه زمانة وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذي يتعذر عليه المنع عن نفسه وبدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله (ولولا رهطك) يعني جماعتك وعشيرتك قيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة (لرجناك) يعني لقتلناك بالحجارة والرجم بالحجارة أسوأ القتلات وشرها وقيل معناه لشتمنناك وأغلظناك القول (وما أنت علينا بعزيز) يعني بكريم وقيل بمتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله أنهم بينوا لشعيب عليه السلام انه لا حزمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسمعوه الكلام الغليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة أجابهم بقوله (قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) يعني أهيب عندكم من الله وأمنع حتى تركتم قتلي لكان رهطى عندكم فالاولى أن تحفظوني في الله ولاجل الله لارهطى لان الله أعز وأعظم (واتخذتموه وراءكم ظهريا) يعني ونبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشيء الملقى الذي لا يلتفت اليه (ان ربى بما تعملون محيط) يعني أنه سبحانه وتعالى عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه مناشئ فيجازيكم بها يوم القيامة (ويا قوم اعملوا على مكاتكم) يعني على توددكم وتمكنكم من أعمالكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بعناية المكنة والقدرة من الشر (انى عامل) يعني ما أقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر في قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم وبدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى (سوف تعلمون) أي انا الجاني على نفسه المخطئ في فعله فان قلت أي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في قوله سوف تعلمون قلت ادخال الفاء في قوله سوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها في قوله سوف تعلمون وصل خفي تقديرى بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فما يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون يعني عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء

الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسبتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعاب به والظهري منسوب العرب الى الظهر والكسر من تغيرات النسب كقولهم في النسبة الى الامس امسى (ان ربى بما تعملون محيط) قد احاط باعمالكم علمافلا يخفى عليه شئ منها (ويا قوم اعملوا على مكاتكم) هي بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن مكانة فهو مكن اذا تمكن من الشئ يعني اعملوا فارقين على جهتم التي أتم عليها من الشرك والشنا أن لى أو اعملوا متمكنين من عداوتى مطيقين لها (انى عامل) على حسب ما يؤتىني الله من النصرة والتأييد ويمكننى (سوف تعلمون)



من يأتيه عذاب يخز به ومن هو كاذب) من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أي نياتيه عذاب يخز به أي يفضحه وأيناهو كاذب أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخز به والذي هو كاذب في زعمكم ودعواكم وادخال الفاء في سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعاها وصل تقديرى بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فإذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون والأتیان بالوجهين للتفنن في البلاغة وأبلغهما الاستئناف (وارتقبوا) وانتظروا العاقبة وما أقول لكم (اني معكم رقيب) منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضرب بمعنى الضارب أو بمعنى المراقب كالعشير بمعنى المعاشرة أو بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاحبهم جبريل صيحة فهل كوا وانما ذكر في آخر قصة عاد ومدين ولما جاء وفي آخر قصة ثمود ولوط فلما جاء لانهم ما وقع بعد ذكر النوع وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب في الفاء الذي (٣٦٩) هو للتسبب كقولك وعدته فلما جاء الميعاد

كان كيت وكيت وأما الاخران فقد صدقنا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفنا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة (فاصبحوا في ديارهم جائمين) الجائم اللزوم لمكانه لا يريم يعني ان جبريل صاحبهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة (كان لم يغنوا فيها) كان لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين (الأبعد المدين) لبعده عن البعد وهو اهلاك كالرشد بمعنى الرشدا لآ ترى الى قوله (كما بعدت ثمود) وقرئ كما بعدت والمعنى في البناء بين واحد وهو نقيض القرب الا أنهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء

العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى سوف تعلمون (من يأتيه عذاب يخز به) يعني بسبب عمله السيء أو أينما الشقي الذي يأتيه عذاب يخز به (ومن هو كاذب) يعني فيما يدعيه (وارتقبوا) يعني وانتظروا العاقبة وما يؤل اليه أمرى وأمركم (اني معكم رقيب) أي منتظر والرقيب بمعنى المراقب (ولما جاء أمرنا) يعني بعذابهم واهلاكهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) يعني بفضل منابان هديناهم للإيمان ووقفناهم للطاعة (وأخذت الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والبخس (الصيحة) وذلك أن جبريل عليه السلام صاحبهم صيحة فخرجت أرواحهم وماتوا جميعا وقيل أنهم صيحة واحدة من السماء فماتوا جميعا (فاصبحوا في ديارهم جائمين) يعني ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا قعد واطأ بالأرض (كأن لم يغنوا فيها) يعني كأن لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غنى بالمكان اذا أقام فيه مستغنيا به عن غيره (الابعدا) يعني هلاكا (المدين كما بعدت ثمود) قال ابن عباس لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) يعني بحججنا وبراہين التي أعطيناها الدالة على صدقه ونبوته (وسلطان مبين) يعني ومجزة باهرة ظاهرة دالة على صدقه أيضا قال بعض المفسرين المحققين سميت الحججة سلطانا لأن صاحب الحججة يقهر من لا حججة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحججة وسمى السلطان سلطانا لأنه حجة الله في الأرض (الى فرعون وملئه) يعني أتباعه وأشرف قومه (فاتبعوا أمر فرعون) يعني ما هو عليه من الكفر وترك الإيمان بما جاءهم به موسى (وما أمر فرعون برشيد) يعني وما طر يق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حيد العاقبة ولا يدعوا الى خير (يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار) يعني كما تقدم قومه فادخلهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة فيدخلهم النار ويدخل هو أمامهم والمعنى كما كان قدوتهم في الضلال والكفر في الدنيا فكذلك هو قدوتهم وامامهم في النار (وبشس الورد المورود) يعني وبشس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله تعالى فرعون في تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الماء وشبه أتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش قال في حق فرعون

(٤٧ - (خازن) - ثاني) كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعدوا وعد (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) المراد به العصا التي أبهرها (الى فرعون وملئه فاتبعوا) أي الملائة (أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) هو تجهيل لمتبعيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين وذلك انه ادعى الألوهية وهو بشر مثاهم وجاهر بالظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان ومثله بعزل عن الألوهية وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلموا أن مع موسى الرشدا والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في أمره رشدا قط أو المراد وما أمره بصالح جيد العاقبة ويكون قوله (يقدم قومه يوم القيامة) أي يتقدمهم وهم على عقبه تفسيره وايضا أي كيف يرشدا أمر من هذه عاقبته والرشدا يستعمل في كل ما محمد ويرتضى كما استعمل اني في كل ما يدم ويقال قدمه بمعنى تقدمه (فاوردهم النار) ادخالهم وجيء بلفظ الماضي لان الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لاحاله يعني كما كان قدوتهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه (وبشس الورد المورود) الذي وردوه شبه بالفارط

الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه انبعاثه بالواردة ثم قال بسس الورد المورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراى اذ لتسكين العطش والنار ضده  
 (واتبعوا في هذه) أي الدنيا (لعنة ويوم القيامة) أي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة (بسس الورد المرفود) ردفهم أي بسس العون  
 المعان أو بسس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى) خبر (نقصه عليك) خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض انباء القرى  
 المهلكة مقصود عليك (منها) من القرى (قائم وحصيد) أي بعضها باق وبعضها عاقى الاثر كالزراع القائم على ساقه والذي حصد والجملة  
 مستأنفة لا محل لها من الاعراب (وما ظلمناهم) باهلا كنا اياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب ما به اهلكوا (فما أغنت عنهم آلهتهم)  
 فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله (التي يدعون) يعبدون وهي حكاية حال ماضية (من دون الله من

(٣٧٠)

شئ لما جاء أمر ربك)

واتبعوا فاوردهم النار وبسس الورد المورد لان الاصل فيه قصد الماء واستعمل في ورود النار على سبيل  
 الفطاعة (واتبعوا في هذه) يعني في هذه الدنيا (لعنة) يعني طردا وبعدا عن الرحمة (ويوم القيامة) يعني  
 واتبعوا لعنة أخرى يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا (بسس الورد المرفود) يعني بسس العون  
 المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا ردف لللعنة في الآخرة وقيل معناه بسس العطاء المعطى وذلك انه ترادف عليهم  
 لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وقوله سبحانه وتعالى (ذلك من أنباء القرى) يعني من أخبار أهل القرى  
 وهم الامم السالفة والقرون الماضية (نقصه عليك) يعني نخبرك به يا محمد لتخبر قومك أخبارهم اعلمهم يعتبرون  
 بهم فيرجعوا عن كفرهم أو ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب (منها) يعني من القرى التي أهلكتنا أهلها  
 (قائم وحصيد) يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قائم يعني الحيطان بغير سقف ومنها ما قد محى أثره  
 بالكتابة شبهها الله تعالى بالزرع الذي بعضه قائم على سوقه وبعضه قد حصد وذهب أثره والحصيد بمعنى المحصود  
 (وما ظلمناهم) يعني بالعذاب والاهلاك (واكن ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي (فما أغنت عنهم  
 آلهتهم التي يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك) يعني بعذابهم أي لم تنفعهم أصنامهم ولم تدفع  
 عنهم العذاب (وما زادوهم غير تنبيب) يعني غير تخسير وقيل غير تدمير (وكذلك أخذ ربك) يعني وهكذا  
 أخذ ربك (إذا أخذ القرى وهي ظالمة) الضمير في وهي عائد على القرى والمراد أهلها (ان أخذهم أشد) (ق)  
 عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى إذا أخذهم لم يقلعهم ثم  
 قرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذهم أشد فالآية الكريمة والحديث دليل على ان  
 من أقدم على ظلم فانه يجب أن يتدارك ذلك بالتوبة والانابة وردد الحقوق الى أهلها ان كان الظلم للغير لا  
 يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية حكمتها مخصص بظلمى الامم الماضية بل  
 هو عام في كل ظالم وبعضه الحديث والله أعلم قوله عز وجل (ان في ذلك لآية) يعني ما ذكر من عذاب الامم  
 الخالية واعلاكمهم لآية وموعظة (لمن خاف عذاب الآخرة) يعني ان اهلاكم أولئك عبرة يعتبر بها  
 وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه في الآخرة لانه اذا نظر ما أحل الله بأولئك الكفار في  
 الدنيا من أليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالأنموذج مما أعد لهم في الآخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه  
 وخشيته من الله (ذلك يوم مجموع له الناس) يعني يوم القيامة تجمع فيه الخلائق من الاولين والآخرين  
 للحساب والوقوف بين يدي رب العالمين (وذلك يوم مشهود) يعني يشهده أهل السماء وأهل الارض (وما  
 تؤخره الا لاجل معدود) يعني وما تؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت

شئ لما جاء أمر ربك)  
 عذابه ولما منصوب بما  
 أغنت (وما زادوهم غير  
 تنبيب) تخسير يقال  
 تب اذا خسرت به غيره  
 أوقعه في الخسران يعني  
 وما أفادتهم عبادة غير الله  
 شيأ بل أهلكتهم (وكذلك)  
 محل الكاف الرفع أي ومثل  
 ذلك الاخذ (أخذ ربك  
 اذا أخذ القرى) أي  
 أهلها (وهي ظالمة) حال  
 من القرى (ان أخذهم أشد)  
 شديد) مؤلم شديد صعب  
 على المأخوذ وهو تدمير  
 لكل قرية ظالمة من كفار  
 مكة وغيرها فعلى كل ظالم أن  
 يبادر التوبة ولا يغتر بالامهل  
 (ان في ذلك) فيما قص الله  
 من قصص الامم المهلكة  
 (لآية) لآية (لمن خاف  
 عذاب الآخرة) أي اعتقد  
 صحته ووجوده (ذلك)  
 اشارة الى يوم القيامة لان  
 عذاب الآخرة دل عليه

لا

(يوم مجموع له الناس) وهو مرفوع بمجموع كما يرفع فله اذا قلت يجمع له الناس وانما

آثار اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول من دلالاته على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه أثبت أيضا اسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون  
 منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب (وذلك يوم مشهود) أي مشهود فيه فانتسج في الظرف باجرائه مجرى المفعول به أي يشهد فيه  
 الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد (وما تؤخره) أي اليوم المذكور الاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهائها والعداها هو للمدة  
 لا لغايتها ومنتهائها فمعنى قوله وما تؤخره (الاجل معدود) الا لانها مدة معدودة بحذف الاضاف أو ما تؤخر هذا اليوم الا لتنتهي المدة  
 التي ضم بناها لبقاء الدنيا

(يوم يأت) وبالياء مكى وافقه أبوهم ونافع وعلى في الوصل واثبات الياء هو الاصل اذ لا علة توجب حذفها وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل ونظيره ما كنا نبغ وفاعل يأت ضمير يرجع الى قوله يوم مجموع له الناس لا اليوم المضاف الى يأت ويوم منصوب باذ كرا وبقوله (لانكم) أى لا تتكلم (نفس الاباذنه) أى لا يشفع أحد الاباذن الله من ذا (٣٧١) الذى يشفع عنده الاباذنه

(فمنهم) الضمير لاهل  
الموقف لدلالة لانكم نفس  
عليه وقد مر ذكر الناس في  
قوله مجموع له الناس (شقي)  
معذب (وسعيد) أى ومنهم  
سعيد أى منعم (فاما الذين  
شقوا في النار لهم فيها  
زفير) هو أول شهيق الحمار  
(وشهيق) هو آخره أو هما  
اخراج النفس ورده والجملة  
في موضع الحال والعامل فيها  
الاستقرار الذى في النار  
(خالد بن فيها) حال مقدر  
(ما دامت السموات  
والارض) في موضع نصب  
أى مدة داوم السموات  
والارض والمراد سموات  
الآخرة وأرضها وهى دائمة  
مخلوقة لا ابد والدليل على  
أنها سموات وأرضها قوله  
يوم تبدل الارض غير  
الارض والسموات وقيل  
مادام فوق وتحت ولانه لا بد  
لاهل الآخرة مما يقلمهم  
ويظلمهم اما سماء أو عرش وكل  
ما أظلك فهو سماء أو هو  
عبارة عن التأيبس ونفى  
الانقطاع كقول العرب  
ملاح كوكب وغير ذلك  
من كلمات التأيبس (الاما  
شاء ربك) هو استثناء  
من الخلود في عذاب النار

لا يعلمه أحد الا الله تعالى (يوم يأت) يعنى ذلك اليوم (لانكم نفس الاباذنه) قيل ان جميع الخلائق  
يسكتون في ذلك اليوم فلا يتكلم أحد فيه الاباذن الله تعالى فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الآية وبين  
قوله سبحانه وتعالى يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله اخبارا عن محاجة الكفار والله بنا ما كنا  
مشركين والاخبار أيضا تدل على الكلام في ذلك اليوم قلت يوم القيامة طويل وله أحوال مختلفة وفيه  
أحوال عظيمة ففي بعض الاحوال لا يقدر على الكلام لشدة الاهوال وفي بعض الاحوال يؤذن لهم في  
الكلام فيتكلمون وفي بعضها تخفف عنهم تلك الاهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد من  
قوله لانكم نفس الاباذنه الشفاعة يعنى لا تشفع نفس لنفس شيئا الا أن يأذن الله طافى الشفاعة (فمنهم)  
يعنى من أهل الموقف (شقي وسعيد) الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هى معاونة الامور الاطية للانسان  
ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة آخروية  
وهى السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين أيضا شقاوة دنيوية وشقاوة  
آخروية وهى الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبقت له الشقاوة في الازل والسعيد من سبقت  
له السعادة في الازل (ق) عن علي بن أبي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فانا نارسول الله صلى الله عليه  
وسلم فقعده وقعدنا حوله ومعه مخضرة فنكس وجهه ليناكت بمخضرة ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب  
معه من الجنة ومعه من النار فقالوا يا رسول الله أفلا تتكلم على كتابنا فقال اعلموا فكل ميسر لما خاق  
له أمان كان من أهل السعادة فسيصير عمل أهل السعادة وأمان كان من أهل الشقاوة فسيصير عمل أهل  
الشقاوة ثم قرأ فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الآية بقيع الغرقد هو مقبرة أهل المدينة  
الشريفة ومدفنهم والمخضرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يسكه بيده الانسان والنكت بالنون والتاء  
لمثناة من فوق ضرب الشيء بتلك المخضرة أو باليد ونحو ذلك حتى يؤثر فيه واستدل بعض العلماء بهذه  
آية وهذا الحديث على ان أهل الموقف قسمان شقي وسعيد لثالث لهم وظاهر الآية والحديث يدل  
على ذلك لكن بقى قسم آخر مسكوت عنه ومن استوت حسناته وسيئاته وهم أصحاب الاعراف في قول  
والاطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيئات فهؤلاء مسكوت عنهم فهم تحت مشيئة الله عز وجل  
يوم القيامة يحكم فيهم بما يشاء وتخصيص هذين القسمين بالذكري لا يدل على نفي القسم الثالث (فاما الذين  
شقوا في النار لهم فيها) أى في النار من العذاب والهوان (زفير وشهيق) أصل الزفير ترديد النفس في  
الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس الى الصدر أو الزفير مده واخراجه من الصدر وقال ابن  
عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير أول صوت الحمار  
والشهيق آخره اذ رده الى صدره وقال أبو العالية الزفير في الخلق والشهيق في الجوف (خالد بن فيها) يعنى  
لابثنين مقيمين في النار (مادامت السموات والارض) قال الضحاك يعنى مادامت سموات الجنة والنار  
وأرضها ما ولا بد لاهل الجنة وأهل النار من سماء تظلمهم وأرض تقلمهم فكل ما علك فاطلك فهو سماء وكل  
ما استقر عليه قدمك فهو أرض وقال أهل المعاني هذه عبارة عن التأيبس وذلك على عادة العرب فانهم  
يقولون لا آتيتك مادامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار يريدون بذلك التأيبس وقوله  
سبحانه وتعالى (الاما شاء ربك) اختلف العلماء في معنى هذين الاستثناءين فقال ابن عباس والضحاك  
الاستثناء الاول المذكور في أهل الشقاء يرجع الى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم

وذلك لان أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار أو ما شاء بمعنى من  
شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجنة ميمون وهم المستثنون من أهل الجنة أيضا فقيل لهم ايها يكونهم في النار أياما  
فهؤلاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأيبس ولا سعدوا سعادة من لا تمسه النار وهو مروى عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضى الله عنهم

متعد (ففي الجنة خالد بن فيما مادامت السموات والارض الاماشاء ربك) هو استثناء من الخلود في نعيم الجنة وذلك أن لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه أو معناه الامن شاء أن يعذبه بقدر ذنبه قبل أن يدخله الجنة وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاستثناء في الآيتين لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصي الذي دخل النار خلود في النار حيث يخرج منها ولا يكون له أيضا خلود في الجنة لأنه لم يدخل الجنة ابتداء والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من النار ردوا الاحاديث المروية في هذا الباب وكفي به انما مينا (عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لم أجبر عنون وهو نصب على المصدر أي أعطوا عطاء قيل كفرت الجنة بما باربع آيات عطاء غير مجذوذ كما هادهم وما عند الله باق لا مقطوع ولا موعه لما قص الله قصص عبدة الاوثان وذكرا ما حل بهم من تقمه وما أعد لهم من عذابه قال (فلانك في مرية مما يعبد هؤلاء) أي فلانك بعد ما نزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله

يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناءهم الله تعالى من الاشقياء وبدل على صحة هذا التأويل ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يخرج قوم من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة وفي رواية ان الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة أخرجه البخاري ومسلم عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين وفي رواية ليصين أفوا مسفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة لهم ثم يدخلهم الله الجنة بفضلهم ورحمته فيقال لهم الجهنميون (خ) عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين وأما الاستثناء الثاني المذكور في أهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هؤلاء في النار قبل دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الآية فالذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالد بن فيما مادامت السموات والارض الاماشاء ربك أن يخرجهم منها فيدخلهم الجنة (ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا وفي الجنة خالد بن فيما مادامت السموات والارض الاماشاء ربك) أن يدخله النار أولا ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة فاصل هذا القول ان الاستثناء يرجع كل واحد منهما الى قوم مخصوصين هم في الحقيقة سعداء أصابوا ذنوبا استوجبوا بها عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لان اجماع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها أبدا وقيل ان الاستثناء يبرجع الى الفر يقين السعداء والاشقياء وهو مدة تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ وهو ما بين الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيكون المعنى خالد بن فيما مادامت السموات والارض الاماشاء ربك من زيادة على سوى ماشاء ربك فيكون المعنى خالد بن فيما مادامت السموات والارض الاماشاء ربك من الزيادة على ذلك وهو كقولك لفلان على ألف ألفين أي سوى ألفين وقيل الابعنى الواو يعنى وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وخلود هؤلاء في الجنة فهو كقوله تمجد وتعالى لثلاثين للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا أي والذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك لا يخرجهم منها ولكن لما شاء الله لا يضر بنك الا أن أرى غير ذلك وعزمه أن يضر به فهذه الاقوال في معنى الاستثناء ترجع الى الفر يقين والصحيح هو القول الاول وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى ان ربك فعال لما يريد يعنى من اخرج من النار وادخلهم الجنة فهذا على الاجمال في حال الفر يقين فاما على التفصيل فقوله الاماشاء ربك في جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقريره ان يقيد حصول الزفير والشهيق مع خلوده اذ ادخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعنى الاماشاء ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثناء الاول في جانب الاشقياء معناه لاماشاء ربك من أن يخرجهم من النار الى البرد والزهر يروى في جانب السعداء معناه الاماشاء ربك أن يرفع بعضهم الى منازل أعلى منار الجنان ودرجاتها والقول الاول هو المختار وبدل على خلود أهل الجنة في الجنة ان الامة مجتمعة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالد بن فيها وقوله سبحانه وتعالى في جانب السعداء (عطاء غير مجذوذ) يعنى غير مقطوع قال ابن زيد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بالذي يشاء لاهل الجنة فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار وروى عن ابن مسعود أنه قال لياتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبتون فيها أحقابا وعن أبي هريرة نحوه وهذا ان سح عن ابن مسعود وأبي هريرة فحمل عند أهل السنة على اخلاء أما كن المؤمنين الذين استحقوا النار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخرج جميع الموحدين وخلود الكفار فيها أو يكون مجزولا على اخرج الكفار من النار الى برد الزهر يرب ليزدادوا عذابا فوق عذابهم والله أعلم قوله سبحانه وتعالى (فلانك في مرية مما يعبد هؤلاء) يعنى فلانك في شك

صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعد الله لهم ﴿ثم قال﴾ (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يريد ان حالهم في الشرك مثل حال آباؤهم وقد بلغك ما نزل باآبائهم فسينزلان بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المربة وما في مما او كما مصدرية او موصولة أى من عبادتهم وعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها (وانالموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصاءهم (غير منقوص) حال من نصيبهم أى كاملا (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) انه لا يعاجلهم بالعذاب (لتقضى بينهم) بين قوم موسى او قومك بالعذاب المستأصل (وانهم لفي شك منه) من القرآن او من العذاب (٣٧٣) (مريب) من أراب الرجل اذا كان

ذارية على الاسناد المجازي (وان كلا) التنوين عوض عن المضاف اليه يعنى وان كلهم أى وان جميع المختلفين فيه وان مشددة (لما) مخفف بصرى وعلى ما مزيدة جىء بها ليفصل بها بين لام ان ولام (ليوفينهم) وهو جواب قسم محذوف واللام فى الماموطنة للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك أعمالهم) أى جزاء أعمالهم من ايمان وجمود وحسن وقبيح بعكس الاولى ابو بكر مخففان مكى ونافع على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذى هو التثقيب ولان أن تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحولم يكن ولم يك فكذا المشبه به مشدنان غيرهم وهو مشكل واحسن ما قيل فيه انه من لممت

يا محمد فى هذه الاصنام التى يعبدونها هؤلاء الكفار فانها لا تضر ولا تنفع (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يعنى أنه ليس لهم فى عبادة هذه الاصنام مستند الا أنهم رأوا آباءهم يعبدونها فعبدوها مثلهم (وانالموفوهم نصيبهم غير منقوص) يعنى وانما مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذى قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل أن يكون المراد من توفية نصيبهم يعنى من العذاب الذى قدر لهم فى الآخرة كاملا موفرا غير ناقص ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (فاختلف فيه) يعنى فى الكتاب فمنهم مصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقرآن ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذى يستحقونه من تعجيل العقوبة فى الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تبارك وتعالى (لتقضى بينهم) يعنى لعذبوا فى الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم (وانهم لفي شك منه) يعنى من القرآن ونزوله عليك يا محمد (مريب) يعنى انهم قد وقعوا فى الريب والتهمة (وان كلا) يعنى من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب (لما ليوفينهم ربك أعمالهم) اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء أعمالهم فى القيامة فيجازى المصدق على تصديقه الجنة ويجازى المكذب على تكذيبه النار (انه بما يعملون خبير) يعنى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده وان دقت فيه وعد للمحسنين المصدقين وفيه وعيد وتهديد للمكذابين الكافرين ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (فاستقم كما أمرت) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما أمرك ربك والامر فى الاستقامة للتأكد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم قم حتى آتيتك أى دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيتك (ومن تاب معك) يعنى ومن آمن معك من أمتك فليستقيموا أيضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ منه وغان الثعلب (م) عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال قلت يا رسول الله قل لى فى الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحد بعدك قال قل آمن بالله ثم استقم (ولا تطغوا) يعنى ولا تجاوزوا أمرى الى غيره ولا تصوفى وقيل معناه ولا تغلوا فى الدين فتجاوزوا ما أمرتكم به ونهيتكم عنه (انه بما تعملون بصير) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم باعمالكم لا يخفى عليه شئ منها قال ابن عباس ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيبتى هو دواخوانها (خ) عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر وان يشاد الدين أحد الاغلبه فسد دواوقار بووا بشر واواستعينوا بالقدوة والروحة وشئ من الدلجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر وأراد به التسهيل فى الدين وترك التشدد فان

الشئ جعلته لما وقف فصار لما ثم أجرى الوصل مجرى الوقف وجاز أن يكون مثل الدعوى والثروى وما فيه ألف التأنيث من المصادر وقرأ الزهرى وان كلاما بالتنوين كقوله أ كلاما وهو يؤيد ما ذكرنا والمعنى وان كلاما مومين أى مجموعين كأنه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون وقال صاحب الايجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل فى الكلام اختصار كأنه قيل وان كلاما بعثوا ليوفينهم ربك أعمالهم وقال السكسائى ليس لى بتشديد الماعلم (انه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها غير عادل عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستتر فى استقم وجاز للفاصل يعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله مخلصا (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عن حدود الله (انه بما تعملون بصير) فهو مجازيكم فانقوه قيل ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كانت اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتى هو د

(ولا تركنوا الى الدين ظالموا) ولا تملوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب لا تباع الكفرة اى لا تركنوا الى القادة والكبراء في ظلمهم وفيما يدعونكم اليه (فتمسك النار) وقيل (٣٧٤) الركون اليهم الرضا بكفرهم وقال قتادة ولا تلحقوا بالمشركين وعن الموقف انه صلى

خلف الامام فلما قرأ هذه الآية غشى عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ولا تظفوا ولا تركنوا وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شئ ابغض الى الله من عالم زور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا ظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه واقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في بركة هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت قال دعه يموت (ومالك من دون الله من اولياء) حال من قوله فتمسككم النار اى فتمسك النار واتم على هذه الحالة ومعناه ومالك من دون الله من اولياء يقدر على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هولاء انه حكم بتعذيبكم ومعنى ثم الاستبعاد اى النصره من الله مستبعدة (واقم الصلوة طرفي النهار) غدوة وعشية

هذا الدين مع يسره وسهولته قوى فان يغالب ولن يقاوى فسددوا أى اقصدوا السداد من الامور وهو الصواب وقار بواى اطلبوا المقاربة وهى القصد الذى لا غلوفيه ولا تقصير والغدوة والروح بكره والروح الرجوع عشيا والمراد منه اعملوا طرفي النهار وقتا وقتا والدجة سير الليل والمراد منه اعملوا بالنهار واعملوا بالليل أيضا وقوله شئ من الدجة اشارة الى تقيله ﴿ وقوله تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) قال ابن عباس ولا تملوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال أبو العالية لا ترضوا باعمالهم وقال السدى لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تكنوا الى الذين ظلموا (فتمسك النار) يعنى فتصيبكم النار بحرها (ومالك من دون الله من اولياء) يعنى أعوانا وانصارا يعنونكم من عذابه (ثم لا تنصرون) يعنى ثم لا تنجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله غدا في القيامة فغيبه وعيد لمن ركن الى الظلمة أو رضى باعمالهم أو احبهم فكيف حال الظلمة في أنفسهم نعوذ بالله من الظلم ﴿ قوله عز وجل (واقم الصلوة طرفي النهار) سبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذى عن أبي اليسر قال أتتني امرأة تبتاع تمرا فقلت ان في البيت تمرا هو أطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم أصبر فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم أصبر فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال أخلفت غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن أسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من أهل النار قال واطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى أوحى الله اليه وأقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من المليل الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال أبو اليسر فأتيته فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحابه يا رسول الله لهذا خاصة أم للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذى هذا حديث حسن غريب وقيل بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وأبو اليسر هو كعب بن عمرو (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رجلا أصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فزت وأقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقال الرجل يا رسول الله ألى هذه الآية قال لمن عمل بها من أمتي وفي رواية فقال رجل من القوم يا نبي الله هذه له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ ابن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم لم رجل فقال يا رسول الله رأيت رجلا في امرأة وليس بينهما معرفة فليس يأتي الرجل الى امرأته شيئا الا قد أتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فانزل الله عز وجل وأقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فامرء النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ ويصلى قال معاذ فقلت يا رسول الله ألى له خاصة أم للمؤمنين عامة فقال بل للمؤمنين عامة أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث ليس بمتصل لان عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ أما التفسير فقوله سبعانه وتعالى وأقم الصلوة طرفي النهار يعنى صلاة الغداة والعشي وقال مجاهد طرفي النهار يعنى صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعنى صلاة المغرب والعشاء وقال الحسن طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال ابن عباس طرفي النهار الغداة والعشي يعنى صلاة الصبح والمغرب قال الامام غفر الدين الرازى كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار والاشهر ان الصلاة التي في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان أحد طرفي النهار هو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالطرف الاول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز ان يكون صلاة المغرب لانها داخله تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثاني على صلاة العصر (وزلفا من الليل) يعنى وأقم الصلاة في زلفا من الليل وهى ساعاته

(وزلفا من الليل) وساعات من المليل جمع زلفه وهى ساعاته القرية من آخر النهار من أزلفه اذا قر به وصلاة الغدوة واحدها الفجر وصلاة العشي الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء واتصاف طرفي النهار على الظرف لانها مضافان الى الوقت كقولك أفت عنده جميع النهار وأتته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه

(ان الحسنات يذهبن السيئات) ان الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفي الحديث ان الصلوات الخمس تكفر ما بينهما من الذنوب والطاعات قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها واسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (ذلك) اشارة الى فاستقم فابعده أو القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة لامتعظين نزلت في عمرو بن غزيرة الانصاري بائع التمر قال لامرأة في البيت تمر أجود فدخلت فقباها فقدم فجاهه حاكبا كما فنزلت فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هي كفارة لك فقيل له خاصة قال بل للناس عامة (واصبر) على امتثال ما أمرت به والالتفاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتمل على جميع

الاوامر والنواهي من قوله فاستقم الى قوله واصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون من قبلكم) فهلا كان وهو موضوع للتخصيض ومخصوص بالفعل (أولو بقية) أو لو فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقى بما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثالا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا (ينهون عن الفساد في الارض) عجب محمد عليه السلام وأتمته ان لم يكن في الامم التي ذكر الله اهلا كهم في هذه السورة جماعة من أولى العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصي (الاقليلا من أنجينا منهم) استثناء منقطع أي ولكن قليلا من أنجينا من القرون

واحدتها زلفة وأصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء (ان الحسنات يذهبن السيئات) يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرن بها (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكبائر وزاد في رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر (ق) ن أبي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرأيتم لو أن نهر ايباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا (خ) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرر قال العلماء الصغار من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر وأما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح وهاتلات شرائط الشرط الاول الاقلاع عن الذنب بالكافية الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام أن لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط صححت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله تعالى وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول سببحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر والقول الاول أصح أنها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احدي الروايتين عنه والقرظي والضحاك وجهور المفسرين (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القرآن (ذكرى للذاكرين) يعني عظة للمؤمنين المطيعين (واصبر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واصبر يا محمد على أذى قومك وما تلقاه منهم وقيل معناه واصبر على الصلاة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني أعمالهم قال ابن عباس يعني المصابين قوله سببحانه وتعالى (فلولا كان من القرون) يعني فهلا كان من القرون التي أهلكناهم (من قبلكم) يعني يا أمة محمد (أولو بقية) يعني أولو تمييز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه أولو بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة (ينهون عن الفساد في الارض) يعني يقومون بالنهي عن الفساد في الارض والآية للتقريع والتوبيخ يعني لم يكن فيهم من فيه خير ينهي عن الفساد في الارض فلذلك أهلكناهم (الاقليلا) هذا استثناء منقطع معناه لکن قليلا (من أنجينا منهم) يعني من آمن من الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد في الارض (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) يعني واتبع الدين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي ما تنعم موافيه والترفع التمتع والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا به من النعم واشار اللذات على الآخرة ونعمها (وكانوا مجرمين) يعني كافرين (وما كان ربك يهلك القري بظلم) يعني لا يهلكهم بظلم منه (وأهلها مصلحون) يعني في أعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم

نحو اعن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في من أنجينا للبيان لا للتبويض لان النجاة لناهين وحدهم بدليل قوله أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا (واتبع الذين ظلموا) أي التاركون للنهي عن المنكر وهو عطف على مضمراى الاقليلا من أنجينا منهم نوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نوا (ما أترفوا فيه) أي اتبعوا ما عرفوا فيه التمتع والترفع من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء ورفضوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبتذوه وراء ظهورهم (وكانوا مجرمين) اعتراض وحكم عليهم بانهم قوم مجرمون (وما كان ربك يهلك القري) اللام تاء كيد النفي (بظلم) حال من الفاعل أي لا يصح أن يهلك الله القري ظالمها (وأهلها) قوم (مصلحون) تزيه الذانه عن الظلم وقيل الظلم الشرك أي لا يهلك القري بسبب شرك أهلها وهم مصلحون في المعاملات فيما

السيئات وقيل في معنى الآية وما كان ر بك ليهلك القرى بمجرد شركهم إذا كانوا مصلحين يعني يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والسداد والمراد من اهلاك عذاب الاستئصال في الدنيا أما عذاب الآخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقهاء ان حقوق الله مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على التصديق والتشديد ﴿قوله عز وجل﴾ (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعني كلهم على دين واحد وشريعة واحدة (ولا يزالون مختلفين) يعني على أديان شتى ما بين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشرك ومسلم فكل أهل دين من هذه الأديان قد اختلفوا في دينهم أيضا اختلافا كثيرا لا ينضب عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرق اليهود على احدى وسبعين فرقة واثنيتين وسبعين والنصارى مثل ذلك وستفرق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة أخرجه أبو داود والترمذى بنحوه عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على اثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفرق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة أخرجه أبو داود وقال الخطابي قوله صلى الله عليه وسلم وستفرق أمتى فيه دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من أمة وقال غيره المراد بهذه الفرق أهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهروا بعده كالخوارج والقدريّة والمعتزلة والرافضة وغيرهم من أهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة هي فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وقوله سبحانه وتعالى (الامن رحمك) يعني لكن من رحمك بك فمن عليه بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون (ولذلك خلقهم) قال الحسن وعطاء ولا اختلاف خلقهم قال أشهب سألت مالك بن أنس عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم يعني الذين يرجعهم وقال الفراء خلق أهل الرحمة للرحمة وخلق أهل الاختلاف للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل أهل الرحمة للرحمة لا يختلفوا وخلق أهل العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها أهل النار وخلق لها أهلا فاصل الآية ان الله خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالرحمة وهم أهل الاتفاق ومصيرهم الى الجنة ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تبارك وتعالى (وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وهذا صريح بان الله سبحانه وتعالى خلق أقواما للجنة وللرحمة فهداهم وفقهم لأعمال أهل الجنة وخلق أقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) لماذا كر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع أنبيائهم ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من أنباء الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما نثبت به فؤادك يعني ما تقوى به قلبك لتصبر على أذى قومك وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه (وجاءك) يا محمد (في هذه الحق) اختلفوا في هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجز للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليها وقيل في هذه الآية وقيل في هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الأكثرين فان قلت قد جاء الحق في سور القرآن فلم خص هذه السورة بالذكرة قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكرة أن لا يكون قد جاء الحق في غيرها من السور بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكرة تشريفا لها (وموعظة وذكري للمؤمنين) أى وهذه

بينهم لا يضمنون الى شركهم فسادا آخر (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) أى متفقين على الايمان والطاعات عن اختيار ولكن لم يشأ ذلك وقال المعتزلة هي مشيئة قسر وذلك رافع للابتلاء فلا يجوز (ولا يزالون مختلفين) في الكفر والايمان أى ولكن شاء ان يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار ذلك (الامن رحمك) الاناس اعصمهم الله عن الاختلاف فانفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) أى ولما هم عليه من الاختلاف فعندنا خلقهم للذي علم انهم يصيرون اليه من اختلاف أو اتفاق ولم يخلقهم لغير الذي علم انهم يصيرون اليه كذا في شرح التأويلات (وتمت كلمة ربك) وهي قوله للملائكة (أملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لعلمه بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التنوين فيه عوض من المضاف اليه كأنه قيل وكل نبأ وهو منصوب بقوله (نقص عليك) وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكل وقوله (ما نثبت به فؤادك) يدل من كلا (وجاءك في هذه الحق)



السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون اذا تذكروا احوال الامم الماضية وما نزل بهم (وقل للذين لا يؤمنون  
اعملوا على مكاتكم) فيه وعيد وتهديد يعني اعمالوا ما اتم عملوا فستعلمون عاقبة ذلك العمل فهو كقوله اعمالوا  
ما شتمتم (انا عاملون) يعني ما امرنا به ربنا (واتظروا) يعني ما يعدكم به الشيطان (انامنتظرون) يعني  
ما يحل بكم من نعمة الله وعذابه اما في الدنيا واما في الآخرة (ولله غيب السموات والارض) يعني يعلم ما غاب  
عن العباد فيهما يعني ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى  
عليه شيء في الارض ولا في السماء (واليه يرجع الامر كله) يعني الى الله يرجع امر الخلق كله  
في الدنيا والآخرة (فاعبده) يعني ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده  
ولا تشتغل بعبادة غيره (وتوكل عليه) يعني وثق به في جميع أمورك فانه يكفيك (وما  
ر بك بغافل عما تعملون) قال أهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه  
وسلم وجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه سبحانه وتعالى  
يحفظ على العباد أعمالهم لا يخفى عليه منها شيء فيجزى  
المحسن باحسانه والمسيء باساءته قال  
كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة  
سورة هود والله أعلم  
بمراده واسرار  
كتابه

﴿تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث أوله سورة يوسف﴾

تثبيت فؤاده زيادة يقينه  
لان تكاثر الادلة أثبت  
للقلب (وقل للذين  
لا يؤمنون) من أهل مكة  
وغيرهم (اعملوا على  
مكاتكم) على حالكم  
وجهتم التي اتم عليها  
(انا عاملون) على مكانتنا  
(واتظروا) بنا الدوائر  
(انامنتظرون) أن ينزل  
بكم نحو ما اقتص الله تعالى  
من النعم النازلة باشباهكم  
(ولله غيب السموات  
والارض) لا تخفى عليه  
خافية مما يجري فيهما فلا  
تخفى عليه أعمالكم (واليه  
يرجع الامر كله) فلا بد  
أن يرجع اليه أمرهم  
وأمرك فينتقم لك منهم  
يرجع نافع وحفص  
(فاعبده وتوكل عليه) فانه  
كافيك وكافلك (وما ر بك  
بغافل عما يعملون) وبالتناء  
مدني وشامي وحفص أي  
أنت وهم على تغليب  
المخاطب قبل خاتمة التوراة  
هذه الآية وفي الحديث  
من أحب أن يكون اقوى  
الناس فليتوكل على الله  
تعالى

﴿فهرست الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم للإمام علي بن محمد المعروف بالخازن﴾

صحيفة

- ٢ ﴿تفسير سورة الانعام﴾
- ٢٩ ذكر قصة مولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ودعائه قومه وما وقع بينه وبين عمرو
- ٣٤ فصل احتجاج العلماء بقوله تعالى فبهذا هم اقتده على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع  
الانبياء عليهم الصلاة والسلام
- ٤٣ فصل يتعلق بقوله تعالى لا تدركه الابصار .
- ٥١ فصل اختلف العلماء في ذبيحة المسلم اذا لم يذكرا اسم الله عليها
- ٦٧ فصل في احتجاج القدرية والمعتزلة بقوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا  
ولا آباؤنا الخ
- ٧٦ ﴿تفسير سورة الاعراف﴾
- ٨٤ فصل في الاستدلال على صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عنه
- ١٠٩ ذكر قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق الخ
- ١١٤ ذكر قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحق الخ
- ١٢٥ فصل في بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسل
- ١٣٥ فصل في احتجاج من نفي الرزية بظاهر قوله تعالى لن تراني والرد عليهم في ذلك
- ١٤٧ شرح غريب ألفاظ الحديث في صفة النبي صلى الله عليه وسلم المذكورة في التوراة
- ١٦٢ ذكر أسماء الله الحسنى
- ١٧١ فصل في احتجاج الطاعنين في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك
- ١٧٤ ﴿تفسير سورة الانفال﴾
- ١٨٥ فصل في حكم الفرار عند الزحف
- ٢١٠ فصل في استدلال من يقدح في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك
- ٢١٣ ﴿تفسير سورة التوبة﴾
- فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة
- ٢١٦ فصل قد يتوهم متوهم ان في بعث علي بن أبي طالب بقراءة أول براءة عزل أبي بكر عن الامار  
وتفضيله على أبي بكر وذلك جهل الخ
- ٢٣٠ فصل في بيان أحكام قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
- ٢٤٠ ذكر سياق حديث الهجرة
- ٢٤٤ فصل في الوجوه المستنبطة من قوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه الخ الدلالة على فضل سيدي  
أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
- ٢٤٦ فصل استدلال بقوله تعالى عفا الله عنك الخ من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء عليهم الصلاة  
والسلام والجواب عن ذلك
- ٢٥١ فصل في بيان حكم قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الخ وفيه مسائل
- ٢٦٨ فصل قد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي ابن ساول المنافق صورة  
اختلاف في الروايات الخ

- ٢٩٩ (تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام)
- ٣٣١ فصل في الكلام على هذا الحديث (أى قوله صلى الله عليه وسلم لما أغرق الله فرعون قال آمنت الخ) لانه في الظاهر مشكل  
فصل في وجه اشكال الحديث المذكور
- ٣٣٨ ﴿تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام﴾
- ٣٤٩ فصل في الرد على من استدل بقوله تعالى ولا أقول انى ملك على تفضيل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام
- ٣٥٦ فصل في الرد على من لا يرى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مستدلا بقوله تعالى انه عمل خير صالح الخ

﴿تمت﴾